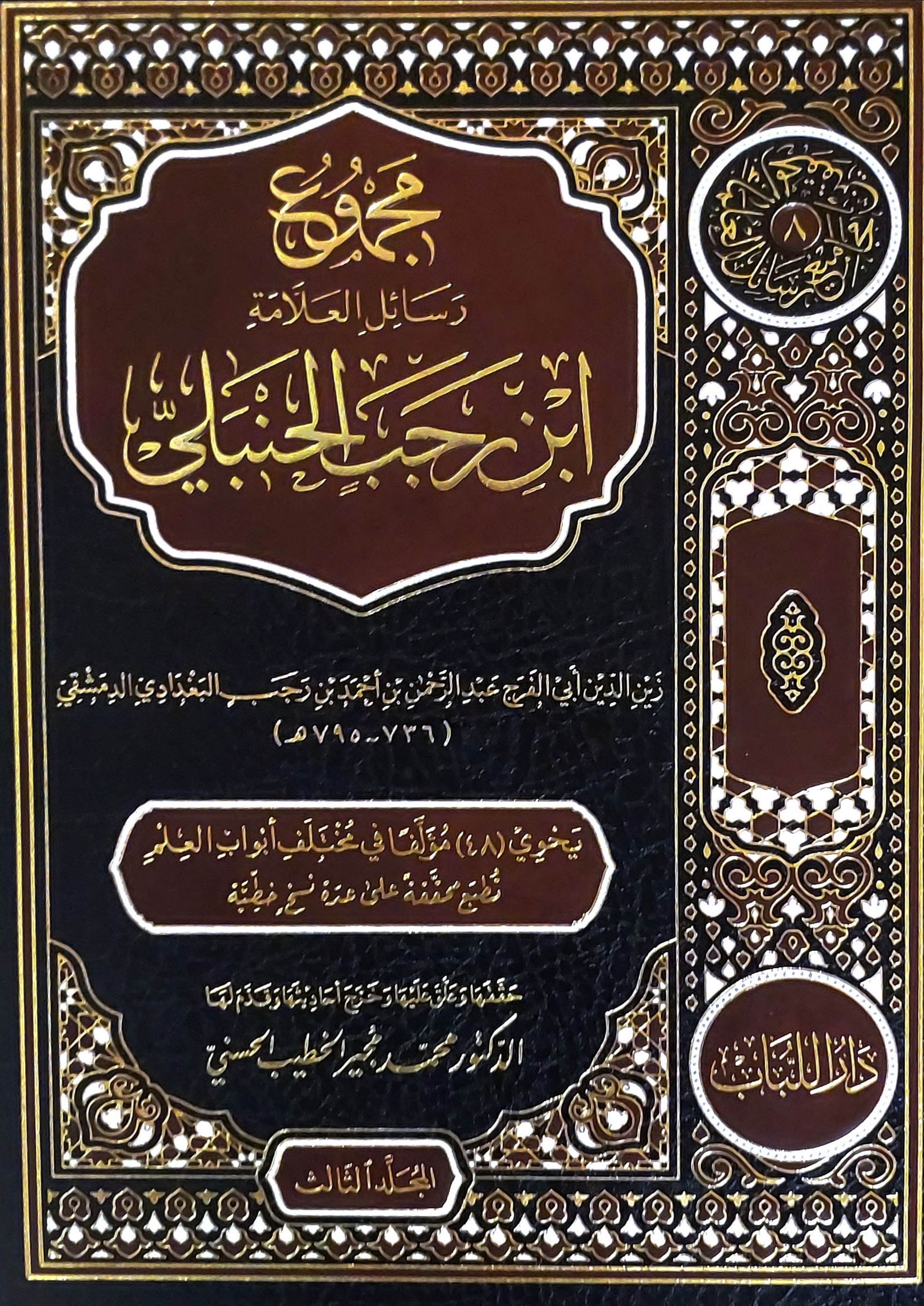
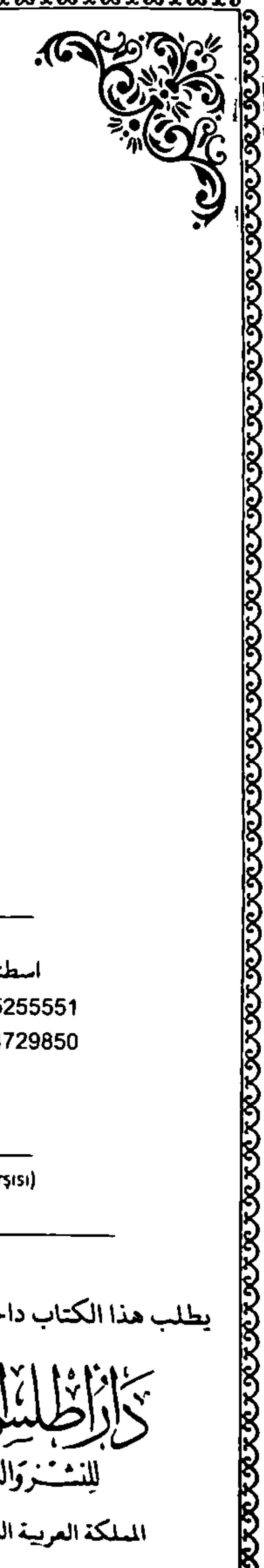

مجموع
رسائل العلامة
ابن رجب الحنبلي
زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي الدمشقي
(٧٣٦-٧٩٥هـ)
يحتوي (٤٨) مؤلفاً في مختلف أبواب العلم
تطبع محققة على عدة نسخ مخطية
حققها وعلق عليها وخرج أحاديثها وقدم لها
الدكتور محمد مجير الخطيب الحسني
دار اللباب
المجلد الثالث





الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م




DAR-ALLOBAB
Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

بيروت - لبنان
009615813966
0096170112990

دمشق - سوريا
00963993151546
info@allobab.com
Www.allobab.com

اسطنبول - تركيا
00902125255551
00905454729850



İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

يطلب هذا الكتاب داخل المملكة حصراً من




المملكة العربية السعودية - الرياض






٠٠٩٦٦٥٤٤٨٩٦٦٥٤



Daratlas.sa



Dar-atlas
dar-atlas@hotmail.com

# مَجْمُوع

## رَسَائِل العَلَّامَةِ

# ابْنِ رَجَبٍ الحَنْبَلِيِّ

زَيْنِ الدِّيْنِ أَبِي الفَرَجِ عَبْدِ الرَّحْمَٰنِ بْنِ الحَسَنِ البَغْدَادِيِّ الدِّمَشْقِيِّ

(٧٣٦-٧٩٥هـ)

يَحْوِي (٤٨) مُؤَلَّفًا فِي مُخْتَلَفِ أَبْوَابِ العِلْمِ
تُطْبَعُ مُحَقَّقَةً عَلَى عِدَّةِ نُسَخٍ خَطِّيَّةٍ

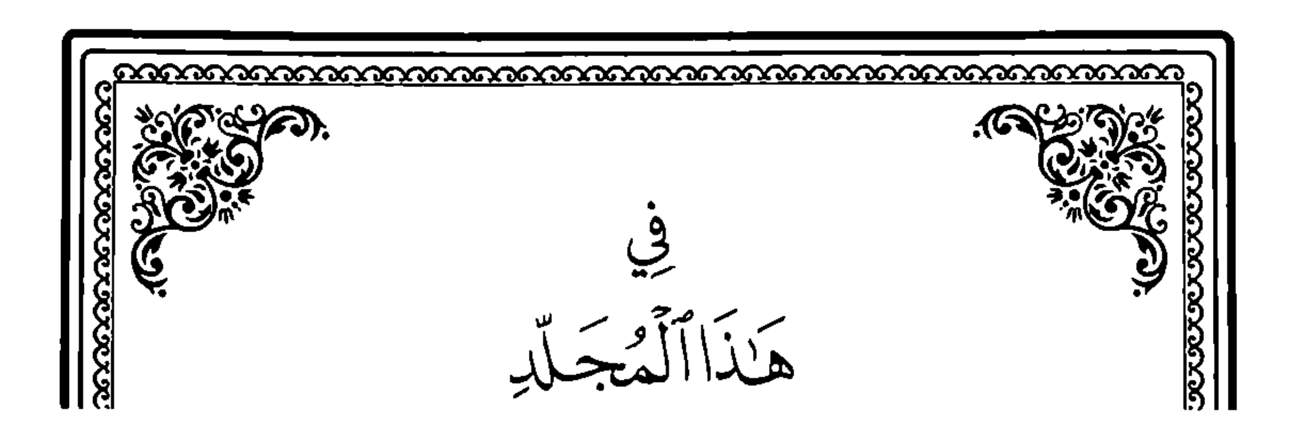
حَقَّقَهَا وَعَلَّقَ عَلَيْهَا وَخَرَّجَ أَحَادِيثَهَا وَقَدَّمَ لَهَا
الدُّكْتُورُ مُحَمَّد مُجِير الخَطِيب الحَسَنِيّ

المُجَلَّدُ الثَّالِثُ



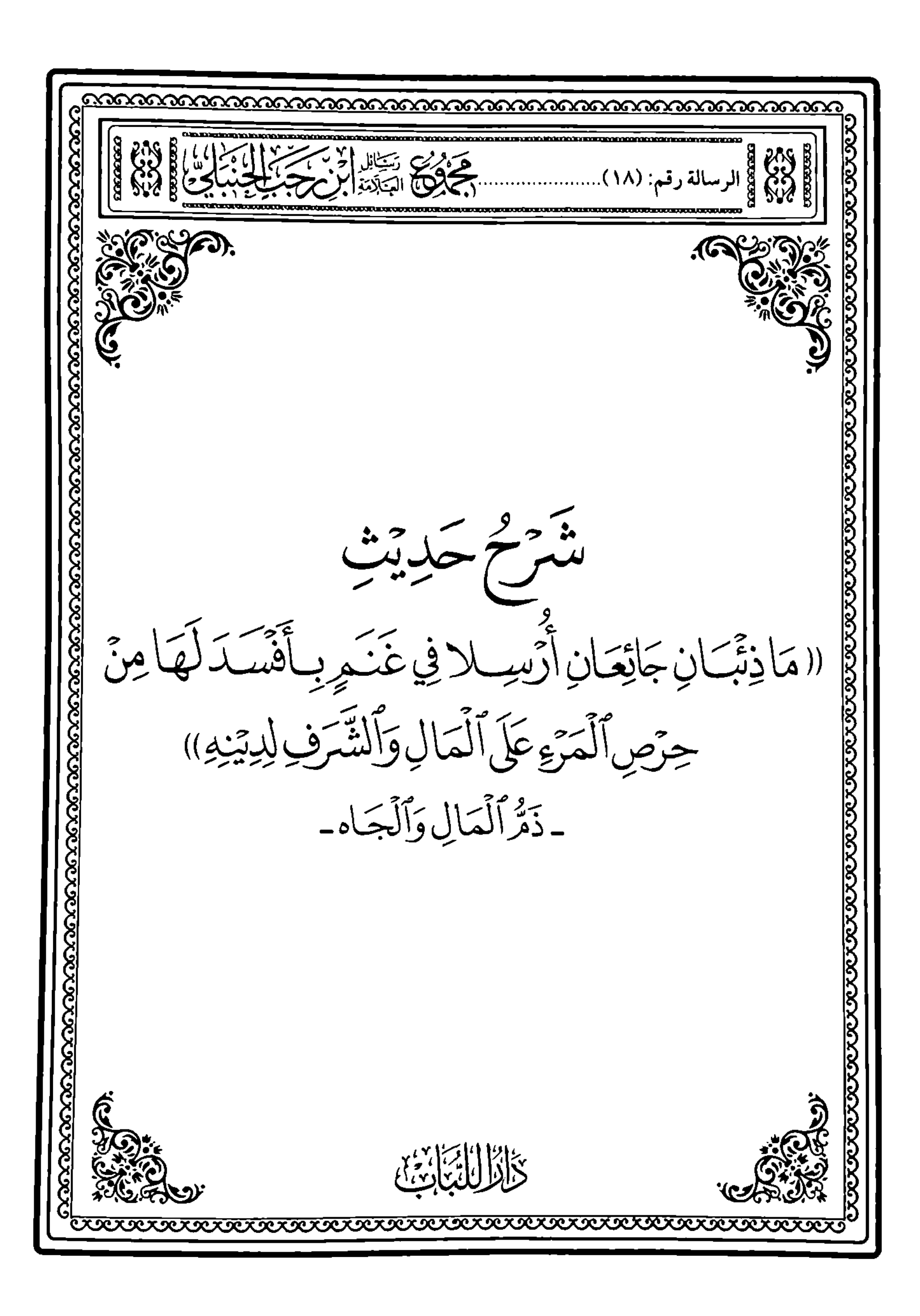






في
هذا المجلد



* * *





# شرح حديث

## «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»

### ـ ذم المال والجاه ـ

دار اللباب

دار الكتب الوطنية بتونس (ت) وهي مخرومة في أولها

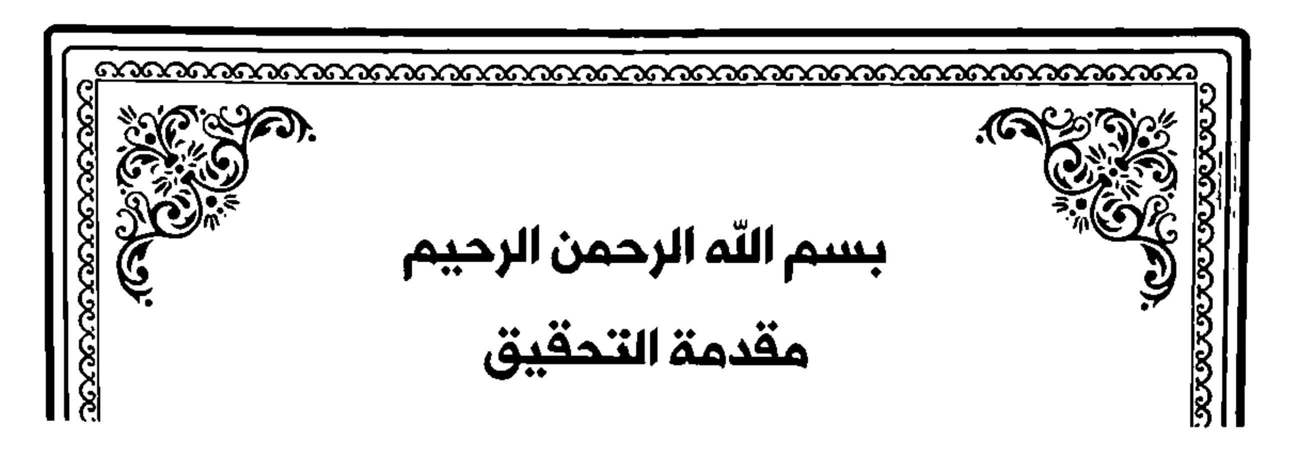
مكتبة الفاتح في اسطنبول (ف)

دار الكتب المصرية (ك)

النسخة الأزهرية (ز)

مكتبة عاشر أفندي في اسطنبول (ع)

مكتبة جامعة الرياض (ض)



# بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي جَعل القناعة بالإيمان أغلى من الجاه والأموال، والزهدَ في الدنيا مفتاح الصلاح للأحوال، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أكمل الرجال، وعلى الصحب والتابعين لهم والآل.

أما بعد:

فإن قواطع الخلق عن الحق كثيرة، ومن أشدها تسلطاً على القلوب:

الحرص على المال وما يتبعه من مظاهر الدنيا، وكذلك الحرص على الجاه والمكانة في قلوب الناس، وما يوصل إلى ذلك من الوسائل والأسباب.

فالحرص على جمع المال قد يخرج بالإنسان إلى دائرة الحرام، من ارتكاب السرقة، والربا والغصب، وأكل أموال الناس بالباطل بالمعاملات المشتبهة، والامتناع عن أداء الزكاة وسداد الدَّين وبذل الحقوق لأصحابها؛ وذلك كله بعد اجتياز دائرة المكروه وخلاف الأولى، وذلك بعد اجتياز دائرة المباح من طلب المال للعيش.

وتلك المعاصي المتعلقة بالمال: واضحٌ تحريمُها وذمُّها وضوحاً شديداً من الدين، ولو أعمى الإنسانُ بصره وبصيرته عن النظر فيما يقع فيه منها!

* * *

وأما الحرص على الشرف والمكانة والسمعة والشهرة والجاه، فإنه قد يوقع الإنسان في دائرة الحرام من الكذب، والرياء، والتشبع بما لم يُعط، والمنافسة، والحسد، والبغي والظلم.

لكنَّ الأسوءَ من ذلك كله: ما قد يجامعه من تلبيسِ إبليس؛ فيتوهم العبدُ أنَّ ذلكَ الباطلَ إنما هو في سبيل الحق! وأنه ينصر بذلك الخير والهدى، رغم أن حقيقته أنه يقع في مهاوي الضلال والشر والردى!

* * *

وقد تناول الإمام الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى هذه القضية في شرحه هذا على حديث كعب بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم بأفسدَ لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه» بأسلوبه المشوق في سرد الدلائل من الكتاب والسنة، وأقوال السلف الصالح وأحوالهم وقصصهم وعِبَرِهِم، والاستطرادات اللطيفة إلى بعض المسائل الفقهية.

فجدير بكل طالب علم أن يقف على هذا الشرح مستفيداً منه، ليجتنب تلك الآفات، ولئلا يدخل في تلك الشبهات، فيسلم له دينهُ، ويصفو له توجهُهُ في سلوكه إلى الله جل جلاله.

وهو الهادي سبحانه إلى سواء السبيل.

* * *

ذكرَ هذا الكتاب للمصنف: يوسفُ بن عبد الهادي في «الجوهر المنضد» (ص: ٥٠)، وهو مما يرويه الروداني في «صلة الخلف» (ص: ٢٤٢).

وسمياه: «ذم الجاه».

وقد توفر لدي عدد من نسخه الخطية:

النسخة الأولى: النسخة التونسية، ورمزها: (ت).

وهي الرسالة الثالثة من المجموع (١٥٧) ـ وقد سبق وصفه في المقدمات ـ لكنها مخرومة الأول، والتي قبلها ـ شرح حديث زيد بن ثابت «لبيك اللهم لبيك» ـ مخرومة الآخر، ولا يظهر ذلك في ترقيم أوراق النسخة.

ويقع الموجود منها في (٦) لوحات (من ٢٣/ ب إلى ٢٨/ ب).

وهي مقابلة كما في آخرها، وجاء عنوانها في فهرسة المجموع بأوله: «شرح حديث ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم».

لم يُذكر اسم الناسخ، ويرجع تاريخ نسخ المجموع إلى سنة ٨٥٢هـ.

النسخة الثانية: نسخة مكتبة الفاتح في اصطنبول، ورمزها (ف).

وهي الرسالة الثالثة من المجموع (٥٣١٨) ـ وقد سبق وصفه في المقدمات ـ وتقع في (١٧) لوحة، (من ٤٣/ أ إلى ٥٩/ ب).

وجاء العنوان في فهرسة المجموع بأوله: «شرح حديث ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم».

ناسخ المجموع: عيسى بن علي بن محمد الحوراني الشافعي في سنة ٨٩٣هـ.

النسخة الثالثة: نسخة دار الكتب المصرية، ورمزها (ك).

رقمها: خصوصية (١٥٠٩ حديث)، عمومية (٤٠٨٣٧).

وتقع في ٢٠ لوحة، جاء العنوان في أولها: «شرح حديث ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه». ومسطرتها ١٥ سطراً.

وعليها ختم الكتبخانة الخديوية المصرية، وخطها مَغربي جيد، كتبت فيها الآيات وضبطت بقراءة نافع.

لم يكتب اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها، ولعلها ترجع إلى القرن العاشر تقديراً، والله أعلم.

النسخة الرابعة: النسخة الأزهرية، ورمزها (ز).

وهي في ضمن مجموع (من ٥٧/ ب إلى ٧٤/ أ).

وتقع في (١٨) لوحة، مسطرتها ١٧ سطراً، جمعت ورُتِّبت من الدشت[١]. كُتبتْ أوائل الأحاديث والفِقَر بالحمرة.

وجاء العنوان فيها: تأليفٌ للإمام العارف بالله تعالى ابن رجب على قوله ﷺ: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه».

وكُتب بخط إفريقي: والأنسب باسم هذا الكتاب أن يقال: «منهج السلف والخلف في ذم الحرص على المال والشرف».

وكاتب هذا هو أحد من تملك الكتاب، وعَلّق عليه بعض تعليقات بقلم إفريقي، وهو: محمد بن خالد العنابي المغربي، نزيل تونس ثم مصر ثم بيت المقدس رحمه الله تعالى[٢].

ناسخها: أحمد بن منصور البرلسي المالكي، في أواخر رمضان ١٠٢٢هـ

---

(١) الأوراق الكثيرة المختلطة المتناثرة.

(٢) وهو ممن أخذ عن السيد محمد مرتضى الزبيدي، فذكره في «المعجم المختص» (٦١٤). كان حياً في أول القرن الثالث عشر الهجري. رحمه الله تعالى.

ويليها في المجموع: «مختصر المقاصد الحسنة في الأحاديث المشتهرة على الألسنة» للشيخ محمد بن عبد الباقي الزرقاني.

النسخة الخامسة: نسخة عاشر أفندي، ورمزها (ع).

وهي في مكتبة عاشر أفندي في اصطنبول، في ضمن مجموع (٢٧٧)، وهي الرسالة الثالثة منه وقبلها: «أخلاق العلماء» و«أخلاق حملة القرآن» للآجري.

والعنوان في أول المجموع: «وفيه أحاديث ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه».

وتقع في (١٦) لوحة، مسطرتها ١٥ سطراً. بخط فارسي جميل متقن، وعلى حواشيها إثبات فروق نسخ قوبلت بها، وشرح لبعض ما يحتاج إلى شرح، مما يدل على عناية ناسخها.

وناسخها هو: خير الله محمد بن عثمان بن سفيان بن مرادخان[1]. وتم نسخها يوم الأحد ١١ من جمادى الآخرة سنة ١١١٨هـ وقرأها مرة ثانية وأثبت مطالعته وتصحيحه.

النسخة السادسة: نسخة جامعة الرياض، ورمزها (ض).

وهي برقم (١٨٩٠)، وتقع في ١٢ ورقة، مسطرتها ٢٤ سطراً، جاء العنوان فيها: «ذم المال والجاه».

وما كتب في أولها يدل على أنها منسوخة من نسخة كتبت في زمان المصنف ـ وقد أثبته في أول الرسالة ـ.

---

(١) البولوي، الرومي، الحنفي، وهو عالم فاضل، فقيه متقن، من تلاميذ عبد الله بن سالم البصري، وأبي الطاهر الكوراني، معتن بالكتب نسخاً ومطالعة وتصحيحاً وضبطاً. له ترجمة مقتضبة في «سلك الدرر» للمرادي (٢/ ١٠٦).

ليس فيها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، لكن خطها من خطوط القرن الثالث عشر أو أول الرابع عشر.

وعليها ختم: «المكتبة العمرية، لصاحبها محمد الحمد العمري وأولاده. الرياض».

النسخة السابعة: نسخة مكتبة الرياض العامة، ورمزها (ر).

وهي الرسالة الثانية في ضمن المجموع برقم (٦٨٦/ ٨٦)، وتقع في (١١) لوحة (من ٥/ ب إلى ١٥/ ب).

جاء العنوان فيها: «شرح حديث ما ذئبان جائعان».

وهي بخط: إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عيسى[1]، وتاريخ تمام نسخها: شهر ربيع الأول سنة ١٢٥٤.

وفي أولها تملك باسم: محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن.

لم نقابل هذه النسخة بتمامها، وإنما رجعتُ إليها في بعض المواضع.

النسخة الثامنة: نسخة الربيعي.

وهي في جامعة الرياض، في ضمن المجموع رقم (١٦٣٧)، وهي الرسالة السادسة منه، تقع في ٢٠ صفحة (من ١٣٩ إلى ١٥٨) وهي بخط عبد الله بن إبراهيم الربيعي، تمت كتابتها بتاريخ ١٧ رجب ١٣٣٣ ونُقلت من خط محمد بن علي بن زامل سنة ١٢١١. ولم أرجع إليها لتأخرها.

* * *

(١) القاضي النجدي الحنبلي، توفي في شقرا، يوم عرفة سنة ١٢٨١ رحمه الله تعالى. له ترجمة في «تسهيل السابلة» لصالح آل عثيمين (٣/ ١٧٠١).

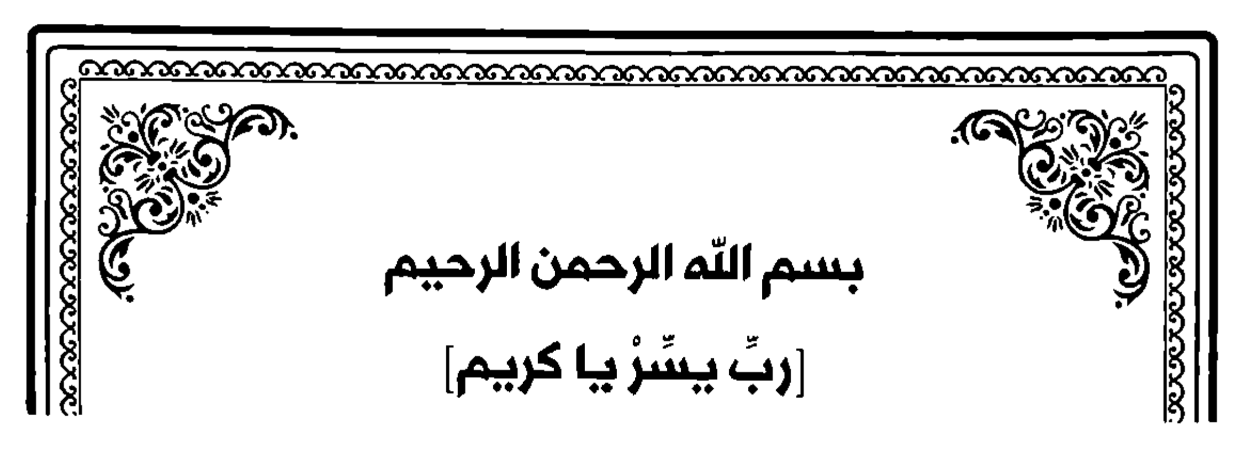
وللكتاب طبعات كثيرة جداً، من أقدمها طبعة لاهور سنة ١٣٢٠ مع مختصر «قيام الليل» للمروذي، وطبعة مجموعة الرسائل المنيرية، وغيرها مما تأخر عنها، وهو مما يزيد على عشر طبعات.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

**محمد مجير الخطيب الحسني**

* * *



# بسم الله الرحمن الرحيم

## [ربِّ يسِّرْ يا كريم]

[قال الشيخ، الإمام، العالم، العلامة، شيخ الإسلام، بقية السلف الكرام، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الشيخ الإمام، العالم العلامة، شهاب الدين بن الشيخ الإمام العالم العلامة رجب البغدادي الحنبلي، زاده الله علماً وعملاً](١)

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصلَّى اللهُ على سيِّدِنا محمَّدٍ وآلِه وصحبِه أجمعينَ، وسلَّمَ تسليماً كثيراً إلى يومِ الدِّينِ(٢).

خَرَّجَ(٣) الإمامُ أحمدُ والنَّسائيُّ والتِّرْمِذِيُّ وابنُ حِبَّانَ في «صحيحِه» مِنْ حديثِ كعبِ بنِ مالكٍ الأنصاريِّ رضي الله عنه، عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «ما ذِئْبانِ جائعانِ أُرْسِلا في غَنَمٍ بأفسدَ لها مِنْ حِرْصِ المرءِ على المالِ والشَّرَفِ لِدينِه». قالَ التِّرمذيُّ: حسنٌ صحيحٌ(٤).

ورُوِيَ مِنْ وجهٍ آخرَ عنِ النَّبيِّ ﷺ مِنْ حديثِ ابنِ عمرَ(٥)..................

---

(١) هذا من (ض) وحدها.

(٢) سقطت هذه المقدمة من (ف)، وجاء بدلها: «فصل».

(٣) من (ف) و(ض)، وفي سائر النسخ: «أخرج».

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١٥٧٨٤) (١٥٧٩٤)، والنسائي (١١٧٩٦)، والترمذي (٢٣٧٦)، وابن حبان (٣٢٢٨)، وغيرهم.

(٥) أخرجه البزار في «المسند» (٦١٢٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٧٨٤). قلت: ولعله يرجع إلى حديث أبي هريرة، والله أعلم.

وابنِ عبَّاسٍ[١]، وأبي هريرةَ[٢]، وأسامةَ بنِ زيدٍ[٣]، وجابرٍ[٤]، وأبي سعيدٍ الخُدْريِّ[٥]، وعاصمِ بنِ عديٍّ الأنصاريِّ[٦]، رضي الله عنهم[٧]، وقدْ ذكرتها[٨] كُلَّها معَ الكلامِ عليها في كتاب «شرحِ التِّرمذيِّ»[٩]، ولفظُ حديثِ جابرٍ: «ما ذئبانِ ضاريانِ[١٠] باتا في غنمٍ غابَ رعاؤها[١١] بأفسدَ مِنِ التماسِ الشَّرَفِ والمالِ لدينِ المؤمنِ»[١٢].

وفي حديثِ ابنِ عبَّاسٍ: «حُبُّ المالِ والشَّرفِ»[١٣] بدلَ «الحرصِ»[١٤].

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠٧٧٨)، وفي «الأوسط» (٨٥١).

(٢) أخرجه أبو يعلى (٦٤٤٩)، والطبراني في «الأوسط» (٧٧٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٧٨٥، ٩٧٨٦، ٩٧٨٩، ٩٧٩٠).

(٣) أخرجه الطبراني في «الصغير» (٩٤٣)، ومن طريقه المقدسي في «المختارة» (١٣٢٣).

(٤) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٧٨٧، ٩٧٨٨).

(٥) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦٢٧٩).

(٦) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٣١٧)، (٨١٦٦)، وفي «الكبير» ١٧ (٤٥٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٤٢٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٧٩١).

(٧) زاد هنا في (ف): «قال الشيخ زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب».

(٨) في (ك): «ذكرناها».

(٩) سقطت هذه الجملة من (ز). وشرح ابن رجب على «سنن الترمذي» فقد قديماً، ولم يصل منه إلا قطعة من كتاب اللباس، وشرح كتاب العلل.

(١٠) في حاشية (ع): «من ضَرِي بالصيد ـ بالكسر ـ: إذا لهج به، وتعوده. كذا في «النهاية».». «النهاية» لابن الأثير (ضرا).

(١١) في (ع) و(ز): «راعوها».

(١٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٧٨٧)، ولفظه: «ما ذئبان جائعان ضاريان في غنم قد غاب عنها رعاؤها بأفسد فيها من التماس الشرف والمال لدين المؤمن».

(١٣) لفظ حديث ابن عباس عند الطبراني: «حب ابن آدم الشرف والمال».

(١٤) في (ز) زيادة في هذا الموضع، وهو قوله: «في الدنيا، وإن فساد الدين بذلك»، وهي زيادة تنافي السياق، =

فهـذا مَثَـلٌ عظيمٌ جـدًّا ضربَه النَّبيُّ ﷺ لفسـادِ دِيـنِ المسـلمِ[1] بالحرصِ على المـالِ والشَّـرَفِ في الدُّنيا، وإنَّ فسـادَ الدِّيـنِ بذلكَ ليسَ بدونِ فسـادِ الغنـمِ بذئبَينِ جائعَيـنِ ضارِيَيـنِ باتـا فـي الغَنَـمِ وقـدْ غـابَ عنهـا رُعاتُهـا ليـلاً، فهُما يـأكلانِ في الغنـمِ ويفترسـانِ[2] فيها.

ومعلومٌ أنَّه لا ينجو مِنَ الغَنَمِ مِنْ إفسادِ الذِّئبَينِ المذكورَينِ والحالةُ هذهِ إلَّا القليل، فأخبرَ النَّبيُّ ﷺ أنَّ حِرْصَ المرءِ على المالِ والشَّرَفِ ليسَ إفسادُه لدينه بأقلَّ مِنْ إفسادِ هذينِ الذِّئبَينِ لهذه الغَنَمِ، بلْ إمَّا أنْ يكونَ مُساوياً، وإمَّا أنْ يكونَ أَزْيدَ[3]، يُشيرُ إلى أنَّه لا يَسْلَمُ مِنْ دينِ المرءِ المسلم معَ حرصِه على المالِ والشَّرَفِ في الدُّنيا إلَّا القليلُ؛ كما أنَّه لا يَسْلَمُ مِنَ الغَنَمِ معَ إفسادِ الذِّئبَينِ المذكورَينِ فيها إلَّا القليلُ، فهذا المثَلُ العظيمُ يتضمَّنُ غايةَ التَّحذيرِ مِنْ شرِّ الحرصِ على المالِ والشَّرَفِ في الدُّنيا.

## [الحرص على المال نوعان]

فأما الحرصُ على المالِ فهو نوعانِ:

أحدُهما: شدَّةُ محبَّةِ المالِ معَ شدَّةِ طلَبِه مِنْ وجوهِه المباحةِ، والمبالغةُ في طلَبِه، والجِدُّ في تحصيلِه واكتسابِه مِنْ وجوهِه معَ الجُهدِ والمشقَّةِ.

وقـدْ وردَ أنَّ سـبَبَ الحديثِ كانَ وقوعَ بعضِ أفـرادِ هذا النَّوعِ؛ كما خرَّجَه الطَّبرانيُّ مِنْ حديثِ عاصمِ بنِ عديٍّ قالَ: اشتريتُ مائةَ سَهْمٍ مِنْ سهامِ خيبرَ، فبلغَ

---

= ولعل الناسخ سبق نظره إلى ما سيأتي بعده من كلام. وكذلك في (ع) لكن ضرب عليها.

(١) في (ف): «المؤمن»، وأشير إليها في حاشية (ع).

(٢) في (ف): «يفرسان».

(٣) في (ف) و(ض): «وإما أكثر»، وأشير إليها في حاشية (ع).

ذلكَ النَّبيَّ ﷺ، فقالَ: «ما ذئبانِ ضاريانِ[١] ظلَّا في غنمٍ أضاعَها ربُّها بأفسدَ مِنْ طلبِ المسلمِ المالَ والشَّرَفَ لدينِه»[٢].

قلتُ[٣]: ولوْ لمْ يكنْ في الحرصِ على المالِ إلَّا تضييعُ العُمُرِ الشَّريفِ الَّذي لا قيمةَ لهُ[٤]، وقدْ كانَ يمكنُ صاحبَه[٥] فيه اكتسابُ درجاتِ الخيرِ، ولو فعلَ فازَ[٦] بالعُلى والنَّعيمِ المقيمِ، فضيَّعَه بالحرصِ[٧] في طلبِ رزقٍ مضمونٍ مقسومٍ لا يأتي منه إلَّا ما قُدِّرَ وقُسِمَ، ثمَّ لا ينتفِعُ بهِ، بل يترُكُه لغيرِه ويرتحِلُ عنه، فيبقى حسابُه عليه ونفعُه لغيرِه، فيجمَعُ لِمَنْ لا يحمَدُه، ويقدَّمُ على مَنْ لا يعذُرُه.. لكفى[٨] بذلكَ ذمّاً للحرصِ، فالحريصُ يضيِّعُ زمانَه الشَّريفَ، ويخاطِرُ بنفسِه الَّتي لا قيمةَ لها في الأسفارِ وركوبِ الأخطارِ، لجمعِ مالٍ ينتفِعُ به غيرُه[٩]؛ كما قيلَ:

ومَنْ يُنفقِ الأيَّامَ[١٠] في جمعِ مالِه مخافةَ فقرٍ فالَّذي فعلَ الفَقْرُ[١١]

---

(١) في مصادر التخريج: «عاديان» لا «ضاريان».

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) سقطت من (ز)، واستدركت في (ع).

(٤) في حاشية (ع): «بمعنى لا توجد له قيمة لنفاسته، لا بمعنى لا يسوى شيئاً».

(٥) في حاشية (ع): «لعله: لصاحبه».

(٦) في (ز): «اكتساب الفوز بالعلى» وكان كذلك في (ك) و(ع)، وذكر التصويب في حاشيتيهما.

(٧) في (ف) و(ض): «الحريص».

(٨) في حاشية (ع): «جواب لو» أي التي جاءت في أول كلامه رحمه الله.

(٩) في (ز): «يجمع ما لا ينتفع لغيره».

(١٠) في (ف): «الأعمار»، وأشار إليه في حاشية (ع)، والذي في «ديوان المتنبي»: «الساعات».

(١١) البيت لأبي الطيب المتنبي؛ كما في ديوانه (١/ ٤٨٤) بشرح العكبري.

ولا تحسبنَّ الفقرَ فَقْراً[1] مِنَ الغِنى ... ولكنَّ فقرَ الدِّينِ حقّاً هوَ الفقرُ[2]

قيلَ لبعضِ الحُكماءِ: إنَّ فلاناً جمَعَ مالاً، فقالَ: فهل جمَعَ أيَّاماً ينفقُه فيها؟ قيلَ: لا، قالَ: ما جمَعَ شيئاً[3].

وفي بعضِ الآثارِ الإسرائيليَّةِ: الرِّزقُ مقسومٌ، والحريصُ محرومٌ[4].

ابنَ آدمَ! إذا أفنيتَ عُمُرَكَ في طلَبِ الدُّنيا فمتى تطلُبُ الآخرةَ؟!

يا جامعاً مانعاً والدَّهرُ يرمُقُه ... مفكِّراً أيَّ بابٍ منه يُغلِقُهُ

جمعتَ مالاً ففكِّرْ هلْ جمَعْتَ له ... يا جامِعَ المالِ أيَّاماً تفرِّقُهُ

المالُ عندكَ مخزونٌ لوارثِه ... ما المالُ مالَكَ إلَّا يومَ تنفِقُهُ

إنَّ القناعةَ مَنْ يحلُلْ بساحَتِها ... لَمْ يلْقَ في ظِلِّها همّاً يؤرِّقُهُ[5]

---

(١) في (ف) و(ع) و(ك): «فقرٌ» وعلى ذلك يكون خبراً لمبتدأ محذوف، والجملة في محل نصب مفعول ثان لتحسبن.

(٢) هذا البيت سقط من (ز) وهو لحق في (ع).
وجاء في (ف) و(ض): «ولكن فقر الدين من أعظم الفقر». وفي (ر): «ولا تحسبن الفقر من فقد الغنى ولكن فقر الدين من أعظم الفقر» ولم أصل لمعرفة قائل البيت.

(٣) أخرج نحوه الختلي في «الديباج» (٧) مما حكاه أبو محمد النميري، وفي «القناعة والتعفف»، لابن أبي الدنيا (١٣٦) نحوه، والنسخة منه محذوفة الأسانيد.

(٤) نسبه البلاذري في «أنساب الأشراف» (١٣/ ٨٤) إلى أكثم بن صيفي المخضرم، ونسب إلى كتاب جعفر بن يحيى في «البصائر والذخائر» (٤/ ١٧١)، و«التمثيل والمحاضرة» للثعالبي (١/ ١٤٦)، وغيرهما. ولعل الأثر الإسرائيلي هو ما يليه.

(٥) سقطت الأبيات من (ز). والأبيات أنشدها أبو بكر بن خراش كما في «الديباج» للختلي (٨)، وأوردها ابن أبي الدنيا في «القناعة والتعفف» (١٣٧) من غير نسبة. ونسبت في كتب الأدب إلى عِدَّة. وفي حاشية (ك) و(ع): «يؤرقه: أي يمنع من النوم».

قالَ ابنُ مسعودٍ: اليقينُ[١] أنْ لا تُرضِيَ النَّاسَ بسَخَطِ اللهِ، ولا تحسُدَ[٢] أحداً على رزقِ الله، ولا تلُمْ أحداً على ما لمْ يؤتك اللهُ، فإنَّ رزقَ اللهِ لا يسوقُه[٣] حِرْصُ حريصٍ، ولا يردُّه كراهةُ كارهٍ، فإنَّ اللهَ بقِسْطِه وعَدْلِه[٤] جعلَ الرَّوح والفرَحَ في اليقينِ والرِّضا، وجعَلَ الهمَّ والحَزَنَ في الشَّكِّ والسُّخْطِ[٥].

ومِنْ كلامِ بعضِ السَّلفِ: إذا كانَ القدَرُ حقًّا فالحِرْصُ باطلٌ، وإذا كانَ الغَدْرُ في الناس طِباعاً[٦]، فالثِّقَةُ بكلِّ أحدٍ عَجْزٌ، وإذا كانَ الموتُ لكلِّ أحدٍ راصِداً، فالطُّمَأْنينةُ إلى الدُّنيا حُمْقٌ[٧].

---

(١) سقطت الكلمة من (ف)، وفي بعض المصادر: «الرضا».

(٢) «تحسد»: هكذا في النسخ جميعاً، وفي المصادر: «تحمد».

(٣) في (ف) ونسخة في حاشية (ك) و(ع): «فإن الرزق لا يجره».

(٤) في (ف) و(ض): «وعلمه».

(٥) أخرجه هناد بن السري في «الزهد» (٥٣٥) وابن أبي الدنيا في «اليقين» (٣١)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٠٥) موقوفاً على ابن مسعود رضي الله عنه وروي عنه مرفوعاً أيضاً.

(٦) في (ك) و(ز) و(ع): «طباعاً في الناس». والمثبت من (ف) موافقاً للمصدر.

(٧) هذا مما وُجد مكتوباً في كيس رجل من أهل الإيمان أمر بصَلْبه ملك كافر....

أخرجه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (٣٥٧)، وفي «ذم الدنيا» (٢٢٨)، والدينوري في «المجالسة» (١١٢١) مما قصَّه هشام بن إسماعيل.

وأخرج الخطابي في «العزلة» (ص: ٦٠) أن عبد الملك بن مروان وجد حجراً مكتوباً فيه بالعبرانية، فبعث به إلى وهب بن منبه، فإذا فيه: «إذا كان الغدر في الناس طباعاً، فالثقة بكل إنسان عجز».

ونسبه ابن قتيبة في عيون الأخبار» (٣/ ٢١٣)، وابن العربي في «المسالك» (٧/ ٢١٦) إلى كسرى بزرجمهر.

وجاء ذكر الثقة ضمن كلام طويل للأحنف بن قيس في «تاريخ دمشق»، لابن عساكر (٢٤/ ٣٣٣).

وهذا الشرط ليس بشك، لكنه إلزام للمخاطب بصحة القول.

كانَ عبدُ الواحِدِ[1] بنُ زيدٍ يحلِفُ باللهِ: لَحِرْصُ المرءِ على الدُّنيا أخوفُ عليه عندي مِنْ أعدى أعدائِه.

وكانَ يقولُ: يا إِخْوتاهُ! لا تغبِطوا حريصاً على ثروةٍ ولا سَعةٍ في مكسب[2] ولا مالٍ، وانظروا إليه بعينِ المـَقْتِ له[3]، وبعينِ الرَّحمةِ له[4] في اشتغالِه اليومَ بما يُرْدِيه[5] غداً في المعادِ. ثمَّ يبكي ويقولُ: الحِرْصُ حِرْصانِ: فَحِرْصٌ فاجعٌ، وحِرْصٌ نافعٌ، فأمَّا النَّافعُ؛ فحِرْصُ المرءِ على طاعةِ اللهِ، وأمَّا الفاجعُ؛ فحِرْصُ المرءِ على الدُّنيا، فالحريصُ على الدُّنيا مُعَذَّبٌ، صاحبُه مَشْغولٌ، لا يُسَرُّ ولا يَلَذُّ بجمعِه لشُغْلِه، ولا يَفْرُغُ مِنْ محبته[6] الدُّنيا لآخرتِه؛ كدًّا كدًّا لما يفنى[7]، وغَفْلَتِه عمَّا يدومُ ويبقى[8].

وأنشدَ بعضُهمْ في هذا المعنى:

لا تغبِطَـنَّ أخـا حِـرْصٍ علـى سَعةٍ ... وانـظرْ إليـه بعَيـنِ الماقـتِ القالـي

إنَّ الحريصَ لَـمَـشْـغـولٌ بـشِـقْـوتِـه ... عنِ السُّرورِ بما يحوي مِنَ المالِ[9]

---

(١) في (ز): «عبد الله»، وهو سبق قلم. وعبد الواحد بن زيد: هو أبو عبيدة البصري الزاهد العابد، يروي عن التابعين، وكان قاصاً لكنه متروك الحديث.

(٢) في (ك) و(ز): «تكسب».

(٣) في المصادر: «بعين المقت له في فعله».

(٤) «وبعين الرحمة له»: سقطت من (ف) و(ك) و(ض).

(٥) بين سطري (ع): «يهلكه» تفسير.

(٦) في (ك) و(ز) و(ع): «محبة».

(٧) في (ك) و(ز) و(ع): «لالتفاته لما يفنى» بدلًا مما جاء في (ف): «كداً كداً» وفي (ض) و(ر): «لأخرته كذلك وغفلته» والمثبت موافق للمصادر.

(٨) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (٢١٢)، وفي «ذم الدنيا» (١٤٩).

(٩) البيتان أنشدهما ابن أبي مريم الجمحي، عند ابن أبي الدنيا في «الزهد» (٢١٢)، وفي «ذم الدنيا» =

وكتبَ بعضُ الحكماءِ إلى أخٍ له كانَ حريصاً على الدُّنيا:

أمَّا بعدُ، فإنَّكَ أصبحتَ تخدُمُ الدُّنيا[١] وهي تَزْجُرُكَ عنْ نفسِها بالإعراضِ والأمراضِ والآفاتِ والعِللِ، كأنَّكَ لمْ ترَ حريصاً مَحْروماً، وزاهداً مَرْزوقاً، ولا ميِّتاً عنْ كثيرٍ، ولا متبلِّغاً مِنَ الدُّنيا باليسيرِ[٢].

عاتبَ أعرابيٌّ أخاه على الحِرْصِ فقالَ له: يا أخي! أنتَ طالبٌ ومَطْلوبٌ، يطلُبُكَ مَنْ لا تفوتُه، وتطلُبُ أنتَ ما قدْ كُفِيتَه، كأنَّكَ يا أخي لمْ ترَ[٣] حريصاً مَحْروماً، وزاهداً مَرْزوقاً[٤].

وقالَ بعضُ الحكماءِ: أطولُ النَّاسِ غَمَّا الحسودُ، وأهْنَؤُهم[٥] عَيْشاً القَنوعُ، وأصْبَرُهمْ على الأذى الحَرِيصُ، وأخفضُهمْ عَيْشاً أرْفَضُهمْ للدُّنيا، وأعظَمُهمْ ندامةً العالِمُ المفرِّطُ[٦].

---

= (١٥٠)، ونسبه ابن عبد البر في «بهجة المجالس» (١/ ٢٩) إلى محمود بن الحسن الوراق.

(١) في (ف) و(ض): «حريصاً على الدنيا تخدمها».

(٢) كُتب في حاشية (ع): «موعظة بليغة».

والأثر في «القناعة والتعفف» لابن أبي الدنيا (١٣٤).

(٣) في (ف) و(ض): «يا أخي ألم تر»، وهو موافق لما في «شعب الإيمان»، والمثبت موافق لما عند ابن أبي الدنيا.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (٣٣٠)، و«الزهد» (٣١٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٢٧٠) من كلام رجل من العرب، وجاء من كلام إبراهيم بن أدهم ينصح به إبراهيم بن بشار عند أبي نعيم في «الحلية» (٨/ ١٣)، والخطيب البغدادي في «الزهد والرقائق» (١٣).

(٥) في النسخ، والمصادر: «أهناهم» لأن في أصل الخبر: «وجدتُ...».

(٦) مما وجده أبو بكر محمد بن جعفر السامري، أخرجه ابن بشران في «أماليه» (١٢٩٩).

ولبعضِهِمْ[١] في هذا المعنى:

الحِـرْصُ داءٌ قَــدْ أضـرَّ ... بِــمَــنْ تـرى إلَّا قليـلاً

كَـمْ مِـنْ عزيـزٍ قَـدْ رَأَيْـ ... ـتَ الحِرْصَ صيَّره ذَليلاً[٢]

غيره[٣]:

كـم إلى كـم أنـتَ للحر ... صِ والأمـانـــي عبـدُ

ليس يُجدي الحِرصُ والسَّعـ ... ـي إذا لــم يــكُ جِــدُّ

مــا لِمــا قــدَّره الـــ ... ـلَّهُ مِـنَ الأمـرِ بـدٌّ[٤]

ولأبي العتاهيةِ يُخاطِبُ سَلْماً[٥] الخاسرَ:

تعالى اللهُ يا سَلْمَ بنَ عـمـرٍو ... أذلَّ الحرصُ أعناقَ الرِّجالِ[٦]

ومِنْ كلامِ المأمونِ: الحرصُ مفسدةٌ[٧] للدِّينِ والمروءةِ[٨].

---

(١) في (ك) و(ع): «قال بعضهم».

(٢) البيتان لأبي العتاهية كما في «ديوانه» (٣٥٢) وفي (ف): «رأيتَ صيَّرَ الحرصُ ذليلًا».

(٣) هذا الشعر من (ف) و(ض) ولا يوجد في النسخ الأخرى.
وتحرفت «غيره» في (ف) إلى: «عزيز»! وسقطت من (ض).

(٤) أنشده أبو العباس المبرد، كما في «أمالي ابن بشران» (٣٩١). وفيه: «للحرص وللآمال عبد». وهو الصواب. ونسبه ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٣/ ١٥٩) إلى ابن أبي حازم. وذكره ابن عبد البر في «بهجة المجالس» (١/ ١٥٦).

(٥) في (ك) و(ز) و(ع): «سلم».

(٦) «ديوان أبي العتاهية» (٣٣٧) وسَلْم هو شاعر معاصر له.

(٧) في (ك) و(ز) و(ع): «مفسد».

(٨) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٣/ ٣١٦)، قاله المأمون تعقيباً على بيت أبي العتاهية.

وأنشدَ بعضُهم[١]:

حِرْصُ الحريصِ جنونٌ ... والصَّبْرُ حصنٌ حصينُ
إنْ[٢] قدَّرَ اللهُ شيئاً ... فإنَّه[٣] سيكونُ[٤]

وأنشدَ بعضُهم[٥]:

حتَّى متى أنا في حلٍّ وترْحالِ ... وطولِ سَعْيٍ وإدبارٍ وإقبالِ
ونازحَ[٦] الدَّارِ لا أنفكُّ مغترباً ... عنِ الأحبَّةِ لا يدرونَ ما حالِي
بمشرقِ الأرضِ طَوْراً ثمَّ مغربِها ... لا يخطُرُ الموتُ مِنْ حِرْصي[٧] على بالي
ولوْ قنعتُ أتاني الرِّزقُ في دَعَةٍ ... إنَّ القُنُوعَ الغِنى لا كثرةُ المالِ[٨]

---

(١) سقطت هذه الكلمة من (ف) و(ز) و(ض).

(٢) في (ف): «إذ»، وفي (ع) و(ك): «إذا».

(٣) في (ز): «لابد أن».

(٤) لم يوجد عند غير المصنف رحمه الله.

(٥) سقطت الجملة من (ف).

(٦) في حاشية (ع): «أي بعيد عن أهلي ووطني بسبب الاغتراب».

(٧) في (ك) و(ع): «حرص».

(٨) الأبيات في «المجالسة» للدينوري (٥/ ٣١١) من قول الخليفة المأمون، ونسبها ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٣/ ١٦٠) إلى كلثوم بن عمرو العتابي. وهي في «تاريخ دمشق»، لابن عساكر (٢٧/ ١٧٧) مما أنشده المبرد. وفي ترجمة (هارون الرشيد) منه أنها له. ونسبها ابن العديم في «بغية الطلب» (٤/ ١٧٩٩) إلى أبي العتاهية، وأوردها من غير نسبة ابن عبد البر في «بهجة المجالس» (١/ ٢٣١).

ولمحمودٍ الورَّاقِ[١]:

أَيُّهـا المتعِـبُ جُهْـداً نـفـسَـه ... يطلُبُ الدُّنيـا حريصـاً جاهِـدَا

لا لـكَ الدُّنيـا ولا أنـتَ لهـا ... فاجعـلِ الهمَّينِ همّـاً واحدَا[٢]

[النوع الثاني من الحرص على المال، وتطلبه من الوجوه المحرمة]

النَّوعُ الثَّاني مِنَ الحِرْصِ على المالِ: أنْ يزيدَ على ما سبَقَ ذِكْرُه في النَّوْعِ الأوَّلِ حتَّى يطلُبَ المالَ مِنَ الوجوهِ المحرَّمةِ، ويمنعَ حقوقَه الواجبَةَ، فهذا مِنَ الشُّحِّ المذمومِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وفي «سننِ أبي داودَ» عنْ عبدِ اللهِ بنِ عمرو، عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «اتَّقوا الشُّحَّ؛ فإنَّ الشُّحَّ[٣] أهلَكَ مَنْ كانَ قبلَكم، أمرَهمْ بالقطيعةِ فقطعوا، وأمرَهمْ بالبُخْلِ فبخِلوا، وأمرَهمْ بالفجورِ ففجَروا»[٤].

وفي «صحيحِ مسلمٍ» عنْ جابرٍ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «اتَّقوا الشُّحَّ؛ فإنَّ الشُّحَّ أهلَكَ مَنْ كانَ قبلَكمْ، حملَهمْ على أنْ سفكوا دماءَهم، واستحلُّوا محارمَهم»[٥].

[الشح]

قالَ طائفةٌ مِنَ العلماءِ: الشُّحُّ: هوَ الحِرْصُ الشَّديدُ الَّذي يحمِلُ صاحبَه على أنْ يأخُذَ الأشياءَ مِنْ غيرِ حلِّها، ويمنعَها مِنْ حقوقِها.

---

(١) سقطت الجملة من (ف) و(ض).

(٢) لم يوجد البيتان عند غير المصنف رحمه الله.

(٣) في (ك) و(ع): «فإنه».

(٤) أخرجه أبو داود (١٦٩٥) بلفظ: «إياكم والشح».

(٥) أخرجه مسلم (٢٥٧٨).

وحقيقتُه: شرَهُ النَّفْسِ إلى ما حرَّمَ اللهُ ومنَعَ منه، وأنْ لا يقنَعَ الإنسانُ بما أحلَّ اللهُ له مِنْ مالٍ أوْ فرْجٍ أو غيرِهما، فإنَّ اللهَ تعالى أحلَّ لنا الطَّيِّباتِ مِنَ المطاعمِ والمشاربِ والملابسِ والمناكحِ، وأباحَ تناولَها لنا مِنْ وجوهِ حِلِّها، وأباحَ لنا دِماءَ الكُفَّارِ المحارِبينَ وأموالَهم، وحرَّمَ علينا ما عدا ذلكَ مِنَ الخبائثِ مِنَ المطاعمِ والمشاربِ والمناكحِ، وحرَّمَ علينا تناولَ هذه الأشياءِ مِنْ غيرِ وجوهِ حِلِّها، وحرَّمَ علينا أَخْذَ الأموالِ وسَفْكَ الدِّماءِ بغيرِ حِلِّها، فمَنِ اقتصرَ على ما أُبيحَ له مِنْ ذلكَ فهو مؤمنٌ، ومَنْ تعدَّى ذلك إلى ما مَنَعَ اللهُ منه فهوَ الشُّحُّ المذمومُ[1]، وهوَ مُنافٍ للإيمانِ، ولهذا أخبرَ النَّبيُّ ﷺ أنَّ الشُّحَّ يأمُرُ بالقَطيعةِ وبالفُجورِ وبالبُخْلِ.

والبُخْلُ: هوَ إمساكُ الإنسانِ ما في يدِه.

والشُّحُّ: تناولُ ما ليسَ له ظُلْماً وعُدْواناً مِنْ مالٍ أوْ غيرِه، حتَّى قيلَ: إنَّ المعاصي كلَّها مِنَ الشُّحِّ، وبهذا فسَّرَ ابنُ مسعودٍ وغيرُه مِنَ السَّلَفِ: الشُّحَّ والبخل[2].

ومِنْ هنا يُعْلَم[3] معنى حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «لا يجتمِعُ الشُّحُّ والإيمانُ في قلبِ مؤمن»[4].

---

(١) في حاشية (ع): «أي فهو الشحيح المذموم وفيه مبالغة».

(٢) في (ف) و(ك): «بالبخل». و(ع) كانت موافقة لما أثبتناه، ثم ضرب الناسخ على الواو وأثبت الباء. ولا يستقيم إثباتها.

وقد وردت الآثار بهذا المعنى عن عبد الله بن مسعود، وعبد الرحمن بن عوف، وابن عمر، وابن عمرو، من الصحابة رضي الله عنهم، وعن الحسن، وطاوس، وسعيد بن جبير من التابعين رحمهم الله. وينظر تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] في «الدر المنثور» للسيوطي (١٤/ ٣٧١) وسائر كتب التفسير بالمأثور.

(٣) في (ف): «نعلم»، وفي (ز): «تعلم».

(٤) في (ك) و(ز) و(ع): «مسلم».

=

والحديثُ الآخَرُ عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «أفضلُ الإيمانِ: الصَّبْرُ والسَّماحةُ»[1].

وفُسِّرَ الصَّبْرُ بالصَّبْرِ عنِ المحارمِ، والسَّماحةُ بأداءِ الواجباتِ.

وقدْ يُستعمَلُ الشُّحُّ بمعنى البُخْلِ وبالعكسِ، لكنَّ الأصلَ هوَ التَّفريقُ بينهما على ما ذكَرْنا[2].

ومتى وصَلَ الحِرْصُ على المالِ إلى هذه الدَّرَجةِ نقَصَ بذلك الدِّينُ والإيمانُ نَقْصاً بَيِّناً، فإنَّ مَنْعَ الواجباتِ وتناولَ المحرَّماتِ ينقُصُ بهما الدِّينُ والإيمانُ بلا ريبٍ، حتَّى لا يبقى منه إلَّا القليلُ جدًّا.

[الحرص على الشرف والجاه]

## فصلٌ

وأمَّا حِرْصُ المرءِ على الشَّرَفِ فهوَ أشدُّ إهلاكاً مِنَ الحِرْصِ على المالِ، فإنَّ طلَبَ شرَفِ الدُّنيا والرِّفعةِ فيها والرِّياسةِ على النَّاسِ والعُلُوِّ في الأرضِ أَضَرُّ على العبدِ مِنْ طلَبِ المالِ، وضررُه أعظمُ، والزُّهدُ فيه أصعبُ، فإنَّ المالَ يُبْذَلُ في طلَبِ الرِّياسةِ والشَّرَفِ.

---

= والحديث باللفظ المثبت هو من رواية أبي سلمة عن أبي هريرة عند الطبراني في «الأوسط» (٥٨٧٨).

ورواه غير أبي سلمة عن أبي هريرة بلفظ: «عبد» عند النسائي (٣١١٠)، وبلفظ «في جوف رجل مسلم» عند أحمد (٩٦٩٣).

والإيمان في هذا الحديث يراد به الإيمان الكامل.

(١) هذا اللفظ أخرجه البيهقي في «الشعب» (١٠٣٤٤) من حديث الحسن مرسلًا.

(٢) في (ك): «الأصل التفريق بينهما على ما ذكرناه».

[طلب الشرف بالدنيا]

والحِرْصُ على الشَّرَفِ قِسْمانِ:

أحدُهما: طلَبُ الشَّرَفِ بالولايةِ والسُّلطانِ والمالِ، وهذا خطِرٌ جدًّا، وهوَ في الغالبِ يمنَعُ خيرَ الآخرةِ وشرَفَها وكرامتَها وعزَّها.

قالَ اللهُ تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

[النهي عن طلب الإمارة]

وقَلَّ: مَنْ حرَصَ على رياسةِ الدُّنيا بطلَبِ الولاياتِ أن[١] يُوَفَّقَ، بلْ يُوكَلُ إلى نفْسِه؛ كما قالَ النَّبيُّ ﷺ لعبدِ الرَّحمنِ بنِ سمُرةَ: «يا عبدَ الرَّحمنِ! لا تَسْأَلِ الإمارةَ، فإنَّكَ إنْ أُعْطيتَها عنْ مسألةٍ وُكِلْتَ إليها، وإنْ أُعطيتَها عنْ[٢] غيرِ مسألةٍ أُعِنْتَ عليها»[٣].

قالَ بعضُ السَّلَفِ: ما حرَصَ أحدٌ على ولايةٍ فعدَلَ فيها[٤].

وكانَ يزيدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ مَوْهبٍ مِنْ قُضاةِ العَدْلِ والصَّالحينَ، وكانَ يقولُ: مَنْ أحبَّ المالَ والشَّرَفَ وخافَ الدَّوائرَ[٥] لمْ يَعْدِلْ[٦].

---

(١) في (ك) و(ز) و(ع): «وقيل من حرص على رياسة الدنيا بطلب الولايات لم يوفق». وأشير إلى ما أثبتناه في حواشي (ك) و(ع).

(٢) في سائر النسخ «من»، والمثبت من (ز)، وهو الأوفق الموافق لمصادر التخريج.

(٣) أخرجه البخاري في عدة مواضع، وهذا اللفظ في (٧١٤٦)، ومسلم (١٦٥٢).

(٤) أخرج نحوه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٢١٥)، والخلال في «السنة» (٧٤) من كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٥) الدوائر: نوائب الدهر وتقلباته.

(٦) أخرجه أبو زرعة في «تاريخه» (١/ ٢٠٦)، ووكيع في «أخبار القضاة» (ص: ٥٩)، ومن طريق =

وفي «صحيحِ البخاريِّ» عنْ أبي هريرةَ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «إنَّكمْ ستحرِصون على الإمارةِ، وستكونُ ندامةً يومَ القيامةِ، فنِعْمَ المرْضِعةُ، وبئسَتِ الفاطِمةُ»[1].

وفيه أيضاً عنْ أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه أنَّ رجلينِ قالا للنَّبيِّ ﷺ: يا رسولَ اللهِ! أَمِّرْنا، فقالَ: «إنَّا لا نولِّي أمْرَنا هذا مَنْ سألَه، ولا مَنْ حرَصَ عليه»[2].

واعلمْ أنَّ الحِرْصَ على الشَّرَفِ بطَلَبِ الولاياتِ يستلزمُ شرًّا[3] عظيماً قبلَ وقوعِه بالسَّعْيِ في أسبابِه، وبعدَ وقوعِه بالخَطَرِ العظيمِ الَّذي يقعُ فيه صاحبُ الولايةِ مِنَ الظُّلْمِ والتَّكبُّرِ وغيرِ ذلكَ مِنَ المفاسدِ.

## [من أوصاف عالم السوء]

وقدْ صنَّفَ أبو بكرٍ الآجُرِّيُّ ـ وكانَ مِنَ العلماءِ الرَّبَّانيِّينَ في أوائلِ المائةِ الرَّابعةِ ـ مُصنَّفاً في أخلاقِ العُلماءِ وآدابِهم[4]، وهوَ مِنْ أجلِّ ما صُنِّفَ في ذلكَ، ومَنْ تأمَّلَه عَلِمَ[5] منه طريقةَ السَّلَفِ مِنَ العُلماءِ، والطَّرائقَ الَّتي حدَثَتْ[6] بعدَهم المخالفةَ لطرائقِهم، فوصَفَ فيه عالِمَ السُّوءِ بأوصافٍ طويلةٍ:

---

= الأول ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٥/ ٢٧٢). وكان يزيد قاضياً بفلسطين في زمان بني أمية.

(١) أخرجه البخاري في «الأحكام» (٧١٤٨). وفي حاشية (ع): «ضرب المرضعة مثلًا للإمامة، وما توصله إلى صاحبها من المنافع، وضرب الفاطمة مثلاً للموت الذي يهدم عليه لذاته، ويقطع منافعها دونه. نهاية».

(٢) أخرجه البخاري (٧١٤٩)، ومسلم (١٧٣٣).

(٣) في (ف): «ضرراً». وأشير إليه في حاشية (ك) و(ع).

(٤) وهو كتاب «أخلاق العلماء»، مطبوع متداول.

(٥) في (ك) و(ع): «تعلّم»، وفي (ز): «يعلم».

(٦) في (ف): «أحدثت».

منها: أنَّه قالَ: «قدْ فتنَه حبُّ المالِ[١] والشَّرَفِ والمنزلةِ عندَ أهلِ الدُّنيا، يتجمَّلُ بالعلمِ كما يتجمل بالحُلَّةِ الحسناءِ للدُّنيا، ولا يُجَمِّلُ عِلْمَه بالعملِ به»[٢].

وذكرَ كلاماً طويلاً إلى أنْ قالَ: فهذه الأخلاقُ وما يُشْبِهُها تغلِبُ على قلبِ مَنْ لمْ ينتفِعْ بالعلمِ، فبينا هوَ مقارنٌ[٣] لهذه الأخلاقِ إذْ رغَّبَتْه نفسُه في حُبِّ الشَّرَفِ والمنزلةِ، فأحبَّ مجالسةَ الملوكِ وأبناءِ الدُّنيا، فأحبَّ أنْ يُشارِكَهمْ فيما همْ فيه مِنْ رَخِيِّ عَيْشِهمْ؛ مِنْ منزلٍ بَهِيٍّ، ومَرْكَبٍ هَنِيٍّ، وخادمٍ سَرِيٍّ[٤]، [٥]ولباسٍ لَيِّنٍ، وفِراشٍ ناعمٍ، وطَعامٍ شَهِيٍّ، وأحبَّ أنْ يُغْشى[٦] بابُه، وأنْ يُسْمَعَ[٧] قولُه، ويُطاعَ أمرُه، فلمْ يَقْدِرْ عليه إلَّا مِنْ جِهَةِ القضاءِ فطلَبَه، فلمْ يُمَكِّنْهُ إلَّا ببَذْلِ دينِه، فتذلَّلَ للملوكِ وأتباعِهم، فخَدَمَهُمْ[٨] بنفسِه، وأكرمَهُمْ بمالِه، وسَكَتَ عنْ قبيحِ ما ظهَرَ مِنْ مناكِرِهمْ على أبوابِهم وفي منازِلِهم ومِنْ[٩] قولِهِمْ وفِعْلِهِمْ.

---

(١) في (ف)، وأشير إليه في حاشية (ك) و(ع): «حب الثناء».
وفي «أخلاق العلماء»: «حب الدنيا والثناء والشرف».

(٢) «أخلاق العلماء» للآجري (ص: ١٠٠) من طبعة الشيخ إسماعيل الأنصاري. اللوحة ٢٨ من نسخة عاشر أفندي].

(٣) من (ك) موافقاً لما في «أخلاق العلماء».
وفي (ف) و(ع) و(ض): «مقارب»، وفي (ز): «مقارف».

(٤) في حواشي (ع): «مركب هني: أي لا يتعب راكبه، قال في النهاية: كل أمر يأتيك من غير تعب فهو هنيء. هذا هو الأقرب، ونقل فيه وجهاً». «سري: نفيس».

(٥) هنا يبتدئ الموجود من النسخة (ت).

(٦) في حاشية (ع): يغشى «أي يؤتى».

(٧) في (ك) و(ز): «يُستمع».

(٨) في (ز): «وخدامهم».

(٩) «من» لا توجد في (ف)، وكذلك ليست في «أخلاق العلماء».

ثـمَّ زيَّـنَ لهـم كثيـراً مِـنْ قبيـحِ أفعالِهـمْ بتأويلِـه[١] الخَطَـأ؛ ليحَسِّـنَ موقِعَـه عندهُـمْ، فلمَّا فعـلَ هذا مُدَّةً طويلةً، واسـتحكمَ فيه الفَسـادُ ولَّوْهُ القضـاءَ، فذُبِحَ بغيرِ سِـكِّينٍ، فصـارَتْ لهـم عليه مِنَّـةٌ عظيمةٌ، ووجَـبَ عليه شُـكْرُهُمْ، فألْزَمَ نفسَـه ذلكَ؛ لئـلَّا يغضبهم[٢] عليـه، فيَعْزِلوه عـنِ القضاءِ، ولمْ يلتفِـتْ إلى غضَـبِ مـولاهُ، فاقتطَعَ أمـوالَ اليتامـى والأراملِ والفُقراءِ والمسـاكينِ، وأمـوالَ الوَقْفِ[٣] علـى المجاهدينَ وأهـلِ الشَّـرَفِ وبالحرمينِ[٤]، وأمـوالاً يَعُـودُ نَفْعُها على جميعِ المسـلمينَ، فأرضى بهـا الكاتـبَ والحاجـبَ والخـادمَ، فـأكلَ الحـرامَ، وأطعـمَ الحـرامَ، وكثُـرَ الدَّاعـي عليـه، فالويلُ لِمَـنْ أورَثَـه عِلْمُه هـذه الأخلاقَ.

هـذا العِلْـمُ[٥] الَّذي استعاذَ منه النَّبـيُّ ﷺ، وأمَرَ أنْ يُسـتعاذَ منه، وهـذا العالمُ[٦] الَّـذي قـالَ فيـه عليه الصَّـلاةُ والسَّـلامُ: «إنَّ أشـدَّ النَّـاسِ عذاباً يـومَ القيامـةِ عالمٌ لـمْ ينفَعْـهُ اللهُ بعلمِه»[٧].

---

(١) من (ك)، وهو الموافق لما في «أخلاق العلماء»، وفي سائر النسخ: «بتأوّله».

(٢) في (ك) و(ز) و(ع): «يغيظهم».

(٣) في حاشية (ك) موافقاً لما في «أخلاق العلماء»: «الوقوف».

(٤) سقطت الواو من النسخ إلا (ك)، والمعنى: وأموال الوقوف بالحرمين.

(٥) في (ك): «العالم» موافقاً لما في «أخلاق العلماء»، وما أثبتناه من سائر النسخ هو الأوفق للسياق.

(٦) تصحفت في النسخ إلى «العلم» إلا في (ك).

(٧) أخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» (٥٠٧)، والآجري في «أخلاق العلماء» (ص: ٨٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٦٤٢) باللفظ الذي أورده ابن رجب، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (ص: ٢١٤) وقال: «وهو حديث انفرد به عثمان البري لم يرفعه غيره، وهو ضعيف الحديث معتزلي المذهب فيما ذكره، ليس حديثه بشيء».

وكانَ ﷺ يقولُ: «اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بكَ مِنْ علمٍ لا ينفَعُ، ومِنْ قلبٍ لا يخشَعُ، ومِنْ نفْسٍ لا تشبَعُ، ومِنْ دعاءٍ لا يُسْمَعُ»[1].

وكانَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ يقولُ: «اللَّهُمَّ إنِّي أسألكَ عِلْماً نافعاً، وأعوذُ بكَ مِنْ علمٍ لا ينفَعُ»[2].

هذا كلُّه كلامُ الإمامِ أبي بكرٍ الآجُرِّيِّ رحِمَهُ اللهُ تعالى، وكانَ في أوائل[3] الثَّلاثمائةِ[4]، ولَمْ يزَلِ الفسادُ بعده يتزايدُ على ما ذكرَه أضعافاً مُضاعفةً، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ.

ومِنْ دقيقِ آفاتِ حُبِّ الشَّرَفِ: [حبُّ الشَّرفِ] بطلبِ[5] الولاياتِ والحرصِ عليها، وهوَ بابٌ غامِضٌ لا يعرِفُه إلَّا العُلماءُ باللهِ تعالى، العارفونَ به، المحبُّون له،

---

(١) أخرجه الآجري بسنده في «أخلاق العلماء» (ص: ١٢٣). وهو عند النسائي (٥٥٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الآجري بسنده في «أخلاق العلماء» (ص: ١٢٣ ـ ١٢٤) والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٨١٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

إلى هنا ينتهي كلام الإمام الآجري في «أخلاق العلماء» (ص: ١٢٤) من مطبوعة الشيخ إسماعيل الأنصاري، وهذا خاتمة كتابه.

(٣) في (ت) و(ف) و(ك): «أواخر»، وفي (ز) و(ض): «أوائل»، وفي (ع): «أوائل» ثم ضرب عليها، وأثبت لحقاً: «أواخر». وما أثبتناه هو الواقع، فإنه عاش في النصف الأول من القرن الرابع بعد الثلاث مئة.

(٤) وهو الإمام الحافظ صاحب التصانيف: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري، البغدادي، نزيل مكة المشرفة، المتوفى بها سنة ٣٦٠ رحمه الله تعالى.

(٥) «بطلب»: هكذا في جميع النسخ، وهو مشكل، لذلك كتب في حاشية (ع): «هذا خبر مقدّم يُنظر مبتدؤه». لذلك أضفت قبله ما بين معقوفين ليستقيم الكلام.

الَّذينَ يَغارونَ له مِنْ جهالة[١] خَلْقِه المزاحمينَ لربوبيَّتِه وإلهيَّتِه معَ حقارتِهم وسَقْطِ[٢] منزلَتِهِمْ عندَ اللهِ تعالى وعندَ خواصِّ عبادِه العارفينَ به.

كما كان الحسنُ رحِمَهُ اللهُ يقول فيهمْ[٣]: إنَّهم وإنْ طَقْطَقَتْ[٤] بهمُ البِغالُ، وهَمْلَجَتْ[٥] بهمُ البَراذينُ[٦]، فإنَّ ذُلَّ المعصيةِ في رقابِهم، أبى اللهُ إلَّا أنْ يُذِلَّ مَنْ عصاهُ[٧].

واعلمْ[٨] أنَّ حُبَّ الشَّرَفِ بالحِرْصِ على نفوذِ الأمرِ والنَّهيِ وتدبيرِ أمورِ[٩] النَّاسِ

---

(١) في (ت) و(ف) و(ض) وأشير إليه في حاشية (ك) و(ع): «يعادون». وفي (ت) و(ف) وأشير إليه في حاشية (ك) و(ع): «جُهَّال».

(٢) في (ك): «سقوط».

(٣) في (ز) و(ض): «كما قال الحسن رحمه الله تعالى فيهم».

(٤) في حاشية (ع): «أي صوتت نعال البغال إذا مشت مع صاحبها».

(٥) في حاشية (ع): «أي سارت بهم السير المعبر عنه بالهملجة، وهي مشي سهل كالرهوجة»، كما في «المغرب». «المُغرِب في ترتيب المعرِب»، لناصر الدين المطرزي (٢/ ٣٨٨).

(٦) في حاشية (ع): «جمع بِرْذَون وهو معروف» وهو ما ليس بعربي من الخيل والبغال.

(٧) بهذا اللفظ ذكره المصنف أيضاً في «شرح حديث بعثت بالسيف». وذكره ابن تيمية وكذلك ابن القيم رحمهما الله تعالى في عدد من مصنفاتهما.

وقد أخرج أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٤٩) نحوه عن الحسن بلفظ: «أما والله لئن تدقدقت بهم الهمالج، ووطئت الرجال أعقابهم، إن ذل المعاصي لفي قلوبهم، ولقد أبى الله أن يعصيه عبد إلا أذله».

وذكر ابن عبد ربه نحواً منه في «العقد الفريد» (٣/ ١٥٣)، وابن عبد البر في «بهجة المجالس» (١/ ٣٩٤) بنحو آخر.

(٨) «واعلم» سقطت من (ز) و(ض) وألحقت في (ع).

(٩) في (ت) و(ف) و(ض): «أمر».

إذا كانَ القَصْدُ بذلكَ مجرَّدَ عُلُوِّ المنزلةِ على الخَلْقِ، والتَّعاظُمِ عليهم، وإظهارِ صاحبِ هذا الشَّرَفِ حاجةَ النَّاسِ إليه وافتقارِهِمْ إليه[1]، وذُلِّهِمْ له في طَلَبِ حوائِجِهِمْ منه، فهذا نَفْسُهُ مزاحِمَةٌ لربوبيَّةِ اللهِ تعالى وإلهيَّتِهِ، ورُبَّما تسبَّبَ بعضُ هؤلاءِ إلى إيقاعِ النَّاسِ في أمرٍ يحتاجون فيه إليهِ؛ لِيضطَّرَّهمْ بذلكَ إلى رَفْعِ حاجاتِهم إليه، وظهورِ فَقْرِهِمْ واحتياجِهِمْ إليهِ، ويتعاظَمُ بذلكَ ويتكبَّرُ به، وهذا لا يصلُحُ إلَّا للهِ تعالَى وحدَه لا شريكَ له.

## [التضرع خاص بالله لا ينبغي للخلق أن يُلجأ إليه]

كما قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢]، وقالَ تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤].

وفي بعضِ الآثارِ: إنَّ اللهَ تعالى لَيبتلي عبدَه بالبلاءِ لِيَسْمَعَ تضرُّعَه[2].

---

(١) «وافتقارهم إليه» سقطت من (ز) وألحقت في (ع).

(٢) رواه أبو وائل عن كردوس بن عمرو التغلبي، وكان يقرأ الكتب السابقة، ويَحكي عن التوراة والإنجيل، وهو من المخضرمين.

أخرجه البغوي في «الجعديات» (٧٩)، وأبو حاتم في «الزهد» (٣٤)، وابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٤٠)، و«الفرج بعد الشدة» (٢٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٣٣٠)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٥٩٠٧).

ومن وجه آخر عن أبي وائل: ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٩٣) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٥٥٧).

وقصَّر به بعضهم فوقفه على عمرو بن مرة ـ أحد رواته عن أبي وائل ـ عند الطبراني في «الأوسط» (١٢٤٥).

وسلك بعضهم الجادة، فرواه عن أبي وائل عن ابن مسعود، عند الطبراني في «الأوسط» (١٢٤٦)، والبيهقي (٩٣٢٩).

والأولى قال عنها البيهقي: «هذا أصح».

=

وفـي بعضِ الآثـارِ أيضاً: أنَّ العبدَ إذا دعـا اللهَ تعالى وهوَ يحبُّهُ قـالَ الله تعالى: يا جبريلُ! لا تَعْجَلْ بقضاءِ حاجَتِه، فإنِّي أحبُّ أنْ أسمَعَ تضرُّعَه(١).

فهذه الأمورُ أصعبُ وأخطرُ مِنْ مجرَّدِ الظُّلْمِ، وأدهى من(٢) الشِّرْكِ، والشِّرْكُ أعظمُ الظُّلْمِ عندَ اللهِ.

وفي «الصَّحيحِ» عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: [يقول الله تعالى](٣) «الكِبْرِياءُ رِدائي، والعظَمَةُ إزاري، فمَنْ نازَعَني فيهما(٤) عذَّبْتُه»(٥).

---

= وروي عن شقيق عن كردوس. أخرجه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٥٩٠٦)، وفي «الحلية» (٤/ ١٨٠)، ولعله راجع إلى حديث أبي وائل.

وقد روي هذا المعنى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً. أخرجه هناد بن السري في «الزهد» (٤٠٥)، والبيهقي في «الجامع لشعب الإيمان» (٩٣٣١).

تنبيه: وقع في مطبوعة «الجامع لشعب الإيمان» (مكتبة الرشد) (١٢/ ٢٣٧)، «وكان يقرأ الكتب فلا يجد فيما نقرأ من الكتب» وصوابه: «وكان يقرأ الكتب، قال: نجد فيما نقرأ من الكتب».

(١) ذكره المصنف في «جامع العلوم والحكم» (ص: ٤٠٣) دون عزو.
أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٢٧) موقوفاً على ثابت البناني.
وأخرجه الطبراني في «الدعاء» (٨٧)، وفي «الأوسط» (٨٤٤٢) من حديث جابر بن عبد الله.
وأخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٨/ ٢٤٤)، وعبد الغني المقدسي في «الترغيب في الدعاء» (٥١) من حديث جابر بن عبد الله وأنس بن مالك.
كلهم من طريق إسحاق بن أبي فروة وهو متروك، فلعله سرقه ورفعه. وفي حاشية (ع): «يفهم من الأثر أن جبريل موكل بقضاء الحاجات، وأن التأخير قد يكون لمحبة الله ذا الحاجة».

(٢) في (ز): «مواقع»، وكانت كذلك في (ع) فضرب عليها، وأثبت «من».

(٣) من (ر) وحدها، وفي (ض): قال الله.

(٤) في (ت) و(ف): «في واحد منهما».

(٥) هذا اللفظ لا يوجد في الصحيح، وإنما هو من حديث أبي سعيد وأبي هريرة في «مستخرج أبي =

كانَ بعضُ المتقدِّمينَ قاضياً، فرأى في منامِهِ كأنَّ قائلاً يقولُ: أنتَ قاضٍ، واللهُ قاضٍ! فاستيقظَ مُنْزَعِجاً، وخرجَ عن القضاءِ، وتركه[1].

## [المنع من عبارة قاضي القضاة وحاكم الحكام]

وكانَ طائفةٌ مِنَ القُضاةِ الورِعينَ يمنعونَ النَّاسَ أنْ يدعوهم بـ«قاضي القُضاةِ»، فإنَّ هذا الاسمَ يُشْبِهُ «مِلِكَ الملوكِ» الَّذي ذمَّ النَّبيُّ ﷺ التَّسميةَ بِهِ[2]

---

= عوانة» على «صحيح مسلم» (١١٤٤١) حديث قدسي، والذي في صحيح مسلم (٢٦٢٠) قال ﷺ: «العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته». ومخرج اللفظين واحد! وهو في السنن من طريق آخر.

(١) في (ك) و(ع) و(ز): «وترك القضاء».

ذكر القرشي في «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (٢/ ٣٨٨) عن القاضي أبي مسلم عبد الرحمن بن عمر التيمي السمناني أنه خرج إلى الموصل، قال: «فأقمت بها أربعين سنة، ووليت القضاء بها خمس عشرة سنة، ثم تبت عنه توبة، وذلك أني رأيت في النوم قائلاً يقول لي: «الله قاضٍ وأنت قاضٍ!! فاستعفيت». توفي سنة ٤٩٧ رحمه الله تعالى.

(٢) قال المصنف رحمه الله في ترجمة الإمام أبي محمد رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز التميمي البغدادي، المتوفى سنة ٤٨٨ رحمه الله تعالى، من كتابه «ذيل طبقات الحنابلة» (١/ ١٩١ ـ ١٩٣): «وذكر ابن الجوزي في «تاريخه» أن جلال الدولة أَمَرَهُ: أن يكتب: «شاهنشاه الأعظم»، «ملك الملوك»، وخُطِب له بذلك. فنفر العامة، ورجموا الخطباء، ووقعت فتنة، وذلك سنة تسع وعشرين وأربعمئة.

فاستفتي الفقهاء:

فكتب الصيمري: أن هذه الأسماء يعتبر فيها القصد والنية.

وكتب أبو الطيب الطبري: أن إطلاق «ملك الملوك» جائز، ويكون معناه: ملك ملوك الأرض، وإذا جاز أن يقال: «قاضي القضاة»، و«وكافي الكفاة» جاز أن يقال: «ملك الملوك».

وكتب التميمي نحو ذلك. =

= وذكر محمد بن عبد الملك الهمذاني أن القاضي الماوردي منع من جواز ذلك.

قال ابن الجوزي: والذي ذكره الأكثرون هو القياس إذا قُصد به ملوك الدنيا، إلا أني لا أرى إلا ما رآه الماوردي، لأنه قد صح في الحديث ما يدل على المنع، لكنهم عن النقل بمعزل!

ثم ساق حديث أبي هريرة الذي في الصحيحين.

وابنُ الجوزي وافق على جواز التسمية بـ«قاضي القضاة» ونحوه، وقد ذكر شيخنا أبو عبد الله ابن القيم قال: وقال بعض العلماء: وفي معنى ذلك ـ يعني ملك الملوك ـ كراهية التسمية بـ«قاضي القضاة»، و«حاكم الحكام» فإن حاكم الحكام في الحقيقة هو الله تعالى.

وقد كان جماعة من أهل الدين والفضل يتورعون عن إطلاق لفظ «قاضي القضاة» و«حاكم الحكام» قياساً على ما يبغضه الله ورسوله من التسمية بـ«ملك الأملاك» وهذا محض القياس».

قلت: وكان شيخنا أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الكناني الشافعي ـ قاضي قضاة الديار المصرية، وابن قاضيها ـ يمنع الناس أن يخاطبوه بـ«قاضي القضاة» أو يكتبوا له ذلك، وأمرهم أن يبدلوا ذلك بـ«قاضي المسلمين» وقال: إن هذا اللفظ مأثور عن علي رضي الله عنه.

يوضح ذلك: أن التلقيب بـ«ملك الملوك» إنما كان من شعائر ملوك الفرس من الأعاجم المجوس ونحوهم، وكذلك كان المجوس يسمون قاضيهم «موبَذْ مُوبَذان» يعنون بذلك: «قاضي القضاة» فالكلمتان من شعائرهم، ولا ينبغي التسمية بهما، والله أعلم». اهـ.

انظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» لابن الجوزي «حوادث سنة ٤٢٩»، وقد لخص المصنف ابن رجب ما ذكره ابن الجوزي.

وكلام ابن القيم في «تحفة المودود بأحكام المولود» (ص: ١١٥)، و«زاد المعاد في هدي خير العباد» (٢/ ٣١١).

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه «أخنع اسم عند الله ـ أو أخنع الأسماء عند الله ـ رجل تسمى بملك الأملاك». أخرجه البخاري (٦٢٠٦) ومسلم (٢١٤٣)، وقال ابن حجر في شرحه:

«ومن النوادر أن القاضي عز الدين ابن جماعة قال: إنه رأى أباه في المنام فسأله عن حاله؟ فقال: ما كان عليَّ أضر من هذا الاسم. فأمر الموقعين أن لا يكتبوا له في السجلات قاضي القضاة بل قاضي المسلمين. وفَهِمَ من قول أبيه أنه أشار إلى هذه التسمية مع احتمال أنه أشار إلى الوظيفة، بل =

وقالَ: «لا مَلِكَ إلَّا اللهُ»[1]، و«حاكمُ الحُكَّامِ» مثلُه أوْ أشدُّ منه.

[ذم طلب الحمد على الفعل الجميل]

ومِنْ هذا البابِ أيضاً: أنْ يُحِبَّ ذو الشَّرَفِ والولايةِ أنْ يُحْمَدَ على أفعالِه ويُثْنى عليه بها[2]، ويطلُبَ مِنَ النَّاسِ ذلكَ، ويتسبَّبَ في أذى[3] مَنْ لا يجيبه إليه[4]، وربَّما كانَ ذلكَ الفِعْلُ إلى الذَّمِّ أقْرَبَ منه إلى المدحِ، وربَّما أظهرَ أمراً حسَناً في الظَّاهِرِ وأحبَّ المدحَ عليه، وقصَدَ به في الباطنِ شرًّا، وفرِحَ[5] بتمويهِ ذلكَ وترويجِه على الخَلْقِ، وهذا يدخُلُ في قولِه تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٨٨]، فإنَّ هذه الآيةَ إنَّما نزَلَتْ فيمَنْ هذه صفتُه، وهذه الصفةُ[6] ـ أعني: طلَبَ المدحِ مِنَ الخَلْقِ ومحبَّتَه والعقوبةَ على تَرْكِه ـ لا تصلُحُ إلَّا للهِ وحدَه لا شريكَ له.

---

= هو الذي يترجح عندي، فإن التسمية بقاضي القضاة وجدت في العصر القديم من عهد أبي يوسف صاحب أبي حنيفة. وقد منع الماوردي من جواز تلقيب الملك الذي كان في عصره بملك الملوك مع أن الماوردي كان يقال له: أقضى القضاة! وكأن وجه التفرقة بينهما الوقوف مع الخبر، وظهور إرادة العهد الزماني في القضاة». اهـ.

ولخص ابن حجر كلام ابن أبي جمرة في «بهجة النفوس» (٤/ ١٨٥): «يلتحق بملك الأملاك: قاضي القضاة، وإن كان اشتهر في بلاد الشرق من قديم الزمان إطلاق ذلك على كبير القضاة. وقد سَلِمَ أهل المغرب من ذلك، فاسم كبير القضاة عندهم: «قاضي الجماعة»». اهـ.

(١) هذه الزيادة عند مسلم (٢١٤٣).

(٢) في (ت) و(ف): «ويُثنى عليها».

(٣) في (ز) و(ع) و(ك): «إلى أذى».

(٤) في (ز): «من لم يجبه إليه».

(٥) في (ت) و(ف) و(ض): «وقصد». سبق نظر.

(٦) في (ز): «صفة».

ومِنْ هنا كانَ أئمَّةُ الهدى ينهونَ عنْ حَمْدِهِمْ[1] على عَدْلِهم وما يصدرُ منهمْ مِنَ الإحسانِ إلى الخَلْقِ، ويأمرونَ بإضافةِ الحَمْدِ على ذلكَ إلى اللهِ تعالى وحدهُ لا شريكَ له[2]، فإنَّ النِّعَمَ كلَّها منه.

وكانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ شديدَ العنايةِ بذلكَ، وكتبَ مرَّةً إلى أهلِ الموسمِ كتاباً يُقرَأُ عليهمْ، وفيهِ الأمرُ بالإحسانِ إليهمْ، وإزالةِ مظالمَ كانتْ عليهمْ.

وفي الكتابِ: ولا تحمَدوا على ذلكَ كلِّه إلَّا اللهَ، فإنَّه لوْ وكَلَني إلى نفسي كنتُ كغيري[3].

[قصة عمر بن عبد العزيز مع المرأة]

وحِكايتُه معَ المرأةِ الَّتي طلَبَتْ منه أنْ يفرِضَ لبناتِها اليتامى مَشْهورةٌ، فإنَّها كانتْ لها أربعُ بناتٍ، ففرَضَ لابنتَينِ منهنَّ وهيَ تحمَدُ اللهَ، ثمَّ فرَضَ للثَّالثةِ فشَكَرَتْه، فقالَ: إنَّما كُنَّا نفرِضُ لهنَّ حيثُ كنتِ تولينَ الحمدَ أهلَه، فمُرِي هؤلاءِ الثَّلاثَ يُواسينَ الرَّابعةَ. أوْ كما قالَ رحمه الله[4].

وحاصِلُ الأمرِ[5]: أنْ يُعْرَفَ أنَّ ذا الوِلايةِ إنَّما هوَ مُتَنَصِّبٌ لتنفيذِ أمرِ اللهِ تعالى وأمرِ العِبادِ بطاعةِ اللهِ تعالى، وناهٍ لهمْ عنْ محارمِ اللهِ، ناصحٌ لعبادِ اللهِ بدُعائِهم

---

(١) في (ع): «مضاف إلى المفعول».

(٢) «وحده لا شريك له» من (ف) و(ض) و(ر).

(٣) أخرجه بتمامه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٢٩٢).

(٤) قصة مشهورة ذكرها ابن عبد الحكم في «سيرة عمر بن عبد العزيز» (ص: ١٤٩) وفيه أن البنات كنَّ خمساً.

(٥) في (ت) و(ف): «والمقصود».

إلى اللهِ، فهو يقصِدُ أنْ يكونَ الدِّينُ كلُّه للهِ، وأنْ تكونَ العزَّةُ للهِ[١]، وهوَ معَ ذلكَ خائفٌ مِنَ التَّقْصيرِ في حقوقِ اللهِ.

وأيضاً فالمحِبُّونَ[٢] للهِ غايةُ مقاصدِهِمْ مِـنَ الخَـلْـقِ أنْ يُحِبُّوا اللهَ ويُطيعوه ويُفرِدوه[٣] بالعُبُوديَّةِ والإلهيَّةِ، فكيفَ يُزاحِمونه في شيءٍ مِنْ ذلكَ؟ فهوَ لا يُريدُ مِنَ الخَلْقِ جزاءً ولا شُكوراً، وإنَّما يرجو ثوابَ عمَلِه[٤] مِنَ اللهِ؛ كما قالَ الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩ ـ ٨٠].

وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «لا تُطْرُوني كما أَطْرَتِ النَّصارى المسيحَ عيسى[٥] ابنَ مريمَ، فإنَّما أنا عبدٌ، فقولوا: عبدُ اللهِ ورسولُه»[٦].

وكانَ ﷺ يُنكِرُ على مَنْ لا يتأدَّبُ معه في الخِطابِ بهذا الأدَبِ؛ كما قالَ: «لا تقولوا: ما شاءَ اللهُ وشاءَ محمَّدٌ، بلْ قولوا: ما شاءَ اللهُ ثُمَّ شاءَ محمَّدٌ»[٧].

---

(١) سقط من (ف) و(ض) من قوله: «وناوِ لهم» إلى هنا.

(٢) في (ك) و(ز): «فإن المحبين».

(٣) في (ت) و(ف) و(ض): «ويعرفوه».

(٤) تصحفت في (ف) و(ض) إلى: «اعلمه».

(٥) لم تذكر «عيسى» في (ت) و(ف) و(ض)، وليس في البخاري «المسيح».

(٦) أخرجه مختصراً البخاري في «أحاديث الأنبياء» (٣٤٤٥)، ومطولاً في «الحدود» (٦٨٣٠) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وفي حاشية (ع): «الإطراء في المدح: الغلو فيه وتجاوز حده».

(٧) هذا اللفظ أخرجه الدارمي (٢٧٤١) وأخرجه بنحوه الإمام أحمد (٢٠٦٩٤)، وابن ماجه في «الكفارات» (٢١١٨) وغيرهما من حديث طفيل بن سخبرة رضي الله عنه.

وقالَ لِمَنْ قالَ له: ما شاءَ اللهُ وشئتَ: «أجَعَلْتَني واللهَ عدلاً[1]، بلْ ما شاءَ اللهُ وحدَه»[2].

فمِنْ هنا كانَ خُلفاءُ الرُّسُلِ وأتباعُهمْ مِنْ أمراءِ العَدْلِ وقُضاتِهمْ لا يَدْعونَ إلى تعظيمِ نفوسِهمْ ألبتَّةَ، بلْ إلى تعظيمِ اللهِ وحدَه، وإفرادِه بالعُبوديَّةِ والإلهيَّةِ.

ومنهمْ مَنْ كانَ لا يُريدُ الوِلايةَ إلَّا للاستعانةِ بها على الدَّعوةِ إلى اللهِ وحدَه.

فكان بعضُ الصَّالحينَ يتولَّى القضاءَ ويقولُ: أنا أتولَّاهُ لأستعينَ به على الأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عنِ المنكرِ[3].

ولهذا كانتِ الرُّسُلُ عليهم السَّلامُ وأتباعُهمْ يصبِرونَ على الأذى في الدَّعوةِ إلى اللهِ تعالى، ويتحمَّلون في تنفيذِ أوامرِ اللهِ مِنَ الخَلْقِ غايةَ المشقَّةِ وهُمْ صابرونَ، بلْ راضونَ بذلكَ، فإنَّ المُحِبَّ رُبَّما يتلذَّذُ[4] بما يُصيبُه مِنَ الأذى في رضى محبوبِه.

كما[5] كانَ عبدُ الملكِ بنُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ يقولُ لأبيهِ في خلافتِه إذا

---

(١) سبق نظر ناسخ (ك) فلم يكتب الحديث، والمثبت من (ز)، وفي (ت): «جعلتني لله عدلاً»، وفي (ف) و(ع): «أجعلتني لله عديلاً» وفي (ض): «أجعلتني لله عدلاً».

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٨٣٩)، من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٣) ومن هؤلاء الإمام القاضي أبو بكر بن العربي الإشبيلي، المتوفى ٥٤٣ رحمه الله تعالى قال في كتابه «العواصم من القواصم» (ص: ٢٩٧): «ولقد حكمت بين الناس، فألزمتهم الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى لم يكن يرى في الأرض منكر».

(٤) في (ك) و(ز) و(ع): «يلتذ».

(٥) «كما»: من (ف) و(ض).

حرَّضه على تنفيذِ الحَقِّ وإقامةِ العَدْلِ: يا أبتِ! لوددتُّ أنَّه لوْ غلتْ بي وبكَ القُدورُ في اللهِ عزَّ وجلَّ[١].

وقالَ بعضُ الصَّالحينَ: وددتُّ أنَّ جسميَ قُرِضَ بالمقاريضِ وأنَّ هذا الخَلْقَ كُلَّهم أطاعوا اللهَ تعالى[٢]. فعُرِضَ قولُه على بعضِ العارفينَ فقالَ: إنْ كانَ[٣] أرادَ بذلكَ النَّصيحةَ للخَلْقِ وإلَّا فلا أدري.

ثمَّ غُشِيَ عليهِ[٤].

ومعنى هذا: أنَّ صاحبَ هذا القَوْلِ قدْ يكونُ لحَظَ نُصْحَ الخَلْقِ والشَّفَقَةَ عليهِمْ مِنْ عذابِ اللهِ، فأحبَّ أنْ يفديَهمْ مِنْ عذابِ اللهِ بأذى نفسِه، وقدْ يكونُ لحَظَ جلالَ اللهِ وعظمَتَه وما يستحِقُّه مِنَ الإجلالِ والإكرامِ والطَّاعةِ والمحبَّةِ،

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٦٢٣٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٧/ ٤٦). ومن وجه آخر أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٣٥٤).
وذكره المصنف في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٢٥٥).

(٢) أخرجه الدينوري في «المجالسة» (٤٧٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ١٥٠) من كلام زهير بن نعيم البابي أحد الزهاد العابدين. وذكره المصنف في «جامع العلوم والحكم» (١/ ٢٢٣) و(٢/ ٢٥٥).

(٣) «كان»: من (ف) و(ض) ولا توجد في سائر النسخ.

(٤) سأل الروذباريُّ أبا عبد الله بن الجلاء الدمشقي عن كلام زهير، ما معناه؟ فأجاب: إن كان من طريق الإشفاق على الخلق والنصح فأعرف، وإن كان من طريق التعظيم والإجلال فلا أعرف. أخرجه أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (٢/ ٧٠). ونقله الغزالي في كتاب المحبة من «إحياء علوم الدين» (٦/ ١٠٧) وقال: «لا ينبغي أن يستنكر الضعيف المحروم أحوال الأقوياء: ويظن أن ما هو عاجز عنه يعجز عنه الأولياء».

فودَّ أنَّ الخَلْقَ قاموا له بذلك، وإنْ حصَلَ له في نفسِه غايةُ الضَّرَرِ[١].

وهذا هو مَشْهَدُ خواصِّ المحبِّينَ العارفينَ، وبملاحظتِه غُشِيَ على هذا الرَّجلِ العارفِ باللهِ رضي الله عنه.

وقدْ وصَفَ اللهُ المُحِبِّينَ له في كتابِه بأنَّهم يُجاهدون في سبيلِ اللهِ[٢]، ولا يخافونَ لَوْمةَ لائمٍ[٣].

وفي ذلكَ يقولُ بعضُهمْ:

أجِدُ الملامةَ في هواكَ لذيذةً ... حُبًّا لذِكْرِكَ فلْيَلُمْنِي اللُّوَّمُ[٤]

---

(١) قال المصنف رحمه الله في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٢٥٥):

«واعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

- تارةً يحمل عليه رجاءُ ثوابه.

- وتارةً خوفُ العقاب في تركه.

- وتارةً الغضب لله على انتهاك محارمه.

- وتارةً النصيحة للمؤمنين والرحمة لهم، ورجاء إنقاذهم مما أوقعوا أنفسهم فيه من التعرض لغضب الله وعقوبته في الدنيا والآخرة.

- وتارةً يحمل عليه إجلال الله وإعظامه ومحبته، وأنه أهل أن يطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر، وأن يفتدى من انتهاك محارمه بالنفوس والأموال، كما قال بعض السلف: - وذكر قول عبد الملك بن عمر، وقول زهير البابي -».

(٢) في (ز) و(ض): «في كتابه المحبِّين له» وفي (ت) و(ف) و(ض): «في سبيله».

(٣) قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

(٤) البيت لأبي الشيص الخزاعي الشاعر المتوفى سنة ١٩٦هـ كما في ديوانه (ص: ١٠٢). وفي (ف): «وليلمني».

## [طلب الشرف بالدين]

القِسْمُ الثَّاني: طلَبُ الشَّرَفِ والعُلُوِّ على النَّاسِ بالأمورِ الدِّينيَّةِ؛ كالعِلْمِ والعَمَلِ والزُّهْدِ، فهذا أفحشُ مِنَ الأوَّلِ، وأقبحُ وأشدُّ فساداً وخَطَراً، فإنَّ العِلْمَ والعَمَلَ والزُّهْدَ إنَّما يُطْلَبُ بها الشَّرَفُ عندَ اللهِ، والقُرْبُ منه، والزُّلْفى لديه، ويُطْلَبُ بها ما عندَ اللهِ مِنَ الدَّرَجاتِ العُلى، والنَّعيمِ المُقيمِ لديه[١].

قالَ الثَّوريُّ: إنَّما فُضِّلَ العلمُ؛ لأنَّه يُتَّقى به اللهُ، وإلَّا كانَ كسائرِ الأشياءِ[٢].

وإذا طُلِبَ بشيءٍ مِنْ هذا عرَضُ الدُّنيا الفاني، فهوَ أيضاً نوعانِ:

أحدُهما: أنْ يطلَبَ به المالُ، فهذا مِنْ نوعِ الحِرْصِ على المالِ، وطلَبِه بالأسبابِ المحرَّمةِ.

وفي هذا جاءَ الحديثُ عنِ النَّبيِّ ﷺ: «مَنْ تعلَّمَ عِلْماً مما يُبْتغى بهِ وجهُ اللهِ لا يتعلَّمُه إلَّا لِيُصيبَ به عرَضاً مِنَ[٣] الدُّنيا لمْ يجِدْ عَرْفَ[٤] الجنَّةِ يومَ القيامةِ[٥]». يعني: ريحَها[٦].

---

(١) وقع في النسخ في هذه الجمل تقديم وتأخير، واختلاف في الضمائر، والمثبت من (ك) و(ع).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٦٢) بنحوه، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١١٥٢). وعنده: «إنما يُطلب الحديث». وضبطت في (ت): «إنما فَضَل العلم».

(٣) في (ف) و(ض): «عرض الدنيا».

(٤) في حاشية (ز): «العَرْف ـ بفتح العين المهملة وسكون الراء ـ أي الريح، قيل: ومنه أصحاب الأعراف، لأنهم يجدون عَرْف الجنة اهـ من شرح صحيح البخاري، للبرماوي.

(٥) في حاشية (ع): «أي مَنْ شأنه ذلك كالعلوم الدينية، احترز به عن العلوم المتعلقة بالصنائع فإنه لا يضر أن يطلب بها الدنيا». لذلك فإن التكاثر والتباهي بالشهادات الجامعية فيما يتعلق بالعلوم الدينية يعرِّض فاعله إلى خطر شديد!

(٦) قوله: يعني: ريحها، تفسير من كلام سريج بن النعمان أحد رواة الحديث.

خرَّجَه الإمامُ أحمدُ وأبو داودَ وابنُ ماجهْ وابنُ حِبَّانَ في «صحيحِه» مِنْ حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ[١].

[الجنة المعجلة في الدنيا]

وسببُ هذا واللهُ أعلمُ: أنَّ في الدُّنيا جنَّةً مُعَجَّلَةً، وهيَ مَعْرِفةُ اللهِ تعالى ومحبَّتُه، والأنسُ[٢] بهِ، والشَّوْقُ إلى لقائِه، وخَشْيَتُه، وطاعتُه. والعلمُ النَّافعُ يدُلُّ على ذلكَ، فمَنْ دَلَّه عِلْمُه على دخولِ هذه الجنَّةِ المعَجَّلَةِ في الدُّنيا دخَلَ الجنَّةَ في الآخرةِ[٣]، ومَنْ لَمْ يشمَّ رائحتَها لَمْ يرحْ[٤] رائحةَ الجنَّةِ في الآخرةِ[٥].

ولهذا كانَ أشدَّ النَّاسِ عذاباً في الآخرةِ عالمٌ لمْ ينفعْه عِلْمُه، وهوَ مِنْ أشدِّ النَّاسِ حَسْرةً يوم القيامة[٦]، حيثُ كانَ معه آلةٌ يتوصَّلُ بها إلى أعلى الدَّرجاتِ وأرفعِ المقاماتِ، فلَمْ يستعمِلْها إلَّا في التَّوصُّلِ إلى أخسِّ الأمورِ وأدناها قيمةً وأحقرِها؛

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٨٤٥٧)، وأبو داود في «العلم» (٣٦٥٦)، وابن ماجه (٢٥٢)، وابن حبان (٧٨).

(٢) في (ف) و(ك) و(ع): «ومحبة الأنس به» والمثبت من (ز) و(ض).

(٣) في (ت) و(ف)، وأشير إليها في حاشية (ك) و(ع): «فاز بالجنة الآخرة».

(٤) في (ت) و (ف)، وأشير إليها في حاشية (ك) و(ع): «لم يشم».

(٥) نقل المصنف رحمه الله تعالى في «ذيل طبقات الحنابلة» (٤/ ٥١٩)، عن شيخه أبي عبد الله ابن القيم قال: «سمعت شيخنا شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة.

قال: وقال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، أين رحت فهي معي لا تفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة». رحمه الله تعالى.

وذكر ذلك ابن القيم في «مدارج السالكين» (١/ ٣٤٤).

(٦) في (ك) و(ز) و(ع): «حسرة في الآخرة».

كمَنْ كانتْ معه جواهرُ نفيسةٌ لها قيمة عظيمة فباعَها ببَعْرٍ أوْ شيءٍ مُسْتَقْذَرٍ لا يُنْتَفَعُ به، بلْ حالُ مَنْ يطلُبُ الدُّنيا بعلمِه أقبحُ وأقبحُ، وكذلكَ مَنْ يطلُبُها بإظهارِ الزُّهْدِ فيها، فإنَّ ذلكَ خِداعٌ قبيحٌ جدًّا.

وكانَ أبو سليمانَ الدَّارانيُّ يعيبُ على مَنْ لبِسَ عَباءةً وفي قلبِه شَهْوةٌ مِنْ شهَواتِ الدُّنيا تُساوي أكثرَ مِنْ قيمةِ العَباءةِ[1].

يُشيرُ إلى أنَّ إظهارَ الزُّهْدِ في الدُّنيا باللِّباسِ الدَّنيِّ[2] إنَّما يصلُحُ لِمَنْ[3] فرَغَ قلبُه مِنَ التَّعَلُّقِ بها، بحيثُ لا يتعلَّقُ قلبُه منها بأكثرَ مِنْ قيمةِ ما لبِسَ في الظَّاهِرِ، حتَّى يستويَ ظاهرُه وباطنُه في الفراغِ مِنَ الدُّنيا.

## [تعريف الصوفي]

وما أحسَنَ قولَ بعضِ العارفينَ ـ وقدْ سُئِلَ عنِ الصُّوفيِّ ـ: فقالَ: الصُّوفيُّ مَنْ لبِسَ الصُّوفَ على الصَّفا، وسلَكَ طريقَ المصطفى، وذاق الهوى بعد الجفا[4]، وكانتِ الدُّنيا منه خَلْفَ القَفا[5].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (١٣٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٦٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٤/ ١٤٨)، قال أبو سليمان: «أما يستحي أحدكم أن يلبس عباءة بثلاثة دراهم وفي قلبه شهوة بخمسة دراهم؟!».

ونسبه أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٩٠) إلى حاتم الأصم.

(٢) في (ك): «البذيء». وأشار إليه في حاشية (ع)، ومعناه: «المحتقر». من قولهم: بَذَأَتْه عيني: احتقرته.

(٣) في (ك) و(ع): «إن».

(٤) في (ك) و(ز) و(ع): «وأذاق الهوى طعمَ الجفا»، في المصادر: «وأطعم الهوى ذوق الجفا».

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٢/ ١٨٢)، وذكره السمعاني في «الأنساب» (٦/ ١٨١) من كلام أبي علي محمد بن أحمد بن القاسم الرُّوذَباري الزاهد الصوفي، المتوفى ٣٢٢ رحمه الله.

## [طلب العلم للرياسة]

**النَّوعُ الثَّاني**: مَنْ يطلُبُ العِلْمَ والعَمَلَ والزُّهْدَ للرِّياسةِ[١] على الخَلْقِ والتَّعاظُمِ عليهِمْ، وأَنْ ينقادَ الخَلْقُ ويخضَعوا له ويصرِفوا وجوهَهمْ إليه[٢]، وأَنْ يُظْهِرَ للنَّاسِ زيادةَ علمه[٣] على العُلماءِ؛ ليعلَموا فَضْلَه[٤] عليهِمْ ونحوِ ذلكَ، فهذا وعيده النَّارُ؛ لأنَّ قَصْدَه التَّكبُّرُ على الخَلْقِ، وهو في نفسِه مُحرَّمٌ، فإذا استعملَ فيه آلةَ الآخرةِ كانَ أَقْبَحَ وأفحشَ مِنْ أنْ يَستعمِلَ فيه آلاتِ الدُّنيا مِنَ المالِ والسُّلطانِ.

وفي «السُّننِ» عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «مَنْ طلَبَ العِلْمَ ليُماريَ به السُّفهاءَ، أو يُجاريَ به العلماءَ، أو يصرِفَ به وجوهَ النَّاسِ إليه أدخلَه اللهُ النَّارَ». خرَّجَه التِّرمذيُّ مِنْ حديثِ كعبِ بنِ مالكٍ[٥]، وخرَّجَه ابنُ ماجهْ مِنْ حديثِ ابنِ عُمَرَ وحذيفةَ، وعندَه: «فهوَ في النَّارِ»[٦].

## [الرياء بالعلم]

وخرَّجَ ابنُ ماجهْ وابنُ حِبَّانَ في «صحيحِه» مِنْ حديثِ جابرٍ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «لا تعلَّموا العلمَ لِتُباهوا به العُلماءَ، ولا لِتُماروا به السُّفهاءَ، ولا تخيَّروا به المجالسَ، فمَنْ فعَلَ ذلكَ فالنَّارَ النَّارَ»[٧].

---

(١) في (ت) و(ف) و(ض): «يطلب بالعمل والعلم والزهد الرياسةَ».

(٢) في (ت) و(ف): «إليه وجوههم».

(٣) في (ز): «علم».

(٤) في (ت) و(ف): «أو ليعلو به عليهم»، وفي (ض): «وليعلو به عليهم».

(٥) أخرجه الترمذي في «العلم» (٢٦٥٤) وفي (ك) و(ز) و(ع): «ويجاري»، «ويصرف». وفي الترمذي تقديم ليجاري على ليماري.

(٦) أخرجه ابن ماجه (٢٥٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنه، و(٢٥٩) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٧) أخرجه ابن ماجه (٢٥٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٧). وفي (ف): «فالنار فالنار».

وفي حاشية (ت): «لعله تُخَبِّروا».

وخرَّجَه ابنُ عَدِيٍّ مِنْ حديثِ أبي هريرةَ، عنِ النَّبيِّ ﷺ بنحوِه، وزادَ فيه: «ولكنْ تعلَّموه لوجهِ اللهِ والدَّارِ[1] الآخرةِ»[2].

وعنِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قالَ: لا تعلَّموا العِلْمَ لثلاث[3]: لِتُماروا به السُّفهاءَ، أوْ لتجادلوا به الفقهاء[4]، أوْ تصرِفوا[5] به وجوهَ النَّاسِ إليكمْ، وابتَغوا بقولِكمْ وفِعْلِكمْ ما عندَ اللهِ فإنَّه يبقى، ويذهبُ ما سِواه[6].

وقدْ ثبتَ في «صحيحِ مسلمٍ» عنْ أبي هريرةَ رضي الله عنه، عنِ النَّبيِّ ﷺ: «إنَّ أوَّلَ خَلْقِ اللهِ تستعِرُ به النَّارُ يومَ القيامةِ ثلاثةٌ: منهمُ العالمُ الَّذي قرأَ القرآنَ ليُقالَ: قارئ، وتعلَّمَ العلمَ لِيُقالَ: عالمٌ، وأنَّه يُقالُ له: قدْ قيلَ ذلكَ، وأُمِرَ به، فَسُحِبَ[7] على وجهِه حتَّى أُلقِيَ في النَّارِ.

وذكَرَ مِثْلَ ذلكَ في المُتصَدِّقِ لِيُقالَ: إنَّه جوادٌ، وفي المُجاهدِ لِيُقالَ: إنَّه شُجاعٌ[8].

---

(١) في (ك) و(ع): «وللدار».

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٨٠٩)، من طريق ابن عدي ولم أجده في «الكامل».

(٣) «الثلاث»: سقطت من (ك) و(ع) ـ وأشير إليها في حواشيها ـ و(ز).

(٤) المثبت من (ت) و(ف) و(ض) موافقاً لما في «الفقيه والمتفقه»، وفي (ك) و(ز) و(ع): «لتجاروا به العلماء». وعند الدارمي: «وتجادلوا به العلماء».

(٥) في (ض): «لتصرفوا».

(٦) أخرجه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٨١٠)، واللفظ له والدارمي في «السنن» (٢٦١)، إلا أن فيه: «وتجادلوا به العلماء».

(٧) من (ت) و(ف)، وفي سائر النسخ: «فيسحب».

(٨) أخرجه مسلم مطولًا (١٩٠٥). =

وعَـنْ علـيٍّ رضـي الله عنه قـالَ: يا حمَلَـةَ العِلْـمِ! اعمَلوا بـه، فإنَّمـا العالِمُ مَنْ عَمِـلَ بمـا عَلِـمَ، فوافَـقَ عمَلُـه عِلْمَـه، وسـيكونُ أقـوامٌ يحمِلـونَ العلـمَ لا يُجاوزُ تراقيهـم[١]، يُخالِـفُ عِلْمُهُـمْ عَمَلَهُـمْ، وتُخالِـفُ سـريرَتُهُمْ علانِيَتَهُـمْ، يجلِسـون حِلَقـاً حِلَقـاً[٢]، فيُباهـي بعضُهُـمْ بَعْضـاً، حتَّـى إنَّ الرَّجُـلَ لَيغضَبُ على جَليسِـه أنْ يَجْلِـسَ إلى غيـرِه ويَدَعَهُ، أولئـكَ لا تَصْعَدُ أعمالُهُـمْ في[٣] مجالسِـهِمْ تلكَ إلى اللهِ عـز وجـل[٤].

وقالَ الحسنُ: لا يكونُ حَظُّ أحدِكُمْ مِنَ العلمِ أنْ يقولَ له النَّاسُ: عالِمٌ[٥].

وفي بعضِ الآثارِ: أنَّ عيسى عليه السَّلامُ قالَ: كيفَ يكونُ مِنْ أهلِ العلمِ مَنْ يطلُبُ العلمَ[٦] لِيُحَدِّثَ به، ولا يطلُبُه لِيعملَ به[٧]؟!

---

= وليس أول اللفظ الذي أورده المصنف في «صحيح مسلم» وإنما هو عند الترمذي (٢٣٨٢) ووقع في (ك) و(ز) و(ع): «تستعر به»، ولم ترد هذه الصيغة في ما أعلم من الحديث.

(١) حاشية (ع): «تراقيهم: جمع ترقوة» والترقوة: عظم يربط مفصل الكتف مع عظم القص.

(٢) لم تكرر هذه اللفظة في المصادر، وهي مكررة في نسخنا عدا (ز).

(٣) من (ت) و(ف) و(ض)، وفي سائر النسخ: «من».

(٤) أخرجه الدارمي (٣٩٤)، والخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي» (٣١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٢/ ٥٠٩)، وعنده: «يا حملة القرآن».

ولا تصعد أعمالهم لكونهم مرائين فيها.

(٥) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله.

(٦) في (ت) و(ف): «من يطلبه ليحدث به». وفي «الزهد» لأحمد: «من طلب الكلام». ولأبي داود: «يطلب الكلام».

(٧) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (٣٩٢)، والدارمي في «السنن» (٣٨٠)، وأبو داود في «الزهد» (١)، وغيرهم من خبر هشام الدستوائي أنه قرأ في كتاب بلغه عن عيسى ابن مريم.

وقالَ بعضُ السَّلَفِ: بلَغَنا أنَّ الَّذي يطلُبُ الأحاديثَ لِيُحدِّثَ بها لا يجِدُ ريح[١] الجنَّةِ[٢].

يعني: مَنْ ليسَ له غرَضٌ في طلَبِها إلَّا لِيُحدِّثَ[٣] بها دونَ العملِ بها.

## ذمُّ الفُتْيا[٤]

ومِنْ هـذا البابِ كَرِهَ[٥] السَّلَفُ الصَّالحُ الجُرْأَةَ على الفُتْيا، والحِرْصَ عليها، والمسارعةَ إليها، والإكثارَ منها.

---

(١) المثبت من (ت) و(ف) و(ض) هو الموافق للمصادر، وفي سائر النسخ: «رائحة».

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٦٤٩)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١١٣١) والخطيب في «اقتضاء العلم العمل» (١٢٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧٣/ ٩٨) من كلام التابعي الجليل أبي إدريس عائذ الله الخولاني، ولفظه: الذي يتبع الأحاديث ليحدث بها لا يجد ريح الجنة. وأخرج نحوه الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي» (٢٥) من حديث معاوية بن حيدة مرفوعاً، و(٢٦) من كلام عبد الله بن المبارك رحمه الله.

قال الإمام الحافظ الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى موصياً طالب الحديث في كتابه «الجامع لأخلاق الراوي» (١/ ٨٧): «وليجعل حفظه للحديث حفظ رعاية، لا حفظ رواية، فإن رواة العلوم كثير، ورعاتها قليل، ورب حاضر كالغائب، وعالم كالجاهل، وحامل للحديث ليس معه منه شيء».

وهذه الأدواء الظاهرة التي يحذِّر منها الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى تدل على أدواء باطنة من سوء الغرض بتحصيل الروايات والأسانيد والإجازات استعجالاً للتصدر والرياسة، وتحصيل الجاه والمكانة، والرضا عن النفس بادعاء العلم ونشره مع أنها في إسار الجهل والغفلة. وذلك كله مما يقطع الطريق إلى مرضاة الله تعالى. فليحذر طلبة العلم من ذلك.

(٣) في (ت) و(ف): «الحديث».

(٤) هذا العنوان لا يوجد في (ف) و(ض).

(٥) في (ت) و(ف) و(ض): «ومن هذا القبيل كراهةُ السلفِ».

وروى ابنُ لهيعةَ، عنْ عُبَيدِ اللهِ[1] بنِ أبي جعفرٍ مُرْسَلاً، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «أجرَؤُكُمْ على الفُتْيا أجرَؤُكُمْ على النَّارِ»[2].

وقالَ عَلْقَمةُ: كانوا يقولون: أجرَؤُهُمْ على الفُتْيا أقلُّهُمْ عِلْماً[3].

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى[4] قالَ: أدركتُ مائةً وعشرينَ مِنَ الأنصارِ مِنْ[5] أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ يُسْأَلُ أحدُهُمْ عنِ المسألةِ ما منهمْ مِنْ أحدٍ إلَّا ودَّ أنَّ أخاه كفاه[6].

وفي روايةٍ: فيردُّها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا حتَّى ترجِعَ إلى الأوَّلِ[7].

وعنِ ابنِ مسعودٍ قال: إنَّ الَّذي يُفْتي النَّاسَ في كلِّ ما يستفتونه به لَمَجنونٌ[8].

---

(١) من (ت) و(ف)، وهو الصواب، وفي سائر النسخ: «عبد الله».
وعبيد الله بن أبي جعفر أبو بكر المصري الفقيه، رأى صحابياً، وحديثه عن التابعين. توفي ١٣٥ رحمه الله تعالى.

(٢) أخرجه الدارمي في «السنن» (١٥٩).

(٣) أخرجه الهروي في «ذم الكلام وأهله» (٥٣٢)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٢٤).

(٤) في (ز): «وعن البراء». والذي ورد من قول البراء: ما أخرجه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١٠٧١ ـ ١٠٧٢) قال: «لقد رأيت ثلاثمئة من أهل بدر ما منهم من أحد إلا وهو يحب أن يكفيه صاحبه الفتوى».

(٥) في (ف) و(ض): «ومن» من عطف الصفات.

(٦) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٥٨)، وابن سعد في «الطبقات» (٦/ ١١٠)، وأبو زرعة في «تاريخه» (٢٠٣١)، والدارمي في «السنن» (١٣٧)، وغيرهم.

(٧) أخرجه البيهقي في «المدخل إلى علم السنن» (١٨٨٤، ١٨٨٥)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٢٣).

(٨) أخرجه أبو يوسف في «الآثار» (٩٠٣)، والدارمي (١٧٦)، والهروي في «ذم الكلام وأهله» (٥٢٦)، والبيهقي في «المدخل إلى علم السنن» (١٨٨٢)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٤١٧)، وغيرهم.

وسُئِلَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ عنْ مسألةٍ فقالَ: ما أنا على الفُتْيا بجريءٍ[1].

وكتَبَ إلى بعضِ عُمَّالِه: إنِّي واللهِ ما[2] أنا بحريصٍ على الفُتْيا[3] ما وجدتُّ منه بُدًّا[4].

و[قالَ ابنُ عُيَيْنَةَ][5]: ليسَ هذا الأمرُ لِمَنْ ودَّ أنَّ النَّاسَ احتاجوا إليهِ، إنَّما هذا الأمرُ لِمَنْ ودَّ أنَّه وجدَ مَنْ يَكفيهِ[6].

وعنه أنَّه قالَ: أعلمُ النَّاسِ بالفتوى أسْكَتُهُمْ، وأجهَلُهُمْ بها أنْطَقُهُمْ[7].

وقالَ سفيانُ الثَّوْرِيُّ: أدرَكْنا الفُقهاءَ وهُمْ يكرهونَ أنْ يُجيبوا في المسائلِ والفُتيا، حتَّى لا يجدوا بُدًّا مِنْ أنْ يُفتوا، وإذا أُعْفوا منها كانَ أحبَّ إليهِمْ[8].

وقالَ الإمامُ أحمدُ: مَنْ عرَّضَ نفْسَه لِلفُتْيا فقَدْ عرَّضَها لأمرٍ عظيمٍ إلَّا أنه قد[9] تُلْجِئُ الضَّرورةُ.

---

(١) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله.

(٢) في حاشية (ع): دوامية.

(٣) سقطت هذه اللفظة من (ت) و(ف).

(٤) أورده ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١٦١٧)، ونقله ابن القيم في «إعلام الموقعين» (١/ ٥٢). والعامل هو: عروة بن محمد السعدي، استعمله على اليمن. واللفظ: «ما أنا بالنشيط على الفتيا».

(٥) ما بين معقوفين لا يوجد في (ت) و(ف) و(ض)، وكذلك في بعض مطبوعات هذه الرسالة، فجاء متصلاً بكلام عمر بن عبد العزيز، فنسبه إليه جماعة ممن نقل من هذه الرسالة من المعاصرين، وليس الأمر كذلك.

(٦) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله.

(٧) أخرجه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١٠٧٩).

(٨) أخرجه الآجري في «أخلاق العلماء» (ص: ١٠٢)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٦٤٩).

(٩) في (ك) و(ز) و(ع): «إلا أن تلجئ».

قيلَ: فأيُّما أفضلُ: الكلامُ أمِ السُّكوتُ؟ قال: الإمساكُ أحبُّ إليَّ.

قيلَ له: فإذا كانتِ الضَّرورةُ، فجعلَ يقولُ: الضَّرورة الضرورة![١]، وقال: الإمساكُ أسْلَمُ له[٢].

ولِيعلَمَ المُفتي أنَّه يُوَقِّعُ عنِ اللهِ أمرَه ونَهْيَه، وأنَّه موقَّفٌ ومسؤولٌ عنْ ذلكَ.

قالَ الرَّبيعُ بنُ خُثَيْم: أيُّها المُفْتون! انظروا كيفَ تُفْتونَ[٣].

وقالَ عمرو بنُ دينارٍ[٤] لقتادةَ لَمَّا جلَسَ لِلفُتيا: أتدري في أيِّ عِلْمٍ[٥] وَقَّعْتَ؟ قمت[٦] بينَ اللهِ وبينَ عبادِه، وقلت[٧]: هذا يصلُحُ، وهذا لا يصلُحُ[٨].

وعنِ ابنِ المُنْكَدِرِ قالَ: إنَّ العالِمَ داخلٌ[٩] بينَ اللهِ وبينَ خَلْقِه، فلينظُرْ كيفَ يدخُلُ عليهم[١٠].

---

(١) لم تكرر إلا في (ض)، وهو الموافق للمصادر.

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٦٥٠).

(٣) أخرجه مطولًا الهروي في «ذم الكلام وأهله» (٨٢٨)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٥٧١).

(٤) كذا في نسخنا جميعاً، وهو سبق قلم من الأصل، والقصة لمالك بن دينار رحمه الله.

(٥) في (ت) و(ف): «عمل» وهو سبق قلم.

(٦) من (ت) و(ف) موافقاً لمصادر التخريج، وفي سائر النسخ: «وقعت».

(٧) في (ز) و(ع) و(ض): «فقلت».

(٨) أخرجه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١٠٩٠)، وأورده ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢٠٧٤).

(٩) هذه اللفظة ليست في (ت) و(ف) و(ض) والمصادر.

(١٠) «عليهم»: من (ت) و(ف) و(ض)، وسقطت من سائر النسخ، وهي موجودة في المصادر. أخرجه الدارمي بنحوه (١٣٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٥٣)، والبيهقي في «المدخل» (١٩٠٣)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١٠٨٨ ـ ١٠٨٩).

وكانَ ابنُ سيرينَ إذا سُئِلَ عنِ الشَّيءِ مِنَ الحلالِ والحرامِ تغيَّرَ لونُه وتبدَّلَ حتَّى كأنَّه ليسَ بالَّذي كانَ[1].

وكانَ النَّخَعِيُّ يُسْأَلُ فتظهَرُ عليه الكراهةُ[2]، ويقولُ: ما وجدتَ أحداً تَسْأَلُه[3] غيري؟![4]

وقالَ: قدْ تكلَّمْتُ ولوْ وجدتُّ بُدًّا ما تكلَّمْتُ، وإنَّ زماناً أكونُ فيه فقيهَ الكوفةِ لَزمانُ سُوءٍ[5].

ورُوِيَ عنِ ابنِ عُمَرَ قالَ: إنَّكُمْ لَتَسْتفتونا استفتاءَ قومٍ كأنَّا لا نُسْأَلُ عمَّا نُفْتيكم به[6].

وعنْ محمَّدِ بنِ واسعٍ قالَ: أوَّلُ مَنْ يُدْعى للحسابِ الفُقهاءُ[7].

---

(١) أخرجه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٦٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٦٤)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١٠٨٦).

(٢) في (ت) و(ف): «الكراهية».

(٣) في (ت) و(ف) و(ض): «يُسال» «تَسال».

(٤) أخرجه زهير بن حرب في «العلم» (١٣١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء» (٤/ ٢٢٦)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٦٤٣).

(٥) أخرجه الدارمي (٢٠٢)، والآجري في «أخلاق العلماء» (ص: ١٤٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٢٢٣)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١١٣٢).

(٦) أخرجه نعيم بن حماد في زوائد «الزهد» (٢٠٦)، ومن طريقه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٤٩٠). والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١٠٩١)، وسقط هذا الأثر من (ز).

(٧) في (ض): «إلى الحساب»، وأخرجه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١٠٩٤) بهذا اللفظ، وأخرجه وكيع في «أخبار القضاة» (ص: ٢٧) بلفظ: «القضاة»، ولعله الصواب.

وعنْ مالكٍ أنَّه كانَ إذا سُئِلَ عنْ مسألةٍ كأنَّه واقِفٌ بينَ الجنَّةِ والنَّارِ(١).

وقالَ بعضُ العُلَماءِ لبعضِ المـُفتينَ: إذا سُئِلْتَ عنْ مسألةٍ فلا يكُنْ همُّكَ تَخْليصَ السَّائلِ، ولكنْ تخليصَ نفْسِكَ أوَّلاً(٢).

وقالَ لآخرَ: إذا سُئِلْتَ عنْ شيءٍ فتفكَّرْ، فإذا وجدْتَ لِنفْسِكَ مَخْرَجاً فتكلَّمْ، وإلَّا فاسْكُتْ(٣).

وكلامُ السَّلَفِ ـ رَحِمَهمُ اللهُ ـ في هذا المعنى(٤) كثيرٌ جدًّا، ويطولُ ذِكْرُه واستِقْصاؤُهُ.

## [ذم الدخول على الملوك]

**ومِنْ هذا البابِ أيضاً:** كراهة(٥) الدُّخولِ على الملوكِ، والدُّنُوِّ منهمْ، وهوَ البابُ(٦) الَّذي يدخُلُ منه علماءُ الدُّنيا إلى نَيْلِ الشَّرَفِ والرِّياساتِ فيها.

وخـرَّجَ الإمـامُ أحمدُ وأبـو داودَ والتِّرْمِـذِيُّ والنَّسـائيُّ مِنْ حديثِ ابـنِ عبَّاسٍ رضـيَ اللهُ عنهمـا، عـنِ النَّبـيِّ ﷺ قـالَ: «مَنْ سـكَنَ الباديـةَ جَفا، ومَـنِ اتَّبـعَ الصَّيْدَ غَفَـلَ، ومَـنْ أتى أبـوابَ السُّـلطانِ افتُتِنَ»(٧).

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١٠٨٧).

(٢) أخرجه وكيع في «أخبار القضاة» (ص: ٩١)، وابن بطة في «إبطال الحيل» (ص: ٦٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢٦١)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١٠٩٦). قاله قاضي المدينة عمر بن خلدة للإمام ربيعة الرأي. وضبط ما في «الحلية»: «وقَفَ عَلَيَّ ابنُ خلدة».

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١٠٩٩) قاله قاضي المدينة عمر بن خلدة للإمام مالك، وكان حديث السن.

(٤) في (ك) و(ع): «الباب».

(٥) في (ك): «كراهية».

(٦) في (ز): «العلم».

(٧) أخرجه الإمام أحمد (٣٣٦٢)، وأبو داود (٢٨٥٣)، والترمذي (٢٢٥٦) وقال: «حسن صحيح =

وخرَّجَ أحمدُ وأبو داودَ نحوَه مِنْ حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه، عنِ النَّبيِّ ﷺ، وفي حديثِه: «وما ازدادَ أحدٌ مِنَ السُّلطانِ دُنُوًّا إلَّا ازدادَ مِنَ اللهِ بُعْداً»[1].

وخرَّجَ ابنُ ماجهْ مِنْ حديثِ ابنِ عبَّاسٍ، عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «إنَّ ناساً[2] مِنْ أمَّتِي سيفقهونَ في الدِّينِ، ويقرؤونَ القرآنَ، ويقولونَ: نأتي الأُمَراءَ فنُصِيبُ مِنْ دُنياهُمْ، ونعتزِلُهُمْ بدينِنا، ولا يكونُ ذلكَ، كما لا يُجْتَنى مِنَ القَتادِ[3] إلَّا الشَّوْكُ، كذلكَ لا يُجْتَنى مِنْ قُرْبِهِمْ ـ يعني: إلَّا الخَطايا ـ»[4].

وخرَّجَه الطَّبَرانيُّ، ولفظُهُ: «إنَّ ناساً[5] مِنْ أُمَّتِي سيقرؤونَ[6] القرآنَ، ويتعمَّقون[7] في الدِّينِ، يأتيهِمُ الشَّيطانُ يقولُ[8]: لوْ أتيتُمُ الملوكَ فأصبتُمْ مِنْ دنياهُمْ، واعتزَلْتُمُوهُمْ بدينِكم، ألَا ولا يكونُ ذلكَ. كما لا يُجْتَنى مِنَ القَتادِ إلَّا الشَّوْكُ، كذلكَ لا يُجْتَنى مِنْ قُرْبِهِمْ إلَّا الخَطايا»[9].

---

= غريب من حديث ابن عباس، لا نعرفه إلا من حديث الثوري، والنسائي (٤٣٠٩).

(١) أخرجه الإمام أحمد (٨٨٣٦)، وأبو داود في رواية ابن داسة (٢٨٦٠). واللفظ له.

(٢) في (ز) و(ض): «أناساً».

(٣) في حاشية (ز): «القتاد، كسحاب، شجر صلب شوكه كالإبر. قاموس».

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢٥٥).

(٥) في (ز) و(ض): «أناساً».

(٦) في (ت) و(ف) و(ض): «يقرؤون»، وهو الموافق لطبعة الطحان من «المعجم الأوسط»، وما أثبته من سائر النسخ موافق لطبعة دار الحرمين.

(٧) لا اختلاف في نسخنا، وهي موافقة لطبعة دار الحرمين من الطبراني، لكن في طبعة الطحان: «ويتفقهون»!

(٨) في (ك) و(ز): «فيقول».

(٩) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٢٣٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

وخرَّجَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حديثِ أبي هريرةَ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «تعوَّذوا باللهِ مِنْ جُبِّ الحَزَنِ»، قالوا: وما جُبُّ الحَزَنِ[1]؟ قالَ: «وادٍ في جهنَّمَ تتعوَّذُ منه جهنَّمُ كلَّ يومٍ مائةَ مرَّةٍ»، قيل: يا رسولَ اللهِ! مَنْ يدخُلُهُ؟ قالَ: «القُرَّاءُ المـُراؤونَ بأعمالِهِمْ»[2].

وخرَّجَ ابنُ ماجهْ نحوَه، وزادَ فيه: «وإنَّ مِنْ أبغَضِ القُرَّاءِ إلى اللهِ الَّذين يَزُورون الأُمَراءَ»[3]. الجَوَرَةَ[4].

ويُروى مِنْ حديثِ عليٍّ رضي الله عنه، عنِ النَّبيِّ ﷺ نحوُه[5].

[تصديق الملوك الظلمة وإعانتهم]

ومِنْ أعظمِ ما يُخْشى على مَنْ دخَلَ على الملوكِ الظَّلَمَةِ أنْ يُصدِّقَهُمْ بكذِبِهِمْ، ويُعينَهُمْ على ظُلْمِهِمْ ولوْ بالسُّكوتِ عَنِ الإنكارِ عليهِمْ، فإنَّ مَنْ يُريدُ بدخولِه عليهِمُ الشَّرَفَ والرِّياسةَ وهوَ حريصٌ عليهما لا يُقْدِمُ على الإنكارِ عليهِمْ، بلْ رُبَّما حسَّنَ لهُمْ بعضَ أفْعالِهِمُ القبيحةِ تقرُّباً إليهِمْ؛ ليَحْسُنَ مَوْقِعُه عندهمْ، ويُساعِدوه على غرَضِه.

وقدْ خرَّجَ الإمامُ أحمدُ والتِّرمِذِيُّ والنَّسائيُّ وابنُ حِبَّانَ في «صحيحِه» مِنْ حديثِ كعبِ بنِ عُجْرَةَ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «سيكونُ بعدي أمراءُ، فمَنْ دخَلَ عليهِمْ فصدَّقَهُمْ بكذِبِهِمْ، وأعانَهمْ على ظُلْمِهِمْ: فليسَ منِّي ولستُ منه، وليسَ بواردٍ عليَّ

---

(١) في المصادر: «يا رسول الله وما جب الحزن».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٨٣) وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٥٦).

(٤) «الجَوَرة» من كلام عبد الرحمن بن محمد المحاربي أحد رواة الحديث. وَصَفَ الأمراء الذي ذمَّ رسولُ الله ﷺ من يزورهم من القراء. فالأمراء في الحديث عام مخصوص.

(٥) أخرجه الطبراني في «الدعاء» (١٣٩٠)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢/ ٦٣٤)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٤٨١).

الحَوْضَ، ومَنْ لَمْ يدخُلْ عليهمْ، ولَمْ يُعِنْهُمْ على ظُلْمِهِمْ، ولَمْ يُصَدِّقْهُمْ بكذِبِهِمْ فهوَ منِّي وأنا منه، وهوَ واردٌ عليَّ الحَوْضَ»[١].

وخرَّجَ الإمامُ أحمدُ معنى هذا الحديثِ مِنْ حديثِ حُذيفةَ[٢]، وابنِ عُمَرَ[٣]، وخبَّابِ بنِ الأرَتِّ[٤]، وأبي سعيدِ الخُدْريِّ[٥]، والنُّعمانِ بنِ بشيرٍ رضي الله عنهم[٦].

وقدْ كانَ كثيرٌ مِنَ السَّلَفِ يَنْهَونَ عنِ الدُّخولِ على الملوكِ لِمَنْ أرادَ أمْرَهُمْ بالمعروفِ، ونَهْيَهُمْ عنِ المـُنكرِ أيضاً، وممَّنْ نهى عنْ ذلكَ عُمَرُ بنُ عبدِ العزيزِ[٧]، وابنُ المُباركِ، والثَّوريُّ[٨] وغيرُهُمْ مِنَ الأئمَّةِ رضي الله عنهم.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٨١٢٦)، والترمذي (٢٢٥٩) وقال: «صحيح غريب»، واللفظ له، والنسائي (٤٢٠٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٧٩، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٣٢٦٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٥٧٠٢).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٢١٠٧٤) وابن حبان (٢٨٤).

(٥) أخرجه الإمام أحمد (١١١٩٢) (١١٨٧٣)، وابن حبان (٢٨٦).

(٦) أخرجه الإمام أحمد (١٨٣٥٣).

(٧) أخرج ابن عساكر في ترجمة همام بن محمد بن سعيد [مختصر تاريخ دمشق، لابن منظور (٢٧/ ١٤٢)] عن ميمون بن مهران قال: قال لي عمر بن عبد العزيز:
«يا ميمون احفظ عني أربعاً: لا تصحبن سلطاناً وإن أمرته بمعروف ونهيته عن منكر، ولا تخلون بامرأة وإن أقرأتها القرآن، ولا تصل من قطع رحمه فإنه لك أقطع، ولا تكلمن بكلام اليوم تعتذر منه غداً».

(٨) أخرج أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٧٩) وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١١٠٧) عن سفيان الثوري قال «كان خيار الناس - فيما مضى - وأشرافهم المنظور إليه منهم في الدين: الذين يقومون إلى هؤلاء، فيأمرونهم وينهونهم.
وكان آخرون ملازمين لبيوتهم عندهم، ليس لهم ذلك، فكانوا ليس يُرفعون ولا يُذكرون. =

وقالَ ابنُ المُباركِ: ليسَ الآمرُ النَّاهي عندَنا مَنْ دخَلَ عليهمْ فأمرَهُمْ ونهاهُمْ، إنَّما الآمرُ النَّاهي مَنِ اعتزَلَهُمْ[1].

وسببُ هذا: ما يُخْشى مِنْ فِتْنَةِ الدُّخولِ عليهمْ، فإنَّ النَّفْسَ قدْ تُخَيِّلُ للإنسانِ إذا كانَ بعيداً عنهمْ أنَّه يأمُرُهُمْ وينهاهُمْ ويُغْلِظُ عليهمْ، فإذا شاهدَهُمْ فرُبَّما مالَتِ النَّفْسُ إليهِمْ؛ لأنَّ محبَّةَ الشَّرَفِ كامنةٌ في النَّفْسِ، فحبَّبَتْ[2] له بذلكَ مُداهنَتَهُمْ ومُلاطفَتَهُمْ، ورُبَّما مالَ إليهمْ وأحبَّهُمْ، ولا سِيَّما إنْ لاطَفوه وأكرَموه، وقَبِلَ ذلكَ منهمْ.

وقـدْ جرى ذلكَ لعبدِ اللهِ بنِ طاوسٍ[3] معَ بعضِ الأمراءِ بحضرةِ أبيه طاوسٍ، فوبَّخَه طاوسٌ على فِعْلِه ذلكَ[4].

وكتَبَ سفيانُ الثَّوريُّ إلى عبَّادِ بنِ عبَّادٍ، وكان في كتابه[5] وإيَّاكَ والأُمَراءَ أنْ تَدْنوَ

= ثم بقينا حتى صار الذين يأتونهم فيأمرونهم وينهونهم شرار الناس، والذين لزموا بيوتهم ولا يأتونهم خيار الناس».

وأخرج أبو نعيم أيضاً في «الحلية» (٦/ ٣٨٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٩٧١): قال الثوري أيضاً لرجل: «إن دعوك لتقرأ عليهم «قل هو الله أحد» فلا تأتهم» يعني السلاطين.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تقدمة المعرفة لكتاب «الجرح والتعديل» (١/ ٢٨٠).

(٢) في (ت) و(ف) وأشير إليه في حاشية (ك) و(ع): «فحسنت».

(٣) في (ت) و(ف) و(ض): «لابن طاوس».

(٤) أخرجه المروذي في «أخبار الشيوخ» (ص: ٥٦). قال ابن طاوس: قلت لأبي: لو أن ناساً اجتمعوا حتى يكلموا السلطان! قال: فبينا نحن في منزل نزلناه إذ جاء الوالي فدخل فسلم، قال: فما كلمه أبو عبد الرحمن ـ يعني طاوساً ـ ولا رفع رأسه إليه. فخرج فاتبعته، فقلت: إن أبا عبد الرحمن لم يعرفك!. فقال: بلى، معرفته بي فعلت بي هذا. قال: فلما رجعت إلى أبي قال: أي لكع! أنت تقول بالأمس ما تقول، لم تستطع أن تمسك لسانك حتى كلمته بما كلمته!

(٥) من (ت) و(ف) و(ض)، وسقطت: «وكان في كتابه» من سائر النسخ.

منهمْ أو تُخالِطَهُمْ[١] في شيءٍ منَ الأشياءِ، وإيَّاكَ أنْ تُخْدَعَ ويُقالَ لكَ: تَشْفَعُ وتَدْرَأُ عنْ مَظْلومٍ، أوْ تَرُدُّ مَظْلَمَةً، فإنَّ ذلكَ خديعةُ إبليسَ، وإنَّما اتَّخَذَها فُجَّارُ القُرَّاءِ سُلَّماً، وما كُفِيتَ مِنَ المسألةِ والفُتيا فاغتَنِمْ ذلكَ، ولا تُنافِسْهُمْ فيه، وإيَّاكَ أنْ تكونَ كَمَنْ يُحِبُّ أنْ يُعْمَلَ بقولِه، أوْ يُنْشَرَ قولُه، أوْ يُسْمَعَ مِنْ قولِه فإذا ترك ذاك منه عرف فيه[٢]، وإيَّاكَ وحُبَّ الرِّياسةِ، فإنَّ الرَّجلَ تكونُ الرِّئاسةُ أحبَّ إليه مِنَ الذَّهبِ والفِضَّةِ، وهوَ بابٌ غامِضٌ لا يُبْصِرُه إلَّا البَصيرُ مِنَ العُلماءِ السَّماسرةِ[٣]، فتفقَّدْ[٤] نفسَكَ، واعمَلْ بنيَّةٍ، واعلمْ أنَّه قدْ دنا مِنَ النَّاسِ أمْرٌ يشتهي الرَّجُلُ أنْ يموتَ، والسَّلامُ[٥].

## [كراهة الشهرة]

**ومِنْ هذا البابِ أيضاً:** أنْ يَشْهَرَ الإنسانُ نفسَه[٦] للناس بالعِلْمِ والزُّهدِ والدِّينِ، أوْ بإظهارِ الأعمالِ والأقوالِ والكراماتِ؛ حتَّى يُزارَ[٧]، وتُلْتَمَسَ بركتُه ودُعاؤُه، وتُقَبَّلَ يدُه وهوَ مُجيبٌ[٨] إلى ذلكَ، ويُقيمُ عليه، أوْ يفرَحُ به، أوْ يسعى في أسبابِه.

ومِنْ هنا كانَ السَّلَفُ الصَّالحُ يكرهونَ الشُّهْرَةَ غايَةَ الكَراهةِ؛ منهُمْ: أيُّوبُ[٩]

---

(١) في (ت) و(ف) و(ض): «تخاطبهم».

(٢) سقطت هذه الجملة من النسخ عدا (ت) و(ف).

(٣) في حاشية (ع): «جمع سمسار: في الأصل من يدخل بين البائع والمشتري. أريد به هاهنا العالم الحافظ للأمر والقيم له».

(٤) تحرفت في (ز) إلى: «فثقل».

(٥) أخرجه مطولًا المروذي في «أخبار الشيوخ» (ص: ١٨٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٧٦). وأخرج نحوه البيهقي من كلام الثوري ليوسف بن أسباط (٨٩٧٢).

(٦) في (ت) و(ف) و(ض): «كراهة أن يشهر الإنسان نفسه».

(٧) في (ت) و(ف): «حتى يُراد» فيكون معناه: أن يكون له مريدون وأتباع.

(٨) في (ت) و(ف): «يجيب»، وفي (ض): «محب ذلك»، وفي (ر): «محب لذلك».

(٩) هو السختياني رحمه الله، ومن كلامه: ما صدق عبد قط فأحب الشهرة. أخرجه في «الجعديات» (١٢٤٨).

والنَّخَعيُّ[١] وسفيانُ[٢] وأحمدُ[٣]، وغيرُهُمْ مِنَ العلماءِ الرَّبَّانِيِّينَ، وكذلكَ فُضَيلٌ[٤] وداودُ الطَّائيُّ وغيرُهُما مِنَ الزُّهَّادِ والعارفينَ، وكانوا يذمُّونَ أنفُسَهُمْ غايَةَ الذَّمِّ، ويستُرون أعمالَهُمْ غايةَ السَّتْرِ.

دخلَ رجلٌ على داودَ الطَّائيِّ فسألَه ما جاءَ بهِ؟ فقالَ: جئتُ أزورُكَ، فقالَ: أمَّا أنتَ فقدْ أصبْتَ خيراً حيثُ زُرْتَ في اللهِ، ولكنْ أنا أنظُرُ ماذا لقِيتُ إذا قيلَ لي غداً: مَنْ أنتَ حتَّى تُزارَ؟! مِنَ الزُّهَّادِ أنتَ؟! لا واللهِ. مِنَ العُبَّادِ أنتَ؟! لا واللهِ. مِنَ الصَّالحينَ أنتَ؟! لا واللهِ... وعدَّدَ خِصالَ الخيرِ على هذا الوجهِ، ثمَّ جعَلَ يُوبِّخُ نفْسَه، فيقولُ: يا داودُ! كنتَ في الشَّبيبةِ فاسقاً، فلمَّا شِبْتَ صِرْتَ مُرائياً، والـمُرائي شرٌّ مِنَ الفاسقِ[٥].

---

(١) هو إبراهيم النخعي رحمه الله. قال الأعمش: كان إبراهيم يتوقى الشهرة، فكان لا يجلس إلى الأسطوانة. أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٢١٩).

(٢) من كلام سفيان الثوري: إياك والشهرة! فما أتيت أحداً إلا وقد نهاني عن الشهرة. أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٣).

(٣) قال رحمه الله لأبي بكر المروزي: قل لعبد الوهاب أخمل ذكرك فإني قد بليت بالشهرة. أخرجه ابن الجوزي في «مناقب أحمد» (ص: ٣٧٧) ومن كلامه رحمه الله: أريد أن أكون في شعب بمكة حتى لا أعرف، قد بليت بالشهرة، إني أتمنى الموت صباحاً ومساءً. ذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢١٦).

(٤) من كلامه رحمه الله: كان بعضهم إذا جلس إليه أربعة أو أكثر من أربعة قام؛ مخافة الشهرة. أخرجه ابن أبي خيثمة في «التاريخ الكبير» ـ أخبار المكيين ـ (٤٦٧).

(٥) أورد القصة بنحوها ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٣/ ١٦٧) والزائر هو ثابت البناني، والغزالي في «إحياء علوم الدين» في أول كتاب آداب الألفة والأخوة، وابن الملقن في «طبقات الأولياء» (ص: ٢٠١).

وكانَ محمَّدُ بنُ واسعٍ يقولُ: لوْ أنَّ للذُّنوبِ رائحةً ما استطاعَ أحدٌ أنْ يُجالِسَني[1].

وكانَ إبراهيمُ النَّخَعيُّ إذا دخَلَ عليه أحدٌ وهوَ يقرَأُ في المصحفِ غطَّاهُ[2].

وكانَ أويسٌ وغيرُه مِنَ الزُّهَّادِ إذا عُرِفوا في مكانٍ ارتَحلوا منه[3].

## [كثير من السلف يكرهون أن يطلب منهم الدعاء]

وكانَ كثيرٌ مِنَ السَّلَفِ يكرَه أنْ يُطْلَبَ منه الدُّعاءُ، ويقولُ لِمَنْ يسأَلُه الدُّعاءَ: أنبيٌّ أنا؟!

ومِمَّنْ رُوِيَ عنه ذلكَ عمرُ بنُ الخطَّاب[4] وحذيفةُ بنُ اليمان[5] رضيَ اللهُ عنهما،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «الورع» (ص: ١٦٣ و١٦٤)، وابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (٣٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٤٩) بلفظ: لو كان يوجد للذنوب ريح ما قدرتم أن تدنوا مني من نتن ريحي.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٨٠٧)، وتتمته: وقال: لا يرى هذا أني أقرأ فيه كل ساعة.

(٣) انظر خبره في: «العزلة والانفراد» لابن أبي الدنيا (١١٤) و«حلية الأولياء» لأبي نعيم (٢/ ٨٠) وذهابه عنهم.

(٤) نقل الشاطبي في «الاعتصام» (٢/ ٣٣١ طبعة دار ابن الجوزي) من «تهذيب الآثار» للطبري [وليس في المطبوع منه] عن مدرك بن عمران قال: كتب رجل إلى عمر رضي الله عنه: إني أصبت ذنباً فادع الله لي. فكتب إليه عمر: إني لست بنبي، ولكن إذا أقيمت الصلاة فاستغفر الله لذنبك.
وتوجيه الشاطبي لهذا الأثر أن إباية عمر رضي الله عنه ليس من جهة أصل الدعاء، ولكن كأنه فهم من السائل أمراً زائداً على الدعاء، وهو أن يعتقد فيه أنه مثل النبي ﷺ أو أنه وسيلة إلى أن يعتقد ذلك أو يعتقد أنه سنة تلزم، أو يجري في الناس مجرى السنن الملتزمة.
ونقل الشاطبي أيضاً (٢/ ٣٣٢) من «تهذيب الآثار»، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه لما قدم الشام أتاه رجل، فقال: استغفر لي، فقال: غفر الله لك، ثم أتاه آخر فقال: استغفر لي. فقال: لا غفر الله لك ولا لذاك. أنبي أنا؟!

(٥) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٧٧): جاء رجل إلى حذيفة، فقال: استغفر لي. فقال: لا غفر الله لك! =

وكذلكَ مالكُ بنُ دينارٍ(١).

وكانَ النَّخَعِيُّ يكرَهُ أنْ يُسألَ الدُّعاءَ(٢).

وكتَبَ رجلٌ إلى أحمدَ - رحِمَه اللهُ - يسألُهُ الدُّعاءَ، فقالَ أحمدُ: إذا دَعَوْنا نحنُ لهذا فمَنْ يدعو لنا(٣).

---

= إني لو استغفرت لهذا [لأتى بنسائه] فقال: استغفر لي حذيفة!، أتحب أن يجعلك الله مع حذيفة؟! اللهم اجعله مع حذيفة. انتهى مع تصحيح ما بين معقوفين. والأثر نقله الشاطبي (٢/ ٣٣٣) أيضاً من «تهذيب الآثار».

قلت: ثم دعا له حذيفة رضي الله عنه بعد إبائه. والأثر في «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٦/ ٢٧٦) استشهد به إبراهيم النخعي رحمه الله.

(١) قال القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (١٦/ ١٩٣):

وجاء رجل إلى مالك بن دينار فقال: أنا أسألك بالله أن تدعو لي فأنا مضطر. قال: إذاً فاسأله [أنت] فإنه يجيب المضطر إذا دعاه.

(٢) عن ابن عون قال: كنا عند إبراهيم فجاء رجل فقال: يا أبا عمران، ادع الله أن يشفيني فرأيت أنه كرهه كراهية شديدة حتى رأيتنا عرفنا كراهة ذلك في وجهه. وذكر الأثر السابق عن حذيفة رضي الله عنه. أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٦/ ٢٧٦ دار صادر) ونقله الشاطبي (٢/ ٣٣٣) من «تهذيب الآثار».

(٣) أخرج أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ١٨٦) أن علي بن أبي حرارة قال: كانت أمي مقعدة نحو عشرين سنة، فقالت لي يوماً: اذهب إلى أحمد بن حنبل فاسأله أن يدعو الله لي، فسرت إليه، فدققت عليه الباب وهو في دهليزه فلم يفتح لي، وقال: من هذا؟ فقلت: أنا رجل من أهل ذلك الجانب، سألتني أمي وهي زمنة مقعدة أن أسألك أن تدعو الله لها، فسمعت كلامه كلام رجل مغضب فقال: نحن أحوج إلى أن تدعو الله لنا. فوليت منصرفاً، فخرجت امرأة عجوز من داره، فقالت: أنت الذي كلمت أبا عبد الله؟ قلت: نعم، قالت: قد تركته يدعو الله لها. قال: فجئت من فوري إلى البيت، فدققت الباب، فخرجت أمي على رجليها تمشي حتى فتحت الباب، فقالت: قد وهب الله لي العافية.

ووُصِفَ بعضُ الصَّالحينَ واجتهادُه في العبادةِ لبعضِ الملوكِ، فعزَمَ على زيارتِه، فبلَغَه ذلكَ، فجلَسَ على قارعةِ الطَّريقِ يأكُلُ، فوافاه الـمَلِكُ وهوَ على تلكَ الحالةِ، فسلَّمَ عليه، فردَّ عليه السَّلامَ، وجعلَ يأكُلُ أَكْلاً كثيراً ولا يلتفِتُ إلى المـَلِكِ، فقالَ الملِكُ: ما في هذا خيرٌ. ورجَعَ، فقالَ الرَّجلُ: الحمدُ لله الَّذي ردَّه عنِّي وهو لائِمٌ[(١)].

وهذا بابٌ واسِعٌ جدًّا[(٢)].

**وها هنا نُكْتَةٌ دقيقةٌ**: وهيَ أنَّ الإنسانَ قدْ يذُمُّ نَفْسَه بينَ النَّاسِ يُريدُ بذلكَ أنْ يُريَ النَّاسَ أنَّه مُتواضِعٌ عندَ نَفْسِه، فيرتفِعُ بذلكَ عندهمْ ويَمْدَحونه به، وهذا مِنْ دقائقِ أبوابِ الرِّياءِ، وقدْ نبَّهَ عليه السَّلَفُ الصالح.

فقالَ مُطَرِّفُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ الشِّخِّيرِ: كفى بالنَّفْسِ إِطْراءً أنْ تذُمَّها على الملأِ، كأنَّكَ أردتَّ بذَمِّها زَيْنَها، وذلكَ عندَ اللهِ سَفَهٌ[(٣)].

* * *

## فَصْلٌ

وقدْ تبيَّنَ بما ذَكَرْنا أنَّ حُبَّ المالِ والرِّياسةِ والحِرْصَ عليهما يُفْسِدُ دِينَ المرءِ حتَّى لا يَبْقى منه إلَّا ما شاءَ اللهُ؛ كما أخبرَ بذلك النبي ﷺ[(٤)]، وأصلُ محبَّةِ المالِ والشَّرَفِ مِنْ حُبِّ الدُّنيا، وأصلُ حُبِّ الدُّنيا اتِّباعُ الهَوى.

---

(١) أخرجه من كلام وهب بن منبه مطولًا أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٤٨). وفي (ت) و(ف) و(ض): «الحمد لله الذي رد هذا عني وهو لائم».

(٢) سقطت الجملة من (ز).

(٣) أخرجه بنحوه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٠٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٨/ ٣٠١). وعندهما: «وذلك عند الله شينها».

(٤) في (ك) و(ع) و(ز): «أخبر عليه الصلاة والسلام».

قالَ وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ: مِنِ اتِّباعِ الهوى الرَّغْبَةُ في الدُّنيا، ومِنَ الرَّغْبَةِ فيها حُبُّ المالِ والشَّرَفِ، ومِنْ حُبِّ المالِ والشَّرَفِ استِحْلالُ المحارِمِ[1].

وهذا كلامٌ حسَنٌ، فإنَّه إنَّما يَحْمِلُ على حُبِّ المالِ والشَّرَفِ: الرَّغْبَةُ في الدُّنيا، وإنَّما تَحْصُلُ الرَّغْبَةُ في الدُّنيا مِنِ اتِّباعِ الهوى؛ لأنَّ الهوى داعٍ إلى الرَّغْبَةِ في الدُّنيا وحُبِّ المالِ والشَّرَفِ فيها، والتَّقْوى تَمْنَعُ مِنِ اتِّباعِ الهوى، وتردَعُ عنْ حُبِّ الدُّنيا، قالَ الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧ ـ ٤١].

وقدْ وصَفَ اللهُ أهلَ النَّارِ بالمالِ والسُّلْطانِ في مواضِعَ مِنْ كتابِه العزيز كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥ ـ ٢٩].

واعلَمْ: أنَّ النَّفْسَ تُحِبُّ الرِّفْعَةَ والعُلُوَّ علـى أبناءِ جِنسِها، ومِنْ هنا نشَأَ الكِبْرُ والحسَدُ، ولكنَّ العاقِلَ يُنافِسُ في العُلُوِّ الدَّائمِ الباقي الَّذي فيه رِضْوانُ اللهِ وقُرْبُه وجِوارُه، ويرغَبُ عنِ العُلُوِّ الفاني الزَّائلِ الَّذي يعقُبُه غضَبُ اللهِ وسُخْطُه، وانحِطاطُ العَبْدِ وسُفُولُه[2]، وبُعْدُه عنِ اللهِ، وطَرْدُه عنه، فهذا العُلُوُّ الفاني[3] هوَ الَّذي يُذَمُّ، وهوَ العتو والتَّكبُّرُ في الأرضِ بغيرِ الحقِّ.

وأمَّا العُلُوُّ الأوَّلُ والحِرْصُ عليه فهو محمودٌ، قالَ الله تعالى: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

---

(١) في (ت) و(ف): «الحرام» أخرجه مطولًا: الإمام أحمد في «الزهد» (٢١٧٧) واللفظ له، وابن أبي الدنيا في «الزهد» (١٠٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٤١).

(٢) في (ك) و(ع) و(ز): «سفولته».

(٣) يتصحف إلى: «الثاني».

وقالَ الحسَنُ: إذا رأيتَ الرَّجلَ يُنافِسُكَ في الدُّنيا فنافِسْهُ في الآخرةِ[١].

وقالَ وُهَيبُ بنُ الوَرْدِ: إنِ استطعْتَ أنْ لا يَسبِقَكَ إلى اللهِ عز وجل أحدٌ فافعلْ[٢].

وقالَ محمَّدُ بنُ يوسفَ الأصبَهانيُّ العابِدُ: لوْ أنَّ رجلاً سمِعَ برجلٍ أطْوَعَ للهِ منه أوْ عرَفَه كانَ ينبغي له أنْ يُحْزِنَه ذلكَ[٣].

وقالَ غيرُه: لوْ أنَّ رجلاً سمِعَ برجلٍ أوْ عرَفَ رجلاً أطوعَ لله منه فانصَدَعَ قلبُه، لمْ يكنْ ذلكَ بعَجَبٍ[٤].

وقالَ رجلٌ لمالكِ بنِ دينارٍ: رأيتُ في المنامِ مُنادياً يُنادي: أيُّها النَّاسُ! الرَّحيلَ الرَّحيلَ، فما رأيتُ أحداً يرتحلُ[٥] إلَّا محمَّدَ بنَ واسعٍ. فصاحَ مالكٌ، وغُشِيَ عليه[٦].

ففي درجاتِ الآخرةِ الباقيةِ يُشْرَعُ التَّنافُسُ وطلَبُ العُلُوِّ في منازِلِها، والحِرْصُ على ذلكَ بالسَّعْيِ في أسبابِه، وأنْ لا يَقْنَعَ الإنسانُ فيها بالدُّونِ معَ قُدْرَتِه على العُلُوِّ.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٣٥١)، والإمام أحمد في «الزهد» (١٢١٥، ١٥٢٥، ١٦٣٤)، وابن أبي الدنيا في «الزهد» (٥٣٥)، وفي «ذم الدنيا» (٤٦٥).

(٢) في (ف): «لا يسبقك أحد إلى الله عز وجل». أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٤٠)، وفيه: «إن استطعت أن لا يشغلك عن الله تعالى أحد فافعل» ونقله المزي في «تهذيب الكمال» (٣١/ ١٧٢) والذهبي في «تاريخ الإسلام» (٤/ ٢٤٩) بمثل نقل المصنف. وقال: «هذا على سبيل المبالغة في الاجتهاد وإلا فقد سبق والله السابقون الأولون فضلاً عن الأنبياء المستحيل سبقهم».

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢٣٣).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢٣٣) من نقل محمد بن يوسف عن رجل من أهل البصرة.

(٥) في (ك) و(ع): «يرحل» وفي (ز): «ترحل». والمثبت من (ت) و(ف) موافق للمصدر.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (١٩٠٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٤٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٦/ ١٥٣، ١٥٤)، والذي رأى المنام هو حوشب بن مسلم أحد العباد الزهاد، ومحمد بن واسع هو أبو عبد الله الأزدي البصري أحد أعلام التابعين رحمهم الله تعالى.

وأمَّا العُلُوُّ الفاني المنقطِعُ الَّذي يُعْقِبُ صاحبَه غداً حَسْرةً وندامةً وذِلَّةً وهَواناً وصَغاراً، فهوَ الَّذي يُشْرَعُ الزُّهدُ فيه والإعراضُ عنه.

## [أسباب الزهد في العلو الفاني]

ولِلزُّهدِ فيه أسبابٌ عديدةٌ:

منها: نظَرُ العبدِ إلى سُوءِ عاقبةِ الشَّرَفِ في الدُّنيا بالولايةِ والإمارةِ لِمَنْ لا يؤدي[1] حَقَّها في الآخرةِ.

ومنها: نظَرُ العبدِ إلى عُقوبةِ[2] الظَّالمينَ والمتكبِّرين، ومَنْ يُنازِعُ اللهَ رِداءَ الكِبْرِياءِ[3].

## [وعيد المتكبرين]

وفي «السُّنَنِ» عنِ النَّبيِّ ﷺ أنه قالَ: «يُحْشَرُ المتكبِّرون يومَ القيامةِ أمثالَ الذَّرِّ[4] في صُوَرِ الرِّجالِ، يغشاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كلِّ مكانٍ، يُساقون إلى سِجْنٍ في جهنَّمَ يُسمَّى: «بُولَسُ»[5]، تعلُوهمْ نارُ الأَنْيارِ[6]، يُسْقَونَ مِنْ عُصارةِ أهلِ النَّارِ طِينَةِ الخَبالِ»[7]. وخرَّجه التِّرْمِذِيُّ وغيرُه مِنْ حديثِ عمرو بنِ شُعيبٍ، عنْ أبيهِ، عنْ جدِّه، عنِ النَّبيِّ ﷺ[8].

---

(١) في (ك) و(ز) و(ع): «يؤتي».

(٢) في (ك) و(ع): «عاقبة».

(٣) في (ت): «ينازع الكِبْرَ ذا الكبرياء».

(٤) في حاشية (ع): «صغار النمل».

(٥) في حاشية (ك) و(ع): «بضم الباء وفتح اللام. كذا ضبطه القاموس».

(٦) في حاشية (ك) و(ع): «كأنه جمع نار، والقياس يقتضي أن يقال: الأنوار، لأنه واوي، لكن هكذا جاء في الرواية».

(٧) في حاشية (ع): «بيان للعصارة». وضبطها في (ت): «طينَةَ».

(٨) أخرجه الإمام أحمد (٦٦٧٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٥٧)، والترمذي (٢٤٩٢)، والنسائي في «الكبرى» (١١٨٢٧)، وغيرهم.

وفي روايةٍ لغيرِه مِنْ وَجْهٍ آخرَ: تَطَؤُهُمُ النَّاسُ بأقدامِهِمْ[١].

وفي أخرى: يطؤهم الإنسُ والجِنُّ والدَّوابُّ بأرجُلِها حتَّى يقضِيَ اللهُ بينَ عبادِه[٢].

واستأذَنَ رجلٌ عُمَرَ رضي الله عنه في القَصَصِ على النَّاسِ، فقالَ له: إنِّي أخافُ أنْ تقُصَّ عليهِمْ، فترتفع عليهِمْ في نفسِكَ حتَّى يضعَكَ اللهُ تحتَ أرجلِهِمْ يومَ القيامةِ[٣].

ومنها: نظَرُ العبدِ إلى ثوابِ المتواضعينَ للهِ في الدُّنيا بالرِّفْعَةِ في الآخرةِ، فإنَّه «مَنْ تواضَعَ للهِ رفَعَه اللهُ»[٤].

ومنها: وليسَ هوَ في قُدْرَةِ العبدِ، ولكنَّه مِنْ فضلِ اللهِ ورحمتِه ما يُعَوِّضُ اللهُ عبادَه العارفين به، الزَّاهدين فيما يَفْنى مِنَ المالِ والشَّرَفِ[٥] بما[٦] يُعَجِّلُه اللهُ لهمْ

---

(١) أخرجه البزار (٣٤٢٩ ـ كشف الأستار) من حديث جابر رضي الله عنه ولفظه: يطؤهم الناس. قال البزار: لا نعلمه يُروى عن جابر إلا بهذا الإسناد، والقاسم ـ يعني ابن عبد الله العمري أحد رجاله ـ فليس بالقوي، وقد حدث عنه أهل العلم.

(٢) أخرجه من حديث عوف بن مالك الأشجعي ابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٢٠)، ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ٢٤٦)، وفي (ك) وغيرها: «تطؤهم».

(٣) أخرج نحوه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١١/ ٨٠ ـ ٨١)، من روايات متعددة، في استئذان تميم الداري له رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه بهذا اللفظ البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٧٩٠)، والطبراني في «الأوسط» (٨٣٠٧) من حديث عمر رضي الله عنه مرفوعاً. وقال ذو النون في تفسيره: «من تذلل بالمسكنة والفقر إلى الله رفعه الله يعني بالانقطاع إليه» رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٨٧٩).

(٥) في حاشية (ع): «يتعلق بيعوض، وهو للبدل أو بيان لما يفنى».

(٦) في (ت) و(ف) و(ض): «مما».

في الدُّنيا مِنْ شرَفِ التَّقْوى وهَيْبَةِ الخَلْقِ لهم[١] في الظَّاهِرِ، ومِنْ حلاوةِ المعرفةِ والإيمانِ والطَّاعةِ في الباطِنِ، وهيَ الحياةُ الطَّيِّبةُ الَّتي وعدَها اللهُ لِمَنْ عمِلَ صالحاً مِنْ ذكرٍ أوْ أنثى وهوَ مؤمنٌ[٢]، وهذه الحياةُ الطَّيِّبَةُ لَمْ يذُقْها الملوكُ في الدُّنيا ولا أهلُ الرِّياساتِ والحِرْصِ على الشَّرَفِ؛ كما قالَ إبراهيمُ بنُ أدْهَمَ: لوْ يعلَمُ الملوكُ وأبناءُ الملوكِ ما نحنُ عليه لجالَدونا[٣] عليه بالسُّيوفِ[٤].

ومَنْ رزَقَه اللهُ ذلكَ اشتغَلَ به عنْ طلَبِ الشَّرَفِ الزَّائلِ والرِّياسةِ الفانيةِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]، وقالَ تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

وفي بعضِ الآثارِ: «يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: أنا العزيزُ، فمَنْ أرادَ العِزَّ فلْيُطِعِ العزيزَ»[٥].

---

(١) «لهم» سقطت من (ك) و(ع) و(ز).

(٢) قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

(٣) في (ت) و(ف): «ما نحن فيه لجالدونا»، وفي حاشية (ع): «أي ضاربونا بالسيف، من الجِلاد وهو الضرب بالسيف في القتال».

(٤) أخرجه في قصة أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٣٧٠)، والخطيب البغدادي في «الزهد والرقائق» (١١٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٣٠٣، ٣٦٦).

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٦/ ٥٦٨) وفي «المتفق والمفترق» (١٢٩٣)، ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١١٩) وقال: هذا حديث لا يصح، وسرق بعضهم هذا الحديث فرواه بإسناد آخر، وهو عند الخليلي في «الإرشاد» (٣/ ٩٢١)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٢٠)، والرافعي في «التدوين» (٢/ ٨٦). وذكره المصنف في «لطائف المعارف» في المجلس الثالث في وظائف المحرم، وفي «شرح حديث بعثت بالسيف».

فمن[١] أرادَ عِزَّ الدُّنيا والآخرةِ وشرَفَهما فعليه بالتَّقْوى.

كانَ حجَّاجُ بنُ أَرْطاةَ يقولُ: قتلَني حُبُّ الشَّرَفِ، فقالَ له سَوَّارٌ: لوِ اتَّقَيْتَ اللهَ شرُفْتَ[٢].

وفي هذا المعنى يقولُ القائلُ:

أَلَا إنَّما التَّقْوى هيَ العِزُّ والكَرَمْ وحُبُّكَ للدُّنيا هوَ الذُّلُّ والسَّقَمْ

وليسَ على عبدٍ تقيٍّ نقيصةٌ إذا حقَّقَ التَّقوى وإنْ حاكَ أوْ حجَمْ[٣]

قالَ صالحٌ النَّاجي: الطَّاعةُ إِمْرَةٌ، والمطيعُ للهِ أميرٌ مؤمَّرٌ على الأمراءِ، ألا ترى هيبته[٤] في صُدورهِمْ، إنْ قالَ قَبِلوا، وإنْ أمَرَ أطاعوا.

ثمَّ[٥] قالَ صالحٌ: يحِقُّ لِمَنْ أحسن[٦] خِدْمَتَكَ ومَنَنْتَ[٧] عليه بمحبَّتِكَ أنْ تُذَلِّلَ[٨] له الجبابرةَ حتَّى يهابوه، لِهَيْبَتُهُ في صُدورِهِمْ مِنْ هَيْبَتِكَ في قلبِه، وكلُّ الخَيْرِ مِنْ عندكَ لأوليائك[٩].

---

(١) في (ك) و(ع) و(ز): «ومن».

(٢) ذكره عن حجاج: الإمام أحمد في رواية الميموني «العلل» (٤٩٢)، والعقيلي في «الضعفاء» (١/ ٢٨٢). وقول سوار له في «أخبار القضاة» لوكيع (٢/ ٥٠ المكتبة التجارية الكبرى). وضبط في (ت): «شُرِّفت».

(٣) البيتان لأبي العتاهية، كما في «ديوانه» (٣٩٤)، إلا أن فيهما: «العدم» بدل «السقم»، و«صحح» بدل «حقق».

(٤) المثبت من (ت) و(ف) و(ض) موافقاً للمصدر، وفي سائر النسخ: «هيبة الله».

(٥) في (ت) و(ف) و(ض): «يقول».

(٦) في (ك) و(ز) و(ع): «نحسن».

(٧) في حاشية (ف): «وثَبَّتَّ». وهي في صلب (ت)، وكتب في حاشيتها: لعله: «ومَنَنْتَ».

(٨) في (ف): «تذلَّ».

(٩) في (ت) و(ف) و(ك) و(ض): «بأوليائك»، والأثر: أخرجه الختلي في «المحبة لله» (١٧٢).

وقالَ بعضُ السَّلَفِ الصَّالحِ: مَنْ أسعدُ بالطَّاعةِ مِنْ مُطيعٍ؟! ألا وكلُّ الخَيْرِ في الطَّاعةِ، ألا وإنَّ المطيعَ للهِ ملِكٌ في الدُّنيا والآخرةِ[١].

وقالَ ذو النُّونِ: مَنْ أكرمُ وأعَزُّ[٢] مِمَّنِ انقطَعَ إلى مَنْ مُلْكُ الأشياءِ بيدِه؟![٣]

دخَلَ محمَّدُ بنُ سليمانَ أميرُ البصرةِ على حمَّادِ بنِ سلَمَةَ، فقعَدَ[٤] بينَ يديه يسألُه، فقالَ له: يا أبا سلَمَةَ! ما لي كُلَّما نظَرْتُ إليكَ ارتعدتُّ فَرَقاً[٥] منكَ؟ فقالَ: إنَّ[٦] العالِمَ إذا أرادَ بعِلْمِه وَجْهَ اللهِ خافَهُ كلُّ شيءٍ، وإنْ أرادَ أنْ يكتنِزَ به الكنوزَ خافَ مِنْ كُلِّ شيءٍ[٧].

ومِنْ هذا قولُ بعضِهِمْ: على قَدْرِ هَيْبَتِكَ للهِ يهابُكَ[٨] الخَلْقُ، وعلى قَدْرِ محبَّتِكَ للهِ يُحِبُّكَ الخَلْقُ، وعلى قَدْرِ اشتغالِكَ باللهِ يشتغِلُ الخَلْقُ بأشغالِكَ[٩].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٢٤٨) من كلام رجل من أهل الشام اسمه: أمية، وكان يدخل الطواف، فيأخذ في النحيب والبكاء، وربما سقط مغشياً عليه.

(٢) من (ت) و(ف) و(ض) موافقاً للمصدر، وفي سائر النسخ: «أعز وأكرم».

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧/ ٤٢١).

(٤) في (ت) و(ف) و(ض): «وقعد».

(٥) في حاشية (ع): «أي خوفاً».

(٦) في (ت) و(ف) و(ض): «قال لأن».

(٧) أخرجه الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي» (١/ ٣٦٢)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٣/ ١٣٣). وجواب السؤال عندهما مرفوع من حديث أنس رضي الله عنه، وفيه: «هابه» بدل «خافه» و«هاب» بدل «خاف».

(٨) في (ت) و(ف) و(ض): «يخافك».

(٩) ورد هذا المعنى عن جماعة من السلف:

أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٤٨)، والسلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ١١١) من =

وكانَ عمرُ بنُ الخطَّابِ رضي الله عنه يوماً يمشي ووراءَه قومٌ مِنْ أكابرِ المهاجرينَ، فالتفتَ فرآهُمْ، فخرُّوا على رُكَبِهِمْ هَيْبَةً له[١]، فبكى عمرُ وقالَ: اللَّهُمَّ إنَّكَ تعلَمُ أنِّي أخوفُ لكَ منهمْ لي[٢].

وكانَ العُمَرِيُّ الزَّاهدُ قدْ خرَجَ إلى الكوفةِ إلى الرَّشيدِ لِيَعِظَه وينهاه، فوَقَعَ الرُّعْبُ في عسكرِ الرَّشيدِ لَمَّا سمِعوا بنزولِه حتَّى لوْ نزَلَ بهمْ عدوٌّ مائةَ ألفِ نَفْسٍ لَمَا زادوا على ذلكَ[٣].

وكانَ الحسنُ لا يستطيعُ أحدٌ أنْ يسألَه مِنْ هَيْبَتِه، وكانَ خواصُّ أصحابِه يجتمعونَ، ويطلُبُ بعضُهُمْ مِنْ بعضٍ أنْ يسألوه عنِ المسألةِ، فإذا حضَروا مَجْلِسَه

---

= كلام يحيى بن معاذ الرازي، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧٤/ ٢٣٠)، وابن الجوزي في «القصاص والمذكرين» (١٣٥)، من كلام يوسف بن الحسين الرازي، والقطعة الأولى منه أخرجها أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١١٠) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٨/ ٤٠٦) من كلام الفضيل بن عياض.

(١) في حاشية (ك) و(ع): «جواز الخرور على الرُّكب».
قلت: ليس في هذا الأثر أنه كان اختياراً حتى يكون جائزاً، وإنما هو اضطرار حصل معهم للهيبة، والله أعلم.

(٢) عن القاسم بن محمد قال: بينما عمر يمشي وخلفه عدة من أصحاب رسول الله ﷺ إذ بدا له، فالتفت، فإن بقي منهم أحد إلا وجب لركبتيه ساقطاً. قال: فأرسل عينيه، فبكى، ثم قال: «اللهم تعلم أني منك أشد فرقاً منهم مني».
أخرجه ابن شبَّة في «تاريخ المدينة» (٢/ ٦٨١). ونقله ابن الجوزي في «مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» (ص: ١٢٩).

(٣) أورده ابن الجوزي في «المنتظم» (٩/ ١٠٠). والعمري هو عبد الله بن عبد العزيز العمري، المتوفى سنة ١٨٤ رحمه الله تعالى.

لـم يجتـرؤوا على سُـؤالِه حتَّـى رُبَّمـا مكثوا على ذلكَ سـنةً كاملـةً هَيْبَـةً له[1].

وكذلكَ كانَ مالكُ بنُ أنسٍ ـ رحِمَهُ اللهُ ـ يُهابُ أنْ يُسْأَلَ، حتَّى قالَ فيه القائلُ:

يــدَعُ الجــوابَ فـلا[2] يُراجَــعُ هَيْبَةً ... والسَّائلــون نـواكِـسُ الأذْقـانِ

نـورُ الوَقـارِ وعِـزُّ سُلْطـانِ التُّـقـى ... فهو المَـهيبُ[3] وليـسَ ذا سُـلْطانِ[4]

قالَ بُدَيلٌ العُقَيليُّ: مَنْ أرادَ بعَمَلِه[5] وجْهَ اللهِ أقبَلَ اللهُ عليه بوجْهِه، وأقبَلَ بقلوبِ العِبادِ إليه، ومَنْ عمِلَ لغيرِ اللهِ صرَفَ اللهُ وجهَه عنه، وصرَفَ قلوبَ العِبادِ عنه[6].

وقالَ محمَّدُ بنُ واسعٍ: إذا أقبَلَ العبدُ بقلبِه على اللهِ أقبَلَ اللهُ بقلوبِ المؤمنين إليه[7].

---

(١) قال أيوب السختياني: لقد جالست الحسن أربع سنين فما سألته هيبة له. «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٣/ ١١).

(٢) في (ع) و(ز) و(ض): «ولا».

(٣) في (ع): «المهاب».

(٤) بيتان مشهوران في وصف إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله.
ينسبان لبعض المدنيين كما في «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٦/ ٣١٨).
ونسب لعبد الله بن سالم الخياط في «الأخبار الموفقيات» للزبير بن بكار، و«الانتقاء» لابن عبد البر (ص: ٤٥)، و«الجامع لأخلاق الراوي» (١/ ١٨٤) وغيرها.
ولسعيد بن وهب في «المحدث الفاصل» (ص: ٢٤٧) للرامهرمزي.
ولمصعب بن عبد الله في «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٨/ ١١٣).
ولعبد الله بن المبارك في «منازل الأئمة الأربعة» للسلماسي (ص: ١٨٢).
ولسفيان الثوري في «ترتيب المدارك» للقاضي عياض (٢/ ٣٤).

(٥) في (ز): «بعلمه». وهي كذلك في المطبوع من «حلية الأولياء»!.

(٦) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٦٢).

(٧) المثبت من (ز) وحدها، وهو الموافق للمصادر. وفي سائر النسخ: «أقبل الله عليه بقلوب المؤمنين». =

وقالَ أبو يزيدَ البُسْطامِيُّ: طلَّقْتُ الدُّنيا ثلاثاً بتاتاً[١] لا رَجْعَةَ لي فيها، وصِرْتُ إلى ربِّي وحْدي، فناديتُه بالاستغاثةِ: إلهي! أدعوكَ دُعاءَ مَنْ لم يَبْقَ له غيرُكَ. فلمَّا عرَفَ صِدْقَ الدُّعاءِ مِنْ قلبي، واليأسَ مِنْ نفْسي كانَ أوَّلُ ما ورَدَ عليَّ مِنْ إجابةِ هذا الدُّعاءِ أنْ أنساني نفْسي بالكُلِّيَّةِ، ونصَبَ الخلائقَ بينَ يديَّ معَ إعراضِي عنهمْ[٢].

وكانَ يُزارُ مِنَ البُلْدانِ، فلمَّا رأى ازدحامَ النَّاسِ عليه قالَ:

| | |
|---|---|
| والَيْتَنِي صِرتُ شيئاً | مِنْ غيرِ شيءٍ أُعَدُّ |
| أصبحْتُ للكُلِّ مولىً | لأنَّنِي لكَ عبدُ |
| وفي الفُؤادِ أمورٌ | ما تُسْتَطَاعُ تُعَدُّ |
| لكنَّ كِتْمانَ حالي | أحقُّ بي وأسَدُّ[٣] |

كتَبَ وهْبُ بنُ مُنبِّهٍ[٤] إلى مَكحولٍ: أمَّا بعدُ، فإنك قد أصبْتَ بظاهرِ عِلْمِكَ عند النَّاسِ شرَفاً ومنزِلةً، فاطلُبْ بباطِنِ عِلْمِكَ عندَ اللهِ منزِلةً وزُلفى، واعلَمْ أنَّ إحدى المنزلتين تمنَعُ مِنَ الأخرى[٥].

---

= أخرجه الختلي في «المحبة لله» (ص: ٧٣)، وابن أبي الدنيا في «الإخلاص والنية» (١٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٤٥)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٧٩٨).

(١) في (ك) و(ع) و(ز): «بتًّا».

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٦).

(٣) ذكر المصنف بيتين من هذه الأبيات في «اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى»، ولم أجدهما عند غيره.

(٤) الذي في «الحلية»: وهيب بن الورد!

(٥) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٥٩) من كلام وهيب لأخ له، وفي «البصائر والذخائر» (٥/ ١٢) مما كتب طاوس إلى مكحول، وأورده الزمخشري في «ربيع الأبرار» (٤/ ٢٩)، مما كتبه وهب لمكحول، وذكر المصنف نحوه في «شرح حديث أبي الدرداء».

ومعنى هذا:

أنَّ العِلْمَ الظَّاهرَ مِنْ تعلُّمِ[1] الشَّرائِعِ والأحكامِ والفتاوى والقَصَصِ والوَعْظِ ونحوِ ذلكَ ممَّا يظهَرُ للنَّاسِ: يحصُلُ به لصاحبِه عندهمْ منزلةٌ وشرَفٌ، والعِلْمَ الباطنَ المودَعَ في القلوبِ مِنْ معرفةِ اللهِ وخَشْيَتِه ومحبَّتِه ومُراقبَتِه، والأُنْسِ به، والشَّوْقِ إلى لقائِه، والتَّوكُّلِ عليه، والرِّضى بقضائِه، والإعراضِ عنْ عرَضِ الدُّنيا الفاني، والإقبالِ على جَوْهَرِ الآخرةِ الباقي: كلُّ هذا يُوجِبُ لصاحبِه عندَ اللهِ منزلةً وزُلفى، وإحدى المنزلتَينِ تمنَعُ مِنَ الأُخرى، فمَنْ وقَفَ معَ منزلتِه عندَ الخَلْقِ واشتغَلَ بما حصَلَ له عندهمْ بعِلْمِه[2] الظَّاهرِ مِنْ شرَفِ الدُّنيا، وكانَ همُّه حِفْظَ هذه المنزلةِ عندَ الخَلْقِ ومُداراتَها[3] وتزيينَها[4] والخوفَ مِنْ زوالِها، كانَ ذلكَ حظُّهُ مِنَ اللهِ، وانقطَعَ به عنه، فهوَ كما قالَ بعضُهمْ: ويلٌ لِمَنْ كانَ حظُّه مِنَ اللهِ الدُّنيا[5].

وكانَ سَرِيٌّ السَّقَطِيُّ يَعْجَبُ مِمَّا[6] يرى مِنْ عِلْمِ الجنيدِ، وحُسْنِ خِطابِه، وسُرْعةِ جوابِه، فقالَ له يوماً وقدْ سألَه عنْ مسألةٍ، فأجابَ وأصابَ: أخشى أنْ يكونَ حظُّكَ مِنَ اللهِ لسانَكَ، فكانَ الجنيدُ لا يزالُ يبكي خوفا[7] مِنْ هذه الكلمةِ[8].

---

(١) في (ت) و(ف): «ممن يعلم».

(٢) في (ت) و(ف) و(ض): «بعلم».

(٣) في (ت) و(ف) و(ك): «ومراتبها».

(٤) في (ت) و(ف): «وتربيتها».

(٥) أخرجه أبو الشيخ في «طبقات المحدثين بأصبهان» (٢/ ٢٣، ٢٤، ٢١٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢٣١) (١٠/ ٣٨٩)، وفي «أخبار أصبهان» (٢/ ١٤٣) ولفظهم: «لقد خاب...»، والشجري في «ترتيب الأمالي الخميسية» (٢/ ٢٣٠) من كلام محمد بن يوسف الأصبهاني رحمه الله تعالى.

(٦) في (ز): «بما».

(٧) سقطت هذه الكلمة من (ت) و(ف) و(ض).

(٨) أخرجه القشيري في «الرسالة القشيرية» (١/ ٣١٣). وأبو عثمان البحيري في «التاسع من فوائده» =

ومَنِ اشتغَلَ بتربيةِ[1] منزلَتِه عندَ اللهِ بما ذكَرْنا مِنَ العِلْمِ الباطنِ وصَلَ إلى اللهِ، فاشتغَلَ به عمَّا سواه، وكانَ له في ذلكَ شُغُلٌ عنْ طلَبِ المنزلةِ عندَ الخَلْقِ، ومعَ هذا فإنَّ اللهَ يُعْطيه المنزلةَ في قلوبِ الخَلْقِ، والشَّرَفَ عندهمْ، وإنْ كانَ لا يُريدُ ذلكَ، ولا يقِفُ معه، بلْ يهرُبُ منه أشدَّ الهرَبِ، ويفِرُّ أشَدَّ الفِرارِ؛ خَشْيَةَ أنْ يقطعَهُ الخَلْقُ عنِ الحقِّ جل جلاله، قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، أيْ: في قلوبِ عبادِه.

وحديثُ: «إنَّ اللهَ إذا أحبَّ عَبْداً نادى جبريلَ[2]: إنِّي أُحِبُّ فلاناً فأحِبَّه[3]. فيُحِبُّه جبريلُ، ثمَّ يُحِبُّه أهلُ السَّماءِ، ثمَّ يُوضَعُ له القَبولُ في الأرضِ». معروفٌ، وهوَ مُخَرَّجٌ في «الصَّحيحِ»[4].

وبكلِّ حالٍ، فطلَبُ الآخرةِ يحصُلُ معه شرَفُ الدُّنيا وإنْ لمْ يُرِدْهُ صاحبُه ولمْ يطلُبْه، وطلَبُ شرَفِ الدُّنيا يمنَعُ شرَفَ الآخرةِ، ولا يجتمِعُ معه[5]، والسَّعيدُ مَنْ آثَرَ الباقيَ على الفاني؛ كما في حديثِ أبي موسى، عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «مَنْ أحبَّ دنياهُ أضرَّ بآخرتِه، ومَنْ أحَبَّ آخرَتَه أضرَّ بدُنياهُ، فآثِروا ما يبقى على ما يَفنى». خرَّجَه الإمامُ أحمدُ وغيرُه[6].

---

= (مخطوط)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٨/ ١٦٨). والجنيد كان في السابعة من عمره!.

(١) في (ت) و(ف): «بتربيته».

(٢) في (ت) و(ف): «يا جبريل».

(٣) «فأحبه»: لا توجد في (ت) و(ف) و(ض).

(٤) أخرجه البخاري (٧٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) في (ف) و(ض): «وطلب شرف الدنيا مع شرف الآخرة، لا يجتمع معه».

(٦) أخرجه الإمام أحمد (١٩٦٩٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٠٩)، والحاكم (٤/ ٣١٩) وصححه.

وما أحسنَ ما قالَ أبو الفتحِ البُسْتِيُّ الشَّاعرُ[1]:

أمرانِ مُفْتَرِقانِ لستَ تراهما ... يَتَشَوَّفانِ[2] لخِلْطَةٍ وتلاقِ

طلَبُ المعادِ معَ الرِّياسةِ والعُلى ... فدَعِ الَّذي يفنى لِمَا هوَ باقِ[3]

وهذا آخِرُ الكلامِ على حديثِ: «ما ذئبانِ جائعانِ أُرْسلا في غنمٍ بأفسدَ لها مِنْ حِرْصِ المرءِ على المالِ والشَّرَفِ لدينه» لأبي الفرَجِ عبدِ الرَّحمنِ بنِ أحمدَ بنِ رجبٍ البَغْداديِّ الحنبليِّ نزيلِ دمشقَ رضي الله عنه، ونفعَنا والمسلمينَ بعلومِه وبرَكَتِه[4].

* * *

(١) سقط هذا الوصف من (ك) و(ع) و(ض).

(٢) في (ز): «يتشوقان».

(٣) أورد البيتين ابن الصلاح في «طبقات الفقهاء الشافعية» (٢/ ٦٤٦)، وهما مما يُستدرك على ديوانه، كما ذكر محقق الطبقات.

(٤) لا توجد هذه الخاتمة في (ف) و(ض) وهي ثابتة في (ك) و(ز) و(ع).

وفي (ت): «وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين» وفي حاشيتها: «بلغ مقابلة بحمد الله وعونه».

وفي (ف) مثل ما في (ت) بزيادة أوله: «تم والحمد لله وحده».

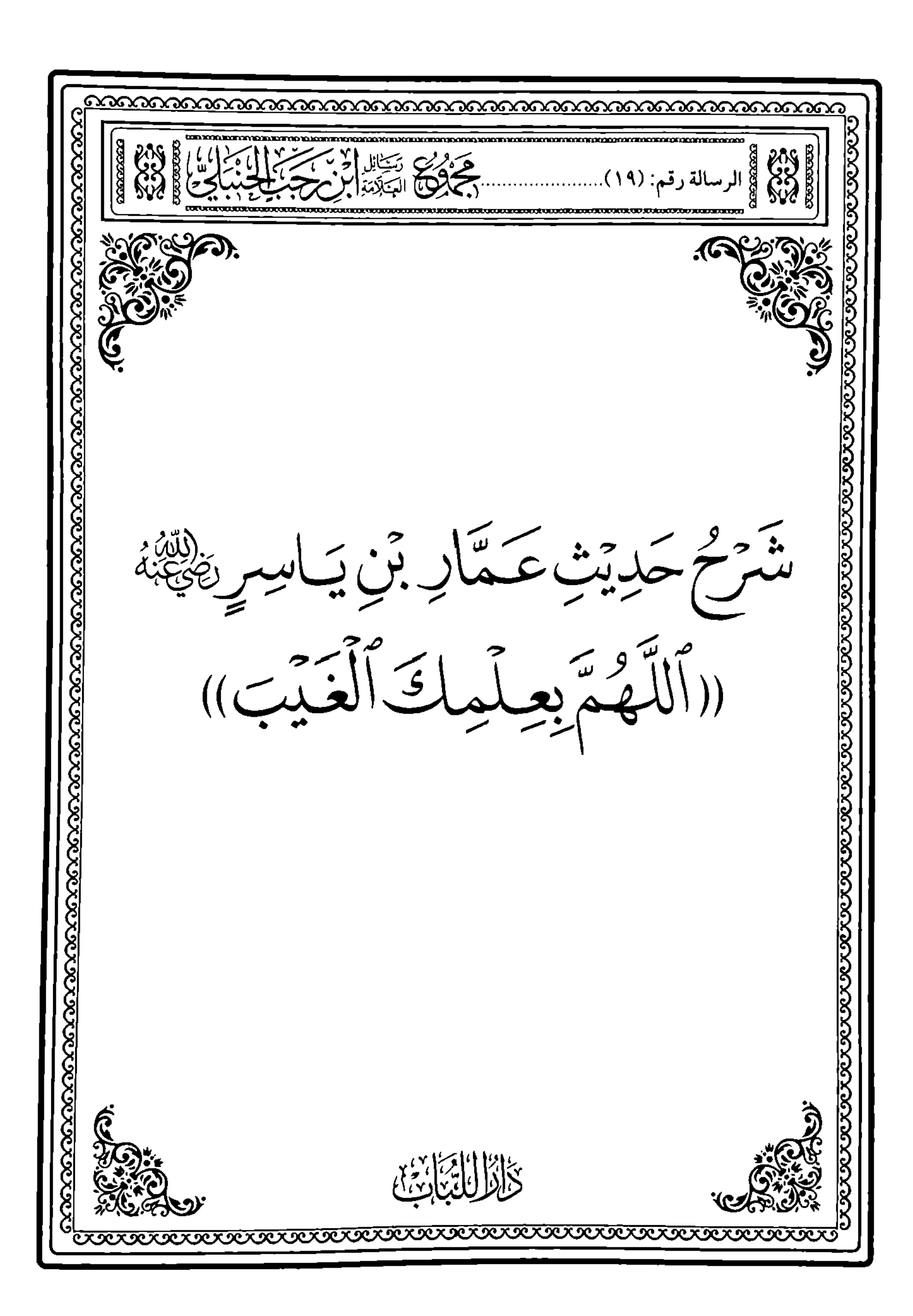
وفي (ز): آمينَ، وكانَ الفراغُ مِنْ نسخِه في أواخرِ شهرِ رمضانَ المعظَّمِ قَدْرُه وحُرْمَتُه مِنْ شهورِ سنةِ اثنينِ وعشرينَ وألفٍ، على يدِ العبدِ الفقيرِ أحمدَ بنِ المرحومِ منصورٍ المعروفِ بابنِ حَيّونَ البرلسي المالكيِّ، غفَرَ اللهُ ولوالديه، ولجميعِ المسلمينَ. آمينَ.

وفي (ع): «وقع الفراغ من نسخه على يد الفقير خير الله محمد بن عثمان بن سفيان بن مراد خان خصه الله وأسلافه بالرفد والإحسان في ١١ يوم الأحد من جمادى الآخرة لسنة ١١١٨.

ثم بعد برهة طالعته ثانياً وصححته، فصحَّ إن شاء الله تعالى. كتبه العبد خير الله محمد».

وفي (ض): «والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».



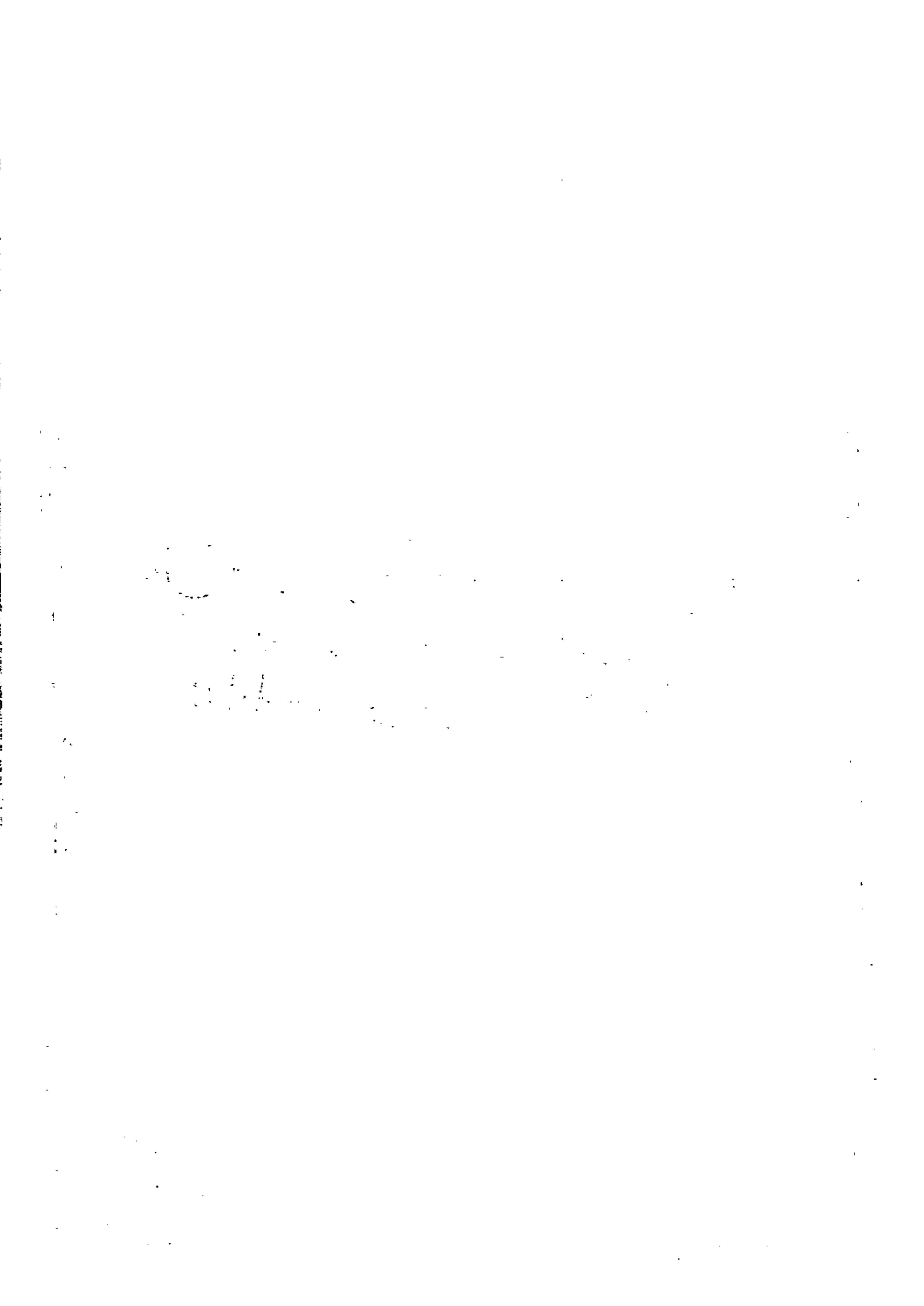




# شرح حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه

# «اللهم بعلمك الغيب»

دار اللباب



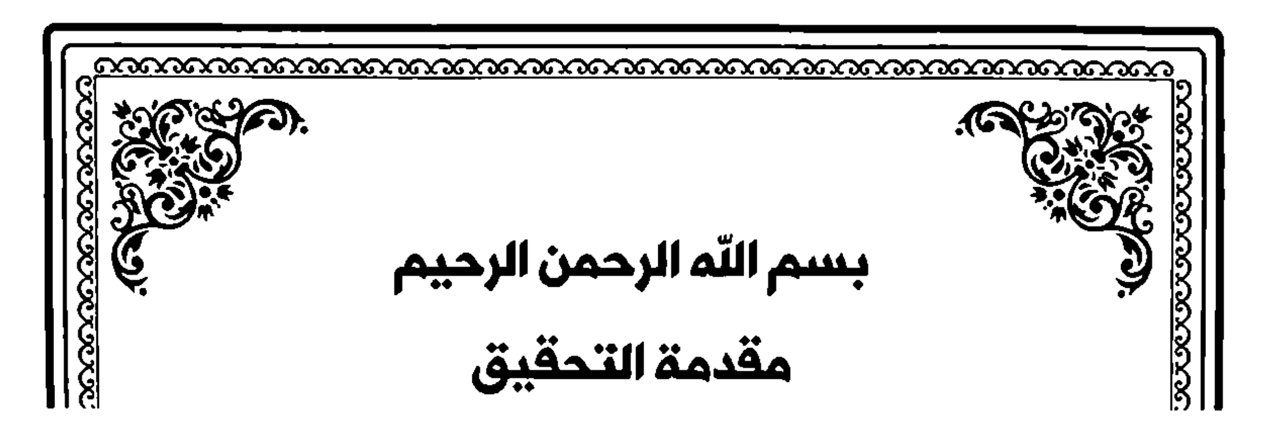
دار الكتب الوطنية بتونس (ت)

مكتبة الفاتح في اسطنبول (ف)

مكتبة الرياض العامة (س)

مكتبة جامعة الرياض (ر)





## بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة التحقيق

الحمد لله عالم الغيب والشهادة، المنعم على المؤمنين بالحسنى وزيادة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الهادي إلى التوحيد وحسن العبادة، وعلى آله وصحبه ذوي الشرف والسيادة، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم اللقاء في دار السعادة.

**أما بعد:**

فهذا الشرح للدعاء الذي تضمنه حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه هو صنو «شرح حديث زيد بن ثابت» و«شرح حديث شداد بن أوس»، وقد تضمنت هذه الأحاديث الشريفة جملاً من الأدعية الجامعة، فمعرفة معاني الدعاء معينة على حضور القلب فيه.

وقد استفتح الحافظ ابن رجب رحمه الله شرحه هذا ببيان نوعين للدعاء:

ـ فمنه دعاء العبد بخير محض، كسؤاله الخير في أمر دينه وآخرته، فهذا يجزمُ العبدُ بطلبه وسؤاله بدون تردد أو تعليق.

ـ ومنه دعاء العبد بما لا يعلم حقيقة الخير فيه من شؤون الدنيا وأحوالها التي تُجهل عواقبها، فهذا ينبغي للعبد أن يدعو الله تعالى بما يعلمُ سبحانه الخيرَ فيه.

وهذا مستفاد من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه الذي تضمن النوعين، ففيه: «أحيني ما علمتَ الحياةَ خيراً لي»، وفيه «اللهم إني أسألك خشيتك».

فسأل الخير الذي يعلمه الله تعالى في الأول، وجزم بالدعاء في الثاني.

فلذلك لا ينبغي للعبد أن يدعو على نفسه بالموت لأنه لا يعلم وجه الخير فيه أو في الحياة.

وإذا كان العبد يتحرى في دعائه أن يطلب الخيرة من الله فيما لا يعلم العبدُ الخيرَ فيه، فمن باب أولى أن لا يدعو الإنسان بما يعلم الشر والسوء فيه.

كما قال الحق عز وجل ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١] فيدعو الإنسان عند الغضب على نفسه بالموت أو الهلاك، أو يدعو على ولده بالشر واللعن، وهو نفسه عند رضاه يدعو لنفسه بما طال فيه أمله من الدنيا، ويدعو لولده وماله.

فلو استجيب للعبد في الشر كما يأمل أن يستجاب له في الخير لهلك، قال سبحانه: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ [يونس: ١١].

اللهم: إنا نسألك من خير ما تعلم، ونعوذ بك من شر ما تعلم، إنك أنت الأعز الأكرم.

* * *

ذكر هذا الشرح للمصنف: ابن عبد الهادي في «الجوهر المنضد» (ص: ٥٠)، وذكره الروداني في «صلة الخلف» (ص: ٢٧٦)، والسفاريني في «شرح ثلاثيات الإمام أحمد» (١/ ٤٧٠)، ونقل منه أول كلامه في هذا الجزء، وذكره الكتاني في «فهرس الفهارس» (٢/ ٦٣٦).

* * *

واعتمدت في إخراجه على خمس نسخ خطية:

**النسخة الأولى: النسخة التونسية، ورمزها (ت).**

وهي في ضمن مجموع (١٥٧) وقد تقدم وصفه في المقدمات، وهي الرسالة الثالثة عشرة منه، وهي في (١٠) لوحات (من ١٣٣/ ب إلى ١٤٢/ أ) وفيها خرم نبهت عليه في موضعه في اللوحة (١٣٦) بين [أ] و[ب] منها.

لم يذكر اسم الناسخ. وإحدى رسائل المجموع نسخت سنة ٨٥٢.

**النسخة الثانية: نسخة مكتبة الفاتح في اصطنبول، ورمزها (ف).**

وهي في ضمن المجموع (٥٣١٨) وقد تقدم وصفه في المقدمات وهي الرسالة السابعة منه، وتقع في (١٩) لوحة، (من ١٢١/ أ إلى ١٣٩/ أ).

ناسخ المجموع: عيسى بن علي بن محمد الحوراني الشافعي في سنة ٨٩٣.

**النسخة الثالثة: نسخة مكتبة الرياض العامة السعودية، ورمزها (س).**

وهي في ضمن مجموع برقم (٥٢٧/ ٨٦) من وقف الشيخ محمد بن عبد اللطيف، وهي الرسالة الأولى منه، وهي ملفقة من نسختين بخطين مختلفين، وآخرها مكرر بين النسخة الأولى والثانية، وفيها أخطاء كثيرة، وتقع في (٨) لوحات من أول المجموع.

لم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، وهي من خطوط القرن الرابع عشر، فإحدى رسائل المجموع مؤرخة بـ١٣٣٣، وأخرى مؤرخة بـ ١٣٥٦.

**النسخة الرابعة: نسخة مكتبة جامعة الرياض، ورمزها (ر).**

وهي في ضمن مجموع برقم (١٨١٧)، وهي الرسالة الثانية منه، وتقع في (١١)

لوحة (من ١١/أ إلى ٢١/ب)، وهي بخط: عبد المحسن بن عبيد بن عبد المحسن في سنة ١٣٦١، وقد نقلها من خط أبي عمر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن سليم.

**النسخة الخامسة: نسخة رئاسة الشؤون الدينية التركية، ورمزها (ك).**

وهي في ضمن مجموع (١٩٢٠)، وهي مختصر للكتاب في صفحتين ونصف صفحة.

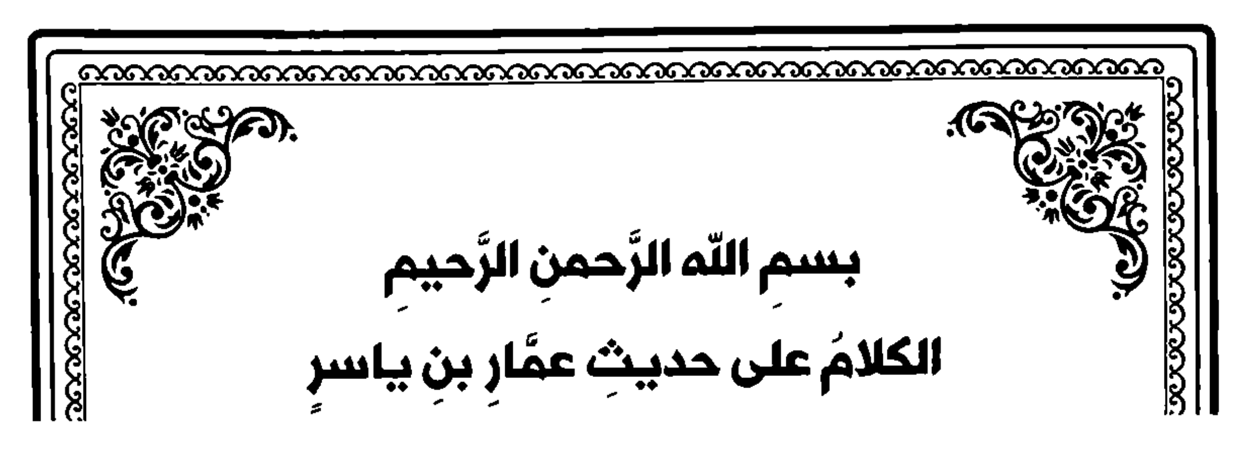
**وثمة نسخة في جامعة ييل** ـ لم نقابل بها ـ لتأخرها، فعليها قيد مقابلة مؤرخ برجب ١٢٥٥، وهي يمانية، (١٣) لوحة ضمن مجموع فيه رسائل لابن رجب وبعض الرسائل للشوكاني بخطه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

**محمد مجير الخطيب الحسني**

* * *




خرَّجَ الإمامُ أحمدُ والنَّسائيُّ مِن حديثِ عمَّارِ بنِ ياسرٍ رضي الله عنه، أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يدعو بهؤلاءِ الدَّعواتِ[1]: «اللهمَّ بعِلمِكَ الغيبَ، وقُدرتِكَ على الخَلقِ، أحيِني ما علِمتَ الحياةَ خيراً لي، وتوفَّني إذا علِمتَ الوفاةَ خيراً لي، اللهمَّ إنِّي أسألُكَ خشيتَكَ في الغيبِ والشَّهادةِ، وكلمةَ الحقِّ في الغضَبِ والرِّضا[2]، والقصدَ في الفقرِ والغِنى، وأسألُك نعيماً لا ينفَدُ، وقُرَّةَ عينٍ لا تنقطِعُ، وأسألُكَ الرِّضا بعد القضا، وبردَ العيشِ بعد الموتِ، وأسألُك لذَّةَ النَّظرِ[3] إلى وَجهِك، والشَّوقَ إلى لقائِك، في[4] غيرِ ضَرَّاءَ مُضرَّةٍ ولا فِتنةٍ مُضِلَّةٍ، اللهمَّ زيِّنَّا بزينةِ الإيمانِ، واجعلنا هُداةً مُهتدينَ»[5].

---

(١) في (ك): «الكلمات».

(٢) في (ك): «الرضا والغضب». وفي (س): «واسألك القصد».

(٣) في (س): «ولذة».

(٤) في (س) و(ك): «من»، وفي «مسند الإمام أحمد»: «وأعوذ بك».

(٥) أخرجه الإمام أحمد (١٨٣٢٥)، والنسائي في «الصغرى» (١٣٠٥) (١٣٠٦)، وفي «الكبرى» (١٢٢٩) (١٢٣٠). وسبب رواية الحديث أن عماراً رضي الله عنه صلى بالقوم صلاة أخفها، فكأنهم أنكروها، قال: ألم أتم الركوع والسجود؟ قالوا: بلى. قال أما إني دعوت فيها بدعاء كان النبي ﷺ يدعو به.

اعلَم أنَّ الحاجاتِ التي يطلبُها العبدُ مِن اللهِ عزَّ وجلَّ نوعان:

أحدُهما: ما عُلِمَ[١] أنَّه خيرٌ محضٌ، كسُؤالِه خشيتَه مِن اللهِ تعالى وطاعتَه وتقواه، أو سؤالِه الجنَّةَ، والاستعاذةَ به مِن النَّارِ، فهذا يُطلَبُ مِن اللهِ بغيرِ تردُّدٍ ولا تعليقٍ بالعلمِ بالمَصلحةِ، لأنَّه خيرٌ محضٌ ومصلحةٌ خالصةٌ، فلا وجهَ لتَعليقِه بشرطٍ هو معلومُ الحُصولِ، وكذلك لا يُعلَّقُ بمَشيئةِ اللهِ عزَّ وجلَّ؛ لأنَّ اللهَ لا يفعلُ إلَّا ما يشاءُ ولا مُكرِهَ له[٢]، فلا فائدةَ في تعليقِه بمشيئتِه، ولكن ليجزمِ المسألةَ كما قالَ النَّبيُّ ﷺ: «لا يقُلْ أحدُكُم: اللهمَّ اغفِر لي إن شئتَ، ولكن ليَعزمِ المسألةَ، فإنَّ اللهَ لا مُستكرِهَ له» خرَّجاه مِن حديثِ أنسٍ[٣] وأبي هريرةَ[٤] بمَعناه.

وفي روايةٍ لِمُسلمٍ: «ولكن ليَعزمِ المسألةَ، وليُعظِّمِ الرَّغبةَ فإنَّ اللهَ لا يَتعاظَمُه شيءٌ»[٥].

وفي روايةٍ للبُخاريِّ: «إنَّه يفعلُ ما يشاءُ لا مُكرِهَ له»[٦].

النَّوعُ الثَّاني: ما لا يعلمُ هل هو خيرةٌ للعبدِ أم لا كالموتِ والحياةِ، والغِنى والفقرِ، والولَدِ والأهلِ، وكسائرِ حوائجِ الدُّنيا التي تُجهَلُ عواقِبُها، فهذه لا يَنبغي أن يُسألَ اللهُ فيها إلا مَا يَعلمُ فيه الخيرةَ للعبدِ فإنَّ العبدَ جاهلٌ بعواقبِ الأمورِ، وهو مع هذا عاجزٌ عن تحصيلِ مَصالحِه ودفعِ مَضارِّه، فيتعيَّنُ عليه أن يسألَ حوائجَه مَن

---

(١) في (ف): «أعلم به».

(٢) في (س): «لأن الله يفعل ما يشاء».

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٣٨)، ومسلم (٢٦٧٨).

(٤) أخرجه البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩).

(٥) وهي من حديث أبي هريرة السابق ذكره.

(٦) من حديث أبي هريرة (٧٤٧٧).

هو عالمٌ قادرٌ، ولهذا شُرِعَتِ الاستخارةُ في الأمورِ الدُّنيويَّةِ كلِّها، وشرعَ أن يقولَ الدَّاعي في استخارتِه: «اللهمَّ إنِّي أستخيرُكَ بعِلمِكَ، وأستَقدِرُكَ بقُدرَتِكَ، وأسأَلُكَ مِن فضلِكَ العَظيمِ، فإنَّك تعلَمُ ولا أعلَمُ، وتقدِرُ ولا أقدِرُ، وأنت علَّامُ الغُيوبِ، ثمَّ يقولَ: اللهمَّ إن كنتَ تعلَمُ أنَّ هذا الأمرَ ـ ويسمِّيه باسمِه ـ خيرٌ لي في دِيني ودُنيايَ...»[1] وكذلك في هذا الدُّعاءِ يسألُ اللهَ بعِلمِه الغيبَ وقُدرتِه على الخلقِ ما يَعلمُ له فيه الخيرةَ مِن موتٍ أو حياةٍ.

وقد تضمَّنَ الدُّعاءُ الذي في هذا الحديثِ النَّوعينِ معاً؛ فإنَّه لَمَّا سألَ الموتَ والحياةَ قيَّدَ ذلك بما يعلمُ اللهُ فيه الخِيرةَ لعبدِه، ولَمَّا سألَ الخشيةَ وما بعدَها ممَّا هو خيرٌ صِرفٌ جَزَم بِهِ ولم يُقيِّدْه بشيءٍ.

وفي «الصَّحيحينِ»، عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «لا يتمنَّينَّ أحدُكمُ الموتَ لضرٍّ نزلَ به، فإن كان لا بدَّ فاعلاً فليَقُلِ: اللهمَّ أحيِني ما علمتَ الحياةَ خَيْراً لي، وتوفَّنِي إذا علمتَ الوفاةَ خَيْراً لي»[2].

وللبُخاريِّ: «لا يتمنَّينَّ[3] أحدُكم الموتَ؛ إمَّا محسِناً فلعلَّه أن يزدادَ، وإمَّا مُسِيئاً فلعلَّه أن يستعتِبَ»[4].

ولِمسلِمٍ: «لا يتمنَّى أحدُكم الموتَ، ولا يدعُ به مِن قبلِ أن يأتيَهُ، إنَّه إذا ماتَ أحدُكم انقطَعَ عملُه، وإنَّه لا يزيدُ المؤمنَ عمرُه إلا خيراً»[5].

---

(١) أخرجه البخاري في مواضع (١١٦٢) (٦٣٨٢) (٧٣٩٠) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٧١) ومسلم (٢٦٨٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

وفي النسخة (س): «إذا علمت الحياة».

(٣) في (س): «يتمنى».

(٤) أخرجه البخاري (٥٦٧٣) (٧٢٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) مسلم (٢٦٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وزادَ الإمامُ أحمدُ في روايةٍ له: «إلا أن يكونَ قد وثِقَ بعمَلِه»[١].

وله أيضاً: «لا تتمَنَّوا[٢] الموتَ؛ فإنَّ هولَ المطلعِ شديدٌ، وإنَّ مِن السَّعادةِ أن يطولَ عمرُ العبدِ ويرزقَهُ اللهُ الإنابةَ»[٣].

ففي هذه الأحاديثِ التَّعليلُ للنَّهي عن تمنِّي الموتِ؛ فإنَّ العبدَ إن كان مُحسِناً فحياتُه يرجو أن يزدادَ بها[٤] إحساناً، وإن كان مُسيئاً فإنَّه يرجو أن يستعتِبَ، يعني: يُزيلَ العتبَ عنه بالتَّوبةِ والإنابةِ قبل الموتِ.

وقد جاءتِ الأحاديثُ عن النَّبيِّ ﷺ بفضيلةِ طولِ العمرِ في الطَّاعةِ.

ففي التِّرمذيِّ أنَّه ﷺ سُئِلَ: أيُّ النَّاسِ خيرٌ؟ قال: «مَن طالَ عمُرُه، وحَسُنَ عملُه»، وسُئِلَ: أيُّ النَّاسِ شرٌّ؟ قالَ: «مَن طالَ عمُرُه، وساءَ عمَلُه»[٥].

وفي «المسنَدِ»: إنَّ نفراً ثلاثةً أسلَموا، فكانوا عند طلحةَ، فبعثَ النَّبيُّ ﷺ بعثاً فخرجَ فيه أحدُهم فاستُشهِدَ، ثمَّ بعثَ بَعْثاً آخرَ فخرجَ فيه آخرُ فاستُشهِدَ، ثمَّ مات الثَّالثُ على فراشِه، قال طلحةُ: فرأيتُهم في المنامِ في الجنَّةِ، فرأيتُ الميِّتَ على فراشِه أمامَهم، ورأيتُ الذي استشهِدَ أخيراً يليهِ، ورأيتُ الذي استشهِدَ أولهم آخرَهُم، قال: فأتيتُ النَّبيَّ ﷺ فذكرتُ ذلك له، فقالَ: «وما أنكرتَ مِن ذلك؟ ليس أحدٌ أفضلَ عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ مِن مؤمنٍ يُعمَّرُ في الإسلامِ لتَسبيحِه وتكبيرِه وتهليلِه»[٦].

---

(١) «مسند الإمام أحمد» (٨٦٠٧).

(٢) في (س): «تمنوا».

(٣) «مسند الإمام أحمد» (١٤٥٦٤).

(٤) في (ف): «فيها».

(٥) أخرجه الترمذي (٢٣٣٠) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه، وقال: حسن صحيح.

(٦) أخرجه الإمام أحمد (١٤٠١) من حديث عبد الله بن شداد.

وفي روايةٍ: «أليس قد مكثَ هذا بعدَه سنةً؟ قالوا: بلى، قالَ: وأدركَ رمضانَ فصامَه؟ قالوا: بلى، قالَ: وصلَّى كذا وكذا سجدةً في السَّنةِ؟ قالوا: بلى، قال: فلَمَا بينَهما أبعدُ ما[1] بين السَّماءِ والأرضِ»[2].

قيلَ لبعضِ السَّلَفِ: طابَ الموتُ، فقالَ: يا ابنَ أخي! لا تفعَلْ، لَساعةٌ تعيشُ فيها تستغفرُ اللهَ خيرٌ لك مِن موتِ الدَّهرِ[3].

وقيلَ لشيخٍ كبيرٍ منهم: تحبُّ الموتَ[4]؟، فقال: لا، قد ذهبَ الشَّبابُ وشرُّه، وجاءَ الكِبَرُ وخيرُه، فإذا قمتُ قلتُ: بسمِ اللهِ، وإذا قعدتُ قلتُ: الحمدُ اللهِ، فأنا أحبُّ أن يبقى لي هذا[5].

وقيل لشيخٍ آخرَ: ما بقِيَ منك ممَّا تحبُّ له الحياةَ؟ قال: البكاءُ على الذُّنوبِ[6].

ولهذا كان كثيرٌ مِن السَّلَفِ يبكي عند موتِه تأسُّفاً على انقطاعِ أعمالِه الصَّالحةِ[7].

---

(١) في (ت): «مما».

(٢) أخرجها الإمام أحمد (١٤٠٣)، وابن ماجه (٣٩٢٥) من حديث طلحة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العمر والشيب» (٢٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٥/ ١١٦). قاله عراك بن خالد لمحمد بن كامل العبسي.

(٤) في (س): «أتحب الموت»، وفي حاشية (ف): «فضل طول العمر».

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العمر والشيب» (٢٩)، والدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٢٠٢١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٨/ ١٧٤).

والسائل هو: سليمان بن عبد الملك.

وفي حاشية (ف): «مدة مديدة».

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العمر والشيب» (٢٨).

وفي حاشية (ف): «والمناجاة إلى علَّام الغيوب وهو ستار العيوب».

(٧) أورد جملة من ذلك ابن الجوزي في «التبصرة» (١/ ٢١٧).

وكان يزيدُ الرَّقاشيُّ يقولُ عند موتِه: يا يزيدُ! مَن يصلِّي لك بعدَك؟ ومن يصومُ، ومَن يتوبُ لك مِن الذُّنوبِ السَّالفةِ[1]؟.

ولهذا يتحسَّرُ الموتى على انقطاعِ أعمالِهم الصَّالحةِ[2].

ففي التِّرمذيِّ، عن النَّبيِّ ﷺ: «ما أحدٌ يموتُ إلَّا ندِمَ، إن كان مُحسِناً أن لا يكونَ ازدادَ، وإن كان مُسِيئاً أن لا يكونَ استعتبَ»[3].

ورُئِيَ بعضُ الموتى مِن السَّلَفِ في المنامِ[4] فسُئِلَ عن حالِه فقال: قدمْنا[5] على أمرٍ عظيمٍ، نعلَمُ ولا نعمَلُ، وتعملونَ ولا تعلَمُونَ، واللهِ لَتسبيحةٌ أو تسبيحتانِ أو ركعةٌ أو ركعتانِ في نسخةِ عمَلِي أحبُّ إليَّ مِن الدُّنيا وما فيها[6].

وصلَّى بعضُ السَّلَفِ ركعتينِ خفيفتَينِ بقُربٍ مِن المقابرِ ولم يرضَهُما لتَخفيفِهما[7] ثمَّ غلبتْه عينُه فرأى صاحبَ القبرِ الذي هو بقُربِه يقولُ له: صلَّيتَ

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (١٩١)، و«الرقة والبكاء» (٢٤٨).
وفي حاشية (ف): «ومن يذكر الله تعالى بلسانك».

(٢) في حاشية (ف): «فهي جاه عظيم كثير الفائدة جداً. فافهم ترشد».

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٠٣)، ولفظه: «ندم أن لا يكون نزع».
وفي حاشية (ف): «استعتب: أي أتوب».

(٤) في (ت) و(ف): «منامه». والمثبت من (س).

(٥) في (ت): «قد قدمنا».

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٨٦).
وفي (س): «صحيفة عملي».
وفي حاشية (ف): «من أعظم المهمات، فافهم واعمل».

(٧) في (س): «وصلى بعضهم إلى جانب قبر ركعتين خفيفتين لم يرضهما».

ركعتيـنِ ولـم ترضَهما؟ قـال: نعم، قـال: لأن يكونَ لـي[1] مثلُ ركعتيـكَ أحبُّ إليَّ مِن الدُّنيـا بحذافيرِها[2].

وأمَّا الرِّوايةُ التي في «المسندِ»: «لا يتمنَّى أحدُكم الموتَ إلَّا مَن وثِقَ بعملِه»[3]، فيدلُّ على أنَّ مَن له عمَلٌ صالحٌ يثِقُ به فإنَّ له أن يتمنَّى الموتَ.

**وكان كثيرٌ مِن السَّلَفِ يتمنَّى الموتَ، وهم أقسامٌ:**

**منهـم مَـن يحمِلُه حُسـنُ الظَّنِّ بـاللهِ على حـبِّ لقائِه** إمَّـا لِمَا عندهـم[4] مِن كثرةِ الطَّاعـاتِ، أو لِمَـا عنـدَه مِـن محبَّـةِ اللهِ عـزَّ وجـلَّ، فيُحسِـنُ ظنَّه بـه، كما قـالَ بعضُ السَّـلفِ: لقـد سئِمتُ مِـن الحيـاةِ حتَّـى لو وجـدتُ المـوتَ يُبـاعُ لاشـتريتُه شَـوْقاً إلـى اللهِ وحُبّـاً لِلقائِـه، فقيـلَ لـه: أفعَلَى ثقةٍ أنـت مِن عملِـك؟ قال: لا، ولكـن لحُبِّي إيَّـاه، وحُسـنِ ظنِّي بـهِ، أفتـراهُ يُعذِّبُني وأنـا أحبُّه[5]؟

وكان بعضُهم يُنشِدُ في هذا المعنى:

وزادي قليـلٌ مـا أراهُ مُبلِّـغـي ... أللزَّادِ أبكـي أم لطُـولِ مَسـافَتي

أتُحرِقُنـي بالنَّـارِ يـا غايـةَ المُـنى ... فأين رجائِـي فيـك أيـنَ محبَّتـي[6]

---

(١) «لي» سقطت من (ت) و(ف).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا، ومن طريقه: البيهقي في «الشعب» (٩٧١١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٨/ ٣٣٠). والمصلي هو: مطرف بن عبد الله بن الشخير.

وروى ابن عبد البر في «التمهيد» (١٣/ ٧٩ طبعة بشار) نحوه عن رجل آخر.

(٣) سبق تخريجه قبل ثلاث صفحات.

(٤) في (س): «له».

(٥) ذكره الغزالي في «الإحياء» في آخر كتاب المحبة (٤/ ٣٦١) من كلام امرأة من المتعبدات.

(٦) في (س): «أين مخافتي» وهو كذلك في المصادر.

=

**ومنهم مَن يتمنَّى الموتَ شوقاً إلى لقاءِ اللهِ عزَّ وجلَّ**، وسنذكرُ أخبارَهم في الكلامِ على آخرِ الحديثِ إن شاءَ اللهُ تعالى.

**وتمنِّي الموتِ له أحوالٌ:**

**تارةً يتمنَّى الموتَ لضرٍّ نزلَ به**، وهذا منهيٌّ عنه، وصاحبُه إذا لم يثِق بعمَلِه كالمستجيرِ مِن الرَّمضاءِ بالنَّارِ، لأنَّه[1] لا يَدرِي لعلَّه يهجمُ[2] بعدَ الموتِ على ما هو أعظَمُ وأشَدُّ ممَّا هو فيه، فإن وثِقَ بعملِه فقد تمنَّاه للضُّرِّ[3] بعضُ السَّلفِ.

**وتارةً يتمنَّاه خشيةَ فتنةٍ في الدِّينِ**: فهذا جائزٌ عند أكثرِ العُلَماءِ، وقد تمنَّاه عمَرُ بنُ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنه في آخرِ حجَّةٍ حجَّها، فإنَّه قالَ: اللهمَّ إنَّه قد كبِرَت سنِّي، ورَقَّ عَظمي، وانتشرَت رعيَّتي، فاقبِضْني إليك غيرَ مُضيِّعٍ ولا مفتونٍ. فقُتِلَ في ذلك الشَّهرِ[4].

وتمنَّته زينبُ بنتُ جحشٍ رضيَ اللهُ عنها لَمَّا جاءَها عطاءُ عمرَ، فاستكثرَتْه وقالت: اللهمَّ لا يُدرِكني عطاءٌ لعمرَ بعدَها، فماتَت قبلَ أن يُدرِكَها عطاءٌ ثانٍ لعُمرَ[5].

---

= أنشده ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤١/ ٣٥٩). عن الأصمعي، للحسن بن الحسن بن علي عليهم السلام. وأنشده كذلك (٦٩/ ١١٨) لرابعة بنت إسماعيل، وهي الشامية.

(١) في (ف): «ولأنه».

(٢) في (ف): «لا يهجم»، وفي (س): «إذاً يهجم».

(٣) في (ف): «للضرر» وسقطت من (س).

(٤) أخرجه مالك في «الموطأ» (٢٤٧٤)، وابن أبي الدنيا في «مجابي الدعوة» (٢٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٥٤).

(٥) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١٠/ ١٠٦).

وسألَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ مَن ظنَّ به إجابةَ الدُّعاءِ، أن يَدعُوَ له بالموتِ لَمَّا ثقُلَت عليه الرَّعِيَّةُ، وخشِيَ العجزَ عنِ القيامِ بحُقوقِهم[١].

وطُلِبَ كثيرٌ مِن السَّلفِ إلى بعضِ الولاياتِ فدَعَوا لأنفُسِهم بالموتِ فماتوا[٢].

واشتهر بعضُهم واطُّلِعَ على بعضِ أحوالِه مع اللهِ فدَعا لنفسِه بالموتِ فماتَ.

وفي الحديثِ: «وإذا أردتَ بقومٍ فتنةً فاقبِضْني إليك غيرَ مَفتونٍ»[٣].

وفي «المسندِ»، عن محمودِ بنِ لَبيد، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «اثنتان يكرهُهما ابنُ آدمَ: الموتُ والموتُ خيرٌ للمؤمنِ مِن الفتنةِ، ويكرهُ قلَّةَ المالِ وقلَّةُ المالِ أقلُّ للحساب»[٤].

وقال ابنُ مَسعودٍ وغيرُه: ما مِن بَرٍّ ولا فاجرٍ إلَّا والموتُ خيرٌ له، إن كان بَرًّا فما عندَ اللهِ خيرٌ للأبرارِ، وإن كان فاجِراً فإنَّما نُملِي لهم ليَزدادوا إثماً[٥].

**وتارةً يتمنَّاهُ مِن غيرِ ضرٍّ ولا فتنةٍ،** فإن كان ممَّنْ وثق بعملِه حبًّا للهِ وشوقاً إلى لقائِه جازَ، وسنذكرُه فيما بعدُ إن شاءَ اللهُ تعالى.

---

(١) وهو الرجل الصالح عبد الله بن أبي زكريا. والخبر في «سيرة عمر بن عبد العزيز» لابن عبد الحكم المصري (ص: ٩٩).

(٢) ومنهم الإمام الجليل قاسم بن ثابت السرقسطي الأندلسي.
انظر: «بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس» للضبي (١٣٠٠).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٦١٢)، وأحمد (٣٤٨٤)، والترمذي (٣٢٣٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ويروى من حديث غيره من الصحابة.

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٢٣٦٢٥).

(٥) أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٧١٤) والاقتباس فيه من سورة آل عمران. الآية ١٩٨ والآية ١٧٨.

وكذلك تمنِّيه عند حضورِ أسبابِ الشَّهادةِ اغتناماً لها، كتمنِّيهِ عند حضورِ القتالِ في سبيلِ اللهِ أو الطَّاعونِ.

فإن كان إحساناً للظَّنِّ به ففيه اختلافٌ بين السَّلَفِ.

وقد وردَ تعليلُ النَّهيِ عن تمنِّي الموتِ بأنَّ هولَ المطلعِ شديدٌ، فتمنِّيه مِن نوعِ تمنِّي وُقوعِ البلاءِ قبلَ نُزولِه، ولا ينبغي ذلك[1] كما قالَ [ﷺ]: «لا تتمنَّوا لقاءَ العدوِّ، ولكن سَلُوا اللهَ العافيةَ، فإذا لقيتُموهم فاثبُتوا»[2].

وسمعَ ابنُ عمرَ رجُلاً يتمنَّى الموتَ، فقال: لا تتمنَّ الموتَ فإنَّكَ ميِّتٌ، ولكن سلِ اللهَ العافيةَ[3].

فإنَّ الميتَ يُكشَفُ له عن هولٍ عظيمٍ هو هول المُطَّلعِ، ويرى عالماً آخرَ لا عهدَ له به، فلا يَنبغي للإنسانِ أن يستعجِلَ ذلك.

وقد قالَ عمرُ عند موتِه: لو أنَّ لي ما في الأرضِ لافتديتُ به مِن هولِ المُطَّلَعِ[4].

وجزعَ الحسنُ بنُ عليٍّ عند موتِه، وقال: إنِّي أريدُ أن أشرِفَ على ما لم أُشرِف عليه قطُّ[5].

---

(١) في (س): «ولا ينبغي تمنيه في ذلك».

(٢) أخرجه الدارمي (٢٤٨٤) من حديث عبد الله ين عمرو، وأخرج البخاري (٢٩٦٦) ومسلم (١٧٤٢) نحوه من حديث عبد الله بن أبي أوفى، وفيه: «فإذا لقيتموهم فاصبروا».

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٤٧٦)، وابن أبي الدنيا في «المتمنين» (١٠٨).
وفي حاشية (ف): «والسؤال إظهار عجز وذلة من العبد لسيده ومولاه».

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٦٣٥)، وابن حبان (٦٨٩١)، والحاكم (٣/ ٩٢).
وفي (ت) و(ف): «لو كان»، والمثبت من (س).

(٥) أخرج عنه نحو هذا المعنى بإسناد معضل. أبو الحسين الكلابي في «أحاديثه» خ (٤٩). وأخرجه أيضاً بسند آخر: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٣/ ٢٨٦) بنحوه.

وكان الحسنُ البصريُّ يقولُ عند موتِه: نُفَيْسَةٌ ضعيفةٌ، وأمرُ هولٍ عظيمٍ، فإنَّا للهِ وإنَّا إليه راجعونَ[١].

وجزِعَ حبيبٌ أبو محمَّدٍ عند موتِه وجعلَ يقولُ: إنِّي أريدُ أن أسافرَ سفَراً ما سافَرْتُه قطُّ!، أريدُ أن أسلكَ طَرِيقاً ما سلكتُه قطُّ!، أريدُ أن أزورَ سيِّدي ومولايَ وما رأيته قطُّ!، أريدُ أن أشرفَ على أهوالٍ ما شاهدتُ مِثلَها قطُّ[٢]!.

وأيضاً فالموتُ نفسُه أشدُّ ما يلقاه الآدميُّ في الدُّنيا، ولا يعلمُ النَّاسُ في الدُّنيا حقيقةَ شدَّتِه.

قال بعضُ السَّلَفِ: لو أنَّ ميتاً نُشِرَ فأخبرَ أهلَ الدُّنيا بحقيقةِ الموتِ ما انتفَعوا بعيشٍ ولا استلَذُّوا بنَومٍ[٣].

ولقد كان كثيرٌ مِن الصَّالحين يتمنَّى الموتَ في صحَّتِه، فلمَّا نزلَ به كرِهَه لشدَّتِه، ومنهم: أبو الدَّرداءِ[٤] وسفيانُ الثَّوريُّ[٥]، فما الظَّنُّ بغيرِهما؟!

وكان بعضُ الصَّالحينَ يتمنَّى الموتَ، فرأى في منامِه قائلاً يقولُ له: أتتمنَّى الموتَ؟ قال: قد كان ذاك[٦] فقطَّبَ في وجهِه، ثمَّ قال: لو عرفتَ شدَّةَ الموتِ وكربَه

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (١٥٨)، وفي المطبوع منه: «وأمرٌ هَؤُول عظيمٌ».

(٢) حبيب هو الفارسي العجمي، أخرجه عنه الدينوري في «المجالسة» (١٥٩٤)، وأبو نعيم مختصراً في «الحلية» (٦/ ١٥٤).

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٢/ ٤١٦) من كلام شداد بن أوس رضي الله عنه. وقدم ناسخ (س) هنا خبرين سيأتيا.

(٤) انظر: كتاب «المحتضرين» لابن أبي الدنيا (١٧٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ١٩٦).

(٥) هو في مسند «ابن الجعد» (١٧٩٨).

(٦) في (ف): «إنَّ ذاك».

حتى يخالطَ قلبكَ معرفتُه لطارَ نومُك أيَّامَ حياتِك، ولذهلَ عقلُك حتَّى تمشيَ في النَّاسِ والِهاً، فكان إذا ذكرَ منامَه هذا بكى، وقالَ: طوبى لِمَن نفعَه عيشُه، وكان طولُ عمرِه زيادةً في عملِه، واللهِ ما أُراني كذلك[1].

قال إبراهيمُ بنُ أدهمَ: إنَّ للموتِ كأسًا لا يقوَى على تجرُّعِها إلَّا خائفٌ وجِلٌ طائعٌ كان يتوقَّعُها[2]، ولأبي العتاهيةِ:

ألَا للمَـــوتِ كـــأسٌ أيُّ كاسِ ... وأنـــتَ لكـــأسِه لابدَّ حاسِـــي

إلـــى كـــم والمَمَـــاتُ إلـــى قَريـــبٍ ... تُـــذكَّرُ بالممـــاتِ وأنـــت ناسِـــي[3]

وفي الجملةِ، فينبغي للمؤمنِ أن يكونَ طولُ عمرِه زيادةً في عملِه.

كما في[4] «صحيح مسلم»[5] عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه كان يدعو: «واجعل الحياةَ زيادةً لي في كلِّ خيرٍ»[6].

قال بعضُهم: مَن لا خيرَ له في الموتِ لا خيرَ له في الحياةِ[7]. يعني مَن لا تكونُ حياتُه زيادةً في حسناتِه فلا خيرَ له في الموتِ ولا في الحياةِ.

---

(١) الرائي هو عطاء السَّليمي رحمه الله.
أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٢٣٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٢٣).
وفي (س): «لو رأيت شدة الموت».

(٢) أخرجه البيهقي في «الزهد الكبير» (٥٤٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٣٣١).

(٣) ديوان أبي العتاهية (ص: ١٣٠) وفيه: «والمعاد إلى قريب» «تذكر بالمعاد».

(٤) في (ف) و(س): «وفي».

(٥) هنا يبدأ خرم في (ت) مقدار ورقتين.

(٦) أخرجه مسلم (٢٧٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) عزاه السيوطي في «شرح الصدور» (ص: ٢٢) إلى أبي الدنيا من كلام جعفر الأحمر.

وقد رأى بعضُهم النَّبيَّ ﷺ في منامِه، فقالَ له: «مَنِ استوَى يوماه فهوَ مَغبونٌ، ومَن كان يومُه شرًّا مِن أمسِه فهو مَلعونٌ، ومَن لم يتفقَّدِ الزِّيادةَ في عمَلِه فهو في نقصانٍ، ومَن كان في نقصانٍ فالموتُ خيرٌ له»[1].

وإنَّما كان الموتُ خيراً للعاصي، لأنَّه كلَّما طالَ عمرُه زادَتْ ذنوبُه فزادَ عِقابُه، وهذا كما قالَ ابنُ مسعودٍ: إن كانَ مُسيئاً، فإنَّ اللهَ تعالى يقولُ: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨][2].

وكان بعضُ الصَّالحينَ يقولُ: قد سَئِمْنا مِن الحياةِ لكَثرةِ ما نقترِفُ مِن الذُّنوبِ[3].

هذا مع كثرةِ أعمالِهم الصَّالحةِ، فكيف يقولُ مَن عمرُه كلُّه ضائعٌ؟

صفوةُ لذَّاتٍ أثمرَتْ لي كَدَرِي ... كمْ قد أبصرتُ ما يغطي بصَري

ما لي زادٌ وقد تدانى سفَرِي ... قد ضاعَ العمرُ فأنَّى ليَ عمُرِي[4]

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٢٤٣)، والرائي شيخ من بني سليم. وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٥) والرائي: الحسن البصري. وأخرجه الخطيب في «اقتضاء العلم العمل» (١٩٦) والرائي رجل مبهم، وذكره السبكي في «الطبقات الكبرى» (٦/ ٣٧٦) في الأحاديث التي لم يجد لها إسناداً وذكرها الغزالي في «الإحياء» وعزاه للبيهقي في «الزهد الكبير»، والرائي: عبد العزيز بن أبي رواد.

(٢) سبق تخريجه قبل قليل. وهذا الأثر والذي يليه والشعر قدمها ناسخ (س) كما سبق ذكره.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المتمنين» (١٠٢) من كلام داود الطائي.

وفي (س): «بعض السلف».

(٤) لم أجد هذه الأبيات عند غير المصنف رحمه الله، والمثبت من (ر). وفي (ف): «صفوة اللذات» «قد ضاع فإنه يوالي عمري»، وفي (س):

«صفو اللذات إن أثمرت لي كدري ... كم أبصرت ما يعطي بصري

زادي قليل قد تدانى سفري ... عمري ضاع فاندبوا لي عمري».

قال ميمونُ بنُ مِهران: لا خيرَ في الحياةِ إلَّا لتائبٍ أو لرجُلٍ يعمَلُ في الدَّرجاتِ[١].

يعني أنَّ التَّائبَ يمْحو بتوبتِه ما سلفَ مِن السَّيِّئاتِ، والعاملَ في الدَّرجاتِ تعلو درجاتُه بما يعملُ مِن الحسناتِ، فهذا يزيدُ حسناتِه، والأوَّلُ يمحو سيِّئاتِه، فما عدا هذينِ الرَّجُلينِ فلا خيرَ لهما في الحياةِ، ولهذا يُقالُ: بقيَّةُ عمرِ المُؤمنِ لا قيمةَ له، يتوبُ فيه مِن السَّيِّئاتِ، ويستدرِكُ فيه ما فاتَ[٢].

رُفِعَ إلى بعضِ العارفين رُقعةٌ في منامِه فإذا فيها مكتوبٌ:

فإن كنتَ لا ترتابُ أنَّكَ ميِّتٌ ... ولستَ لبَعدِ الموتِ ما أنتَ تعمَلُ
فعمرُكَ ما يُغني وأنتَ مُفرِّطٌ ... وإسمُكَ في الموتى معَدٌّ محصَّلُ[٣]

ورأى آخرُ في منامِه كأنَّ قائلًا يُنشِدُه:

يا خدُّ إنَّكَ إنْ تُوسَّدْ ليِّنًا ... وُسِّدتَ بعدَ الموتِ صُمَّ الجَنْدلِ
فاعمَلْ لنفسِكَ في حَياتِكَ صالِحاً ... فلَتندمَنَّ غداً إذا لم تفعَلِ[٤]

* * *

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٨٣).

(٢) «لا قيمة له» يعني أن قيمته عالية جداً لا تقدر بثمن أبداً. وعزاه ابن قدامة في «المغني» (١٤/ ١٩٢) إلى عمر رضي الله عنه.

(٣) أنشده ابن أبي الدنيا في «المنامات» (١٥٢).

(٤) في (س): «لم تعمل». أنشده ابن أبي الدنيا في «المنامات» (١٤٤) وفي مطبوعه: «يا حبيب». ونسبه المبرد في «التعازي والمراثي» (ص: ٢٨٨) إلى أسماء بن خارجة الفزاري.
وهو كما هنا.

قولُه ﷺ: «اللهمَّ إني أسألُكَ خشيتكَ في الغيبِ والشَّهادةِ، وكلمةَ الحقِّ في الغضبِ والرِّضَا، والقصدَ في الفقرِ والغِنى»:

هذه الثَّلاثُ المُنجِياتُ التي رُوِيَ عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «ثلاثٌ مُنجِياتٌ وثلاثٌ مُهلِكاتٌ»، فذكرَ المُنجِياتِ هذه الخصالَ الثَّلاثَ، والمهلكات: «شحٌّ مُطاعٌ، وهوًى مُتَّبعٌ، وإعجابُ كلِّ ذي رأيٍ برَأيِه»[١].

ورُوِيَ أنَّ سُليمانَ عليهِ السَّلامُ قال: أوتينا ممَّا أوتيَ النَّاسُ وممَّا لم يُؤتَوا، وعُلِّمْنا ممَّا عُلِّمَ النَّاسُ وممَّا لم يُعلَّمُوا، فلم نجِد شَيئاً أفضلَ مِن هذه الثَّلاثِ خصالٍ[٢].

وقال نافعُ بنُ سليمانَ: قال عيسى بنُ مريمَ عليهِ السَّلامُ: ثلاثٌ مَن كنَّ فيه بلغَ ما بلغتُ: تقوَى اللهِ في السِّرِّ والعَلانيةِ، والعدلُ في الغضبِ والرِّضا، والقصدُ في الغِنى والفقرِ[٣].

فأمَّا خشيةُ اللهِ في الغيبِ والشَّهادةِ: فالمعني بها[٤] أنَّ العبدَ يَخْشى اللهَ سِرًّا وإعلاناً[٥] وظاهِراً وباطنًا؛ فإنَّ أكثرَ النَّاسِ يُرى أنَّه يخشى اللهَ في العلانيةِ وفي الشَّهادةِ، ولكنَّ الشَّأنَ في خشيتِه في الغيبِ إذا غابَ عن أعيُنِ النَّاسِ، وقد مدحَ اللهُ مَن يخافُه

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٥٩٩)، والإمام أحمد في «الزهد» (٢١٤)، وابن أبي الدنيا في «إصلاح المال» (٣٢٧) وفي «العقوبات» (١٩٩).

(٣) لم أجد هذا الأثر إلا عند المصنف رحمه الله.

(٤) في (ف): «فالمعنى بها».

(٥) في (س): «وعلانية».

بالغيبِ، قالَ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٩]، وقالَ: ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [المائدة: ٩٤]، وقالَ: ﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [ق: ٣٣]، وقالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢].

وقد فُسِّرَ الغيبُ في هذه الآياتِ بالدُّنيا؛ لأنَّ أهلَها في غيبٍ عمَّا وُعِدُوا بهِ مِن أمرِ الآخرةِ[1]، وأمَّا في هذا الحديثِ فلا يتأتَّى ذلك كما ترى لِمُقابلتِه بالشَّهادةِ.

كان بعضُ السَّلَفِ يقولُ لإخوانِه: زهَّدَنا اللهُ وإيَّاكم في الحرامِ، زهادةَ مَن قدرَ عليه في الخلوةِ فعلمَ أنَّ اللهَ يراهُ فترَكَه[2].

ومِن هذا قولُ بعضِهم: ليس الخائفُ مَن بكَى وعصرَ عينيهِ؛ إنَّما الخائفُ مَن تركَ ما يَشتهي مِن الحرامِ إذا قدرَ عليه[3].

ومن هنا عظُمَ ثوابُ مَن أطاعَ اللهَ سِرًّا بينه وبينَه، ومَن تركَ المحرَّماتِ التي يقدِرُ عليها سرًّا.

فأمَّا الأوَّلُ: فمثلُ قولِه تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ إلى قولِه: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٦-١٧].

---

(١) في (س): «وعدوا به في الآخرة». وفي «تفسير الطبري» (٢١/ ٤٥٣) في تفسير ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾: «من خاف الله في الدنيا من قبل أن يلقاه، فأطاعه واتبع أمره».

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (١٣٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٠٣) من كلام بكر بن عبد الله المزني رحمه الله.

(٣) أخرجه الدينوري في «المجالسة» (١٧٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٨/ ٢٠٦) بنحوه من كلام إسحاق بن خلف رحمه الله.

وفي (س): «ما اشتهى».

قال بعضُ السَّلَفِ: أخفَوْا للهِ العملَ فأخفَى لهم الجزاءَ[١].

وفي حديثِ السَّبعةِ الذين يُظِلُّهم اللهُ في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلا ظِلّه: «رجلٌ ذكرَ اللهَ خالياً ففاضَت عيناه، ورجلٌ تصدَّقَ بصدَقةٍ فأخفاها حتَّى لا تعلمَ شمالُه ما تُنفِقُ يمينُه»[٢].

وفي الحديثِ: «إذا صلَّى العبدُ في العلانِيةِ فأحسنَ، وصلَّى في السِّرِّ فأحسنَ قالَ اللهُ: هذا عبدي حَقًّا»[٣].

وفي حديثٍ آخرَ: «مَن أحسَنَ صلاتَه حيثُ يراهُ النَّاسُ، وأساءَها حيثُ لا يراهُ أحدٌ فتلك استهانةٌ يستهينُ العبدُ بها ربَّه»[٤].

وأمَّا الثَّاني: فمثلُ قولِه ﷺ في السَّبعةِ الذين يُظِلُّهم اللهُ في ظلِّهِ: «ورجلٌ دعَتْهُ امرأةٌ ذاتُ[٥] حُسنٍ وجَمالٍ: فقالَ: إنِّي أخافُ اللهَ ربَّ العالمينَ»[٦].

ومثلُ الحديثِ الذي جاءَ فيمَن أدَّى ديناً خفِيًّا أنَّه[٧] يُخيَّرُ في أيِّ الحُورِ العِينِ شاءَ[٨].

---

(١) من كلام محمد بن كعب القرظي رحمه الله. أخرجه محمد بن نصر المروزي في «قيام الليل» (مختصره ص: ٣٧)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (١٢٢)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤١٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١) والسياق له، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في حاشية (ف): «من أعظم المبشرات».

والحديث أخرجه ابن ماجه (٤٢٠٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٣٧٣٨)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢/ ٨٥٥) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٥) هنا انتهى خرم في (ت).

(٦) سبق تخريجه من الصحيحين، وهذا اللفظ «ذات حسن وجمال» عند أحمد في «الزهد» (٨١٩).

(٧) في (ف): «في أنه».

(٨) أخرجه أبو يعلى (١٧٩٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

والموجبُ لخشيةِ اللهِ في السِّرِّ والعَلانيَةِ أمورٌ:

منها: قوَّةُ الإيمانِ بوَعدِه ووَعيدِه على المعاصي[1].

ومنها: النَّظَرُ في شدَّةِ بَطشِه وانتقامِه[2] وقوَّتِه وقَهرِه، وذلك يوجبُ للعَبدِ تركَ التَّعرُّضِ لِمُخالفتِه، كما قال الحسَنُ: ابنَ آدمَ، هل لك طاقةٌ بمُحارَبةِ اللهِ؟!، فإنَّ مَن عصَاه فقَد حارَبَه[3]، وقالَ بعضُهم: عجِبتُ مِن ضعيفٍ يَعصي قويًّا[4].

ومنها: قوَّةُ المُراقبَةِ له، والعلمِ بأنَّه شاهدٌ رقيبٌ على قُلوبِ عِبادِه وأعمالِهم، وأنَّه مع عبادِه حيث كانوا، كما دلَّ القرآنُ على ذلك في مواضعَ كقولِه تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] وقولِه: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ الآية [المجادلة: ٧]، وقولِه تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾ الآية [يونس: ٦١]، وقولِه: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٨]، وكما في الحديثِ الذي خرَّجَه الطَّبَرانيُّ: «أفضلُ الإيمانِ أن يعلمَ العبدُ أنَّ اللهَ معَه حيثُ كان»[5]. فيوجِبُ ذلك الحياءَ منه في السِّرِّ والعَلانِيَةِ.

---

(١) في حاشية (ف): «فائدة اتقاء من المعاصي».

(٢) في (س): «وسطوته».

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٣٤).

(٤) في حاشية (ف): «غريبة».

قاله السري السقطي في مجلس وعظه، فتاب سامعه. كما في «التوابين» لابن قدامة (ص: ٢٦٠).

(٥) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٧٩٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٢٤) من حديث عبادة بن الصامت، ولفظه: «إن أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت».

وأخرج الطبراني في «الصغير» (٥٥٥) من حديث عبد الله الغاضري مرفوعاً في حديث: وسئل ﷺ عن تزكية النفس، فقال: «أن يعلم أن الله معه حيث كان».

وقال بعضُهم لِمَن استوصاهُ: اتَّقِ اللهَ أن يكونَ أهوَنَ النَّاظرينَ إليك[١].

وقال بعضُهم: خفِ اللهَ على قدرِ قُدرتِه عليك، واستَحيِ منه على قدرِ قُربِه منك[٢].

وفي هذا المعنى يقولُ بعضُهم:

يا مُدمِنَ الذَّنبِ أمَا تستحي ... واللهُ في الخَلْوةِ ثانِيكا

غرَّكَ مِن ربِّكَ إمهالُه ... وسترُه طولَ مَساوِيكا[٣]

وفي حديثِ أبي ذرٍّ، عنِ النَّبيِّ ﷺ: «ثلاثةٌ يُحبُّهُم اللهُ عزَّ وجلَّ: رجلٌ أتى قوماً فسألَهم باللهِ ولم يَسألْهم لقرابةٍ بينَه وبينَهم فمنَعوه، فتخلَّفَ رجُلٌ بأعقابِهم فأعطاه سِرًّا لا يعلمُ بعطيَّتِه إلَّا اللهُ والذي أعطاهُ، ورجُلٌ كان مع قومٍ ساروا ليلَهم حتَّى إذا كان النَّومُ أحَبَّ إليهم ممَّا يعدلُ به فوضَعوا رؤوسَهُم، فقامَ يَتملَّقُني ويتلو آياتي، ورجُلٌ كان في سَرِيَّةٍ فلقوا العدوَّ فهُزِمُوا فأقبلَ بصَدرِه حتى يُقتَلَ أو يُفتَحَ له»[٤].

فهؤلاءِ الثَّلاثةُ اجتمعَ[٥] لهم معاملةُ اللهِ سِرًّا بينَهم وبينَه حيثُ غفَلَ النَّاسُ عنهم،

---

(١) قاله وهيب بن الورد، أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٤٢).

(٢) هو هاتف سمعه وهيب بن الورد.

أخرجه ابن أبي خيثمة في «التاريخ الكبير» (السفر الثالث (١/ ٢٤٥))، وابن أبي الدنيا في «الهواتف» (٢٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٤٠).

(٣) أنشده ابن أبي الدنيا في «التوبة» (١٠) مما كان ابن السماك يتمثل به.

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٢١٣٥٥)، والترمذي (٢٥٦٨) وقال: صحيح، والنسائي (١٦١٤).

وفي (س): «القرابة كانت بينه وبينهم». وفيها: «وقوم ساروا ليلهم». وفيها «فقام رجل يتملقني ويتلو كتابي».

(٥) في (س): «قد اجتمع».

فهو تَعالى يحِبُّ مَن يُعامِلُه سِرًّا بينَه وبينَه حيثُ لا يُعامِلُه[١] حينئذٍ أحدٌ، ولهذا فضلُ قيامِ وسطَ اللَّيلِ على ما سواهُ مِن أوقاتِ اللَّيلِ، والمحبُّونَ للهِ يحبُّونَ ذلك أيضاً عِلماً منهم باطِّلاعِه عليهم ومُشاهدتِه لهم، فهم يكتفونَ بذلك لأنَّهم عرَفُوه فاكتَفوا به مِن بين خَلقِه[٢] وعامَلُوه فيما بينَه وبينَهم معاملةَ الشَّاهِدِ غيرِ الغائبِ، وهذا مقامُ الإحسانِ.

قال بعضُ العارفينَ: مَن عرَفَ اللهَ اكتفَى بِهِ مِن خَلقِه[٣].

وكان بعضُ المُخلِصينَ يقولُ: لا أعتَدُّ بما ظهرَ مِن عمَلِي[٤].

اطُّلِعَ على بعضِ أحوالِ بعضِهم، فدعا لنفسِه بالموتِ، وقال: إنَّما كانت تطيبُ الحياةُ إذ[٥] كانتِ المُعامَلةُ بيني وبينَه سِرًّا[٦].

قيل لبعضِهم: ألا تَستوحِشُ وحدَكَ؟ قال: كيفَ أستوحِشُ وهو يقولُ: أنا جَليسُ مَن ذَكَرني[٧]. (شعر)[٨]:

---

(١) في (س): «يعلم».

(٢) في (س): «به دون خلقه».

(٣) أخرجه ابن الجنيد الختلي في «المحبة» (١٣٣). وفي (س): «عن خلقه».

(٤) أورده أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (٢/ ٢٦٤)، والغزالي في «الإحياء» (٤/ ٣٨٦) من كلام سفيان الثوري.

(٥) في (ف): «إذا».

(٦) في (س): «بيني وبين الله».

وهذا القول قاله عبد أسود كان بمكة رضي الله عنه، في قصة طويلة أخرجها الدينوري في «المجالسة» (٢٩٩٢) عن عبد الله بن المبارك.

(٧) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢١٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٩٧) من كلام محمد بن النضر الحارثي رحمه الله.

(٨) «شعر» من (ف).

آنسَتْنــي خَلَــواتـي ... بــكَ مِــن[١] كلِّ أنيــسِ

وتــفــرَّدْت فــعــايَــنْـــ ... ـتُكَ[٢] في الغيبِ جَليسي[٣]

**وأمَّا كلمةُ الحقِّ في الغضَبِ والرِّضا**، فعَزيزٌ جدًّا، وقد مدحَ اللهُ مَن يغفِرُ عند غضبِه، فقال: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧]، لأنَّ الغضَبَ يحمِلُ صاحبَه على أن يقولَ غيرَ الحقِّ ويفعَلَ غيرَ العَدلِ، فمَن كان لا يقولُ إلَّا الحقَّ[٤] في الغضَبِ والرِّضا دلَّ ذلك على شدَّةِ إيمانِه[٥] وأنَّه يملِكُ نفسَه، فهذا هو الشَّديدُ حقًّا.

[وخرَّج الطبرانيُّ من حديثِ أنسٍ مرفوعاً: «ثلاثٌ من أخلاقِ الإيمان: مَنْ إذا غضبَ لا يُدخِلُه غضبُه في باطلٍ، ومَنْ إذا رضي لا يُخرجه رضاهُ مِن حَقٍّ، ومَنْ إذا قدرَ لم يتعاطَ ما ليس له»[٦]، وهذا هو الشديدُ حقًّا][٧]،كما قالَ النَّبيُّ ﷺ: «ليس الشَّديدُ بالصُّرعةِ، إنَّما الشَّديدُ الذي يملِكُ نفسَه عند الغضَبِ». خرَّجاه[٨].

ولِمُسلمٍ: «مَن تعُدُّون الصُّرعةَ فيكم؟» قلنا: الذي لا تصرَعُه الرِّجالُ، قال: «ليس ذلك، ولكنَّه الذي يملِكُ نفسَه عندَ الغضَبِ»[٩].

---

(١) في (س): «عن».

(٢) في (ت) و(ف): «فعنايتك».

(٣) في (ت): «جليس». ولم أجد هذين البيتين عند غير المصنف رحمه الله.

(٤) في (س): «غير الحق».

(٥) في (س): «قوة إيمانه».

(٦) أخرجه الطبراني في «الصغير» (١٦٤).

(٧) ما بين معقوفين من (س)، وسقط من (ت) و(ف).

(٨) أخرجه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٩) أخرجه مسلم (٢٦٠٨) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وقال رجُلٌ للنَّبيِّ ﷺ: أوصِني، قال: «لا تغضَب» فردَّدَ مِراراً قال: «لا تغضَبْ» خرَّجَه البُخاريُّ[1].

وفي «المسند» أنَّ رَجُلاً قالَ: يا رسولَ اللهِ! ما يُبعِدُني من غضَبِ اللهِ؟ قال: «لا تغضَب»[2].

قال مورِّقٌ العِجليُّ: ما قلتُ في الغضَبِ شيئاً ندمتُ عليه في الرِّضا[3].

قال عطاءٌ[4]: ما أبكَى العلماءَ بكاءَ آخرَ العمرِ مِن غضبةٍ[5] يغضبُها أحدُهُم فتهدِمُ عملَ خمسينَ سنةً[6] أو ستِّينَ سنةً، ورُبَّ غضبةٍ قد أقحمَتْ صاحبَها مقحَماً ما استقالَه[7].

كان الشَّعبيُّ ينشِدُ:

لَيسَتِ الأحلامُ في حالِ الرِّضا ... إنَّما الأحلامُ في حالِ الغضَبْ[8]

كان ابنُ عونٍ إذا اشتَدَّ غضبُه على أحدٍ قال: باركَ اللهُ فيك، ولم يَزِد[9].

---

(١) أخرجه البخاري (٦١١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٦٦٣٥) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (١٧٦١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٣٥) وغيرهما.

(٤) في (ت) و(ف): «فقال عطاء».

(٥) في (س): «إلا من غضبة» ولا يحتاج الكلام إلى استثناء.

(٦) في (ت) و(ف): «عشرين سنة».

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا كما في «جامع العلوم والحكم» للمصنف رحمه الله (١/ ٣٧٤) وعطاء هو ابن أبي رباح.

(٨) أنشده أبو علي القشيري بسنده إلى الشعبي في «تاريخ الرقة» (٣٣٥)، وإسماعيل الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (٣/ ١٤٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٥/ ٣٨٢).

(٩) انظر: ترجمة ابن عون في «الثقات» للعجلي (٢/ ٤٩). وفي حاشية (ف): «فائدة مهمة».

قال الفُضَيلُ: أنا منذُ خمسينَ سنةً أطلبُ صديقًا إذا غضِبَ لا يكذِبُ عليَّ ما أجِدُه[1]؛ فإنَّ مَن لا يملِكُ نفسَه عند الغضَبِ إذا غضِبَ يقولُ فيمَن غضِبَ عليهِ [ما ليس فيه من][2] العظائِمِ وهو يعلمُ أنَّه كاذبٌ، وربَّما علِمَ النَّاسُ بذلك ويحمِلُه حقدُه وهوى نفسِه على الإصرارِ على ذلك.

قالَ جعفرُ بنُ محمَّدٍ: الغضَبُ مِفتاحُ كلِّ شَرٍّ[3].

وقيلَ لابنِ المُباركِ: اجمَعْ لنا حُسنَ الخلقِ في كلمةٍ، قال: تركُ الغضَبِ[4].

قال مالكُ بنُ دينارٍ: منذ عرفتُ النَّاسَ لم أُبالِ بمَدحِهم وذَمِّهم، لأنِّي لم أرَ إلَّا مادِحاً غالياً أو ذامًّا غالياً[5]، أو كما قالَ، يعني أنَّه لم يرَ مَن يقتصِدُ في ما يقولُ في رضاه وغضبِه[6].

**وأمَّا القصدُ في الفقرِ والغِنَى** فهو عزيزٌ أيضاً، وهو حالُ الرَّسولِ ﷺ، كان مُقتصِداً في حالِ فقرِه وغِناه، والقَصدُ هو التَّوسُّطُ في الإنفاقِ، فإن كان فقيراً لم يَقْتُر خوفاً مِن نفادِ الرِّزقِ، ولم يُسرِف فيحملَ[7] ما لا طاقةَ له بِهِ، وكما[8] أدَّبَ اللهُ تعالى

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «مداراة الناس» (١٣٣)، وفيه: «منذ عشرين سنة».

(٢) ما بين معقوفين من (س).

(٣) ذكره الغزالي في «الإحياء» (٣/ ١٦٦).

(٤) ذكره المصنف رحمه الله أيضاً في «جامع العلوم والحكم» (١/ ٣٦٣).

(٥) أخرجه الخطابي في «العزلة» (ص: ٦١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٧٢)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (١٥٤) (١٥٥).

(٦) سقط قول مالك بن دينار وما بعده إلى هنا من (س) وزاد ناسخ (ف): «رضاه» بعد قوله: «من يقتصد في» وقد ضرب عليها ناسخ (ت).

(٧) في (س): «من إنفاد الرزق فيتحمل».

(٨) في (س): «كما أدب».

نبيَّه بذلك في قولِه تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٩]، وإن كانَ غنياً لم يحمِلْه غناه على السَّرَفِ والطُّغيانِ، بل يكونُ مقتصداً أيضًا، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٧].

وإن كانَ المؤمِنُ في حالِ غناهُ يزيدُ على نفقتِه في حالِ فقرِه، كما قالَ بعضُ السَّلَفِ: إنَّ المؤمِنَ أخذَ عنِ اللهِ أدباً حسَناً إذا وسَّعَ عليهِ وسَّعَ على نفسِه، وإذا ضيَّقَ عليه ضيَّقَ على نفسِه، ثمَّ تلا قولَه تعالى: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ﴾ [الطلاق: ٧][1]، لكن يكونُ في حالِ غناهُ مُقتصِداً غيرَ مُسرِفٍ كما يفعلُه أكثرُ أهلِ الغِنى الذين يُخرِجُهم الغِنى إلى الطُّغيانِ، كما قالَ تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق: ٦ ـ ٧].

كان عليٌّ رضيَ اللهُ عنه يُعاتَبُ على اقتصادِه في لباسِه في خِلافتِه فيقولُ: هو أبعَدُ عن الكِبرِ وأجدَرُ أن يقتديَ بي المسلمُ[2].

وعوتِبَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ في خلافتِه على تضييقِه على نفسِه فقالَ: إنَّ أفضلَ القَصدِ عند الجِدَةِ، وأفضلَ العَفوِ عند المقدرةِ[3]. يعني: أفضلُ ما اقتصدَ الإنسانُ في عيشه[4] وهو واجدٌ قادرٌ، وهذه حالُ النَّبيِّ ﷺ وخُلَفائِه الرَّاشدينَ لم تُغيِّرهم سَعةُ الدُّنيا والملكُ ولم يتنعَّمُوا في الدُّنيا.

---

(١) هو من كلام الحسن البصري رحمه الله أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (١٥٢٤)، وابن أبي الدنيا في «إصلاح المال» (١٦٨)، والطبري في «تهذيب الآثار» مسند عمر (٢١٧)، والبيهقي في «الشعب» (٦١٦٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣١٥).

(٢) في (س): «من الكبر» أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده على «المسند» (٧٠٣) وغيره.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الخمول والتواضع» (١٥٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٦١).

(٤) في (ف): «عيشته».

وقد رُوِيَ عن سليمانَ عليه السَّلامُ أنَّه كان يأكلُ خبزَ الشَّعيرِ ويلبسُ الصُّوفَ(١).

وسُئِلَ الحسنُ عن رجلٍ آتاهُ اللهُ مالاً فهو يحجُّ منه ويتصدَّقُ ألَهُ أن يتنعَّم منه(٢)؟ قال: لا، لو كانت له الدُّنيا ما كان لهُ إلَّا الكفافُ(٣)، ويقدمُ فضلَ ذلك ليومِ فقرِه وفاقَتِه، إنَّما كان أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ ومَن أخذَ عنهم مِن التَّابعين ما آتاهُم اللهُ مِن رزقٍ أخَذُوا منه الكَفافَ وقدَّموا فضلَ ذلك ليومِ فقرِهم وفاقَتِهم(٤).

وقالَ ابنُ عمرَ لبعضِ ولَدِه: لا تكن(٥) مِن الذين يجعَلون ما أنعمَ اللهُ عليهم به في بُطونِهم وعلى ظُهورِهم(٦). إشارةً إلى أنَّ المالَ لا يُنفَقُ كلُّه في شَهواتِ النُّفوسِ وإن كانت مباحةً، بل يجعلُ صاحبُه منه نصيباً لدارِه الباقيةِ؛ فإنَّه لا يبقى له منه غيرُ ذلك.

وفي الجملةِ، فالاقتصادُ في كلِّ الأمورِ حسَنٌ حتَّى في العبادةِ، ولهذا نُهِيَ عنِ التَّشديدِ في العبادةِ على النَّفسِ، وأُمِرَ فيها بالاقتصادِ، وقالَ ﷺ: «عليكُم هَدْياً قاصِداً»(٧) فإنَّ، «اللهَ لن يمَلَّ حتَّى تمَلُّوا»(٨).

---

(١) ذكر ذلك ابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث» (ص: ٤٤١).

ونقل هذا عن سيدنا عيسى بن مريم عليهما السلام.

(٢) في (س): «أفله أن يتنعم فيه منه».

(٣) في (س): «ما كان له منها إلا الكفاف».

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٩٨).

(٥) في (س): «إياك أن تكون».

(٦) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٧٥٣) (١٠٠٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٧٧٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٠١).

(٧) أخرجه الإمام أحمد من حديث بريدة الأسلمي (٢٣٠٥٣) (٢٢٩٦٣).

(٨) أخرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها (٧٨٢). =

وفي «مسندِ البزَّارِ» عن حذيفةَ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «ما أحسنَ القَصْدَ في الغنى، وأحسنَ القَصْدَ في الفقرِ، وأحسَنَ القَصْدَ في العبادةِ»[١].

* * *

**قولُه: «وأسألُك نعيماً لا ينفَدُ».**

النَّعيمُ الذي لا ينفَدُ هو نعيمُ الآخرةِ، كما قالَ تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦]، وقالَ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ [ص: ٥٤]، وقالَ: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ [الرعد: ٣٥]، وفي الدُّعاءِ عنِ النَّبيِّ ﷺ: «أسألُكَ الدَّرجاتِ العُلَى»[٢]، «والنَّعيمَ المُقيمَ»[٣].

وسمعَ النَّبيُّ ﷺ ابنَ مَسعودٍ ليلةً يقولُ: أسألُك إيماناً لا يرتدُّ، ونعيماً لا ينفَدُ، ومرافقةَ نبيِّكَ محمَّدٍ ﷺ، في أعلى جنَّةِ الخُلدِ، فقالَ: «سَلْ تُعطَه»[٤].

ولَمَّا سمِعَ عثمانُ بنُ مَظعونٍ لَبيداً ينشدُ:

ألَا كلُّ شـــيءٍ مـــا خـــلا اللهَ باطِـــلُ

---

= وفي (س): «لا يمل» أخرجه كذلك البخاري (١١٥١) عن عائشة رضي الله عنها.

تنبيه: ورد في ابن ماجه (٤٢٤١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في قصة مرفوعاً: «يا أيها الناس عليكم بالقصد ـ ثلاثاً ـ فإن الله لا يمل حتى تملوا».

(١) أخرجه البزار (٢٩٤٦).

(٢) قطعة من حديث أخرجه الطبراني في «الدعاء» (١٤٢٢)، وفي «الأوسط» (٦٢١٨) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٣) قطعة من حديث أخرجه الإمام أحمد (١٥٤٩٢)، والبزار (٣٧٢٤) من حديث رفاعة بن رافع الزرقي رضي الله عنه.

(٤) في حاشية (ت): «بلغ». والحديث أخرجه الإمام أحمد (٣٧٩٧) (٤٢٥٥) (٤٣٤٠)، وأخرجه الترمذي (٥٩٣) مختصراً.

قال: صدَقْتَ، فقالَ لبيدٌ:

وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ

فقالَ له: كذبتَ، نعيمُ الجنَّةِ لا ينفدُ[1].

فنعيمُ الجنَّةِ مُقيمٌ، كما قالَ تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٢١]، وأمَّا نعيمُ الدُّنيا فهو نافدٌ كما أنَّ الدُّنيا كلَّها نافدةٌ، فلو نُعِّمَ الإنسانُ فيها ما نُعِّمَ[2] فإن ذلك ينفدُ، وكأنَّه حين ينزلُ به الموتُ وسَكْرتُه لم يذُق نعيماً من نعيمِ الدُّنيا قط كما قالَ تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٥ ـ ٢٠٧].

وقالَ بعضُ السَّلَفِ: إذا جاءَ الموتُ لم يُغنِ عن الإنسانِ ما كانَ فيه مِن النَّعيمِ واللذة[3]، ثمَّ تلا هذه الآيةَ[4].

وكان الرَّشيدُ قد بنى قَصْراً، فلمَّا فرغَ منه نجَّدَه وفرَشَه، واستدعى إليه أنواعَ الأطعمةِ والأشربةِ، وجلسَ فيه مع نُدَمائِه، ثمَّ استَدْعى إليه أبا العَتاهيةِ، فأمَرَه أن يصِفَ ما هم فيه مِن العيشِ[5]، فقال أبو العَتاهيةِ:

عِشْ ما بدا لكَ سالِمًا ... في ظلِّ شاهقةِ القُصُور

يُسْعى عليك بما اشتَهيـ ... ـتَ لدَى الرَّواحِ وفي البُكور

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٣١٦) من حديث عروة مطولًا، وذكره ابن إسحاق وابن هشام (٢/ ١٤) في «السيرة».

(٢) في (س): «في الدنيا ما عسى أن ينعم».

(٣) سقطت هذه اللفظة من (ت) و(ف).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب عليه» (٦١) من كلام الحسن بن صالح رحمه الله.

(٥) في (س): «ثم أمره»، «من النعيم والعيش».

فــإذا الــنُّــفوسُ تـقَــعْقعَتْ ... في ضيــقِ حَشــرجةِ الصُّــدور

فـهــناك[١] تعلــمُ مـوقِــناً ... ما كنــتَ إلَّا فــي غُــرور[٢]

فبكى الرشيد واشتدَّ بكاؤُه، فقالَ الوَزيرُ لأبي العَتاهيةِ: دعاكَ أميرُ المؤمنينَ لتَسُرَّه[٣] فأحزنْتَه!، فقالَ: دعْهُ، فإنَّه رآنا في عمًى، فكرِهَ أن يزيدَنا عمًى[٤].

قال مالكُ بنُ دينارٍ: رأيتُ بالبحرينِ قَصْراً مشيداً [ظريفاً][٥]، وعلى بابِه مكتوبٌ:

طلبــتُ العيــشَ أسـعدَ نــاعـمِيــهِ ... وعشتُ مِــن المعايــشِ فــي النَّعيــمِ

فلــم ألبَــثْ وربِّ النَّــاسِ طُــرًّا ... سُلِبتُ مِــن الأقــاربِ والحَميــمِ

فقلتُ: ما هذا القصرُ؟ قالوا: هذا أنعمُ أهلِ البَحرينِ، مات فأوْصى أن يدفنَ في قصرِه، وأن يكتبَ على بابِه هذا الكلامُ، قال مالكٌ: فعجِبتُ مِن معرفتِه! فهلَّا يستقبلُ الموتَ بتَوبةٍ؟! ثمَّ بكى مالكٌ[٦].

إذا غُمِسَ أنعَمُ النَّاسِ كان في الدُّنيا في العذابِ غمسةً قيلَ له: هل مرَّ بك نعيمٌ قطُّ، فيقولُ: لا يا ربِّ[٧].

---

(١) في (ت): «فهنالك».

(٢) هنا يبدأ خرم مقداره ورقة من النسخة (ت).

(٣) في (ف): «للمسرة».

(٤) أخرجه من طريق ابن أبي الدنيا: الدينوري في «المجالسة» (١٦٢١).

(٥) في (ف) و(ر): «طرياً» وسقطت الكلمة من (س). وأثبت ما جاء في المصدر.

(٦) في (س): «لأسعد ناعماً».

أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (٢٠٩).

(٧) في (س): «غمسة في العذاب» والمعنى في «صحيح مسلم» (٢٨٠٧)، وابن ماجه (٤٣٢١) من حديث أنس رضي الله عنه.

وفي الحقيقةِ: إن النَّعيمُ الذي لا ينفَدُ هو طاعةُ اللهِ وذكرُه ومحبَّتُه والأنسُ به والشَّوقُ إلى لقائِه، فإنَّ هذا نعيمٌ لأهلِه في الدُّنيا.

قال مالكُ بنُ دينارٍ: في بعضِ الكتُبِ: يقولُ اللهُ تعالى: أيُّها الصِّدِّيقونَ! تنعَّموا بذكرِي فإنه لكم في الدُّنيا نعيمٌ وفي الآخرةِ جزاءٌ[١].

وقال: ما تنعَّمَ المُتنعِّمون بمثلِ ذكرِ اللهِ عزَّ وجلَّ[٢].

وقالَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ: لو يعلمُ الملوكُ وأبناء الملوك ما نحن فيه لَجالَدونا عليهِ بالسُّيوفِ[٣].

قال أبو سُلَيمانَ: أهلُ اللَّيلِ في ليلِهم ألذُّ مِن أهلِ اللَّهوِ في لهوِهِم، ولولا الليلُ ما أحببتُ البقاءَ في الدُّنيا، وإنَّه ليمرُّ على القلبِ أوقاتٌ يضحكُ فيه ضحِكاً[٤].

وكان بعضُ العارفينَ يقولُ إنَّه ليمرُّ بي أوقاتٌ أقولُ: إن كان أهلُ الجنَّةِ في مثلِ ما أنا فيه إنَّهم لَفِي عيشٍ طيِّبٍ[٥].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٥٨).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٥٨) من طريق الإمام أحمد. وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٩٢).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٣٧٠)، والخطيب في «الزهد والرقائق» (١١٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٣٠٣، ٣٦٦).

(٤) أخرجه الدينوري في «المجالسة» (١٥٥) (٥٤٣) (١٥٦٨) وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٧٥)، والخطيب في «المنتخب من كتاب الزهد والرقائق» (٦٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٤/ ١٤٦ ـ ١٤٧).

(٥) أصل الكلام لعابد من أهل طرسوس، وهو أبو سليمان المغربي، كما ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٤٢٣).

أهـلُ المحبَّـةِ قـومٌ شـأنُهم عجَبٌ ... يـقـودهـم حـزَنٌ يَهُزُّهـم طـرَبُ
العيشُ عَيْشـهُمُ والمُلْـكُ مُلكُـهُـمُ ... ما النَّـاسُ إلَّا هُـمُ بانـوا أمِ اقترَبُـوا[١]

فهـذا نعيـمٌ فـي الدُّنيـا، فـإذا انتقَلُـوا[٢] إلـى البـرزَخِ فهـم فـي نَعيـمٍ أزيَـدَ مِن ذلـك، كما قـالَ بعضُ السَّـلَفِ: أنعَـمُ النَّاسِ: أجسـادٌ في التُّـرابِ، أمِنَـتِ العذابَ، وانتظرَتِ الثَّـوابَ[٣].

وقالَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ: ما أعلَمُ أحداً أنعمَ ممَّن صارَ إلى هذهِ القبورِ، وأمِنَ مِن عذابِ اللهِ عزَّ وجلَّ[٤].

وإذا بُعِثوا للجزاء فلهم حينئذٍ[٥] النَّعيمُ الأعظَمُ في جنَّاتِ النَّعيمِ، ويُنادي مُنادٍ: إنَّ لكم أن تحْيَوا فلا تموتوا أبداً، وإنَّ لكم أن تصِحُّوا فلا تسقَمُوا أبداً، وإنَّ لكم أن تشبُّوا فلا تهرَمُوا أبداً، وإنَّ لكم أن تنعَمُوا فلا تبأَسُوا أبداً[٦].

* * *

---

(١) ذكر المصنف رحمه الله نحوهما في «شرح حديث زيد بن ثابت: لبيك اللهم لبيك».

(٢) في (س): «انقلبوا».

(٣) أخرج نحوه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٥٣) من كلام صفوان بن عمرو قاله لبقية بن الوليد في قصة.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا، وعنه الدولابي في «الكنى والأسماء» (٥٥٩)، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٦٩).

(٥) في (ف): «إلى الجزاء حينئذ فلهم».

(٦) في حاشية (س): «بلغ».

وهذا من حديث أخرجه مسلم (٢٨٣٧) من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما.

**وقولُه ﷺ: «وقرةَ عينٍ لا تنقطع»:**

قرَّةُ العينِ مِن جملةِ النَّعيمِ، فمنهُ ما هو مُنقطِعٌ، ومنه ما لا ينقطِعُ، فمَن قرَّت عينُه بالدُّنيا فقُرَّةُ عينِه مُنقطِعةٌ وأيضاً فسُرورُها لا يدومُ؛ لأنَّ لذَّاتِها مَشوبةٌ بالفَجائعِ والنغصِ، وكيف تقرُّ عين المؤمنِ في الدُّنيا وهو يعلَمُ سُرعةَ انقِضائِها ومُفارقةَ ما له فيها مِن أهلٍ وولَدٍ ومالٍ؟، ويعلمُ ما يعالجُه عند مُفارقتِها مِن سكَراتِ الموتِ، وما يلقاهُ في البرزَخِ مِن الوَحشةِ والوَحدةِ والضِّيقِ، ثمَّ ما يخشاهُ يومَ القيامةِ مِن العَذابِ[1].

قالَ بعضُ السَّلَفِ: ما تركَ الموتُ للمُؤمنِ مِن قرَّةِ عينٍ في أهلٍ ولا مالٍ ولا ولَدٍ[2].

وقال مُطرِّفٌ: إنَّ هذا الموتَ قد أفسدَ على أهلِ النَّعيمِ نعيمَهم فالتمِسُوا نعيماً لا موتَ فيه[3].

وقال بعضُ السَّلفِ: عجَباً لِمَن يُوقِنُ بالموتِ كيف تقَرُّ بالدُّنيا عينُه؟، أم كيف يطيبُ فيها عيشُه[4]؟.

ونظرَ بعضُهم إلى دارٍ له حسَنةٍ فبكَى، وقالَ: واللهِ لولا الموتُ لكنتُ بكِ مَسروراً، ولولا ما نصيرُ إليه مِن ضيقِ القُبورِ لقرَّتْ بالدُّنيا أعيُنُنا، ثمَّ بكى حتى ارتفَعَ صوتُه[5].

---

(١) في (س): «العقاب».

(٢) نقل المصنف رحمه الله نحوه عن يونس بن عبيد في «لطائف المعارف» (ص: ٧١).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٢٩١)، والإمام أحمد في «الزهد» (١٣٢٢).

(٤) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٦/ ٤١٦) من كلام مالك بن دينار.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (٢٧٢) عن وهيب بن الورد قال: نظر ابن مطيع... والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٢٨٣).

رأى بعضُ السَّلَفِ في المنام قائلاً وهو يقولُ له:

وكيفَ تنامُ العينُ وهي قَريرةٌ ولم تَدرِ في أيِّ المحلَّيْنِ تنزِلُ[١]

فلا تقَرُّ عينُ المؤمنِ في الدُّنيا إلَّا باللهِ عزَّ وجلَّ وذِكرِه ومحبَّتِه والأُنسِ به، ومَن قرَّتْ عينُه باللهِ فقد حصلَتْ له قرَّةُ العينِ التي لا تنقطِعُ في الدُّنيا ولا في البرزَخِ ولا في الآخرةِ، وقرَّتْ به عيونُ المُؤمنينَ كما قال بعضُهم: مَن قرَّتْ عينُه باللهِ قرَّتْ بهِ كلُّ عينٍ[٢].

وكان حبيبٌ العجَميُّ يخلو في بيتِه ثمَّ يقولُ: مَن لم تقرَّ عينُه بك فلا قرَّت، ومَن لم يأنَسْ بك فلا أنِسَ[٣].

وروي عنه أنَّه كانَ يقولُ: لا قرَّتْ عينٌ لِمَن لم تقرَّ عينُه بكَ، ولا فرَحَ لِمَن لم يفرَحْ بك، وعزَّتِكَ إنَّك لَتعلَمُ أنِّي أحِبُّكَ[٤].

وقال حبيبٌ ليزيدَ الرَّقاشيِّ: بأيِّ شيءٍ تقَرُّ عيونُ العابدينَ في الدُّنيا؟، وبأيِّ شيء تقر أعينهم في الآخرة؟ قال: ما أعلم شيئاً أقر لعيون العابدين في الدنيا[٥]

---

(١) أنشده ابن أبي الدنيا في «المنامات» (١٤٥) عن رجل يقال له: التمتام عن رجل من الحي. وذكره أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٣٤٣) في قصته لذي النون سمعه من امرأة سوداء. وذكره البيهقي في «الشعب» (٩٥٨) عن أبي الفتح البغدادي سمعه هاتفاً.

(٢) أخرجه أبو عبد الرحمن السلمي في «الفتوة» (ص: ٣٥)، وفي «طبقات الصوفية» (ص: ١٠٢)، ومن طريقه: البيهقي في «الزهد الكبير» (٧٢٦) من كلام يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (١٠٣). وتصحفت العجمي في (س) إلى: «العجلي».

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٥٤)، وفي (س): «عينُ من لم»، «ولا فرِحَ مَنْ».

(٥) سقطت الجملة الثانية من سؤال حبيب وأول جواب يزيد من (ف)، فوقع فيها: «فقال: بالإكثار من...».

مِن التَّهجُّدِ في ظُلمةِ اللَّيلِ، وأمَّا الذي تقَرُّ به عيونهم في الآخرةِ فما أعلمُ شيئاً مِن نعيمِ الجنانِ وسُرورِها ألذَّ عند العابدينَ ولا أقرَّ لعيونِهم مِن النَّظَرِ إلى ذي الكبرياءِ العظيمِ إذا رُفِعَت تلك الحجُبُ وتجلَّى لهم الكريمُ، فصاحَ حبيبٌ عند ذلك صيحةً خرَّ مغشيًّا عليه[1].

كان كَهْمسُ بن حسن يقولُ في جوف الليل[2]: أتراك مُعذِّبي وأنتَ قرَّةُ عيني يا حبيبَ قلباه[3].

كان بعضُ العابدينَ يُصلِّي فنامَ في سُجودِه فرأى في منامِه كأنَّه وقَف بين يدي اللهِ عزَّ وجلَّ وهو يقولُ لِمَلائكتِه: انظروا إلى عَبدي، بدنُه في طاعَتي وروحُه عندي، فاستيقظَ، فقال: أنتَ قرَّةُ عيني في نومِي وأنتَ قرَّةُ عيني في يقظَتِي[4].

كان يحيى بنُ مُعاذٍ الرازي يُنشِدُ:

قرَّةَ عيني لابدَّ لي منكَ وإن أوحشَ بيني وبَيْنكَ الزَّلَلُ

قرَّةَ عيني أنا الغريقُ فخُذ كفَّ غريقٍ عليك يتَّكِلُ[5]

كان بعضُهم يقولُ: أنت قرَّةُ عينِ المطيعينَ، وقُرَّةُ عينِ العاصينَ، وكيف لا تكونُ قرَّةَ عينِ المطيعينَ وأنت مننتَ عليهم بالطَّاعةِ؟، وكيف لا تكونُ قرَّةَ عينِ العاصينَ وأنتَ منَنْتَ عليهم بالتَّوبةِ[6]؟

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التهجد وقيام الليل» (٣٥٠).

(٢) **هنا ينتهي خرم مقداره ورقة في (ت).**

(٣) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (١٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢١٣).

(٤) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (٢٥٩) عن أبي بكر المحلمي.

(٥) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله، وأورده في «لطائف المعارف» (ص: ٤٩٦).

(٦) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٦/ ٢٧٧) من كلام يحيى بن أيوب المقابري.

مَن قرَّتْ عينُه بمُناجاةِ اللهِ في ظُلمةِ اللَّيلِ سِرًّا، أقرَّ اللهُ عينَه بما لم يُطلِع عليه بشراً، كما قالَ تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٦ـ١٧].

وفي الأثرِ عن فُضَيلِ بنِ عياضٍ: يقولُ اللهُ: كذَبَ مَن ادَّعى محبَّتي فإذا جنَّه اللَّيلُ نامَ عني، أليس كلُّ حبيبٍ يحبُّ خلوةَ حبيبِه؟، فإذا جنَّ اللَّيلُ جعلتُ أبصارَهم في قلوبِهم، وكلَّموني على المشاهدةِ، وخاطَبوني على حُضوري، غداً أُقِرُّ أعيُنَ أحبابي في جِناني[1].

* * *

**قولُه ﷺ: «وأسألُكَ الرِّضا بعدَ القَضا»:**

الرِّضا مقامٌ عظيمٌ[2] مَن حصَلَ له فقد رضِيَ اللهُ عنه، كما قالَ تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢، والبينة: ٨]، وفي الحديثِ: «مَن رضِيَ فله الرِّضا ومَن سخِطَ فله السخطُ»[3].

قالَ بعضُهم: لن يَرِدَ القيامةَ أعظمُ درجةً مِن الرَّاضينَ بقضاءِ اللهِ عزَّ وجلَّ[4].

وقالَ بعضُهم: مَن وُهِبَ له الرِّضا فقد بلغَ أفضلَ الدَّرجاتِ[5].

---

(١) أخرجه الدينوري في «المجالسة» (١٣٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٩٩).

(٢) في (س): «الرضا بالقضا مقام عظيم».

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٤٠٣١).

(٤) ذكره الأصبهاني في «سير السلف الصالحين» (٤/ ١٢٦١) من كلام أبي عبد الله البراثي، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ١٣٨) مع الذي يليه.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (٣١) من كلام أبي عبد الله البراثي، وأبو نعيم في الحلية (١٠/ ١٣٨) مع الذي قبله. وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٤٩) من كلام بشر الحافي رحمه الله.

وقال بعضُهم: في قولِه تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] قال: الرِّضا والقَناعةُ[١].

قال عبدُ الواحدِ بنُ زيدٍ: الرِّضا بابُ اللهِ الأعظَمُ وجنَّةُ الدُّنيا ومُستراحُ العابدينَ[٢].

قالت أمُّ الدَّرداءِ: إنَّ الرَّاضينَ بقَضاءِ اللهِ، الذين ما قضَى اللهُ لهم رضُوا بهِ، لهم في الجنَّةِ منازلُ يغبِطُهم بها الشُّهَداءُ[٣].

يا أيها الراضي بأحكامنا ... لا بد أن تحمد عقبى الرضا

فوض إلينا وارض مستسلماً ... فالراحة العظمى لمن فوضا

وإن تعرضت لأسبابنا ... فلا تكن عن بابنا معرضا

فإن فينا خلقاً باقيا من ... كل ما فات وما قد مضى[٤]

وإنَّما قالَ: «الرِّضا بعدَ القَضا»؛ لأنَّ الرِّضا قبلَ القضاءِ عزمٌ على الرِّضا، فإذا وقعَ القَضاءُ فقد تنفسِخُ العَزائمُ، كما قالَ بعضُهم:

وليس لي في سِواكَ حَظٌّ ... فكيفَ ما شئتَ فامتحِنِّي[٥]

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (٤٢) (٧١) من كلام أبي معاوية الأسود.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (١٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٥٦).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (٨)، وفي مطبوعه: «منارٌ يغبطهم»! ولعله تصحيف.

(٤) هذه الأبيات سقطت من (ت) و(ف) و(س)والمثبت من (ر)، وانظر عنها: «آداب الدعاء» ليوسف بن عبد الهادي الحنبلي (ص: ١٦٥)، و«الضوء اللامع» للسخاوي (٢/ ١٦) (٦/ ١١٢).

(٥) في (س) و(ك): «فاختبرني».

فابتُلِيَ بعُسرِ البولِ فلم يَصبِر وجعلَ يَطوفُ على المكاتبِ ويقولُ للصِّبيانِ: ادْعُوا لعمِّكم الكذَّابِ[١].

وكذا قولُ مَن قال[٢]: لو أدخلَني النَّارَ كنتُ راضياً[٣]. هو أيضاً عزمٌ على الرِّضا، ولا يَدرِي هل يثبتُ أو ينفسِخُ، فلا ينبغي للعبدِ أن يتعرَّضَ للبَلاءِ، ولكن يسألُ اللهَ العافيةَ وأن يَرزقَه الرِّضا بالبَلاءِ إن قدَّرَ له البلاءَ[٤].

كان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ يقولُ: ما تركَتْني هذه الدَّعواتُ ولي سرورٌ في غيرِ مواقعِ القَضاءِ والقدرِ: اللهمَّ رضِّني بقَضائِك وبارِكْ لي في قدَرِك حتَّى لا أُحِبَّ تأخيرَ ما عجَّلْتَ ولا تعجيلَ ما أخَّرْتَ[٥].

قال بعضُهم: الرَّاضي لا يتمنَّى غيرَ مَنزلتِه[٦]، التي هو عليها لأنَّه قد رضِيَ بها.

وقد يستغرِقُ المحبُّ في الرِّضا عن حبيبِه، حتى لا يحسَّ بألمِ البَلاءِ لِمُلاحظتِه عظَمَةَ المُبتلِي وكمالَه وحِكمتَه ورحمتَه، وأنَّه غيرُ مُتَّهمٍ في قضائِه، وقد وصَّى النَّبيُّ ﷺ رجُلاً فقالَ: «لا تتَّهِمِ اللهَ فيما قضاهُ لك»[٧].

---

(١) ذكره القشيري في «رسالته» عن سمنون بن حمزة (١/ ٩١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٣١٠).

(٢) في (ف): «يقول».

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٦٣) عن أبي سليمان الداراني.

(٤) «إن قدر له البلاء» سقطت من (ف).

(٥) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٧/ ٣٦٣)، وابن عبد الحكم في «سيرة عمر بن عبد العزيز» (ص: ٩٧)، وابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله» (١٠، ٤٦) بألفاظ مقاربة.

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (١٦) (٢٣) من كلام الفضيل بن عياض رحمه الله.

(٧) في (س): «فيما قضى». والحديث أخرجه الإمام أحمد (٢٢٧١٧) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

كان بعضُ أهلِ البلاءِ يقولُ:

لـــو قطَّعَنـــي إِرْبـــاً إِرْبـا ... مـــا ازدَدْتُ لـــهُ إلَّا حُبّـــا[1]

[لـو قطعـني الـغـرام إربـاً إربـاً ... ما ازددت لكم على الملام إلا حباً

لا زلـت بكـم أسير وجـد صبا ... حتـى أقضي على هواكـم نحبا][2]

كان بعـضُ العارفيـنَ يطـوفُ بالبيـتِ، فهجَـمَ القَرامطةُ علـى النَّـاسِ فقتَلُوهم بالسُّـيوفِ، وهـو يَطـوفُ فأخذَتْهُ السُّـيوفُ، فلـم يقطَعْ طوافَـه حتَّى سـقطَ، فتمثَّلَ:

تـرَى المُحِبِّيـنَ صَرْعـى فـي دِيارِهـمُ ... كفِتيةِ الكهـفِ لا يَـدْرونَ كـم لَبِثُـوا[3]

قُتِـلَ لرَجـلٍ مِـن الصَّالحيـنَ ابنـانِ فـي الجهـادِ، فجـاء النَّـاسُ يُعزُّونَـه بهمـا، فبَكـى وقـالَ: واللهِ مـا أبكـي علـى قَتلِهما ولكـن أبكي كيـفَ كان رِضاهُمـا عنِ اللهِ حيـن أخذَتْهما السُّـيوفُ[4].

إن كانَ سُـــكَّانُ الـغَـضى ... رَضُـــوا بقَتْلـــي فرِضَـــا

واللهِ لا كـنـــــتُ[5] لِـمَـــا ... يَـهْـــوى الحبيـــبُ مُبغِضَـــا

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر» (١٩٣).

(٢) هذان البيتان سقطا من (ت) و(ف) و(س)، والمثبت من (ر). وذكر هذين البيتين: ابن الجوزي في «المدهش» (ص: ١٨٢).

(٣) وكان ذلك سنة ٣١٧، والخبر ذكره ابن الجوزي في «الثبات عند الممات» (ص: ١٧٥)، وفي «المنتظم» (١٣/ ٢٨١) والقائل: علي بن بابويه رحمه الله تعالى.

(٤) ذكره المصنف في عدد من كتبه، وذكر ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (٧٣)، والبيهقي في «الشعب» (٩٦٤٥) نحو هذه القصة.

(٥) في (ف): «لا كنت».

صِـــرتُ لهـــم عَبْـــداً وما ... للـعَبـــدِ أن يَـعتـــرِضَا
مَـــن لِـمَـــريـــضٍ لا يَـــرى ... إلَّا الطَّبيـــبَ المُمرِضَـــا[(١)]

* * *

**قولُه ﷺ: «وبردَ العيشِ بعدَ الموتِ»:**

هذا يدلُّ على أنَّ العيشَ وطِيبَه وبَرْدَه إنَّما هو بعدَ الموتِ، فإنَّ العيشَ قبلَ الموتِ منغَّصٌ، ولو لم يكن له منغِّصٌ سوى الموتِ، كما قالَ بعضُهم:

إنَّ عَيْشـــاً يكـــون آخـــرَه المـــو ... تُ لعَيْـــشٌ معجَّـــلُ التَّنغيـــصِ[(٢)]

فكيف ومع ذلك له منغِّصاتٌ كثيرةٌ مِن الهُمومِ والغُمومِ والأمراضِ والأسقامِ والهرَمِ ومُفارقةِ الأحبابِ، وآخرُ الدُّنيا كلِّها الموتُ.

قال بعضُ السَّلَفِ: كيف يلذُّ العيشُ لِمَن يعلَمُ أنَّه يموتُ[(٣)].

وقال بعضهم: ثنتان قطعتا عني لذات الدنيا: ذكر الموت المنغص، والوقوف بين يدي الله عز وجل[(٤)].

---

(١) ذكر الأبيات ابن الجوزي في «المدهش» (ص: ٢٧٧)، والعماد الأصبهاني في «خريدة القصر» (٣/ ٦٦) وهي من قصيدة لأبي عبد الله الحسين بن محمد البارع النحوي الشاعر، المتوفى سنة ٥٢٤ رحمه الله.

(٢) تمثل به عبد الله بن يعقوب في يوم موته، كما في «المحتضرين» لابن أبي الدنيا (٣٠٣). والبيت لأبي العتاهية وأوصى أن يكتب على قبره كما في «تاريخ دمشق» (٧/ ٥٩).

(٣) أي خير في لذة وهذا الموت يقفوها. انظر: «الوجل والتوثق بالعمل» لابن أبي الدنيا (ص: ٣٨).

(٤) سقط الأثر من (ت) و(ف) و(س)، والمثبت من (ز).
أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٨٨) من كلام عبد الأعلى التيمي.

وكيف يلذ العيش من كان موقناً ... بأن المنايا بغتة ستعاجله

وكيف يلذ العيش من كان موقناً ... بأن إله الخلق لا بد سائله[١]

ولبعضِهم:

وكيفَ قرَّتْ لأهلِ العلمِ أعيُنُهم ... أو استلَذُّوا لذيذَ النَّومِ أو هجَعوا

والموتُ يُنذِرُهم جَهْراً علانيَةً ... لو كان للقَومِ أسماعٌ لقد سَمِعوا

والنَّارُ ضاحيةٌ لا بُدَّ مورِدُهم ... وليس يَدرونَ مَن ينجو ومَن يقَعُ[٢]

فحينئِذ فلا يطيبُ العيش إلَّا بعد الموتِ، وهو عيشُ مَن أمِنَ مِن عذابِ اللهِ ووصلَ إلى ثوابِه، فلذلك سألَ بردَ العيشِ بعدَه.

وكان النَّبيُّ ﷺ يقولُ لَمَّا حفرَ الخندقَ، وجهدَ هو وأصحابُه في حَفرِه: «اللَّهمَّ لا عيشَ إلا عيشُ الآخرة، فاغفِر للأنصارِ والمُهاجِرَة»[٣].

كان يزيدُ الرَّقاشيُّ يقولُ: أمِنَ أهلُ الجنَّةِ مِن الموتِ فطابَ لهم العيشُ، وأمنوا مِن الأسقامِ فهنيئاً لهم في جوارِ اللهِ طولُ المقامِ[٤].

وعن وهبٍ قالَ: أوحى اللهُ إلى عِيسى عليهِ السَّلامُ: يا عيسى! ما خيرُ عيشٍ عن صاحبِه يزولُ، وما خيرُ لذاذةٍ لا تدومُ[٥]؟

---

(١) سقط البيتان من (ت) و(ف) و(س)، والمثبت من (ر).

وانظر: «القبور» لابن أبي الدنيا (٢١٨) و«تاريخ دمشق» (٢٨/ ٣٥٤).

(٢) أنشده ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٢/ ٤٧٤) لابن المبارك رحمه الله.

وفي (س): «واستلذوا بلذيذ النوم إذ هجعوا».

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٩٥) ومسلم (١٨٠٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٥/ ٨٧).

(٥) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله.

وأنشدَ بعضُهم:

تَنقضِـي الدُّنيـا وتَفْنى والفـتَى فيهـا مُعنَّـى
ليـس فـي الدُّنيـا نعيـمٌ لا ولا عيـشٌ مُهـنَّا
يـا غَنِيـاً بـالـدَّنـانِـيـ ـر مُحِـبُّ اللهِ أَغْنـى[1]

ولبعضِهم:

إنَّمـا الدُّنيـا وإن سَـرْ رَتْ قليـلٌ مِـن قَليـلِ
ليـس تعـدو أن تَبـدَّى لـك فـي زِيٍّ جميـلِ
ثـمَّ ترميـكَ مِـن المـأ مَـنِ بالخَطـبِ الجَليـلِ
إنَّما العيشُ فـي جوارِ الـ ـلـهِ فـي ظِـلٍّ ظَـليـلِ
حيـثُ لا تسـمعُ مـا يـؤ ذِيـكَ مِـن قـالٍ وقيـلِ[2]

* * *

**قولُه ﷺ: «وأسألُكَ لذَّةَ النَّظَرِ إلى وجهِكَ، والشَّوقَ إلى لقائِكَ، في غيرِ ضرَّاءَ مُضِرَّةٍ ولا فِتنةٍ مُضِلَّةٍ»:**

هذان الأمرانِ هما سَعادةُ الدُّنيا والآخرةِ، وأعظمُ لذاتهما[3]، وأعلى ما يحصلُ للمُؤمنِ فيهما؛ فإنَّ أعلى ما[4] في الآخرةِ: النَّظرُ إلى وجهِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وهو أعظمُ مِن الجنَّةِ وكلِّ ما فيها.

---

(١) أنشده علي بن محمد بن بشار، ذكره أبو موسى المديني في «اللطائف من دقائق المعارف» (ص: ٣٩).

(٢) أنشدها ابن أبي الدنيا لرجل يشكري في «ذم الدنيا» (٨١)، وفي «الزهد» (١٧٠). وهي في «الحلية» (١٠/ ٢١٧).

(٣) في (ف): «للذاتها».

(٤) في (ف): «منازل».

وفي «الصَّحيحِ»: عنِ النَّبيِّ ﷺ: «إذا دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ نادى مُنادٍ: إنَّ لكم عندَ اللهِ مَوعِدًا يُريدُ أن يُنجِزَكُموه، فيقولونَ: أَلَمْ يُبيِّضْ وُجوهَنا؟ ألم يُثقِّلْ مَوازينَنا؟ ألم يُدخِلْنا الجنَّةَ ويُزَحزِحْنا عنِ النَّارِ[١]؟ فيُكشَفُ الحجابُ ينظرونُ[٢] إليه، فواللهِ ما أعطاهُم اللهُ شيئاً هو أحبَّ إليهم مِن النَّظرِ إليه».

وفي روايةٍ: «ولا أقرَّ لأعيُنِهم مِن النَّظَرِ إليه، وهو الزِّيادةُ»، ثمَّ تلا: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦][٣].

وفي «مسندِ البزَّارِ» مِن حديثِ حُذَيفةَ، عنِ النَّبيِّ ﷺ: أنَّه يكشفُ الحِجابَ[٤]، ويتجلَّى لهم، فيغشاهُم مِن نورِه شيءٌ لولا قضيَ عليهم أن لا يحترِقوا لاحترَقوا[٥] ممَّا غشِيَهم مِن نورِه، فإذا رجَعوا إلى منازِلِهم خَفَوا على أزواجِهم ممَّا غشِيَهم مِن نورِه، حتَّى يعودُوا إلى صورِهم التي كانوا عليها»[٦].

قال الحسنُ: إنَّ اللهَ يتجلَّى لأهلِ الجنَّةِ، فإذا رآهُ أهلُ الجنَّةِ نسوا نعيمَ الجنَّةِ[٧].

وقال ابنُ أبي ليلى: إذا تجلَّى لهم ربُّهم فلا يكونُ ما أعطوا[٨] عند ذلك

---

(١) في (س): «وتجرنا من النار» وقد جاءت فيها الأفعال قبله بتاء الخطاب.

(٢) في (س): «فينظرون».

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١٨٩٣٥) (١٨٩٣٦) (٢٣٩٢٥)، ومسلم (١٨١)، والترمذي (٢٥٥٢).
والرواية التي أشار إليها هي عند الإمام أحمد (١٨٩٤١)، وهناد في «الزهد» (١٧١)، وابن ماجه (١٨٧).

(٤) في (س): «الحجب».

(٥) في (س): «لو قضي عليهم أن يحترقوا من نوره لاحترقوا».

(٦) هذا مختصر أخرجه البزار (٢٨٨١) في حديث طويل. قال علي بن المديني: هذا حديث غريب.

(٧) أخرجه الآجري في «الشريعة» (٥٧٢).

(٨) في (س): «أعطوه».

بشـيءٍ، ولا يرهـقُ وجوهَهـم قتـرٌ ولا ذلـةٌ بعـد نظرهم إلـى ربِّهم عزَّ وجـلَّ[١].

وقال الحسَنُ: لو علِمَ العابِدونَ أنَّهم لا يرَوْنَ ربَّهم في الآخرة لماتوا، وفي رواية قال: لذابت أنفسهم[٢].

وكان أبو سُليمانَ يقولُ: أيُّ شيءٍ أرادَ أهلُ المعرفةِ؟ ما أرادوا كلُّهم إلَّا ما سأَلَ موسى عليهِ السَّلامُ[٣].

وقال ذو النُّونِ: ما طابتِ الدُّنيا إلا بذكرِه، ولا طابتِ الآخرةُ إلَّا بعفوِه، ولا طابتِ الجنَّةُ إلَّا برُؤيتِه[٤].

وقال بعضُهم: لو أنَّ اللهَ احتجبَ عن أهلِ الجنَّةِ، لاستغاثَ أهلُ الجنَّةِ مِن الجنَّةِ كما يَستغيثُ أهلُ النَّارِ مِن النَّارِ[٥].

كان بعضُ العابدينَ[٦] يقولُ: ليت ربِّي جعلَ ثَوابي مِن عمَلِي نظرةً إليه، ثمَّ يقولُ: كُن تُراباً[٧].

وكان عليُّ بنُ الموفَّقِ يقولُ كثيراً: اللهمَّ إن كنت تعلَمُ أنِّي أعبدُكَ خَوْفاً مِن نارِكَ فعَذِّبني بها، وإن كنت تعلَمُ أنِّي إنَّما أعبدُكَ شَوْقاً إلى جنَّتِك فاحرِمْنيها، وإن كنتَ

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٩٣).

(٢) في (س): «لو يعلم». أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٥٩)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٨٦٩)، والآجري في «الشريعة» (٥٧١).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٦٤).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٣٧٢).

(٥) هذا من كلام أبي يزيد البسطامي رحمه الله، أخرجه بنحوه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٣٤).

(٦) في (س): «العارفين».

(٧) ذكره المصنف في «استنشاق نسيم الأنس» منسوباً إلى نافع من عباد الجزيرة.

تعلمُ أنِّي إنَّما أعبدُكَ حبًّا لك وشَوْقاً إلى وجهِكَ الكريمِ فأبِحْنيهِ وافعَلْ بي ما شئتَ[1].

العارفونَ في شغلٍ عنِ الجنَّةِ، فكيفَ يَلتفِتونَ إلى الدُّنيا؟ وأنشدَ بعضُ العارفينَ في هذا المعنى:

يا حبيبَ القُلوبِ مَن لي سِواكا ... فارحَمِ اليومَ مُذنِباً قد أتاكَا

أنتَ سُؤلي ومُنيَتِي وسُرُورِي ... قد أبى القَلبُ أن يُحِبَّ سِواكَا

أنتَ مُرادي وسيِّدي واعتِمادِي ... طالَ شَوْقي متَى يكونُ لِقاكَا

ليسَ سُؤْلي مِن الجنانِ نَعيماً ... غيرَ أنِّي أريدُها لأَراكَا[2]

وأمَّا الشَّوقُ إلى لقاءِ اللهِ في الدُّنيا، فهو أعظمُ لذَّةٍ تحصلُ للعارفينَ في الدُّنيا، فمَن أَنِسَ باللهِ في الدُّنيا واشتاقَ إلى لقائِه فقد فازَ بأعظَمِ لذَّةٍ يُمكِنُ البشرَ الوصولُ[3] إليها في هذهِ الدَّارِ.

كان أبو الدَّرداءِ يقولُ: أحبُّ الموتَ اشتِياقاً إلى ربِّي عزَّ وجَلَّ[4].

قال أبو عِنَبَةَ الخَوْلانيُّ: كان إخوانُكم لقاءُ اللهِ أحبُّ إليهِم مِن الشَّهْدِ[5].

---

(١) في (س): «عبدتك» بدلًا من «أعبدك» في المواضع الثلاث، وفي (س): «واصنع بي ما شئت».
أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٢٧)، وذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١/ ٥٠٣).
وذكره المصنف في «شرح حديث زيد بن ثابت: لبيك اللهم لبيك» وقال عقبه: «لما غلب الشوق على قلوب المحبين استروحوا إلى مثل هذه الكلمات وما تخفي صدورهم أكبر».

(٢) مما سمعه محمد بن المبارك الصوري من عباس المجنون رحمهما الله في جبل لبنان. أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ١٤٥).

(٣) في (ك): «لذة تحصل للعارفين ويمكن البشر» وفي (ف): «من الوصول».

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (٨١١)، وأبو داود في «الزهد» (٢٣٧) وغيرهما.

(٥) «عِنَبَة»: تصحف إلى عتبة في النسخ، وهو صحابي رضي الله عنه. والأثر أخرجه ابن المبارك في =

وكان بعضُهم يقولُ: إذا ذكَرْتُ القُدومَ على اللهِ كنتُ أشَدَّ اشتِياقاً إلى الموتِ مِن الظَّمآنِ الشَّديدِ ظمؤُه، في اليومِ الحارِّ الشَّديدِ حَرُّه، إلى الشَّرابِ البارِدِ الشَّديدِ بَرْدُه[١].

كانت رابعةُ تقولُ: قد طالتْ عليَّ الأيَّامُ واللَّيالي بالشَّوقِ إلى لقاءِ اللهِ عزَّ وجلَّ[٢].

وبقيَ فتحُ بن شُخْرُف ثلاثينَ سنةً لم يرفَع رأسَه إلى السَّماءِ، ثم رفع رأسه إلى السماء[٣]، وقالَ: طالَ شَوقي إليك فعَجِّلْ قُدومي عليكَ[٤].

قالَ بعضُهم: اخدُموه شَوقاً إلى لقائِه، فإنَّ له يوماً يتجلَّى فيه لأوليائِه[٥].

**وأهلُ الشَّوقِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، على طبقتين:**

**أحدُهما**: مَن يُفضي بهم الشَّوقُ إلى القلقِ والأرَقِ، ويقلُّ صَبرُهم عن طلبِ اللِّقا.

كان أبو عُبيدة الخوَّاصُ يَمشي في الأسواقِ، ويضربُ على صَدرِه، ويقولُ: واشوقاهُ إلى مَن يَراني ولا أراهُ[٦].

---

= «الزهد» (٥٢٤)، وفي «الجهاد» (١٢٨).

(١) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله. وقد ذكره في «لطائف المعارف» (ص: ٥١١)، وفي «شرح حديث لبيك اللهم لبيك».

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٩٣) في سياق قصة.

(٣) هذه الجملة من (س) وحدها، وسقطت من (ت) و(ف).

(٤) ذكر هذا الأثر ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١/ ٥١١).

(٥) أخرجه بنحوه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٩٩) من كلام عابدة في بيت المقدس و(١٠/ ٢٢٧) من كلام عابد بجبلِ اللُّكَام ـ أحد الجبال في ناحية الشام ـ.

(٦) أخرجه الختلي في «المحبة» (٢٥٨).

وعن إبراهيمَ بنِ أدهمَ أنَّه قالَ يوماً: اللهمَّ إن كنت أعطيتَ أحداً مِن المُحبِّينَ ما سكَّنْتَ بهِ قُلوبَهم قبلَ لقائِكَ فأعطِني ذلك، فلقَد أضرَّ بي القلَقُ، قال: فنِمتُ فرَأيتُه تعالى في النَّومِ، فوقفَني بين يديهِ وقالَ: يا إبراهيمُ! أما استحييتَ مِنِّي تَسأَلُني أن أعطيَكَ ما يَسكُنُ به قلبُكَ قبلَ لقائِي، وهل يسكُنُ قلبُ المشتاقِ إلى غيرِ حَبيبِه؟ أم يستريحُ المُحبُّ إلى غيرِ مَن اشتاقَ إليه؟ فقلتَ: يا ربِّ تهتُ في حبِّكَ، فلَم أدرِ ما أقولُ[1].

أَنَّ مِن الشَّوقِ فلولا دَمعُه أحرَقَ ما بينَ العُذيبِ والنَّقا

واسْتعرَتْ أنفاسُه وإنَّما[2] تلهبُ الأنفاسُ مِن حرِّ الجَوى

مُرُّوا على وادي الغَضا فقَلَّبوا مِن الجَوى قَلبي على جمرِ الغَضى[3]

**الطَّبقةُ الثَّانيةُ**: مَن أعطاهُ اللهُ بعد بلوغِه إلى درجةِ الشَّوقِ إليه الأنسَ به والطُّمأنينةَ إليه، فسكنتْ قلوبُهم بما كشفَ لها مِن آثارِ قُربِه ومُشاهدتِه، ووجَدوا لذَّةَ الأُنسِ به في الذِّكرِ والطَّاعةِ، وصارَ عيشُهم مع اللهِ في نعيمٍ سَرمديٍّ، وطابَ لهم السَّيرُ إليه في الدُّنيا بالطَّاعاتِ، وهذه كانت حالُ نبيِّنا محمد ﷺ وأصحابِه، وهي حالُ كثيرٍ مِن العارفينَ كأبي سُليمانَ، وأحمدَ بنِ أبي الحواريِّ، وذي النُّونِ، والجُنَيدِ وغيرِهم.

---

(١) أخرجه السراج القارئ في «مصارع العشاق» (١/ ٢٧٨).

وفي حاشية (ف): «تتمة من «الإحياء»: فاغفر لي وعلمني ما أقول، فقال: قل: اللهم رضّني بقضائك، وصبّرني على بلائك، وأوزعني شكر نعمائك، فإذاً هذا الشوق يسكن في الآخرة».

(٢) سقطت الواو من (ت) و(ف)، وألحقت كاف قبلها في (ف).

(٣) لم أجد الأبيات عند غير المصنف رحمه الله، وقد أوردها أيضاً في «استنشاق نسيم الأنس».

وسُئِلَ الشِّبليُّ: بماذا تستريحُ قلوبُ المحبِّينَ والمُشتاقينَ؟ فقالَ إلى سرورهم: بمَن أحبُّوهُ واشتاقوا إليهِ[1].

فهؤلاء كلَّما أقلقَهُم الشَّوقُ سكَّنَهم الأنسُ والقُربُ والمُشاهدَةُ، كما كانَ ﷺ إذا ذُكِرَ له تركُه الطَّعامَ والشَّرابَ واجتهادُه في الطَّاعاتِ في الصِّيامِ يقولُ: «إنِّي أظلُّ عند ربِّي يُطعِمُني ويسقيني»[2].

ساكنٌ في القلبِ يَعمُرُه ... لستُ أنساهُ فأَذكُرُهُ

غابَ عن سَمعي وعن بَصَرِي ... فسُوَيدَا القَلبِ تبصِرُهُ[3]

قلوبُ المُحبِّينَ كالجمرةِ[4] تحت فَحمةِ اللَّيلِ، فإذا هبَّ عليها نسيمُ السَّحَرِ التهبَتْ بالأشواقِ، فلولا أن يُرَشَّ عليها مِن ماءِ العُيونِ وتعدَّلَ ببُرودةِ الذِّكرِ لَسرَى الحريقُ إلى أجسادِها.

كان داودُ الطَّائيُّ يُنادي باللَّيلِ: همُّكَ عطَّلَ عليَّ الهُمومَ، وحالفَ بيني وبين السُّهادِ، وشوقي إلى النَّظرِ إليك أوثَقَ مِنِّي اللذَّاتِ، وحالَ بيني وبين الشَّهَواتِ، فأنا في سِجنِك أيُّها الكريمُ مَطلوبٌ، ثمَّ يترنَّمُ بالآية فيُخيَّلُ لِمَن سَمِعَه أنَّ جميعَ لذَّاتِ الدُّنيا ونعيمِها جُمِعَ له في تَرنُّمِه[5].

---

(١) «إلى سرورهم» من (س) وسقطت من (ت) و(ف).
أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٦/ ٥٦٣).

(٢) أخرجه البخاري عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، منهم أنس (٧٢٤١) وهو عند مسلم (١١٠٤)، والسيدة عائشة عند البخاري (١٩٦٤)، وهو عند مسلم (١١٠٥).

(٣) في (ت) و(ف): «يبصره»، وفي (س): «تذكره». ذكر نحو هذين البيتين عن الجنيد، القشيري في «الرسالة» (٢/ ٤٧٢)، وذكره ابن الجوزي في «التبصرة» (١/ ٦٢).

(٤) في (س): «أرواح المحبين جمرة».

(٥) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٣٥٦). ووقع في (ت) و(ف) «أوبق مني اللذات».

أَحِبَّـايَ أَمَّـا جفـنُ عينـي فمَـقروحُ ... وأمَّا فـؤادِي فهْـوَ بالشَّـوقِ مَجـروحُ

يُذَكِّرُنـي مـرُّ النَّسيـمِ عُهودَكُـم ... فـأَزدادُ شَـوْقاً كلَّمـا هبَّـتِ الرِّيـحُ

أَرانـي إذا مـا أظلـمَ اللَّيـلُ أشرَقَتْ ... بـقَلبِيَ مِـن نـارِ الغَـرامِ مَصابيـحُ

أُصَلِّـي بذِكراكُـمْ إذا كنـتُ خاليـاً ... أَلَا إنَّ تـذكارَ الأحبَّـةِ تَسـبيحُ

يـشِـحُّ فـؤادِي أن يُـخـامِرَ سِـرَّهُ ... سِواكُم وبعضُ الشُّحِ في المَرْءِ ممْدُوحُ

وإن لاحَ بـرقٌ بالغُوَيـرِ تقطَّـعَ الـ ... ـفُؤادُ على وادٍ بـه البـانُ والشِّيحُ[1]

* * *

**قولُه ﷺ: «اللهمَّ زَيِّنَّا بزِينةِ الإيمانِ، واجعَلْنا هُداةً مَهديِّينَ»:**

أمَّا زينةُ الإيمانِ: فالإيمانُ قولٌ وعمَلٌ ونيَّةٌ، فزينةُ الإيمانِ تشمَلُ زينةَ القلبِ بتَحقيقِ الإيمانِ، وزينةَ اللِّسانِ بأقوالِ الإيمانِ، وزينةَ الجَوارحِ بأعمالِ الإيمانِ، وقد سمَّى اللهُ التَّقوى لِباسًا، وأخبرَ أنَّها خيرٌ مِن لباسِ الأبدانِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦].

وقال وهبٌ: أوحى اللهُ إلى عيسى بنِ مريمَ عليهِ السَّلامُ: يا عيسى! تزيَّنْ لي بالدِّين وأحِبَّ المساكينَ[2].

وعنه: أنَّ اللهَ تعالى لَمَّا بعثَ موسى وهارونَ عليهما السلام قال لهم: إنَّما

---

(١) الأبيات في «المدهش» لابن الجوزي (ص: ٥٠٢) إلا البيت الأخير، وقد ذكره المصنف في مقدمة «استنشاق نسيم الأنس». وفي (س): «يشح فؤادي أن يَسْكن سرَّه».

(٢) في (س): «وهب بن منبه»، وفي (ف): «تزيّن لي بالدنيا»!! وهي غير واضحة في تصوير (ت)، والمثبت من (س).

والأثر لم أجده عند غير المصنف رحمه الله.

يَتزيَّنُ لي أوليائي بالذِّكرِ والخُشوعِ والخَوفِ والتَّقوَى، تنبُتُ[١] في قُلوبِهم فتظهرُ على أجسادِهم، فهي ثيابُهم التي يلبسونَ، ودِثارُهم الذي يظهرونَ، وضَميرُهم الذي يَستشعِرُونَ، ونَجاتُهم التي بها يَفوزونَ، ورَجاؤُهم الذي إيَّاهُ يأمُلونَ، ومَجدُهم الذي بهِ يَفتخِرُونَ، وسِيماهُم التي بها يُعرَفونَ[٢].

وقال الحسَنُ في قولِه ﷺ: «إنَّ اللهَ جميلٌ يحِبُّ الجمالَ» قال: يحبُّ أن يتجمَّلَ له بالطَّاعةِ[٣].

وعنه قالَ: لباسُ المؤمنِ التَّقوَى وزِينَتُه الحَياءُ[٤].

فالزِّينةُ النَّافعةُ الدَّائمةُ البَاقيةُ هي زينةُ الإيمانِ والتَّقوى إذا شَمِلت القلبَ والجوارحَ، فإن أظهرَ التَّزيُّنَ بذلك ظاهِراً وقلبُه فارغٌ عادَ ذلك عليه شَيْناً.

قالَ بعضُهم: مِن تَزيَّنَ للنَّاسِ بما يعلَمُ اللهُ مِنه خلافَه شانَه اللهُ عزَّ وجلَّ[٥].

وقالَ بعضُهم لِمَن أظهرَ التَّزيُّنَ بالعلمِ مِن غيرِ عمَلٍ بِهِ: تزيَّنوا بما شِئتُم فلن يزيدَكُم اللهُ إلَّا اتضاعاً[٦].

---

(١) في (س): «يثبت».

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (١١٥)، و«ذم الدنيا» (١١٧)، و«التواضع والخمول» (٩)، و«الزهد» (٦٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١١).

(٣) أخرجه مسلم (٩١) من حديث ابن مسعود. ولم أظفر بقول الحسن رحمه الله.

(٤) «عنه»: أي وهب ابن منبه. أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٣٨٣)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٩٧) بنحوه.

(٥) روي مرفوعاً وموقوفاً ومقطوعاً.
أخرجه هناد بن السري في «الزهد» (٢/ ٤٣٦) بنحوه من كلام عمر رضي الله عنه.

(٦) من كلام سفيان وقد نظر إلى رجل وفي يده دفتر.
ذكره أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٣٩).

=

وقالَ بعضُهم: لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى يتزيَّنَ الرَّجلُ بالعِلمِ كما يتزيَّنُ الرَّجلُ بثوبِه[1]، يعني: يُظهِرُ[2] للنَّاسِ تَزيُّناً به عندَهم مِن غيرِ أن يُزَيِّنَ قلبَه[3] وجوارحَه بالعمَلِ بهِ.

وكان الفُضَيلُ يقولُ: تزيَّنتَ لهم بالصُّوفِ فلم ترَهُم يرفعون بكَ رأساً، تزيَّنْتَ لهم بالقُرآنِ ولم تزَلْ تتزيَّنُ لهم بشيءٍ بعد شيءٍ كلُّ ذلك لحُبِّ الدُّنيا[4]. ومرادُه توبيخُ مَن يُزيِّنُ ظاهرَهُ بالأعمالِ وباطنُه خالٍ منها، ومَن زيَّنَ للهِ جوارحَه بالأعمالِ وقلبَه بحَقيقةِ الإيمانِ زيَّنَه اللهُ في الدُّنيا والآخرةِ، كما في الحديثِ: «إنَّ اللهَ تعالى لا يَنظُرُ إلى صُوَرِكُم وأَموالِكُم، وإنَّما يَنظُرُ إلى قُلوبِكُم وأَعمالِكُم»[5]، فمَن عَلِمَ اللهُ مِن قلبِه الصِّدقَ زيَّنَه اللهُ عندَ عبادِه، وبالعكسِ.

وما أحسنَ قولَ أبي العتاهيةِ:

إذا المرءُ لم يَلبَسْ ثِياباً مِن التُّقَى ... تقلَّبَ عُرياناً وإن كان كاسِياً[6]

* * *

= ونقل أيضاً عن يوسف بن أسباط أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ١٧٠).
وتصحفت «اتضاعاً» في (ت) و(ف) إلى: «إيضاعاً».

(١) لم أجده عنه غير المصنف رحمه الله.

(٢) في (س): «يظهره».

(٣) في (س): «يتزين قلبُه».

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٩٨).

(٥) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) «ديوان أبي العتاهية» (ص: ٣٠١).

وقولُه ﷺ: «واجعَلْنا هُداةً مُهتَدين»:

يعني نهدي[١] غيرَنا ونهتَدِي في أنفُسِنا، وهذه أفضلُ الدَّرجاتِ أن يكون العبدُ هادِياً مَهدِيًّا، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣]، وقالَ ﷺ: «لَأن يهدِيَ اللهُ بكَ رجُلاً واحِداً أحبُّ إليك[٢] مِن حُمرِ النَّعَم»[٣].

وقال: «مَن دعا إلى هُدًى كان له مثلُ أجرِ مَن تبعَه مِن غيرِ أن ينقصَ مِن أجورِهم شيءٌ»[٤].

ويدخلُ فيمن دعَا إلى الهُدى: مَن دعا إلى التَّوحيدِ مِن الشِّركِ، وإلى السُّنَّةِ مِن البِدعةِ، وإلى العلمِ مِن الجَهلِ، وإلى الطَّاعةِ مِن المعصِيَةِ، وإلى اليَقظةِ مِن الغَفلةِ، فمَنِ استُجيبَ له إلى شيءٍ مِن هذهِ الدَّعواتِ فله مثلُ أجرِ مَن اتَّبعَه.

أفضلُ الصَّدَقةِ: تعليمُ جاهلٍ أو[٥] إيقاظُ غافلٍ.

ما وُصِلَ المُستثقِلُ[٦] في نومِ الغَفْلةِ بأفضلَ مِن ضربِه بسياطِ الموعظةِ ليَستيقِظَ.

المواعظُ كالسِّياطِ تقَعُ على نِياطِ القُلوبِ، فمَن آلمَتْه فصاحَ فلا جُناحَ، ومَن زادَ بها ألَمُه فماتَ فدَمُه مُباحٌ[٧]:

---

(١) في (ف): «فنهدي».

(٢) هكذا في (ت) و(ف) وفي (س): «خير لك».

(٣) أخرجه بلفظ «خير لك»: البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٤) في (س): «شيئاً». أخرجه مسلم (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله، (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) في (س): «و».

(٦) في (س): «ما وصَلَ إلى المستثقلِ».

(٧) ذكر هذا المصنف أيضاً في «لطائف المعارف» (ص: ٥١).

قَضَى اللهُ فـي القَتْلى قِصاصَ دِمائِهم ولـكــنْ دمــاءُ العـاشِـقينَ تُباحُ [١]

وعظَ عبدُ الواحدِ بنُ زيدٍ يوماً فصاحَ به رجُلٌ: يا أبا عُبيدةَ! كفَّ فقد كشَفَتِ الموعِظةُ قِناعَ قلبي، فتمادى عبدُ الواحدِ في وَعظِه فماتَ الرَّجُلُ [٢].

صاحَ رجلٌ فـي حلقةِ الشِّبليِّ فماتَ، فاسْتَعدى أهلُه على الشِّبليِّ فقالَ: نفسٌ رنَّتْ فحنَّتْ، فدُعِيَت فأجابَتْ، فما ذنبُ الشِّبليِّ [٣]؟

فكَّــرَ فـي أفعــالـه [٤] ثــمَّ صــاحْ لا خيـرَ فـي الحُـبِّ بغيـرِ افتِضــاحْ

قــد جِئتكُــم مُســتأمِناً فــارحَــمُوا لا تقتُلونــي قــد رَمَيــتُ السِّــلاحْ [٥]

وعـظَ أبـو عامرٍ الواعـظُ بالمدينـةِ رجُـلًا وولَـدَه، فأخذَ وَعظُـه فيهمـا فماتا، قـال أبـو عامـرٍ: فمـا زِلـتُ جزِعـاً ممَّـا جنَيْـتُ عليهِمـا، حتَّـى رأيتُهمـا فـي المنامِ عليهمـا حُلَّتـانِ خَضراوتـانِ، فقلتُ لهمـا: مرحباً بكما وأهـلاً، فما زلتُ حَـذِراً مِن وَعظـي لكمـا فما صنَـعَ اللهُ بكمـا؟ فقالَ الشَّـيخُ:

---

(١) أنشده ابن عساكر (٦٦/ ٧٥) للشبلي رحمه الله وآخره: «دماء العاشقين جُبار».

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩١٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٥٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٧/ ٢٣٥).

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٦/ ٦١) في قصة أطول من هذا.

والرنين: الصوت. وفي مطبوع «تاريخ دمشق»: «جنَّت فرنَّت» والصواب بالحاء في الكلمة الأولى، وهذا السياق أنسب مما أورده المصنف رحمه الله.

(٤) في (ف): «أفعالهم».

(٥) ذكر البيتين ابن الجوزي في أول كتاب «المنثور».

أنت شَريكِي في الذي نِلتُه ... مستأهلاً ذاك أبا عامرِ
وكلُّ مَن أيقظَ ذا غَفلةٍ ... فنِصفُ ما يُعطاهُ للآمرِ
مَن ردَّ عَبْداً آبِقاً مُذنِباً ... كان كمَنْ راقبَ للقاهِرِ
واجتَمَعا في دارِ عَدنٍ وفي ... جِوارِ ربٍّ سيِّدٍ غافِرِ(١)

آخرُه، واللهُ أعلَمُ بالصَّوابِ.

والحمدُ للهِ وحدَه، وصلَّى اللهُ على سيِّدِنا محمَّدٍ وآلِه وصَحبِه وسلَّمَ(٢).

* * *

---

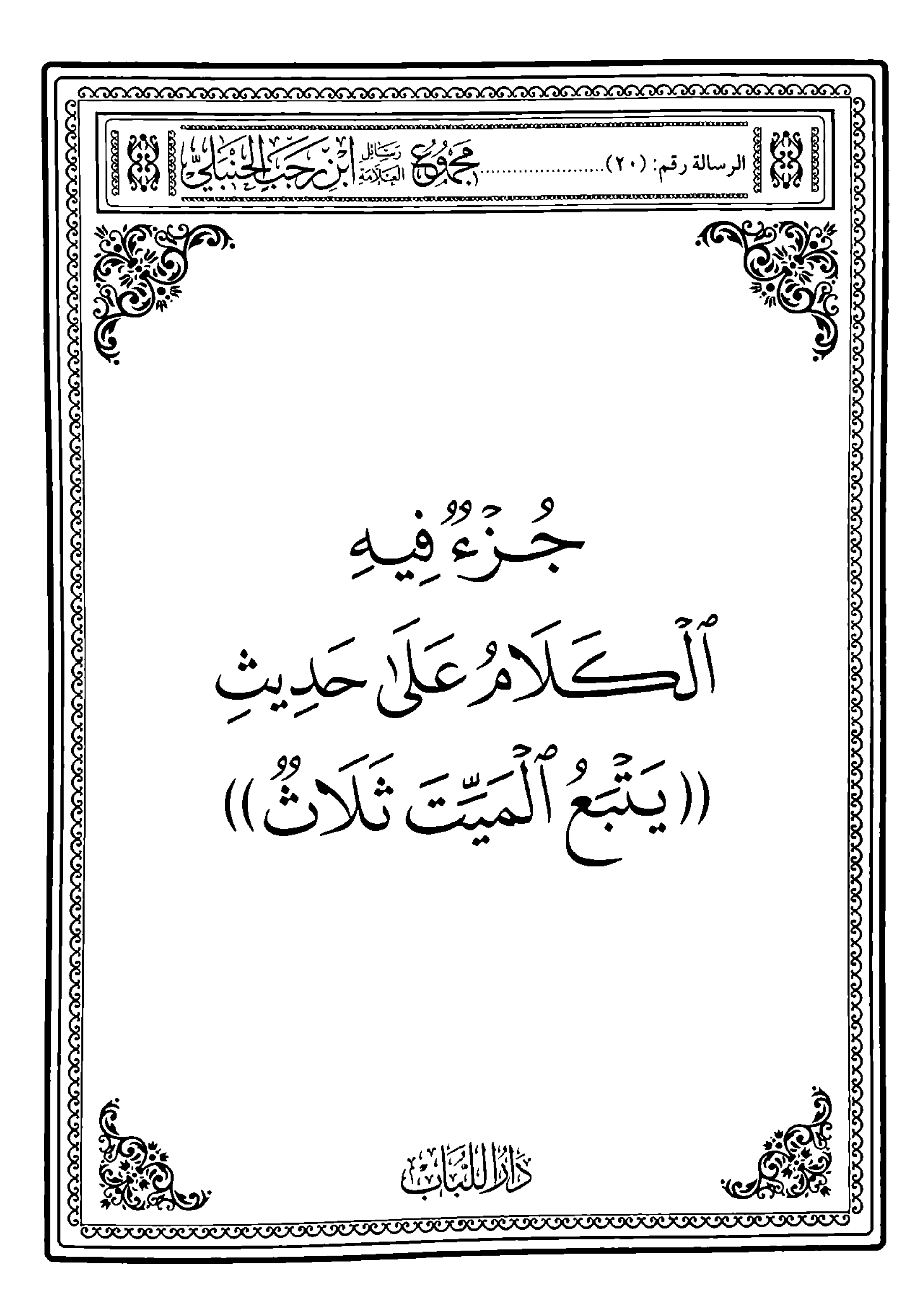
(١) أصل القصة في «حلية الأولياء» لأبي نعيم (١٠/ ١٨٦)، وأوردها بأطول من ذلك: ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١/ ٤٠٦).

(٢) في (ت): «والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً يا رب العالمين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وإليه المصير».

وفي الحاشية: «بلغ مقابلة حسب الطاقة بحمد الله تعالى وعونه».

وفي (ر): «آخر الكلام على حديث عمار. والحمد لله العزيز الغفار. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد النبي المختار. وعلى آله وأصحابه الطيبين الأخيار. غفر الله لمؤلفه وكاتبه وقارئه وسامعه. آمين.

ونقلته من خط الشيخ الجليل الفاضل النبيل أبي عمر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن سليم كتبه سنة ١٢٦٧ رحمة الله علينا وعليه آمين.



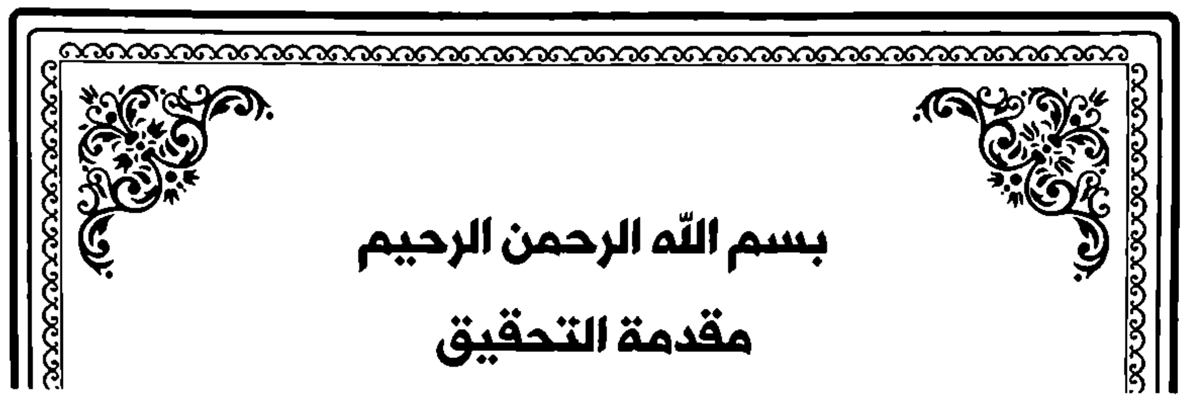

# جزء فيه الكلام على حديث «يتبع الميت ثلاث»

دار اللباب

دار الكتب الوطنية بتونس (ت)

مكتبة الفاتح في اسطنبول (ف)





# بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي جعل العمل الصالح ميراثَ المرء من دنياه، والصلاة والسلام على البشير النذير المبعوث بأشرف كتاب وأعلاه، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

**أما بعد:**

فلا ينفكُّ الإنسان في حياته عن علائق الدنيا، وهي كثيرة شاغلة آسرة، فابتلاء العبد: عدم الوقوف عندها، والركون إليها، وإنما يأخذ منها زاد الآخرة، أو يزرع فيها ما يثمر أجراً وثواباً دائماً بعد انتهاء أجله، وانقطاع أنفاسه.

وقد نصح النبي الهادي ﷺ أمته وذكَّرها وأرشدها إلى إحسان العمل، كي يكون مرافقاً للمرء بعد حلول الأجل، فيكون مؤنساً له في وحشة قبره، شافعاً له عند ربه، سبباً له في رفع درجاته.

فروى أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «يتبع الميت ثلاث، فيرجع اثنان، ويبقى واحد، يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله».

وعلى ما هو المعتاد من الإمام الحافظ ابن رجب رحمه الله، فقد تناول هذا الحديث بالشرح مستدلاً بالآيات والأحاديث والآثار كي يكون عظة وذكرى ينتفع بها المؤمن، ويتعاهد هذا المعنى في نفسه؛ ليُكثر من العمل الذي يتبعه بعد وفاته.

وفقنا الله للعمل الصالح، وثبتنا عليه، وجعله سائقاً لنا إلى جنات النعيم بمنه وكرمه. آمين.

ذكر هذا الكتاب للمصنف: ابنُ عبد الهادي في «الجوهر المنضد» (ص: ٥٠)، وسماه «شرح حديث يتبع الموتى ثلاث»، وقد جاء مصحفاً في المطبوع منه: «ينفع الموتى»!

وهو مما يرويه الروداني في «صلة الخلف»، (ص: ٢٧٦)، وسماه: «شرح حديث يتبع الميت ثلاث».

وقد اعتمدت في إخراجه على نسختين:

**١ ـ النسخة التونسية، ورمزها (ت).**

وهي الرسالة الثامنة من المجموع (١٥٧) ـ وقد سبق وصفه في المقدمات ـ وتقع في (٥) لوحات (من ٦٣/ أ إلى ٦٧/ أ).

وجاء العنوان فيها: «جزء فيه الكلام على حديث يتبع الميت ثلاث».

لم يُذكر اسم الناسخ، لكنه وصف المؤلف بشيخنا، ويرجع تاريخ نسخ المجموع إلى سنة ٨٥٢هـ.

**٢ـ نسخة مكتبة الفاتح في اصطنبول، ورمزها (ف).**

وهي الرسالة الحادية عشرة من المجموع (٥٣١٨) ـ وقد سبق وصفه في المقدمات ـ وتقع في (٨) لوحات (من ١٧٣/ أ إلى ١٨٠/ ب).

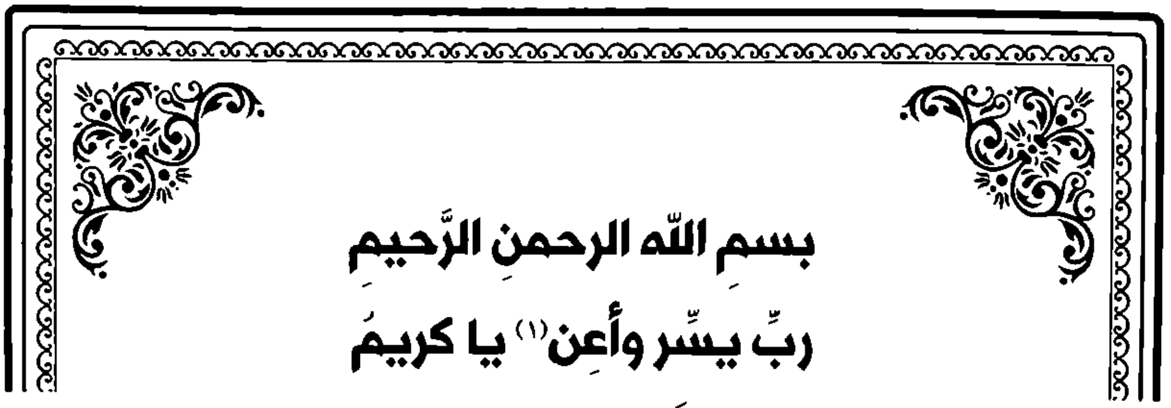
وجاء العنوان فيها: «جزء فيه الكلام على حديث يتبع الميت ثلاث».

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

**محمد مجير الخطيب الحسني**

* * *



## بسم الله الرحمن الرَّحيم
## ربِّ يسِّر وأعِن[1] يا كريمُ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصلَّى اللهُ على سيِّدِنا محمَّدٍ المُصطفى وآلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

في «الصَّحيحينِ» مِن روايةِ عبدِ اللهِ بنِ أبي بكرٍ محمَّدِ بنِ عمرِو بنِ حَزمٍ، عن أنسٍ، عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**يَتْبَعُ[2] الميِّتَ ثلاثٌ[3]، فيرجِعُ اثنانِ ويبقى واحدٌ، يتبعُه أهلُه ومالُه وعمَلُه، فيرجِعُ أهلُه ومالُه، ويبقى عملُه**»[4].

ورواه عمرانُ القطَّانُ وحجَّاجُ بنُ حجَّاجٍ، عن قتادةَ، عن أنسٍ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «ما مِن عبدٍ إلَّا له ثلاثةُ أخِلَّاءَ، فأمَّا خليلٌ فيقولُ: ما أنفقتَ فلكَ وما أمسَكْتَ فليس لكَ، فذلك مالُه، وأمَّا خليلٌ فيقولُ: أنا معكَ فإذا أتيتَ بابَ الملِكِ رجعتُ وتركتُكَ، فذلك أهلُه وحشَمُه، وأمَّا خليلٌ فيقولُ: أنا معكَ حيثُ دخلتَ وحيثُ خرجتَ، فذاك عملُه، فيقولُ: إن كنتَ لأَهْونَ الثَّلاثةِ علَيَّ»[5].

---

(١) «وأعن»: من (ت).

(٢) ضبطها القسطلاني في «إرشاد الساري» (٩/ ٢٩٩) كذلك، وذكر أن رواية أبي ذر: يَتَّبِع.

(٣) كذا في النسختين، وفي الصحيحين: «ثلاثة»، والمثبت موافق لما في «المسند».

(٤) أخرجه البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠)، والإمام أحمد (١٢٠٨٠)، وغيرهم.

(٥) أخرجه الطيالسي (٢١٢٥)، والبزار (٧٢٦٥)، وابن حبان (٣١٠٨)، والطبراني في «الأوسط» (٢٥١٨)، والحاكم (١/ ٣٧١) وصححه، والبيهقي في «الشعب» (٣٠٦٩).

وفي حديث حجاج في «مشيخة ابن طهمان» (١٨٦)، وعند الحاكم في «المستدرك» (١/ ٧٤) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، فقد احتجا جميعاً بالحجاج بن الحجاج، ولا =

ويُروى نحوُ هذا مِن حديثِ النُّعمانِ بنِ بشيرٍ مرفوعاً وموقوفاً(١).

وتفسيرُ هذا: أنَّ ابنَ آدمَ في الدُّنيا لا بدَّ له مِن أهلٍ يُعاشِرُهم، ومالٍ يعيشُ بـه، فهذانِ صاحبانِ يُفارقانِه ويُفارِقُهما، فالسَّعيدُ مَن اتَّخذَ مِن ذلك ما يُعينُه على ذكرِ اللهِ تعالى وينفعُه في الآخرةِ، فيأخذُ مِن المالِ ما يبلُغُ بهِ إلى الآخرةِ، ويتخذُ زوجةً صالحةً تعينُه على إيمانِه، فأمَّا مَنِ اتَّخذَ أهلاً ومالاً يشغلُه عنِ اللهِ تعالى فهو خاسرٌ، كما قالتِ الأعرابُ: ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ [الفتح: ١١] وقالَ تعالى: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩] وقالَ تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [سبأ: ٣٧].

قـال الحسَنُ وهـو في جنازةٍ: ابنَ آدمَ! لئن رجَعْتَ إلى أهلٍ، ومالٍ فإنَّ الثُّوِيَّ فيهم قليلٌ(٢).

وفي حديثٍ: «ابنَ آدمَ! عِش ما شئتَ فإنَّكَ ميِّتٌ، وأحبِبْ مَن شئتَ فإنَّكَ مُفارِقُه، واعمَل ما شئتَ فإنَّكَ مُلاقيهِ، وكن كيفَ شِئتَ فكما تَدِينُ تُدَانُ»(٣).

---

= أعرف له علة، ولم يخرجاه بهذه السياقة. وفي حاشية (ف): «فافهم ترشد».

(١) أخرج المرفوع: الحاكم في «المستدرك» (١/ ٧٤ـ٧٥) وقال إنه على شرط مسلم، وأخرج المرفوع وأشار إلى الموقوف البزار (٣٢٧٢) وأخرج الموقوف: ابن أبي شيبة (٣٥٨٦٨).

(٢) لم أجد أوله، وآخره: أخرج عبد الله بن أحمد في زيادات «الزهد» (١٥٤٩) نحوه عن الحسن.

(٣) هذا الحديث وقع فيه إدراج، وتلفيق من أحاديث متعددة، أما «ابن آدم» فلا يوجد في شيء من ألفاظه، بل في بعضها: «يا محمد»، وما يليه أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٨٤٥) وفي «الصغير» (٧٠٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٠٢) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وآخره: «كن كيف شئت...» أخرجه عبد الرزاق في «جامع معمر» (٢٠٢٦٢) عن أبي قلابة مرسلاً.

فإذا ماتَ ابنُ آدمَ، وانتقلَ مِن هذه الدَّارِ لم يَنتفِع مِن أهلِه ومالِه بشَيءٍ إلَّا بدُعاءِ أهلِه له واستغفارِهم، وبما قدَّمَه مِن مالِه بين يديهِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩]، وقالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤].

فأمَّا إن خلَّفَ مَن يدعو له مِن أهلِه، أو قدَّمَ شيئاً مِن مالِه فإنَّه يَنتفِعُ به، كما في «صحيحِ مسلمٍ»، عن أبي هريرةَ، عن النَّبيِّ ﷺ: «إذا ماتَ الإنسانُ انقطعَ عملُه إلَّا مِن ثلاثٍ؛ إلَّا مِن صدَقةٍ جاريةٍ، أو ولَدٍ صالحٍ يدعو له، أو عِلمٍ نافعٍ»[1].

**فأهلُه لا ينفعُه منهم بعدَ موتِه إلَّا مَن استغفَرَ له ودعا له**، وقد لا يفعَلُ، وقد يكونُ الأجنبيُّ أنفعَ للميِّتِ مِن أهلِه، كما قال بعضُ الصَّالحينَ: وأينَ مثلُ الأخِ الصَّالحِ؟ أهلُك يقتسِمونَ ميراثَكَ، وهو قد تفرَّدَ بحُزنِك يدعو لك، وأنت بين أطباقِ الأرضِ[2].

فمِن الأهلِ مَن هو عدُوٌّ، كما قالَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤]، ومنهم مَن يَشتغِلُ عنِ الميتِ بحُصولِ ميراثِه، كما قيل:

تمُرُّ أقاربي جَنَباتِ قبري ... كأنَّ أقارِبي لا يَعرِفوني

وذو الميراثِ يقتسِمونَ مالي ... ولا يألونَ إن جحَدوا دُيوني

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١) ولفظه: «أو علم ينتفع به».

(٢) من كلام محمد بن يوسف الأصبهاني، أخرجه عنه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٣١)، وتصحفت في المطبوع: بحزنك إلى: بجدثك!

وقـد أخَـذُوا سِـهامَهُمْ وعاشوا        فـيـا للهِ أسـرعَ مـا نَسُـوني[١]

قال الحسَنُ: أزهدُ النَّاسِ في عالمٍ جيرانُه، وشرُّ النَّاسِ لِميِّتٍ أهلُه، يبكون عليه ولا يقضونَ دَيْنَه[٢]!.

يشيرُ إلى أنَّهم يفعلونَ ما يَضرُّهُ ويتركونَ ما يَنفعُه، فالبكاءُ إذا كان معه نَدبٌ أو نَوْحٌ أو تسخُّطٌ يعذَّبُ به الميِّتُ، وإنَّما يكون لفقدِ حُظوظِهم منه، فبكاؤُهم على أنفُسِهم لا على ميِّتِهم.

احتُضِرَ بعضُ الصَّالحينَ فبكى أبواهُ وولَدُه، فسألَهم عن بُكائِهم، فذكرَ أبواه ما يَتعجَّلانِه مِن فقدِه ووَحشتِهم بعدَه، وذكرَ ولدُه ما يتعجَّلُون مِن فقدِه ويُتمِهم بعدَه، فقالَ: كلُّكم يَبكي لدُنيايَ، أمَا مِنكم مَن يبكي لآخرَتي؟ أما مِنكم مَن يَبكي لِما يلقاهُ في التُّرابِ وَجهي؟ أمَا مِنكم مَن يبكي لِمُسائلةِ مُنكَرٍ ونكيرٍ إيَّايَ؟ أمَا مِنكم مَن يبكي لِمُقامي بين يدَي ربِّي؟ ثمَّ صرَخَ صرخةً فماتَ رحمَه اللهُ تعالى[٣].

وأكثرُ الورَثةِ لا يوفونَ دينَ مُورِّثِهم، فيتركونَه مُرتهَناً مُحتبِساً بدَيْنِه، كما قالَ النَّبيُّ ﷺ لقومٍ ماتَ مِنهم ميِّتٌ: «إنَّ صاحبَكُم يُحتَبَسُ بدَيْنِه، فإنْ شِئتُم فأَسلِمُوه أو فُكُّوهُ»[٤] أو كما قالَ.

---

(١) ذكر البيت الأول ابن أبي الدنيا في «القبور» (١٦٥) وأنشده لابن السماك.

وذكر ابن الجوزي الأول والثالث في «مثير الغرام الساكن» (ص: ٥١٥) مما قرئ على قبر.

وذكر الأبيات الثلاثة لابن السماك: ابن الجوزي في «بستان الواعظين» (ص: ١٩٦).

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٥٣١) وذكر هذا الزهد في العالم من أهله كثيرٌ من السلف.

(٣) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٢٣٦) عن عابد بالبصرة.

(٤) شطر الحديث الأول قد ورد معناه عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم، وأما هذا السياق، فهو من حديث الشعبي عن سمرة بن جندب رضي الله عنه، وهذا اللفظ في شطره الثاني أخرجه الطيالسي =

وبكلِّ حالٍ؛ فليُوَطِّنِ الإنسانُ في الدُّنيا نفسَه على مُفارقةِ أهلِه، كما قيلَ:

أيَا فُرقَةَ الأحبابِ لا بُدَّ لي منكِ ... ويا دارَ دُنيا إنَّني راحِلٌ عنكِ

ألَا أيُّ حيٍّ ليس بالمَوْتِ مُوقِناً ... وأيُّ يقينٍ منه أشبَه بالشَّكِّ[١]

ولا يَنتفِعُ الميِّتُ بعدَ موتِه بأهلِه ولا غيرِهم إلَّا باستغفارهم[٢] له ودُعائِهم وترَحُّمِهم، أو صدَقَتِهم عنه، وينتفِعُ بزِيارةِ مَن زارَه ويُسلِّمُ عليه ويَستأنِسُ بذلك، وقد وَصَّى عمرُو بنُ العاصِ أن يُقيموا على قبرِه بعدَ دَفنِه بقدرِ ما تُنحَرُ جَزورٌ ويُقسمُ لحمُها، وقال: أستأنِسُ بكم وأنظرُ ما أُراجِعُ بِهِ رسُلَ ربِّي[٣].

وفي «سنَنِ أبي داودَ» أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان إذا دُفِنَ الميِّتُ قال: «سَلُوا له التَّثبيتَ فإنَّه الآن يُسأَلُ»[٤].

وأمَّا إقامَتُهم عنده بعدَ ذلك فلا يَنتفِعُ بِهِ.

ضرَبتِ امرأةُ الحسنِ بنِ الحسنِ بنِ عليٍّ على قبرِه بالبقيعِ فُسْطاطاً سنةً،

---

= في «مسنده» (٩٣٤)، وبنحوه أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦٧٥١) (٦٧٥٢) (٦٧٥٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥١٥٦)، ولفظهم: «فإن شئتم فافدوه، وإن شئتم فأسلموه إلى عذاب الله».

(١) أنشده أبو الفتوح الطائي في «الأربعين في إرشاد السائرين»، من طريق ابن أبي الدنيا قال: أنشدنا أبو بكر السعيدي الزهري فذكر أبياتاً (ص: ٧٨)، وهو كذلك في «التدوين لأخبار قزوين» (٣/ ٣١٢).

(٢) في (ف): «بالاستغفار».

(٣) أخرجه مسلم في آخر حديث طويل (١٢١).

(٤) أخرجه أبو داود (٣٢١٣).

ثمَّ نزعَتْه بعدَ السَّنةِ وانصرَفَت، فسمِعوا هاتفاً بالبقيعِ يقولُ: هل وجَدوا ما فقدوا؟ فأجابَه مُجيبٌ مِن النَّاحيةِ الأخرى: بل يئِسوا فانقلَبُوا[١].

لَمَّا دُفِنَ داودُ الطَّائيُّ حضرَ جنازتَه أهلُ الكوفةِ، وأثنى عليهِ ابنُ السَّمَّاكِ بأعمالِه الصَّالحةِ، والنَّاسُ يُصدِّقونَه على قولِه، فقامَ أبو بكرٍ النَّهشليُّ فقالَ: اللهمَّ لا تكِلْه إلى عمَلِه، فأعجَبَ النَّاسَ قولُه[٢]، فلمَّا انصرَفوا قالَ ابنُ السَّمَّاكِ: يا داودُ! رجَعنا وترَكْناكَ، ولوْ أقَمْنا ما نفعناكَ[٣]، ثمَّ أنشأَ يقولُ:

انصرفَ النَّاسُ إلى دُورِهم ... وغُودِرَ الميِّتُ في رَمسِهِ
مُرتهَنَ النَّفسِ بأعمالِه ... لا يَرتجِي الإطلاقَ مِن حَبسِهِ
لنَفسِهِ صالحُ أعمالِه ... وما سِواها فعلى نفسِهِ[٤]

ومع هذا؛ فالمُؤمِنُ يُبشَّرُ في قبرِه بصَلاحِ ولَدِه مِن بعدِه لتقَرَّ عينُه، وأعمالُ الأحياءِ تُعرَضُ على أقارِبِهم مِن المَوْتى، فيُسَرُّونَ بالأعمالِ الصَّالحةِ ويدعونَ لأهلِها بالثَّباتِ[٥] والزِّيادةِ، وتسوؤهمُ الأعمالُ السَّيِّئةُ ويدعونَ لأهلِها بالتَّوبةِ والمُراجعةِ، وفي ذلك آثارٌ وأحاديثُ كثيرةٌ، قد ذُكِرَت في «أهوالِ القُبورِ» في موضعٍ آخرَ، وتنزلُ

---

(١) علقه البخاري في الجنائز، قبل حديث (١٣٣٠)، وأخرجه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (١٣١).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٠٩) وليس فيه ذكر داود، وفي «تاريخ دمشق» (٤٥/ ٣٠ و٣٣) أنه قاله على قبر ابنٍ لعمر بن ذر.

(٤) لم أجد من نسب الأبيات لابن السماك إلا المصنف رحمه الله تعالى، ومن نقل منه. ولم أجد هذا السياق في القصة مجموعاً كما هنا. وهذه الأبيات الثلاثة ذكرها أسامة بن منقذ غير منسوبة في «المنازل والديار» (ص: ٦٩). وذكر نحوها ابن الجوزي في «بستان الواعظين» (ص: ٩٦).

(٥) في (ف): «بالتوبة» سبق نظر.

الملائكةُ عند موتِ المؤمنِ بالبُشرى له، ويُقالُ له: لا تخَفْ ممَّا أنت قادمٌ عليه، ولا تحزَن على مَن خلَّفْتَ مِن أهلِكَ؛ فإنَّ اللهَ يتكفَّلُ بهم، فتقَرُّ عينُ المؤمنِ بذلك[١].

**فهذا أحدُ الأخلَّاءِ الثَّلاثةِ**، وهو الأهلُ، يَصِلون مع خليلِهم إلى بابِ الملكِ وهو اللَّحدُ، ثمَّ يرجعونَ عنه.

***

**وأمَّا الخليلُ الثَّاني، وهو المالُ**؛ فهو يَرجعُ[٢] عن صاحبِه أوَّلاً، ولا يدخلُ معَه قبرَه، ورُجوعُه كنايةٌ عن عدمِ مُصاحبتِه له في قبرِه ودخولِه معه.

وقد فسَّرَ بعضُهم المالَ الرَّاجعَ بمَن يتبعُه مِن رقيقِه، ثمَّ يرجعونَ مع الأهلِ[٣]، فلا يَنتفِعُ الميِّتُ بشيءٍ مِن مالِه بعد موتِه إلَّا بما كان قدَّمَه بين يديهِ، فإنَّه يقدمُ عليه وهو داخلٌ في عملِه الذي يَصحبُه في قبرِه، فأمَّا ما خلَّفَه وترَكَه فهو لورَثتِه لا له، وإنَّما كان خازناً له[٤] لورثَتِه.

وفي «صحيحِ مُسلمٍ» عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «يقولُ ابنُ آدمَ: مالي مالي، وهل لكَ إلَّا ما أكلتَ فأفنيتَ، أو لبستَ فأبلَيْتَ، أو تصدَّقتَ فأمضَيْتَ»[٥].

وفيهِ أيضاً عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «يقولُ العبدُ: مالي مالي، إنَّما له مِن مالِه

---

(١) روى ابن أبي شيبة (٣٦٤٠٤) نحوه عن زيد بن أسلم.

(٢) في (ف): «فيرجع».

(٣) قال الداودي: «المراد بالمال: ما يلقى عليه من سريره، وما يلبسه أهله، وما يخرج وراءه من رقيقه» نقله ابن الملقن في «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (٢٩/ ٦١١).

(٤) «له» سقطت من (ف).

(٥) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن الشخير رضي الله عنه (٢٩٥٨).

ثلاثٌ: ما أكلَ فأفنى، أو لبِسَ فأبلى، أو أعطى فاقتنى، وما سِوى ذلك فهو ذاهبٌ، وتارِكُه للنَّاسِ»[١].

وفي «صحيحِ البُخاريِّ» عنه ﷺ قال: «أيُّكم مالُ وارثِه أحبُّ إليهِ مِن مالِه؟» قالوا: ما مِنَّا إلَّا مالُه أحبُّ إليهِ مِن مالِ وارثِه، قال: «فإنَّ مالَه ما قدَّمَ، ومالَ وارثِه ما أخَّرَ»[٢].

فلا ينتفِعُ العبدُ مِن مالِه إلَّا بما قدَّمَه لنَفسِه وأنفقَه في سبيلِ اللهِ عزَّ وجلَّ، فأمَّا ما أكلَه ولبِسَه فإنَّه لا له ولا عليه، إلَّا أن يكون فيه نيَّةٌ صالحةٌ، وقيل: بل يُثابُ عليه مُطلقاً، فأمَّا ما أنفقَه في المعاصي فهو عليهِ لا له، وكذلك ما أمسَكَه ولم يُؤدِّ حقَّ اللهِ عزَّ وجلَّ منه فإنَّه يُمثَّلُ له شُجاعاً أقرعَ، يتبعُه وهو يفِرُّ منه، حتى يأخُذَ بلِهْزِمَتِه[٣] ويقولَ: أنا مالُك أنا كنزُك، ويُلقِمُه يدَه فيَقضِمُها قضمَ الفحلِ[٤]، وإن كان المكنوزُ ذهباً أو فضَّةً جُعِلَ صفائحَ صفائحَ[٥] فأُحمِيَ عليها، ثمَّ كُوِيَ بها جَبينُه وجَبْهتُه وجنبُه[٦]:

لا تدَّخِرْ غيرَ التُّقى فالمالُ لا يُدَّخَرُ
فآخرُ الأمرِ بنا اعتَدِلوا واعتَبِرُوا[٧]

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (٢٩٥٩).

(٢) أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (٦٤٤٢).

(٣) اللهازم: أصول الحنكين، وقيل هما العظمان تحت الأذنين. كما في «النهاية».

(٤) أخرج البخاري (١٤٠٣)، ومسلم (٩٨٨) هذا المعنى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) لم يكررها في (ف).

(٦) روى هذا المعنى مسلم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) في حاشية (ت): «بلغ». ولم أجد هذا الشعر عند غير المصنف رحمه الله.

فمَن تحقَّقَ هذا، فليُقدِّمْ لنفسِه مِن مالِه ما يُحبُّ[1]؛ فإنَّه إذا قدَّمَه كان له وبين يديهِ ينتفعُ به في دارِ الإقامةِ، وإذا خلَّفَه كان لغيرِه لا له، وقد يكون هو ممَّن يحبِسُه عنِ النَّفقةِ في سبيلِ اللهِ، فيراهُ يومَ القيامةِ في ميزانِ غيرِه، فيتحسَّرُ على ذلك فيدخلُ هو بمالِه النَّارَ، ويدخلُ وارثُه بهِ الجنَّةَ.

فالعاقلُ هو مَن قدَّمَ مِن مالِه ما يحبُّه فيفوزُ به في دارِ الإقامةِ؛ فإنَّ مَن أحبَّ شيئاً استصحبَه معه، ولا يدَعُه لغيرِه فيندمَ حين لا ينفعُه النَّدمُ.

ذكرَ ابنُ أبي الدُّنيا مِن حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عُبَيدِ بنِ عُمَيرٍ مُرسَلاً: أنَّ رجُلاً قالَ: يا رسولَ اللهِ! ما لي لا أحبُّ الموتَ؟ قال: «لك مالٌ؟» قال: نعَم، قال: «فقدِّمْه، فإنَّ قلبَ المرءِ مع مالِه إن قدَّمَه أحبَّ أن يلحقَ بهِ، وإن أخَّرَه أحبَّ أن يتأخَّرَ معَه»[2].

وقال بعضُ الملوكِ لأبي حازمٍ الزَّاهدِ: ما بالُنا نكرَه الموتَ؟ قال: لتَعظيمِك الدُّنيا، جعلتَ مالَك بين عينيكَ فأنتَ تكرَه فِراقَه، ولو قدَّمتَه لآخرتِك لأحببتَ اللُّحوقَ بـهِ[3]، قالَ اللهُ تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

كان ابـنُ عمـرَ لا يُعجِبُـه شـيءٌ مِـن مالِـه إلَّا قدمَـه للهِ، حتَّى إنَّـه كان يومـاً راكباً علـى ناقـةٍ فأعجبَتْـه، فنزلَ عنهـا في الحـالِ، وقلَّدَهـا وجعَلَها هَدْيـاً للهِ عـزَّ وجلَّ[4]، وكان لـه جاريـةٌ يحبُّهـا حُبًّـا شـديداً فأعتقَهـا، وزوَّجَهـا بمولاه نافـعٍ، فولـدَت لنافعٍ

---

(١) في (ف): «يجب».

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٦٣٤)، والثعلبي في تفسيره (٢٢/ ١٨٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٣٥٩) هكذا مرسلاً.

(٣) أبو حازم سلمة بن دينار الزاهد المديني رحمه الله تعالى، وموعظته لسليمان بن عبد الملك أخرجها الدارمي في «سننه» (٦٧٣). لكن جوابه ثمة: «لأنكم أخربتم الآخرة وعمرتم الدنيا...».

(٤) انظر الروايات في هذا في «حلية الأولياء» لأبي نُعيم (١/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥).

أولاداً، فكان ابنُ عمرَ ربَّما أخذَ بعضَ أولادِها فشمَّه، وقال: واهاً لريحِ فلانةَ، يعني أمَّ ذلك الولَدِ[1].

(١) هذا الأثر أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤/ ١٥٦)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣١/ ١٣١).

وذكره الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (الأصل الحادي عشر والمئة) (٢/ ٦٦). وقد انفرد بآخر القصة: محمد بن يزيد بن خُنَيس، وهو ليس ممن تلحقه التهمة في دينه.

وإنما التهمة لاحقة بمفتون من طُرَّاح السُّنَّةِ وشانئي الصحابة، فاتخذ من هذا الأثر ذريعة إلى الوقيعة في عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، واتهامه بالتولُّه في النساء!، فشغله مرض قلبه بـ«واهاً لريح فلانة» عن أول الأثر، وهو أنها كانت جارية له تحل له بملك اليمين ويحبها حباً شديداً وتعجبه، لكنه لما سمع قول الله تعالى ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ آثر ما عند الله على لذة الدنيا التي كان متمكناً منها، فقدَّمها لله وأعتقها.

على أن محمد بن يزيد بن خنيس قد روى تلك اللفظة المنكَرة عن عبد العزيز بن أبي روّاد المكّي، الذي انفرد بروايتها عن نافع، وقد قال فيه ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ١١٩): «وكان ممن غلب عليه التقشف حتى كان لا يدري ما يحدث به، وروى عن نافع بأشياء لا يشكّ مَن الحديثُ صناعتُه إذا سمعها أنها موضوعة، كان يحدث بها توهماً لا تعمداً، ومَن حَدَّث على الحسبان وروى على التوهم حتى كثر ذلك منه سقط الاحتجاج به، وإن كان فاضلاً في نفسه».

وقد روى البزار (كشف الأستار ٢١٩٤)، عن حمزة بن عبد الله بن عمر قال: قال عبد الله: حضرتني هذه الآية ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ فذكرت ما أعطاني الله عز وجل، فلم أجد شيئاً أحبَّ إليَّ من مرجانة ـ جارية لي رومية ـ فقال: هي حرة لوجه الله، فلو أني أعود في شيء جعلته لله لنكحتها. وعند عبد بن حميد (الدر المنثور ـ تفسير آل عمران/ ٩٢) مثله وزاد: فأنكحها نافعاً.

وأخرج أبو داود في «الزهد» (٣١٩) نحوه، وسماها رميثة، وزاد: ثم أنكحها نافعاً مولاه.

فَقَطْعُ الكلامِ من سياقه للطعن في الصحابة شناعةٌ في المكر ومرضٌ في القلب، نعوذ بالله من الخذلان. وهذا من ابن عمر رضي الله عنه معدود في المناقب لا في المثالب!

وروى أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٩٥) عن عبد الله بن أبي عثمان، قال: كان عبد الله بن عمر أعتق جاريته التي يقال لها: رميثة، وقال: إني سمعت الله عز وجل يقول في كتابه: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وإني والله إن كنتُ لأحبُّكِ في الدنيا، اذهبي فأنت حرة لوجه الله عز وجل. =

دخلَ رجلٌ على أبي ذرٍّ، فجعلَ يُقلِّبُ بصرَه في بيتِه، فقال: يا أبا ذرٍّ! أين متاعُكم؟ قال: إنَّ لنا بيتاً نوجِّهُ إليه صالحَ مَتاعِنا، قال: إنَّه لا بدَّ لك مِن مَتاعٍ ما دُمتَ هاهنا، قال: إنَّ صاحبَ المنزلِ لا يَدَعُنا فيه[1].

يا جامعَ الأموالِ بادِرْ صرفَها ... واعلَمْ بأنَّ الطَّالبينَ حِثاثُ
خُذ مِن تراثِك ما استطعتَ فإنَّما ... شُركاؤُكَ الأيَّامُ والأحداثُ
لم يقضِ حقَّ المالِ إلَّا معشَرٌ ... نظَرُوا الزَّمانَ يعيثُ فيه فعاثُوا
ما كان فيه فاضِلاً عن قُوتِه ... فليعلمَنَّ بأنَّه ميراثُ[2]

قال الحسنُ: بئس الرَّفيقانِ الدِّرهمُ والدِّينارُ، لا يَنْفعانك حتَّى يُفارقانِك[3].

---

= وروى أبو نعيم كذلك، عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ دعا ابن عمر رضي الله تعالى عنهما جارية له فأعتقها. وقد رواه الإمام أحمد في «الزهد» (١٠٧٨) عن مجاهد: قال كان ابن عمر قائماً يصلي فأتى على هذه الآية ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ فأعتق جارية له، وهو يصلي قد أراد أن يتزوجها. أي أعتقها وهو يصلي: أشار إليها بيده.

وروى أبو داود في «الزهد» (٣٠٧) نحوه من وجه آخر عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه.

وكذلك روى أبو نعيم عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه: أنه كان لا يعجبه شيء من ماله إلا خرج منه لله عز وجل.

فويلٌ لمُبغِضٍ مثلِ هؤلاء المتبع لِما يظنه من عثراتهم، وإنما هو العاثر بأذيال خيبته. نسأل الله السلامة والعافية لنا وللمؤمنين.

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (١٢٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠١٦٨).

(٢) الأبيات للشريف الرضي، وهي في «ديوانه» (ص: ١٧٨) من قصيدة في (١٣) بيتاً، وقد جاء أولها: «يا آمن الأقدار بادر صرفها». «حِثاث»: جمع حثيث: أي سريع.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٥٥).

وقيلَ لبعضِهم: جمعَ فلانٌ مالاً، قال: هل جمعَ عُمراً ينفقُه فيه، قالوا: لا، قال: ما جمعَ شيئاً[1].

يا جامعَ المالِ أيّاماً تفرِّقُه ... جمعتَ مالاً ففكِّر هل جمعتَ لهُ

ما المالُ مالُك إلّا حينَ تنفقُه ... المالُ عندكَ مَخزونٌ لوارثِهِ[2]

مَن قَدَّم اليومَ شيئاً قَدِم عليه غداً، ومَن لم يقدِّمْ شيئاً قدِمَ على غيرِ شيءٍ، فطالَ فقره في دارِ الإقامةِ.

قالَ بعضُ[3] السَّلَفِ: ابنَ آدمَ! إنَّما تسكنُ يومَ القيامةِ فيما بنيتَ، وتنزِلُ يومئذٍ على ما نقلتَ في حياتِكَ مِن متاعِكَ[4].

دخلتِ امرأةٌ على عائشةَ قد شُلَّتْ يدُها، فقالت: يا أمَّ المؤمنينَ! بتُّ البارحةَ صحيحةَ اليدِ فأصبحتْ شَلَّاءَ، قالت عائشةُ: وما ذاك؟ قالت: كان لي أبوَانِ مُوسِرانِ، كان أبي يُعطي الزَّكاةَ، ويَقري الضَّيفَ، ويُعطي السَّائلَ، ولا يَحقِرُ مِن الخيرِ شيئاً إلَّا فعَلَه، وكانت أمِّي امرأةً بخيلةً مُمسِكةً لا تصنعُ في مالِها خيراً، فماتَ أبي، ثمَّ ماتَتْ أُمِّي بعدَه بشهرينِ، فرأيتُ البارحةَ في منامي أبي، وعليه ثوبانِ أصفَرانِ بين يديهِ

---

(١) أخرج نحوه الختلي في «الديباج» (٧) مما ذكره أبو محمد النميري بلفظ آخر. وأخرجه ابن أبي الدنيا، ومن طريقه الخطيب البغدادي في «البخلاء» (٣١٠).

(٢) أنشدهما الختلي في «الديباج» (٨) لأبي بكر بن خراش من أبيات. ونسبهما الثعالبي في «يتيمة الدهر» (٢/ ٦٩) لأبي بطال، وأنشدهما الخطيب البغدادي من طريق ابن أبي الدنيا عن الحسين بن عبد الرحمن في «البخلاء» (٣١١).

(٣) «بعض» سقطت من (ف).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (٤٧١) من كلام خالد بن يزيد بن معاوية.

نهرٌ جارٍ، قلتُ: يا أَبَهْ! ما هذا؟ قال: يا بُنيَّةُ! مَن يعملْ في هذه الدُّنيا خيراً يرَه، هذا أعطانيهِ اللهُ تعالى، قلتُ: فما فعلَتْ أمِّي؟ قال: وقد ماتَتْ أمُّكِ؟ قلتُ: نعم، قال: هيهاتَ، عدَلَتْ عنَّا، فاذهبِي فالتمِسِيها ذاتَ الشِّمالِ، فمِلتُ عن شِمالي، فإذا أنا بأمِّي قائمةً عُريانةً، مُتَّزرةً بخِرقةٍ بيدِها شُحيمَةٌ، تنادي: والَهفاه، واحَسْرتاهُ، واعَطَشاهُ، فإذا بلغَها الجَهْدُ دلَكَتْ تلكَ الشُّحيمةَ براحَتِها ثمَّ لحسَتْها، وإذا بين يديها نهرٌ جارٍ، قلتُ: يا أُمَّهْ[1]! ما لكِ تُنادينَ العطَشَ وبين يديكِ نهرٌ جارٍ؟ قالت: لا أُترَكُ أن أشربَ منه، قلتُ: أفَلا أسقيكِ؟ قالت: ودِدْتُ أنَّكِ فعَلتِ، فغرَفْتُ لها غَرفةً فسقَيْتُها، فلمَّا شرِبَتْ نادى مُنادٍ مِن ذاتِ اليمينِ: ألَا مَن سقَى هذه المرأةَ شَلَّتْ يمينُه، مرَّتينِ، فأصبحتُ شَلَّاءَ اليمينِ، لا أستطيعُ أن أعملَ بيميني. قالت لها عائشةُ: وعرَفْتِ الخِرقةَ؟ قالت: نعم يا أمَّ المؤمنينَ، وهي التي رأيتُها عليها، ما رأيتُ أمِّي تصدَّقَت بشيءٍ قطُّ إلَّا أنَّ أبي نحرَ ذاتَ يومٍ ثوراً، فجاءَ سائلٌ، فعمدَتْ أمِّي إلى عظمٍ عليه شُحَيمةٌ فناولَتْها إيَّاه، وما رأيتُها تصدَّقَت بشيءٍ إلَّا أنَّ سائلاً جاء يسأَلُ، فعمِدَت أمِّي إلى خرقةٍ فناولَتْها إيَّاه، فكبَّرَت عائشةُ رضيَ اللهُ عنها، وقالت: صدَقَ اللهُ وبلَّغَ رسولُه ﷺ: مَن ﴿يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨] خرَّجه الحافظُ أبو موسى المَدينيُّ في كتابِه «الترغيب والترهيب» مِن طريقِ أبي الشَّيخِ الأَصْبهانيِّ الحافظِ، بإسنادٍ حسَنٍ[2].

مَـن خـرَجَ إلـى سـفَرٍ مِن أسـفارِ الدُّنيا بغيـرِ زادٍ نـدِمَ حيـثُ يحتاجُ إلـى الزَّادِ،

---

(١) «أمه» سقطت من (ف).

(٢) كتاب الحافظ أبي موسى المديني «الترغيب في الخصال المنجية والترهيب من الخلال المردية»، وهو مفقود. وقد روى هذا الأثر مختصراً: ابن أبي الدنيا في «مجابي الدعوة» (٧١) (٧٢)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٧٢) بسند منقطع، قال الذهبي: «وأما المنام فسنده واه».

فلا ينفعُه النَّدمُ، وربَّما هلَكَ، فكيفَ بمَن رحلَ إلى سفرِ الآخرةِ مع طُولِه ومشقَّتِه بغيرِ زادٍ؟.

السُّقمُ في جِسمي له تَرْدادُ والعُمرُ ينقُصُ والذُّنوبُ تُزادُ
ما أبعدَ سَفْرَتي وما لي زادُ ما أكثرَ بَهْرَجي ولي نُقَّادُ[1]

كان عليٌّ رضيَ اللهُ عنه يقولُ في اللَّيلِ: آه مِن قلَّةِ الزَّادِ وبُعدِ السَّفَرِ ووَحشةِ الطَّريقِ[2].

وبكى أبو هريرةَ عند موتِه وقالَ: إنَّما أبكي على بُعدِ سفَرِي وقلَّةِ زادي[3].

إذا شكا مِن قلَّةِ الزَّادِ مَن زادُه كثيرٌ، فكيفَ يقولُ مَن لا زادَ له؟

يا جامعَ المالِ ما أعدَدْتَ للحُفَرِ هل يُغفِلُ الزَّادَ مَن أضحى على سفَرِ[4]

قال ابنُ السَّمَّاكِ: ما بكَوا لسَكرةِ الموتِ، إنَّما بكَوْا لحَسْرةِ الفَوْتِ، خرَجوا مِن دارٍ لم يتزوَّدُوا مِنها، وقدِموا على دارٍ لا زادَ لهم فيها[5].

إذا أنتَ لم ترحَلْ بزادٍ مِن التُّقى وأبصرتَ بعدَ الموتِ مَن قد تزوَّدَا
نَدِمتَ على أن لا تكونَ شَرِكْتَه وأرصَدْتَ ما قد كان مِن قبلُ أَرصَدَا[6]

---

(١) ذكرهما ابن الجوزي في «المدهش» (ص: ١٩٢) غير منسوبين.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «مقتل علي رضي الله عنه» (١٠٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٨٥).

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (زيادات نعيم) (ص: ٣٨). ومن طريق ابن المبارك: عبد الله بن أحمد في زياداته على «الزهد» (٨٣١).

(٤) ذكره ابن القيم في «بدائع الفوائد» (٣/ ١١٥٤) من أبيات، غير منسوب.

(٥) أخرجه أبو القاسم الحنائي في «فوائده» (١٩٨).

(٦) البيتان للأعشى ميمون بن قيس من قصيدته التي يمدح بها النبي ﷺ - وهو لم يدخل في الإسلام - وهي في «ديوانه» (ص: ١٣٧).

وأمَّا الخليلُ الثَّالثُ: فهو العمَلُ، وهو الخليلُ الذي يدخُلُ مع صاحبِه قبرَه فيكونُ معه فيه، ويكون معَه إذا بُعِثَ، ويكون معَه في مواقفِ القيامةِ، وعلى الصِّراطِ، وعند الميزانِ، وبه تُقتسَمُ المنازلُ في الجنَّةِ والنَّارِ.

قالَ اللهُ تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦].

وقالَ تعالى: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم: ٤٤].

قال بعضُ السَّلفِ: في القبرِ[1]. يعني أنَّ العملَ الصَّالحَ يكون مِهاداً لصاحبِه في القبرِ، حيثُ لا يكونُ للعبدِ مِن متاعِ الدُّنيا فراشٌ ولا وِسادٌ ولا مِهادٌ، بل كلُّ عاملٍ يفترِشُ عملَه ويتوسَّدُه مِن خيرٍ أو شرٍّ.

فالعاقلُ مَن عمَّرَ بيتَه الذي تطولُ إقامتُه فيه، ولو عمرَهُ بخرابِ بيتِه الذي يرتحِلُ عنه قريباً لم يكُن مَغبوناً بل كان رابِحاً.

قالَ وهبُ بنُ مُنبِّهٍ: قال لقمانُ لابنِه: يا بنيَّ! لكلِّ إنسانٍ بيتانِ؛ بيتٌ غائبٌ وبيتٌ شاهدٌ، فلا يُلهينَّكَ بيتُكَ الشَّاهدُ الذي فيه عمُركَ القليلُ عن بيتِك الغائبِ الذي فيه عمُركَ الطَّويلُ[2].

وقال بعضُ السَّلَفِ: اعمَلْ للدُّنيا على قدرِ مُكثِكَ فيها، واعمَل للآخرةِ على قدرِ مُكثِكَ فيها[3].

وقال بعضُهم: لابنِ آدمَ بيتانِ؛ بيتٌ على ظهرِ[4] الأرضِ، وبيتٌ في بطنِ

---

(١) هو قول مجاهد رحمه الله، أخرجه ابن أبي شيبة (٣٦٥٩١). أي يمهدون في القبر.

(٢) ذكره ابن الجوزي في «مرافق الموافق» في الوعظ (ص: ٥٧).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (٣٨٦)، وفي «الزهد» (٤٧٥) من قول معدان.

(٤) «ظهر» سقطت من (ف).

الأرضِ، فعمَدَ إلى الذي على وجهِ الأرضِ فزخرَفَه وزيَّنَه، وجعلَ فيه أبواباً للشَّمالِ وأبواباً للجَنوبِ، ووضعَ فيه ما يُصلِحُه لشِتائِه وصَيْفِه، ثمَّ عمَدَ إلى الذي في بطنِ الأرضِ فأخربَه، فإذا قيل: هذا البيتُ الذي أصلَحْتَه كم تقيمُ فيه؟ قال: لا أدري، قيل له: والذي أخرَبْتَه كم تقيمُ فيه؟ قال: فيه مُقامي، قال: تُقِرُّ بهذا على نفسِكَ وأنتَ رجُلٌ تعقِلُ[1]؟!

كان عثمانُ بنُ أبي العاصِ رضيَ اللهُ عنه في المقابرِ في جنازةٍ ومعه شابٌّ مِن أقاربِه فيه بعضُ غَفْلةٍ، فقال له عُثمانُ: اطَّلِع إلى بيتِك، فاطَّلعَ في القبرِ، فقال له: ما ترى؟ قال: أرى بيتاً ضيِّقاً يابِساً[2] مُظلِماً ليس فيه طعامٌ ولا شرابٌ ولا زوجةٌ، وقد تركتُ بيتاً فيه طعامٌ وشرابٌ وزوجةٌ، قال: فإنَّ هذا واللهِ بيتُك، قال: صدقتَ، أما واللهِ لو رجَعتُ نقلتُ مِن ذلك إلى هذا[3].

قال الحسنُ: تبعَ رجلٌ مِن المسلمينَ جنازةَ أخيهِ، فلمَّا دُلِّيَ في قبرِه قالَ الرَّجلُ: ما أرى تبِعَكَ مِن الدُّنيا إلَّا ثلاثةُ أثوابٍ، أما واللهِ لقد تركتُ بيتي كثيرَ المتاعِ، أما واللهِ إن أقالَني اللهُ حتَّى أرجِعَ لأُقدِّمَنَّه بين يديَّ، قال: فرجَعَ فقدَّمَه واللهِ بين يديهِ فكانوا يرَوْنَ أنَّه هو[4].

كان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ يُنشِدُ هذه الأبياتَ كثيراً:

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (١٠٤)، ومن طريقه: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٨/ ٨٣).

(٢) «يابساً» سقطت من (ف).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (١١٣٤) (٢٣٦٦)، وابن أبي الدنيا في «القبور» (١٠٥).

(٤) أي أنه هو الحسن رحمه الله تعالى. ولم أجد هذا الأثر عند غير المصنف رحمه الله، وقد وقع في المطبوعات، ومن بعض من نقله عن المصنف في الغلط، حيث وصلوا به قوله: «كان عمر بن عبد العزيز» في الخبر الآتي، ومنهم من زاد حروفاً ليست فيه.

مَـن كان حيـنَ تُصيبُ الشَّـمسُ جَبْهتَه ... أو الـغـبـارُ يخـافُ الشَّيْنَ والشَّـعَثَا
ويأْلَـفُ الظِّـلَّ كـي تبقَـى بشاشَـتُه ... فسـوفَ يسـكُنُ يومـاً راغمـاً جدَثَـا
فـي ظِـلِّ مُقـفِـرةٍ غَـبْـراءَ مُظلمـةٍ ... يُطيـلُ تحـت الثَّـرى فـي غمِّهـا اللُّبْثَـا
تـجـهَّـزِي بـجـهـازٍ تـبـلُـغـيـنَ بـه ... يا نفسُ قبلَ الرَّدَى لم تُخلَقِي عَبَثَا[1]

المؤمِن يأتيه عمَلُه الصَّالحُ في قبرِه في أحسنِ صورةٍ، فيُبشِّرُه بالسَّعادةِ مِن اللهِ، والكافرُ بعكسِ ذلك.

والأعمالُ الصَّالحةُ تُحيطُ بالمؤمنِ في قبرِه.

في «صحيحِ ابنِ حِبَّانَ» عن أبي هريرةَ مرفوعاً: «والذي نفسي بيدِه إنَّه ليَسمَعُ خَفْقَ نِعالِهم حين يُوَلُّونَ عنه، فإن كان مُؤمناً كانت الصَّلاةُ عند رأسِه، والزَّكاةُ عن يمينِه، والصَّومُ عن شِمالِه، وفعلُ الخيراتِ والمعروفُ والإحسانُ إلى النَّاسِ مِن قِبَلِ رجلَيْهِ، فيُؤتى مِن قِبَلِ رأسِه، فتقولُ الصَّلاةُ: ليس قِبَلِي مدخَلٌ»، وذكرَ سائرَ الأعمالِ كذلك، وقالَ في الكافرِ: «يُؤتى مِن هذه الجِهاتِ فلا يوجَدُ شيءٌ، فيجلِسُ خائفاً مرعوباً»[2].

قال عطاءُ بنُ يَسارٍ: إذا وُضِعَ الميِّتُ في لَحدِه، فأوَّلُ شيءٍ يأتيهِ عمَلُه، فيَضرِبُ فخِذَهُ الشِّمالَ، فيقولُ: أنا عمَلُك، فيقولُ: فأينَ أهلي وولَدي وعشِيرتي وما خوَّلَني اللهُ؟ فيقولُ: تركتَ أهلَكَ وولدَكَ وعشيرتَكَ وما خوَّلَكَ اللهُ وراءَ ظهرِكَ، فلم يدخُل معكَ قبرَكَ غيري، فيقولُ: يا ليتني آثَرْتُكَ على أهلي وولَدي وعشيرَتي وما خوَّلَني اللهُ إذ لم يَدخُل معي غيرُكَ[3].

---

(١) أنشده القالي في «أماليه» (٢/ ٣١٩) عن عمر بن عبد العزيز من شعر عبد الله بن عبد الأعلى القرشي. والرافعي في «تاريخ قزوين» (١/ ١٨٠).

(٢) أخرجه ابن حبان (٣١١٣)، والحاكم (١/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠) وصححه على شرط مسلم.

(٣) أخرجه عبد الجبار الخولاني في «تاريخ داريا» (ص: ٤٨).

قـالَ يزيـدُ الرَّقاشـيُّ: بلَغَنـي أنَّ الميِّـتَ إذا وُضِعَ في قبـرِه احتوَشَـتْهُ أعمالُه، ثمَّ أنطقَهَـا اللهُ، فقالـت: أيُّها العبـدُ المنفرِدُ في حُفرتِـه! انقطَعَ عنك الأخِـلَّاءُ والأهْلونَ، فـلا أنيـسَ لـكَ اليـومَ غيرُنا، ثـمَّ بكى يزيـدُ وقـالَ: طوبـى لِمَـن كان أنيسُـه صالِحاً، والويلُ لِمَـن كان أنيسُـه وبالاً[(١)].

تـزوَّدْ قـرينـاً مِـن فـعـالِـك إنَّـمـا ... قرينُ الفتـى فـي القبـرِ مـا كان يفعَـلُ
وإن كنـتَ مشـغولاً بشَـيءٍ فـلا تكُـنْ ... بغيـرِ الـذي يرْضـى بـهِ اللهُ تُشـغَلُ
فلـنْ يصحَـبَ الإنسـانَ مِـن بعـدِ موتِه ... إلـى قبـرِهِ إلَّا الـذي كـان يعمَـلُ
ألَا إنَّمـا الإنسـانُ ضيْـفٌ لأهـلِـهِ ... يُقيـمُ قليـلاً عندهـم ثـمَّ يَرحـلُ[(٢)]

**انتهى.**

والحمدُ للهِ وحدَه، وصلَّى اللهُ على سيِّدنا محمَّدٍ وآلِه وصحبِه وسلَّمَ تسليماً كثيراً إلى يومِ الدِّينِ[(٣)].

فتنبَّهْ أيُّها الغافلُ لأمرِكَ، قبلَ أن تُرهَنَ بعملِك في قبرِك، وتزوَّدْ لطولِ سَفْرتِك، فكأنَّكَ بك في حُفرتِك، وتأهَّبْ بتحويلِ عُدَّتِك، قبل انقضاءِ مدَّتِك، قبلَ حُلولِ النَّدامةِ، ووُرودِ الأهوالِ دون القِيامَة، قبلَ أن تخلُوَ في قبرِك بالأعمال، وينصرِفَ مُشيِّعوكَ بالآمال، يتحدَّثونَ في قسمةِ ما خلَّفْتَ مِن العَقارِ والأموالِ.

تم[(٤)].

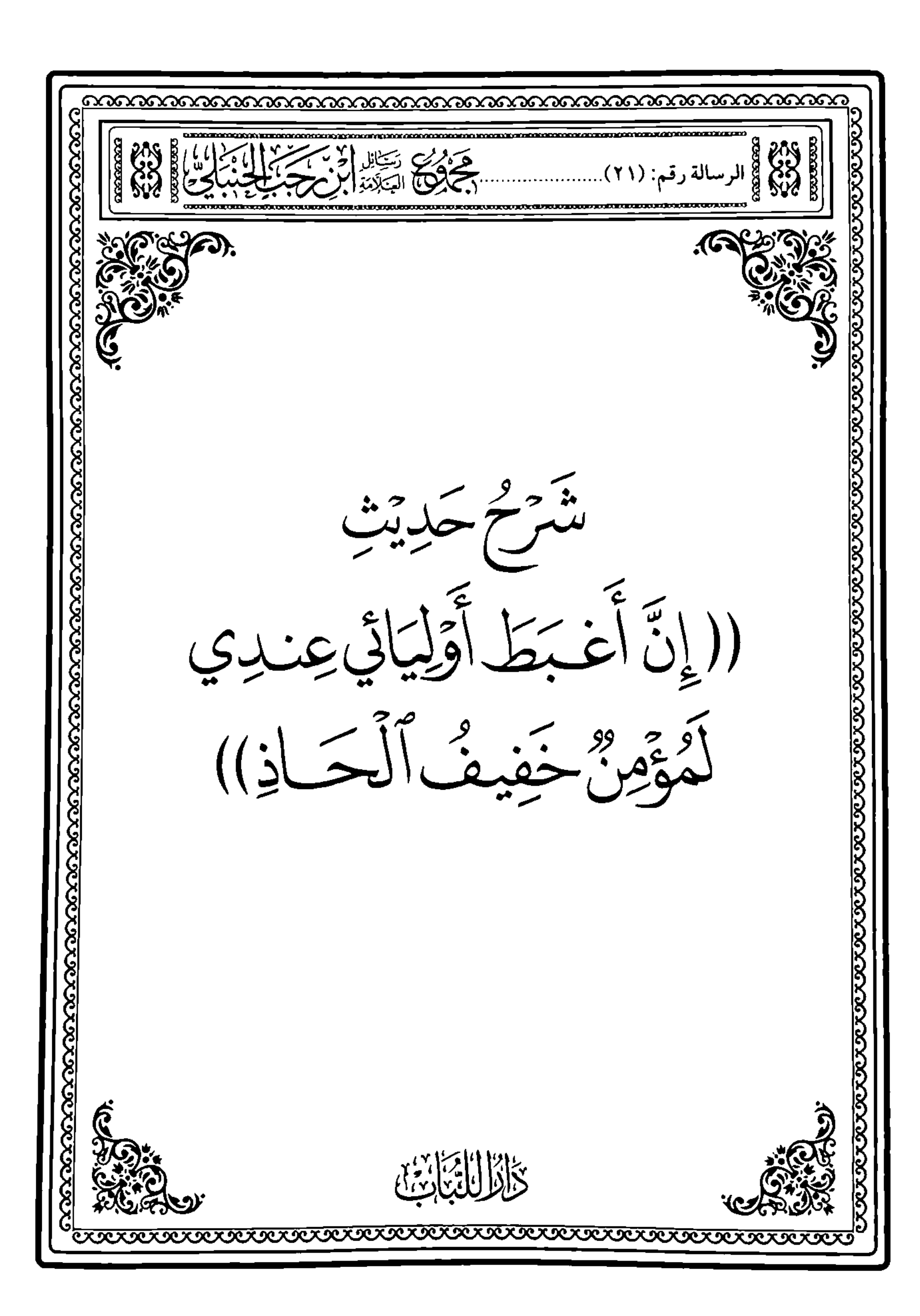
---

(١) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٦٦٤)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٥/ ٨٨). احتوشته: أحاطت به.

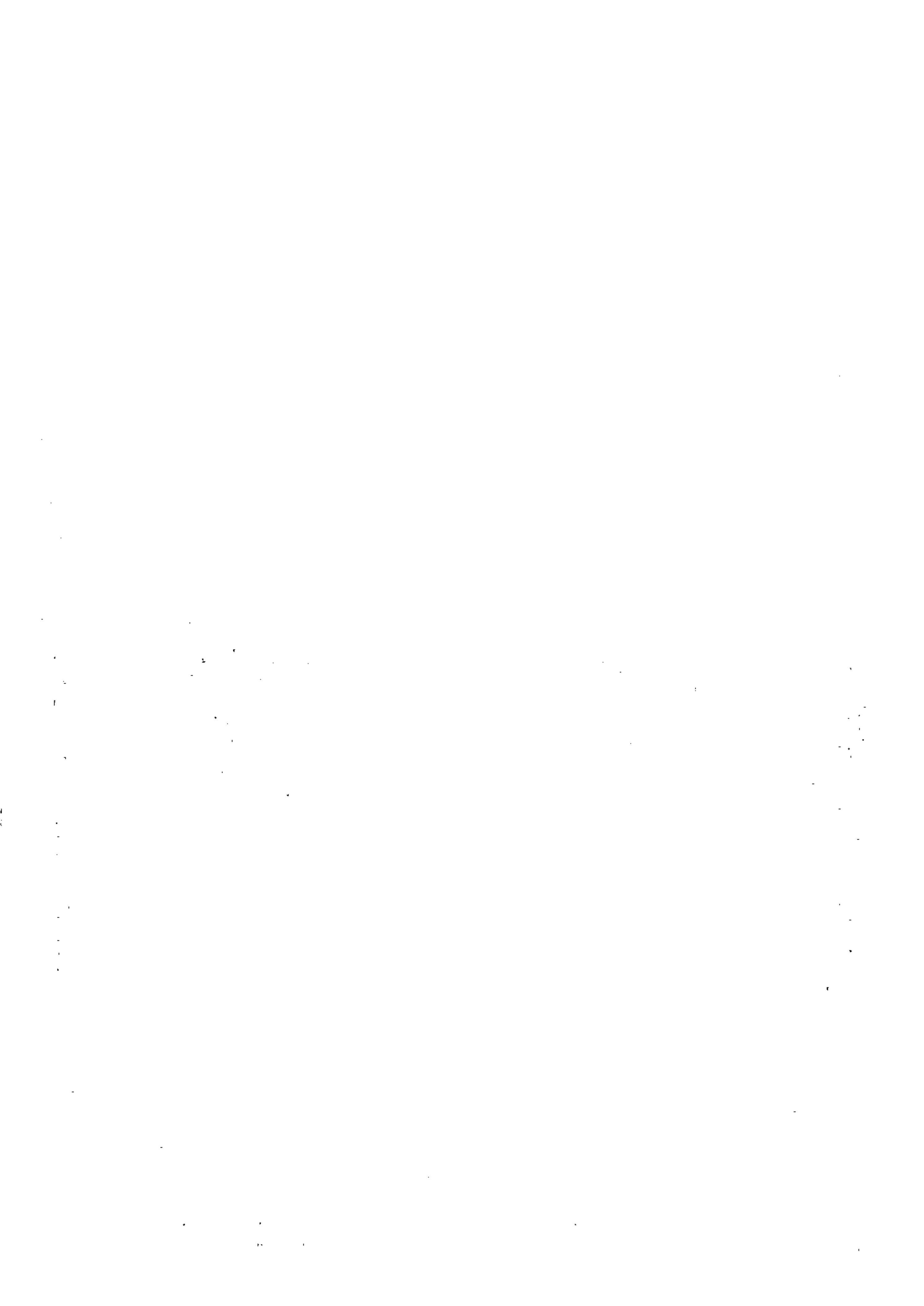
(٢) مما قرئ على قبر. ذكره ابن الجوزي في «مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن» (ص: ٥١٥).

(٣) «إلى يوم الدين» ليس في (ف).

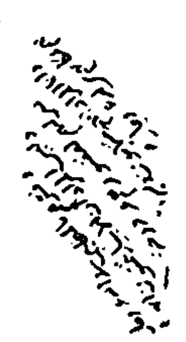
(٤) «تم» من (ف)، وفي حاشيتها بخطٍ آخر: «الحمد لله طالعت هذه الرسالة الشريفة، فوجدتها نافعة مفيدة، رحم الله لمؤلفها ولمن طالعها آمين». ورحمنا الله، وكل من نظر فيها، آمين.



الرسالة رقم: (٢١)
مجموع رسائل العلامة ابن رجب الحنبلي
شرح حديث
((إن أغبط أوليائي عندي
لمؤمن خفيف الحاذ))
دار اللباب

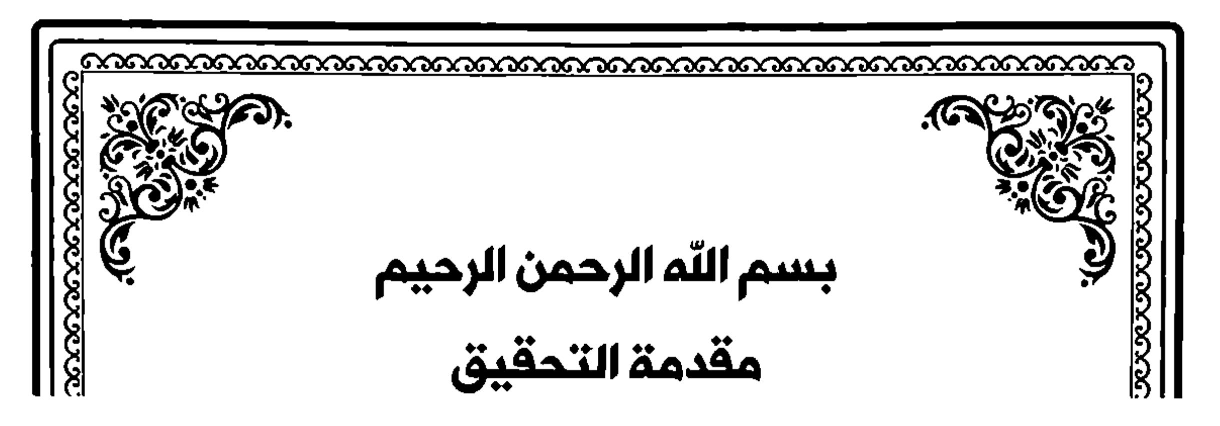


دار الكتب الوطنية بتونس (ت)



مكتبة الفاتح في اسطنبول (ف)





## بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي شرح قلوب أوليائه للانقطاع إليه، ودلهم بآياته وآلائه عليه، فانصرفوا عن علائق الخلائق، وأقبلوا على معادن الحقائق، وقنعوا من الدنيا بالقليل، وأيقنوا منها بالرحيل، فكان لهم الغبطة والابتهاج بالأجر الجزيل.

والصلاة والسلام على معلم الناس الخير وهاديهم، السراج المنير سيدنا محمد البشير النذير، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

**أما بعد:**

فإن قلة العلائق والعوائق من مشاغل الدنيا وملهياتها، معينة على الانقطاع إلى خالق البريات، واستنفاد الأوقات بالقربات والطاعات، بعيداً عن هموم الحياة من طلب الأموال والحرص عليها وصيانتها والقيام بها، ومن كثرة الأهل والعيال وتحمل مسؤولياتهم.

وهذا ما عبَّر عنه هذا الحديث الشريف الذي نحن بين يديه «مؤمن خفيف الحاذ»، وذلك من باب الاستعارة والكناية عن قلة المسؤوليات والتبعات التي تمنع الإنسان من الانصراف إلى عمارة آخرته.

فإذا اغتنم من كان حاله كذلك أوقاته، فكان له حظ من الصلاة وإحسان العبادة، بعيداً عن مراءاة الناس، ونظرهم والنظر إليهم، وصبر على ذلك، وأتته منيته، فسارع

إلى لقاء ربه غير تارك وراءه ميراثاً يختصم فيه الورثة، أو ذكراً يلهج به الناس بعده، كان في محل الغبطة والتهنئة على تلك الحال.

وقد شرح الإمام الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى هذا الحديث بأسلوبه المشوّق، مكثراً من سرد القصص والحكايات التي تثبِّت الأفئدة، وتشرح الصدور، وفيها جلاء القلوب من أحوال الصالحين الذين هدى الله.

والحكايات جند من جنود الله يثبِّت الله بها قلوب أوليائه.

* * *

**ذكر هذا الكتاب للمصنف**: ابن عبد الهادي في «الجوهر المنضد» (ص: ٥٠) بالاسم الذي أثبتناه، وهو مما يرويه الروداني في «صلة الخلف» (ص: ٢٧٦).

وقد اعتمدتُ في إخراجه على نسختين خطيتين:

**١ـ النسخة التونسية، ورمزها (ت).**

وهي الرسالة السادسة عشرة من المجموع (١٥٧) ـ وقد سبق وصفه في المقدمات ـ وتقع في (٨) لوحات (من ١٥١/ ب إلى ١٥٨/ ب)، وهي مقابلة وعليها تصحيحات وبعض تعليقات، وإثبات مطالب في الحواشي.

لم يذكر اسم الناسخ، ويرجع تاريخ نسخ المجموع إلى ٨٥٢.

**٢ـ نسخة مكتبة الفاتح في اصطنبول، ورمزها (ف).**

وهي الرسالة الخامسة عشرة من المجموع (٥٣١٨)، وقد سبق وصفه في المقدمات وتقع في (١٤) لوحة (من ١٩٩/ أ إلى ٢١٢/ أ).

ويوجد للكتاب مختصران مخطوطان:

وقفت على الأول في أحد المجاميع في اصطنبول، وهـو في لوحتين. انتقاه مختصراً محمد بن النصيف الحنفي سنة ٨٩٣هـ، ولم أقف على ترجمته، لكنه عالم فاضل كما يبدو من مجموعه.

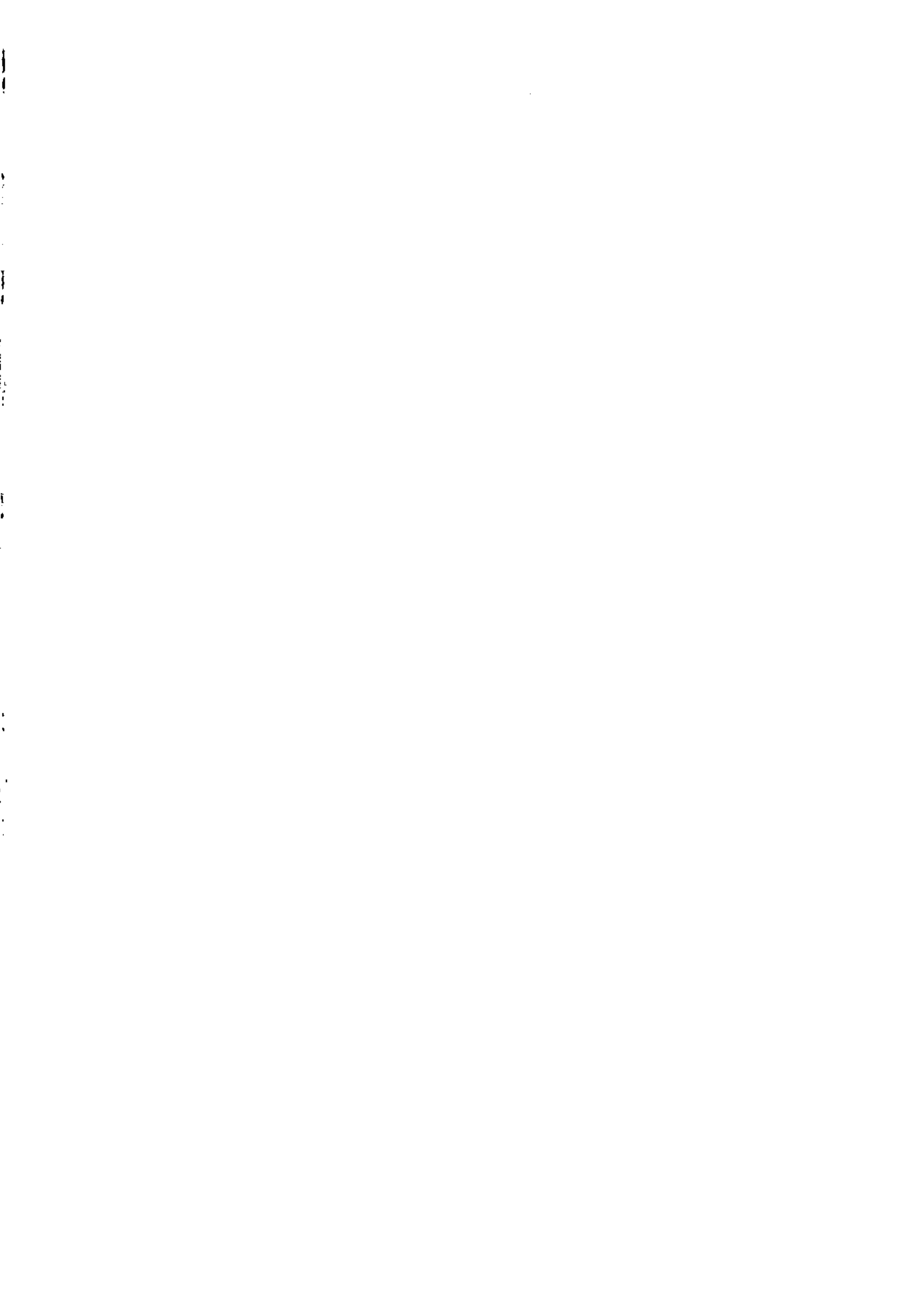
والثاني: «أمور حسنة منتخبة من شرح حديث: إن أغبط أوليائي عندي لمؤمن خفيف الحاذ» وهو في المكتبة المركزية بالرياض (٤٢٤).

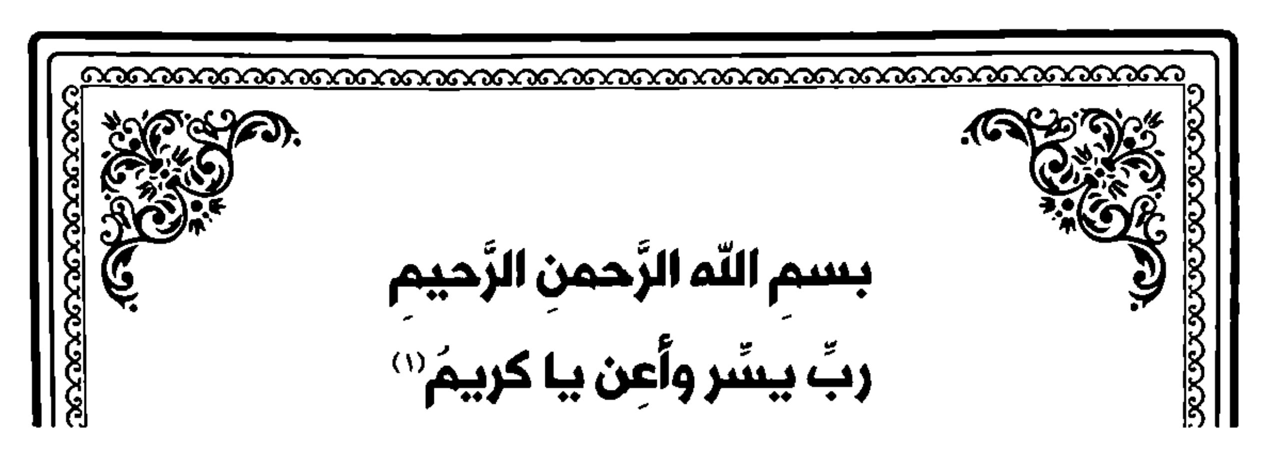
والحمـد لله رب العالميـن وصلـى الله علـى سيدنا محمد وعلى آلـه وصحبه أجمعين.

كتبه

**محمد مجير الخطيب الحسني**

* * *






الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصلَّى اللهُ على سيِّدنا[2] محمَّدٍ وآلِه وصَحبِه أجمعينَ[3] وسلَّمَ تسليماً.

خرَّجَ الإمامُ أحمدُ، والتِّرمذيُّ، وابنُ ماجَه مِن حديثِ أبي أمامةَ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «إنَّ أغبطَ أوليائي عِندي لَمُؤمنٌ خفيفُ الحاذِ، ذو حظٍّ مِن الصَّلاةِ، أحسنَ عبادةَ ربِّهِ، وأطاعَه في السِّرِّ، وكان غامِضاً في النَّاسِ لا يُشارُ له بالأصابعِ، وكان رزقُه كَفافاً فصبرَ على ذلك». ثمَّ نقرَ بيَدِه فقال: «عُجِّلَتْ منيَّتُه، قلَّتْ بَواكيهِ، قلَّ تُراثُه». وقالَ التِّرمذيُّ: حديثٌ حسَنٌ. واللَّفظُ له[4].

ولفظُ ابنِ ماجَه: «أغبطُ النَّاسِ عندي»، والباقي بمَعناه، ولم يَذكُر: نقرَ بيدِه.

---

(١) «يا كريم»: من (ف).

(٢) «سيدنا» من (ف).

(٣) «أجمعين» من (ت).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٣٤٧). وهو عند الإمام أحمد (٢٢١٦٧)، (٢٢١٩٧)، (٢٢١٩٨)، وابن ماجه (٤١١٧). وأخرجه الحاكم (٤/ ١٢٣)، وقال: «هذا إسناد للشاميين صحيح عندهم، ولم يخرجاه»، قال الذهبي: «لا بل إلى الضعف ما هو». ولم يتطرق المصنف رحمه الله مع حفظه وإمامته إلى الخوض في حال الحديث، وكأنه اكتفى بتحسين الترمذي، فقد روي عن أبي أمامة رضي الله عنه من طرق كلها ضعيفة فلعله رآها تنهض بالحديث، والله أعلم.

قولُه ﷺ: «أغبَطَ أوليائي عِندي»:

الاغتباطُ هو: الفرحُ والسُّرورُ، والابتهاجُ بالنِّعمةِ، سواءٌ كانت على الإنسانِ أو على غيرِه محبَّةً لذلك الغيرِ، وتهنئةً له بما وصلَ إليه، وسواءٌ كان المغبطُ له أعلى منزلةً مِن المغبوطِ أو مُساوياً أو دونَه.

فأمَّا مع علوِّ المنزلةِ فكما في هذا الحديثِ، وفي حديثِ: «إنَّ للهِ عباداً ليسوا بأنبياءَ ولا شُهَداءَ يغبِطُهم النَّبيُّونَ والشُّهداءُ يومَ القيامةِ بمكانهم مِن اللهِ عزَّ وجلَّ»[1]، وفسَّرَهم بالمتحابِّينَ في اللهِ عزَّ وجلَّ، وليس المرادُ أنَّ الأنبياءَ يتمَنَّوْنَ أنَّهم بمَنزِلَتِهم لقُصورِهم عن درجتهم، وإنَّما المرادُ أنَّهم يَبتهِجُونَ ويُسَرُّونَ بما لَهم بمكانِهم مِن اللهِ عزَّ وجلَّ.

ومِن هنا يُعلَمُ أنَّ مَن فسَّرَ الغِبطةَ بتمنِّي مثلِ نعمةِ المغبوطِ مِن غيرِ زوالها عنه بخلافِ الحسَدِ فإنَّه تمنِّي زَوالِ نعمةِ المحسودِ ليس ذلك على إطلاقِه، وإنَّما هي[2] في غبطةِ الأدنى للأعلى خاصَّةً.

---

(١) روي هذا المعنى من حديث عدد من الصحابة رضي الله عنهم: منها حديث عمر بن الخطاب، أخرجه أبو داود (بعد ٣٥٢١) وهو من رواية ابن داسة، ومنها حديث معاذ، أخرجه الترمذي (٢٣٩٠)، وقال: «حسن صحيح».
وجاء في حاشية (ت): «قف على معنى الغبطة، ومعنى حديث: «يغبطهم النبيون والشهداء» فإنه حسن جداً، لم أره لغيره، وقد فسره ابن عباد في «رسائله الكبرى»، والشهاب بحاشية «البيضاوي» في تفسير سورة يونس، وفيه ما فيه، وأما هذا التفسير الذي ذكر هذا السيد فما بعده في التحقيق مرقى، فاعرفه. رحمه الله رحمة واسعة آمين. لكاتبه أحمد بن عبد الله السوسي غفر الله له ولوالديه ولذريته آمين».
وتفسير ابن عباد النفزي الرندي، المتوفى سنة ٧٩٢ رحمه الله، في الرسالة الأولى من رسائله المسماة: «نزهة الناظر المتأمل وقيد السائر المستعجل»، (١/ ١٢) دار الكتب العلمية. نقله عن أبي عبد الرحمن السلمي.
وكلام الشهاب في حاشيته على البيضاوي (٥/ ٤٦).

(٢) رسمت في (ت): «هذا»، ثم أصلحت إلى: «هي».

وقولُه: «أغبطَ أوليائي عندي» يشيرُ ﷺ إلى أنَّ مَن كان كذلك فهو مِن خاصَّةِ أوليائِه، وأنَّ النَّبيَّ ﷺ يُسَرُّ بمَنْ كان مِن أمَّتِه على هذه الصِّفةِ، ويفرحُ به، ويهنِّئُه بما حصلَ له مِن السَّعادةِ، ولذلك جعلَه النَّبيُّ ﷺ مِن أوليائِه، وأولياءُ رسولِ اللهِ ﷺ أولياءُ اللهِ، كما قالَ تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

وصحَّ عنه ﷺ أنَّه قالَ: «إنَّ وليي اللهُ وصالحُ المؤمنينَ»[١].

وفي حديثٍ آخرَ: «إنَّ أوليائي المتَّقونَ مَن كانوا وحيثُ كانوا»[٢]. وكذلك هم أولياءُ اللهِ عزَّ وجلَّ، كما قالَ تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٣].

فمَن كان أعظَمَ إيماناً وتقوى فهو أعظمُ ولايةً للهِ ولرسولِه ﷺ، فلهذا قالَ في هذا الحديثِ: «إنَّ أغبط أوليائي عندِي لَمُؤمنٌ»، والمؤمنُ إذا أطلقَ لا سيَّما في مقامِ المدحِ فإنَّما يرادُ به مَن كمَلَ إيمانُه بفعلِ الواجباتِ وتركِ المحرَّماتِ، وربَّما أُريدَ به مَن قامَ بعد ذلك بالنَّوافلِ لأنَّ ذلك كلَّه داخلٌ في اسمِ الإيمانِ.

وقولُه: «خفيفُ الحاذِ» فسَّرَه الأصمعيُّ بقِلَّةِ المالِ[٣].

قالَ ابنُ قُتيبةَ: ويُفسَّرُ أيضاً بقلَّةِ العيالِ[٤]، ويشهدُ لهذا قولُ أبي ذرٍّ: ليأتينَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩٠)، ومسلم (٢١٥) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٢٠٥٢) من حديث معاذ رضي الله عنه، ولفظه: «إن أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا»، وأخرجه ابن حبان (٦٤٧)، والطبراني في «الكبير» ٢٠ (٢٤١).

(٣) «غريب الحديث» لإبراهيم الحربي (٣/ ١١٨٩).

(٤) لم أجد هذا في «غريب الحديث»، وإنما وجدت فيه (٣/ ٧٦٥) شرحاً لكلام أبي ذر الآتي: «معناه إن الأئمة كانت في صدر الإسلام يرزقون عيالات المسلمين وذراريهم من بيت المال، فكان أبو العشرة مغبوطاً بكثرة ما يصير إليه من أرزاقهم، ثم يقطع السلطان ذلك فيما بعد، فيغبط الرجل بالوحدة، لخفة المؤونة ويُرثى لذي العيال».

عليكم زمانٌ يُغبَطُ الرَّجلُ فيه بخفَّةِ الحاذِ، كما يُغبَطُ اليومَ فيكم أبو عَشرةٍ. خرَّجه أبو نُعَيمٍ وغيرُه[1].

وخرَّجَ ابنُ عديٍّ وغيرُه مِن حديثِ حُذيفةَ مَرفوعاً: «خيرُكم في المائتينَ كلُّ خفيفِ الحاذِ» قالوا: وما خفيفُ الحاذِ؟ قال: «الذي لا أهلَ له ولا ولَدٌ»[2].

وهو مِن بابِ الاستعارةِ والكِنايةِ، لأنَّ أصلَ الحاذِ هو اللَّحمُ، كما يقالُ: خفيفُ الظَّهرِ.

**فأمَّا قلَّةُ المالِ**: فهو مما[3] يُغبَطُ به صاحبُه في الدُّنيا إذا صبرَ على ذلك أو رَضِيَ بِهِ، وسنذكرُ ذلك في تفسيرِ قولِهِ: «وكان رزقُه كَفافاً فصبرَ عليه» إن شاءَ اللهُ تعالى.

**وأمَّا قلَّةُ العيالِ**: فهو ممَّا يُغبَطُ به المؤمنُ أحياناً لاسيَّما مع فَقرِه وحاجَتِه، ولهذا يقالُ: قلَّةُ العيالِ أحدُ اليَسارَيْنِ[4]؛ فإنَّ كثرةَ العيالِ قد يحملُ المؤمنَ على طلبِ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٦٣)، وأخرجه بطوله ابن أبي الدنيا في «المتمنين» (١٠٩)، و«النفقة على العيال» (٤٤١)، والمعافى بن عمران في «الزهد» (٥٠).

(٢) مدار هذا الحديث على أبي عصام روَّاد بن الجراح وقد أنكر عليه، وهو أيضاً قد اختلط.

رواه عنه عباس الترقفي في حديثه (٢) وعن عباس أخرجه: ابن الأعرابي في «معجمه» (١٨٣٠)، وابن المقرئ في «معجمه» (١١٠٦)، وابن عدي في «الكامل» في ترجمة رواد، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٧٧/ ١٤٩) (١٣/ ٧٤) وغيرهم. وأخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٦٩) من طريق آخر عن روَّاد، قال أبو حاتم في «علل الحديث» (١٨٩٠): حديث باطل، وقال أيضاً: (٢٧٦٥): منكر.

تنبيه: ورد في بعض المصادر بلفظ «لا أهل له ولا مال» وهو تصحيف.

(٣) في (ف): «ما».

(٤) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٧/ ١٣٦) وابن أبي الدنيا في «النفقة على العيال» (١٠٣) من كلام سعيد بن المسيب رحمه الله. ويروى مرفوعاً بسند ضعيف.

الرِّزقِ لهم مِن الوُجوهِ المكروهةِ، ولهذا وقعَ في كلامٍ كثيرٍ مِن السَّلَفِ ذمُّ العِيالِ.

فكانَ سفيانُ الثَّوريُّ يقولُ: لا يُعبَأُ بصاحبِ عيالٍ، فقلَّمَا رأيتُ صاحبَ عِيالٍ إلَّا خلَّطَ[١]، وكان يقولُ: لا أعتَدُّ بعبادةِ رجُلٍ له عِيالٌ[٢].

وقالَ: لو حُدِّثتُ عن ذي العيالِ أنَّه كفَرَ ما أبعَدْتُ[٣].

وقالَ: صاحبُ العيالِ لا يكونُ وَرِعاً أبداً[٤].

وقالَ: مَن تزوَّجَ فقد ركِبَ البحرَ، فإن ولدَ له فقد كُسِرَ به[٥] المركبُ[٦].

وقالَ: كانت لنا هِرَّةٌ لا تُؤذينا فلمَّا ولدَتْ كشفَتِ القُدورَ[٧].

وعاتبَ سُفيانُ رجُلاً مِن كُتَّابِ الأمَراءِ على كتابتِه معهم[٨]، وقالَ له سفيانُ: كلَّمَا دُعِيَ بأميرٍ ممَّنْ كتبتَ له دُعِيتَ أنت معَه، فسُئِلْتَ عمَّا جرى على يدِكَ، فأنتَ أسوَؤُهم حالاً، فقالَ له الرَّجلُ: فكيفَ أصنعُ بعِيالي؟ فقالَ سفيانُ: اسمَعوا هذا!

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٨١)، والبيهقي في «الزهد» (٤٤٠)، وفي «شعب الإيمان» (٩٣١٢).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٨٨).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ١٩).

(٤) نسبه الثعالبي في «اللطائف والظرائف» (ص: ١٧٤) إلى سفيان بن عيينة، وفي «الزهد» للبيهقي (٤٤٠)، من كلام سفيان الثوري: صاحب العيال لا يكون رجلاً صالحاً.

(٥) «به» سقطت من (ف).

(٦) أخرجه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٣٦٦)، والخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٦٦).

(٧) أخرجه البيهقي في «الزهد» (٤٤١) لكن عن سفيان بن عيينة.

(٨) في حاشية (ت): «قف على كُتَّاب الأمراء وما عليهم».

يقولُ: إذا عصى اللهَ رَزَقَ عِيالَه، وإذا أطاعَ اللهَ ضَيَّعَ عيالَه! ثمَّ قالَ سفيانُ: لا تَعْتدُّوا بصاحبِ عِيالٍ، فما كان عذرُ مَن عوتِبَ إلا أن قالَ: عِيالي[١].

وقالَ: يؤمَرُ بالرَّجلِ إلى النَّارِ يومَ القيامةِ فيقالُ: هذا عيالُه أكلُوا حسَناتِه[٢].

ولَمَّا وليَ شريكٌ قضاءَ الكوفةِ هجرَه سُفيانُ، وقالَ: أيُّ رجلٍ أفسَدُوه! فقالَ شريكٌ: لو كان لسُفيانَ بناتٌ أفسَدُوهُ أكثرَ ممَّا أفسَدُوني[٣].

وقد[٤] يُستدَلُّ على فضلِ قلَّةِ العِيالِ بقولِه تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣] على تفسيرِ مَن فسَّرَه بكثرةِ العيالِ[٥]، ولكنِ الجمهورُ على تفسيرِه بالجورِ والحَيْفِ[٦]؛ فإنَّ ملكَ اليمينِ قد تكثُرُ به الأولادُ أكثرَ مِن الزَّوجاتِ الأربعِ، فإنَّه لا يَنحصِرُ في عددٍ.

وكان الإمامُ أحمدُ يُنكِرُ على مَن كرِهَ كثرةَ الأزواجِ والعيالِ[٧]، ويستدلُّ بحالِ النَّبيِّ ﷺ وأصحابِه مِن كثرةِ أزواجِهم وعيالِهم، وبمثلِ قولِه: «تزوَّجُوا الوَدُودَ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٨٠) وسفيان هو الثوري.

(٢) أخرجه ابن الجعد في «مسنده» (١٩٠٧) وابن أبي الدنيا في «النفقة على العيال» (٤٥١)، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١/ ٩٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٨١).

(٣) نقله الذهبي في «تاريخ الإسلام» (١٠/ ٢٣٩ ـ ط تدمري). وقد كان سفيان متزوجاً ومات له ولد في حياته. انظر: «الحلية» (٦/ ٣٨١).

(٤) في (ف): «ومما».

(٥) وهو المشهور عن الإمام الشافعي رحمه الله.

(٦) وهو قول ابن عباس والجمهور. انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٣٧٥ ـ ٣٧٩).

(٧) انظر: «الورع» للإمام أحمد (ص: ١٢٤ ـ ١٢٧).

الولودَ، فإني أكاثرُ بكم الأمَمَ يومَ القيامةِ»[(١)]، ولكنَّه يأمرُ مع هـذا بطلبِ الحلالِ والكسبِ والصَّبرِ على الفقرِ وإن شَقَّ.

فالإمامُ أحمدُ أَمَرَ بما جاءَ الأمرُ بهِ في الشَّرعِ، وسفيانُ نظرَ إلى قلَّةِ صبرِ النَّاسِ، و[(٢)]إلى ما يؤولُ إليه حالُهم عند كثرةِ عيالِهم مِن تركِ الورَعِ والتَّكسُّبِ مِن الوجوهِ المكروهةِ، وهذا هو الغالبُ على النَّاسِ لاسيَّما مع قلَّةِ العِلمِ والصَّبرِ، وأمَّا حالُ الصَّابرينَ على العيالِ المحافظينَ على الورَعِ معَهم فعزيزٌ جدًّا، كحالِ الفُضَيلِ لَمَّا دخلَ عليه الرَّشيدُ فأعطاهُ ألفَ دينارٍ، فأبى أن يأخُذَها، فخرَجَ عنهُ، فجاءَ إليه[(٣)] عيالُه فقالوا لهُ: لو قبِلْتَ هذا المالَ ففرَّجْتَ بهِ عنَّا[(٤)]، قال: مَثَلي ومَثَلُكم كمثلِ رجُلٍ[(٥)] كان لهم جملٌ يستَقُونَ[(٦)] عليه، فلمَّا كبِرَ نحَروهُ فأكَلوا لحمَهُ[(٧)].

وكان الإمامُ أحمدُ له عِيالٌ، وكان يومَ لا يكونُ عندَه شيءٌ يفرحُ بذلك[(٨)]، وقالَ: أَسَرُّ أيَّامي إليَّ[(٩)] يومَ أُصبِحُ وليس عندِي شيءٌ، فجاءَه ولدٌ له صغيرٌ عقِبَ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (١٠٣٤٣) عن ابن سيرين مرسلًا. ولفظه: «السوداء الولود».

(٢) «و» سقطت من (ف).

(٣) في (ف): «بعض» وعليها علامة كأنها إلغاء.

(٤) في حاشية (ف) كتب أحدهم: «فافهم ترشد».

(٥) في حاشية (ت): «لعله قوم».

(٦) في حاشية (ت): «يَسْنون» نسخة.

(٧) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» في خبر طويل (٨/ ١٠٧)، والخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٨٤١) (٨٤٢).

(٨) «بذلك» سقطت من (ف).

(٩) «إلي» سقطت من (ف).

هذا الكلامِ، وطلَبَ منه شيئاً، فقالَ له: ليسَ عندي أية قطعةٍ ولا عندي شيءٌ(١).

وأرسلَ يوماً إليه عيالُه يقولونَ له(٢): ليس عندَنا اليومَ دقيقٌ أو قالوا خبزٌ، فقالَ لهم: السَّاعةَ، ثمَّ أبطأَ عليهم، فعاوَدُوهُ فقال: السَّاعةَ، فدقَّ عليه رجلٌ البابَ، فإذا هو رجلٌ مِن خُراسانَ قد أُرسلَ معَه إليه بخمسةِ آلافِ دِرهَمٍ، فأبى أن يأخذَها وردَّها(٣).

كان فتحٌ الموصليُّ يجمعُ عيالَه في ليالي الشِّتاءِ، ويمدُّ كساءَه عليهم ويقولُ: أجَعْتَني وأجعتَ عِيالي، وأعرَيْتَني وأعرَيْتَ عِيالي، فبأيِّ وسيلةٍ توسَّلتُ بها إليكَ حتَّى تفعلَ هذا بي، وإنَّما تفعلُ هذا بأوليائِك وأحبابِك، فهَل أنا منهم حتَّى أفرحَ(٤).

وعَرِيَت ابنةٌ له، فقيلَ له: لو طلبتَ مِن أحدٍ أن يَكسوَها، فقال: أدَعُها حتَّى يرَى اللهُ عُرِيَّها، وصَبري على ذلك(٥).

وجيءَ إلى عبدِ الصَّمدِ الزَّاهدِ بمالٍ، فأبى أن يقبلَه، فقالوا له: تصدَّق بِه، فقالَ لأصحابِه: مَن كانت له حاجةٌ إلى شيءٍ فليأْخُذ، فتوزَّعَه أصحابُه بقدرِ حاجاتِهم، فجاءَ إليه بُنَيٌّ له صغيرٌ يبكي، فقالَ: أنا جائعٌ، فقالَ: اذهَبْ فخُذْ عليَّ مِن البقَّالِ ربعَ رطلِ تمرٍ(٦).

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٣٦٤ ـ ٣٦٥) و(ص: ٣٣٤).

(٢) «له» سقطت من (ت).

(٣) أخرجه مطولًا ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٣١٩).

(٤) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٤/ ٣٦١). وفي حاشية (ف): «مهم: نظر دقيق وسر عظيم».

(٥) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٤/ ٣٦١). وفي حاشية (ت): «وعَريت: بفتح العين قيده الجوباري». ومعنى عريت: لم يبق لها ثياب لفقرها.

(٦) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٣١١)، وابن الجوزي في «القصاص والمذكرين» (١٦٠). وليس فيه ذكر البكاء والجوع.

إخواني! الطَّبعُ إلى التَّوسُّعِ في الدُّنيا يحِنُّ، والولدُ يطلبُ ما يشتهي، والزَّوجةُ تطلبُ سعةَ النَّفقةِ، والورعُ يمنعُ مِن التَّوسُّعِ، هنالك ابتُلِيَ المؤمنونَ وزُلزِلُوا زِلزالاً شَديداً.

كان[1] الإمامُ أحمدُ قدِ امتنعَ أن يأخذَ مِن الخليفةِ شَيئاً مِن مالِ بيتِ المالِ، واقتنعَ بكَرْيِ حوانيتَ له، كانت تغلُّ في الشَّهرِ عِشرينَ دِرهماً أو أقلَّ، فأخذَ أولادُه مِن الخليفةِ، فهجَرَهم لذلك[2]، فكانت أمُّ ولدِه تُعاتِبُه، وتقولُ له[3]: أنا معكَ في ضيقٍ وأولادُك يأكلونَ ويفعلونَ ويفعلونَ، فيقولُ لها: قولي خيراً، فخرجَ إليه صبيٌّ له صغيرٌ يبكي، فقالَ: أيَّ شيءٍ تريدُ؟ قال: زبيبٌ، قال: اذهَب فخُذ مِن البقَّالِ بحبَّةٍ[4].

كم أحملُ في هواكَ كَلًّا وعَنَا ... كم أصبِرُ فيك تحتَ سُقْمٍ[5] وضَنَا

لا تَطرُدْني فليس لي عنكَ غِنَى ... هذا حالي فإن رَحِمْتُم فأنا[6]

غيره:

مِن أجلِ هواكُم هجَرْتُ[7] الخَلْقا ... لم يُبقِ حقُّكُم لنفسي حَقَّا

---

(١) في (ف): «فإن كان»، والزيادة لعلها سبق قلم.

(٢) أخرجه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٥١٣ ـ ٥١٨)، وليس فيه ذكر الحوانيت.
وفي حاشية (ف): «ورع عظيم من إمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه نفعنا الله تعالى بشفاعته».

(٣) في (ت): «تقول».

(٤) أخرجه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٣٣٢).

(٥) بين الأسطر في (ف) و(ت): «ضر».

(٦) ذكرهما ابن الجوزي في «المدهش» (ص: ١٥٧) باختلاف طفيف.

(٧) في (ت): «جفوت» وفوقها بين الأسطر «هجرت».

فـي حُبِّكُـمُ يهـونُ مـا قـد ألـقى　　ما يسـعدُ بالنَّعيـمِ مَـن لا يَشْـقى[١]

وأيضًا: فكثرةُ العِيالِ ممَّا يُوجِبُ تعلُّقَ القلبِ بهم، فيَشْغَلُ ذلك عن محبَّتِه وخدمتِه للهِ، وقد قالَ اللهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

قال أبو حازمٍ: كلُّ ما شغلَكَ عنِ اللهِ مِن مالٍ أو ولدٍ فهو عليك مشؤومٌ[٢].

وقـد روَى أبـو نُعَيـمٍ بإسـنادٍ ضَعيـفٍ، مِن حديـثِ ابنِ مسـعودٍ مَرفوعـاً: «إذا أحـبَّ اللهُ عبـداً اقتنـاه لنفسِـه، ولـم يشـغَلْه بزَوجةٍ ولا ولَـدٍ»[٣].

ومن كلامِ الشَّيخِ عبدِ القادرِ: وكم تقولُ كلُّ مَن أحبُّهُ لا يدومُ لي، بل يحالُ بيني وبينَه بموتٍ أو غيرِه، فيقالُ لك: يا محبوبَ الحقِّ، المعنيَّ به، المنظورَ إليه، المغارَ عليه، أما علِمْتَ أنَّ اللهَ غيورٌ، خلقَكَ له، وترومُ أن تكونَ لغيرِه؟ أما سمِعتَ قولَه عزَّ وجلَّ: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] وقولَه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وقولَه ﷺ: «إذا أحبَّ اللهُ عَبْداً ابتلاهُ، فإذا صبرَ اقتناهُ فلم يذَرْ له مالاً ولا ولَداً»[٤]، انتهى.

---

(١) ذكرهما ابن الجوزي في «المدهش» (ص: ١٥٨) باختلاف في البيت الأول.

(٢) هو من كلام أبي سليمان الداراني ـ ولم أقف عليه لأبي حازم ـ أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٦٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٤/ ١٢٧) (٣٣/ ٣٦٢)، وذكره المصنف عن أبي حازم في «لطائف المعارف» (ص: ١٥٣ السواس)، لكنه ذكره على الصواب عن أبي سليمان في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ١٩٨).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٥)، ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ٢٧٨).

(٤) «فتوح الغيب»، للشيخ عبد القادر الجيلاني (ص: ٥٤ ـ ٥٥).

والحديث أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٤٩٩) من حديث أبي عنبة الخولاني، =

ومِن هذا المعنى الأثرُ الإسرائيليُّ: يا ابنَ آدمَ! خلقتُ كلَّ شيءٍ لك، وخلقتُكَ لنفسِي فلا تشتغِلْ بما خلقتُه لك عما خلقتُكَ له[1].

وقد قيلَ[2]: إنَّ إبراهيمَ الخليلَ عليهِ السَّلامُ إنَّما أُمِرَ بذبحِ ولدِه لتعلُّقِ قلبِه بهِ، فلما فرَّغَه منه وقدَّمَ محبَّةَ اللهِ على محبَّةِ ولدِه، وأسلَما وتلَّهُ للجبينِ، حصَلَ الفِداءُ بحُصولِ المقصودِ منه، وهو تفريغُ القلبِ، فلم يبقَ لإراقةِ الدَّمِ معنًى[3]، وكذلك[4] الخليلُ الأكبرُ لَمَّا اشتدَّتْ محبَّتُه لعائشةَ وقعَ تنغيصُها عليهِ بما جرى مِن حديثِ الإفكِ.

كان بعضُ العارفينَ له زوجةٌ، هيَ ابنةُ عمِّه، وكان يحبُّها حبًّا شديداً، فقالَ لنفسِه يوماً: كيف ألقى اللهَ بهذا الحالِ؟ فسألَ اللهَ، فمَرِضَت ثلاثةَ أيَّامٍ، ثمَّ ماتَت، فخرجَ مِن فَورِه إلى مكَّةَ[5].

مرَّ بعضُ الفُقراءِ بامرأةٍ فأعجبَتْه، فتزوَّجَها، فلمَّا دخلَ بها البيتَ نزَعوا خُلْقانَه وألبَسوهُ ثِياباً جدُداً، فلمَّا جنَّ عليه الليلُ طلبَ قلبَه فلم يَجِده، فصاحَ: خُلْقاني خُلْقاني، فأخذَها ورجَعَ[6].

نقِّلْ فؤادَكَ حيثُ شئتَ مِن الهوَى ... ما الحبُّ إلَّا للحَبيبِ الأوَّلِ

---

= ولفظه: «إذا أراد الله عز وجل بعبده خيراً ابتلاه، فإذا ابتلاه اقتناه» قالوا: يا رسول الله وما اقتناه؟ قال: «لا يترك له مالاً ولا ولداً».

(١) لم أجده إلا في كلام للإمام ابن تيمية رحمه الله «مجموع الفتاوى» (١/ ٢٣).

(٢) في حاشية (ف): «عِبْرة».

(٣) لعله مستفاد من كلام ابن القيم شيخ المصنف رحمهما الله في «مدارج السالكين» (٣/ ٤٠١).

(٤) في حاشية (ف): «قف».

(٥) في حاشية (ف): «عجيبة»، والقصة لم أهتد إلى مصدرها.

(٦) ذكرها ابن الجوزي في «المدهش» (ص: ٢٣١).

كم منــزلٍ للمَــرءِ[١] يألَفُــه الفَتى وحـنـيـنُــه أبــداً لأوّلِ مَنزلِ[٢]

دخَلوا على أبي سليمانَ الدّارانيِّ بيتَه، فقالَ بعضُهم: ما أحوَجَه إلى زوجةٍ تُؤنِسُه، فقال: لا آنسَني اللهُ إلَّا بِهِ أبَداً[٣].

كان إبراهيمُ بنُ أدهمَ قد خرجَ مِن أهلِه وولَدِه وحشَمِه، وأقامَ في بلادِ الغُربةِ، فحجَّ مرَّةً، فرأى ولدَه وحشَمَه في الطَّوافِ، فجعلَ يُسارِقُهم النَّظرَ ويبكي، فأُخبِرَ ولدُه بِهِ، فجاءَ إليه فاعتنقَه وبكى، ثمَّ صرَفَه وودَّعَه، وأنشدَ[٤]:

هجَرتُ الخلقَ طُرًّا في هواكَا وأيتَمْتُ العِيالَ لكَيْ أراكَا

فلَوْ قطَّعْتَني في الحُبِّ إرْباً لَمَا حنَّ الفؤادُ إلى سِواكَا[٥]

**قولُه: «ذو حظٍّ مِن الصَّلاةِ».**

يشيرُ إلى أنَّ المؤمنَ الخفِيَّ التَّقِيَّ لا بدَّ أن يكونَ له نصيبٌ مِن التَّنفُّلِ بالصَّلاةِ، يكونُ[٦] هو لذَّتُه وقُوتُه وغذاؤُه، كما قالَ ﷺ: «جُعِلَت قرَّةُ عيني في الصَّلاةِ» خرَّجَه النَّسائيُّ[٧].

---

(١) في حاشية (ف): «في القلب».

(٢) لأبي تمام. انظر: «أخبار أبي تمام» للصولي (ص: ٤٠).

(٣) أورده الإمام الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٠١ ـ ط دار المعرفة)، وذكره المصنف أيضاً في «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٣٤)، وفي «استنشاق نسيم الأنس» الباب السادس.

(٤) زاد في (ف): «بعضهم»، وهو سبق قلم.

(٥) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٣٠٦). وجاء في (ف): «ولو قطعتني..».

(٦) في (ف): «فيكون».

(٧) من حديث أنس رضي الله عنه (٣٩٤٠) (٣٩٣٩)، وفي «الكبرى» (٨٨٣٦) (٨٨٣٧).

وفي «سننِ أبي داودَ» عنه ﷺ أنَّه قالَ: «يا بلالُ! أَقِمِ الصَّلاةَ وأَرِحْنا بها»[1].

وفي «المسند» عنِ ابنِ عبَّاسٍ قال: قالَ جبريلُ للنَّبيِّ ﷺ: يا محمَّدُ! إنَّ اللهَ قد حبَّبَ إليك الصَّلاةَ، فخُذ منها ما شئتَ[2].

وفي «مسندِ» البزَّارِ والطَّبرانيِّ، عن أنسٍ: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا أعجَبَه نحوُ الرَّجُلِ أمَرَه بالصَّلاةِ[3].

وقال ثابتٌ: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ لا يشبعُ مِن الصَّلاةِ[4].

وفي روايةٍ عن أنسٍ أنَّه ﷺ قال: «الجائعُ يشبعُ، والظَّمْآن يَرْوَى، وأنا لا أشبعُ مِن حبِّ الصَّلاةِ» خرَّجَه عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ في «الزهد»[5].

وعن أبي هريرةَ قالَ: كان داودُ عليهِ السَّلامُ كثيرَ الصَّلاةِ لا يَفتُرُ[6].

وكان ثابتٌ البُنانيُّ لا يقدِرُ أن يفتر[7] مِن الصَّلاةِ حبًّا لها، وكان يقومُ الليلَ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٤٦) من حديث رجل من خزاعة.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٢٠٥) (٢٣٠١).

(٣) مداره على يحيى بن عباد، عن محمد بن عثمان الأنصاري الواسطي، عن ثابت، عن أنس رضي الله عنه.
روي عن يحيى من أربعة أوجه: أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ١٨٠)، ومن طريقه البيهقي في «الشعب» (٢٩١٣)، وأخرجه البزار (٦٩٣٩)، وأخرجه ابن الأعرابي في «معجمه» (١٣٣٢)، وابن شاهين في «الترغيب في فضائل الأعمال» (٥٧)، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٤٣) عن الطبراني، والخطيبُ في «تاريخ بغداد» (٦/ ٥). «نحو الرجل»: هَدْيُه وسَمْتُه.

(٤) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (٧٧) مرسلًا.

(٥) ليس في المطبوع من «الزهد»، وأخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٤٨٨)، وهو في «الفردوس» (٢٦٢٢).

(٦) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (٧٦).

(٧) في (ف): «يقر» تصحيف.

أربعينَ سنةً، ويدعو في السَّحَرِ: اللهمَّ إن كنتَ أذِنْتَ لأحدٍ مِن خلقِكَ أن يُصلِّيَ في قبرِه فاجعَلْني مِنهم، فلمَّا ماتَ وسُوِّيَ اللبنُ على لَحدِه سقطَتْ مِنه لَبِنةٌ، فنظرُوا إليه قائماً يُصلِّي في قبرِه[1].

كان محمَّدُ بنُ النَّضرِ الحارثيُّ لا يَفترُ مِن الصَّلاةِ، فكان إذا خرجَ حاجًّا فنزلَ النَّاسُ قامَ يُصلِّي، ثمَّ إذا قَرُبَ ارتحالُهم تقدَّمَ علـى رأسِ ميلٍ يُصلِّي حتَّى يدركه الإبلُ، فإذا أدركَتْهُ تقدَّمَ عليها يُصلِّي حتَّى تلحقَه، فلا يزالُ كذلك حتَّى يُصلِّي العصرَ، ثمَّ يركبُ في وقتِ النَّهيِ عنِ الصَّلاةِ[2].

وكان كُرْزُ بنُ وَبَرةَ لا يَفتُرُ عنِ الصَّلاةِ، وكانَ إذا حَجَّ ونزَلَ النَّاسُ مَنزِلاً تَوارى عنِ النَّاسِ يُصلِّي في مَوضعٍ لا يرَوْنَه، فإذا سمِعَ حركةَ النَّاسِ للسَّيرِ جاءَ إلى رُفقتِه، فاحتبسَ عنهم يَوْماً عندَ الرَّحيلِ، فطلبَه بعضُ رُفقتِه فوجدَه قائماً يُصلِّي في يومٍ شديدِ الحرِّ وغمامَةٌ تُظِلُّه، فاجتهدَ بهِ حتَّى حلفَ له أنْ لا يُخبِرَ بمَا رأى منه أحداً حتَّى يموتَ[3].

كم أكتُمُ حبَّكُم عنِ الأغيَارِ ... والوجدُ يُذيعُ في الهَوى أسْرارِي

كم أستُرُكمْ هتَكْتُمُ أستارِي ... مَن يُخفِي في الهوَى لهيبَ النَّارِ[4]

قولُه: «أحسَنَ عبادةَ ربِّه».

إحسانُ العبادةِ إتقانُها وإكمالُها، والإتيانُ بها على أكملِ الوُجوهِ، والحاملُ

---

(١) أخرج ذلك أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣١٩).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢١٩).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٨٠).

(٤) ذكرهما المصنف رحمه الله في «لطائف المعارف» (ص: ٢٥٣).

على ذلك: أن يَعبُدَ العبدُ ربَّه كأنَّه يراهُ، كما فسَّرَ النَّبيُّ ﷺ الإحسانَ بذلك[1]، وكان يقولُ في دُعائِه: «أسألُكَ شُكرَ نعمتِكَ[2]، وحُسنَ عبادتِك»[3].

وعلَّمَ معاذَ بنَ جبَلٍ أن يقولَ: «اللهمَّ أعنِّي على ذِكرِكَ وشُكرِكَ وحُسنِ عبادتِك»[4].

**قولُه: «وأطاعه في السرِّ».**

طاعةُ العبدِ لربِّهِ في السِّرِّ دليلٌ على قوَّةِ إيمانِه وإخلاصِه لربِّه، وكان النَّبيُّ ﷺ يسألُ ربَّهُ خشيتَه في السِّرِّ والعَلانيَةِ[5].

وأفضلُ النَّوافلِ إسرارُها، ولذلك فُضِّلَت صلاةُ اللَّيلِ على نوافلِ الصَّلاةِ، وفُضِّلَت صدقةُ السِّرِّ على صدقةِ العَلانيَةِ. وفي الحديثِ: «الجاهرُ بالقرآنِ كالجاهرِ بالصَّدقةِ، والمُسِرُّ بالقُرآنِ كالمُسِرِّ بالصَّدَقةِ»[6].

قال بعضُ السَّلفُ: ما أعتدُّ بما ظهرَ مِن عمَلي[7].

---

(١) في حديث جبريل المشهور.

(٢) في (ت): «نعمك».

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١٧١١٤) (١٧١٣٣)، والترمذي (٣٤٠٧) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٢٢١١٩)، وأبو داود (١٥١٧)، والنسائي (١٣٠٣)، وفي «الكبرى» (٩٨٥٧).

(٥) أخرجه الإمام أحمد (١٨٣٢٥)، والنسائي (١٣٠٦) من حديث عمار بن ياسر.

(٦) أخرجه الإمام أحمد (١٧٣٦٨)، وأبو دواد (١٣٢٧)، والنسائي (٢٥٦١)، والترمذي (٢٩١٩) وقال: حسن غريب. وهو من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٧) أورده أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (٢/ ٢٦٤)، والغزالي في «الإحياء» (٤/ ٣٨٦) من كلام سفيان الثوري.

وحبُّ الإسرارِ بالطَّاعةِ مِن علاماتِ المُحبِّينَ لِمَولاهُم. قالَ مخلدُ بنُ الحُسَينِ: ما أحبَّ اللهَ عبدٌ فأحبَّ أن يَعرِفَ النَّاسُ مكانَه[1].

وقال أحمدُ بنُ أبي الحواريِّ: مَن عبَدَ اللهَ على المحبَّةِ لا يحبُّ أن يُرِيَ خِدمتَه سوَى مَحبوبِه[2].

واطُّلِعَ على بعضِ أسرارِ المحبِّينَ مع اللهِ، فعلِمَ بذلك فدَعا لنفسِه بالموتِ، وقالَ: إنَّما كانتِ المعاملةُ تطيبُ حيثُ كانت سِرًّا بيني وبينَه، فماتَ[3].

سُئِلَ بعضُهم عن شيءٍ مِن أسرارِه مع مولاهُ، فأنشدَ:

مَن سارَرُوهُ فأبدَى السِّرَّ مُجتهِدًا ... لم يأمَنُوه على الأسرارِ ما عاشَا
وجانبوهُ فلم يظفَرْ بوُدِّهمُ ... وأبدلوهُ مِن الإيناسِ إيحاشَا
لا يصطَفونَ مُذِيعاً بعضَ سرِّهِم ... حاشَا وِدادَهمُ مِن ذاكُمُ حاشَا[4]

المُحِبُّونَ يغارونَ على الأسرارِ مِن اطِّلاعِ الأغيارِ.

نسيمَ صبا نجْدٍ متَى جئتَ حامِلًا ... تحيَّتَهم فاطوِ الحديثَ عنِ الرَّكبِ
ولا تُذِعِ السِّرَّ المصونَ فإنَّني ... أغارُ على ذكرِ الأحبَّةِ مِن صَحْبي[5]

---

(١) أخرجه ابن العديم في «بغية الطلب في تاريخ حلب» (٣/ ٥١٨) من طريق ابن أبي الدنيا.

(٢) كتب أحدهم في حاشية (ت): «قف على إسرار الطاعة خير». والأثر أخرجه أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٩٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٢٢).

(٣) ورد في قصة طويلة أخرجها الدينوري في «المجالسة» (٢٩٩٢) عن ابن المبارك، ذكر هذا فيها عن عبد أسود كان بمكة رضي الله عنه، وذكر المصنف ما هُنا أيضاً في «لطائف المعارف» (ص: ٢٩٠).

(٤) السائل هو ذو النون رحمه الله تعالى لشاب متعبد. أخرجه الخطيب البغدادي في «الزهد» (٥٠).

(٥) ذكرهما المصنف رحمه الله في «لطائف المعارف» (ص: ٢٩٠).

قولُه: «وكان غامِضاً في النَّاسِ لا يشارُ إليه بالأصابعِ» يدلُّ على فضلِ العبدِ التَّقيِّ الخفِيِّ.

وفي حديثِ سعدٍ، عن النَّبيِّ ﷺ: «إنَّ اللهَ يحبُّ العبدَ الغنيَّ التَّقيَّ الخفِيَّ»[1].

وفي حديثِه أيضاً: «خيرُ الرِّزقِ ما يكفي، وخيرُ الذِّكرِ الخَفِيُّ»[2].

وفي حديثِ معاذٍ المرفوعِ: «إنَّ اللهَ يحِبُّ الأبرارَ الأتقِيَاءَ الأخفِيَاءَ، الذين إذا غابوا لم يُفتَقَدوا، وإن حضَروا لم يُدْعَوا ولم يُعرَفُوا، مصابيحُ الهُدَى يخرُجونَ مِن كلِّ غبراءَ مُظلِمَةٍ» خرَّجَه ابنُ ماجَه[3].

وخرَّجَ مِن حديثِه مرفوعاً أيضاً: «ألا أُخبِرُكم عن ملوكِ الجنَّةِ؟» قلتُ: بلى، قالَ: «رجلٌ ضعيفٌ مُستضعَفٌ ذو طِمرَيْنِ، لا يؤبَه له، لو أقسمَ على اللهِ لأبرَّه»[4].

وفي حديثٍ آخرَ: «ربَّ أشعَثَ أغبرَ ذي طِمْرينِ، مَدفوعٍ بالأبوابِ لو أقسمَ على اللهِ لَأبرَّهُ»[5].

قال ابنُ مَسعودٍ: كونوا ينابيعَ العلمِ، مصابيحَ الظَّلامِ، جُدُدَ القُلوبِ، خُلْقانَ الثِّيابِ، تُعْرَفُونَ في أهلِ السَّماءِ وتخفَوْنَ على أهلِ الأرضِ[6].

---

(١) أخرجه البزار (١١٨٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٤٧٧) (١٤٧٨) (١٥٥٩) (١٥٦٠) (١٦٢٣).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٩٨٩).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤١١٥).

(٥) أخرجه أبو عوانة (١٢٤٥١) من حديث أبي هريرة، وأصله في «صحيح مسلم» (٢٨٥٤) دون قوله «أغبر ذي طمرين».

(٦) أخرجه الدارمي (٢٦٢)، وغيره.

كان قاسمٌ الجوعيُّ يقولُ لأصحابِه: اغتنِموا مِن زمانِكم خمساً: إن حضَرْتُم لم تُعرَفوا، وإن غِبتُم لم تُفتقدوا[1]، وإن شَهِدتُم لم تُشاوَرُوا، وإن قُلتم شيئًا لم يُقبَل قَولُكم، وإن عَمِلتُم شيئًا لم تُعطَوا به، وأوصيكُم بخمسٍ أيضاً: إن ظُلِمْتم لم تَظلِمُوا، وإن مُدِحْتم لم تفرَحوا، وإن ذُمِمتم لم تَجزَعوا، وإن كُذِّبْتم فلا تغضَبوا، وإن خانوكُم فلا تخونوا[2].

طوبى لعبدٍ بحَبلِ اللهِ مُعتصِمٍ ... على صِراطٍ سَويٍّ ثابتٍ قدَمُهْ

رثِّ اللِّباسِ جَديدِ القَلبِ مُستَترٍ ... في الأرضِ مُشتَهرٌ فوقَ السَّماءِ سِمُهْ

ما زالَ يحتقِرُ الأولى بِهِمَّتِه ... حتى ترقَّتْ إلى الأُخرَى بهِ هِمَمُهْ

فذاكَ أعظَمُ مِن ذي التَّاجِ مُتَّكِئاً ... على النَّمارِقِ مُحتَفًّا بهِ خدَمُهْ[3]

ما زالَ الصَّادقونَ مِن العُلَماءِ والصَّالحينَ يكرهونَ الشُّهرةَ ويتَباعدونَ عَن أسبابِها، ويُحِبُّونَ الخُمولَ ويَجتهِدُونَ على حُصولِه.

وقال بعضُهم: ما اتَّقَى اللهَ مَن أحبَّ الشُّهرةَ[4].

وكان أيُّوبُ السَّختيانيُّ يقولُ: ما صدَقَ عبدٌ إلَّا أحبَّ أن لا يُشعَرَ بمكانِه[5].

---

(١) في (ف): «تفقدوا».

(٢) في حاشية (ت): «الأمر والنهي لعشر خصال». أخرجه ابن حمكان في «الفوائد والأخبار» (١٠)، ومن طريقه: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٩/ ١٢٠) وهي فائدة ابن أبي حاتم من دمشق، سمعه من الجوعي.

(٣) الأبيات في «مقامات الزمخشري» (ص: ٣٦).

(٤) من كلام بشر الحافي رحمه الله أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣٤٦).

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (٣٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٦).

ولمَّا اشتهَرَ بالبصرةِ كان إذا خرجَ إلى موضعٍ يتحرَّى المشيَ في الطُّرقاتِ الخاليةِ، ويجتنبُ سُلوكَ الأسواقِ والمواضعِ التي يُعرَفُ فيها[١].

وكان سُفيانُ الثَّوريُّ لَمَّا اشتهَرَ يقولُ: وَدِدتُ أنَّ يَدِي قُطِعت مِن إبطي وأنِّي لم أشتهِرْ ولم أُعرَف[٢].

ولمَّا اشتهرَ ذِكرُ الإمامِ أحمدَ، اشتدَّ غمُّهُ وحُزنُه، وكَثُرَ لُزومُه لِمَنزِلِه، وقلَّ خُروجُه في الجنائزِ وغيرِها خشيةَ اجتماعِ النَّاسِ عليه، وكان يقولُ: طوبى لِمَن أخملَ اللهُ ذِكرَه.

وكان يقولُ: لو قدرتُ على الخُروجِ مِن هذه المدينةِ ـ يعني بغدادَ ـ لَفعلتُ، حتَّى لا أُذكرَ عند هؤلاءِ ـ يعني الملوكَ ـ فكان إذا مَشى معَه أحدٌ مِن أقاربِه يعرفُه النَّاسُ أبعدَه عنه لئلَّا يُعرَفَ بِهِ، وكان لا يدَعُ أحداً يمشي معَه في طريقٍ ولا يتبعه، فإنْ تبعَه أحدٌ وقفَ حتَّى ينصرِفَ الذي معَه[٣].

وكان ابنُ مَسعودٍ يقولُ لِمَن تبِعَه: لو تعلمونَ ما أُغلِقُ عليه بابي لم يَتبعْني منكم أحدٌ[٤].

ورأى عمرُ قوماً يتبعونَ رجُلاً، فعَلَاهم بالدِّرَّةِ[٥].

---

(١) أخرج هذا المعنى أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٦).

(٢) الذي وقفت عليه، أنه قال: «وددت أن يدي قطعت ولم أكتب الحديث»، (صيد الخاطر، لابن الجوزي (ص: ٥٧)، ومثله أخبار عدة في «شرف أصحاب الحديث». ولم أجد ما أورده المصنف رحمه الله. وفي حاشية (ف): «ذم الشهرة».

(٣) هذه الأخبار أخرجها ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٣٧٥ـ ٣٧٧). وجاء في حاشية (ت): «المشي مع الرجل في الطرقات»، وفي حاشية (ف): «مدح الخمول».

(٤) أخرجه الدارمي (٥٤٩).

(٥) أخرجه البيهقي في «المدخل إلى علم السنن» (١٦٠٥).

وقالَ: إنَّ خفقَ النِّعالِ خلفَ الأحمَقِ قلَّ ما يُبقِي مِن دينِه[١].

مشى قومٌ مع مَعروفٍ إلى بيتِه، فلمَّا دخلَ قال لهم: مَشْيُنا هذا كان يَنبغي لنا أن نتَّقِيَه، أليسَ جاءَ في الخبرِ: إنَّه فِتنةٌ للمَتبوعِ مذلَّةٌ للتَّابعِ[٢]؟.

وكان بعضُ العُلماءِ في مجلسِه، فقامَ فاتبعَه جماعةٌ، فأعجبَه ذلك، فرأى تلك اللَّيلةَ في منامِه قائلاً يقولُ: سيَعلَمُ مَن يحبُّ أن يُمشَى خلفَه غداً.

ورُئِيَ سفيانُ في النَّومِ بعدَ موتِه، فقيلَ له: ما فعلَ اللهُ بك؟ قالَ: غفرَ لي، قيلَ لهُ: هل رأيتَ شيئاً تكرَهُه؟ قالَ: نَعَمْ، الإشارَةُ بالأصابعِ، يعني قولَ النَّاسِ: هذا سفيانُ[٣].

الإشارةُ إلى الرَّجُلِ بالأصابعِ فِتنةٌ، وإن كان في الخيرِ[٤].

وفي الحديثِ: «كفى بالمرءِ شرًّا أن يُشارَ إليه بالأصابعِ في دينِه أو دُنياه إلَّا مَن عصَمَه اللهُ»[٥].

كان بعضُ التَّابعينَ إذا جلسَ إليه أكثرُ مِن ثلاثةِ أنفُسٍ قامَ خوفَ الشُّهرةِ[٦].

---

(١) في حاشية (ت): «قف على فعل سيدنا عمر رضي الله عنه في نهيه عن المشي خلف الرجل». والأثر أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٢)، وليس فيه ذكر الدرة.

(٢) معروف هو الكرخي رحمه الله، والخبر في «حلية الأولياء» (٨/ ٣٦٥).

(٣) في (ت) تكررت: «هذا سفيان». والخبر في «الحلية» لأبي نعيم (٦/ ٣٨٥).

(٤) في حاشية (ت): «قف الإشارة بالأصابع فتنة على الرجل».

(٥) أخرجه بنحوه الطبراني في «الكبير» ١٨ (٥٦٧)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤/ ٧)، والبيهقي من حديث عمران بن حصين مرفوعاً. وأخرجه بمثل اللفظ هنا أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٣٢) من كلام إبراهيم والحسن.

(٦) هو أبو العالية رحمه الله تعالى. أخرجه ابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (٤٧).

وكان علقمةُ يُكثِرُ الجُلوسَ في بيتِه، فقيلَ له: أَلَا تخرجُ فتُحدِّثُ النَّاسَ؟ فقالَ: أكرَه أن يوطأَ عقِبي، ويقال: هذا علقمةُ، هذا علقمةُ[(١)].

كان كثيرٌ مِن الصَّادقينَ مِن السَّلَفِ يجتنبُ لباسَ الثِّيابِ التي يُظنُّ بأصحابِها الخيرُ، إبعاداً لهذا الظَّنِّ عن أنفسِهم[(٢)].

وكان ابنُ مُحَيْرِيزٍ يدعو فيقولُ: اللهمَّ إنِّي أسْأَلُك ذِكرًا خامِلًا[(٣)].

وقال مُطرِّفٌ: انظرُوا قوماً إذا ذُكِروا ذُكِرُوا بالقراءةِ، فلا تكونوا مِنهم، وانظُروا قَوْماً إذا ذُكِرُوا ذُكِرُوا بالفُجورِ، فلا تكونوا مِنهم وكونوا بينَ ذلك[(٤)].

وهذا هو الذِّكرُ الخفيُّ المشارُ إليه في حديثِ سعدٍ، وهو مِن أعظمِ نعمِ اللهِ على عبدِه المؤمنِ الذي رزَقَه نَصيباً مِن ذوقِ الإيمانِ، فهو يَعيشُ بهِ مع ربِّه عَيْشاً طَيِّباً، ويحجبُه عن خلقِه حتَّى لا يُفسِدُوا عليه حالَه مع ربِّه، فهذه هي الغنيمةُ الباردةُ، فمَن عرفَ قدرَها وشكَرَ عليها فقد تمَّتْ عليه النِّعمةُ.

وقد وردَ في بعضِ الآثارِ: أنَّ العبدَ يُسألُ عن شُكرِ هذه النِّعمةِ يومَ القيامةِ[(٥)].

---

(١) أخرجه أبو خيثمة في «العلم» (٢٤)، والدارمي (٥٣٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٠٠) وغيرهما.

(٢) فكان أيوب يطيل قميصه، وقال: إن الشهرة فيما مضى كانت في تذييل القميص وإنها اليوم في تشميره. انظر: «المجالسة» للدينوري (١٩١٩).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (١٨)، والدولابي في «الكنى» (١٧٩٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٤٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٣/ ١٨).

(٤) أخرجه الدينوري في «المجالسة» (٢١٦٦).

(٥) هل يقصد: «الذكر نعمة من الله فأدوا شكرها»؟ من نسخة نبيط بن شريط الموضوعة.

تواريْتُ مِن دَهـرِي بظِلِّ جَناحِه ... فعَيْنِي ترَى دَهْرِي وليسَ يراني

فلو تسأَلُ الأيامُ ما اسمِيَ ما درَتْ ... وأينَ مَكاني ما عرفنَ مَكاني[١]

كم بين حالِ هؤلاءِ الصَّادقينَ وبين مَن يَسْعى في ظهور نفسه[٢] بكلِّ طريقٍ باستجلابِ قُلوبِ المُلوكِ وغيرِهم، لكن إذا حقَّتِ الحَقائقُ تبيَّنَ الخالصُ مِن البَهْرَجِ:

إذا اشتبكَتْ دموعٌ في خُدودٍ ... تبيَّنَ مَن بكَى ممَّنْ تَباكَى[٣]

رائحةُ الإخلاصِ كرائحةِ البَخورِ الخالصِ، كلَّما قَوِيَ سترُه بالثِّيابِ فاحَ وعبقَ بها، ورائحةُ الرِّياءِ كدُخانِ الحطَبِ يعلو إلى الجوِّ ثمَّ يَضمحِلُّ، وتبقى رائحتُه الكَريهةُ[٤].

كلَّما بَلِيَت أجسامُ الصَّادقينَ في التُّرابِ فاحَتْ رائحةُ صِدقِهم فاستنشقَها الخلقُ.

كم اجتهدَ المُخلِصونَ في إخفاءِ أحوالِهم عنِ الخلقِ، وريحُ الصِّدقِ تنمُّ عليهم، كم يقولُ لسانُ الصَّادقِ: لا لا، وحالُه يُنادي: نعَم نعَم، ولسانُ الكاذبِ يقولُ: نعم نعم، وحالُه ينادي عليهِ: لا لا[٥].

كم اجتهدَ الإمامُ أحمدُ على أن لا يُذكَرَ، وأبى اللهُ إلَّا أن يشهرَه، ويقرنَ الإمامةَ

---

(١) البيتان لأبي نواس، ذكرهما المعافى بن زكريا في «الجليس الصالح الكافي» (ص: ٢٣٤).

(٢) في (ف): «ظهوره».

(٣) من قصيدة للمتنبي، وهي في «ديوانه بشرح العكبري» (٢/ ٣٨٥ ـ ٣٩٧).

(٤) في حاشية (ف): «مدح الإخلاص» ثم «ذم الرياء».

(٥) في حاشية (ف): «الطيف».

باسمِه على ألسنةِ الخلقِ، شاؤوا أم[1] أبَوْا، وكانَ في زَمانِه مَن يُعطِي الأموالَ لِمَن يُنادي باسمِه في الأسواقِ ليَشتهِرَ، فما ذُكِرَ بعدَ ذلك ولا عُرِفَ.

خمولُ المحبِّينَ لِمَولاهم شُهرةٌ، وذُلُّهم بين يديهِ عِزٌّ، وفقرُهم[2] إليه الغِنى الأكبرُ.

تذلُّلُ أربابِ الهوَى في الهوَى عِزٌّ ... وفَقرُهُمْ نحوَ الحبيبِ هوَ الكنزُ
وسَترُهم فيه السَّرائرَ شهرةٌ ... وغيرُ تَلافِ النَّفسِ فيهِ هوَ العَجزُ[3]

**قولُه: «وكان رِزقُه كَفافًا فصبرَ على ذلك».**

هذا خيرُ الرِّزقِ كما سبقَ في[4] حديثِ: «خيرُ الرِّزقِ ما يكفي».

وفي الصَّحيحِ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يقولُ: «اللهمَّ اجعَل رزقَ آلِ محمَّدٍ قُوتاً»[5].

وقد فسَّرَ طائفةٌ مِن المفسّرينَ قولَه تعالى: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١] بهذا، وقالوا: المرادُ رزقُ يومٍ بيومٍ[6].

في «صحيح مسلم» عن عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو، عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «قد أفلحَ مَن هُدِيَ إلى الإسلامِ، وكان عيشُه كَفافاً، وقنعهُ اللهُ به»[7].

---

(١) في (ف): «أو».

(٢) في (ف): «وفقر».

(٣) ذكرهما المصنف رحمه الله في «لطائف المعارف» (ص: ٣٠٢).

(٤) «في» سقطت من (ف).

(٥) أخرجه البخاري (٦٤٦٠)، ومسلم (١٠٥٥) واللفظ له من حديث أبي هريرة.

(٦) ذُكر هذا عن الإمام أحمد بن حنبل في كتاب «الورع» (٤٠٨).

(٧) أخرجه مسلم (١٠٥٤)، لكن لفظ مسلم: «قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً، وقنَّعه الله بما آتاه». واللفظ الذي أورده المصنف هو أشبه بحديث فضالة بن عبيد الآتي.

وخـرَّجَ التِّرمـذيُّ والنَّسـائيُّ مِـن حديثِ فضالـةَ بنِ عُبَيـدٍ، عنِ النَّبـيِّ ﷺ قال: «طوبـى لِمَن هُدِيَ للإسـلامِ، وكان عيشُـه كفَافـاً، وقنعَ»(١).

وفي «المسند» و«سننِ ابنِ ماجَه» عن أنسٍ مرفوعاً: «ما مِن غنيٍّ ولا فقيرٍ إلا ودَّ يومَ القيامةِ أنَّه أوتيَ قُوتاً»(٢).

وفي «الترمذيِّ» عن أبي أمامةَ مرفوعاً: «عرضَ عليَّ ربِّي أن يجعلَ لي بطحاءَ مكَّةَ ذهَباً، فقلتُ: لا يا ربِّ، ولكن أجوعُ يوماً وأشبعُ يوماً، فإذا جعتُ تضرَّعتُ إليكَ ودَعوتُكَ، وإذا شبِعْتُ حمدتُك وشكرتُكَ»(٣).

وفي «سننِ ابنِ ماجَه»: أنَّ النَّبيَّ ﷺ بعثَ إلى رجلٍ يَستمنِحُه ناقةً، فردَّهُ، ثمَّ بعثَ إلى آخرَ، فبعثَ إليه بناقةٍ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «اللهمَّ أكثِرْ مالَ فلانٍ ـ للمانعِ الأوَّلِ ـ واجعَلْ رزقَ فلانٍ يوماً بيومٍ ـ للذي بعث بالنَّاقةِ ـ »(٤).

وخرَّجَ ابنُ أبي الدُّنيا مِن حديثِ أبي هريرةَ مرفوعاً: «اللهمَّ مَن أحبَّني فارزُقْه العفافَ والكفافَ، ومَن أبغضَني فأكثِرْ مالَه وولدَه»(٥).

وفي التِّرمذيِّ وابنِ ماجَه عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «مَن أصبحَ مِنكم آمِناً في سربِه، مُعافًى في بدنِه، عنده قوتُ يومِه فكأنَّما حِيزَت له الدُّنيا»(٦).

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٤٩)، وقال: صحيح، والنسائي في «الكبرى» (١١٧٩٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٢١٦٣) (١٢٧١٠)، وابن ماجه (٤١٤٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٤٧)، وقال حسن.

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤١٣٤) من حديث نُقادة رضي الله عنه. وفي حاشية (ف): «عجيب».

(٥) أخرجه الدينوري في «المجالسة» (٢٩٨٠)، والبيهقي في «الشعب» (١٤٠٠)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤/ ١١٥).

(٦) أخرجه الترمذي (٢٣٤٦)، وابن ماجه (٤١٤١) من حديث عبيد الله بن محصن الخطمي رضي الله عنه. قال الترمذي: حسن غريب. في (ف) بين الأسطر عند: «حيزت»: «جُمِعت».

وخرَّجَه الطَّبَرانيُّ وزادَ في أوَّلِه: «ابنَ آدمَ! عندكَ ما يكفيكَ، وأنتَ تطلبُ ما يُطغيكَ، لا بقليلٍ تقنَعُ، ولا مِن كثيرٍ تشبعُ» وزادَ في آخرِه: «فعَلى الدُّنيا العَفا»[١].

وقال عمرُ: كونوا أوعيةَ الكتابِ[٢]، ينابيعَ للعلمِ، وسَلُوا اللهَ رزقَ يومٍ بيَومٍ، وعُدُّوا أنفسَكُم في الموتى، ولا يضرُّكُم أن لا يكثرَ لكم[٣].

والكفافُ مِن الرِّزقِ: هو ما ليس فيه فضلٌ، بل يَكتفي به صاحبُه مِن غيرِ فضلٍ.

وجاءَ مِن حديثِ ابنِ عبَّاسٍ مَرفوعاً: «إنَّما يكفي أحدكَم ما قنعَتْ به نفسُه» خرَّجَه ابنُ أبي الدُّنيا[٤].

والمرادُ: أنَّ مَن اكتفَى مَن الدُّنيا باليَسيرِ، وقنعَتْ به نفسُه، فقد كفَاه ذلك واستَغْنى بهِ وإن كان يَسيراً.

قال أبو حازمٍ: إن كان يُغنيكَ ما يَكفيكَ فإنَّ أَدْنى ما في الدُّنيا يكفيكَ، وإن كانَ لا يغنيكَ ما يكفيكَ فليسَ في الدُّنيا شيءٌ يَكفيكَ[٥].

قال بكرٌ المُزَنيُّ: يكفيكَ مِن الدُّنيا ما قنعْتَ به، ولو كفَّ تمرٍ وشربةَ ماءٍ[٦].

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٨٧٥) من حديث عمر رضي الله عنه. في (ف): «العفا»: «التراب».

(٢) في (ت): «للكتاب».

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (٦٣٢)، وفي «العلل» (٤٧١٩)، وابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (١٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٥١) من كلام عمر رضي الله عنه. وفي «الحلية» (٧/ ٢٧٤) من كلام عيسى عليه الصلاة والسلام. وفي حاشية (ف): «لطيف».

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (١١٨).

(٥) أخرجه ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (٢/ ٣٨٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٣٢).

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الجوع» (٢٣٧).

وقال الإمامُ أحمدُ: قليلُ الدُّنيا يكفي، وكثيرُها[١] ما يكفي[٢]. يعني أنَّ مَن اكتفى مِن الدُّنيا كفاهُ مِنها القليلُ، ومَن لم يكتفِ لم يكفِه الكثيرُ، كما قالَ بعضُهم:

حقيقٌ بالتَّواضُعِ مَن يموتُ ... ويكفي المرءَ مِن دُنياهُ قوتُ[٣]

وقال آخرُ:

يكفي الفَتى خَلَقٌ وقُوتُ ... ما أكثرَ القُوتَ لِمَن يَمُوتُ[٤]

وقد مُدِحَ في هذا الحديثِ مَن صبرَ على كفافِ عيشِه وقنعَ به، فأمَّا الرَّاضي بذلك فهو أعْلَى مَنزلةً مِن الصَّابرِ القانعِ، وقد قيلَ: إنَّ الفقيرَ الرَّاضيَ أفضلُ مِن الفقيرِ الصَّابرِ والغنيِّ الشَّاكرِ بالاتِّفاقِ.

وفي الحديثِ أنَّه عليه السَّلامُ كان يقولُ في دُعائِه: «رضِّني بما قسمتَ لي»[٥].

وفي حديثٍ آخرَ: «إذا أرادَ بعبدِه خيراً رضَّاهُ بما قسمَ له، وباركَ له فيهِ»[٦].

---

(١) في (ف): «وكثير».

(٢) في «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (١/ ٢٣): «قليل الدنيا يجزي وكثيرها لا يجزي».

(٣) أنشده ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٢/ ٥٢٨) لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٤) نسب إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي، أنشده البيهقي في «الزهد الكبير» (١٠٨)، وأوله عنده: «حَسبك من دهرك هذا القوت».

(٥) أخرج البزار (٥٣٨٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما نحوَه، ولفظه: «... ورضاً من المعيشة بما قسمت لي». أما اللفظ الذي أورده المصنف، فأخرجه البيهقي في «الدعوات الكبير» (٢٦٢) من حديث بريدة بن الحصيب عن النبي ﷺ حاكياً عن آدم عليه السلام دعاءه عند البيت العتيق. ومنه هذا الدعاء.

(٦) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (زيادات رواية نعيم) (ص: ٣٢)، وابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (٥٥) عن أبي العلاء بن الشخير مرفوعاً.

إذا رضيتَ بمَيْسورٍ مِن القُوتِ أصبحتَ في النَّاسِ حُرًّا غيرَ ممْقوتِ
يا قوتَ نفسِي إذا ما تمَّ عفوُكَ لي[1] فلستُ آسَى على دُرٍّ وياقوتِ[2]

**قولُه: «عجلتْ منيَّتُه، قلَّتْ بواكيهِ، قلَّ تُراثُه».**

يعني أنه يعجَّلُ له الموتُ على هذه الصِّفةِ، وهي أن يكونَ مَن يبكي عليهِ قليلاً، وذلك لقلَّةِ عيالِه كما سبقَ، وأن يكونَ تراثُه قليلاً، ويعني بتُراثِه: ميراثَه[3] الذي يخلفُه مِن الدُّنيا، وبذلك فسَّرَه الإمامُ أحمدُ وغيرُه[4].

وهذا الكلامُ يحتمِلُ أن يكونَ إخباراً عن حالِ هذا المؤمنِ، ويحتملُ أن يكون دُعاءً له مِن النَّبيِّ ﷺ، فاقتضى هذا الكلامُ أنَّ المؤمنَ إذا كان على حالةٍ حسَنةٍ مِن حُسنِ عبادةٍ وخمولٍ وقناعةٍ باليسيرِ فإنَّه يُغبَطُ بتَعجيلِ[5] موتِه على هذه الحالةِ، خشيةَ أن يُفتنَ في دينِه، ويتغيَّرَ عمَّا هو عليه، ولهذا المعنى شُرِعَ تمنِّي الموتِ وطلبُه خشيةَ الفِتنةِ في الدِّينِ.

وفي «المسند» مرفوعاً: «لا يتَمنَّيَنَّ الموتَ إلَّا مَن وثقَ بعملِه»[6]، فمَن كان على حالةٍ حسَنةٍ في دينِه فإنه يُغبَطُ بموتِه قبلَ تغيُّرِ حالِه.

---

(١) في حاشية (ف) و(ت): «لطفك بي» نسخة.

(٢) البيتان لأبي الفتح البستي، نسبهما له سبط ابن الجوزي في «مرآة الزمان» (١٧/ ٤٥٦) وفيهما بعض اختلاف عما هنا.

(٣) «ميراثه» سقطت من (ف).

(٤) مسند الإمام أحمد، عقب الحديث (٢٢١٩٧).

(٥) في (ت): «بتعجل».

(٦) وقع في النسختين: «وثق به بعمله»! وهو غلط، والحديث أخرجه الإمام أحمد (٨٦٠٧) بأطول مما هنا.

كان أبو الدَّرداءِ إذا ماتَ الرَّجلُ على الحالةِ الصَّالحةِ قال: هنيئاً لكَ، يا ليتَني كنتُ[١] مكانَكَ، فقالت له أمُّ الدَّرداءِ في ذلك، فقال: هل تعلمينَ يا حمقاءُ أنَّ الرَّجُلَ يُصبِحُ مؤمِناً ويُمسي مُنافِقاً، يُسلَبُ إيمانَه وهو لا يشعرُ؟! فأنا لهذا الميِّتِ أغبَطُ منِّي لهذا بالبقاءِ في الصَّلاةِ والصَّومِ[٢].

وقيل: ما تحبُّ لِمَن تحبُّ؟ قال: الموتَ، قيل له: فإن لم يَمُت؟ قال: قلَّةَ المالِ والولَدِ[٣].

وكان ابنُ مَسعودٍ يتمنَّى الموتَ، فقيلَ له؟ فقالَ: لو أنِّي أعلمُ أنِّي أبقى على ما أنا عليهِ لتمنَّيْتُ البقاءَ عِشرينَ سنَةً[٤].

ورأى أبو هريرةَ شباباً يتعبَّدونَ فقالَ: ليت الموتَ ذهبَ بهؤلاءِ[٥].

وكان داودُ الطَّائيُّ يبكي ويقولُ: أخافُ أن يَطولَ عمُرِي[٦].

وسببُ هذا: أنَّ مَن أطاعَ اللهَ أحبَّ لقاءَه، كما قالَ الصِّدِّيقُ في وصيَّتِه لعُمرَ: إن أنتَ حفِظْتَ وصيَّتِي لم يكن غائبٌ أحبَّ إليك مِن الموتِ، ولا بدَّ لك مِنه[٧].

---

(١) «كنت» سقطت من (ف).

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٣٩٦)، والفريابي في «صفة المنافقين» (١٠٧) (١٠٨).

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٩٧٧)، وسائر أصحاب كتب الزهد.

(٤) أخرجه بنحوه: ابن الجعد في «مسنده» (٨٩).

(٥) يعني قبل أن يفتتنوا بالدنيا. نسبه الغزي في «حسن التنبه لما ورد في التشبه» (١٠/ ٢٧٤) لعبد الله بن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» ولم أجده في المطبوع منه.

(٦) وهو بمعنى ما رواه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٣٣٦) أن داود كان يقول: «سبقني العابدون، وقطع بي، والهفاه».

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٨٢١١).

وإلى هذا الإشارةُ بقولِه تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٩٤]، وقولِه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الجمعة: ٦].

«ومَن أرادَ اللهُ بِهِ خيْراً عسَلَه، فاستعملَه بعملٍ صالحٍ قبلَ موتِه، فيقبضُه عليهِ»[1]، «إنَّما الأعمالُ بالخَواتيمِ»[2].

**وقولُه: «قلَّتْ بَواكيهِ».**

لَمَّا كان هذا المؤمنُ خفيفَ الحاذِ قليلَ العيالِ لم يكُن له عند الموتِ كبيرُ أحَدٍ يبكي عليه، بخلافِ مَن له أهلٌ وولَدٌ وخدَمٌ وحشَمٌ وعشيرةٌ، فإنَّه تكثُرُ بواكيهِ مع قلَّةِ غِناهم عنه، بل يزيدُ بكاؤُهم في عذابِه كما في الصَّحيحِ، عنِ النَّبيِّ ﷺ: «إنَّ الميِّتَ ليُعذَّبُ ببُكاءِ أهلِه عليه»[3]، فإنَّهم كثيراً ما يفعلونَ ما لا يجوزُ مِن النِّياحةِ واللَّطمِ وتَخريقِ الثِّيابِ وإتلافِ الأموالِ والتَّسخُّطِ لقضاءِ اللهِ، وذلك كلُّه يُعذَّبُ بِهِ الميِّتُ ويتألَّمُ به، ولهذا أوصى[4] كثيرٌ مِن السَّلَفِ أهلَهم أن لا يبكونَ عليهم»[5].

لَمَّا احتُضِرَ هشامُ بنُ عبدِ الملكِ أحدُ خلفاءِ بني أميَّةَ بكى أهلُه، فقالَ لهم: جادَ عليكم هشامٌ بالدُّنيا وجُدْتُم عليه بالبكاءِ؟! تركَ لكم ما جمعَ وتركتُم عليه ما حمَلَ؟! ما أعظمَ مُنقلَبَ هشامٍ إن لم يُغفَرْ له[6].

---

(١) هو حديث أبي عنبة الخولاني، أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١٧٧٨٤)، وغيره.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٠٧) من حديث سهل رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (١٢٨٦)، ومسلم (٩٢٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) في (ت): «وصى».

(٥) كذا في النسخ، والوجه: «أن لا يبكوا عليهم».

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (٩٤).

وقالَ الحسَنُ: شرُّ النَّاسِ لِمَيِّتٍ: أهلُه يبكونَ عليه ولا يقضونَ دَيْنَه[١]. فهم يفعلونَ معَه ما يضرُّه ولا يفعلونَ ما ينفعُه في قبرِه، وأكثرُ مَن يبكي على الميِّتِ عند موتِه: إنَّما يبكي لفقدِ حظِّه منه، إمَّا مِن نفعِه الحاصلِ له بهِ مِن مالٍ أو غيرِه، أو لفقدِه الأُنْسَ به ونحوِ ذلك مِن حُظوظِ الباكينَ، ولا يبكونَ رحمةً لِمَا هو فيهِ، وبكاءُ الرَّحمةِ هو بكاءُ العارفينَ دونَ بُكاءِ الحُزنِ، كما قالَ النَّبيُّ ﷺ لَمَّا بكَى: «إنَّما هذه رحمةٌ، وإنَّما يرحمُ اللهُ مِن عبادِه الرُّحماءَ»[٢].

احتُضِرَ بعضُ الصَّالحينَ، فبكى أبواهُ وولدُه وأهلُه وصِبيانُه، فسألَهم: ما الذي أبكاهم؟ قال أبواه: نبكي لفراقِكَ وما نتعجَّلُ مِن الوحشةِ بعدكَ، وقال ولدُه: نبكي لفراقِكَ[٣] وما نتعجَّلُ مِن اليُتمِ بعدَك، فقالَ: كلُّكُم يبكي لدُنيايَ، أمَا فيكم مَن يبكي لآخرَتي؟ أمَا فيكم مَن يَبكي لِمَا يَلقى في التُّرابِ وَجهي؟ أمَا فيكم مَن يَبكي لِمُسائلةِ مُنكَرٍ ونكيرٍ؟ أمَا فيكم مَن يبكي لوُقوفي بين يدَيْ ربِّي؟ ثمَّ صرخَ صرخَةً فماتَ رحمَه اللهُ[٤]. فمَن قلَّتْ بواكيهِ كان ذلك أقربَ إلى رحمتِه.

وقد روَى صالحٌ المُرِّيُّ عن الحسنِ قال: إنَّ اللهَ إذا توفَّى المؤمنَ ببلادِ غُربةٍ لم يعذبْه رحمةً لغُربتِه، وأمرَ الملائكةَ فبَكَتْه لغيبةِ بواكيهِ عنه[٥].

---

(١) في حاشية (ت): «قف على: أشر الناس من يبكي على ميته ولا يقضي عليه دينه». والأثر أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢٢٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٨٤)، ومسلم (٩٢٣) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

(٣) في (ت): «على فراقك».

(٤) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٢٣٦) عن عابد بالبصرة.

(٥) عزاه السيوطي في «شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور» (١٥) إلى ابن أبي الدنيا، ولم أقف عليه في كتبه.

وفي الحديثِ: إنَّ مَن ماتَ في غيرِ مولدِه قيسَ له إلى مُنتهى أثرِه في الجنَّةِ[1].

وقد تبكي السَّماءُ والأرضُ على المؤمنِ لفقدِ عملِه الصَّالحِ، وقد قالَ طائفةٌ مِن السَّلفِ في قولِه: عزَّ وجلَّ ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَآءُ وَالْأَرْضُ﴾ [الدخان: ٢٩] قالوا: إنَّ السَّماءَ والأرضَ تبكي على المؤمنِ[2]، فقالَ عليٌّ: يبكي على المؤمنِ مُصلَّاهُ الذي كان يُصلِّي فيه مِن الأرضِ، وبابُه الذي كان يصعدُ فيه قولُه وعمَلُه، ولم يكن ذلك لآلِ فِرعونَ، فلذلك لم تبكِ عليهم السَّماءُ والأرضُ[3].

وقيل إنَّ في التَّوراةِ: أنَّ الأرضَ تبكي على المؤمنِ أربعينَ صَباحاً[4]، فكلَّما قلَّتْ بواكي الميِّتِ المؤمنِ مِن بني آدمَ كان أقربَ إلى بُكاءِ غيرِهم عليه.

وقد سُمِعَ نياحةُ الجنِّ وبكاؤهُم على جماعةٍ مِن سلَفِ الأمَّةِ، منهم عمرُ بنُ الخطَّابِ[5]، والحُسَينُ بن عليٍّ[6]، وعمرُ بن عبدِ العزيزِ[7] رضيَ اللهُ عنهم.

كان للمأمونِ ولدٌ يُسمَّى عليًّا، وكان شديدَ التَّرفِ، فألقى اللهُ في قلبِه الزُّهدَ في

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٦٦٥٦)، والنسائي (١٨٣٢)، وابن ماجه (١٦١٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. وما هنا ليس باللفظ، ولفظ أحمد: «إن الرجل إذا توفي في غير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثره في الجنة».

(٢) انظر الآثار في ذلك في «الدر المنثور» للسيوطي، في تفسير الآية من سورة الدخان.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم كما عزاه إليه ابن كثير في تفسير الآية، وابن المبارك في «الزهد» (٣٣٦)، وأبو داود في «الزهد» (١٠٧)، وابن الجعد في «مسنده» (٢٣٠٥).

(٤) وروي ذلك عن مجاهد عن ابن عباس، أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣٣٨) وغيره.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (١٦١).

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (١١٥).

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (٣٢).

الدُّنيا، فهرَبَ مِن أبيهِ، وخرجَ إلى البصرةِ، وتنكَّرَ ولبِسَ الخشِنَ، وكان يصومُ النَّهارَ ويقومُ اللَّيلَ، ويحمِلُ على رأسِه للنَّاسِ بالأجرةِ ما يتقوَّتُ بهِ، ويبيتُ في المساجِدِ يتخلَّلُها حتَّى لا يفطنَ بهِ، فمَرِضَ في بعضِ المساجِدِ، فلمَّا اشتدَّ مرضُه دخلَ خاناً بالبصرةِ، فاكترى فيه بيتاً وألقى نفسَه على باريَّةٍ، فلمَّا آيسَ مِن نفسِه دعا صاحبَ الخانِ، فناولَه خاتَمه ورقعةً مختومةً، فقالَ له: إذا مُتُّ فاخرُجْ إلى صاحبِكُم - يعني الأميرَ بالبصرةِ[١] - فأرِهِ خاتَمي وعرِّفْه مَوضِعي وناوِلْه هذه الرُّقعةَ، فلمَّا ماتَ خرجَ الرَّجلُ إلى بابِ الأميرِ فنادى[٢] النَّصيحةَ، فأدخلَه فأراهَ الخاتَمَ، فلمَّا نظرَ إليهِ عرَفَه فقالَ: ويلَكَ أين صاحبُ هذا الخاتَمِ؟ قالَ: في الخانِ ميِّتٌ، وناولَه الرُّقعةَ مختومةً مكتوبٌ عليها: لا يفكُّها إلا المأمونُ أميرُ المؤمنينَ، فأرسلَهُ الأميرُ ميْتًا في دِجلةَ إلى المأمونِ، وكتبَ إليه يُعرِّفُه قصَّتَه وأنَّه وجدَه في غرفةٍ على باريَّةٍ في بعضِ الخاناتِ، ما تحتَه مِهادٌ ولا عنده باكِيةٌ، مُسجًّى مغمضَ العينينِ مُستنيرَ الوَجهِ طيِّبَ الرَّائحةِ، وبعثَ معَه الخاتَمَ والرُّقعةَ، ففكَّها المأمونُ فإذا فيها: يا أميرَ المؤمنينَ، اقرأْ سورةَ الفجرِ إلى قولِه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ٣٤] فاعتبِرْ بها، واعلَمْ أنَّ اللهَ مع الذينَ اتَّقَوْا والذين هم مُحسِنونَ[٣].

---

(١) في (ت): «أمير البصرة».

(٢) تصحفت في (ف) إلى: «فأدى».

(٣) أخرجها بطولها: ابن قدامة المقدسي في «التوابين» (ص: ١٧٤ - ١٨٢). البارية: الحصير.

وفي حاشية (ت): «قف على حكاية ولد المأمون وما وصى والده به». وفي حاشية (ف): «ومثل هذه الحكاية وقع لولد الرشيد كما في «سير السالك» يقال له: أحمد السبتي». اهـ.

قلت: قيل له السبتي لأنه كان يكتسب يوم السبت ما ينفق منه بقية الأسبوع كما في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/ ١٦٨).

قولُه: «قلَّ تُراثُه»:

فسَّرَه الإمامُ أحمدُ وغيرُه بقلَّةِ[١] ميراثِه بعدَ موتِه[٢]، يعني أنَّ ما يخلِّفُ مِن الدُّنيا بعدَه يكونُ قليلاً نَزْراً يسيراً، هذه سنَّةُ الأنبياءِ عليهم السَّلامُ، كما في حديثِ أبي الدَّرداءِ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «إنَّ الأنبياءَ لم يُورِّثُوا دِيناراً ولا دِرهماً وإنَّما ورَّثُوا العلمَ، فمَنْ أخذَهُ أخذَ بحَظٍّ وافرٍ»[٣].

والنَّبيُّ ﷺ لم يُخلِّفْ إلا آلاتِ الجِهادِ.

ففي الصَّحيحِ عنه أنَّه لم يُخلِّفْ إلَّا سِلاحَه وبغلتَه وأرْضاً جعَلَها صدَقةً[٤].

ولمَّا احتُضِرَ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ قالَ لعائشةَ رضيَ اللهُ عنها: يا بُنيَّةُ! إنَّا وَلِينا أمرَ المسلمينَ فلَمْ نأخُذْ لهم دِيناراً ولا دِرهماً، ولكنَّا أكَلْنا مِن جَريشِ طعامِهم في بُطونِنا، ولبِسْنا مِن خشِنِ ثِيابِهم على ظُهورِنا، وإنَّه لم يبقَ عندنا مِن مالِ المسلمينَ قليلٌ ولا كثيرٌ إلَّا هذا العبدَ الحبشيَّ وهذا البعيرَ النَّاضحَ، وجَرْدَ هذه القطيفةِ، فإذا متُّ فابعثي بهنَّ إلى عمرَ. فلمَّا جاءَ الرَّسولُ إلى عمرَ بذلك بكى عمرُ وقالَ: رحمَ اللهَ أبا بكرٍ، لقد أتعبَ مَن بعدَه[٥].

ولمَّا احتُضِرَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ قالَ: لا تتَّهِموا الخازنَ فإنِّي لا أدعُ إلَّا إحدى

---

(١) «بقلة»: سقط من (ف).

(٢) كما في «المسند» عقب الحديث (٢٢١٩٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٦٣٦)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣).

(٤) أخرجه البخاري في مواضع منها (٢٧٣٩) (٢٨٧٣) من حديث عمرو بن الحارث رضي الله عنه.

(٥) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ١٧٩). جَرد القطيفة: الثوب الذي لان قماشه، وذهبت نضارته.

وعشرينَ ديناراً[1]، وصَّى منها بوفاءِ دُيونٍ، فلم يبقِ لورَثتِه سِوى أربعةَ عشرَ ديناراً[2]، هذا وجميعُ مملكةِ الإسلامِ تحت يدَيْهِ.

ودخَلوا عليه في مَرَضِ موتِه وعليه قميصٌ قدِ اتَّسخَ جيبُه وتخرَّقَ فقالَ مسلَمةُ ابنُ عبدِ الملكِ لأختِه وهي زوجةُ عمرَ: ناوِليني قميصاً سِوى هذا حتى يَلبسَه أميرُ المؤمنينَ؛ فإنَّ النَّاسَ يَدخلونَ عليه، فقال عمرُ: دعْها يا مَسلمةُ، فما أمسى ولا أصبحَ لأميرِ المؤمنينَ ثوبٌ سِوى الذي ترَى عليه[3].

وكان يحيى بنُ أبي كثيرٍ مِن العُلَماءِ الرَّبَّانيِّينَ، وكانَ حسَنَ اللِّباسِ حسنَ الهيئةِ، فماتَ ولم يُخلِّفْ سوى ثلاثينَ دِرهماً كفَّنوهُ بها[4].

وكان الأوزاعيُّ قد وصلَ إليه في حَياتِه مِن مُلوكِ بني أميَّةَ وبني العبَّاسِ أكثرُ مِن سبعينَ ألفَ دينارٍ، فأنفقَها كلَّها في سبيلِ اللهِ وفي الفقراءِ، فماتَ ولم يُخلِّفْ سوى سبعةِ دنانيرَ[5].

وماتَ الإمامُ أحمدُ ولم يُخلِّفْ سِوى قِطَعاً في خرقةٍ له[6] كان وزنُها دونَ نصفِ درهمٍ[7]، وتركَ دَيْناً عليه وُفِّيَ مِن أجرةِ عقَارٍ خلَّفَه[8].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٥٨).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٣٣٤).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٥٨).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٦٧).

(٥) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٥/ ١٩٨).

(٦) «له» سقطت من (ف).

(٧) وهي ست قطع أو سبع. أخرجه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٥٦٤).

(٨) انظر: «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي (ص: ٣٠٦). و(ص: ٥٠٠).

وكان محمَّدُ بنُ أسلمَ الطُّوسيُّ مِن العلماءِ الرَّبَّانيِّينَ، فماتَ ولم يُخلِّفْ سوَى كِسائِه وإناءٍ لوُضوئِه فتصدَّقوا بِه[١].

ووصَّى معروفٌ أن يُتصدَّقَ عندَ موتِه بقميصِه الذي عليهِ، وقالَ: أُحِبُّ أن أخرُجَ مِن الدُّنيا عُرياناً[٢] كما دخلتُ إليها عُرياناً[٣].

وقالَ سُفيانُ: يُعجِبُني أن يموتَ الرَّجلُ ولا يُخلِّفَ كفَناً[٤].

ماتَ بعضُ الفقراءِ ولم يُخلِّفْ كفَناً، فقالت له زوجتُه: تُفتضَحُ إذا لم تُخلِّفْ كفَناً، فقالَ: لو خلَّفْتُ كفَناً لافتُضِحْتُ[٥].

قال يحيى بنُ مُعاذٍ: لا تكُن ممَّنْ يفضَحُه في الدُّنيا مِيراثُه وفي الآخرةِ ميزانُه[٦].

لابنِ آدمَ في مالِه عند مماتِه مُصيبتانِ عَظيمتانِ: يُسلَبُه كلَّه، ويُسأَلُ عنه كلِّه[٧].
فهو حينئذٍ يجمعُ لِمَن لا يَحمدُه، ويَقدَمُ على مَن لا يَعذرُه[٨].

يا نفسُ توبي فإنَّ الموتَ قد حانا ... واعصِي الهوَى فالهوَى ما زالَ فتَّانا
أمَا ترَيْنَ المنايا كيفَ تلقطُنا ... لقْطاً وتُلحِقُ أُخرانا بأُولانا

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٤١).

(٢) «عرياناً» سقطت من (ف).

(٣) أخرج ذلك عن معروف الكرخي رحمه الله: أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣٦٢).

(٤) لم أجده إلا عند الزمخشري في «ربيع الأبرار» (٥/ ٩١) مهملًا دون إسناد.

(٥) هو عبد الرزاق الغزنوي الصوفي، المتوفى سنة (٤٩٣) رحمه الله تعالى. ذكر ذلك ابن كثير في «البداية والنهاية» في وفيات تلك السنة.

(٦) أخرجه البيهقي في «الزهد الكبير» (٦٠٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٦٣).

(٧) من كلام يحيى بن معاذ الرازي. أخرجه الخطيب في «الزهد والرقائق» (١١).

(٨) مقتبس من كلام بكر بن عبد الله، وهو في «حلية الأولياء» (٨/ ٩٨).

فـي كلِّ يـومٍ لنـا مَيْـتٌ نُشيِّعُه ... نـرى بمَصرعِـه آثـارَ مَوْتانـا

يـا نفـسُ مالـي وللأَمـوالِ أترُكُهـا ... خَلْفـي وأخـرُجُ مِـن دُنيـايَ عُريانـا

أبعـدَ خمسـينَ قـد قضَّيْتِهـا لعِبـاً ... قـد آنَ أنْ تُقصِـري قـد آنَ قـدْ آنـا

مـا بالنـا نتعامَـى عـن مَصائرِنـا ... ننْسـى بغفلتِنـا مَـن ليـسَ يَنسـانا

نـزدادُ حِرصًـا وهـذا الدَّهـرُ يَزجرُنـا ... كأنَّ زاجرَنـا بالحـرصِ أغرانـا

أيـنَ الملـوكُ وأبنـاءُ الملـوكِ ومَـن ... كانـتْ تخِـرُّ لـه الأذقـانُ إذعانـا

صاحَتْ بـهم حادثاتُ الدَّهرِ فانقلَبوا ... مُـسـتـبـدلـينَ مِـن الأوطانِ أوطانا

خلَّـوا مَدائـنَ كان العـزُّ مفرشَـها ... واستفرَشـوا حُفَـراً غُبـرًا وقِيعانـا

يـا راكِضـاً فـي ميادين الهوَى مَرِحـاً ... ورافِـلاً فـي ثيـابِ الغـيِّ نَشـوانًا

مضـى الزَّمـانُ وولَّـى العمرُ فـي لعِبٍ ... يكفيكَ مـا قد مَضى قـد كانَ ما كانا[1]

تم[2].

آخرُه، والحمدُ للهِ وحدَه، وصلَّى الله على سيِّدِنا محمَّدٍ وآلِه وصَحبِه وسلَّمَ تَسليماً كثيراً[3]

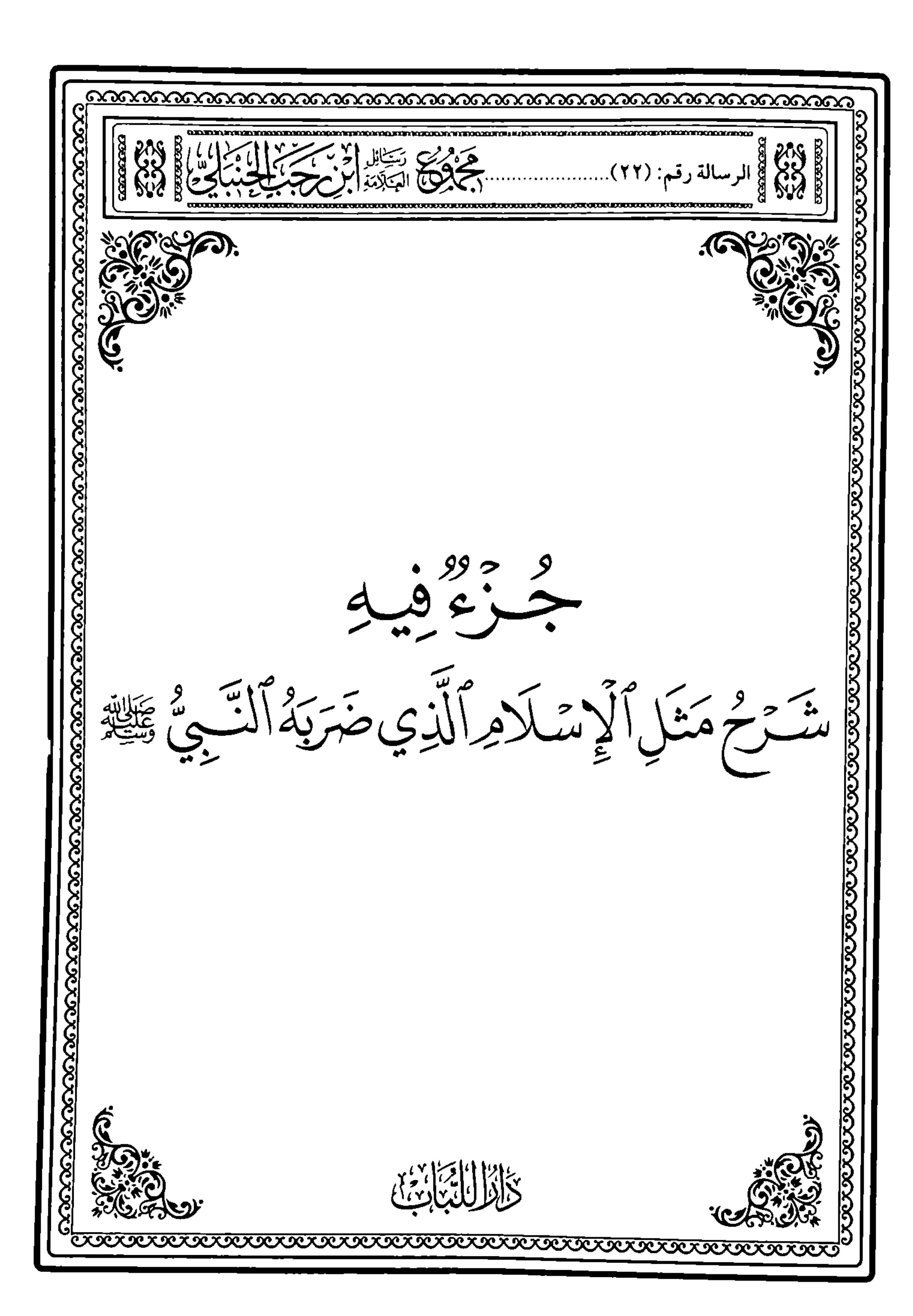
* * *

---

(١) الأبيات في «المدهش» لابن الجوزي (ص: ٣٧٥).

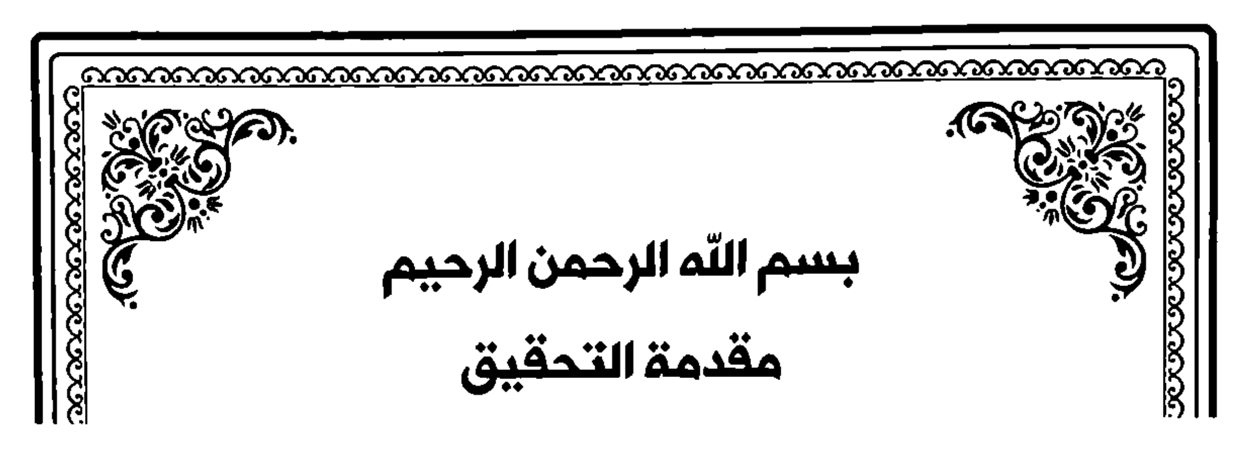
(٢) «تم» من (ف).

(٣) في (ت): «أبداً». وفي حاشيتها: «بلغ مقابلة بحمد الله تعالى وعونه».


الرسالة رقم: (٢٢)
مجموع رسائل العلامة ابن رجب الحنبلي
جزء فيه
شرح مثل الإسلام الذي ضربه النبي ﷺ
دار الفلاح

دار الكتب الوطنية بتونس (ت)

مكتبة الفاتح في اسطنبول (ف)




الحمد لله الذي هدانا إلى دين الإسلام وأوضح لنا معالم الحلال والحرام، وجعلنا من أتباع خاتم الرسل الكرام، سيدنا محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي عليه أفضل الصلاة والسلام، وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن اهتدى بهديه واستقام.

**أما بعد:**

فإن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، وقد صَوَّر لنا النبي ﷺ في هذا المثال الذي ذكره فيما رواه النواس بن سمعان رضي الله عنه: الإسلام، وحدود الله وشرائعه من الحلال والحرام، ودعوة القرآن، ووجدان المؤمن الواعظ له في قلبه.

وضربُ الأمثال أسلوب قرآني، وسنة نبوية، ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

ومن الربانيّة في التعليم: عرض الكليات وتعليمها وحسن تصويرها والجمع بينها قبل الدخول في مضائق الجزئيات والتعمق في معرفة وجوه الاختلاف فيها.

وعَرْضُ الإسلام بجملته أقرب إلى إدراك مقاصده وفهم كماله والتنعم بجماله مِنْ تعليمِ الجزئيات دون ما يربط بينها.

وقد بيَّن الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى تلك المعالم الكلية في شرحه لهذا الحديث الشريف بأسلوبه الشائق اللطيف، وهو شرح جدير أن يعتمد في

الحلقـات العلميـة للمبتدئين فـي تعلـم الدين، لترسـيخ مبادئـه وكلياتـه. والله الهادي إلى سـواء السـبيل.

* * *

**ذكر هذا الكتاب للمصنف**: ابن عبد الهادي في «الجوهر المنضد» (ص: ٥٠)، وسماه: «مثل الإسلام»، وهو مما يرويه الروداني فـي «صلة الخلف» (ص: ٢٧٦)، وسماه: «شرح حديث مثل الإسلام».

واعتمدت في إخراج هذه الرسالة على نسختين خطيتين:

**١ـ النسخة التونسية، ورمزها (ت):**

وهـي الرسـالة العاشـرة مـن المجمـوع (١٥٧) ـ وقـد سـبق وصفـه فـي المقدمـات ـ وتقـع فـي (٨) لوحـات (من ٧٠/ ب إلـى ٧٧/ أ) وهـي مقابلة، وفي ضمنهـا بيـاض أشـرت إليـه.

لم يذكر اسم الناسخ، لكنه وصف المؤلف بشيخنا، وتاريخ نسخ المجموع سنة ٨٥٢.

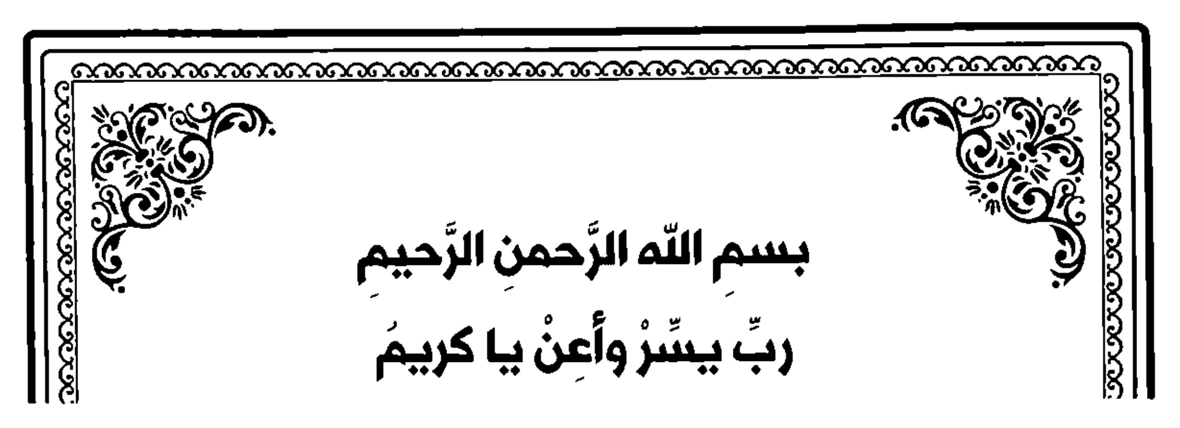
**٢ـ نسخة مكتبة الفاتح في اصطنبول، ورمزها (ف):**

وهـي الرسـالة الثالثـة عشـرة مـن المجمـوع (٥٣١٨) ـ وقد سـبق وصفه في المقدمـات ـ وتقـع فـي ١٢ لوحـة، (مـن ١٨٨/ ب إلـى ١٩٨/ أ) وفيهـا البيـاض نفسـه الـذي فـي (ت) وهـي مخرومة مـن آخرهـا مقـدار صفحة.

والحمـد لله رب العالميـن، وصلـى الله على سـيدنا محمد وعلـى آله وصحبه وسلم تسـليماً كثيراً.

كتبه

**محمد مجير الخطيب الحسني**




الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على خيرِ خلقِه محمَّدٍ وآلِه وصَحبِه أجمعين.

وبعدُ:

فقد خرَّجَ الإمامُ أحمدُ(١)، والنَّسائيُّ، والتِّرمذيُّ [مِن حديثِ النَّواسِ بنِ سَمْعان](٢)، عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «ضَرَبَ اللهُ مثَلاً صِراطاً مستقيماً، وعلى جنبَتَي الصِّراطِ سُورانِ، فيهما أبوابٌ مُفتَّحةٌ، وعلى الأبوابِ سُتورٌ مُرخاةٌ، وعلى بابِ الصِّراطِ داعٍ يقولُ: يا(٣) أيُّها النَّاسُ ادخُلوا الصِّراطَ جميعاً، ولا تَعَوَّجُوا(٤)، وداعٍ يدعو مِن جوفِ(٥) الصِّراطِ، فإذا أرادَ أن يفتَحَ شيئاً مِن تلك الأبوابِ قال:

---

(١) «أحمد» سقطت من (ف).

(٢) جاء في النسختين (ت) و(ف)، وكذلك في موضعين من كتاب المصنف «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٠١)، و(١/ ٤٣٥): «من حديث العرباض بن سارية»، ولعله من سبق الذهن. فالوهم ليس من النُّسَّاخ، وأثبتُّ الصواب بين معكوفتين ليتنبه له.

(٣) «يا» زيادة من (ت). ولا توجد في مطبوعة المسند.

(٤) من (ف)، وفي (ت): «ولا تعرجوا». وفي مطبوعة الرسالة من المسند: «ولا تتعرجوا». قال الناجي في «عجالة الإملاء»: «ولا تَعَوَّجوا» أصلها تتعوجوا بتائين فحذفت إحداهما تخفيفاً، ولفظ الأصبهاني في ترغيبه: «تتعوجوا» وكذا الإمام أحمد في أحد لفظي حديث النواس.

(٥) هي هكذا في «المسند»، ولم يحسن ناشر طبعة الرسالة بإثباتها من مصادر التخريج: «فوق».

ويحكَ لا تفتَحْهُ فإنَّك إن تفتَحْه تَلِجْه، والصِّراطُ الإسلامُ، والسُّورانِ حدودُ اللهِ، والأبوابُ المفتَّحةُ محارمُ اللهِ، وذلك الدَّاعي على رأسِ الصِّراطِ كتابُ اللهِ عزَّ وجلَّ، والدَّاعي مِن فوقُ واعظُ اللهِ في قلبِ كلِّ مُسلمٍ» فهذا لفظُ الإمامِ أحمدَ[1].

وعند التِّرمذيِّ زيادةٌ: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥] وحسَّنَه التِّرمذيُّ[2]، وخرَّجَه الحاكمُ وقال: صحيحٌ على شرطِ مُسلمٍ لا أعلمُ له عِلَّةً[3].

* * *

ضرَبَ النَّبيُّ ﷺ في هذا الحديثِ العظيمِ الذي حكاهُ عن ربِّهِ عزَّ وجلَّ مثَلَ الإسلامِ بالصِّراطِ المستقيمِ، وقد سمَّى اللهُ دينَه الذي هو دينُ الإسلامِ صِراطاً مُستقيماً في مواضعَ كثيرةٍ مِن كتابِه، كقولِه تعالى ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦ ـ ٧].

وقد فُسِّرَ الصِّراطُ هنا بكتابِ اللهِ، وكتابُ اللهِ فيه شرحُ دينِ الإسلامِ وبيانُه، وتفضيلُه، والدَّعوةُ إليه.

وعن جابرٍ قال: الصِّراطُ المستقيمُ هو الإسلامُ، وهو أوسَعُ ممَّا بين السَّماءِ والأرضِ[4].

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٧٦٣٤). وفي موضع آخر من «المسند» (١٧٦٣٦). وكتب أحدهم في حاشية (ف): «تمثيلات عجيبة».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٨٥٩) وقال: «حديث حسن غريب»، وسقطت (حسن) من بعض طبعاته. والنسائي (١١١٦٩).

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٧٣).

(٤) أخرجه الطبري (١/ ١٧٣).

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾ [يونس: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ۝١٥ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾ [المائدة: ١٥ ـ ١٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وخرَّجَ الإمامُ أحمدُ، والنَّسائيُّ في «تفسيره»، والحاكمُ مِن حديثِ ابنِ مسعودٍ قال: خطَّ رسولُ اللهِ ﷺ خطًّا بيدِه، ثمَّ قال: «هذا سبيلُ اللهِ مُستقيماً»، وخطَّ عن يمينِه وشِمالِه ثمَّ قال: «هذه السُّبُلُ ليس مِنها سبيلٌ إلَّا عليه شيطانٌ يدعو إليه»، ثمَّ قرأ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣][(١)].

وخرَّجَ الإمامُ أحمدُ، وابنُ ماجه مِن حديثِ مجالد[(٢)]، عنِ الشَّعبيِّ، عن جابرٍ قال: كنَّا جُلوسًا عند النَّبيِّ ﷺ فخطَّ خطًّا هكذا أمامَهم، قال: «هذا سبيلُ اللهِ»، وخطَّيْنِ عن يمينِه وخطَّينِ عن شمالِه، وقال: «هذه سبيلُ[(٣)] الشَّيطانِ»، ثمَّ وضعَ يدَه في الخطِّ الأوسَط، ثمَّ تلا هذه الآيةَ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣][(٤)] الآيةَ.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤٤٣٧)، والنسائي في «الكبرى» (١١١١٠)، والحاكم (٢/ ٣١٨) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) كتبت في (ت): «مجاهد» ثم أصلحت إلى «مجالد»، وهي في (ف): «مجاهد».

(٣) في (ت): «سبل».

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١٥٢٧٧)، وابن ماجه (١١) بنحوه.

وقد رُوِيَ عن ابنِ مسعودٍ أنَّه سُئِلَ عن الصِّراطِ المستقيمِ فقال: تركَنا محمَّدٌ ﷺ في أَدْناه، وطرَفُه في الجنَّةِ، وعن يمينِه جوادٌ وعن يسارِه جوادٌ[1]، وثَمَّ رِجالٌ يَدْعُوْن مَنْ مَرَّ بهم[2]، فمَن أخذَ في تلك الجَوادِّ انتهَتْ به إلى النَّارِ، ومَن أخذَ على الصِّراطِ انتهى بِهِ إلى الجنَّةِ. ثمَّ قرأَ ابنُ مسعودٍ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾. خرَّجه ابنُ جريرٍ وغيرُه[3].

وإنَّما سُمِّيَ الصِّراطُ صِراطًا: لأنَّه طريقٌ واسِعٌ سهلٌ يوصِلُ إلى المقصودِ، وهذا مَثَلُ دينِ الإسلامِ في سائرِ الأديانِ؛ فإنَّه يُوصِلُ إلى اللهِ، وإلى دارِه وجِوارِه، مع سُهولتِه وسَعَتِه.

وبقيَّةُ الطُّرُقِ وإن كانَت كثيرةً فإنَّها كلَّها مع ضيقِها وعُسرِها لا تُوصِلُ إلى اللهِ، بل تقطعُ عنه، وتُوصِلُ إلى دارِ سخطِه وغضبِه ومجاورةِ أعدائِه، ولهذا قالَ تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

والإسلامُ العامُّ: هو دينُ اللهِ الذي كان عليه جميعُ الرُّسُلِ، كما قالَ نوحٌ: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢]، وقالَ تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨]، وقالَ تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، وقال عن يوسفَ إنَّه قالَ: ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا

---

(١) «وعن يساره جواد» زيادة من (ت).

(٢) في (ف): «يدعون ربهم»! وهو تصحيف عجيب.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٨٨٢)، وابن وهب في التفسير من «جامعه» (٨١)، والطبري (٩/ ٦٧١).

﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، وقالَ تعالى عن ملكةِ سبأ: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]، وقالَ عن الحواريِّين إنَّهم قالوا: ﴿آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١].

وقد وصفَ اللهُ في سورةِ الفاتحةِ الصِّراطَ بأنَّه: صراط الذين أنعم[1] عليهم، ثمَّ سمَّى الذين أنعمَ عليهم في سورة النِّساءِ، وجعَلَهم أربعةَ أصنافٍ: النَّبِيِّينَ، والصِّدِّيقينَ، والشُّهداءَ، والصَّالحينَ[2]، فدلَّ على أنَّ هؤلاءِ كلَّهم على هذا الصِّراطِ المستقيمِ، فلا يخرجُ عنهم إلَّا إمَّا مغضوبٌ عليه، وهو مَن عرَفَ الصِّراطَ وسلَكَ غيرَه عَمْدًا كاليَهودِ والمُشركينَ، وإمَّا ضالٌّ جاهلٌ، يسلُكُ غيرَ الصِّراطِ جَهْلاً ويظنُّ أنَّه الصِّراطُ.

**وحقيقةُ الإسلامِ: الاستسلامُ للهِ تعالى والانقيادُ لطاعَتِه.**

* * *

وأمَّا الإسلامُ الخاصُّ فهو دينُ محمَّدٍ ﷺ، ومنذُ بعثَ اللهُ محمدًا ﷺ لم يقبَلْ مِن أحدٍ ديناً غيرَ دينِه، وهو الإسلامُ الخاصُّ، وصارَتْ بقيَّةُ الأديانِ كُفرًا لِمَا تضمَّنَ اتِّباعُها مِن الكُفرِ بدينِ محمَّدٍ، والمعصيةِ للهِ في الأمرِ باتِّباعِه، فإنَّه ليس هناكَ إلَّا أحَدُ أمرَيْنِ:

إمَّا الاستسلامُ للهِ والانقيادُ لطاعتِه وأوامرِه، وهو دينُ الإسلامِ الذي أمرَ اللهُ تعالى به.

---

(١) في (ف): «أنعمت».

(٢) قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

وإمَّا المعصيةُ للهِ والمخالفةُ لأوامِرِه، وذلك يستلزِمُ طاعةَ الشَّيطانِ؛ لأنَّ الشَّيطانَ يأمرُ بسُلوكِ الطُّرُقِ التي عن يمينِ الصِّراطِ وشِمالِه، ويصدُّ عن سُلوكِ الصِّراطِ المُستقيمِ، كما قالَ تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يس: ٦٠ ـ ٦١].

قالَ تعالى حاكيًا عنِ الشَّيطانِ: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٦ ـ ١٨].

وقالَ تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٣٩ ـ ٤٢].

وصحَّ عنِ ابنِ مَسعودٍ أنَّه قال: إنَّ هذا الصِّراطَ مُحتضَرٌ تحضرُه الشَّياطينُ: يا عبدَ اللهِ! هذا الطَّريقُ هلمَّ إلى الطَّريقِ، فاعتصِمُوا بحبلِ اللهِ؛ فإنَّ حبلَ اللهِ هو القُرآنُ[1].

وهذا كما أنَّ الكتُبَ المنزلةَ والرُّسلَ المُرسلةَ وأتباعَهم يدعونَ إلى اتِّباعِ الصِّراطِ المُستقيمِ، فالشَّيطانُ وأعوانُه وأتباعُه مِن الجنِّ والإنسِ يدعونَ إلى بقيَّةِ الطُّرُقِ الخارجةِ عنِ الصِّراطِ المستقيمِ، كما قالَ تعالى: ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١]. والإسلامُ له هو الاستِسلامُ والإذعانُ والانقيادُ والطَّاعةُ.

---

(١) أخرجه الدارمي (٣٣٦٠)، والطبري (٥/ ٦٤٥).

والإسلامُ قد فسَّرَه النَّبيُّ ﷺ في حديثِ جبريلَ بالشَّهادتينِ مع إقامِ الصَّلاةِ وإيتاءِ الزَّكاةِ والحجِّ والصِّيامِ[1].

وأخبرَ ﷺ في حديثٍ آخرَ أنَّ الإسلامَ بُنِيَ على هذه الخمسِ[2]، يعني أنَّه أركانُ بنائِه التي لا يقومُ البناءُ إلَّا عليها، وبقيَّةُ الأعمالِ داخِلةٌ في مُسمَّاه أيضًا.

ورُوِيَ مِن حديثِ أبي هريرةَ مَرْفوعاً أنَّه عدَّ مِن سهامِ الإسلامِ: الأمرَ بالمعروفِ، والنَّهيَ عنِ المُنكَرِ، والسَّلامَ على مَن لقِيَ وعلى أهلِ بيتِه إذا دخلَ إليهم[3].

ورُوِيَ مِن حديثِ أبي الدَّرداءِ مرفوعًا[4]، ومِن حديثِ حُذيفةَ مرفوعًا وموقوفًا، وعدَّ مِن سهامِه الجهادَ[5].

وأفضلُ الإسلامِ: أن يَسْلمَ المسلمونَ مِن لسانِه ويدِه[6]، ومِن حُسنِ إسلامِ المرءِ تركُه ما لا يعنيهِ[7].

ومِن «صحيح مسلمٍ» عن عبدِ اللهِ بنِ سَلَامٍ قال: بينما أنا نائمٌ إذ أتاني رجلٌ فقالَ

---

(١) حديث جبريل المشهور في الإسلام والإيمان والإحسان وهو أول حديث في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) حديث ابن عمر رضي الله عنه: «بني الإسلام على خمس» في صحيح البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

(٣) سقط هذا الحديث من (ف). أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٢١).

(٤) عزاه المصنف في «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٠٠) إلى ابن مردويه. وقال: «وفي إسناده ضعف ولعله موقوف».

(٥) أخرجه البزار (٢٩٢٧) مرفوعاً و(٢٩٢٨) موقوفاً.

(٦) كما في حديث أبي موسى الأشعري مرفوعاً أخرجه البخاري (١١)، ومسلم (٤٢).

(٧) كما في حديث أخرجه الترمذي (٢٣١٧)، وابن ماجه (٣٩٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لي: قم، فأخذَ بيدي، فانطلقتُ معَه، فإذا أنا بجَوادَّ عن[1] شمالي. قال: فأخذتُ لآخذَ فيها، فقالَ: لا تأخُذ فيها فإنَّها طرُقُ أصحابِ الشِّمالِ. فإذا جوادُّ منهجٌ عن يميني، فقالَ لي: خُذ هاهنا، قال: فأتى بي جبَلًا فقالَ لي: اصعَدْ، قال: فجعلتُ إذا أردتُ أن أصعَدَ خرَرْتُ على استي، قال: حتَّى فعلتُ ذلك مِرارًا، قالَ: ثمَّ انطلَقَ حتَّى أتى عمُودًا رأسُه في السَّماءِ وأسفَلُه في الأرضِ في أعلاهُ حلقةٌ، قالَ لي: اصعَد فوقَ هذا، قلتُ: كيفَ أصعدُ هذا ورأسُه في السَّماءِ، قالَ: فأخذَ بيدي فرحَلَ بي، فإذا أنا مُتعلِّقٌ بالحلقةِ، ثمَّ ضربَ العَمودَ فخَرَّ وبقيتُ مُتعلِّقًا بالحلقةِ حتى أصبَحْتُ، قالَ: فأتيتُ النَّبيَّ ﷺ فقصَصْتُها عليه، قالَ: «أمَّا الطَّريقُ التي رأيتَ عن يسارِكَ: طريقُ أصحابِ الشِّمالِ، وأمَّا الطَّريقُ التي رأيتَ عن يمينِك فهي طريقُ أصحابِ اليَمينِ، وأمَّا الجبَلُ فهو منزِلُ الشُّهَداءِ ولن تنالَه، وأمَّا العمودُ فهو عمودُ الإسلامِ، وأمَّا العُروةُ فهي عُروَةُ الإسلامِ، ولن تزال مُسْتمسكًا به[2] حتى تموتَ»[3].

وقالَ تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩].

فأخبرَ أنَّ قصدَ السَّبيلِ، وهو الطَّريقُ القاصدُ عليه يعني أنَّه يوصِلُ إليه، وأنَّ مِن السَّبيلِ ما هو جائرٌ عن القَصدِ غيرُ مُوصلٍ، فالسَّبيلُ القاصِدُ هو الصِّراطُ المستقيمُ، والسَّبيلُ الجائرُ هو سبيلُ الشَّيطانِ[4]، وقد وحَّدَ طريقَه في أكثرِ المواضعِ. وجمَعَ طرُقَ الضَّلالِ لأنَّ طريقَ الحقِّ أصلُهُ شيءٌ واحدٌ وهو دينُ الإسلامِ العامُّ كما سبَقَ، وهو توحيدُ اللهِ وطاعتُه، وطرُقَ الضَّلالةِ كثيرةٌ متبوعةٌ وإن جمعَها الشِّركُ والمعصيةُ.

---

(١) في (ف): «من».

(٢) في (ف): «متمسكاً بها» وفوق بها بين الأسطر: «به».

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٨٤).

(٤) في (ف): «الشيطان الرجيم» وفوق الكلمة الثانية علامة إلغاء.

قولُه: «وعلَى جنبَتَي الصِّراطِ سُورانِ»، ثمَّ فسَّرَهما بحُدودِ اللهِ.

والمرادُ أنَّ اللهَ تعالى حدَّ حُدودًا ونهَى عن تعَدِّيها، فمَن تَعدَّاها فقد ظلَمَ نفسَه، وخرَجَ عنِ الصِّراطِ المُستقيمِ الذي أُمِرَ بالثُّبوتِ عليه.

ولَمَّا كان السُّورُ يمنعُ مَن وراءَه مِن تعَدِّيه ومُجاوزَتِه: سمَّى حدودَ اللهِ سُورًا لأنَّه يمنعُ مَن دخَلَه مِن مُجاوزتِه وتعدِّي حُدودِه. قالَ اللهُ تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧][1] وقالَ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[2] إلى قولِه: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٣ ـ ١٤]، وقالَ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وقالَ: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق: ١].

وفي حديثِ أبي ثعلبةَ الخشني عنِ النَّبيِّ ﷺ: «إنَّ اللهَ فرَضَ فرائضَ فلا تضيِّعوها، وحرَّمَ أشياءَ فلا تَنتهِكُوها وحدَّ حُدودًا فلا تعتدوها»[3].

فحدودُ اللهِ تُطلَقُ ويرادُ بها غالبًا ما أذنَ فيه وأباحَ، فمَن تعدَّى هذه الحُدودَ فقد خرجَ ممَّا أحلَّهُ اللهُ إلى ما حرَّمَه، فلهذا نُهِيَ عن تعدِّي حدودِ اللهِ، لأنَّ تَعدِّيَها بهذا المعنى مُحرَّمٌ.

ويرادُ بها تارةً ما حرَّمَه اللهُ ونهى عنه، وبهذا المعنى يقالُ: لا تقرَبوا حدودَ اللهِ،

---

(١) في (ف): «تعتدوها».

(٢) «يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار» ليست في (ت).

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» ٢٢ (٥٨٩) (٦٧٧)، والدارقطني في «السنن» (٤٣٩٦) مرفوعاً، والطبري (٩/ ٢٤) موقوفاً.

كما قالَ تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧] بعدَ أنْ نهى عنِ ارتكابِ المفطراتِ في نهارِ الصِّيامِ، وعن مباشرةِ النِّساءِ في الاعتكافِ في المساجدِ.

فأرادَ بحُدودِه هاهنا ما نهى عنه، فلذلك نهى عن قُربانِه. فإنَّه تعالى جعلَ لكلِّ شيءٍ حدًّا، فجعلَ للمُباحِ حدًّا، وللحرامِ حدًّا، وأمرَ بالاقتصادِ على حدِّ المباحِ وأن لا يُتعدَّى، ونهى عن قربانِ حدِّ الحَرامِ.

وممَّا سُمِّيَ فيه المحرَّماتُ حُدودًا قولُ النَّبيِّ ﷺ: «مثَلُ القائمِ على حُدودِ اللهِ والمُدْهِنِ فيها كمثَلِ قومٍ اقتسَموا سفينةً...»[١] الحديثُ المعروفُ. والمرادُ بالقائمِ على حدودِ [الله][٢] المنكِرُ للمُحرَّماتِ وناهي[٣] عنها.

وفي حديثِ ابنِ عبَّاسٍ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «أنا آخذٌ بحُجَزِكم، اتَّقوا النَّارَ، اتَّقوا الحُدودَ» قالها ثلاثاً. خرَّجَه الطَّبرانيُّ والبزَّارُ[٤].

ومرادُه بالحُدودِ: محارِمُ اللهِ ومَعاصيه.

**وقـد تُطلَقُ الحُدودُ باعتبـارِ العُقوباتِ المقـدَّرةِ الرَّادعةِ عن الجرائـمِ المُغلَّظةِ، فيقالُ: حـدُّ الزِّنا، حدُّ السَّـرِقةِ، حدُّ شُـربِ الخمرِ.**

وهو هذا المعروفُ مِن اسمِ الحُدودِ في اصطلاحِ الفُقَهاءِ، ومنه قولُ النَّبيِّ ﷺ لأُسامةَ: «أتشفَعُ في حدٍّ مِن حُدودِ اللهِ» لَمَّا شفَعَ في المرأةِ التي سرَقَت[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما. والمدهن: قال القسطلاني: «أي الذي يرائي».

(٢) لم يرد اللفظ الجليل في النسختين، ولا بد منه.

(٣) كذا في النسختين، وصوابه: «والناهي».

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠٩٥٣)، وفي الأوسط (٢٨٧٤)، والبزار (كشف الأستار ٣٤٨٠).

(٥) أخرجه البخاري (٦٧٨٨)، ومسلم (١٦٨٨) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها.

وفي حديثٍ: «أقيموا الحُدودَ في الحضَرِ والسَّفَرِ، على القريبِ والبعيدِ»[1].

وقال عليٌّ: أقيمُوا الحدودَ على ما ملكَتْ أيمانُكم[2].

وأمَّا قولُه ﷺ في حديثِ أبي بُردةَ: «لا يُجْلَدُ فوقَ عشرِ جَلداتٍ إلَّا في حدٍّ مِن حُدودِ اللهِ عزَّ وجلَّ»[3]، فقدِ اختلَفُوا في المرادِ بالحَدِّ هنا: هل هو الحُدودُ المُقدَّرةُ شَرْعًا، أمِ المُرادُ بالحَدِّ ما حدَّهُ اللهُ ونهى عن قُربانِه فيدخلُ فيه سائرُ المعاصي ويكونُ المرادُ: النَّهيَ عن تجاوُزِ العشرِ جَلْداتٍ بالتَّأديبِ ونحوِه ممَّا ليس عقوبةً على محرمٍ؟ هذا فيه اختلافٌ مشهورٌ بين العلماءِ.

وقالَ تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٠]. وقالَ تعالى: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٩٧]. والمرادُ بحدودِ اللهِ هاهنا ما يفصلُ بين الحلالِ والحرامِ ويتميَّزُ به أحدُهما مِن الآخرِ.

وقد مدحَ اللهُ الحافظينَ لحدودِه في قولِه: ﴿وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١٢].

وفي الحديثِ المرفوعِ مِن حديثِ عمرِو بنِ شُعَيبٍ عن أبيهِ عن جدِّه: «يُمَثَّلُ القرآنُ رَجُلًا يومَ القيامةِ، فيُؤتى بالرَّجُلِ قد حملَه فخالفَ أمرَه[4]، فيَمثُلُ له خَصْمًا، فيقولُ: يا ربِّ حمَّلْتَه إيَّايَ، فبئسَ حاملٌ، تعدَّى حُدودِي وضيَّعَ فَرائضِي ورَكِبَ مَعصِيَتِي، وقال: ويُؤتى بالرَّجُلِ الصَّالحِ كان قد حمَلَه فيَمثُلُ خَصْمًا دونَه فيقولُ:

---

(١) أخرجه أبو داود في «المراسيل» (٢٤١) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٢) هو حديث مرفوع. أخرجه الإمام أحمد (٧٣٦) وغيره من حديث علي رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٨٤٨)، ومسلم (١٧٠٨) من حديث أبي بردة رضي الله عنه.

(٤) في (ف): «أمره ونهيه» وفوق «نهيه» (علامة إلغاء)، ولا توجد اللفظة في مصادر التخريج.

يا ربِّ حمَّلْتَه إيَّايَ، فخيرُ حاملٍ، حفظَ حُدودي وعمِلَ بفَرائضِي واجتنَبَ مَعصِيَتي»[1].

والمرادُ بحفظِ الحُدودِ هنا: المحافظةُ على الواجباتِ، والانتهاءُ عنِ المُحرَّماتِ.

وفي حديثِ النُّعمانِ بنِ بشيرٍ عنِ النَّبيِّ ﷺ: «الحلالُ بيِّنٌ والحَرامُ بيِّنٌ، وبينَهما أمورٌ مُشتبِهاتٌ، لا يعلَمُهنَّ كثيرٌ مِن النَّاسِ، فمَنِ اتَّقى الشُّبُهاتِ استبرَأَ لِدِينِه وعِرْضِه، ومَن وقَعَ في الشُّبُهاتِ وقَعَ في الحرامِ، كالرَّاعي يَرْعى حولَ الحِمَى يُوشِكُ أن يُخالِطَه، ألَا وإنَّ لكُلِّ ملِكٍ حِمًى، ألَا وإنَّ حِمَى اللهِ في أرضِه[2] مَحارِمُه»[3] وهو حديثٌ مُتَّفقٌ على صحَّتِه.

فمثَّلَ المُحرَّماتِ في هذا الحديثِ بالحِمَى، وهو ما تحميهِ الملوكُ ويُمنع[4] مِن قُربانِه، وجعَلَ الحلالَ بيِّنًا والحرامَ بيِّنًا، ومُرادُه الحَلالُ المَحْضُ والحَرامُ المَحْضُ؛ فإنَّ لكلٍّ منهما حُدودًا معروفةً في الشَّريعةِ، وجُعلَ بينَهما أمورٌ مشتبهة على كثيرٍ مِن النَّاسِ، لا يَدرونَ هل هيَ مِن الحَلالِ أمْ مِن الحَرامِ، فدَلَّ على أنَّ مِن النَّاسِ مَن لا يَشتبِه عليه حُكمُها فيعلمُ أنَّها حَلالٌ أو أنَّها حَرامٌ. فأمَّا مَن اشتبَه عليه حُكمُها فإنَّ الأَولى له أن يتَّقِيَها ويجتنِبَها، كما قالَ عمرُ: ذَرُوا الرِّبا والرِّيبةَ[5].

وأخبرَ أنَّه مَن وقعَ في الأمورِ المُشتبِهَةِ وقعَ في الحرامِ، والمرادُ أنَّ نفسَه تَدعوهُ مِن ارتكابِ الشُّبُهاتِ إلى ارتكابِ الحرامِ.

ومثَّلَه بالرَّاعي حولَ الحِمَى يُوشِكُ أن يرتعَ فيه، فأمَّا مَن بعُدَ عن الحِمَى فإنَّه

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٦٦٧).

(٢) في (ت): «في حمى الله محارمه». ولعل «في» قد ضرب عليها لكن لم يتضح في الصورة.

(٣) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

(٤) في (ف): «وتمنع».

(٥) أخرجه الإمام أحمد (٢٤٦)، وابن ماجه (٢٢٧٦)، ولفظهما: «فدعوا الربا والريبة».

يَبعدُ وقوعُه في الحَرامِ، ولهذا قالَ مَن قالَ مِن السَّلَفِ: «اجعَلْ بينكَ وبين الحرَامِ شيئًا مِن الحَلالِ»[1].

وفي الحديثِ المرفوعِ الذي خرَّجَه التِّرمذيُّ: «لا يَبلغُ العبدُ أن يكونَ مِن المتَّقينَ حتَّى يدعَ ما لا بأسَ به حذرًا ممَّا بِهِ بأسٌ»[2].

وهذه الأمورُ المُشتبهاتُ منها ما يَقْوَى شبهُه بالحرامِ، ومنها ما يَبعدُ شبَهُهُ بالحرامِ، ومنها ما تترَدَّدُ الشُّبهةَ بين الحلالِ والحرامِ.

فالأوَّلُ: يَقْوَى فيه التَّحريمُ.

والثَّاني: يَقوى فيه الكراهةُ.

والثَّالثُ: يُترَدَّدُ فيه، واجتنابُ الكلِّ حسَنٌ وهو الأفضلُ والأوْلَى.

* * *

وقولُه: «**فيهما: ـ يعني السُّورَيْنِ ـ أبوابٌ مفتَّحةٌ وعلى الأبوابِ ستورٌ مُرخاةٌ**».

ثمَّ فسَّرَ الأبوابَ المفتَّحةَ بمَحارمِ اللهِ، لَمَّا شبَّهَ حدودَ اللهِ بالسُّورَيْنِ المكتنِفَيْنِ للصِّراطِ يَمنةً ويَسرةً ـ والسُّورُ يقتضي المنعَ، وأصلُ الحدِّ في اللغةِ المنعُ ـ شبَّهَ المحارِمَ بالأبوابِ المفتَّحةِ في السُّورَينِ اللَّذينِ هما حدُّ الصِّراطِ المستقيمِ ونهايتُهُ، وجعلَ الأبوابَ مُفتَّحةً غيرَ مُغلقةٍ ولا مُقفلَةٍ، وجعلَ عليها سُتورًا مُرخاةً بحيثُ يتمكَّنُ كلُّ أحدٍ مِن رفعِ تلك السُّتورِ ووُلوجِ تلك الأبوابِ.

---

(١) هو أحد ألفاظ حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما مرفوعاً، أخرجه الطبراني٢١ (٢٠)، وابن حبان (٥٥٦٩)، وابن المقرئ في معجمه (٤٥) عن النعمان عن النبي ﷺ ولفظه: «اجعلوا بينكم وبين الحرام سترة من الحلال».

(٢) أخرجه من حديث عطية السعدي: الترمذي (٢٤٥١) وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وابن ماجه (٤٢١٥).

وهكذا الشَّهواتُ المحرَّمةُ، فإنَّ النُّفوسَ مُتطلِّعةٌ إليها وقادرةٌ عليها، وإنَّما يمنعُ منها مانعُ الإيمانِ خاصَّةً. والنُّفوسُ مولعةٌ بمطالعةِ ما مُنِعت منه، كما في الحديثِ: «لو يمنعُ النَّاسُ فتَّ البعرِ، لقالوا: فيهِ الدُّرُّ»[1].

وفي حديثٍ آخرَ مرفوعٍ: «لو نهيتُ أحدَهم أن يأتيَ الحجونَ لأوشكَ أن يأتيَه مِرارًا، وليس له إليهِ حاجةٌ»[2].

وحكايةُ ذي النُّونِ المِصريِّ مع يوسفَ بنِ الحُسَينِ الرَّازيِّ في الطَّبَقِ الذي أرسلَه، وأمرَه أن لا يكشفَه معروفةٌ[3].

والمحرَّماتُ أمانةٌ مِن اللهِ عند عبدِه، والسَّمعُ أمانةٌ، والبصرُ واللِّسانُ أمانةٌ، والفَرْجُ أمانةٌ وهو أعظمُها. وكذلك الواجباتُ كلُّها أماناتٌ، كالطَّهارةِ والصِّيامِ والصَّلاةِ وأداءِ الحُقوقِ إلى أهلِها، قالَ اللهُ تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾

---

(١) ذكره ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (٢/ ٤) قولًا كان يقال، ولم يذكره حديثاً. ثم أورده الغزالي في «الإحياء» في الباب الخامس من كتاب العلم، ورفعه إلى النبي ﷺ بلفظ: «لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه إلا وفيه شيء»، وهو من الأحاديث التي ذكر السبكي في «الطبقات الكبرى» (٦/ ٢٨٩) أنه لم يجد لها إسناداً، وقال العراقي: «لم أجده»، وفي «المقاصد الحسنة» (٨٣١) نقلاً عن العراقي: «لم أجده إلا من حديث الحسن مرسلاً، وهو ضعيف، رواه ابن شاهين».

(٢) أخرجه ابن الأعرابي في «معجمه» (٦٩)، والطبراني في «الكبير» ٢٢ (٣١٩) من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه.

(٣) أخرجها أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٣٨٦)، وخلاصتها: أن يوسف بن الحسين طلب من ذي النون أن يعلمه اسم الله الأعظم، فأرسل معه ذو النون طبقاً مغطى مشدوداً بمنديل إلى صديق له، وفي الطريق فتحه يوسف فإذا فيه فأرة قفزت ومرت، فقال له ذو النون: يا مجنون ائتمتك في فأرة فخنتني!..

ثـمَّ ذكـرَ حُكمَـه فقـال: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٧٢ - ٧٣].

وفي الحديثِ الصَّحيحِ عنِ النَّبيِّ ﷺ: «حُفَّتِ الجنَّةُ بالمكارِهِ، وحُفَّتِ النَّارُ بالشَّهواتِ»[١]. وفي روايةٍ: «حُجِبَتْ» بدلَ «حُفَّتْ»[٢].

فـاللهُ سبحانَه امتحنَ عِبادَه فـي هـذه الدَّارِ بهذه المحرَّماتِ مِن الشَّهواتِ والشُّبُهاتِ، وجعلَ في النَّفسِ داعيًا إلى حُبِّها مع تمكُّنِ العبدِ منها وقُدرتِه عليها.

فمَن أدَّى الأمانةَ وحفِظَ حُدودَ اللهِ ومنعَ نفسَه ما يُحِبُّه مِن مَحارمِ اللهِ كان عاقبتُه الجنَّةَ، كما قـالَ تـعـالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ - ٤١] فلذلكَ يحتاجُ العبدُ في هذه الدَّارِ إلى مجاهدةٍ عَظيمةٍ، يُجاهِدُ نفسَه في اللهِ عزَّ وجلَّ، كما في الحديثِ: «المجاهِدُ مَن جاهدَ نفسَه في اللهِ عزَّ وجلَّ»[٣]. فمَن كانت نفسُه شريفةً وهِمَّتُه عاليةً لم يرضَ لها بالمعاصي فإنَّها خِيانةٌ، ولا يرضى بالخِيانةِ إلَّا مَن لا نفسَ له.

قالَ بعضُ السَّلَفِ: رأيتُ المعاصيَ نذالةً، فتركتُها مُروءةً، فاستحالَتْ دِيانةً[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٢٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٢٣٩٥١) (٢٣٩٥٨) (٢٣٩٦٥) (٢٣٩٦٧)، والترمذي (١٦٢١) وقال: حسن صحيح، والنسائي في «الكبرى» (١١٧٩٤)، وابن ماجه (٣٩٣٤) من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه.

(٤) في حاشية (ت): «قال في القاموس: النذل والنذيل: الخسيس من الناس، المحتقر في جميع أحواله، والجمع أنذال، ونذول». والأثر ذكره ابن المرزبان في «المروءة» (ص: ١١٠) ونسبه لابن سمعون، وأخرجه عن ابن سمعون: الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢/ ٩٦).

وقالَ آخرُ منهم: تركتُ الذُّنوبَ حياءً أربعينَ سنةً، ثمَّ أدركَني الورَعُ(١).

وقالَ آخرُ: مَن عمِلَ في السِّرِّ عمَلاً يَستحيي منه إذا ظهرَ عليه فليس لنفسِه عندَه قَدْرٌ(٢).

قالَ بعضُهم: ما أكرمَ العِبادُ أنفُسَهُم بمثلِ طاعةِ اللهِ، ولا أهانُوها بمثلِ مَعاصي اللهِ عزَّ وجلَّ(٣). فمَنِ ارتكبَ المحارمَ فقد أهانَ نفسَه.

وفي المثَلِ المضروبِ: أنَّ الكلبَ قالَ للأسدِ: يا سيِّدَ السِّباعِ! غيِّرِ اسْمِي فإنَّه قبيحٌ، فقالَ له: أنت خائنٌ، لا يَصلحُ لك غيرُ هذا الاسمِ، قال: فجَرِّبني، فأعطاهُ شقَّةَ لحمٍ، وقالَ: احفَظْ لي هذهِ إلى غدٍ وأنا أُغيِّرُ اسمكَ، فجاعَ وجعلَ ينظرُ إلى اللَّحمِ ويصبرُ. فلمَّا غلَبَتْه نفسُه قال: وأيُّ شيءٍ [أعمَلُ](٤) باسمي، وما كلبٌ إلا اسمٌ حسَنٌ، فأكلَ(٥).

ولهذا المعنى شبَّهَ اللهُ عالمَ السُّوءِ الذي لم ينتفِع بعِلمِه بالكلبِ، فقالَ تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التوبة» (١٣٥) من كلام الجراح بن عبد الله الحكمي، وكان فارس أهل الشام، ولفظه: «خشية» بدل: «حياءً».

(٢) أخرجه الدارقطني في «المؤتلف والمختلف» (٢/ ١٠٠٠) من كلام ذي النون رحمه الله.

(٣) أخرجه من كلام بعض التابعين ابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (٩٧)، و«مكارم الأخلاق» (٦٤)، و«التوبة» (٥٢)، والبيهقي في «الشعب» (٦٨٥٢) (٦٨٥٣).

(٤) «أعمل» مضافة من حاشية (ف).

(٥) ذكره ابن الجوزي في «صيد الخاطر» (٦١٥).

ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥ ـ ١٧٧][1].

والمرادُ بهذا المثَلِ: أنَّ مَن لم يَزجُرْه عِلمُه عنِ القبيحِ صارَ القبيحُ عادةً له ولم يُؤثِّر فيه عِلمُه شيئًا، فيصيرُ حالُه كحالِ الكلبِ اللَّاهثِ؛ فإنَّه إن طُرِدَ لهثَ وإن تُرِكَ لهثَ، فالحالَتانِ عندَه سواءٌ، وهذا أخسُّ أحوالِ الكلبِ وأبشَعُها، فكذلك مَن يَرتكِبُ القبائحَ مع جهلِه ومع علمِه فلا يُؤثِّرُ عِلمُه شيئًا، وكذلك مَثَلُ مَن لا يرتدِعُ عن القبيحِ بوعظٍ ولا زَجْرٍ ولا غيرِه؛ فإنَّ فعلَ القبيحِ يصيرُ عادةً ولا ينزجِرُ عنه بوعظٍ ولا تأديبٍ ولا تعليمٍ، بل هو مُتَّبعٌ للهَوى على كلِّ حالٍ، فهذا مثلُ كلِّ مَنِ اتَّبَعَ هواهُ، ولم ينزجِر عنه بوعظٍ ولا غيرِه، وسواءٌ كان الهوَى المتَّبَعُ داعيًا إلى شهوةٍ حِسِّيَّةٍ، كالزِّنا والسَّرقةِ وشُربِ الخمرِ، أو إلى غضبٍ وحِقدٍ وكِبْرٍ وحسَدٍ، أو إلى شُبهةٍ مُضِلَّةٍ في الدِّينِ، وأشَدُّ ذلك حالُ مَن اتَّبعَ هواه في شُبهةٍ مُضِلَّةٍ، ثمَّ مَن اتَّبعَ هواه في غضَبٍ وكِبرٍ وحِقْدٍ وحسَدٍ، ثمَّ مَن اتَّبعَ هواهُ في شَهوةٍ حِسِّيَّةٍ. ولهذا يقالُ: إنَّ مَن كانت مَعصيتُه في شهوةٍ فإنَّه يُرجَى له، ومَن كانت مَعصيتُه في كِبْرٍ لم يُرْجَ[2].

ويقالُ: إنَّ البِدعَ أحبُّ إلى إبليسَ مِن المعاصي؛ لأنَّ المعاصيَ يُتابُ مِنها، والبدَعَ يَعتقِدُها صاحبُها دينًا فلا يتوبُ مِنها[3].

والمقصودُ: أنَّه لَمَّا كانتِ النَّفسُ والهوى داعيَيْنِ إلى فتحِ أبوابِ المحارمِ

---

(١) في حاشية (ت): «بلغ».

(٢) هذا معنى كلام لابن عيينة، أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٨٦٧).

(٣) وهذا من كلام سفيان بن عيينة، أخرجه عنه: ابن الجعد في «مسنده» (١٨٠٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٦)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٠٩).

وكشفِ سُتورِها وارتكابِها جعلَ اللهُ عزَّ وجلَّ لها داعيَيْنِ يزجُرانِ مَن يريدُ ارتكابَ المحارمِ وكشفَ سُتورِهما[1].

أحدُهما: داعي القُرآنِ، وهو الدَّاعي علـى رأسِ الصِّراطِ، يدعو النَّاسَ كلَّهم إلى الدُّخولِ في الصِّراطِ والاستقامةِ عليه، وأن لا يُعرِّجُوا عنه يَمنةً ولا يَسْرةً، ولا يفتَحوا شيئًا مِن تلك الأبوابِ التي عليها السُّتورُ المُرخاةُ، قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ حاكيًا عن عبادِه المؤمنينَ أنَّهم قالوا: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ [آل عمران: ١٩٣]، والمرادُ به القرآنُ عندَ أكثرِ السَّلَفِ[2].

وقالَ حاكيًا عنِ الجنِّ الذين استمَعوا القرآنَ إنَّهم لَمَّا رجَعوا إلى قومِهم قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٣٠ ـ ٣١].

وقد وصفَ اللهُ نبيَّهُ ﷺ بأنَّه يدعو الخلقَ بالكتابِ إلى الصِّراطِ المُستقيمِ، كما قالَ اللهُ تعالى: ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١] وقالَ تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَـٰكِبُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٣ ـ ٧٤].

وقد كانَ النَّبيُّ ﷺ يَدْعو الخلقَ بالقُرآنِ إلى الدُّخولِ في الإسلامِ الذي هو الصِّراطُ المستقيمُ، وبذلك استجابَ له خواصُّ المؤمنينَ كـأكـابرِ المُهاجرينَ والأنصارِ، ولهذا المعنى قالَ مالكٌ: فُتِحَتِ المدينةُ بالقرآنِ[3].

يعني أنَّ أهلَها إنَّما دخَلُوا في الإسلامِ بسَماعِ القُرآنِ.

---

(١) كذا تصحفت في النسختين، والصواب: «ستورها».

(٢) هو قول محمد بن كعب القرظي، واختاره ابن جرير الطبري (٦/ ٣١٥).

(٣) أخرجه ابن المقرئ في «معجمه» (٢٧) من كلام الإمام مالك. وقال يحيى بن معين (سؤالات ابن الجنيد ٤٨٦): أصحاب مالك يروونه من كلام مالك. وكذَّبَ يحيى مَنْ رفعه إلى النبي ﷺ.

كما بعثَ النَّبيُّ ﷺ مُصعبَ بنَ عُمَيرٍ قبلَ أن يُهاجِرَ إلى المدينةِ، فدعا أهلَ المدينةِ إلى الإسلامِ بتِلاوةِ القُرآنِ عليهم، فأسلمَ كثيرٌ منهم[1].

قال بعضُ السَّلَفِ: مَـن لـم يردَعْهُ القرآنُ والموتُ لو تَناطحَتِ الجِبالُ بين يديهِ لم يَرتدِعْ[2].

وقال آخرُ: مَن لم يتَّعِظ بثَلاثٍ لم يتَّعِظ بشَيءٍ: الإسلامُ، والقرآنُ، والمشيبُ[3]، كما قيلَ:

.......................... كفَى الشَّـيبُ والإسـلامُ للمَرْءِ ناهِيا[4]

قال يحيى بنُ مُعاذٍ: الإسلامُ نقِيٌّ فلا تُدنِّسْهُ بآثامِكَ[5].

منـعَ الهـوى مِـن كاعِـبٍ ومُـدَامِ[6] [نور المشـيبِ وواعـظُ الإسـلامِ][7]

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ٧٦).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائده على «الزهد» (٩٤٢) من كلام يزيد بن تميم.
وفي «تاريخ بغداد» (٨/ ٣١١) نسبته إلى الحسن بن عبد العزيز الجروي، وهو متأخر عن يزيد بن تميم، فلعله كان يردد ذلك القول فنسب إليه.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العمر والشيب» (٤٠) من كلام عبد العزيز بن أبي رواد، ومن طريقه: أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٩٤)

(٤) شطر بيت أوله: «ودِّع سُليمى إن تجهزتَ غازيا......». وهو لسحيم مولى بني الحسحاس، وقد سمعه سيدنا عمر بن الخطاب. انظر الخبر في «الأدب المفرد» للبخاري (١٢٣٨).

(٥) نقله المصنف رحمه الله أيضًا في «فتح الباري» (١/ ٢٣٠)، وفي «لطائف المعارف» (ص: ٣٢٧) بهذا اللفظ. وهو في «صفة الصفوة» (٢/ ٢٩٤) بلفظ: «الليل طويل فلا تقصِّره بمنامك، والنهار نقي فلا تدنسه بآثامك»!

(٦) بعده في (ف) و(ت): بياض بمقدار لوحة كاملة.

(٧) ما بين معقوفين هو تتمة البيت ومحل الشاهد وقد سقط من النسختين. وهو أول أبيات أنشدها ابن أبي الدنيا عن صاحب له في «الزهد» (٢٧٣)، وفي «ذم الدنيا» (٢٨٣).
والبياض في النسختين دليل على فقدان ورقة من الكتاب قديماً. ولا بد أن فيها: =

[وروى أبو الزعراء، عن ابن مسعود قال: يأمرُ اللهُ بالصراطِ، فُيضَربُ على جهنَّمَ، فيمرُّ الناسُ على قَدْرِ أعمالِهم زُمراً زمراً، أوائلُهم كلمحِ البرقِ، ثم كَمَرِّ الرِّيحِ، ثم كمَرِّ الطيرِ، ثم كمرِّ البهائم، حتى يمرَّ الرجلُ سعياً، وحتى يمرَّ الرجلُ مشياً، حتى يجيء آخرهم يتلبَّطُ على بطنه، فيقول: يا رب لم بطَّأت][1] بي، فيقولُ: إنما بطَّأ بكَ عملُك.

ومَن كان في الدُّنيا قد خرجَ عنِ الاستقامةِ على الصِّراطِ، ففتحَ أبوابَ المحارمِ التي في سُورَي الصِّراطِ يَمنةً ويَسْرةً، ودخلَ إليها سواءٌ كانتِ المحارمُ مِن الشَّهواتِ أو مِن الشُّبُهاتِ أخذَتْه الكَلاليبُ الذي على ذلك الصِّراطِ يَمنةً ويَسرةً بحسبِ

= ذكر الداعي الثاني الذي يزجر عن ارتكاب المحارم وكشف ستورها، وهو الداعي من فوق: واعظ الله في قلب كل مسلم.

قال أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في «شرح مشكل الآثار» (٥/ ٣٩١) وقد روى حديث النواس بن سمعان بتمامه، ثم قال: «فتأملنا هذا الحديث فوجدنا كل ما فيه مكشوف المعنى، غير ما فيه من واعظ الله في قلب كل مسلم، فإنا احتجنا إلى الوقوف على حقيقته ما هو؟ فنظرنا في ذلك، فوجدنا الواعظ من الآدميين هو الذي ينهى الناس عن الوقوع فيما حرم الله عليهم، فعقلنا بذلك أن مِثْلَه في قلب المسلم، هي حجج الله عز وجل التي تنهاه عن الدخول فيما منعه الله عز وجل وحظره عليه، وإنها هي واعظ الله في قلبه من البصائر التي جعلها فيه، والعلوم التي أودعه إياها، فيكون نهيها إياه عن ذلك، وزجرها إياه عنه كنهي غيرها من الناس الذين في قلوبهم مِثْلُها إياه عن ذلك، والله نسأله التوفيق».

(١) سقط الحديث من النسختين، وهو في آخر البياض منهما، وقد أثبتناه بقرينة ما بقي منه. وقد أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٨٧٩٢)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٧) (٤/ ٥٩٨)، والبيهقي في «البعث والنشور» (١١٨٠). وقد أورده المصنف في «التخويف من النار» (الباب السادس والعشرون) ومنه اللفظ المثبت.

ما فتحَ في الدُّنيا مِن أبوابِ المحارمِ ودخلَ إليها. فمِنهم المكردسُ[1] في النَّارِ، ومِنهم مَن تخدشُه الكَلاليبُ ويَنجو[2].

رأى بعضُ السَّلَفِ وكان شابًّا في منامِه كأنَّ النَّاسَ حُشِرُوا، وإذا بنهرٍ مِن لهَبِ النَّارِ عليه جسرٌ يجوزُ النَّاسُ عليه يُدعَوْنَ بأسمائِهم، فمَن دُعِيَ أجابَ فناجٍ وهالكٌ، قال: فدُعِيَ باسمي فدخلتُ في الجسرِ فإذا حدٌّ كحَدِّ السَّيفِ يَمورُ بي يمينًا وشِمالًا، فأصبحَ الرَّجلُ أبيضَ الرَّأسِ واللِّحيةِ ممَّا رأى[3].

سمِعَ بعضُهم قائلاً يقولُ:

أمامـي موقـفٌ قُـدَّامَ ربِّـي ... يُسائِلُني ويَنكشِـفُ الغِطـاءُ[4]

وحَسـبي أن أمُـرَّ علـى صِراطٍ ... كحَـدِّ السَّـيفِ أسـفَلُه لَظَـاءُ[5]

فغُشِيَ عليه[6].

قال الفُضَيلُ لبِشْرٍ: بلَغَني أنَّ الصِّراطَ مسيرةُ خمسةَ عشرَ ألفَ فرسخٍ، فانظر كيفَ تكونُ عليه[7].

---

(١) في (ف): «المكدوش».

(٢) كما في حديث أبي هريرة وحذيفة عند مسلم (١٩٥).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٢٩٥).

(٤) في (ت): «الغطا».

(٥) في (ت): «لظا».

(٦) القصة في ترجمة أسود بن سالم في «تاريخ بغداد» (٧/ ٤٩٩).

(٧) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله، وقد أورده أيضاً في «التخويف من النار» في الباب السادس والعشرين.

قال بعضُ السَّلَفِ: بلَغَنا أنَّ الصِّراطَ يكون على بعضِ النَّاسِ أدقَّ مِن الشَّعرِ، وعلى بعضِهم كالوادي الواسِعِ[1].

قال سهلٌ التُّسْتَرِيُّ: مَن دقَّ عليه الصِّراطُ في الدُّنيا عَرُضَ له في الآخرةِ، ومَن عَرُضَ له في الدُّنيا الصِّراطُ دقَّ عليه في الآخرةِ[2]، والمعنى: أنَّ مَن صبرَ نفسَه على الاستقامةِ على الصِّراطِ، ولم يُعرِّج عنه يَمنةً ويَسْرةً، ولا كشفَ شيئًا مِن السُّتورِ المُرخاةِ على جانبَيهِ ممَّا تهواهُ النُّفوسُ مِن الشَّهَواتِ أوِ الشُّبُهاتِ، بل سارَ على متنِ الصِّراطِ المُستقيمِ حتَّى أتى ربَّه، وصبرَ على دقَّةِ ذلك عَرُضَ له الصِّراطُ في الآخرةِ، ومَن وسَّعَ على نفسِه الصِّراطَ في الدُّنيا فلم يَستقِم على جادَّتِه بل كشفَ سُتورَه المُرخاةَ مِن جانبيهِ يَمنةً ويَسرةً، ودخلَ ممَّا شاءَتْ نفسُه مِن الشَّهواتِ والشُّبهاتِ دقَّ عليه الصِّراطُ في الآخرةِ، فكان عليه أدقَّ مِن الشَّعرِ:

أمَا آنَ يا صاحِ أن تَسْتفيقا ... وأن تتَناسى الهَوَى والفُسوقَا

وقد ضَحِكَ الشَّيبُ فاحزَنْ له ... وصارَ مَساؤُكَ فيهِ شُروقَا

ألا فازْجُرِ النَّفسَ عن غيِّهَا ... عساكَ تجوزُ الصِّراطَ الدَّقيقَا

ودونَ الصِّراطِ لنا مَوقِفٌ ... بهِ يَتناسى الصَّديقُ الصَّديقَا

فتُبصِرُ ما شئتَ كفًّا تُعَضُّ ... وعَيْنًا تَسِحُّ وقَلْباً خَفُوقَا

---

(١) قاله سعيد بن أبي هلال، أخرجه ابن المبارك في «الزهد (زيادات نعيم ص: ١٢٢)»، وابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٢٣).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ١٩٧).

إذا أطبقَتْ فوقَهُم لم تكُن لِتسمعَ إلَّا البُكَا والشَّهيقَا

شرَابُهمُ المهلُ في قعرِها يُقطِّعُ أوصالَهم والعُروقَا[1]

آخرُه.

* * *

والحمدُ للهِ وحدَه، وصلَّى اللهُ على سيِّدِنا وآلِه وصَحبِه وسلَّمَ تَسليماً كثيراً إلى يومِ الدِّينِ[2]

قال إبراهيمُ بنُ أدهمَ: كُلِ الحَلالَ وادعُ بما شئتَ[3].

وقال لرجلٍ: اعبُدِ اللهَ سِرًّا حتى تخرُجَ على النَّاسِ يومَ القيامةِ كمينًا[4]

[وقال: لو غسلتُ وجهي ما كنتُ إلا مرائياً[5].

وقال: ما صدق اللهَ عبدٌ أحبَّ الشهرةَ[6].

(١) أوردها ابن الجوزي في «التبصرة» (١/ ٤٤٠) في قصيدة أطول مما هنا، بفروق يسيرة.

(٢) لم يأت هذا في (ف).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٢٩٩).

(٤) أخرجه البيهقي في «الزهد الكبير» (٤٩٦)، وفي «شعب الإيمان» (٦٥٠٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٢٩٩). وهنا خرم في النسخة (ف).

(٥) أخرجه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٢٩٠) (٢٩٩٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٣٠٠).

(٦) أورده البخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ٣٦٣)، وأخرجه ابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (١٣٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٥٧٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٣١٧).

وقال أشدُّ الجهادِ جهادُ الهوى، مَنْ منعَ نفسَه هواها فقد استراحَ من الدنيا وبلاها، وكان محفوظاً معافىً من أذاها(١).

وقال: إنك إن أدمتَ النظر في مرآة المتوبة بان لك قُبْحُ شَيْن المعصية(٢).

وقال: أنا مشغول بثلاث: بالشكر للنعمة، والاستغفار للذنوب، والاستعداد للموت(٣)](٤).

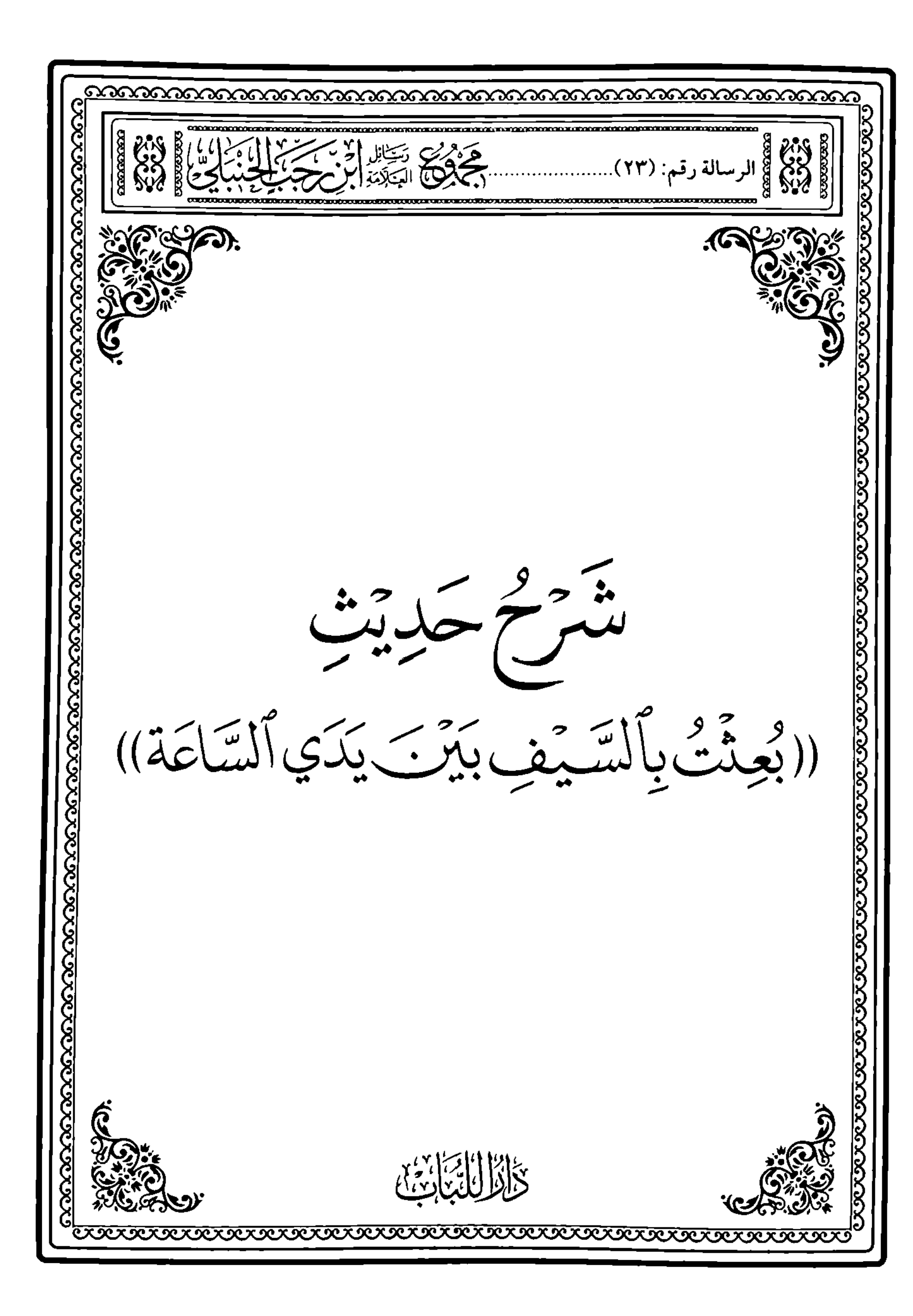
* * *

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٨)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٣٢٠).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التوبة» (٤٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٥٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٣٣٥).

(٣) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٣٥٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٢٩٢).

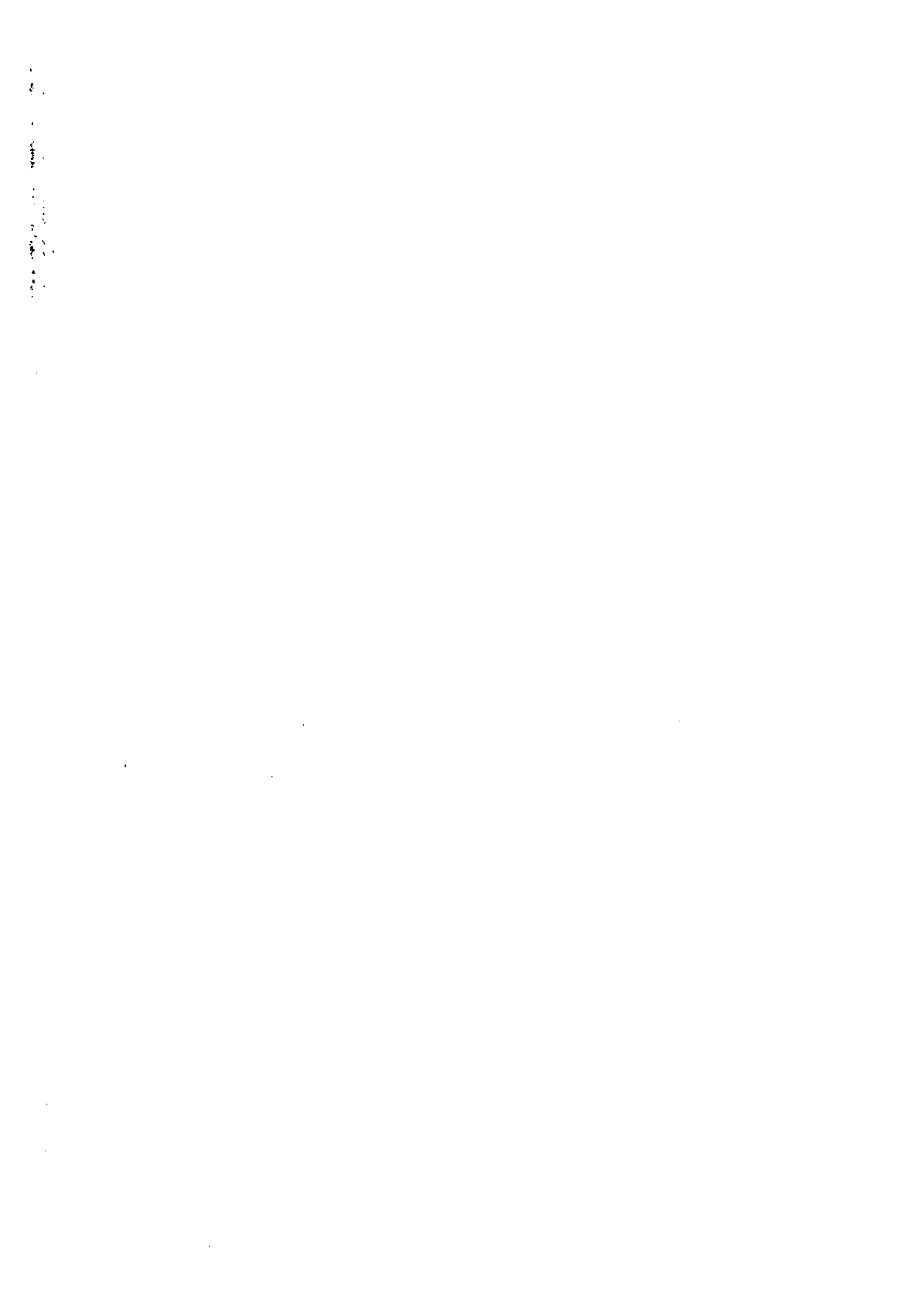
(٤) ما بين معقوفين من (ت)، وهو مخروم من النسخة (ف). وفي حاشية (ت): «بلغ مقابلة بحمد الله تعالى وعونه».





# شرح حديث
# ((بعثت بالسيف بين يدي الساعة))

دار اللباب



دار الكتب الوطنية بتونس (ت)

مكتبة الجامعة في القدس (د)

نسخة المسجد الأقصى المبارك (ق)

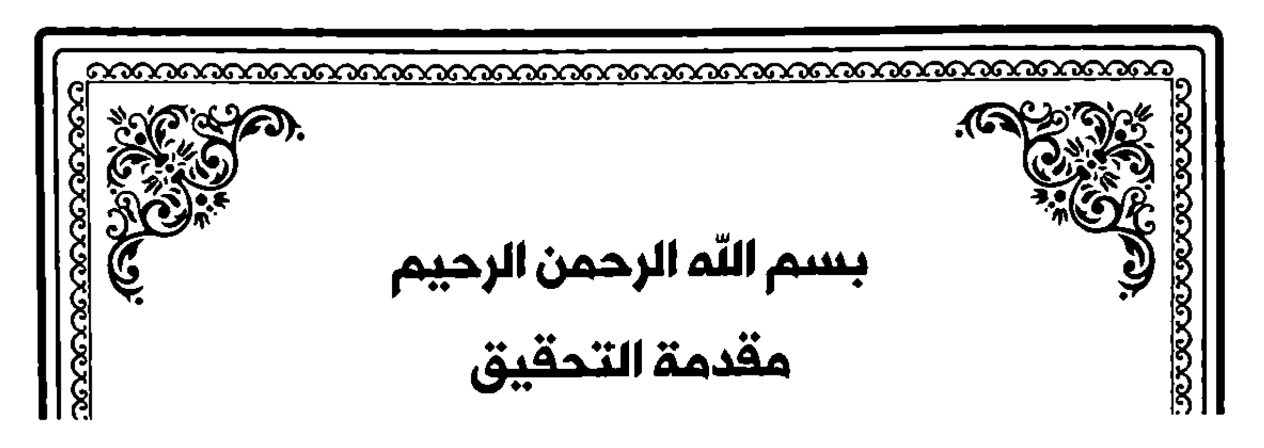
بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي وهو حسبي

فصل خرج الامام احمد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف امري ومن تشبه بقوم فهو منهم وخرج ابو داود اخره وهو قوله من تشبه بقوم فهو منهم. فقوله صلى الله عليه وسلم بعثت بالسيف يعني ان الله تعالى بعثه داعيا الى توحيده بالسيف بعد دعائه بالحجة فمن لم يستجب الى التوحيد بالقران والحجة والبيان دعي بالسيف. قال الله تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز. وفي الكتب السابقة وصف النبي صلى الله عليه وسلم وانه يبعث بقضيب الادب وهو السيف. وروي بعض احبار اليهود عند موته باسلامه وقال انه يسفك الدماء ويسبي الذراري والنسا فلا يمنعكم ذلك منه. وروي ان المسيح عليه السلام قال للحواريين في وصف النبي صلى الله عليه وسلم انه يقبل السيف فيدخلون في دينه طوعا وكرها. وانما امر صلى الله عليه وسلم بالسيف فقبل الهجرة كان صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت

واشراف

واشراف قريش قد اجتمعوا بالحجر فقالوا ما راينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قد سفه احلامنا وشتم اباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب الهتنا لقد صبرنا منه على امر عظيم فمر بهم النبي صلى الله عليه وسلم فغمزوه ببعض القول فعرف ذلك في وجهه صلى الله عليه وسلم ففعلوا ذلك به ثلاث مرات فوقف فقال اتسمعون يا معشر قريش اما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح فاخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل الا كانما على راسه طير واقع حتى ان اشدهم عليه قبل ذلك ليلقاه باحسن ما يجد من القول حتى انه ليقول انصرف يا ابا القاسم راشدا فوالله ما كنت جهولا. وقال محمد بن كعب بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ان ابا جهل يقول ان محمدا يزعم انكم ان تابعتموه كنتم ملوكا فاذا متم بعثتم بعد موتكم وكانت لكم جنان خير من جنان الاردن وانكم ان خالفتموه كان لكم منه ذبح ثم بعثتم بعد موتكم وكان لكم نار تعذبون بها فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم قوله فقال وانا اقول ذلك ان لهم مني لذبحا وانه لآخذهم. وقد امر الله بالقتال في مواضع كثيرة قال تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد وقال فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء. ولهذا

مكتبة الفاتح في اسطنبول (ف)



# بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي أيَّد القرآنَ بالسَّيفِ والسِّنان، ونصر الحجة والبرهان بوازع السلطان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث للعالمين رحمة بين يدي الساعة، بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فهدى الله به من الضلالة، وبصَّر به من العَمَاية، وأرشدَ به من الغَواية، وفتح به أعيناً عُمْيا، وآذاناً صُمّا، وقلوباً غُلْفا، فبلّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في سبيل الله حقَّ الجهاد، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم المعاد.

**أما بعد:**

ففي هذه الرسالة اللطيفة يشرح الإمام الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى واحداً من الأحاديث الشريفة التي تنص على مسائل من مُسَلَّمات دين الإسلام[1].

فقضية الجهاد في سبيل الله ـ وهو ذروة سنام الإسلام ـ التي ذُكرت في أول هذا الحديث الشريف: «**بعثت بالسيف بين يدي الساعة**»، وقضية التبعية السلوكية التي ذُكرت في آخر هذا الحديث الشريف: «**ومن تشبه بقوم فهو منهم**»: كلاهما من القضايا التي يدور حولها لغط كبير في الحياة الفكرية المعاصرة، التي أمسى

---

(١) ووُجد من سفهاء الكتَّاب من ينكر تلك المُسلَّمات ببذاءة وشناعة، ومنهم مَن خصَّ هذا الحديث الشريف بمقالة ملأها سباباً وشتاماً لعلماء المسلمين من رواة الحديث، ومن الفقهاء، وخصَّ المصنف رضي الله عنه بشيء مِنْ قبيح قالته. وحسبنا الله ونعم الوكيل!

ميزان القياس مُعَايَراً على وفق ما تفرضه سلطة الثقافة الغربية التي غلبت على حكم العالم.

وقد أعمل الغربيون ووكلاؤهم خلال عقود زادت على قرن آلاتهم العسكرية القتالية، التي أوغلت في دماء المسلمين تسفكها، وفي أرواحهم تقتلها، رجالِهم، ونسائِهم، وأطفالِهم، قصفاً وتفجيراً، وقتلاً وجرحاً وتهجيراً.

في الوقت نفسه الذي كانت آلاتهم الثقافية والفكرية تعمل في عقول المسلمين وأفكارهم وآرائهم في التنفير من مفردات: الجهاد، والسيف، والسنان، والقتال، والجزية،...

وهذه المفردات لم تُستعمل في الإسلام إلا لتكون كلمة الله هي العليا!!

فوقع كثير ممن يُشار إليهم بالبنان من فضلاء الكُتَّاب والمفكرين ـ بل بعضُ من لهم في الفقه باعٌ لا يُنكر ـ في الانزلاق إلى القول: إن الجهاد في الإسلام ما هو إلا عبارة عن حرب دفاعية يقوم بها المسلمون في حال اعتدى عليهم أعداؤهم أو خططوا لاعتداء متوقع!

متناسين أن غاية المسلمين من جهادهم «حتى يعبد الله وحده لا شريك له»، وأن تكون «كلمة الله هي العليا»، وأن يُخرجوا العباد من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد.

* * *

لم يكن فهم الجهاد خلال تاريخ يمتد أربعة عشر قرناً موضوع اختلاف أو اجتهاد، حتى دُهي العالم الإسلامي بداهيةِ استعلاء ثقافة الأعداء، فرَمَتْ الإسلامَ بدائها ثم انسَلَّتْ.

فزعموا أن الإسلام قد انتشر بالسيف!

فاستنفر فريق من الغُيُرِ على الإسلام يردُّون هذه التهمة، وكان الأَولى بها الغربيون وثقافتهم.

**نعم لقد انتشر الإسلام سياسياً وجغرافياً بالسيف**، وما كان لكسرى ولا لقيصر أن ينزلا عن عرشهما إلا بالسيف.

**لكن الإسلام عَقَدياً وثقافياً واجتماعياً لم ينتشر بالسيف**، والدليل على ذلك: نصارى الشام والعراق ومصر ما زالوا آمنين في بلدانهم منذ صدر الإسلام إلى اليوم لم يجبرهم أحد على ترك دينهم والدخول في الإسلام، ولو كان الأمرُ كما يُفترى لَما كان في حواضر الإسلام دمشق وبغداد والقاهرة في الشام والعراق ومصر أحد على غير دين الإسلام.

إن الخلط بين هاتين الحقيقتين في انتشار الإسلام بالسيف ـ بنفيهما معاً أو إثباتهما معاً، فذلك ظلم وحيف ـ أدى إلى تشوهات فكرية كثيرة عشعشت في أذهان كثير من الخاصة فضلاً عن العامة! والحكم على الشيء فرع عن تصوره، وإذا كان التصور غير واضح فالحكم الناتج منه بعيد عن الحق.

أما الاستدلالات الفقهية التي أتى بها بعضهم ليثبت تلك المقالة في كون الجهاد في الإسلام حرباً دفاعية فهي مغالطة من بابها إلى محرابها، منشؤها رسالة تنسب لابن تيمية رحمه الله تعرف بـ«رسالة القتال»، وقع فيها لبس بين القتل والقتال، والتباس بين الجزئيات والكليات.

والخلاصة: موضوع الرسالة: ما هي العلةُ في قتل كافر في أثناء الحرب أهي كونه كافراً أم كونه مقاتلاً؟ وذكرَ مذهب الجمهور ـ ناصراً له ـ أنه لكونه مقاتلاً، ومذهب الشافعي أنه لكونه كافراً!

وهي مسألة من فروع أبواب الجهاد نقلها العلامة محمد أبو زهرة رحمه الله في كتابه عن «ابن تيمية» إلى منحى آخر، فنَقَلَها من (القتل) إلى (القتال)، ومن الفروع الجزئية إلى الأصول الكلية، وجعلها كلاماً على أصل شرعية القتال وما الباعث عليه.

وعنه تلقفها تلميذه الدكتور وهبة الزحيلي رحمه الله في كتابه «آثار الحرب في الفقه الإسلامي»، ثم جاء من أَخَذَ عنهم ذلك الفهمَ، فعبَّر عنه بـ(علة الجهاد)[1]!!

***

ودونك أخي القارئ هذه الرسالة يقرر فيها الحافظ ابن رجب رحمه الله ما يقرره جميع علماء المسلمين دون اختلاف بينهم، فاعتصم بحبل ذلك الاتفاق قبل أن تظهر عُقد النقص والافتراق، والله هو الموفق للصواب.

***

ذكر هذه الرسالة للمصنف رحمه الله: ابن عبد الهادي في «الجوهر المنضد» (ص: ٥٠)، وسماها: «شرح حديث نصرت بالسيف».

ورواها الروداني في «صلة الخلف» (ص: ٢٧٦)، وسماها: «شرح حديث بعثت بالسيف بين يدي الساعة».

---

(١) وتفصيل نقض ذلك كله في كتابي «نصر الجهادين بقهر العدوين» طبع بدمشق ١٤٢١.

واعتمدت في إخراجها على عدة نسخ خطية:

**١ـ النسخة الأولى: النسخة التونسية، ورمزها (ت).**

وهي الرسالة الأولى من المجموع (١٥٧)، وتقع في (١٠) لوحات (من ٢/ أ إلى ١١/ ب)، عنوانها: «شرح حديث بعثت بالسيف».

لم يذكر اسم الناسخ، لكن تاريخ نسخ إحدى رسائل المجموع سنة ٨٥٢هـ. وجاء في آخر هذه الرسالة قيد مقابلة مؤرخ بـ ١٣ المحرم سنة ٨٥٣.

**٢ـ النسخة الثانية: النسخة المقدسية، ورمزها (د).**

وهي في ضمن مجموع بالجامعة في القدس، وهي الرسالة الأولى من رسائل ابن رجب فيه، وتقع في (١٦) لوحة (من ٩٣/ أ إلى ١٠٨/ أ)، وليس في أولها عنوان.

ناسخها: إبراهيم بن علي بن أحمد بن بريد الديري القادري، ويرجع تاريخ نسخ بعض رسائل المجموع إلى ما بين سِنِي ٨٥٥ ـ ٨٦١.

**٣ـ النسخة الثالثة: نسخة المسجد الأقصى المبارك، ورمزها (ق).**

وهي الرسالة الأولى من المجموع (١٤٦)، وتقع في (١٥) لوحة (من ٢/ أ إلى ١٦/ ب) عنوانها: «شرح حديث بعثت بالسيف».

لم يُذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، لكنها من خطوط القرن التاسع الهجري.

**٤ ـ النسخة الرابعة: نسخة مكتبة الفاتح باصطنبول، ورمزها (ف).**

وهي الرسالة الأولى من المجموع (٥٣١٨)، وتقع في (١٧) لوحة (من ٢/ أ إلى ١٧/ أ)، عنوانها: «الكتاب الأول بعثت بالسيف»، وفيها أسقاط كثيرة.

ناسخها: عيسى بن علي بن محمد الحوراني الشافعي، وتاريخ نسخ المجموع: ٨٩٣هـ.

**٥ ـ النسخة الخامسة: نسخة مكتبة الرياض العامة السعودية، ورمزها (س):**

وهي الرسالة التاسعة من المجموع (٥٢٧/ ٨٦)، وتقع في (١٠) لوحات (من ١٢٤/ ب إلى ١٣٤/ أ)، عنوانها: «شرح حديث بعثت بالسيف بين يدي الساعة».

وهي ملفقة بخطّين في ورقة واحدة، ونصفها الثاني كأنه بخط الربيعي، ناسخ المجموع المشهور به من رسائل ابن رجب.

ولم أقابل بها لتأخرها.

*** تنبيه:**

عنوان الرسالة في (ت) و(ق) و(ف): «شرح حديث بعثت بالسيف»، وعنوانها في (س) و«صلة الخلف»: «شرح حديث بعثت بالسيف بين يدي الساعة» وهو الذي أثبتناه.

وقد وقع في النسخ المطبوعة سابقاً، وقد زادت على سَبعٍ: «الحِكَمُ الجديرةُ بالإذاعة من قول النبي ﷺ بعثت بالسيف بين يدي الساعة»، وكل تلك الطبعات معتمدة على أقدمها، وهي طبعة مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٩، ضمن مجموع سُمي (من دفائن الكنوز) وقف على طبعه محمد حامد الفقي، اعتمد على نسخة متأخرة كتبت سنة ١٢٩٩ ـ وكأن (س) نُسخت عنها أيضاً ـ وفي مقال للشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله نُشِر في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق بعنوان: «حول ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب» ذكر هذه الرسالة باسم «الحكم الجديرة

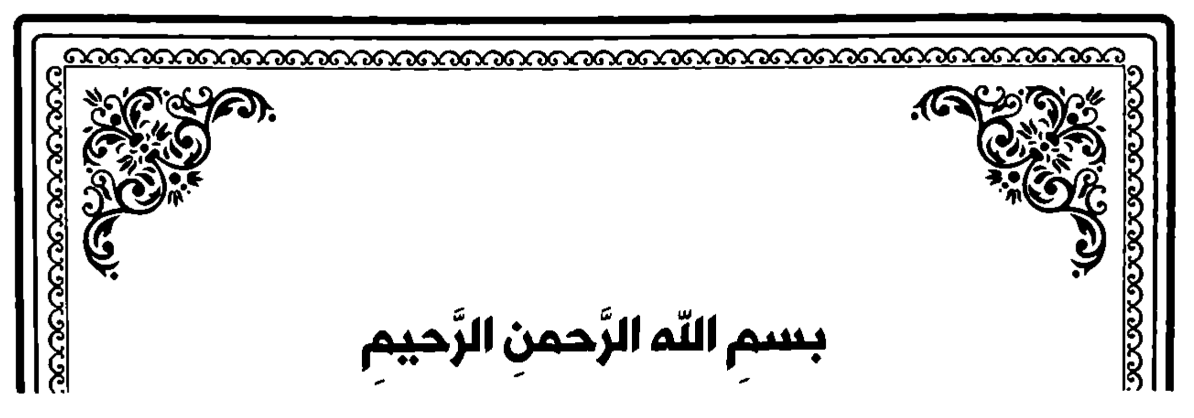
بالإذاعة...» ثم قال: «وأظن هذا الاسم من صنيع ناشره حامد الفقي»، **وهو كما قال**، فهذا الاسم لم يرد في كتب التراجم، ولم يرد في شيء من المخطوطات التي وقفنا عليها. والله تعالى أعلم.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

**محمد مجير الخطيب الحسني**

* * *



بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

قال الشيخُ الإمامُ الحافظُ المحققُ الحجَّةُ، زينُ الدين عبد الرحمن ابن رجب الحنبلي البغدادي رحمه الله تعالى ورضي عنه. آمين[1]:

## فصلٌ

**خرَّجَ الإمامُ أحمدُ رضي الله عنه[2] مِن حديثِ ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «بُعِثتُ بالسَّيفِ بين يدَي السَّاعةِ[3] حتى يُعبَدَ اللهُ وحدَه لا شريكَ له،**

---

(١) بعد البسملة في (ت) و(ق): «رب يسر وأعن» وفي (ف): «وبه ثقتي، وهو حسبي» وفي (س): «وبه نستعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فهدى به من الضلالة، وبصر به من العمى، وأرشد به من الغيّ، وفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً». والمثبت من (د).

(٢) «رضي الله عنه» من (ق). وفي حاشية (ف): «مطلب، من أهم المهمات: غزوات».

(٣) الصواب في هذا الحديث: «بعثت بين يدي الساعة بالسيف» كذلك جاء من كل طرقه التي سنذكرها، ولم يرد هذا اللفظ: «بعثت بالسيف بين يدي الساعة» إلا من حديث الأوزاعي، وليس هو في مسند =

وجُعِلَ رِزقِي تحت ظِلِّ رُمحي، وجُعِلَ الذِّلَّةُ والصَّغارُ على مَن خالفَ أمري، ومَن تشبَّهَ بقومٍ فهو مِنهم».

وخَرَّجَ أبو داود آخره، وهو قوله: «من تَشَبَّه بقوم فهو منهم»[1].

---

= أحمد. ولعل ذلك آت من الاعتماد على الحفظ دون الكتاب من الأئمة الذين لهجوا بهذا الحديث في كتبهم وتواردوا عليه بهذا اللفظ: «بعثت بالسيف بين يدي الساعة»: ابن تيمية وابن القيم وابن كثير وابن رجب رحمهم الله تعالى، وقع ذلك في مواطن كثيرة من كلامهم.

وسقطت «بين يدي الساعة» من إحدى روايات المسند كما سيأتي.

(١) مدار حديث ابن عمر هذا على حسان بن عطية، وهو من ثقات التابعين، روى له الستة، روى هذا الحديث عن أبي المنيب الجرشي الدمشقي، وهو أيضاً من ثقات التابعين، ولم يتكلم فيه أحد ـ إلا التباساً. انظر «ذيل الميزان» للعراقي (ص: ٢١٩) ـ روى هذا الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما.

ورواه عن حسان بن عطية:

١ ـ عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان العَنْسي، وهو عَدْل في دينه، تُكلِّم في ضبط حديثه، واختلفوا فيه لذلك. رواه عنه:

ـ محمد بن يزيد الواسطي، أخرجه الإمام أحمد (٥١١٤)، وأبو يعلى (كما في إتحاف الخيرة ٢/ ٤٥٣٤) وسقطت لفظة: «بين يدي الساعة» من مسند أحمد.

ـ أبو النضر هاشم بن القاسم، أخرجه الإمام أحمد (٥١١٥) (٥٦٦٧)، وأبو بكر بن أبي شيبة (١٩٧٤٧) (٣٣٦٨٧)، وأبو داود (٤٠٢٧) بآخر جملة منه فحسب، وأبو يعلى (ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٦٧/ ٢٥٨)، والبيهقي في «الشعب» (١١٥٤)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ١٤٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٧/ ٢٥٨)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٥٠٩) وابن حجر في «تغليق التعليق» (٣/ ٤٤٦).

ـ محمد بن يوسف الفريابي، أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢١٦)، وابن الأعرابي في «معجمه» (١١٣٧) ومن طريقه: البيهقي في «الشعب» (١١٥٤)، وأخرجه تمام في «فوائده» (٧٧٠)، ومن طريقه ابن عساكر (٦٧/ ٢٥٧)، وأخرجه الهروي في «ذم الكلام» (٤٦٧)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ٢١٨ طبعة بشار)، وابن عساكر (٦٧/ ٢٥٧). =

= ـ سليمان بن داود الطيالسي، أخرجه عبد بن حميد (المنتخب ٨٤٨)، وابن حجر في «تغليق التعليق» (٣/ ٤٤٦).

ـ موسى بن داود الضبي، أخرجه عبد بن حميد ومن طريقه ابن حجر في «تغليق التعليق» (٣/ ٤٤٦).

ـ غسان بن الربيع، أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٤١٠٩)، و«مسند الشاميين» (٢١٦)، والدينوري في «المجالسة» (١٤٧).

ـ علي بن عياش الحمصي، أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢١٦)، ومحمد بن يونس المقرئ في جزء فيه تفسير القرآن برواية أبي جعفر الترمذي (٣٩٧)، والهروي في «ذم الكلام» (٤٦٧).

٢ ـ ورواه أيضاً: الإمام الأوزاعي:

أخرجه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢٣١)، وابن حذلم في «جزء من حديث الأوزاعي» (٣١).

من طرق عن الوليد بن مسلم قال: حدثنا الأوزاعي عن حسان بن عطية، به.

لكن:

رواه الأكابر عن الأوزاعي، فقالوا: عن الأوزاعي، عن سعيد بن جَبَلَةَ، عن طاوس، عن النبي ﷺ.

رواه الأوزاعي في الجهاد (١٠٥) بتمامه، ومن طريقه القضاعي في «مسند الشهاب» (٣٩٠) بآخره فحسب.

ورواه سفيان الثوري، وعنه وكيع، أخرجه ابن أبي شيبة (٣٣٦٨٢).

ورواه عيسى بن يونس، أخرجه ابن أبي شيبة (٣٣٦٨١) (١٩٧٨٣).

وخالفهم: صدقة بن عبد الله السمين، فرواه عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً. أخرجه البزار (٨٦٠٦) بتمامه: دون ذكر السيف والساعة. وقال: «وهذا الحديث قد خولف صدقة في إسناده، فرواه غيره عن الأوزاعي بغير هذا الإسناد مرسلاً، ولم يتابع صدقة على روايته هذه عن الأوزاعي بهذا الإسناد».

وأخرجه الهروي في «ذم الكلام» (٤٦٥)، ومن طريقه: الذهبي في «السير» (١٦/ ٢٤٢).

**وهذه الرواية خطأ، مُعَلَّة لا يصلح أن تقوي ولا أن تتقوى.**

نقل أبو حاتم عن دُحَيم: «هذا الحديث ليس بشيء، الحديث حديث الأوزاعي، عن سعيد بن جَبَلَة، =

= عن طاوس عن النبي ﷺ» ذكره ابن أبي حاتم في «العلل» (٩٥٦).

وقال الدارقطني في «العلل» (١٧٥٤) وقد سئل عن حديث أبي هريرة: «يرويه الأوزاعي، واختلف عنه، فرواه صدقة بن عبد الله السمين، وهو ضعيف، عن الأوزاعي، عن يحيى، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة.

وخالفه الوليد بن مسلم، رواه عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية، عن أبي المنيب الجرشي، عن ابن عمر، وهو الصحيح».

**فتلخص من هذا**: ثبوت الحديث عن الأوزاعي وأنه حَدَّث به، مرسلاً من حديث طاوس وموصولاً من حديث ابن عمر، وأن حديث أبي هريرة خطأ.

وصَوَّب دحيم مرسل طاوس، وصوَّب الدارقطني حديث ابن عمر. فينتج أنهما محفوظان عن الأوزاعي، وهذا كله يقوِّي رواية عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، وأنه مما حفظه وليس مما ينكر عليه تفرده به.

**ولحديث ابن عمر هذا شواهد، هو أمثلُ منها، فلا نطيل بتتبعها.**

ويكفيه موافقة كتاب الله جل جلاله:

قال جل جلاله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

وقال سبحانه: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤].

وقال عز من قائل: ﴿قَٰتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

وقد احتج به أهل العلم في كلامهم فذكر الإمام محمد بن الحسن الشيباني مرسل طاوس في «السير الكبير» (١/ ١٦ مع شرحه للسرخسي)، واحتج به الإمام أحمد بن حنبل.

وعلّق البخاري في «صحيحه» طرفاً منه قبل الحديث (٢٩١٤)، فقال: باب ما قيل في اتخاذ الرماح، ويذكر عن ابن عمر عن النبي ﷺ: «جعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري». =

= وقال ابن تيمية رحمه الله في «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٢٦٩): «إسناد جيد»، وقال الذهبي رحمه الله في «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٥٠٩): «إسناده صالح».

وقال العراقي رحمه الله تعالى في «تخريج أحاديث الإحياء» (كتاب آداب الكسب والمعاش): «إسناده صحيح»، وحسَّن ابن حجر رحمه الله مرسل طاوس في «فتح الباري» (قبل شرح حديث ٢٩١٤)، وفي «تغليق التعليق» (٢٩١٣).

**أما قول الشيخ شعيب الأرنؤوط رحمه الله:** «وكيف يُبعث ﷺ بالسيف، والله يقول في وصفه في محكم كتابه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]...» فغريبٌ من مثله، عجيبٌ في مغالطته!

ولأجل ذلك ضعَّف الحديث في «سنن أبي داود» (٤٠٣١ من طبعته)، وفي تعليقه على «المسند» (٥١١٤) وأنكره على عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، ونقل عن أحمد أن له أحاديث منكرة، لكنه أتبع ذلك بقوله: «وهذا منها»! وهذا غير سديد يُفهم منه إدراج ذلك فيما نقلَ عن أحمد مع أن الإمام أحمد قد احتج بهذا الحديث، ثم كرَّ على حديث الأوزاعي فأعله بثلاث علل لا تنهض منها واحدة، بل هي مردودة غير عائدة، بعد أن حكم على إسناد عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، بالحُسْن، وقوى حديث الأوزاعي! في تعليقه على «شرح مشكل الآثار» (٢٣١) وتلك العلل:

١ـ تفرد الوليد بن مسلم بروايته عن الأوزاعي عن حسان، وأن الوليد مدلس فلعله سوّاه وأسقط عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان بين الأوزاعي وحسان! فيرجع الحديث إلى عبد الرحمن بن ثابت!.

قلت: الوليد ثقة وصرح بالتحديث، وليس من شأن الأوزاعي أن يروي عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، ولو كان قد لقيه! ولم أظفر بحديث واحد فيه رواية الأوزاعي عن عبد الرحمن، وإنما كتب له ناصحاً في مسألة القَدَر!

٢ـ توهيم شيخ الطحاوي، وهذا لا معنى له بعد ثبوت الحديث من طرق عن الوليد بن مسلم كما سبق.

٣ـ الحكم على الروايات عن الأوزاعي بالاضطراب، وقد تقدم بيان راجحها من مرجوحها وأنه محفوظ عنه من وجهين، والثالث منها خطأ، فلا يسمى هذا اضطراباً.

**والخلاصة: أن هذا الحديث ثابت، وأن معناه غير منكر، والله تعالى أعلم.**

فقوله ﷺ: «بُعثت بالسيف» يعني أنَّ اللهَ تعالى بعثَه داعياً إلى توحيدِه بالسَّيفِ، بعدَ دُعائِه بالحُجَّةِ، فمَن لم يستجِب إلى التَّوحيدِ بالقرآنِ والحجَّةِ والبيانِ دُعِيَ بالسَّيفِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

وفي الكتبِ السَّابقةِ وُصِفَ النَّبيُّ ﷺ، وأنَّه يُبعَثُ بقضيبِ الأدبِ[١]، وهو السَّيفُ.

ووصَّى بعضُ أحبارِ اليَهودِ عند موتِه باتِّباعِه، وقال: إنَّه يسفكُ الدِّماءَ ويَسبي الذَّراريَ والنِّساءَ فلا يمنَعْكُم ذلك منه[٢].

ورُوِيَ أنَّ المسيحَ عليه السَّلامُ قال لبني إسرائيلَ في وصفِ النَّبيِّ ﷺ: إنَّه يسلُّ السَّيفَ، فيَدخلونَ في دينِه طَوْعاً وكَرْهاً[٣].

وإنَّما أُمِرَ[٤] ﷺ بالسَّيفِ بعدَ الهجرةِ، لَمَّا[٥] صارَ له دارٌ وأتباعٌ وقوَّةٌ ومَنعةٌ، وقد كان يتهدَّدُ أعداءَه بالسَّيفِ قبلَ الهجرةِ.

كان ﷺ يطوفُ بالبيتِ، وأشرافُ قُرَيشٍ قدِ اجتمَعوا بالحِجْرِ، وقالوا: ما رأينا

---

(١) ذكره ابن تيمية رحمه الله في رسالته «القبرصية» (ضمن مجموع الفتاوى ٢٨/ ٦١٥)، وابن القيم في «أحكام أهل الذمة» (٢/ ٣٩٥).

(٢) وهو ابن الهيِّبان. والخبر أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ١١٤).

(٣) ذكره أيضاً ابن ناصر الدين الدمشقي في «جامع الآثار في مولد النبي المختار» (١/ ١٢٢)، وذكر أنه في «إنجيل يوحنا» الذي كتبه بالرومية.

(٤) في المطبوعات: «أُمِرَ النبيُّ ﷺ».

(٥) في (د): «ولما».

مثلَ ما صبَرْنا عليه مِن هذا الرَّجُلِ، قد سفَّهَ أحلامَنا[(١)] وشتَمَ آباءَنا، وعابَ دينَنا، وفرَّقَ جَماعتَنا، وسبَّ آلهتَنا، لقد صبَرنا منه على أمرٍ عظيمٍ، فلمَّا مرَّ بهم النَّبيُّ ﷺ غمَزُوهُ ببَعضِ القولِ، فعُرِفَ ذلك في وَجهِه ﷺ، فعَلُوا ذلك بهِ ثلاثَ مرَّاتٍ، فوقفَ، فقالَ: «أتسمعونَ يا معشرَ قُرَيشٍ! أمَا والذي نفسُ محمَّدٍ بيَدِه، لقد جِئتُكم بالذَّبحِ»، فأخذَتِ القومَ كلمتُه حتَّى ما فيهم رجُلٌ إلَّا كأنَّما على رأسِه طيرٌ واقعٌ، وحتَّى أنَّ أشَدَّهم عليه قبلَ ذلك لَيلقاهُ بأحسنِ ما يجِدُ مِن القولِ حتَّى إنَّه لَيقولُ: انصرِفْ يا أبا القاسمِ راشِداً فواللهِ ما كنتَ جَهولاً[(٢)].

وقال محمَّدُ بنُ كعبٍ: بلغَ النَّبيَّ ﷺ أنَّ أبا جهلٍ يقولُ: إنَّ محمَّداً يزعمُ أنَّكم إن تابعْتُموهُ عِشتُم مُلوكاً، فإذا مِتُّم بُعِثتُم بعد موتِكم، وكانت لكم جنَّاتٌ خيرٌ مِن جِنانِ الأُردُنِّ، وأنَّكم إن خالَفْتموهُ كان لكم منهُ ذبحٌ، ثمَّ بُعِثتُم بعدَ موتِكُم، وكان لكم نارٌ تُعذَّبونَ بها، فبلغَ النَّبيَّ ﷺ قولُه، فقالَ: «وأنا أقولُ ذلك، إنَّ لهم مني لَذَبحاً، وإنَّه لَأحدُهُم»[(٣)].

وقد أمرَه[(٤)] اللهُ تعالى بالقتالِ في مواضعَ كثيرةٍ، قالَ تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة: ٥][(٥)]،

---

(١) في حاشية (ف): «السفه: ضد الحِلْم».

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٧٠٣٦) مطولًا، وأخرج البخاري طرفاً منه، وأشار إلى متابعة الطريق التي أخرجها الإمام أحمد لما رواه (٣٨٥٦) وليس عند البخاري محل الشاهد.

(٣) في (د): «جنات الأردن»، والخبر من «سيرة ابن إسحاق»، وهو في «سيرة ابن هشام» (٢/ ٣٠٩ مع الروض الأنف).

(٤) في المطبوعات: «أمر»!

(٥) جاء في نسخنا الخطية: «اقتلوا».

وقال ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤]، ولهذا عُوتِبوا على أخذِ الفِداءِ مِنهم في أوَّلِ قتالٍ قاتَلوه يومَ بدرٍ، ونزَلَ قولُه تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن تكونَ[1] لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧] وكانوا قد أشاروا على النَّبيِّ ﷺ بأخذِ الفِداءِ مِن الأسارَى[2] وإطلاقِهم[3].

قال ابنُ عيينةَ[4]: أُرسِلَ محمَّدٌ ﷺ بأربعةِ سيوفٍ: سيفٍ على المشركينَ مِن العرَبِ حتَّى يُسلِمُوا، وسيفٍ على المشركينَ مِن غيرِهم حتَّى يُسلِمُوا أو يُسترَقُّوا أو يُفادَى بهم، وسيفٍ على أهلِ الكتابِ حتَّى يُعطوا الجِزيةَ، وسيفٍ على أهلِ القبلةِ مِن أهلِ البغيِ[5].

---

(١) هذه على قراءة أبي عمرو، وقراءة حفص: «يكون».

(٢) في (د): «الأسرى».

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٢٠٨) (٢٢١)، ومسلم (١٧٦٣) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٤) تصحفت في (د) إلى: قتيبة!

(٥) لم أجد هذا السياق الذي أورده المصنف رحمه الله عن ابن عيينة.

وإنما أخرج ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٩٠) نحوه عن ابن عيينة، وذكرَ السيوفَ الأربعة، وقال: «نزل بها القرآن، ومضت بها السنة، وأجمعت عليها الأمة:

- سيف لمشركي العرب على يدي رسول الله ﷺ، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦].

- وسيف لأهل الردة على يدي أبي بكر رضي الله عنه، وهو قوله: ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [الفتح: ١٦].

- وسيف لأهل الكتاب على يدي عمر رضي الله عنه، ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

=

وفيما ذكرَه نزاعٌ بين العُلَماءِ، فإنَّ منهم مَن يُجيزُ المفاداةَ والاستِرقاقَ في العرَبِ وغيرهم[1]، وكذلك مِنهم مَن يُجيزُ أخذَ الجِزيةِ مِن الكفَّارِ جميعِهم[2].

---

= ـ وسيف في أهل الصلاة على يد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩]، ولولا علي ما عُرِف قتال أهل القبلة». انتهى.

ـ وذكره السرخسي في «المبسوط» (١٠/ ٣) و«شرح السير الكبير» (١/ ١٦) وزاد ذكرَ المجوس فيمن قاتلهم عمر رضي الله عنه، وذكرَ المارقين والناكثينَ والقاسطين فيمن قاتلهم علي رضي الله عنه.

وقد أخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩٢٥٤) عن سفيان بن عيينة: قال علي بن أبي طالب: «بُعِثَ النبي ﷺ بأربعة أسياف:

سيف في المشركين من العرب، قال الله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]».

هكذا علقه سفيان عن علي رضي الله عنه دون أن يسنده إليه، ولم يذكر السيوف الثلاثة الباقية.

ونقله ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ١١٣) كذلك، ثم قال: «هكذا رواه مختصراً، وأظن أن السيف الثاني هو قتال أهل الكتاب في قوله: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ الآية [التوبة: ٢٩]، والسيف الثالث: قتال المنافقين في قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣، والتحريم: ٩]، والرابع: قتال الباغين في قوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟...﴾ الآية [الحجرات: ٩]. انتهى.

وهو الذي ذكره المصنف ابن رجب رحمه الله بعد هذا.

(١) جواز استرقاق العرب هو قول الجمهور: المالكية والشافعية والحنابلة، ومنع منه الحنفية والشافعي في القديم، وهو الموافق لما قال ابن عيينة. انظر: «التبصرة» للَّخمي (٣/ ١٤٤٩)، و«شرح النووي على مسلم» (١٢/ ٣٦)، و«كتاب الروايتين والوجهين» لأبي يعلى (٢/ ٣٥٦)، و«الاختيار لتعليل المختار» للموصلي (٤/ ١٣٧).

(٢) تؤخذ الجزية من جميع الكفار عند المالكية، وعند الحنفية تؤخذ من الجميع إلا من مشركي العرب ومجوسهم، وعند الشافعية والحنابلة لا تُقبل الجزية إلا من أهل الكتاب ومعهم المجوس، ولا تقبل من غيرهم. =

والذي يظهرُ أنَّ في القرآنِ ذكرَ أربعةِ سُيوفٍ:

سيفٌ على المُشركينَ حتَّى يُسلِموا، أو إن أُسِرُوا فإمَّا مَنًّا بعدُ وإمَّا فِداءً.

وسيفٌ على المنافقينَ وهو سيفُ[1] الزَّنادقةِ، وقد أمرَ اللهُ بجِهادِهم والإغلاظِ عليهم في سورةِ براءةَ وسورةِ التَّحريمِ وآخرِ سورةِ الأحزابِ[2].

وسيفٌ على أهلِ الكتابِ حتى يُعطوا الجِزيةَ.

وسيفٌ على أهلِ البغيِ، وهو المذكورُ في سورةِ الحجُراتِ[3]. ولم يسلَّ ﷺ هذا السَّيفَ في حياتِه، وإنَّما سلَّهُ عليٌّ رضيَ اللهُ عنه في خلافتِه، وكان عليٌّ رضي الله عنه يقولُ: أنا الذي علَّمْتُ النَّاسَ قِتالَ أهلِ القبلةِ[4].

---

= انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبي (٣/ ٥١٥)، و«الاختيار لتعليل المختار» للموصلي (٤/ ١٣٧)، و«البيان» للعمراني (١٢/ ٢٤٩)، و«المغني» لابن قدامة (١٣/ ٢٠٣).

(١) في (ق): «المنافقين وهم الزنادقة».

(٢) سورة براءة (التوبة) الآية ٧٣، سورة التحريم الآية ٩، سورة الأحزاب الآية ٦٠ ـ ٦١.

(٣) سورة الحجرات: ٩.

(٤) قال علي رضي الله عنه: «أرأيتم لو أني غبت عن الناس، من كان يسير فيهم بهذه السيرة؟» أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١٨٥٩٣).

ومن كلام سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما: «لولا علي بن أبي طالب لم يعلم الناس كيف يقاتلون أهل القبلة» ذكره ابن بطال في «شرح البخاري» (١٠/ ١٧)، وقال إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «إن أول من علَّم قتال أهل القبلة علي بن أبي طالب» ذكره اليعقوبي في «تاريخه» (٢/ ٣٨٣).

وقال ابن عيينة رحمه الله: «ولولا علي ما عُرِف قتال أهل القبلة». أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٩٠).

وهذا منقول أيضاً عن الأئمة أبي حنيفة والشافعي وأحمد رحمهم الله تعالى. =

وله ﷺ سيوفٌ أُخَرُ.

منها: سيفُه على أهلِ الرِّدَّةِ، وهو الذي قالَ: «مَن بدَّلَ دينَه فاقتُلوهُ»[1]، وقد سلَّه أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رضيَ اللهُ عنه مِن بعدِه في خلافتِه على مَن ارتَدَّ مِن قبائلِ العرَبِ.

ومنها: سيفُه على المارقينَ، وهم أهلُ البِدَعِ الخوارج[2]، وقد ثبتَ عنه الأمرُ بقتالِهم مع اختلافِ العُلَماءِ في كُفرِهم، وقد قاتلَهم عليٌّ رضيَ اللهُ عنه في خلافتِه مع قولِه: إنَّهم ليسوا بكفَّارٍ[3].

وقد رُوِيَ عن عليٍّ رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ أمره بقتالِ المارقينَ والنَّاكثينَ والقاسِطينَ[4]، وقد حَرَّقَ عليٌّ رضي الله عنه طائفةً مِن الزَّنادقةِ، فصوَّبَ ابنُ عبَّاسٍ

---

= انظر: «درج الدرر في تفسير الآي والسور» للجرجاني (٤/ ١٥٦٠)، و«الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار» للعمراني (٣/ ٨٩٩)، و«مناقب الشافعي» للبيهقي (١/ ٤٥١).

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٨٧١)، (٢٥٥١ ـ ٢٥٥٢)، والبخاري (٣٠١٧) (٦٩٢٢) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (ق): «والخوارج». وفي المطبوعات: «كالخوارج» وبدون الكاف يكون المعنى أوفق.

(٣) كفر الخوارج من المسائل الصعبة، قال فيها المازري رحمه الله «وقد كادت هذه المسألة تكون أشد إشكالاً عند المتكلمين من سائر المسائل» كما في «المعلم بفوائد مسلم» (٢/ ٣٦).
وقد سُئِل عليٌّ رضي الله عنه: أكفارٌ هم؟! قال: من الكفر فرُّوا. أخرجه عبد الرزاق (١٨٦٥٦)، وابن أبي شيبة (٣٩٠٩٧) بنحوه، ولفظه: «من الشرك فروا».

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٩٠٧)، والبزار (٦٠٤) (٧٧٤)، والطبراني في «الأوسط» (٨٤٣٣) من حديث علي رضي الله عنه.
وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠٠٥٣) (١٠٠٥٤)، والأوسط (٩٤٣٤)، والخطيب في «تالي التلخيص» (٢٣٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه في قضية علي رضي الله عنه.
وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٤٠٤٩) عن أبي أيوب رضي الله عنه في قضية نفسه، ولم يذكر علياً رضي الله عنه.
والرواية بتقديم الناكثين ثم القاسطين ثم المارقين. الجمل ثم صفين ثم النهراون.

رضي الله عنه قتْلَهم وأنكرَ عليه تحريقَهم بالنَّارِ، فقال عليٌّ: ويحَ ابنِ عبَّاسٍ، إنَّه لبحَّاثٌ[1] عنِ الهناتِ[2].

**قولُه ﷺ: «بين يدي السَّاعةِ»**، يعني أمامَها، ومرادُه أنَّه بُعِثَ قدَّامَ السَّاعةِ قريباً منها، ومِن أسمائِه: الحاشرُ والعاقبُ، كما صحَّ عنه ﷺ أنَّه قال: «أنا محمَّدٌ، وأحمدُ، والماحي الذي يمحو اللهُ بي الكُفرَ، والحاشِرُ الذي يُحشَرُ النَّاسُ على قدَمِي، والعاقبُ» الذي ليسَ بعدَه نبيٌّ[3].

وقد جعلَ اللهُ انشقاقَ القمرِ مِن علاماتِ اقترابِ السَّاعةِ كما قالَ تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر: ١] وكان انشقاقُه بمكَّةَ قبلَ الهجرةِ.

وصحَّ عنه ﷺ أنَّه قال: «بُعِثت أنا والسَّاعةُ كهاتينِ»، وأشارَ بإصبعه السَّبابةِ والوُسطى. خرَّجاهُ في الصَّحيحينِ[4].

وخرَّجَ الإمامُ أحمدُ مِن حديثِ بُرَيدةَ: «بُعِثتُ أنا والسَّاعةُ جميعاً إن كادَت لَتسبِقُني»[5].

---

(١) تصحفت في جميع نسخنا إلى: «ليحاث».

(٢) هو طرف من الحديث المتقدم: «من بدل دينه فاقتلوه»، وهذه الرواية أخرجها يعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٥١٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٦٩٤٣)، ولفظه: «إنه لغوَّاص على الهنات».
ولعل ما ذكره المصنف من النقل بالمعنى.
وفي حاشية (ت): «الهنات: الأخبار والأمور المستغربة من شر».

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٩٦) (٣٥٣٢)، ومسلم (٢٣٥٤) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه، وتفسير العاقب من الرواة.

(٤) أخرجه الشيخان عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم، منهم: أنس رضي الله عنه عند البخاري (٦٥٠٤) ومسلم (٢٩٥١)، وسهل بن سعد عند البخاري (٦٥٠٣) ومسلم (٢٩٥٠).

(٥) أخرجه الإمام أحمد (٢٢٩٤٧).

وللتِّرمذيِّ: «بُعِثتُ في نَفْسِ السَّاعةِ، فسبَقْتُها كما سبقَتْ هذه لهذه»[١] لإصبعيهِ السَّبَّابةِ والوُسطى.

فمِن النَّاسِ مَن حمَلَه على أنَّ المرادَ أنَّه ليس بينَه وبينَ السَّاعةِ نبيٌّ آخرُ، كما أنَّ السَّبَّابةَ والوُسطى ليس بينَهما إصبعٌ أخرى[٢].

والصَّحيحُ أنَّه يدلُّ مع ذلك على القُربِ مِن السَّاعةِ.

وكان قتادةُ يُشيرُ إلى أنَّ المُرادَ أنَّ بينَه وبينَ السَّاعةِ كمِقدارِ فضلِ السَّبَّابةِ على الوُسطى[٣].

وقد قيلَ: إنَّ بينَهما مِن الفضلِ[٤] مِقدارَ نصفِ سُبعٍ، وأخذوا مِن هذا أنَّ بقاءَ أمَّتِه ألفُ سنةٍ، وهو سُبْعُ الدُّنيا[٥]، وفيه وردَ ذلك مرفوعاً مِن حديثِ ابنِ [زِمْلٍ][٦]، ولكنَّ إسنادَه لا يصِحُّ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٢١٣) من حديث المستورد بن شداد الفهري رضي الله عنه، وقال: «هذا حديث غريب».

(٢) هذا التفسير لابن حبان رحمه الله ذكره عقب حديث أنس رضي الله عنه (٦٦٤٠).

(٣) هو في «صحيح مسلم» عقب حديث أنس رضي الله عنه (٢٩٥١).

(٤) في (د): «المفصل».

(٥) «تاريخ الرسل والملوك» للطبري (١/ ١٦).

وفي حاشية (ت): «أصل القول بأن النبي ﷺ لا يؤلف تحت الأرض».

قلت: وقد ظهر القطع ببطلانه.

(٦) جاء في النسخ الخطية: «رميل»، وهو تصحيف صوابه المثبت، والحديث أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨١٤٦)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ٣٧). وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١١٧١).

وقد رجَّح ذلك ابنُ الجوزيِّ[1] والسُّهيليُّ وقال: إن لم يصحَّ فيه الحديثُ المرفوعُ فقد صحَّ عنِ ابنِ عبَّاسٍ وغيرِه[2]، وهو عند أهلِ الكتابِ كذلك[3].

وممَّا يدلُّ أنَّ بعثةَ محمَّدٍ ﷺ مِن علاماتِ السَّاعةِ أنَّ الدَّجَّالَ سألَ عن خُروجِه في حديثِ الجسَّاسةِ[4].

***

**قولُه ﷺ: «حتَّى يُعبدَ اللهُ وحدَه لا شريكَ له».**

هذا هو المقصودُ الأعظمُ مِن بعثَتِه ﷺ، بل ومِن بعثةِ الرُّسُلِ مِن قبلِه، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا يُوحى[5] إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقالَ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، بل هذا هو المقصودُ مِن خلقِ الخلقِ وإيجادِهم كما قالَ تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فما خلقَهم إلَّا ليأمرَهم بعبادتِه، وأخذَ عليهم العهدَ لَمَّا استخرجَهُم مِن صُلبِ آدمَ على ذلك، كما قالَ

---

(١) في «المنتظم» (١/ ١٢٦ ـ ١٢٧).

(٢) في «الروض الأنف» (٤/ ٤١٩).

(٣) ما يروى عن ابن عباس: «الدنيا سبعة أيام كل يوم ألف سنة، وبعث رسول الله ﷺ في آخر يوم منها». أخرجه الطبري في «تاريخه»، (١/ ١٠) والأخبار عن أهل الكتاب ذكرها السيوطي في «الكشف عن مجاوزة الأمة الألف» (ص: ٣٠ ـ ٣٢) وقد ظهر بطلان هذا القول وعدم صحته عن ابن عباس بما قد غبر من السنين ولا يجليها لوقتها إلا هو سبحانه.

وقد أطنب المصنف رحمه الله في هذه المسألة في كتابه «فتح الباري» (٤/ ٣٣٢ ـ ٣٤٤).

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٤٢) من حديث فاطمة بنت قيس.

(٥) «يوحى» على قراءة أبي عمرو، وفي قراءة حفص: «نوحي».

تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتهم[1] وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ الآية [الأعراف: ١٧٢].

وقد تكاثَرتِ الأحاديثُ المرفوعةُ والآثارُ الموقوفةُ في تفسيرِ هـذه الآيةِ أَنَّه تعالى استنطَقَهم حينئذٍ فأقرُّوا كلُّهم بوَحدانيَّتِه، وأشهدَهم على أنفُسِهم، وأشهدَ عليهم أباهُم آدمَ والملائكةَ، ثمَّ إنَّه تعالى تعاهَدَهم في كلِّ زمانٍ بإرسالِ رسول[2] وإنزالِ كتاب يُذكِّرُهم بالعهدِ الأوَّلِ، ويجدِّدُ عليهم العهدَ والميثاقَ على أن يُوحِّدُوه ويعبدُوه ولا يُشرِكوا بِهِ شيئاً، وأشارَ إلى آدمَ وحوَّاء عند هُبوطِهما مِن الجنَّةِ إلى هذا المعنى في قولِه تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٨ ـ ٣٩] وفي سورةِ طه نحو هذا[3].

فما وفى بنو آدمَ كلُّهم بهذا العهدِ المأخوذِ عليهم، بل نقضَه أكثرُهم وأشرَكوا باللهِ ما لم ينزِّل به سُلطاناً، فبعثَ اللهُ الرسُلَ تُجدِّدُ ذلك العهدَ الأوَّلَ، وتدعو إلى تجدُّدِ الإقرارِ بالوحدانيَّةِ، فكان أوَّلَ رسولٍ بُعِثَ إلى أهلِ الأرضِ يدعو إلى التَّوحيدِ ويَنهى عن الشِّركِ نوحُ عليه السَّلامُ؛ فإنَّ الشِّركَ كان قد فَشا في الأرضِ في بني آدمَ قبلَ نُوحٍ، فبعثَ اللهُ تعالى نوحًا فلبِثَ في قومِه ألفَ سنةٍ إلَّا خمسينَ عاماً، يدعو إلى اللهِ تعالى وإلى عبادتِه وحدَه لا شريكَ له، كما ذكرَه سبحانَه وتعالى في سورةِ نوحٍ أنَّه قال لقومِه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ [نوح: ٣]، وأخبرَ في موضعٍ آخرَ عنه أنَّه قالَ لهم:

---

(١) «ذرياتهم» على قراءة أبي عمرو، وفي قراءة حفص: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾.

(٢) في (ف): «الرسل».

(٣) الآية: ١٢٣.

﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩] فما استجابَ له إلَّا قليلاً[١] منهم وأكثرُهم أصرُّوا على الشِّركِ، وقالوا: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾ [نوح: ٢٣] فلمَّا أصرُّوا على كفرِهم أغرقَهم بالطُّوفانِ، ونجَّى نوحاً ومَن آمنَ معَه في الفلكِ ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ﴾ [هود: ٤٠].

ثمَّ إنَّ اللهَ تعالى بعثَ إبراهيمَ خليلَه عليهِ السَّلامُ، فدعا إلى توحيدِ اللهِ وعبادتِه وحدَه لا شريكَ له، وناظرَ على ذلك أحسنَ مُناظرةٍ، وأبطلَ شُبهَ المشركينَ[٢] بالبَراهينِ الوَاضحةِ، وكسرَ أصنامَ قومِه حتَّى جعلَهم جُذاذاً، فأرادوا حريقَه فنجَّاه اللهُ مِن النَّارِ وجعلَها عليه بَرْداً وسَلاماً، ووهبَ اللهُ له إسماعيلَ وإسحاقَ، فجعلَ عامَّةَ الأنبياءِ مِن ذُرِّيَّةِ إسحاقَ[٣]، فإنَّ إسرائيلَ هو يعقوبُ بنُ إسحاقَ، وأنبياءُ بني إسرائيلَ كلُّهم مِن ذرِّيَّةِ يعقوبَ، كيوسُفَ وموسى وداودَ وسُلَيمانَ عليهم السَّلامُ، وآخرُهم المسيحُ بنُ مريمَ عليه السَّلامُ، وإنَّما دعا إلى التَّوحيدِ، كما قال: ﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡ﴾ [المائدة: ١١٧].

ثمَّ طبَّقَ الشِّركُ الأرضَ بعد المسيحِ، فإنَّ قومَه الذين ادَّعَوا اتِّباعَه والإيمانَ بِهِ أشرَكُوا به غايةَ الشِّركِ، فجعَلوا المسيحَ هو اللهَ أو ابنَ اللهِ وجعَلوا أمَّه ثالثَ ثلاثةٍ.

وأمَّا اليهودُ: فإنَّهم وإن تبرَّؤوا مِن الشِّركِ، فالشِّركُ فيهم موجودٌ، فإنَّه كان فيهِم مَن عبَدَ العِجلَ في حياةِ مُوسى عليه السَّلامُ، وقالَ فيهِ إنَّه اللهُ وإنَّ مُوسى نسِيَ ربَّه وذهبَ يطلبُه، ولا شِركَ أعظمُ مِن هذا، ومنهم طائفةٌ قالوا العُزَيرُ ابنُ اللهِ، وهذا مِن

---

(١) في حاشية (ت) و(ف): «قليلًا منصوب على الاستثناء، وبالرفع يكون فاعل (ما استجاب) على الأصل، وهو أولى لأنه الراجح».

(٢) في حاشية (ت) إشارة إلى نسخة: «الشرك».

(٣) في حاشية (ف): «ما سوى نبينا ﷺ فإنه من نسل إسماعيل عليه السلام».

أعظمِ الشِّركِ، وأكثرُهم اتَّخذوا أحبارَهم ورُهبانَهم[١] أرباباً مِن دونِ اللهِ، فأحَلُّوا لهم الحَرامَ وحرَّموا عليهم الحَلالَ فأطاعُوهم، فكانت تلك عِبادتَهم إيَّاهم[٢] لأنَّ **مَن أطاعَ مخلوقاً في معصيةِ الخالقِ واعتقَدَ جوازَ طاعتِه أو وُجوبَها فقد أشركَ بهذا الاعتبارِ حيثُ جعلَ التَّحليلَ والتَّحريمَ لغيرِ اللهِ.**

وأمَّا المجوسُ: فشِركُهم ظاهرٌ، فإنَّهم يقولون بإلهينِ قَديمينِ، أحدُهما نورٌ والآخرُ ظلمةٌ، فالنُّورُ خالقُ الخيرِ، والظُّلمةُ خالقُ الشَّرِّ، وكانوا يعبدونَ النِّيرانَ.

وأمَّا العرَبُ والهِندُ وغيرُهم مِن الأُمَمِ فكانوا أظهرَ النَّاسِ شِركاً، يعبدونَ معَ اللهِ آلهةً[٣] كثيرةً ويَزعمونَ أنَّها تُقرِّبُ إليه زُلْفى.

فلمَّا طبَّقَ الشِّركُ أقطارَ الأرضِ، واستطارَ شرَرُه في الآفاقِ مِن المشرقِ إلى المغربِ، بعثَ اللهُ محمَّداً ﷺ بالحَنيفيَّةِ المَحْضةِ والتَّوحيدِ الخالصِ دينِ إبراهيمَ عليهِ السَّلامُ، وأمَرَه أن يدعوَ الخلقَ كلَّهُم إلى توحيدِ اللهِ وعِبادتِه وحدَه لا شريكَ له، فكان يَدعو سِرًّا إلى ذلك نحوَ ثلاثِ سنينَ، فاستَجابَ له طائفةٌ مِن النَّاسِ، ثمَّ أُمرَ بإعلانِ الدَّعوةِ وإظهارِها وقيل: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤] فدَعا إلى اللهِ وإلى توحيدِه وعبادتِه وحدَه لا شريكَ له جَهْراً، وأعلنَ الدَّعوةَ، وذمَّ الآلهةَ التي تُعبَدُ مِن دونِ اللهِ وذمَّ مَن عبَدَها، وأخبرَ أنَّه مِن أهلِ النَّارِ، فثارَ عليه المشركونَ،

---

(١) «ورهبانهم» زيادة من (ق) والمطبوعات، ولا توجد في سائر النسخ.

(٢) أخرج الترمذي (٣٠٩٥)، والطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] واللفظ للطبري (١١/ ٤١٨) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه لما سمع هذه الآية قال: يا رسول الله! إنا لسنا نعبدهم!! فقال: «أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟!» قال: قلت: بلى قال: «فتلك عبادتهم».

(٣) زاد في (ف): «أخرى» ثم وضع فوقها علامة إلغاء.

واجتَهَدوا في إيصالِ الأذى إليهِ وإلى أتباعِه، وفي إطفاءِ نورِ اللهِ الذي بعثَه بِه، وهو لا يزدادُ إلَّا إعلاناً بالدَّعوةِ وتصْميماً على إظهارِها وإشهارِها والنِّداءِ بها في مجامعِ النَّاسِ، وكان يخرجُ بنَفسِه في مواسمِ الحجِّ إلى مَن يقدمُ إلى مكَّةَ مِن قبائلِ العرَبِ، فيعرضُ نفسَه عليهم، ويَدعوهم إلى التَّوحيدِ، وهم لا يَستجيبونَ له بل يردُّونَ عليهِ قولَه ويُسمِعونَه ما يكرَه، وربَّما نالوه بالأذى، وبقيَ عشرَ سنينَ على ذلك يقولُ: «مَن يمنَعُني حتَّى أؤدِّيَ رسالاتِ ربِّي فإنَّ قُريشاً قد منَعوني أن أُبَلِّغَ[1] رسالاتِ ربِّي»[2].

وكان يشُقُّ أسواقَهم في المواسِمِ وهم مُزدحِمونَ بها كسُوقِ ذي المَجازِ فيُنادي: «يا أيُّها النَّاسُ قولُوا: لا إلهَ إلَّا اللهُ تُفلِحوا» ووراءَه عمُّه أبو لهَبٍ يُؤذيهِ ويَردُّ عليه ويَنهى النَّاسَ عنِ اتِّباعِه[3].

واجتمعَ المشركونَ مرَّةً عند عمِّه أبي طالبٍ يَشْكونَه إليه ويقولونَ: شتمَ آلهتَنا وسفَّهَ أحلامَنا وسبَّ آباءَنا، فمُرْهُ فليكفَّ عن آلهتِنا. فقالَ أبو طالبٍ للنَّبيِّ ﷺ: أجِبْ قومَكَ إلى ما سألوهُ، فقال: «أنا أدعوهُم إلى خيرٍ مِن ذلك، أن يتكلَّمُوا بكلمةٍ تَدِينُ لهم بها العرَبُ، ويَملِكونَ بها العجَمَ»، فقالَ أبو جهلٍ: نُعطِيكَها وعشرَ أمثالِها، قال: «تقولونَ: لا إلهَ إلَّا اللهُ» فنفَرُوا عند ذلك وتفرَّقوا وهم يقولونَ: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥][4].

---

(١) في (ف): «أؤدي».

(٢) بنحوه حديث جابر رضي الله عنه عند أبي داود (٤٧٠١)، والترمذي (٢٩٢٥) وقال: «غريب صحيح»، وابن ماجه (٢٠١)، وهو في مسند أحمد (١٤٦٥٣) (١٤٤٥٦ ـ ١٤٤٥٨).

(٣) أخرج ابن المبارك في «الزهد» (١١٦٤) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٧٢٠) من حديث طارق المحاربي، وأخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائده على المسند (١٦٠٢٢ ـ ١٦٠٢٣) من حديث ربيعة بن عباد.

(٤) أخرجه من حديث ابن عباس: أحمد (٢٠٠٨) (٣٤١٩)، والترمذي (٣٢٣٢) وقال: حسن، =

وفي روايةٍ أنّه ﷺ قال لعمِّه: «يا عمِّ! لو وضَعُوا الشَّمسَ عن يَميني والقمَرَ عن يَساري على أن أترُكَ هذا الأمرَ حتَّى يُظهِرَه اللهُ أو أهلِكَ فيه ما تركتُه»[(١)].

قالَ ﷺ: «لقد أُخِفتُ في اللهِ وما يُخافُ أحَدٌ، ولقد أُوذِيتُ في اللهِ وما يُؤذَى أحدٌ، ولقد أتَتْ عليَّ ثلاثونَ مِن بين يومٍ وليلةٍ ومالي طعَامٌ يأكلُهُ ذو كبِدٍ إلَّا شيءٌ يُواريهِ إبطُ بلالٍ»[(٢)].

وفي روايةٍ عنه ﷺ قالَ: «ما أوذِيَ في اللهِ أحدٌ ما أُوذيتُ»[(٣)].

كان العدوُّ يجهدُ له في نَيْلِ الأذى، والصَّديقُ يلومُ على هذا الاحتمالِ إذا كانَ كذا، والمحبَّةُ تقولُ: حبَّذَا هذا الشَّقاءُ إذا كان في رِضَا الحبيبِ والدَّعوةِ إلى توحيدِه حبَّذا:

وقفَ الهوَى بي حيثُ أنتِ فليسَ لي ... مُتأخَّرٌ عنه ولا مُتقدَّمُ

أجِدُ الملامةَ في هواكِ لذيذَةً ... حُبًّا لذِكْرِكِ فليَلُمْني اللُّوَّمُ[(٤)]

ثمَّ إنَّ أبا طالبٍ لَمَّا تُوفِّيَ وتُوفِّيَت بعدَه خديجةُ اشتدَّ المُشرِكونَ على

---

= والنسائي في «الكبرى» (١١٤٣٦)، وابن جرير الطبري في «التفسير» (٢٠/ ٢٣) وعنده مثل ما ذكر المصنف: «ويملكون بها العجم» وعند الباقين: «وتؤدي إليهم بها العجم الجزية».

(١) أخرجه ابن إسحاق وهو في «سيرة ابن هشام» (١/ ٢٦٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٢٢١٢)، والترمذي (٢٤٧٢)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (١٥١) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٣٢٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٣٣) وقال: غريب من حديث مالك تفرد به وكيع.

وأخرج ابن عدي نحوه في ترجمة محمد بن يوسف بن المنكدر من حديث جابر رضي الله عنه.

(٤) البيتان لأبي الشيص الخزاعي من أبيات في «ديوانه» ـ صنعة عبد الله الجبوري (ص: ١٠١).

رسولِ اللهِ ﷺ، حتَّى اضطرُّوهُ إلى أن أخرَجوهُ مِن مكَّةَ إلى الطَّائفِ، فدَعاهم إلى عبادةِ اللهِ وحدَه، فلم يُجيبوهُ وقابَلُوه بغايةِ الأذى، وأمَروهُ بالخُروجِ مِن أرضِهم وأغرَوْا به سُفهاءَهم، فاصطفُّوا له صفَّيْنِ، وجعَلُوا يَرمونَه بالحِجارةِ حتَّى أَدْمَوهُ، فخرجَ هو ومعَه مَولاهُ زيدُ بنُ حارثةَ فلم يمكِنْه دخولُ مكةَ إلا بجِوارٍ، وطلَبَ مِن جماعةٍ مِن رُؤساءِ قُريشٍ أن يُجِيروهُ حتَّى يدخُلَ مكَّةَ، فلم يفعَلوا حتَّى أجارَه المُطْعِمُ بنُ عَدِيٍّ، فدخلَ في جِوارِه[1]، وعاد إلى ما كانَ عليهِ مِن الدُّعاءِ إلى توحيدِ اللهِ وعِبادتِه، فكان يقِفُ بالموسِمِ على القبائلِ، فيقولُ لهم قبيلةً قبيلةً: «يا بني فلان!، إنِّي رسولُ اللهِ إليكم، يأمرُكُم أن تعبدوهُ ولا تُشرِكُوا به شيئاً»، ولا يقبلونَ منه، وأبو لهبٍ خلفَه يقولُ: لا تُطِيعوهُ[2].

وكان ﷺ يُنادي: «مَن يُؤويني؟ مَن يَنصرُني؟ حتَّى أبلِّغَ رسالةَ ربِّي وله الجنَّةُ؟» فلا يجيبُه أحدٌ[3]، حتَّى بُعِثَت له الأنصارُ مِن المدينةِ فبايَعوه، هذا كلُّه وهو ﷺ صابرٌ على الدَّعوةِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ على هذا الوجهِ، راضٍ بما يَحصُلُ له فيها مِن الأذى، مُنشرحُ الصَّدرِ بذلك، غيرُ مُتضجِّرٍ منه ولا جَزِعٍ، وكان إذا اشتكى أحدٌ مِن أصحابِه شيئاً يقولُ: «إنِّي عبدُ اللهِ، ولن يُضيِّعَني»[4].

صِرتُ لهُمْ عَبْداً وما ... للعَبْدِ أن يَعترِضَا

---

(١) كل هذا مذكور في «سيرة ابن هشام».

(٢) هذا السياق مدرج من حديثين:

حديث طارق المحاربي وحديث ربيعة بن عباد، وقد سبق قبل قليل العزو إليهما.

(٣) سبق عزو هذا المعنى إلى حديث جابر رضي الله عنه آنفاً.

(٤) قاله ﷺ يوم الحديبية، أخرجه البخاري (٣١٨٢) ومسلم (١٧٨٥) من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه.

مَــن لِمَرِيــضٍ لا يَــرى إلَّا الطَّبِيــبَ الْمُمْرِضَــا[1]

وفي الصَّحيحِ، عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ مِن يومِ أُحُدٍ؟ فقال: «لقد لقيتُ مِن قومِكِ ما لقيتُ، وكان أشدَّ ما لقيتُ منهم يومَ العقبةِ، إذ عرضتُ نفسي على ابنِ عبدِ يالِيلَ بنِ عبدِ كُلالٍ، فلم يُجبني إلى ما أردتُ، فانطلقتُ وأنا مهمومٌ على وَجهِي فلم أستفِقْ إلَّا وأنا بقرنِ الثَّعالبِ، فرفعتُ رأسي فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلَّتني، فنظرتُ فإذا فيها جبريلُ فناداني، فقالَ: إنَّ اللهَ قد سمِعَ قولَ قومِكَ لك وما ردُّوا عليك، وقد بعثَ إليك ملكَ الجبالِ لتأمُرَه بما شئتَ فيهم، قال[2]: فناداني ملكُ الجبالِ فسلَّمَ عليَّ ثمَّ قالَ: يا مُحمَّدُ! إنَّ اللهَ قد سمِعَ قولَ قومِكَ لك، وأنا ملكُ الجبالِ، وقد بعثَني ربُّكَ إليك لتأمُرَني بأمرِكَ وما شئتَ، إن شئتَ أن أُطبِقَ عليهم الأخشبَينِ، فقالَ له رسول الله ﷺ: بل أرجُو أن يُخرِجَ اللهُ مِن أصلابِهم مَن يَعبدُ اللهَ وحدَه لا يُشرِكُ به شيئًا»[3].

ما مقصودُ الرَّسولِ ﷺ إلَّا أن يُعبَدَ اللهُ ولا يُشرَكَ بِهِ شيءٌ، وما يُبالي[4] إذا حصلَ ذلك ما أصابَه في الدَّعوةِ إليه، إذا وُحِّدَ معبودُه حصلَ مَقصودُه، إذا عُبِدَ مَحبوبُه حصلَ مَطلوبُه، إذا ذُكِرَ ربُّه رضِيَ قَلبُه، وأمَّا جِسمُه فما يُبالي أصابَه في سبيلِ ربِّه ما يُؤلِمُه أو ما يُلائِمُه.

---

(١) من شعر أبي عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الوهاب، البارع النحوي الشاعر، المتوفى سنة (٥٢٤هـ) رحمه الله من قصيدة له أوردها بتمامها العماد الأصبهاني في «خريدة القصر» (٣/ ٦٦ ـ ٦٩)، وسبط ابن الجوزي في «مرآة الزمان» (٢٠/ ٢٢٧).

(٢) في (ف): «فقال».

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

(٤) في (ق): «ولا يبالي».

إن كانَ سرَّكُم ما قد بُليتُ بهِ ... فما لِجُرحٍ إذا أرضاكُمُ أَلَمُ[(١)]

[آخرُ][(٢)]:

وحسبُ سُلطانِ الهوى أنَّه ... يلذُّ فيه كلُّ ما يُؤلِمُ[(٣)]

كان كلَّما آذاهُ الأعداءُ إذا دعَاهم إلى مَوْلاهُم رجعَ إلى مَوْلَاه فتسلَّى بعِلمِه ونظَرِه إليه وقُربِه منه، واشتغلَ بمناجاتِهِ وذكرِه ودُعائِه وخدمتِه، فنَسِيَ كلَّ ما أصابَه مِن الألمِ مِن أجلِه، وقد أُمِرَ بذلك في القُرآنِ[(٤)] في مواضعَ كثيرةٍ، نحو قولِه تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۝٤٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٨ ـ ٤٩]، وقولِه: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]، وقولِه ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝٩٧ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٩٨ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٧ ـ ٩٩].

فكان ﷺ إذا حزَبَه أمرٌ قامَ إلى الصَّلاةِ[(٥)]، لأنَّ الصَّلاةَ صِلةٌ، وكان يقولُ: «جُعِلَت قُرَّةُ عيني في الصَّلاةِ»[(٦)].

---

(١) البيت من قصيدة من مشهور شعر المتنبي في سيف الدولة، وهو في «ديوانه» (ص: ٣٣٣) وصدره: «إن كان سركم ما قال حاسدنا... ».

(٢) «آخر» من (ف) وحدها.

(٣) البيت من أبيات لأبي الخطاب محمد بن علي البغدادي المعروف بالجَبُّلي. أنشدها له ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٤/ ٣٨١).

(٤) في (ق): «وقد أمرَ بذلك القرآنُ».

(٥) في حاشية (ف): «حَزَبه أمر بالباء لا بالنون من باب قتل»: أصابه. مصباح». والحديث أخرجه الإمام أحمد (٢٣٢٩٩) وأبو داود (١٣١٣) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مواضع منها (١٢٢٩٣)، والنسائي (٧/ ٦١) من حديث أنس رضي الله عنه.

سُــروري مِــنَ الدَّهــرِ لُقياكُــمُ ودارُ سَـلامِــيَ مَغْـنـاكــــمُ

وأنتـمُ مُنتهَى أمَلي مـا حَيِيتُ[1] ومــا طــابَ عَـيْـشِيَ لولاكـمُ

إذا ازدحمَتْ في فُؤادي الهُموم أروِّحُ قـلـبــي بـذكــراكُــم

واستنشِـقُ الرِّيـحَ مِـن أرضِكُم لـعــلِّــيَ أحْظَـى برُؤياكُـم

فـلا تَنسـوا العهـدَ فيمـا مَضـى فلَسْـنا مـدى الدَّهـرِ نَنْسـاكُم[2]

فلـم يـزَلْ ﷺ يَدْعـو إلـى اللهِ وإلـى توحيـدِه وعبادتِه وحدَه لا شـريكَ لـه حتَّى ظهـرَ ديـنُ اللهِ، وأعلنَ ذِكـرَه وتوحيدَه في المشـارقِ والمغـاربِ، وصـارَتْ كلمةُ اللهِ هـي العُليـا، ودينُه هـو الظَّاهرُ، وتوحيـدُه هو الشَّـائعُ، وصارَ الدِّيـنُ كلُّـه للهِ والطَّاعةُ كلُّهـا لـه، ودخـلَ النَّـاسُ فـي ديـنِ اللهِ أفواجـاً، فجعـلَ ذلك علامـةً له علـى اقترابِ أجَلِـه، وأُمِـرَ حينئـذٍ بالتَّهيُّـؤِ للقـا والنُّقلـةِ إلـى دارِ البَقـا، وكأنَّ المعنى أنْ قـد حصَلَ المقصـودُ مِن إرسـالِكَ، وظهرَ توحيدي في أقطـارِ الأرضِ وزالَ مِنها ظلامُ الشِّـركِ، وحصَلَـتْ عبادَتـي وحدي لا شـريكَ لي، وصـارَ الدِّينُ كلُّـه لي، فأنا أسـتَدعيكَ إلى جِواري لأجزيَـكَ أعظمَ الجـزاءِ، ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ٤ ـ ٥].

وفي صِفَتِه ﷺ في التَّوراةِ: ولن أقبِضَه حتَّى أقيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجاءَ بأَنْ يقولُوا: لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأفتحَ بِهِ أعيُناً عُمْيًا وآذاناً صُمًّا وقُلوباً غُلْفًا[3].

---

(١) كذا في كل النسخ، ولا يستقيم الوزن، وصوابه: وأنتمْ مدى أملي...

(٢) هذه الأبيات من قصيدة لأبي القاسم الجميل النيسابوري، ذكرها ابن الجوزي في كتاب «المنتظم» (١٧/ ٢٣٧)، وفي «المدهش» (ص: ٥٤٢). وفي حاشية (ق): «شعر لطيف».

(٣) أخرجه البخاري (٢١٢٥)، و(٤٨٣٨) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

وكـان النَّبيُّ ﷺ إنَّما يقاتلُ على دخولِ النَّاسِ في التَّوحيدِ، كما قالَ: «أُمِرتُ أن أقاتِلَ النَّاسَ حتَّى يقولوا: لا إلهَ إلَّا اللهُ، فإذا قالوها فقد عصَموا منِّي دِماءَهم وأموالَهم إلَّا بحقِّ الإسلامِ وحسابُهم على اللهِ[1]»[2].

وكان إذا بعثَ سرِيَّةً للغزوِ يُوصي أميرَهم بأن يَدعوَ عدوَّهُ عند لقائِهم إلى التَّوحيدِ[3]، وكذلك أمرَ مُعاذَ بنَ جبَلٍ لَمَّا بعثَه إلى اليمنِ أن يَدعوَهُم إلى شَهادةِ التَّوحيدِ[4]، وكذلك أمرَ عليَّ بنَ أبي طالبٍ رضي الله عنه حين بعَثَه لقتالِ أهلِ خيبرَ[5].

ورُوِيَ عنه ﷺ أنَّه كان إذا بعَثَ بَعْثاً قالَ: «تألَّفُوا النَّاسَ، وتأنَّوْا بهم، ولا تُغيروا عليهم حتى تَدعوهم، فمَا على الأرضِ مِن أهلِ بيت مدرٍ ولا وبرٍ إلا تأتوني بهم مُسلمينَ أحبُّ إليَّ مِن أن تأتوني بنِسائِهم وأولادِهم وتَقتُلوا رجالَهم»[6].

***

(١) «وحسابهم على الله» من (ف) فقط، وفوقها علامة إلغاء. وهي ثابتة في الحديث.

(٢) الحديث مشهور أو متواتر، روي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم منهم ابن عمر رضي الله عنه في البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

(٣) أخرج مسلم (١٧٣١) في ذلك حديث بريدة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (١٣٩٥) ومسلم (١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) أخرجه البخاري (٢٩٤٢) ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٦) أخرجه الحارث (٦٣٧، بغية الباحث)، والبغوي في «معجم الصحابة» (١٩١٩)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٤٦٨٢). وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٤/ ٤٥٠) من حديث عبد الرحمن ابن عائذ رضي الله عنه.

**قوله ﷺ: «وجُعِلَ رِزقي تحت ظِلِّ رُمحي».**

إشارةٌ إلى أنَّ اللهَ تعالى لم يبعَثْه بالسَّعيِ في طلَبِ الدُّنيا، ولا لجَمعِها واكتِنازِها، والاجتهادِ بالسَّعيِ في أسبابِها، وإنَّما بعثَه داعياً إلى توحيدِه بالسَّيفِ، ومِن لازِمِ ذلك: أن يقتُلَ أعداءَه المُمتنعينَ عن قبولِ دعوةِ التَّوحيدِ، ويَستبيحَ أموالَهم، ويَسبِيَ نِساءَهم وذراريَهم، فيكونَ رِزقُه ممَّا أفاءَ اللهُ عليه مِن أموالِ أعدائِه؛ فإنَّ المالَ إنَّما خلقَه اللهُ تعالى لِبَني آدمَ ليَستعينُوا به على طاعتِه وعِبادتِه، فمَنِ استعانَ به على الكُفرِ باللهِ والشِّركِ بِهِ سلَّطَ اللهُ عليه رسولَه ﷺ وأَتباعَه فانتزَعُوهُ منه، وأعادُوه إلى مَن هو أَوْلى بِهِ مِن أهلِ عِبادةِ اللهِ وتَوحيدِه وطاعتِه.

ولهذا سُمِّيَ الفَيْءُ فَيْئاً، لرُجوعِه إلى مَن كان أحقَّ به ولأجلِه خُلِقَ، وكان في القرآنِ المنسوخِ: «إنَّما أنزَلْنا المالَ لإقامِ الصَّلاةِ وإيتاءِ الزَّكاةِ»[1].

فأهلُ التَّوحيدِ والطَّاعةِ للهِ أحقُّ بالمالِ مِن أهلِ الكُفرِ بِهِ والشِّركِ، فلذلك سلَّطَ اللهُ رسولَه ﷺ وأتباعَه على مَن كفَرَ بِهِ وأشرَكَ فانتزَعَ أموالَهم، وجعلَ رزقَ رَسولِه مِن هذا المالِ؛ لأنَّه أحلَّ الأموالَ كما قال تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩] وهذا ممَّا خصَّ اللهُ بِهِ محمَّداً ﷺ وأمَّتَه، فإنَّه أحلَّ لهم الغنائمَ ولم تحِلَّ لأحَدٍ مِن الأمَمِ قبلهم[2]. إنَّما كانوا يجمَعونَها فتأتي نارٌ مِن

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٢١٩٠٦).

وفي حاشية (ف) كتب أحدهم: «قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ الآية. فافهم. مع أن النبي ﷺ اختار الفقر، فقال: «اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين»».

(٢) كما في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أخرجه البخاري (٤٣٨)، ومسلم (٥٢١)، وروي هذا المعنى عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم.

السَّماءِ فتأكلُها[1]، وعَلِمَ اللهُ ضعفَ هذه الأمَّةِ فأحلَّ لهم الغَنائمَ[2].

وقد قيلَ إنَّ الذي خَصَّ بحِلِّه هذه الأمَّةَ هو الغنيمةُ المأخوذةُ بالقتالِ دون الفَيْءِ المأخوذِ بغيرِ قتالٍ؛ فإنَّه كان مُباحاً لِمَن قبلَنا[3]، وهو الذي جَعَلَ رزقَ رسولِه منه، وإنَّما كان أَحَلَّ مِن غيرِه لوجوهٍ:

منها: أنَّه انتزاعُ مالٍ ممَّنْ لا يستحقُّه، لأنَّه يستعينُ به على معصيةِ اللهِ والشِّركِ به، فإذا انتزعَه منه وأعطاه لِمَن يستعينُ بِهِ على طاعتِه وتوحيدِه والدَّعوةِ إلى عبادتِه كان ذلك أحبَّ الأموالِ إلى اللهِ وأطيبَ وُجوهِ اكتِسابِها عندَه.

ومنها: أنَّه ﷺ إنَّما كان يُجاهِدُ لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العُليا ودينُه هو الظَّاهرَ، لا لأجلِ الغنيمةِ، فيحصلُ له الرِّزقُ تبَعاً لعبادتِه وجِهادِه في اللهِ، فلا يكونُ فرَّغَ وقتاً مِن أوقاتِه لطلَبِ الرِّزقِ مَحْضاً، وإنَّما عبَدَ اللهَ في جميعِ أوقاتِه، ووحَّدَه فيها وأخلصَ له، فجعلَ له رزقَه مُيَسَّراً له في ضمنِ ذلك مِن غيرِ أن يقصدَه ولا يَسعى فيه.

وجاءَ في حديثٍ مُرسَلٍ أنَّه ﷺ قال: «أنا رسولُ الرَّحمةِ، أنا رسولُ الملحَمةِ، إنَّ اللهَ بعَثَني بالجِهادِ ولم يبعَثْني بالزَّرَّاعِ»[4].

وخرَّجَ البغَويُّ في «معجمِه» حديثاً مَرفوعاً: «إنَّ اللهَ بعَثَني بالهُدى ودينِ الحقِّ،

---

(١) أخرج الترمذي هذا المعنى (٣٠٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرج هذا المعنى من حديث طويل لأبي هريرة رضي الله عنه: البخاري (٣١٢٤)، ومسلم (١٧٤٧).

(٣) توسع المصنف رحمه الله في هذه المسألة في كتابه «فتح الباري» (٢/ ٢١٢ ـ ٢١٤).

(٤) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٨٥)، وابن شبَّه في «تاريخ المدينة» (٢/ ٦٣٢)، من حديث مجاهد مرسلاً.

وأخطأ من كتبه: «بالزرع».

ولم يجعَلْني زَرَّاعاً، ولا تاجِراً ولا سخَّاباً بالأسواقِ، وجعلَ رِزقيَ في رُمحي»[١]، وإنَّما ذكرَ الرُّمحَ ولم يذكُرِ السَّيفَ لئلَّا[٢] يقالَ إنَّه كانَ ﷺ يرتزِقُ مِن مالِ الغنيمةِ، إنَّما كان يرتزِقُ ممَّا أفاءَ اللهُ عليه مِن خيبرَ وفَدَك.

والفَيءُ: ما هرَبَ أهلُه مِنه خَوْفاً و[٣]تَركوهُ، بخِلافِ الغَنيمةِ فإنَّها مأخوذةٌ بالقتالِ بالسَّيفِ، وذِكرُ الرُّمحِ أقرَبُ إلى حصولِ الفَيءِ، لأنَّ الرُّمحَ يراهُ العدوُّ من بُعدٍ فيهربُ، فيكونُ هرَبُ العدُوِّ مِن ظلِّ الرُّمحِ، والمأخوذُ بهِ هو مالُ الفَيءِ، ومنه كانَ رِزقُ النَّبيِّ ﷺ، بخلافِ مالِ الغنيمةِ؛ فإنَّه يحصلُ مِن قتالِ السَّيفِ[٤]، واللهُ أعلَمُ.

وقال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ: إنَّ اللهَ بعَثَ محمَّداً هادِياً ولم يبعَثْه جابِياً[٥].

وكان ﷺ شغلُه بطاعةِ اللهِ والدَّعوةِ إلى التَّوحيدِ، وما يحصلُ في خلالِ ذلك مِن الأموالِ مِن الفَيءِ والغَنائمِ فيحصلُ تبَعاً لا قَصْداً أصليًّا، ولهذا ذُمَّ مَن ترَكَ الجهادَ واشتغَلَ عنه باكتسابِ الأموالِ، وفي ذلك نزَلَ قولُه تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] لَمَّا عزمَ الأنصارُ على تركِ الجِهادِ والاشتغالِ بإصلاحِ أموالِهم وأراضيهِم[٦].

---

(١) أخرجه البغوي في «معجم الصحابة» (١٩٤٥)، وابن قانع في «معجم الصحابة» (٢/ ١٧٤ ـ طبعة المصراتي) من حديث عبد الرحمن بن عتبة بن عويم بن ساعدة، وهو مرسل.

(٢) هنا في النسخ بياض مقدار ثلاث كلمات.

(٣) في (ف): «أو».

(٤) في (ق): «بالسيف».

(٥) أخرجه القاضي أبو يوسف في «الخراج» (ص: ١٤٤)، وأخرجه كذلك من وجه آخر: ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٧/ ٣٧٣).

(٦) أخرجه من حديث أبي أيوب الأنصاري: أبو داود (٢٥٠٤) والترمذي (٢٩٧٢)، وقال: حسن صحيح غريب.

وفي الحديثِ الذي خرَّجَه أبو داودَ وغَيرُه: «إذا تبايَعْتم بالعِينَةِ[(١)]، وتبِعتُم أذنابَ البقرِ، وترَكتُمُ الجِهادَ سلَّطَ اللهُ عليكم ذُلًّا لا ينزِعُه مِن رقابِكم حتى تُراجِعُوا دينكم»[(٢)]، ولهذا كرِهَ الصَّحابةُ رضيَ اللهُ عنهم الدُّخولَ في أرضِ الخَراجِ للزِّراعةِ فإنَّها تَشْغَلُ عنِ الجِهادِ.

قال مكحولٌ[(٣)]: إنَّ المسلمينَ لَمَّا قَدِمُوا الشَّامَ ذُكِرَ لهم زَكَاءُ زرعِ الحُولَةِ فزرعوا[(٤)]، فبلَغَ ذلك عمرَ بنَ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنه، فبعثَ إلى زَرعِهم وقد ابيَضَّ وأدرَكَ فحرقَه بالنَّارِ، ثم كتبَ إليهم: إنَّ اللهَ تعالى، جعَلَ أرزاقَ هذه الأمَّةِ في أسنَّةِ رِماحِها وتحتَ أزجَّتِها، فإذا زرَعوا كانوا كالنَّاسِ. خرَّجَه أسدُ بنُ موسى[(٥)].

---

(١) بين الأسطر في (ف): «بالسلف». والعينة: أن يبيع الرجل متاعه إلى أجل ثم يشتريه في المجلس بثمن حال.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٤٥٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) في (ق): «وقال مكحول».

(٤) في (ف): «فزرعوها».

(٥) لم أجد هذا الأثر في «الزهد» لأسد بن موسى، فلعله من كتاب آخر. لكن ذكر كلام عمر بن الخطاب دون كلام مكحول: ابن يونس التميمي الصقلي في «الجامع لمسائل المدونة» (٦/ ٤٧). وروى سعيد بن منصور في «السنن» (٢٨٨٧) نحوه لكن من كلام كعب الأحبار. والله أعلم، وانظر التعليق التالي لزاماً.

و«الحُوْلة» ناحيتان في بلاد الشام:

- الأولى: سهل زراعي في شمال بحيرة طبرية في فلسطين، مياهها وفيرة عذبة يمر بها نهر الأردن، وفيها بحيرة جففها اليهود بعد استيلائهم على تلك الأراضي.

- والثانية: منطقة زراعية خصبة بين مدينتي حمص وحماة في وسط بلاد الشام في الطرف الغربي من نهر العاصي.

«أزجتها» جمع زُجّ: وهي الحديدة التي في أسفل الرمح.

وروى أيضاً بإسنادٍ له، عـن عمرَ رضي الله عنه أنَّه كتبَ[١]: مَن زرعَ زَرْعاً، واتَّبعَ أذنابَ البقرِ ورضيَ بذلك وأقرَّ به جعلتُ عليه الجِزيةَ[٢].

وقيلَ لبعضِهم: لوِ اتَّخذتَ مزرعةً للعيالِ، فقالَ: واللهِ ما جِئنا زارعين[٣] ولكن جئنا لنقتُلَ أهلَ الزَّرعِ ونأكُلَ زَرْعَهم[٤].

فأكملُ حالاتِ المؤمنِ أن يكونَ اشتِغالُه بطاعةِ اللهِ والجهادِ في سبيلِه والدَّعوةِ إلى طاعتِه لا بطَلَبِ[٥] الدُّنيا.

---

(١) في (ف): «قال».

(٢) هو من كتاب مفقود لأسد بن موسى.

ونقل أبو محمد ابن حزم رحمه الله هذين الأثرين، هذا الأثر والذي قبله من طريق أسد بن موسى في «المحلى» (٧/ ٤٣ ـ ط دار الفكر) ثم قال: «هذا مرسل، وأسد ضعيف، ويعيذ اللهُ أميرَ المؤمنين من أن يحرق زروع المسلمين، ويفسد أموالهم، ومن أن يضرب الجزية على المسلمين، والعجب ممن يحتج بهذا وهو أول مخالف له».

والخلاصة في فهم هذه الأقوال:

أن الزرع والغرس من المكاسب الطيبة، وفيه الأجر، لكن ما لم يشغل ذلك عن الجهاد، للحديث الذي أخرجه البخاري (٢٣٢٠) ومسلم (١٥٥٣) من حديث أنس بن مالك: «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طائر أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»، وقد كان الأنصار أهل زرع ورسول الله ﷺ بين أظهرهم.

أما الزرع المذموم، الذي يورث الذل، فهو الذي يَتَشاغلُ به أهله عن الجهاد في سبيل الله. وعلى هذا يحمل ما ورد عن الفاروق رضي الله عنه إذا صَحَّ ذلك عنه.

(٣) في (ف): «زراعين».

(٤) لم أجد هذا الأثر.

وأهل الزرع: هم الروم، وأكل الزرع: كناية عن الغنيمة في جهاد الروم. والله تعالى أعلم.

(٥) في (د): «يطلب».

ويأخذُ مِن مالِ الفيءِ ونحوِهِ قدرَ الكِفايةِ[(١)]، كما كان النَّبيُّ ﷺ يأخذُ لأهلِه قوتَ سنَتِه[(٢)]، مِن مالِ الفيءِ ثمَّ يقسمُ باقيه، وربَّما رأى مُحتاجاً بعد ذلك فيقسمُ عليه قوتَ أهلِهِ فيبقى أهلُه بلا شيءٍ.

وكذلك مَن يشتغِلُ بالعلمِ[(٣)]؛ لأنَّه أحدُ نوعَي الجهادِ، فيكونُ اشتغالُه بالعلمِ للجهادِ في سبيلِ اللهِ والدَّعوةِ إليهِ؛ فإن أخذَ مِن أموالِ الفَيءِ أو[(٤)] الوقفِ على العلمِ أخَذَ مِنه قدرَ الكِفايةِ يتقوَّى به للاستعانةِ على جهادِه، ولا يَنبَغي أن يأخُذَ أكثرَ مِن قدرِ كفايتِه مِن ذلك.

وقد نصَّ الإمامُ أحمدُ على أنَّ مالَ بيتِ المالِ كالخَراجِ لا يُؤخَذُ منه أكثرُ مِن الكِفايةِ[(٥)]، فمالُ الوقفِ أضيَقُ، ومَن اشتغلَ بطاعةِ اللهِ فقد تكفَّلَ اللهُ برِزقِه، كما في حديثِ زيدِ بنِ ثابتٍ المرفوعِ: «مَن كانتِ الدُّنيا همَّهُ فرَّقَ اللهُ عليه أمرَه، وجعَلَ فقرَه بينَ عينيهِ، ولم يأتِه مِن الدُّنيا إلَّا ما كُتِبَ له، ومَن كانتِ الآخرةُ نيَّتَه جمعَ اللهُ له أمرَه، وجعَلَ غِناهُ في قلبِه، وأتَتْهُ الدُّنيا وهْي راغمةٌ». خرَّجَه الإمامُ أحمدُ وابنُ ماجَه[(٦)].

وخرَّجَه التِّرمِذيُّ مِن حديثِ أنسٍ مَرفوعاً: «إنَّ اللهَ تعالى يقولُ: يا ابنَ آدمَ! تفرَّغْ لِعبادَتي أملأْ صدرَكَ غِنًى، وأسُدَّ فقرَكَ، وإلَّا تفعَلْ ملأتُ يدَيْكَ شُغلاً ولم أسُدَّ فقرَكَ»[(٧)].

---

(١) في حاشية (ف): «مسألة مقدار الأخذ من مال الفيء ونحوه».

(٢) في (د): «سنة».

(٣) في حاشية (ت): «أخذ العلماء من مال الأوقاف».

(٤) في (ف): «و».

(٥) انظر: «المغني» لابن قدامة (٩/ ٣٠٠ ـ ٣٠٣).

(٦) أخرجه الإمام أحمد (٢١٥٩٠)، وابن ماجه (٤١٠٥)، واللفظ له.

(٧) إنما أخرجه الترمذي (٢٤٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أما حديث أنس عند الترمذي (٢٤٦٥) بنحو لفظ حديث زيد بن ثابت الذي قبله.

وخرَّجَ ابنُ ماجَه مِن حديثِ ابنِ مَسعودٍ مرفوعاً: «مَن جعَلَ الهُمومَ همًّا واحدًا همَّ آخرَتِه: كفاهُ اللهُ همَّ دُنياهُ، ومَن تشعَّبَت به الهُمومُ في أحوالِ الدُّنيا لم يبالِ اللهِ في أيِّ أوديَتِها هلَكَ»[1].

وفي الآثارِ الإسرائيليَّةِ: يقولُ اللهُ تعالى: يا دُنيا اخدُمي مَن خدَمَني، وأَتعِبي مَن خدَمَكِ[2][3].

❊ ❊ ❊

**وقولُه ﷺ: «وجُعِلَ الذِّلَّةُ والصَّغَارُ على مَن خالفَ أمري».**

هذا يدلُّ على أنَّ العِزَّ والرِّفعةَ في الدُّنيا والآخرةِ بمُتابعةِ أمرِ رسول الله ﷺ لامتثالِ مُتابعةِ أمرِ اللهِ، كما قالَ تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وقالَ تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، وقالَ تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

وفي بعضِ الآثارِ: يقولُ اللهُ تعالى: «أنا العزيزُ، فمَن أرادَ العِزَّ فليُطِعِ العزيزَ»[4].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٥٧) (٤١٠٦).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٩٤) عن جعفر بن محمد.

وروي من حديث ابن مسعود مرفوعاً ولا يصح. أخرجه الحاكم في «معرفة علوم الحديث» (ص: ١٠١)، والقضاعي في «الشهاب» (١٤٥٤)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٨/ ٥٧٧).

(٣) في هامش (ت): «بلغ».

(٤) أخرجه من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً: الخليلي في «الإرشاد» (٣/ ٩٢١)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٦/ ٥٦٩) (٩/ ٤١)، وفي «المتفق والمفترق» (١٢٩٣)، وذكر أن في سنده رجلين مجهولين. ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١١٩)، وذكره المصنف في شرح حديث «ما ذئبان جائعان».

قالَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، فالذُّلُّ والصَّغارُ يحصُلُ بمُخالفةِ أمرِ اللهِ ورسولِه، ومخالفةِ أمرِ الرَّسولِ على قسمَيْنِ:

أحدُهما: مخالفةُ مَن لا يعتقِدُ طاعةَ أمرِه، كمُخالفةِ الكفَّارِ وأهلِ الكتابِ، الذين لا يرَوْنَ طاعةَ الرَّسولِ، فهم تحت الذِّلَّةِ والصَّغارِ، ولهذا أمرَ اللهُ بقِتالِ أهلِ الكتابِ حتى يُعطوا الجِزيةَ عن يدٍ وهم صاغرونَ، على اليهودِ الذِّلَّةُ والمسكَنةُ لأنَّ كُفرَهُم بالرَّسولِ عِنادٌ.

والثَّاني: مَنِ اعتقدَ طاعتَه ثمَّ يخالِفُ أمرَه، وهذا نوعانِ:

أحدُهما: مَن يُخالِفُ أمرَه بالمعاصي التي يعتقِدُ أنَّها معصيةٌ، فله نصيبٌ مِن الذِّلَّةِ والصَّغارِ، قال الحسَنُ: وإن طقطقَتْ بهم البغالُ وهَمْلجَت بهم البَراذينُ؛ فإنَّ ذلَّ المعصيةِ في رِقابِهم، أبى اللهُ إلَّا أن يُذِلَّ مَن عصاه[1].

كان الإمامُ أحمدُ يدعو: اللهمَّ أعِزَّنا بعزِّ الطَّاعةِ، ولا تُذِلَّنا بذُلِّ المعصيةِ[2].

قال أبو العَتاهيةِ:

ألَا إنَّما التَّقوَى هي[3] العِزُّ والكرَمْ    وحبُّكَ للدُّنيا هو الذُّلُّ والسَّقَمْ

---

(١) ذكره المصنف أيضاً في شرح حديث «ما ذئبان جائعان»، وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٤٩) نحوه عن الحسن.

وفي حاشية (ف): «مهم من أعظم المهمات. فافهم».

(٢) إنما وجدته من دعاء الفضيل بن عياض. أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١١٣).

(٣) في (ف): «هو».

وليس على عبدٍ تقيٍّ نقيصةٌ إذا حقَّقَ التَّقوَى وإن حَاكَ أو حجَمْ[١]

فأهلُ هذا النَّوعِ خالَفوا الرَّسولَ مِن أجلِ داعي الشَّهَواتِ.

والنَّوعُ الثَّاني: مَن خالفَ أمرَه مِن أجلِ الشُّبُهاتِ، وهم أهلُ الأهواءِ والبِدَعِ، فكُلُّهم لهم نصيبٌ مِن الذِّلَّةِ والصَّغارِ بحسبِ مُخالفَتِهم لأوامرِه، قالَ تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٢].

وأهلُ الأهواءِ والبِدَعِ كلُّهم مُفتَرُونَ على اللهِ، وبِدعَتُهم تتغلَّظُ[٢] بحسبِ كثرةِ افترائِهم عليه، وقد جعَلَ اللهُ تعالى مَن حرَّمَ ما أحلَّهُ اللهُ وحلَّلَ ما حرَّمَه اللهُ مُفترياً عليه الكذِبَ، فمَن قالَ على اللهِ ما لا يعلَمُ فقدِ افترَى على اللهِ الكذِبَ، ومَن نسبَ إلى اللهِ ما لا يَجوزُ نسبتُه إليه مِن تمثيلٍ أو تعطيلٍ أو كَذَّبَ بأقدارِه فقدِ افترَى عليه الكذِبَ، وقد قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

قال سفيانُ: الفِتنةُ أن يطبعَ اللهُ على قلوبِهم[٣].

فلهذا تغلَّظَت عقوبةُ المبتدعِ على عقوبةِ العاصي؛ لأنَّ المبتدِعَ مُفترٍ على اللهِ، مُخالفٌ لأمرِ رسولِه لأجلِ هواه.

فأمّا مُخالفةُ بعضِ أوامرِ الرَّسولِ ﷺ خطأً مِن غيرِ عمْدٍ مع الاجتهادِ على

---

(١) البيتان لأبي العتاهية، كما في «ديوانه» (٣٩٤)، إلا أن فيهما: «العدم» بدل «السقم»، و«صحح» بدل «حقق».

(٢) في (د): «تغلظ».

(٣) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١١/ ١٣٠ ـ ط دار هجر) إلى عبد بن حميد.

متابعتِـه، فهـذا يقعُ كثيـراً مِن أعيـانِ الأمَّةِ مِـن عُلَمائِهـا وصُلَحائِها ولا إثـمَ فيه، بل صاحبُـه إذا اجتهـدَ فلـه أجـرٌ علـى اجتهـادِه، وخطَـؤُه موضـوعٌ عنه، ومـع هذا فلا يمنـعُ ذلـك مَن علِـمَ أمرَ رسـولِ اللهِ ﷺ[1] الـذي خالفَه هـذا أن يُبيِّنَ للأمَّـةِ أنَّ هذا مخالـفٌ لأمرِ الرَّسـولِ نصيحةً للهِ ولرَسـولِه ولعامَّـةِ المسـلمينَ، ولا يمنعُ مِن ذلك عظَمةُ مَـن خالفَ أمـرَهُ خطَأً.

وهَبْ أنَّ هذا المخالِفَ عظيمٌ له قدرٌ وجَلالةٌ، وهو محبوبٌ للمؤمنينَ، إلَّا أنَّ حقَّ الرَّسولِ ﷺ مُقدَّمٌ على حقِّه، وهو أوْلَى بالمؤمنينَ مِن أنفُسِهم.

فالواجـبُ[2] علـى كلِّ مَـن بلَغَـه أمـرُ الرَّسـولِ ﷺ وعرَفَـه أن يُبيِّنَـه للأمَّـةِ، وينصـحَ لهـم، ويأمُرَهـم باتِّباعِ أمـرِه، وإن خالـفَ ذلـك رأيَ عظيـمٍ مِن الأمَّـةِ، فإنَّ أمـرَ رسـولِ اللهِ ﷺ أحـقُّ أن يُعظَّـمَ ويُقتـدَى به مِـن رأيِ مُعظَّـمٍ قد خالـفَ أمرَه في بعـضِ الأشـياءِ خطأً.

ومِن هنا[3] ردَّ الصَّحابةُ ومَن بعدَهم مِن العُلَماءِ على كلِّ مَن خالفَ سنَّةً صحيحةً، وربَّما أغلَظوا في الرَّدِّ[4]، لا بُغضاً له بل هو محبوبٌ عندهم مُعظَّمٌ في نفوسِهم، لكنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أحبُّ إليهم، وأمرُه فوقَ أمرِ كلِّ مخلوقٍ.

فـإذا تعـارضَ أمـرُ الرَّسـولِ وأمـرُ غيـرِه فأَمْـرُ الرَّسـولِ ﷺ أَوْلـى أن يُقـدَّمَ ويُتَّبـعَ، ولا يَمْنَـعُ مِـن ذلـك تعظيـمُ مَـن خالـفَ أمـرَه، وإن كان مَغْفـوراً لـه، بـل

---

(١) المثبت من (ف)، وفي (ت) و(د) و(ق): «أمر الرسول».

(٢) في حاشية (ف): «مهم».

(٣) في (ق): «هذا».

(٤) في حاشية (ف): «مهم».

ذلكَ المخالفُ المغفورُ له لا يكرَه أن يُخالَفَ أمرُه إذا ظهرَ أمرُ رسول الله ﷺ بخلافِه، بل يَرْضى بمُخالفةِ أمرِه ومتابعةِ أمرِ رسول الله ﷺ إذا ظهرَ أمرُه بخلافِه، كما أوصى الشَّافعيُّ رضيَ اللهُ عنه[1] إذا صَحَّ الحديثُ في خلافِ قولِه أن يُتَّبعَ الحديثُ ويُترَكَ قولُه[2].

وكان يقولُ: ما ناظرتُ أحَداً فأحببتُ أن يُخطئَ، وما ناظرتُ أحداً فباليتُ أظهَرَ الحقُّ على لسانِه أو لِساني[3]. لأنَّ تَناظُرَهم كان لظُهورِ أمرِ اللهِ ورسولِه لا لظُهورِ نُفوسِهم والانتصارِ لها.

وكذلك المشايخُ العارفونَ كانوا يُوصونَ بقَبولِ الحقِّ مِن كلِّ مَن قالَ الحقَّ صغيراً أو كبيراً، وينقادون لقولِه.

وقيل لحاتمٍ الأَصَمِّ: أنت رجلٌ أعجمِيٌّ لا تُفصِحُ، وما ناظرتَ أحداً إلا قطعتَه، فبأيِّ شيءٍ تغلبُ خصمكَ؟ قال: بثلاثٍ، أفرَحُ إذا أصابَ خَصمي، وأحزَنُ إذا أخطأَ، وأحفظُ لِساني عنه أنْ أقولَ له ما يَسُوءُه. فذُكِرَ ذلك للإمامِ أحمدَ، فقالَ: ما كان أعقَلَه مِن رجُلٍ[4].

---

(١) الترضي من (ف) وحدها.

(٢) هذا مشهور عن الشافعي رحمه الله تعالى، ونقل عنه بألفاظ متعددة، وأفرد التقي السبكي، المتوفى ٧٥٦ رحمه الله، لمعناه رسالة: «معنى قول الإمام المطلبي إذا صح الحديث فهو مذهبي»، وهي مطبوعة بتحقيق د. علي نايف بقاعي حفظه الله تعالى.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ١١٨)، والبيهقي في «المدخل» (٢/ ٥٩٦)، وفي «مناقب الشافعي» (١/ ١٧٤ ـ ١٧٥).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٨٢)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/ ١٤٩).

وقد رُوِيَ عن الإمامِ أحمدَ أنَّه قيل لهُ: إنَّ عبدَ الوهابِ الورَّاقَ يُنكِرُ كذا وكذا، فقالَ: لا نزالُ بخيرٍ ما دامَ فينا مَن يُنكِرُ(١).

ومِن هذا البابِ قولُ عمرَ رضي الله عنه لِمَن قالَ له: اتَّقِ اللهَ يا أميرَ المؤمنينَ، فقالَ: لا خيرَ فيكم إذا لم تقولوها لنا، ولا خيرَ فينا إذا لم نقبَلْها منكم(٢).

ورَدَّتْ عليه امرأةٌ مَقالتَه، فرجَعَ إليها، وقالَ: رجلٌ أخطأَ وامرأةٌ أصابَتْ(٣).

فلا يزالُ النَّاسُ بخيرٍ ما كان فيهِم مَن يقولُ الحقَّ، ويُبيِّنُ أوامرَ الرَّسولِ ﷺ التي خالفَها مَن خالفَها وإن كان مَعذوراً مجتهِداً مَغفوراً له.

وهذا ممَّا خصَّ اللهُ به هذهِ الأمَّةَ لحِفظِ دينِها، الذي بعثَ اللهُ بِهِ رسولَهُ ﷺ، فإنَّها لا تجتمِعُ على ضلالةٍ(٤)، بخِلافِ الأُمَمِ السَّالفةِ.

فههنا أمرانِ:

**أحدُهما:** أنَّ مَن خالفَ أمرَ الرَّسولِ في شيءٍ خطأً معَ اجتهادِه في طاعتِه ومتابعةِ(٥) أوامرِه فإنَّه مغفورٌ له لا تنقصُ درَجتُه بذلك.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١/ ٤٩٤).

(٢) أخرجه ابن شبه في «تاريخ المدينة» (٢/ ٧٧٣)، وأبو يوسف القاضي في «الخراج» (ص: ١٢)، وابن الجوزي في «مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» (ص: ٤٩٩).

(٣) أخرجه الزبير بن بكار في «الأخبار الموفقيات» (ص: ٢٥١)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٥٣٠)، وابن الجوزي في «مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» (ص: ٤٨٧).

(٤) كما في حديث أنس رضي الله عنه عند ابن ماجه (٣٩٥٠).

(٥) في (د): «ومتابعته».

**والثَّاني**: أنَّه لا يمنَعُنا تعظيمُه ومحبَّتُه مِن تبيينِ مُخالفةِ قولِه لأمرِ الرَّسولِ ﷺ، ونصيحةُ الأمَّةِ تبيينُ[1] أمرِ الرَّسولِ لهم، ونفسُ ذلك الرَّجلِ المحبوبِ المعظَّمِ لو علِمَ أنَّ قولَه مُخالِفٌ لأمرِ الرَّسولِ لأحَبَّ مَن يبيِّنُ للأمَّةِ ذلك، ويُرشِدُهم إلى أمرِ الرَّسولِ، ويردُّهُم عن قولِه في نفسِه.

وهذه النُّكتةُ تَخْفى على كثيرٍ مِن الجهَّالِ بسبَبِ [......][2]، ويظنُّ أنَّ الرَّدَّ على مُعظَّمٍ مِن عالمٍ وصالحٍ تَنَقُّصٌ[3] به، وليس كذلك.

وبسببِ الغَفلةِ عن ذلك تبدَّلَ دينُ أهلِ الكتابِ؛ فإنَّهم تبِعُوا زلَّاتِ عُلَمائِهم، وأعرَضوا عمَّا جاءت به أنبياؤُهم، حتَّى تبدَّلَ دينُهم، واتَّخذوا أحبارَهم ورُهبانَهم أرباباً مِن دون اللهِ، فأحَلُّوا لهم الحرامَ وحرَّموا عليهم الحلالَ فأطاعُوهم، فكانت تلك عبادتَهم إيَّاهم[4]، فكان كلَّما كان فيهم رئيسٌ كبيرٌ مُعظَّمٌ مُطاعٌ عند الملوكِ

---

(١) في (ق): «بتبيين».

(٢) بياض مقدار كلمتين في جميع النسخ وما أثبته الناشرون للكتاب هنا تصرف منهم، وتقديرهما عندي: «فرط العصبية».

وعلق أحدهم على حاشية (ف): «تعبير غريب، لعل مراده بالجهال: العلماء! يزعم المصنف أن العلماء جهلهم مركب فلهذا أتى بصيغة المبالغة، هذا مشرب أهل الصلف، وفوق كل ذي علم عليم، والله المستعان».

ولا تثريب على المصنف رحمه الله فيما قاله، وواقع الحال يشهد قديماً وحديثاً بوجود من تغلب عليهم العصبية فتُعمي بصائرَهم عن الحق، ويظنون أنفسهم هم أهل الحق، فذاك حقيقة جهل مركب!

(٣) في (ق): «أو صالح»، وفي (ف): «تنغص» وكتب الناسخ تحت الغين «غ» صغيرة!!

(٤) كما في حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه وقد سبق ذكره.

قُبِلَ منه ما قالَ، وتَحمِلُ الملوكُ النَّاسَ على قولِه، وليس فيهم مَن يرُدُّ قولَه ولا يُبيِّنُ مُخالفتَه الدِّينَ.

وهذه الأُمَّةُ عصَمَها اللهُ تعالى مِن الاجتماعِ على ضلالةٍ، فلا بدَّ أنْ يكونَ فيها مَن يبيِّنُ أمرَ اللهِ ورَسولِه، ولو اجتهدَتِ الملوكُ على جمعِ الأُمَّةِ على خلافِه لم يتمَّ لهم أمرُهم، كما جرى مع المأمونِ والمعتصِمِ والواثقِ، حيث اجتهَدُوا على إظهارِ القولِ بخلقِ القُرآنِ، وقتَلوا النَّاسَ وضرَبوهم وحبَسوهم على ذلك، وأجابَهم العُلَماءُ تقيَّةً وخَوْفاً، فأقامَ اللهُ تعالى إمامَ المسلمينَ في وقتِهم أحمدَ بنَ حنبلٍ فرَدَّ باطلَهم حتَّى اضمحَلَّ أمرُه، وصار الحقُّ هو الظَّاهرُ في جميعِ بلادِ الإسلامِ والسُّنَّةِ.

ولم يكن الإمامُ أحمدُ يُحابي أحداً في مخالفةِ شيءٍ مِن أمرِ الرَّسولِ ﷺ وإن دقَّ، ولو عَظُمَ مُخالِفُه في نفوسِ الخلقِ، فقد تكلَّمَ في بعضِ أعيانِ مشايخِ العِلمِ والدِّينِ لِمَسألةٍ أخطأَهَا، فخملَ أمرُه حتَّى لَمَّا ماتَ لم يُصَلِّ عليه إلا نحوُ أربعةِ أنفُسٍ[1]، وكان كلَّما تكلَّمَ في أحدٍ سقطَ، لأنَّ كلامَه كان تعظيمًا لأمرِ اللهِ ورسولِه لا لهوى نفسِه.

ولقد كان بشرٌ الحافي يقولُ لِمَن سألَه عن مرضِه: أحمَدُ اللهُ إليكم، بي كذا وكذا، فنقلَ ذلك للإمامِ أحمدَ[2]، وقالوا: هو يبدأُ بالحمدِ قبلَ أن يصِفَ مرَضَه، فقالَ أحمدُ: سَلُوه عمَّن أخذَ هذا، يعني إن كان هذا لم يُنقَل عمن[3]

---

(١) قال الذهبي: «وهذه حكاية منقطعة».

(٢) في (د): «إلى الإمام أحمد».

(٣) في (ف): «عن بعض من».

سلَفَ فلا يُقبَلُ[(١)] منه، فقال بشرٌ: عندي فيه أثرٌ، ثمَّ روَى بإسنادِه عن بعضِ السَّلَفِ قالَ: مَن بدأَ بالحمدِ قبلَ الشَّكوَى لم تُكتَب عليه الشَّكوى، فبلغَ ذلك أحمدَ[(٢)] فقبِلَ قولَه[(٣)].

وقد صحَّ عنِ النَّبيِّ ﷺ أنه قالَ: «كلُّ عملٍ ليس عليهِ أمرُنا فهو رَدٌّ»[(٤)]، فأمرُ اللهِ ورسولِه، والرَّدُّ على مَن خالفَ أمرَ اللهِ ورسولِه لا يُتلقَّى إلَّا عمَّن عرَفَ ما جاءَ بهِ الرَّسولُ وخَبَرَه خبرةً تامَّةً.

قال بعضُ الأئمَّةِ: لا يؤخَذُ العِلمُ إلَّا عمَّن عُرِفَ بالطَّلَبِ[(٥)].

**وأمرُ الرَّسولِ ﷺ نوعانِ:**

أمرٌ ظاهرٌ يُعْمَلُ بالجوارحِ كالصَّلاةِ والصِّيامِ والحجِّ والجِهادِ، ونحوِ ذلك.

---

(١) في (ف): «نقبل».

(٢) في (ق): «الإمام أحمد».

(٣) في حاشية (ت): «البدأة بالحمد قبل الشكوى». وفي حاشية (ف): «مهم نادر».

والقصة أخرجها بتمامها ورونقها: الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١١/ ٥٦٧) في ترجمة عبد الرحمن طبيب أحمد بن حنبل وبشر الحافي، وتفسير بشر بسؤال أحمد: «أبو عبد الله لا يريد الشيء إلا بالإسناد».

والأثر هو عن ابن سيرين رحمه الله، وقد عمل به الإمام أحمد بعد تلك القصة.

(٤) أخرجه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) نُقل هذا المعنى عن جماعة من الأئمة:

منهم مكحول، أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٧٩).

ومنهم: عبد الله بن عون أخرجه ابن شاهين في «تاريخ أسماء الضعفاء والكذابين» (ص: ٤٠).

ومنهم: عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، أخرجه الخطيب في «الكفاية» (ص: ١٦١).

وأمرٌ باطنٌ يقومُ بالقلوبِ، كالإيمانِ باللهِ، ومعرفتِه، ومحبَّتِه وخَشْيتِه، وإجلالِه وتَعظيمِه، والرِّضا بقضائِه، والصَّبرِ على بلائِه، فهذا كلُّه لا يُؤخَذُ إلَّا ممَّنْ عرفَ الكِتابَ والسُّنَّةَ.

فمَن لم يقرَأْ ويكتُبِ الحديثَ لا يُقتدَى[1] به في عِلمِنا، فمَن تكلَّمَ على شيءٍ مِن هذا مع جهلِه بما جاءَ بِهِ الرَّسولُ ﷺ فهو داخلٌ فيمن يَفترِي على اللهِ الكذِبَ، وفيمن يقولُ على اللهِ ما لا يعلمُ، فإن كان مع ذلك لا يقبَلُ الحقَّ ممَّن يُنكِرُ عليه باطلَه لِمَعرفتِه ما جاءَ بِهِ الرَّسولُ ﷺ بل ينتقِصُ بِهِ، وقالَ: أنا وارثُ حالِ الرَّسولِ، والعُلَماءُ وارثون عِلمَه، فقد جمعَ هذا بين افتراءِ الكذبِ على اللهِ والتَّكذيبِ بالحقِّ لَمَّا جاءَه، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [الصف: ٧]، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٣٢] فإنَّ هذا مُتكبِّرٌ عن الحقِّ والانقيادِ له، مُنقادٌ لِهَواه وجهلِه، ضالٌّ مُضِلٌّ.

وإنَّما يرِثُ حالَ الرَّسولِ مَن علِمَ حالَه ثمَّ اتبعَه، فأمَّا مَن لا علمَ له بحالِه فمِن أين يكونُ وارثَه؟!

ومثلُ هذا لم يكن ظهرَ في زمنِ السَّلَفِ الصَّالحِ حتَّى يجاهدوا فيه حقَّ الجهادِ، وإنَّما ظهرَ هذا في زمنٍ قلَّ فيه العِلمُ وكثُرَ فيه الجهلُ، ومع هذا فلا بدَّ أن يقيمَ اللهُ مَن يُبيِّنُ للأمَّةِ ضلالَه، وله نصيبٌ مِن الذُّلِّ والصَّغارِ بحسبِ مُخالفَتِه لأمرِ الرَّسولِ ﷺ.

يا للهِ العجب، لوِ ادَّعى رجلٌ معرفةَ صناعةٍ مِن صنائعِ الدُّنيا، ولم يعرفْهُ النَّاسُ

---

(١) في (د): «نقتدي».

بها ولا شاهَدوا عنده آلاتِها لكذَّبوهُ في دَعواه، ولم يأمَنوه على أموالِهم، ولم يمكنوهُ أن يعملَ فيها ما يدَّعيه مِن تلك الصِّناعةِ، فكيف بمَن يدَّعي معرفةَ أمرِ الرَّسولِ ﷺ، وما شوهدَ قطُّ يكتبُ علمَ الرَّسولِ ولا يجالسُ أهلَه، ولا يدارسُه؟! فللهِ العجب، كيفَ يقبلُ أهلُ العقلِ دعواهُ، ويحكِّمونَه في أديانِهم يفسدُها بدَعواه الكاذبةِ[1]؟!

إن كُنتَ تنوحُ يا حَمامَ البانِ ... للبَيْنِ فأينَ شاهدُ الأحزانِ

أجفانُكَ للدُّموعِ أم أجفاني ... لا يُقبَلُ مُدَّعٍ بلا بُرهانِ[2]

ومِن أعظمِ ما حصلَ بِهِ الذُّلُّ مِن مُخالفةِ أمرِ رسولِ اللهِ ﷺ تركُ ما كان عليه مِن جهادِ أعداءِ اللهِ، فمَن سلكَ سبيلَ رسول الله ﷺ في الجهادِ عزَّ، ومَن ترَكَ الجِهادَ مع قدرتِه عليه ذلَّ.

وقد سبقَ حديثُ: «إذا تبايَعتُم بالعِينةِ، وتبِعتُم أذنابَ البقرِ وترَكْتُم الجهادَ، سلَّطَ اللهُ عليكم ذُلًّا لا ينزِعُه مِن رقابِكم حتى تُراجِعُوا دينكم»[3].

ورأى النَّبيُّ ﷺ سكَّةَ الحرثِ، فقال: «ما دخلَتْ دارَ قومٍ إلَّا دخلَها الذُّلُّ»[4].

---

(١) في حاشية (ق): «مسألة: في منع التقليد والتحكيم إلى من ليس بأهل».

وقد عمَّ هذا البلاء الذي ذكره المصنف رحمه الله تعالى في أواخر القرن الثامن الهجري في زماننا في القرن الخامس عشر، وأمسى الرويبضات أكثر الناس كلاماً. فإنا لله، والله المستعان.

(٢) ذكرهما ابن الجوزي في «المدهش» (ص: ٥٢٨). وذكره المصنف في «لطائف المعارف» (ص: ٣٢٣). ووقع في نسخنا هنا: «شواهد الأحزان» بدل «شاهد الأحزان»، وأثبتنا ما في المصدرين لانضباط الوزن به.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٤٥٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) أخرج البخاري (٢٣٢١) نحوه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

قال القسطلاني في «إرشاد الساري» (٤/ ١٧٢) «أي لما يلزمهم من حقوق الأرض التي =

فمَن ترَكَ ما كان عليهِ النَّبيُّ ﷺ مِن الجِهادِ مع قُدرتِه، واشتغَلَ عنه بتحصيلِ الدُّنيا مِن وُجوهِها المباحةِ حصلَ له الذُّلُّ، فكيفَ إذا اشتغَلَ عنِ الجهادِ بجمعِ[1] الدُّنيا مِن وُجوهِها المحرَّمةِ؟!

* * *

قولُه ﷺ: «ومَن تشبَّهَ بقومٍ فهو منهم».

هذا يدلُّ على أمرينِ:

أحدُهما: النَّهيُ عن التَّشبهِ[2] بأهلِ الشَّرِّ، مثلِ أهلِ الكفرِ والفُسوقِ والعِصيانِ، وقد وبَّخَ اللهُ تعالى مَن تشبَّه بهم في شيءٍ مِن قبائحِهم، فقالَ تعالى: ﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟﴾ [التوبة: ٦٩].

---

= يزرعونها، ويطالبهم بها الولاة، بل ويأخذون منهم الآن فوق ما عليهم بالضرب والحبس، بل ويجعلونهم كالعبيد أو أسوأ من العبيد، فإن مات أحد منهم أخذوا ولده عوضه بالغصب والظلم، وربما أخذوا الكثير من ميراثه، ويحرمون ورثته، بل ربما أخذوا من ببلد الزرَّاع فجعلوه زرَّاعاً، وربما أخذوا ماله كما شاهدنا فلا حول ولا قوة إلا بالله، وكان العمل في الأراضي أول ما افتتحت على أهل الذمة، فكان الصحابة يكرهون تعاطي ذلك، قال في «فتح الباري»: وقد أشار البخاري بالترجمة إلى الجمع بين حديث أبي أمامة والحديث السابق في فضل الزرع والغرس، وذلك بأحد أمرين:

إما أن يحمل ما ورد من الذم على عاقبة ذلك، ومحله إذا اشتغل به، فضيع بسببه ما أمر بحفظه.

وإما أن يحمل على ما إذا لم يضيع إلا أنه جاوز الحد فيه».

(١) في (ق): «بتحصيل».

(٢) «التشبه» المثبت من (د)، وفي سائر النسخ: «التشبيه».

وقد نهَى النَّبيُّ ﷺ عن التَّشبُّه بالمُشركينَ وأهلِ الكتابِ، فنهى عن الصَّلاةِ عند طُلوعِ الشَّمسِ وعند غُروبِها، وعلَّلَ بأنَّه حينئذٍ يَسجدُ لها الكفَّارُ فيصيرُ السُّجودُ في ذلك الوقتِ شبَهاً بهم في الصُّورةِ الظَّاهرةِ[1].

وقالَ ﷺ: «خالِفوا المشركينَ، أَحْفُوا الشَّوارِبَ وأَوفوا اللِّحَى»[2].

وفي روايةٍ: «جُزُّوا الشَّواربَ وأرْخُوا اللِّحَى، خالِفوا المَجوسَ»[3].

وأمرَ ﷺ بالصَّلاةِ في النِّعالِ مُخالفةً لأهلِ الكتابِ[4].

ورُوِيَ عنه ﷺ أنَّه قال: «ليس منَّا مَن تشبَّهَ بغيرِنا، لا تشبَّهُوا باليهودِ

---

(١) أخرجه الإمام مسلم (٨٣٢) من حديث عمرو بن عَبَسَة رضي الله عنه.
وفي المطبوعات بعد ذلك ما ليس في نسخنا الأربعة:
[وقال ﷺ: «إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم»، وفي رواية عنه ﷺ: «غيِّروا الشيب، ولا تشبهوا باليهود». ]
والحديث الأول: أخرجه البخاري (٥٨٩٩)، ومسلم (٢١٠٣) من حديث أبي هريرة.
والثاني: أخرجه الإمام أحمد (١٤١٥)، والنسائي (٥٠٧٤) من حديث الزبير بن العوام، وروي من حديث غيره.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما بهذا اللفظ.
وفي (ق): «وأعفوا»، وفي (ف) كما في سائر النسخ، وفي حاشيتها: «صوابه: وأعفوا». وهما روايتان للحديث نفسه كلاهما في صحيح مسلم.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بهذا اللفظ.

(٤) كما في حديث شداد بن أوس رضي الله عنه، قال ﷺ: «خالفوا اليهود، فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم» أخرجه أبو داود (٦٥٢).

والنَّصارى؛ فإنَّ تسليمَ اليهودِ... [١] الإشارةُ بالكفِّ» خرَّجه التِّرمذيُّ[٢].

ونهى ﷺ عن التَّشبُّه بهم في أعيادِهم[٣].

وقال عبدُ اللهِ بنُ عمرَ رضي الله عنه[٤]: مَن أقامَ بأرضِ المشركينَ يصنعُ نَيْرُوزَهم ومِهرَجانَهم، ويتشبَّه بهم حتَّى يموتَ حُشِرَ يومَ القيامةِ معَهم[٥].

وقال الإمامُ أحمدُ: أكرَهُ حلقَ القَفا، هو مِن فعلِ المَجوسِ، ومَن تشبَّه بقومٍ فهو مِنهم[٦].

فالتَّشبُّه بالمشركينَ والمغضوبِ عليهم والضَّالِّينَ مِن أهلِ الكتابِ مَنهيٌّ عنه، ولا بدَّ مِن وُقوعِه في هذه الأمَّةِ، كما أخبرَ بِهِ الصَّادقُ المصدوقُ ﷺ حيثُ قالَ:

---

(١) في الترمذي: «فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع، وتسليم النصارى الإشارة بالأكف» فما ذكر في النسخ ناقص؛ لذلك وضعت النقط.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٩٥)، وقال: «إسناده ضعيف».

(٣) أخرج الإمام أحمد (١٢٠٠٦) من حديث أنس رضي الله عنه، قال: «قدم رسول الله ﷺ المدينة، ولهم يومان يلعبون فيهما في الجاهلية، فقال: «إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما: يوم الفطر ويوم النحر» وأخرجه أبو داود (١١٢٧)، والنسائي (١٥٥٦).

(٤) كذا في جميع النسخ، وصوابه: «عَمرو».

(٥) أخرجه الدولابي في «الكنى والأسماء» (١٨٤٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» باب كراهية الدخول على أهل الذمة في كنائسهم، والتشبه بهم يوم نيروزهم ومهرجانهم (١٩/ ١٦٧ ـ ط دار هجر).

فليحذر من تهاون في دينه، وأطاع الهوى، وشارك المشركين والكفار وأهل الفواحش في أعيادهم.

(٦) كتاب «الورع» للمروزي (٥٨٥). وقد ورد النهي عن حلق القفا إلا للحجامة مرفوعاً عند الطبراني في «المعجم الصغير» (٢٦١).

«لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلَكم، شِبراً بشِبرٍ وذِراعاً بذراعٍ، حتَّى لو دخلوا جحرَ ضَبٍّ لدَخلتموهُ» قالوا: [يا رسولَ اللهِ!] اليهودَ والنَّصارى؟ قال: «فمَن؟!»[1].

قال ابنُ عُيينةَ: كان يقالُ: مَن فسَدَ مِن عُلَمائِنا ففيه شبَهٌ مِن اليهودِ، ومَن فسَدَ مِن عُبَّادِنا ففيه شبَهٌ مِن النَّصارى[2].

ووجهُ هذا: أنَّ اللهَ تعالى ذمَّ عُلَماءَ اليَهودِ بأكلِ السُّحتِ، وأكلِ الأموالِ بالباطلِ، والصَّدِّ عن سبيلِ اللهِ، وبقتلِ النَّبيِّينَ بغيرِ حقٍّ، وبقتلِ الذين يأمُرونَ بالقِسطِ مِن النَّاسِ، وبالتَّكبُّرِ عنِ الحقِّ وتركِه عَمْداً خَوْفاً مِن زَوالِ المأكلِ والرِّياساتِ، وبالحسَدِ، وبقسوةِ القلوب[3]، وبكتمانِ الحقِّ، وتَلبيسِ الحقِّ بالباطلِ، وكلُّ هذه الخِصالِ توجَدُ في علماءِ السُّوءِ مِن أهلِ البِدَعِ ونحوِهم، ولهذا أشبهَتِ الرَّافضةُ اليهودَ في نحوٍ مِن سبعينَ خصلةً[4].

وأمَّا النَّصارى فذمَّهم اللهُ تعالى بالجَهلِ والضَّلالِ، وبالغُلوِّ في الدِّينِ بغيرِ الحقِّ، ورفعِ المخلوقِ إلى درَجةٍ لا يَستحِقُّها حتَّى تُدَّعى فيه الإلهيَّةُ، واتِّباعِ الكُبَراءِ في التَّحليلِ والتَّحريمِ، وكلُّ هذا يوجَدُ في جهَّالِ المُنتسبينَ إلى العِبادةِ مِن هذه الأمَّةِ[5]:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٦) (٧٣٢٠) ومسلم (٢٦٦٩) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.
وما بين معقوفين لا يوجد في نسخنا، ويوجد في المطبوعات، وهو في «الصحيحين».

(٢) لهج بهذا القول الإمام ابن تيمية رحمه الله في كثير من كتبه، وعنه أخذه ابن القيم وابن كثير وابن رجب، ولم أجده معزواً إلى سفيان بن عيينة عند أحد قبله.

(٣) في (ف): «القلب».

(٤) في حاشية (ف): «شبهت الرافضة اليهود في سبعين خصلة».

(٥) في حاشية (ف): «مهم». وفي (ت) و(د): «هذا الأمة».

فمِنهم مَن يتعبَّدُ بالجَهلِ بغيرِ علمٍ بل يذمُّ العِلمَ وأهلَه.

ومِنهم مَن يَغلو في بعضِ الشُّيوخِ فيَدَّعي فيه الحلولَ.

ومِنهم مَن يدَّعي الحُلولَ المُطلَقَ والاتِّحادَ.

ومِنهم مَن يغلو في مَن يعتقِدُه مِن المشايخِ كما تَغلو[1] النَّصارى في رُهبانِهم، ويعتقدونَ لهم أن يفعَلوا في الدِّينِ ما شاؤوا، وأنَّ مَن رضِيَ عنه غُفِرَ له، ولا يُبالي بما عمِلَ مِنْ عَمَلٍ، وأنَّ محبَّتَهم لا يضُرُّ معَها ذنبٌ.

وقد كان الشُّيوخُ العارِفونَ ينهَوْنَ عن صحبةِ الأشرارِ، وأن ينقطِعَ العبدُ عنِ اللهِ بصُحبةِ الأخيارِ.

فمَن صحِبَ الأخيارَ بمُجرَّدِ التَّعظيمِ لهم ـ والغلُوُّ فيهم زائدٌ عن الحدِّ ـ وأعلَقَ قلبَه بهم فقد انقطعَ عنِ اللهِ بهم، وإنَّما المرادُ مِن صُحبةِ الأخيارِ[2] أن يُوصِلوا مَن صَحِبَهم إلى اللهِ، ويُسلِّكُوه طريقَه، ويُعلِّموهُ دينَه.

وقد كان النَّبيُّ ﷺ يحثُّ أهلَه وأصحابَه على التَّمسُّكِ بالطَّاعةِ ويقولُ: «اشترُوا أنفسَكُم مِن اللهِ، لا أُغني عنكُم مِن اللهِ شيئاً»[3].

وقال لأهلِه: «إنَّ أوْليائيَ منكم المتَّقون يومَ القيامةِ، لا يأتي النَّاسُ بالأعمالِ وتأتونَ بالدُّنيا تحمِلُونَها على رقابِكم فتقولونَ: يا محمَّد، فأقولُ: قد بلَّغتُ»[4].

---

(١) في (ق): «يغلو».

(٢) في (د): «بصحبة الأخيار».

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٥٣) (٤٧٧١) ومسلم (٢٠٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) ذكره المصنف بهذا اللفظ أيضاً في شرح الحديث (٣٦) من «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٣٠٩). =

ولَمَّا سألَه ربيعةُ الأسلميُّ مُرافقتَه في الجنَّةِ قالَ له: «أعِنِّي على نفسِكَ بكثرةِ السُّجودِ»[1].

فإنَّما يُرادُ صُحبة الأخيارِ لإصلاحِ[2] الأعمالِ والأحوالِ، والاقتداءِ بهم في ذلك، والانتقالِ مِن الغفلةِ إلى اليقَظةِ ومِن البَطالةِ إلى العمَلِ ومِن التَّخليطِ في التَّكسُّبِ والقولِ والفعلِ إلى الورَعِ، ومعرفةِ عُيوبِ النَّفسِ وآفاتِها واحتقارِها.

فأمَّا مَن صحِبَهم وافتخرَ بصُحبتِهم، وادَّعى بذلك الدَّعاوى العريضةَ، وهو مُصِرٌّ على غفلتِه وكسَلِه وبَطالتِه فهو مُنقطِعٌ عنِ اللهِ مِن حيثُ ظنَّ الوصولَ إليه.

وكذلك المبالغةُ في تعظيمِ الشُّيوخِ وتنزيلُهم منزلةَ الأنبياءِ هو ممَّا يُنهَى عنه.

وقد كان عمَرُ رضي الله عنه وغيرُه مِن الصَّحابةِ والتَّابعينَ رضي الله عنهم يكرَهون أن يُطلَبَ منهم الدُّعاءُ، ويقولون: أأنبياءُ نحنُ[3]؟!

---

= وهذا اللفظ كأنه مدرج من أحاديث متعددة، انظرها في «جامع العلوم والحكم».
وأقرب الألفاظ حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٨٩٧)، وحديث معاذ أخرجه ابن حجر في «زهر الفردوس» (٨٠٤). وليس عندهما «قد بلغت».

(١) أخرجه مسلم (٤٨٩).

(٢) في (ت) و(ف) و(د): «إصلاح».

(٣) تصحفت «الدعاء» في (ق) إلى: «الدنيا». وفي حاشية (ف): «نادرة مما ينبَّه».
وقد توسع المصنف رحمه الله في ذكر هذه المسألة في شرح حديث «ما ذئبان جائعان» فلينظر ثمة مع التعليق عليه. =

فدلَّ على أنَّ هذه المنزلةَ لا تنبغي إلَّا للأنبياءِ عليهمُ السَّلامُ[1].

وكذلك التَّبرُّكُ بالآثارِ، إنَّما كان يفعلُه الصَّحابةُ رضيَ اللهُ عنهم مع النَّبيِّ ﷺ[2]، ولم يكونوا يَفعلونَه مع بعضِهم ببعضٍ، ولا يفعلُه التَّابعونَ مع الصَّحابةِ مع علُوِّ قدرِهم، فدلَّ على أنَّ هذا لا يُفعَلُ إلَّا مع الرَّسولِ ﷺ، مثلَ التَّبرُّكِ بوَضوئِه وفضلاتِه وشعرِه وشُربِ فضلِ شَرابِه وطَعامِه.

وفي الجملةِ: هذه الأشياءُ فتنةٌ للمُعَظَّمِ وللمُعظِّمِ لِمَا يُخشَى عليه مِن الغلُوِّ المُدْخِلِ في البدعةِ، وربَّما يترقَّى إلى نوعٍ مِن الشِّركِ، كلُّ هذا إنَّما جاءَ مِن التَّشبُّهِ بأهلِ الكتابِ والمشركينَ، الذي نُهيَتْ هذه الأمَّةُ عنه.

---

= وأثر عمر رضي الله عنه، أخرجه الطبري في «تهذيب الآثار» كما نقله الشاطبي في «الاعتصام» (٢/ ٣٣١ ـ طبعة دار ابن الجوزي).

(١) هذه المنزلة هي التعظيم فوق سائر الناس، وغاية التعظيم الجائز لا تنبغي إلا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وليس مقصود المصنف نفي طلب الدعاء من غير الأنبياء، فهذا باطل، بل قامت دلائل الشرع على استحباب طلب الدعاء من الصالحين، قال الإمام النووي رحمه الله في «الأذكار»: «باب استحباب طلب الدعاء من أهل الفضل، وإن كان الطالب أفضل من المطلوب منه، والدعاء في المواضع الشريفة: اعلم أن الأحاديث في هذا الباب أكثر من أن تحصر، وهو أمر مجمعٌ عليه».

وقد أوصى النبي ﷺ عمرَ رضي الله عنه أن يسأل أويساً القرني أن يستغفر له أخرجه مسلم (٢٥٤٢).

قال المصنف ابن رجب رحمه الله في «لطائف المعارف» (ص: ٤٢١ ـ ٤٢٢): «ينبغي للمنقطعين طلب الدعاء من الواصلين، لتحصل المشاركة».

(٢) وهو من المعلوم من الدين، مما تواتر معناه في أحاديث كثيرة لا تكاد تحصى.

وفي الحديثِ الذي في السُّنَنِ: «إنَّ مِن إجلالِ اللهِ إكرامَ ذي الشَّيبةِ المسلمِ[١]، والسُّلطانِ المُقسِطِ، وحاملِ القُرآنِ غير الغالي فيهِ ولا الجافي عنه»[٢].

فالغلوُّ مِن صفاتِ النَّصارَى، والجفاءُ مِن صفاتِ اليهودِ، والقَصْدُ هو المأمورُ بهِ.

وقد كان السَّلَفُ الصَّالحُ رضي الله عنهم ينهَوْنَ عن تعظيمِهم غايةَ النَّهيِ، كالحسَنِ والثَّوريِّ وأحمدَ[٣].

وكان أحمدُ يقولُ: مَن أنا حتى تجيئونَ إليَّ؟ اذهَبوا اكتبُوا الحديثَ[٤].

وكان إذا سُئِلَ عن شيءٍ يقولُ: سَلُوا العُلَماءَ[٥].

وإذا سُئِلَ عن شيءٍ مِن الورَعِ يقولُ: أنا لا يحِلُّ لي أن أتكلَّمَ في الورَعِ، لو كان بِشْرٌ حيًّا تكلَّمَ في هذا[٦].

---

(١) «المسلم» سقطت من (ت) و(ق) و(د) و(ف) ثم أثبتت على حاشية (ف) وهي ثابتة في المصادر.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨١٠) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) ذكر المزي في «تهذيب الكمال» (٦/ ١١١) أن الحسن ذهب من المسجد الجامع إلى أهله، فاتبعه ناس، فالتفت إليهم فقال: إن خفق النعال حول الرجال قلما يلبث الحمقى...

وقد أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٩٢٧ ـ طبعة الطحان) دون القصة أوله، وزاد آخره: «ويأمر من صحبه أن يمشي إلى جنبه».

وقول الحسن دون القصة أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (زيادات الزهد برواية نعيم ص ١٣)، وغيره.

(٤) أخرجه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٣٦٨).

(٥) ذكره عبد الله بن أحمد في «مسائل الإمام أحمد» (١٥٨٣).

(٦) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١/ ٢٩٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٠/ ١٩٤).

وسُئِلَ مرَّةً عنِ الإخلاصِ، فقال: اذهَبْ إلى الزُّهَّادِ، أيُّ شيءٍ نحنُ حتَّى تجيءَ إلينا[1].

وجاءَ إليه رجلٌ فمسَحَ يدَه على ثيابِه، ومسحَ بها وجهَه، فغضِبَ الإمامُ أحمدُ وأنكرَ ذلك أشدَّ الإنكارَ، وقالَ: عمَّن أخَذْتُم هذا[2].

**الأمرُ الثَّاني: التَّشبُّهُ بأهلِ الخيرِ والإيمانِ والتَّقوى والطَّاعةِ فهذا حسَنٌ مندوبٌ** إليه، ولهذا يشرعُ الاقتداءُ بالنَّبيِّ ﷺ في أقوالِه وأفعالِه وحرَكاتِه وسكَناتِه وآدابِه وأخلاقِه، وذلك مُقتضَى المحبَّةِ الصَّحيحةِ، «فإنَّ المرءَ مَع مَن أحبَّ»[3]، ولا بدَّ مِن مُشاركتِه في أصلِ عملِه، وإن قصَّرَ المحِبُّ عن درجتِه.

قال الحسنُ: لا تغترَّ بقولِ مَن يقولُ لك: المرءُ مع مَن أحبَّ! إنَّه مَن أحبَّ قوماً اتبعَ آثارَهم، ولن تلحقَ بالأبرارِ حتَّى تتبعَ آثارَهم، وتأخُذَ بهدِيهم، وتقتديَ بسُنَّتِهم[4]، وتُصبِحَ وتُمسي وأنت على منهاجِهم حَريصاً أن تكون مِنهم وتسلُكَ سبيلَهم وتأخُذَ طريقَهم، وإن كنتَ مُقصِّراً في العمَلِ، فإنَّما مِلاكُ الأمرِ أن تكون على استقامةٍ، أمَا رأيتَ اليهودَ والنَّصارَى وأهلَ الأهواءِ المرديةِ يُحِبُّونَ أنبياءَهم، وليسوا معَهم! لأنَّهم خالَفُوهم في القولِ

---

(١) نقل أبو طالب المكي في «قوت القلوب» في شرح مقام الزهد (١/ ٤٤٥) نحوه، ولفظه: «سلوا الزهاد».

(٢) أخرجه ابن الجوزي إلى «مناقب الإمام أحمد» (٣٦٨ـ٣٦٩). وهذا من ورعه وتواضعه رحمه الله تعالى، وهذا شأن هؤلاء العلماء الربانيين رضي الله عنه.

(٣) حديث مشهور بل متواتر.

(٤) في (د): «بسننهم».

والعمَلِ وسلَكوا غيرَ طريقِهم، فصارَ موردُهم النَّار، نعوذُ باللهِ مِن النَّارِ[١].

كان يونسُ بنُ عُبَيدٍ يُنشِدُ:

فإنَّكَ مَن يُعجِبْكَ لا تَكُ مِثلَه ... إذا أنتَ لم تصنَعْ كما كانَ يصنَعُ[٢]

وجاءَ في الحديثِ: «ابكوا، فإن لم تَبكُوا فتَباكَوْا»[٣].

فمَن أحبَّ أهلَ الخيرِ وتشبَّه بهم جهدَه فإنَّه يلحقُ بهم كما في الحديثِ المشهورِ: «مَن حفِظَ أربعينَ حَديثاً حُشِرَ يومَ القيامةِ في زُمرةِ العُلَماءِ»[٤]، ومَن أحبَّ أهلَ الطَّاعةِ والذِّكرِ على وجهِ السُّنَّةِ وجالسَهم فإنَّه يُغفَرُ له معَهم وإن لم يكُن مِنهم، «فإنَّهم القومُ لا يَشْقى بِهِم جَليسُهم»[٥].

فأمَّا الشَّبَه بأهلِ الخيرِ في الظَّاهرِ والباطنُ بعيدٌ منهم، وإنَّما القصدُ بالتَّشبُّهِ بهم أن يُقالَ عنِ المُتشبِّهِ بهم إنَّه منهم وليس مِنهم، فهذا مِن خصالِ النِّفاقِ

---

(١) أورده الغزالي رحمه الله في آداب الألفة من «إحياء علوم الدين»، وعزاه السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٥٩٩) إلى العسكري.

قال الغزالي رحمه الله: «وهذا إشارة إلى أن مجرد ذلك [أي المحبة] من غير موافقة في بعض الأعمال أو كلها لا ينفع».

(٢) أنشده له ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (١٨٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٦).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٣٣٧) و(٤١٩٦) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٤) حديث مشهور لكنه ضعيف من كل طرقه كما ذكره الإمام النووي رحمه الله في مقدمة الأربعين.

(٥) جزء من حديث أخرجه البخاري (٦٤٠٨) ومسلم (٢٦٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كما قالَ بعضُهم: استعيذُوا باللهِ مِن خُشوعِ النِّفاقِ، أن يُرى الجسَدُ خاشعاً والقلبُ ليس بخاشعٍ[1].

كان السَّلَفُ الصَّالحُ يجتهِدونَ في أعمالِ الخيرِ، ويعدُّونَ أنفُسَهُم مِن المُقصِّرينَ المُفرِّطينَ المُذنبينَ، ونحن مع إساءَتِنا نعدُّ أنفُسَنا مِن المحسنينَ!

كان مالكُ بنُ دينارٍ يقولُ: إذا ذُكِرَ الصَّالحونَ فلأُفٍّ لي وتُفٍّ[2].

وقال أيُّوبُ: إذا ذُكِرَ الصَّالحونَ كنتُ عنهم بمَعزِلٍ[3].

وقال يونسُ بنُ عُبَيدٍ: أعدُّ مئةَ[4] خصلةٍ مِن خصالِ الخيرِ، ليس فيَّ مِنها خصلةٌ[5] واحدةٌ[6].

وقال محمَّدُ بنُ واسعٍ: لو أنَّ للذُّنوبِ رائحةً لم يستطِعْ أحدٌ أن يجلِسَ إليَّ[7].

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٦٣) من كلام أبي هريرة وأبي الدرداء رضي الله عنهما، وأخرجه ابن أبي شيبة (٣٦٨٦١)، وأحمد في «الزهد» (٧٦٢) من كلام أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (٢٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٦٣)، والبيهقي في «الشعب» (٧٩٠١).

(٣) «سؤالات ابن طهمان لابن معين» (٢٣٧). وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٥)، والبيهقي في «الشعب» (٧٩٠٠).

(٤) في (ق): «عُدّ».

(٥) «خصلة» من (ف)، وسقطت من سائر النسخ.

(٦) «سؤالات ابن طهمان لابن معين» (٢٣٨)، وأخرجه ابن الجعد في «مسنده» (١٣٣٥)، وابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (٣٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٨).

(٧) أخرجه بنحوه الإمام أحمد في «الورع» (ص: ١٦٣)، وابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (٣٧)، =

يـا مَـن إذا شُـبِّه بالصَّالحينَ فهـو عَنْهم[1] مُتباعِـد، وإذا شُـبِّهَ بالمُذنبيـنَ فحالُه وحالُهـم واحِـد، يا من يَسـمعُ ما تليـنُ له الجَوامِـد[2]، وطَرْفُـه جامِد، وقلبُه أقسـى مِـن الجَلامِـد، يا مَـن قد برَدَ قلبُـه عن التَّقـوى كيف ينفـعُ الضَّربُ في حديـدٍ بارِد.

يـا نفـسُ أنـى تُؤفكـينـا ... حتَّـى متـى لا ترْعَوِينـا

حتَّـى متـى لا تعقلينـا ... وتُبـصِريـن وتَسـمعينا

يـا نفـسُ إن لـم تَصلُحِـي ... فتشـبَّهي بـالصَّالحـينا[3]

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً أبداً سرمداً. وحسبنا الله تعالى ونعم الوكيل[4].

---

= وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٤٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٥/ ١٦٤).

(١) في (د): «منهم».

(٢) في (ق): «منه الجلامد».

(٣) الأبيات لأبي العتاهية من قصيدة في ديوانه (ص: ٢٦٤).

(٤) هذه الخاتمة من (ت)، وفي حاشيتها: «بلغ مقابلة بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه في الثالث عشر من شهر الله المحرم الحرام سنة ثلاث وخمسين وثمانمئة».

وفي (ف): «تم».

ولا شيء في (ق) و(د).

وفي (س): «آخره والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين عدد ما صلى عليه المصلون وغفل عن الصلاة والسلام عليه الغافلون والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً».

وفي حاشيتها: «بلغ مقابلة وتصحيحاً».

=

* * *

## ملحق

قال الإمام السَّرَخسيُّ الحنفي، المتوفى آخر القرن الخامس، رحمه الله تعالى في إملائه على «شرح السير الكبير» للإمام محمد بن الحسن الشيباني (١/ ١٦):

«وذكر بعد هذا عن طاوس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى بعثني بالسيف بين يدي الساعة، وجعل رزقي تحت رمحي - أو تحت ظل رمحي - وجعل الذل والصَّغار على من خالفني، ومن تشبه بقوم فهو منهم».

والمراد بقوله: «بعثني بالسيف»: أي بعثني لأقاتل في سبيل الله، كما قال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»، ولأن القتال في حق غيره من الأنبياء لم يكن مأموراً به، وخُصَّ به رسول الله ﷺ، وصفته في التوراة: «نبي الملحمة، عيناه حمراوان من شدة القتال»، وفي صفة هذه الأمة: «أناجيلهم في صدورهم، وسيوفهم على عواتقهم»، وإليه أشار ﷺ في قوله: «السيوف أردية الغزاة». وعن سفيان بن عيينة قال: بعث الله رسوله بأربعة سيوف: سيف لقتال المشركين باشر به القتال بنفسه، وسيف لقتال أهل الردة كما قال تعالى: ﴿تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَ﴾ [الفتح: ١٦]، فقاتل به أبو بكر رضي الله عنه بعده مانعي الزكاة، وسيف لقتال أهل الكتاب والمجوس، كما قال تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ..﴾ إلى أن قال: ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩] فقاتل به عمر رضي الله عنه، وسيف لقتال المارقين، كما قال تعالى: ﴿فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الحجرات: ٩] فقاتل به علي رضي الله عنه، على ما روي عنه أنه قال: «أمرت بقتال المارقين والناكثين والقاسطين».

وقوله: «بين يدي الساعة» أي بالقرب من قيام الساعة. قال الله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١]، قيل في معنى قوله: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٤٣]: فيم السؤال عن الساعة وأنت من أشراطها؟

وقوله: «وجعل رزقي تحت ظل رمحي»: قيل هذا حكم كان في ابتداء الإسلام أن الغازي إذا جنَّه الليل، فركز رمحه عند قوم فعليهم أن يضيفوه، فإن لم يفعلوا ذلك حتى أصبح كان متمكناً من أن يغرمهم، ثم انتسخ ذلك بقوله عليه السلام: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيبة نفس منه».

= وقيل: المراد به حل الغنائم لهذه الأمة، فإنها ما كانت تحل لأحد قبل مبعث رسول الله ﷺ، وبيان ذلك في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ [الإنفال: ٦٩]، وقال ﷺ: «خصصت بخمس» وذكر في جملتها حل الغنائم. ولم يُرد بالظل حقيقة الظل، لكن أراد به الأمان، ومنه قوله ﷺ: «السلطان ظل الله في الأرض» يريد به الأمان.

ومعنى قوله: «وجُعل الذل والصغار على من خالفني» أي ذل الشرك، فقد قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨]، وفي هذا بيان أن الذل على من خالفهم.

وقيل: المراد من الصغار: صغار الجزية على ما قال تعالى: ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩].

وقوله: «ومن تشبه بقوم فهو منهم»: أي تشبه بالمجاهدين في الخروج معهم، والسعي في بعض حوائجهم وتكثير سوادهم، فيكون منهم في استحقاق الغنيمة في الدنيا، والثواب في الآخرة، وفي مثل هذا قال ﷺ: «هم القوم لا يشقى بهم جليسهم» في حق العلماء». انتهى.

فهذا أحد معانيه، والمعنى الآخر: هو التشبه المذموم الذي تحدَّث عنه المصنف ابن رجب رحمه الله تعالى.







# كَشْفُ ٱلْكُرْبَةِ فِي وَصْفِ أَهْلِ ٱلْغُرْبَةِ

دار اللباب



بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
قال الشيخ الإمام العالم العلامة الحبر الكامل شيخ الإسلام قدوة الأنام وحيد
عصره وفريد دهره سيدنا وشيخنا أبو الفرج عبد الرحمن بن سيدنا وشيخنا الإمام
شهاب الدين أحمد بن رجب الحنبلي فسح الله في مدته ونفع ببركته ونفع به ٥
الحمد لله رب العالمين حمدًا طيبًا مباركًا كما يحب ويرضى وكما ينبغي
لكرم وجهه وعز جلاله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ٥ خرج
مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بدأ الإسلام
غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء ومن حديث ابن عمر عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ وخرجه
الإمام أحمد وابن ماجه من حديث ابن مسعود وزاد في آخره قيل
يا رسول الله ومن الغرباء قال النزاع من القبائل وخرجه أبو بكر الآجري
وعنده قيل من هم يا رسول الله قال الذين يصلحون إذا فسد الناس وخرجه
غيره وعنده قال الذين يفرون بدينهم من الفتن وخرج الترمذي من حديث
كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم إن الدين بدأ
غريبًا ويرجع غريبًا فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدي من
سنتي وخرج الطبراني من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديثه
قيل من هم يا رسول الله قال الذين يصلحون حين يفسد الناس وخرجه أيضًا
من حديث سهل بن سعد نحوه وخرجه الإمام أحمد من حديث سعد بن أبي وقاص
عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديثه فطوبى يومئذ للغرباء إذا فسد الناس
وخرج

وخرج الإمام أحمد والطبراني من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال طوبى للغرباء قلنا وما الغرباء قال قوم صالحون قليل في
ناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم وروي عن عبد الله بن عمرو
مرفوعًا وموقوفًا في هذا الحديث قيل ومن الغرباء قال الفرارون
بدينهم يبعثهم الله مع عيسى ابن مريم عليه السلام فقوله
صلى الله عليه وسلم بدأ الإسلام غريبًا يريد به أن الناس كانوا قبل مبعثه
صلى الله عليه وسلم على ضلالة عامة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عياض
ابن حمار الذي خرجه مسلم إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم
وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ودعا
إلى الإسلام لم يستجب له في أول الأمر إلا الواحد بعد الواحد من كل
قبيلة وكان المستجيب له خائفًا من عشيرته وقبيلته يؤذى غاية الأذى
وينال منه وهو صابر على ذلك في الله عز وجل وكان المسلمون إذ ذاك
مستضعفين يشردون كل مشرد ويهربون بدينهم إلى البلاد النائية
كما هاجروا إلى الحبشة مرتين ثم هاجروا إلى المدينة وكان منهم من يعذب
في الله ومنهم من قتل فكان الداخلون في الإسلام حينئذ غرباء ثم ظهر الإسلام
بعد الهجرة إلى المدينة وعز وصار أهله ظاهرين كل الظهور ودخل الناس بعد
ذلك في دين الله أفواجًا وأكمل الله لهم الدين وأتم عليهم النعمة وتوفي النبي صلى الله
عليه وسلم والأمر على ذلك وأهل الإسلام على غاية من الاستقامة في دينهم

دار الكتب المصرية (ك)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه
الحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا مباركًا
كما يحب ويرضى وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
خرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بدأ الإسلام
وسيعود غريبًا كما بدأ ٥ وخرجه الإمام
أحمد وابن ماجه من حديث ابن مسعود
وفي آخره قيل يا رسول الله ومن الغرباء قال
النزاع من القبائل وخرجه أبو بكر
الآجري وعنده قيل ومن هم يا رسول الله قال الذين
يصلحون إذا فسد الناس وخرجه

غيره وعنده قال الذين يفرون بدينهم من الفتن
خرج الترمذي من حديث كثير بن عبد الله
المزني عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم إن
الدين بدأ غريبًا ويرجع غريبًا فطوبى للغرباء
الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي ٥
خرج الطبراني من حديث جابر عن النبي
صلى الله عليه وسلم وفي حديثه قيل ومن هم يا رسول الله
قال الذين يصلحون حين يفسد الناس ٥
خرج أيضًا من حديث سهل بن سعد نحوه
وخرجه الإمام أحمد من حديث سعد بن أبي
وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديثه فطوبى يومئذ
للغرباء إذا فسد الناس ٥ وخرج الإمام
أحمد والطبراني من حديث عبد الله بن عمرو وابن

المكتبة المحمودية في المدينة المنورة (م)

مكتبة لايبزغ في ألمانيا (ل)

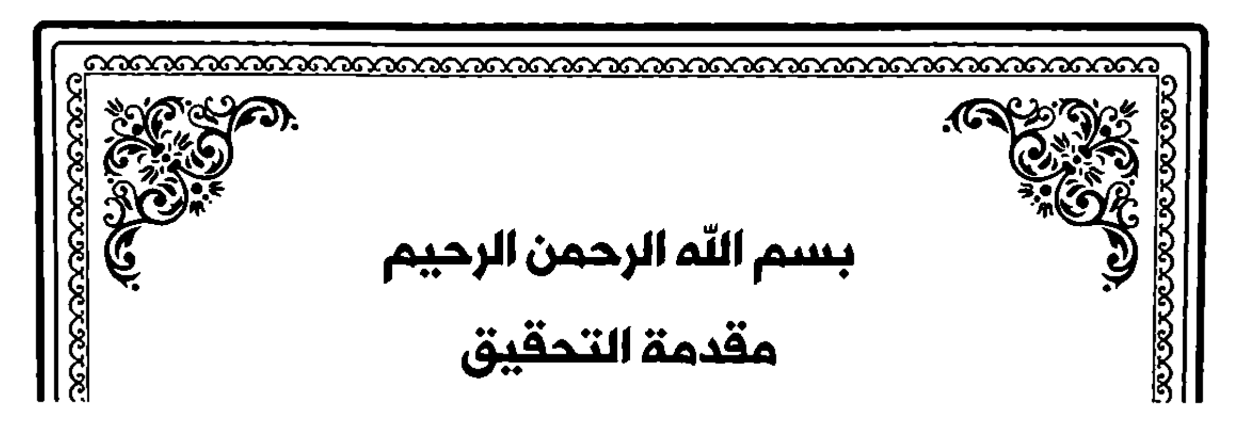
نسخة العطار (ط) ـ مكتبة جامعة الملك سعود

مركز جمعة الماجد (ج)

مكتبة الأوقاف العامة ببغداد (ق)

مكتبة الرياض العامة (ض)

نسخة الدحيان (د) ـ مكتبة الموسوعة الفقهية في الكويت




الحمد لله مؤنسِ مَنْ لجأ إليه مِنْ غربته، وكاشفِ غمِّ مَنْ فرَّ إليه مِنْ كُربته، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير بريته، وعلى آله وصحبه وعِتْرته، ومَنْ تبعهم على الهدى واستقام على شريعته.

**أما بعد:**

فإن من دلائل النبوة، ومعجزات صاحب الشريعة ﷺ إخباره عن الغيوب المستَقْبَلَة حتى كأنها رأي عين، يراها أهل كل عصر بعدَه فتصدق على أحوالهم، ويَرون تحقق مقاله ﷺ فيهم، فإذا انقضى عصرهم وجاء خَلَفُهم رأوا أنهم أولى بوصف تلك الأحوال من أسلافهم، فإذا انقضى عصرهم وجاء خَلَفُهم كان الأمر كذلك إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها.

وقد بدأ الإسلام غريباً في مكة، غربة الإيمان بين الكافرين، وغربة التوحيد بين المشركين، وغربة الحق بين المبطلين، إلى أن أذن الله تعالى لرسوله ﷺ بالهجرة إلى مدينته ودار سنته، فأعلى الله فيها منار الإيمان، وأفَلَ منها نجم الشرك والكفران، وكانت كلمة الله هي العليا، ثم فُتحت مكة ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وأكمل الله تعالى دينه، وأتم نعمته، ورضي الإسلام لنا ديناً.

ثم انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى وأمته على خير ما كانت، وجاء بعدَه خليفتُه

الصديق رضي الله عنه، فقام لله في وجه أهل الردة، ثم خَلَفه الفاروق رضي الله عنه فبسطَ الله له سلطان الإسلام في الأرض، ثم استُشهد رضي الله عنه، فكُسِر على الأمة باب الفتن، كلما انقضت فتنة ظهرت فتنة بعدها تُرَقِّقُها.

كان الافتراق ثم الشقاق من أعظم الفتن وأشد المحن للأمة، وكانا سبباً لما أخبر عنه ﷺ من غربة الدين وأهله؛ فصار أهل السنة غرباء بين أهل البدع، وأهل الحق غرباء بين أهل الباطل، وأهل الهدى غرباء بين أهل الضلال.

وكتب العلماءُ الكتبَ وصنفوا التصانيفَ في ذلك، كأبي بكر الآجري، المتوفى سنة ٣٦٠ رحمه الله تعالى في جزئه «الغرباء»، ثم بعد قرون متراخية كتب ابن قيم الجوزية، المتوفى سنة ٧٥١ رحمه الله كلامه عن الغربة في «مدارج السالكين» (٤/ ٦٧ ـ ٨٦)، ثم الشاطبي المتوفى سنة ٧٩٥ رحمه الله في فواتح كتابه «الاعتصام»، وهو عَصْرِيُّ المؤلفِ الإمامِ ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى.

لكنهم رحمهم الله جميعاً رغم ما أوضحوا وبيَّنوا، وفرَّعوا وقسموا، وفصَّلوا وأجملوا: لم يَرَوا ما نحن فيه اليوم في القرن الخامس عشر من الغربة!

فقد أوهنَ الضعفُ الأمة بعدهم فتسلط عليها أعداؤها وتداعوا إليها تداعي الأكلة إلى قصعتها، فأمسى الإسلام غريباً في أوطانه!!

وظهر من المبادئ الباطلة والأفكار المنحرفة ما يُناقض الإسلام بالكلية.

وكلما جاءت غُربةٌ نَسِيَ الناسُ الغربةَ التي قبلها، ولم يحذروا من الغربة التي تليها، وما العصمة من ذلك إلا بالاعتصام بحبل الله ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا

﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾، والتمسكِ بسنة رسول الله ﷺ، وقد أشار الحافظ ابن رجب رحمه الله إلى قضية مهمة تتعلق بمفهوم (أهل السنة) يَغفُل عنها كثير من الخاصة فضلاً عن العامة، فيقصر بعضهم التمسك بالسنة على مسائل خاصة في باب الاعتقاد، ويقصره آخرون على مظاهر خاصة في البدن والثياب.

والحق: أن السنة الكاملة الواجبة الاتباع هي طريقة النبي ﷺ التي كان عليها هو وأصحابه السالمة من الشبهات والشهوات في الدين كله من الإيمان والإسلام والإحسان، أي في العقائد والشرائع والسلوك.

ومن الحيف والظلم زعم إقامة السنة في بعض ذلك، ثم مجافاة السنة ـ بل ترك الدين ـ في بعض آخر من ذلك.

قال الله جل جلاله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

وقال سبحانه في ذم بني إسرائيل: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

فليحذر المؤمن من الخزي في الحياة الدنيا، وليفرق بينه وبين الغربة.

فالغربة ـ وطوبى للغرباء ـ إنما تقع لمن كان على السنة الكاملة السالمة من الشبهات والشهوات في الدين كله إيماناً وإسلاماً وإحساناً.

وأما الخزي، فهو لمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض، فمثل هذا لا يدخل في مقام الغُربة، ولا يُعَدُّ من الغرباء!

وبسطُ ذلك يضيق به هذا المقام.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وثبتنا على ذلك، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه وثبتنا على ذلك.

* * *

* ذكر هذا الكتاب للمصنف: ابنُ عبد الهادي في «الجوهر المنضد» (ص: ٥٠) باسم: «كشف الكربة»، وذكره في «معجم الكتب» (ص: ١١٣)، وسماه: «كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة».

ورواه الروداني في «صلة الخلف» (ص: ٣٤٧)، وسماه: «كشف الكربة عن أحكام الغربة».

*** وقد اعتمدت في إخراجه على تسع نسخ:**

**١ ـ النسخة الأولى: نسخة دار الكتب المصرية، ورمزها (ك).**

وهي في (١٠) لوحات، مسطرتها (١٨) سطراً، لم يذكر اسم ناسخها، ولا تاريخ النسخ، لكنها كتبت في حياة المؤلف كما تفيد مقدمتها وخاتمتها، وهي مقابلة عن نسخة مقروءة على المصنف وعليها خطه.

جاء العنوان فيها: «الكلام على قوله ﷺ بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء» وفي أول النسخة تملك: «من نعم الله تعالى على عبده الفقير إلى رحمة ربه العلي جعفر الودبي الحنبلي».

وفي حاشية العنوان: «بدأ»: «روي بالهمز، وروي بدونه، أي: ظهر. عزيزي».

٢ ـ النسخة الثانية: نسخة المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة على صاحبها الصلاة والسلام، ورمزها (م).

وهي الرسالة الأولى من المجموع رقم (١٧٤٢) ـ وقد سبق وصفه في المقدمات ـ وهي تامة تقع في (١٨) لوحة (من ٢/ أ إلى ٩/ أ) لكن حصل اختلاط في الأوراق جعل بقيتها (من ١٣٨/ ب إلى ١٤٨/ أ).

وعنوانها: «كشف الكربة في وصف أهل الغربة».

ناسخها: أحمد بن محمد بن خضر القطان، وفي المجموع طبقة سماع مؤرخة ٨٣٦هـ، ويوجد في آخر الرسالة قيد قراءة سنة ١٢١٥.

٣ ـ النسخة الثالثة: نسخة لايبزغ، ورمزها (ل).

وهي في ضمن المجموع رقم (٨٨١).

وتقع في (٦) لوحات (من ٨٣/ ب إلى ٨٨/ أ) وهي مخرومة الآخر. مسطرتها ٢٥ سطراً، وعنوانها: «كشف الكربة في وصف أهل الغربة».

لم يذكر اسم الناسخ، ولا تاريخ النسخ، وخطها نسخي واضح من خطوط القرن التاسع الهجري.

٤ ـ النسخة الرابعة: نسخة العطار، ورمزها (ط).

وهي الرسالة الأولى من المجموع (٤٨٤٣) في مكتبة جامعة الملك سعود.

وتقع في (٩) ورقات.

عنوانها: «كشف الكربة في وصف أهل الغربة».

ناسخها: محمد بن الشيخ محمد بن الحاج علي العطار، وهو حسن الخط.

تاريخ نسخها: ١١ صفر ١١٢٣.

وعليها تملك: «تشرف بها أحقر من أن يذكر وأفقر: أحمد وهبي».

**٥ ـ النسخة الخامسة: نسخة جامعة ييل، ورمزها (ج).**

وهي من مصورات مركز جمعة الماجد (٣٦٢٦١٣) ضمن مجموع يليها فيه: فصل عن الغربة من «مدارج السالكين» لابن القيم، وعنوانها: «كشف الكربة في وصف الغربة». وهي في (٩) لوحات مسطرتها ٢٦ سطراً.

وخطها يمان، ويبدو أن المجموع كان في ملك الشوكاني، وبعض رسائله بخطه. وعليها قيد مقابلة في رجب ١٢٥٥. ووصف الناسخُ المصنفَ في أولها: «الشيخ الإمام العالم العامل، الزاهد العابد الورع، العارف المحقق الضابط، الدّاعي إلى الله بالكتاب والسنة، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة مستقره ومأواه، وجمعنا وإياه ووالدينا وأصحابنا وجميع المسلمين في دار كرامته بفضله ورحمته مع الأنبياء والأولياء. آمين إنه قريب مجيب.

**٦ ـ النسخة السادسة: نسخة مكتبة الأوقاف العامة ببغداد (ق).**

وهي في ضمن (٦٦٨٥)، وتقع في (٦) لوحات (من ١٧٣/ أ إلى ١٧٨/ ب) مسطرتها ٢٤ سطراً، وهي كثيرة التصحيف والأخطاء.

ناسخها: عبد العزيز بن محمد بن قاسم بن حميد.

بتاريخ: ١٤ من ذي القعدة سنة ١٢٨٦.

٧ ـ النسخة السابعة: نسخة مكتبة الرياض العامة السعودية (ض).

وهي الرسالة الثالثة من مجموع برقم (٦٢٣/ ٨٦) وتقع في (٥) لوحات (من ص: ١٦ إلى ص: ٢٣).

لم يذكر اسم الناسخ، وتاريخ نسخها: ١٢٨٧هـ.

وفي آخرها قيد مقابلة وتصحيح.

٨ ـ النسخة الثامنة: نسخة الدحيان (د).

وهي في مكتبةِ الموسوعة الفقهية في الكويت، برقم: خ ٣١٠ (٣)، وتقع في (٦) ورقات، مسطرتها ٣٣ سطراً، وجاءت التسمية فيها: «كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة»، وعليها بعض تعليقات وتصحيحات.

ناسخها: الشيخ العلامة عبد الله بن خلف بن دحيان الحنبلي.

وتاريخ نسخها: ٢٣ ربيع الثاني ١٣٢٠.

والعلامة القاضي الدحيان هو من كبار رجالات العلم في الكويت (١٢٩٢ ـ ١٣٤٩) رحمه الله تعالى.

٩ ـ النسخة التاسعة: نسخة مكتبة جامعة الرياض (س).

وهي الرسالة الرابعة من المجموع (١٦٣٧) وقد سبق وصفه في المقدمات.

وتقع في (٧) لوحات (من ص: ٩٧ إلى ص: ١٠٩)، وسميت فيه: «شرح حديث بدأ الإسلام غريباً».

وهي بخط عبد الله بن إبراهيم الربيعي، ولم يذكر تاريخ نسخها، لكن الرسالة التي قبلها في المجموع نسخت في ذي الحجة ١٣٣٣هـ.

وطبع الكتاب طبعات كثيرة جداً زادت على عشرة لأهمية موضوعه ومن أشهرها: طبعة الشيخ أحمد الشرباصي، دار الكتاب العربي بمصر، ١٣٧٣ التي قدم لها بمقدمة وافية ضافية، وعلق على الكتاب، وأضاف إليه ملحقاً أورد فيه كلام الشاطبي، وعنون الكتاب بـ «غربة الإسلام».

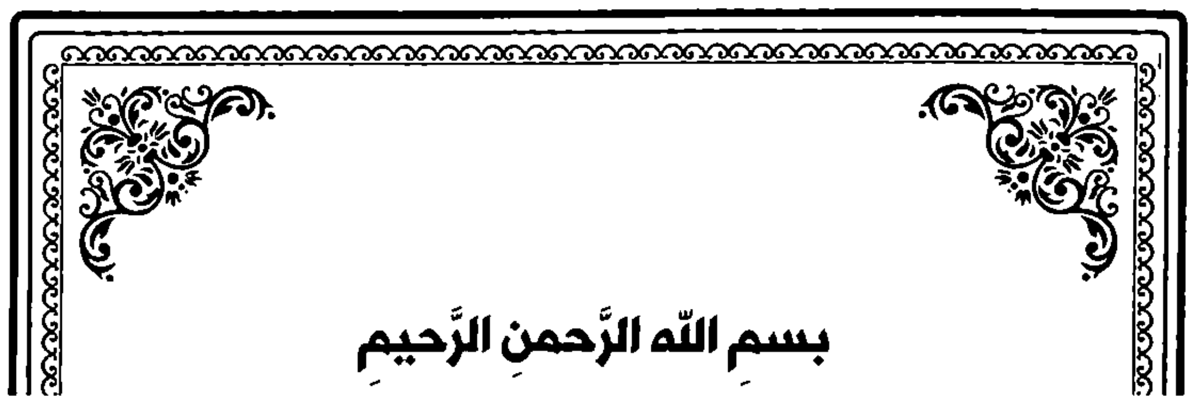
وما كتبه فيه معبر عن حال الأمة في أواسط القرن الرابع عشر.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

**محمد مجير الخطيب الحسني**

* * *



# بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[1]

قال الشيخ الإمام، العالم العلامة، الحبر الكامل، شيخ الإسلام، قدوة الأنام، وحيد عصره، وفريد دهره، سيدنا وشيخنا أبو الفرج عبد الرحمن، ابن سيدنا وشيخنا الإمام شهاب الدين أحمد بن رجب الحنبلي، فسح الله في مدته، ونفع به[2].

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ حمداً كثيراً طيِّباً مُبارَكاً فيه كما يُحِبُّ ربُّنا[3] ويَرضى، وكما يَنبغي لكرمِ وَجهِهِ وعزِّ جلالِه، وصلَّى اللهُ على سيِّدنا محمَّدٍ وآلِه وصحبه وسلَّمَ تسليماً كثيراً[4].

خرَّجَ مُسلِمٌ في «صحيحِه» مِن حديثِ أبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنه، عن النبيِّ ﷺ قالَ: «بدأَ الإسلامُ غريباً وسيعودُ غريباً كما بدأَ فطُوبى للغُرَباءِ»[5].

---

(١) في (م): «وبه أستعين» في (ل): «رب يسر ولا تعسر يا كريم». وفي (ج): «ولا حول ولا قوة إلا بالله». وفي (ق): «وبه نستعين». وفي (ض): «وبه نستعين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين».

(٢) من (ك).

(٣) لا توجد اللفظة في (ك) و(ل) و(ط).

(٤) زاد في (ج): «وأزواجه وذريته وصحبه أجمعين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين».

(٥) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٤٥).

ومِن حديثِ ابن عُمرَ رضيَ اللهُ عنهما، عن النبيِّ ﷺ قالَ: «إنَّ الإسلامَ بدأ غريباً وسيعودُ غريباً كما بدأ»[١].

وخرَّجَه الإمامُ أحمدُ وابنُ ماجَه، مِن حديثِ ابنِ مسعودٍ بزيادةٍ في آخرِه وهي: قيلَ: يا رسولَ اللهِ! ومَن الغُرَباءُ؟ قال: «النُّزَّاعُ مِن القبائلِ»[٢].

وخرَّجَه أبو بكرٍ الآجُريُّ، وعندَه: قيل: ومَن هم يا رسولَ اللهِ؟ قال: «الذين يَصْلُحونَ إذا فسَدَ النَّاسُ»[٣].

وخرَّجَه غيرُه، وعنده: قال: «الذين يَفِرُّون بدينِهم مِن الفِتَنِ»[٤].

وخرَّجه التِّرمذيُّ مِن حديثِ كَثِيرِ بن عبد اللهِ المُزَنيِّ، عن أبيه، عن جدِّه، عن النبيِّ ﷺ: «إنَّ الدِّينَ بدأ غريباً ويَرجِعُ[٥] غريباً فطوبى للغُرباءِ الذين يُصلِحُون ما أفسدَ النَّاسُ بعدي[٦] مِن سُنَّتي»[٧].

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٤٦)، وتتمة الحديث: «وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها». يأرز: ينضم ويجتمع.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣٧٨٤)، وابن ماجه (٣٩٨٨) بمثل حديث أبي هريرة، وفيه الزيادة.
والنُّزَّاع: جمع نازع ونزيع، وهو الغريب الذي نزع أي: بعد وغاب عن أهله وعشيرته. والغرباء: هم المهاجرون الذين هجروا أوطانهم في الله عز وجل.

(٣) أخرجه الأجري في «الغرباء» (١).

(٤) لم أجد هذه اللفظة من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ولعل المصنف أخذها من كتاب غير مسند، فلم يعزها إلى أحد، والله أعلم.

(٥) في (ق): «وسيرجع»، وفي (ن): «وسيعود».

(٦) في الترمذي: «من بعدي»، والمثبت من (ت) و(ل) و(ط) و(ج) و(س)، وسقطت اللفظة من (م) و(ق) و(د) و(ن) و(ض).

(٧) أخرجه الترمذي (٢٦٣٠) من حديث عمرو بن عوف رضي الله عنه وقال: «هذا حديث حسن» =

وخرَّجه الطَّبرانيُّ، من حديثِ جابرٍ، عن النبيِّ ﷺ، وفي حديثِه: قيل: و[1]مَن هم يا رسولَ الله؟ قال: «الذين يُصلِحونَ حين يفسُدُ[2] النَّاسُ»[3].

وخرَّجه أيضاً مِن حديثِ سهل بن سعدٍ، بنحوِه[4].

وخرَّجه الإمامُ أحمدُ، مِن حديثِ سعدِ بن أبي وقَّاصٍ، عن النبيِّ ﷺ، وفي حديثِه: «فطوبى يومئذٍ للغُرباءِ إذا فسدَ النَّاسُ»[5].

---

= وأوله: «إن الدين ليأرز إلى الحجاز كما تأرز الحية إلى جحرها، وليعقلن الدِّين من الحجاز معقل الأروية من رأس الجبل، إن الدين بدأ غريباً...».

(١) «و»: سقطت من (ك) و(ل) و(ط) و(ج) و(س).

(٢) المثبت من (ك) موافقاً للمطبوع من «المعجم الأوسط» في (ج) و(س): «إذا» بدل حين، وفي (ض) و(د) و(س): «فسد»، وفي سائر النسخ «حين أفسد».

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» من ثلاثة طرق (٤٩١٥) (٨٧١٦) (٨٩٧٧)، وأوله: «إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً، فطوبا للغرباء. قال: «ومن هم؟..».

(٤) المثبت من (ك) وتصحفت «سهل» إلى «شريك» جاء في ما عداها من النسخ، وهو خطأ، صوابه: «سهل». والحديث أخرجه الطبراني من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه في «الكبير» (٥٨٦٧)، و«الأوسط» (٣٠٥٦)، و«الصغير» (٢٩٠) من طريق بكر بن سليم الصواف المدني، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، ولفظه في «الكبير»: «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، فطوبى للغرباء» قالوا: يا رسول الله، وما الغرباء؟ قال: «الذين يصلحون عند فساد الناس». قال في «الأوسط»: «لم يروه عن أبي حازم عن سهل إلا بكر». وبكر بن سليم: قال ابن عدي في ترجمته من «الكامل»: «يحدث عن أبي حازم عن سهل بن سعد وعن غيره ما لا يوافقه أحد عليه. ثم ذكر رواية بكر له من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. فحديث سهل إذن رواية معلة أصلها حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه الإمام أحمد (١٦٠٤)، ولفظه: «إن الإيمان بدأ غريباً، وسيعود كما بدأ، فطوبى يومئذ للغرباء إذا فسد الناس، والذي نفس أبي القاسم بيده ليأرزن الإيمان بين هذين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها». وهو أيضاً من رواية أبي حازم.

وخرَّج الإمامُ أحمدُ والطَّبرانيُّ، مِن حديثِ عبدِالله بن عمرٍو[١] رضيَ الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ قال: «طوبى للغُرباءِ»، قلنا: وما[٢] الغرباءُ؟ قال: «قومٌ[٣] صالحونَ قليلٌ في ناسِ سوءٍ كثيرٍ، مَن يعصيهِم أكثرُ ممَّن يُطيعُهم»[٤].

ورُوِيَ عن عبدِ الله بن عمرٍو[٥] مرفوعاً وموقوفاً في هذا الحديثِ: قيلَ: ومَن الغرباءُ؟ قال: «الفرَّارونَ[٦] بدينِهم يبعَثُهم اللهُ تعالى مع عيسى ابنِ مريمَ عليهِ السَّلام»[٧].

* * *

(١) في (ق) و(ن): «عُمر» وهو خطأ، مَشَت به بعض مطبوعات الكتاب.

(٢) في (ج) و(ق): «ومن». وفي (د): «قلنا يا رسول الله: وما الغرباء».

(٣) هنا ينتهي القسم الأول مما بين يدي من النسخة (ن).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٦٦٥٠) (٧٠٧٢) وفي أوله زيادة، والطبراني في «الأوسط» (٨٩٨٦) واللفظ له.

(٥) في (ق): «عمر»، وهو خطأ.

(٦) في (ط): «الفارون».

(٧) أخرج المرفوع، وأوله: «أحب شيء إلى الله تعالى: الغرباء، قيل: ومن الغرباء؟...»: عبدُ الله بن أحمد في زوائده على «الزهد» (٨٠٩)، ومن طريقه: أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٥). وأخرجه البيهقي في «الزهد الكبير» (٢٠٤).

قال عبد الله بن أحمد: سمعت سفيان بن وكيع يقول: «إني لأرجو أن يكون أحمد بن حنبل منهم».

وأخرج الموقوف: الإمام أحمد في «الزهد» (٤٠٤)، وابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (١٦)، والآجري في «الغرباء» (٣٧)، والدورقي في «مسند سعد بن أبي وقاص» (٩٤). فذكر المصنف رحمه الله تعالى هنا الرواية لهذا الحديث عن ثمانية من الصحابة رضي الله عنهم.

وللشيخ عبد الله بن يوسف الجديع البصري: «كشف اللثام عن طرق حديث غربة الإسلام» طبع في الرياض (مكتبة الرشد ١٤٠٩)، ذكر فيه الرواية عن ثمانية عشر من الصحابة ثم سبعة من مراسيل التابعين.

وبهذا يكون أصل الحديث وهو غربة الإسلام متواتراً، دون الألفاظ التي انفردت بها الأحاديث.

فقولُه ﷺ: «بدأَ الإسلامُ غريباً»: يريدُ به أنَّ النَّاسَ كانوا قبلَ مَبعثِه ﷺ على ضلالةٍ عامَّةٍ، كما قال النبيُّ ﷺ في حديثِ عِياضِ بنِ حِمَارٍ الذي خرَّجه مُسلمٌ: «إنَّ اللهَ نظرَ إلى أهلِ الأرضِ فمَقَتَهُم عَرَبَهم وعَجَمهم إلَّا بقايا مِن أهلِ الكتابِ»[1]، فلمَّا بُعِثَ النبيُّ ﷺ ودعا إلى الإسلامِ لم يستَجِب له في أوَّلِ الأمرِ إلَّا الواحدُ بعد الواحدِ مِن كلِّ قبيلةٍ، وكان المستجيبُ له خائفاً مِن عشيرتِه وقبيلتِه يُؤذى غايةَ الأذى، ويُنال منه وهو صابرٌ على ذلك في اللهِ عزَّ وجلَّ، وكان المسلمون إذ ذاكَ مُستضعفينَ يَشْرُدونَ كلَّ مَشرَدٍ[2]، ويَهرُبون بدينِهم إلى البلادِ النَّائيةِ كما هاجروا إلى الحبشةِ مرَّتين، ثمَّ هاجروا إلى المدينةِ، وكان مِنهم مَن يُعذَّبُ في اللهِ ومِنهم مَن يُقتَلُ[3]، فكان الدَّاخلون في الإسلامِ حينئذٍ غُرباءَ[4]، ثمَّ ظهرَ الإسلامُ بعد الهجرةِ إلى المدينةِ وعَزَّ وصارَ أهلُه ظاهرينَ كلَّ الظُّهورِ، ودخلَ النَّاسُ بعد ذلك في دينِ اللهِ أفواجاً، وأكملَ اللهُ لهم الدِّينَ وأتمَّ عليهم النِّعمةَ، وتُوفِّيَ النَّبيُّ ﷺ والأمرُ على ذلك، وأهلُ الإسلامِ على غايةٍ مِن الاستقامةِ في دينِهم وهُم مُتعاضِدونَ مُتناصِرونَ، وكانوا على ذلك في زمنِ أبي بكرٍ وعُمرَ رضي الله عنهما.

ثمَّ أعملَ الشَّيطانُ مَكائدَه على المسلمينَ وألقى بأسَهُم بينَهم وأَفْشى فيهم فتنةَ الشُّبُهاتِ والشَّهَواتِ[5]، ولم تزَلْ هاتانِ الفِتنتانِ تتَزايدُ شيئاً فشيئاً حتى استحكَمَتْ مَكِيدةُ الشَّيطانِ وأطاعَه أكثرُ الخلقِ، فمِنهم مَن دخلَ في طاعتِه في فتنةِ الشُّبُهاتِ، ومنهم مَن دخلَ في فتنةِ الشَّهَواتِ، ومِنهم مَن جمعَ بينهما، وكلُّ ذلك ممَّا أخبرَ النَّبيُّ ﷺ بوقوعِه.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) في ضمن خطبة للنبي ﷺ.

(٢) في (ض) و(د): «على كل مشرد». والضبط في (م): «يُشرَّدون كل مُشرَّد».

(٣) في (ك): «قُتِل».

(٤) في (ج) و(س): «غرباء حينئذ».

(٥) في (ج) و(س): «الشهوات والشبهات».

فأمّا فتنةُ الشُّبهاتِ؛ فقد رُوِيَ عنه ﷺ مِن غيرِ وجهٍ أنّه أخبرَ أنَّ أُمّته ستفترقُ على أزيدَ مِن سبعينَ فِرقةً على اختلافِ الرِّواياتِ في عددِ الزَّائدِ(١) على السَّبعينَ، وأنَّ جميعَ تلك الفرقِ في النَّارِ إلا فرقةً واحدةً، وهي ما كانت على ما هو عليه وأصحابُه ﷺ(٢).

وأمّا فتنةُ الشَّهواتِ؛ ففي «صحيحِ مسلمٍ»، عن عبدِ الله بن عمرٍو، عن النبيِّ ﷺ قال: «كيفَ أنتُم إذا فُتِحَت عليكم خزائنُ فارسَ والرُّومِ، أيُّ قومٍ أنتم؟» قال عبدُ الرَّحمن بنُ عَوْفٍ: نقولُ كما أمرَنا اللهُ، قال: «أوْ غيرَ ذلك، تتنافسونَ ثمَّ تتحاسَدونَ ثمَّ تتدابَرونَ ثمَّ تتباغَضُون(٣)»(٤).

وفي «صحيحِ البخاريِّ»، عن عمرو(٥) بن عوفٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «واللهِ ما الفقرَ أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تُبسَطَ عليكم الدُّنيا كما بُسِطَت على مَن كانَ قبلَكُم، فتَنافَسوها(٦) كما تَنافَسوها فتُهلِكَكم كما أهلكَتْهُم»(٧).

---

(١) في (ق): «الزيادات».

(٢) في (ك): «وهي من كان على ما هو عليه». في (ج) و(س): «وهو ما كان عليه هو وأصحابه».

وحديث افتراق الأمة ثابت في الجملة، روي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ومنها: حديث عبد الله بن عمرو عند الترمذي (٢٦٤١). قال: «هذا حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه». ولا يقتضي معناه تكفير تلك الفرق، كما فهمه بعض المعاصرين فجزموا بردِّه.

(٣) في (ك) و(ل) و(ط) و(ج): «تتضاغنون».

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٦٢). وقوله: «نقول كما أمرنا الله»: أي نسبح الله ونستغفره ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾.

(٥) في (ج) و(د) و(س): «عبد الرحمن» وهو خطأ.

(٦) في (ك): «على من قبلكم فتنافسوا كما يتنافسوها»، وفي (ق): «فتنافسوها».

(٧) أخرجه البخاري (٤٠١٥) (٦٤٢٥) واللفظ للموضع الأول.

وفي الصَّحيحينِ، مِن حديثِ عُقْبَةَ بنِ عامرٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ معناه أيضاً[1].

ولَمَّا فُتِحَت كنوزُ كسرى على عمرَ بنِ الخطَّابِ رضي الله عنه بكى، فقالَ: إنَّ هذا لم يُفتَح على قومٍ قطُّ إلا جُعِلَ بأسُهم بينهم، أو كما قالَ[2].

وكان النَّبيُّ ﷺ يخشى على أمَّتِه هاتين الفِتنتَيْنِ، كما في «مُسنَدِ الإمامِ أحمدَ» عن أبي بَرْزَةَ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قالَ: «إنَّما أخشى عليكُم شَهواتِ الغيِّ في بُطونِكُم وفُروجِكُم، ومُضِلَّاتِ الفِتَنِ»[3]، وفي روايةٍ: «ومُضِلَّاتِ الهوى»[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٤٢) ومسلم (٢٢٩٦). وهو آخر ما رآه عقبة بن عامر من رسول الله ﷺ على المنبر. وجاء في حاشية (ج) وهي نسخة القاضي العمراني:

«الأب يخاف على ولده الفقر، وهو ﷺ قال: «ما أخشى عليكم الفقر، ولكن أخشى عليكم التكاثر، وما أخشى عليكم الخطأ، ولكن أخشى عليكم التعمد» أخرجه الحاكم [(٢/ ٥٣٤)]، وقال: على شرط مسلم، وأقره الذهبي. وأخرجه أحمد بالأصل عن أبي هريرة [(٨٠٧٤)].

قال المنذري [الترغيب والترهيب (٤/ ١٨١)] والهيثمي [مجمع الزوائد (٤٦٧٣): ] رجاله رجال الصحيح. فتأمل حاله عليه السلام يخالف حال الوالد، فإنه لا يخشى عليهم الفقر كما يخافه الوالد، بل يخشى عليهم الغنى، الذي هو مطلوب الوالد لولده، فأشار بذلك إلى أن مضرة الفقر دون مضرة الغنى لأن ضرر الفقر دنيوي، وضرر الغنى ديني غالباً».

(٢) أخرج ابن المبارك في «الزهد» (٧٦٨) أن عمر بن الخطاب أتي بكنوز كسرى، فقال عبد الله بن أرقم: أتجعلها في بيت المال حتى تقسمها؟ فقال عمر: لا والله لا أُوويه إلى سقف حتى أمضيها، فوضعها في وسط المسجد فباتوا عليها يحرسونها، فلما أصبح كشف عنها فرأى من الحمراء والبيضاء ما يكاد يتلألأ، فبكى عمر، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ فوالله إن هذا ليوم شكر ويوم سرور ويوم فرح فقال عمر: «ويحك إن هذا لم يعطه قوم قط إلا ألقيت بينهم العداوة والبغضاء».

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١٩٧٧٢).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١٩٧٧٣) (١٩٧٨٧). وفي حاشية (س) إشارة إلى نسخة: «الأهواء».

فلمَّا دخلَ أكثرُ النَّاسِ في هاتين الفِتنتَيْنِ أو إحداهما، أصبَحوا مُتقاطِعينَ مُتباغضِينَ بعد أن كانوا إخواناً مُتحابِّينَ مُتواصلينَ؛ فإنَّ فتنةَ الشَّهَواتِ عمَّتْ غالبَ الخَلْقِ فافتُتِنوا[1] بالدُّنيا وزَهرتِها وصارَت غايةَ قصدِهم، لها يَطلبونَ وبها يَرْضَون ولها يَغضبونَ ولها يُوالون وعليها يُعادون، فقطَّعوا لذلك أرحامَهُم وسفكوا دِماءهم وارتكبوا مَعاصيَ اللهِ بسببِ ذلك.

وأمَّا فتنةُ الشُّبُهاتِ والأهواءِ المُضِلَّةِ فبسببِها تفرَّقَ أهلُ القِبلةِ وصاروا شِيَعاً، وكفَّرَ بعضُهم بعضاً، وأصبَحوا أعداءً وفِرَقاً وأحزاباً، بعد أن كانوا إخواناً قلوبُهم على قلبِ رَجُلٍ واحدٍ، فلم ينجُ من هذهِ الفِرَقِ كلِّها إلا الفِرقةُ الواحدةُ النَّاجيةُ، وهم المذكورونَ في قولِه ﷺ: «لا تزالُ طائفةٌ مِن أمَّتي ظاهرينَ على الحقِّ لا يضرُّهم مَن خذَلَهم أو خالفَهُم حتَّى يأتيَ أمرُ اللهِ وهم على ذلك»[2].

وهم في آخرِ الزَّمانِ الغرباءُ المذكورونَ في هذه الأحاديثِ: «الذين يَصلُحونَ إذا فسدَ النَّاسُ»، «وهم الذين يُصلِحون ما أفسدَ النَّاسُ» مِن السُّنَّةِ، «وهم الذين يَفرُّون بدِينهم مِن الفِتَنِ[3]»، «وهُم النُّزَّاعُ من القبائلِ»؛ لأنَّهُم قَلُّوا فلا يوجَدُ في كلِّ قبيلَةٍ منهم إلا الواحدُ أو[4] الاثنانِ، وقد لا يوجدُ في بعضِ القبائلِ منهم أحدٌ كما كان الدَّاخلون في الإسلامِ في أوَّلِ الأمرِ كذلك[5].

---

(١) في (ق): «ففتنوا»، وفي (ل): «وافتتنوا».

(٢) في (د): «ولا من». هذا اللفظ مركب من أحاديث، أقربها إليه حديث معاوية رضي الله عنه مرفوعاً: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي امر الله، وهم ظاهرون على الناس» أخرجه مسلم (١٠٣٧).

(٣) في (ط) و(ج): «من الفتن بدينهم».

(٤) في (ق) و(ض) و(د): «و».

(٥) في حاشية (س) عنوان: «معرفة الفرقة الناجية».

وبهذا فسَّر الأئمَّةُ هذا الحديثَ.

قال الأوزاعيُّ في قولِه ﷺ: «بدأ الإسلامُ غريباً وسيعودُ غريباً كما بدأ»: أمَا إنَّه ما[1] يذهبُ الإسلامُ، ولكن يذهبُ أهلُ السُّنَّةِ حتى ما يبقى في البلدِ مِنهم إلَّا رجلٌ واحدٌ[2].

ولهذا المعنى يوجَدُ في كلامِ السَّلفِ كثيراً مدحُ السنَّةِ ووصفُها بالغُربةِ ووصفُ أهلِها بالقِلَّةِ.

فكان الحسنُ البصريُّ رحمه الله يقولُ لأصحابِه: يا أهلَ السنَّةِ! ترفَّقوا رحمكم اللهُ فإنَّكم مِن أقلِّ النَّاسِ[3].

وقال يونسُ بن عُبَيدٍ: ليس شيءٌ أغربَ مِن السُّنَّةِ، وأغربُ مِنها مَن يعرِفُها[4][5].

وروي عنه أنَّه قال: أصبحَ مَن إذا عُرِّفَ السنَّةَ[6] فعرفَها غريباً، وأغربُ منه مَن يُعَرِّفُها[7].

وعن سفيانَ الثَّوريِّ أنَّه قال: استَوْصوا بأهلِ السُّنَّةِ خيراً فإنَّهم غُرباءُ[8].

ومرادُ هؤلاء الأئمَّةِ بالسُّنَّةِ[9]: طريقةُ النبيِّ ﷺ التي كان عليها هو وأصحابُه،

---

(١) في (ج) و(س): «لا».

(٢) انفرد المصنف رحمه الله بهذا النقل عن الأوزاعي.

(٣) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١٩).

(٤) في (ق): «من عرفها».

(٥) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢٣).

(٦) في (ق): «بالسنة».

(٧) سقط هذا الأثر من (ل). أخرجه اللالكائي (٢١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢١).

(٨) سقط هذا الأثر من (د) و(ض). أخرجه اللالكائي (٤٩).

(٩) في حاشية (ج) عنوان: «المراد بالسنة». وفي حاشية (س): «مطلب في معرفة السنة».

السَّالمةُ مِن الشُّبُهاتِ والشَّهَواتِ، ولهذا كان الفضيلُ بن عياضٍ رحمه اللهُ يقولُ: أهلُ السُّنَّةِ مَن عرفَ ما يُدخِلُ بطنَه مِن حلالٍ[١]، وذلك لأنَّ أكلَ الحلالِ مِن أعظمِ خصالِ السُّنَّةِ التي كان عليها النبيُّ ﷺ وأصحابُه رضي الله عنهم.

ثمَّ صارَ في عُرفِ كثيرٍ من العُلماءِ المتأخِّرينَ مِن أهلِ الحديثِ وغيرِهم السُّنَّةُ عبارةً عمَّا سَلِمَ مِن الشُّبُهاتِ في الاعتقاداتِ، خاصَّةً في مَسائلِ الإيمانِ باللهِ وملائكتِه وكتبِه ورُسلِه واليومِ الآخرِ، وكذلك في[٢] مَسائلِ القَدَرِ وفضائلِ الصَّحابةِ، وصنَّفوا في هذا العِلمِ تصانيفَ، سمَّوْها[٣] كُتبَ السنَّةِ، وإنَّما خصُّوا هذا العلمَ باسمِ السُّنَّةِ لأنَّ خطرَه عظيمٌ والمخالفُ فيه على شَفا هَلَكَةٍ.

وأمَّا[٤] السُّنَّةُ الكاملةُ؛ فهي الطَّريقةُ السَّالِمَةُ مِن الشُّبُهاتِ والشَّهَواتِ كما قالَ[٥] الحسنُ ويونسُ بنُ عُبَيدٍ وسفيانُ والفُضَيلُ وغيرُهم، ولهذا وُصِفَ أهلُها بالغُربةِ في آخرِ الزَّمانِ لِقلَّتِهم وعِزَّتِهم فيه[٦]، ولهذا وردَ في بعضِ الرِّواياتِ كما سبقَ في تفسيرِ الغُرَباءِ: «قومٌ صالحونَ قليلٌ في قومِ سَوْءٍ كثيرٍ مَن يعصيهِم أكثرُ ممَّنْ يُطيعُهُم».

وفي هذا إشارةٌ إلى قِلَّةِ عددِهم وقلَّةِ المُستجيبينَ لهم والقابِلينَ مِنهم، وكثرةِ المخالفينَ لهم والعاصينَ لهم.

---

(١) أخرجه اللالكائي (٥١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٠٤)، ولفظه: «إن لله عباداً يحيي بهم البلاد، وهم أصحاب السنة، ومن كان يعقل ما يدخل جوفه من حله كان من حزب الله».

(٢) سقطت من (ك) و(ط) و(ج).

(٣) في (ق) و(ض) و(د): «وسموها».

(٤) في (ط) و(ج) و(س): «فأما».

(٥) في (ك) و(ل) و(ج): «قاله».

(٦) في (ل) و(ق): «وغربتهم».

ولهذا جاءَ في أحاديثَ مُتعدِّدةٍ مدحُ المُتمسِّكِ بدينِه في آخرِ الزَّمانِ، وأنَّه كالقابضِ على الجَمرِ(١)، وأنَّ للعاملِ مِنهم أجرَ خمسينَ ممَّنْ قبلَهُم لأنَّهُم لا يجدونَ أعواناً على الخيرِ(٢)، وهؤلاءِ الغُرَباءُ قِسمان(٣):

أحدُهما: مَن يَصْلُحُ بنفسِه(٤) عندَ فَسادِ النَّاسِ.

والثَّاني: مَن يُصْلِحُ ما أفسدَ النَّاسُ مِن السُّنَّةِ، وهو أعلى القِسمينِ وأَفضَلُهُما.

وقد خرَّجَ الطَّبرانيُّ وغيرُه بإسنادٍ فيه نظرٌ، مِن حديثِ أبي أُمامةَ رضيَ اللهُ عنهُ، عَن النَّبيِّ ﷺ: «إنَّ لكلِّ شَيءٍ إقبالاً وإدباراً، وإنَّ لهذا الدِّينِ إقبالاً وإدباراً، وإنَّ مِن إقبالِ(٥) الدِّينِ ما كُنتم عليه مِن العَمَى والجَهالةِ وما بَعثَني اللهُ بِه، وإنَّ مِن إقبالِ الدِّينِ

---

(١) أخرج الترمذي (٢٢٦٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر»، وله شواهد، وقال: حديث غريب من هذا الوجه.

(٢) أخرج أبو داود (٤٣٤١) واللفظ له، والترمذي (٣٠٥٨) وقال: «حسن غريب»، وابن ماجه (٤٠١٤) من حديث أبي أمية الشعباني، قال: سألت أبا ثعلبة الخشني، فقلت: يا أبا ثعلبة، كيف تقول في هذه الآية ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] قال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله ﷺ، فقال: «بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مُؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك ـ يعني ـ بنفسك ـ ودع عنك العوام، فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيه مثل قبضٍ على الجمر، للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله»، وزاد في غيره قال: يا رسول الله أجر خمسين منهم؟ قال: «أجر خمسين منكم».

(٣) في حاشية (ج) عنوان: «غرباء الإسلام على قسمين».

(٤) في (ق): «نفسَه».

(٥) في (ط) و(س): «إدبار»! وعلى هذا يشكل فهم ما بعده، فكتب ناسخ (س) في حاشيتها: «لعل هنا سَقَطَ بالأصل وهي: «ومخالفة ما بعثني الله به» لأنها ليست مكتوبة هنا كما ترى»! والمثبت لا إشكال فيه فمن الإقبال: ما بعث الله به نبيه ﷺ بعدما كانوا عليه من العمى والجهالة.

أن تَفْقَهَ القبيلةُ بأسرِهـا حتَّى لا يوجدَ فيها إلا الفاسقُ والفاسقانِ، فهُما مَقهورانِ ذَليلانِ إن تكلَّمَا قُمِعا وقُهِرا واضطُهِدا، ألا وإنَّ مِن إدبارِ الدِّين أن تَجْفوَ القبيلةُ بأسرِها حتَّى لا يُرَى فيها إلَّا الفَقيهُ والفقيهانِ وهما مَقهورانِ ذَليلانِ إن تكلَّما فأَمَرا بالمعروفِ ونهيا عَن المُنكرِ قُمِعا وقُهِرا واضطُهِدا فهُما مقهورانِ ذليلانِ لا يَجِدانِ على ذلك أعواناً ولا أنصاراً»[١].

فوُصِفَ في هذا الحديثِ المؤمنُ العالمُ[٢] بالسُّنَّةِ الفقيهُ في الدِّينِ بأنَّه يكونُ في آخرِ الزَّمانِ عند فسادِه مقهوراً ذليلاً لا يجدُ أعواناً ولا أنصاراً.

وخرَّج الطَّبرانيُّ أيضاً بإسنادٍ فيه ضعفٌ، عَن ابنِ مسعودٍ رضي اللهُ عنهُ، عَن النَّبيِّ ﷺ في حديثٍ طويلٍ في ذكرِ أشراطِ السَّاعةِ قال: «وإنَّ مِن أشراطها[٣] أن يكونَ المؤمِنُ في القبيلةِ أذَلَّ مِن النَّقَدِ»[٤]، والنَّقَدُ هي الغَنَمُ الصِّغارُ.

وفي «مُسنَدِ الإمامِ أحمدَ»، عن عُبادةَ بنِ الصَّامتِ أنه قال لرجل من أصحابه[٥]:

---

(١) في حاشية (ط): «إقبال الدين». والحديث أورده المصنف رحمه الله تعالى بألفاظ مدرجة من رواياته التي مدارها على علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة رضي الله عنه. وإسناده مسلسل بالضعفاء، ولم أجد هذا اللفظ الذي ساقه المصنف عند أحد ممن أخرج الحديث؛ كالحارث بن أبي أسامة «بغية الباحث» (٧٧١)، وابن منيع «المطالب العالية» (٤/ ٣٣٤)، والطبراني في «الكبير» (٧٨٠٧) (٧٨٦٣). إلا أن أبا أحمد البخاري في جزء له (٢٣) روى هذا الحديث كما عند المصنف إلى قوله: «ما كنتم فيه من العمى والجهالة والضلالة» ثم قال: وذكر الحديث! فلم يكمله.

(٢) في (ق) و(س): «العامل».

(٣) في (ج) و(د): «أشراط الساعة» وفي (ق): «قال: ومن أشراطها».

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠٥٥٦)، وفي «الأوسط» (٤٨٦١).

(٥) في (ك): «عن...» ثم بعدها بياض مقدار كلمة، ولا توجد هذه العبارة كلها. «لرجل من أصحابه» لا توجد في (ط) و(ج) و(س). وفي «المسند» هما رجلان: أبو الدرداء وعبد الرحمن بن غَنْم.

يُوشِكُ إن طالَتْ بكَ حياةٌ[١] أن ترى الرَّجُلَ قد قرأَ القرآنَ على لسانِ محمَّدٍ ﷺ فأعادَه وأَبْدَاه[٢]، فأحلَّ حلالَهُ وحرَّمَ حرامَهُ، ونزلَ عندَ مَنازِلِه[٣]، لا يجوز فيكُم إلا كمَا يجوز[٤] رأسُ الحِمارِ الميِّتِ[٥].

ومنه قولُ ابنِ مسعودٍ: سيأتي على النَّاسِ زمانٌ يكونُ المؤمنُ فيه أذلَّ مِن الأَمَةِ[٦].

وإنَّما ذَلَّ المؤمنُ في آخرِ الزَّمانِ لغُربتِه بين أهلِ الفسادِ مِن أهلِ الشُّبُهاتِ والشَّهَواتِ، فكلُّهم يكرهُه ويُؤذيه لِمُخالفةِ طريقِه لطريقِهم[٧]، ومقصودِه لِمَقصودِهم[٨]، ومُباينتِه لهم فيما هم عليه.

لَمَّا[٩] ماتَ داودُ الطَّائيُّ قال ابنُ السَّمَّاكِ: إنَّ داودَ نظرَ بقلبِه إلى ما بين يديه

---

(١) في (ج): «الحياة». وفي (ض) و(د): «إن طالت بكم حياة أن تروا».

(٢) في (ك) بدلًا من «فأعاده وأبداه»: «أوعلى من قرأه على لسان محمد».

(٣) لا توجد «ونزل عند منازله» في (ك).

(٤) هكذا في جميع النسخ بالجيم والزاي، وفي مطبوعة الرسالة من مسند أحمد (١٧١٤٠)، ومطبوعة المنهاج (١٧٤١٤): «يحور» بالحاء والراء، دون إشارة من المحققين إلى اختلاف النسخ.
قال البرهان الناجي في «عجالة الإملاء على الترغيب والترهيب»: «كذا وجد فيهما [يعني الموضعين] بالجيم والزاي المعجمة في النسخ، وكان في نسختي، وهو الذي في مسند الإمام أحمد: يجوز فيكم. وأما ابن الأثير فإنما أورده في كتابه «نهاية الغريب» في مادة (حور) بالحاء والراء المهملتين من قول الله تعالى ﴿أَن لَّن يَحُورَ﴾ أي: يرجع!».
معنى: يجوز فيكم: يَسِيرُ فيكم، أي لا يكون له منزلة عند الناس، وهو المناسب للغربة.

(٥) أخرجه أحمد في «المسند» (١٧١٤٠).

(٦) أخرجه نعيم بن حماد في «الفتن» (٥٠١)، وأبو داود في «الزهد» (١٧٦).

(٧) في (ق): «لمخالفته طريقته لطريقتهم».

(٨) في (ك) «لمقاصدهم».

(٩) في حاشية (ط): «فائدة»، وفي سائر النسخ عدا (ك) و(ل) و(ط): «ولما».

فأعشى بصرُ قلبِه بصرُ العُيونِ، فكأنَّه[1] لم ينظر إلى ما أنتم إليه[2] تنظرونَ، وكأنَّكم لا تنظرون إلى ما إليه ينظرُ، فأنتم منه تَعجبون وهو مِنكم يعجَبُ، استوحشَ مِنْكُم أنَّه كانَ حيًّا وسطَ مَوْتى[3][4].

ومِنهم مَن كان يكرهُه أهلُه وولدُه لاستنكارِ حالِه، سمعَ عمرُ بن عبدِ العزيز امرأتَه مرَّةً تقولُ: أراحَنا اللهُ منك، فقال: آمين[5].

وقد كان السَّلفُ قديماً يَصِفونَ المؤمنَ بالغُربةِ في زمانِهم كما سبقَ مِثلُه عن الحسنِ والأوزاعيِّ وسفيانَ وغيرِهم.

ومن كلامِ أحمدَ بنِ عاصمِ الأنطاكيِّ[6] ـ وكان مِن كبارِ العارفينَ في زمانِ أبي سليمانَ الدَّارانيِّ ـ قال: إني أدركتُ مِن الأزمِنةِ زماناً عادَ فيه الإسلامُ غريباً كما بدأَ، وعادَ وصفُ الحقِّ فيه غريباً كما بدأَ، إن نَزَعْتَ[7] فيه إلى عالمٍ وجدتَهُ مَفتوناً بحبِّ الدُّنيا، يحبُّ التَّعظيمَ والرِّياسةَ، وإن نَزَعتَ[8] فيه إلى عابدٍ وجدتَه جاهلاً في

---

(١) في سائر النسخ عدا (ك) و(ل) و(ط): «وكأنه». ومعناه فأعشى بصرُ قلبه بصرَ عينيه، وعلى الضبط الآخر: فأعشى بصرُ عيونكم عنكم بصرَ قلبه. وتصحفت فأعشى إلى فأغشى في النسخ المتأخرة.

(٢) في (ق): «عليه».

(٣) في (ل) و(ط): «وسطاً ميتاً»، وفي (ج): «وسط ميتاً»، وفي (س): «وسط أموات».

(٤) أخرجه ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (٢/ ٣٣٩)، والدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٥٤٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٣٣٦)، واللفظ له، ضمن كلام طويل.

(٥) أخرجه أبو زرعة الدمشقي في «تاريخه» (ص: ١٩٥)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٥/ ٢٤٨).

(٦) في حاشية (س): «كلام أحمد بن عاصم».

(٧) تصحفت في (ك) و(م) و(ق) و(ض) و(د) إلى: «ترغب».

(٨) تصحفت في (ك) و(ق) و(ض) و(د) إلى: «ترغب».

عبادتِه مخدوعاً[١] صريعَ عدوِّه[٢] إبليسَ، قد[٣] صعدَ به إلى أعلى درجةِ العبادةِ وهو جاهلٌ بأدناها فكيفَ له بأعلاها، وسائرُ ذلك مِن الرَّعاعِ فثَبَجٌ[٤] أعوَجُ وذئابٌ مُختلِسَةٌ وسباعٌ ضاريَةٌ وثعالبُ [جوابِزَة][٥]. هذا وصفُ عيونِ[٦] أهل زمانِك مِن حملَةِ العلمِ[٧] والقرآنِ ورُعاةِ[٨] الحكمةِ، خرَّجه أبو نُعَيمٍ في «الحلية»[٩].

فهذا وصفُ أهلِ زمانِه فكيفَ بما حدثَ بعدَه مِن العظائمِ والدَّواهي التي لم تخطُر[١٠] ببالِه ولم تَدُر في خيالِه[١١].

---

(١) في (ط) وحدها: «مجذوعاً» وهو موافق لما في مطبوعة «الحلية» لكن في أحد مخطوطاته: «مخدوعاً». والمجذوع: الذي يُحبس على غير مرعى.

(٢) في (ق): «صريعاً، غَدَرَه».

(٣) في (ج) و(س): «وقد».

(٤) لم تنقط كاملة في (ل)، وفي (ط): «فشيخٌ»، وفي (ج) و(س) ومطبوعة «الحلية»: «قبيح»، وفي (ق): «نتيح ـ لعله: همج»، وفي (ض): «فثبح»، والمثبت من (ك) و(م) و(د)، ومخطوطة «الحلية». والثبج: هو الوَسَط. أي عامة الناس ومعظمهم.

(٥) اضطرب رسم هذه الكلمة في النسخ. في (ك) ـ وفوقها كذا ـ و(ل) و(ط): «ضراريرة»، وفي (ج): «ضرارة»، وفي (ق): «ضوائر»، وفي (م) و(ض) و(د): «ضوارير»، وفي (س): «صائلة»!! وفي مطبوعة «الحلية»: «جارية»، والمثبت من مخطوط «الحلية» ـ برنستون». ولعلها جمع جِبْز، وهو اللئيم. كما في «القاموس».

(٦) في (ج) و(س): «عيوب».

(٧) في (ك) و(ل) و(ج): «أهل العلم». وفي (ط): «جملة أهل العلم».

(٨) في (ط) و(ق): «ودعاة» وهو كذلك في مطبوعة «الحلية»، والمثبت من سائر النسخ ومخطوطة «الحلية».

(٩) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٨٦).

(١٠) في (ق) و(ض) و(س): «يخطرن».

(١١) في (ل): «حياته».

وخرَّج الطَّبرانيُّ، من حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «المتمسِّكُ بسُنَّتي عند فسادِ أمَّتي له أجرُ شهيدٍ»[١].

وخرَّجَ أبو الشَّيخِ الأصبهانيُّ بإسنادِه، عن الحسنِ قال: لو أنَّ رجلاً مِن الصَّدرِ الأوَّلِ بُعِثَ اليومَ ما عرفَ من الإسلامِ شيئاً إلا هذه الصَّلاةَ[٢]، ثمَّ قال: أما[٣] والله لئن عاشَ على هذه المنكراتِ[٤] فرأى صاحبَ بدعةٍ يدعو إلى بدعتِه، وصاحبَ دُنيا يدعو إلى دنياهُ، فعصمَه اللهُ عزَّ وجلَّ، وقلبُه يحنُّ إلى ذلك[٥] السَّلفِ الصَّالحِ فيتَّبعُ آثارَهُم ويستنُّ بسُنَّتِهم ويتَّبعُ سبيلَهُم[٦] كان لهُ أجرٌ عظيمٌ عظيمٌ[٧].

وروى المباركُ بن فَضالةَ[٨]، عن الحسنِ أنَّه ذكرَ الغنيَّ المُترفَ الذي له سلطانٌ يأخذُ المالَ ويدَّعي أنَّه لا عفافَ[٩] فيه، وذكرَ المُبتدعَ الضالَّ الذي خرجَ بسيفِه على المسلمينَ وتأوَّلَ ما أنزلَه[١٠] اللهُ في الكفَّارِ على المسلمينَ[١١].

ثمَّ قالَ: سُنَّتكم واللهِ الذي لا إلهَ إلا هو بينَهُما[١٢] بين الغالي والجافي، والمُترَفِ

---

(١) كتب بحاشية (ل) بخط مغاير: «مئة شهيد». وهو خطأ. والحديث أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٤١٤).

(٢) في (ق): «الضلالة» وهو خطأ شنيع.

(٣) في (ج): «ألا».

(٤) في (ك) و(م): «النكرات».

(٥) في حاشية (م) بخط متأخر «لعله: ذكر».

(٦) في (ك) «سبلهم».

(٧) «عظيم» مكررة في (ك) و(ل) و(ط) فقط. والأثر أخرجه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (١٧٨).

(٨) في (ق) و(ض) و(د): «وروى ابن المبارك عن فضالة». وهو خطأ.

(٩) المثبت من (ض) و(د)، وتصحفت في سائر النسخ إلى «عقاب»ا، وفي (س): «عقاب عليه».

(١٠) في (ق) و(ض) و(د) و(س): «أنزل».

(١١) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله.

(١٢) في (ل) و(ط) و(س): «بينها».

والجاهلِ، فاصبِروا عليها، فإنَّ أهلَ السُّنَّةِ كانوا أقلَّ النَّاسِ، الذين لم يأخذُوا مع[1] أهلِ الإترافِ إترافَهُم، ولا مع أهلِ البِدَعِ أهواءهُم، وصبَروا على سُنَّتِهم حتى أَتَوا ربَّهم، فكذلك إن شاءَ اللهُ فكونوا[2].

ثمَّ قالَ: واللهِ إنَّ رجلاً أدرك هذه المنكراتِ[3]، يقولُ هذا: هلمَّ إليَّ، ويقولُ هذا: هلمَّ إليَّ، فيقولُ: لا أريدُ.

سنَّـةُ محمَّـدٍ ﷺ[4] يطلبُهـا ويَسـألُ عنها، إن هـذا ليَعْـرضُ[5] له أجـرٌ عظيمٌ، فكذاكـم[6] فكونوا إن شـاءَ اللهُ[7].

ومِن هذا المعنى ما روى أبو نُعَيمٍ وغيرُه، عن كُمَيْلِ بن زيادٍ، عن عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه أنَّه قالَ[8]: النَّاسُ ثلاثةٌ؛ فعالمٌ[9] ربَّاني، ومُتعلِّمٌ على سبيلِ نجاةٍ، وهمَجٌ رَعاعٌ أتباعُ كلِّ ناعقٍ يميلونَ مع كل ريحٍ، لم يستضيئوا بنورِ العلمِ ولم يلجؤوا إلى ركنٍ وثيقٍ.

---

(١) في (ج) و(س): «من».

(٢) في حاشية (س): «تعريف أهل السنة، واستخراجهم من الفرق المنحرفة ذكره ابن المبارك [كذا] عن الحسن».

والأثر: أخرجه الدارمي (٢٢٢)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٧٤٣).

(٣) في (ك) و(م): «النُكْرات» والضبط من (ك).

(٤) المثبت من (ك) و(م) و(ل) وفي النسخ المتأخرة: «لا أريد إلا سنةَ محمد ﷺ».

(٥) في (ط) و(س): «ليعوض»، وفي (ك): «البِعَرضِ أجر عظيم».

(٦) في (ط) و(ق): «فكذلك».

(٧) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله.

(٨) في (د) وحدها زيادة: «أخذ بيدي، فأخرجني ناحية الجبانة، فلما أصحر جعل يتنفس، ثم قال: يا كميل بن زياد: القلوب أوعية فخيرها أوعاها، احفظ عني ما أقول:...».

(٩) في (م) و(ق) و(ض) و(د): «عالم».

ثمَّ ذكرَ كلاماً في فضلِ العلمِ إلى أن قال: آه، إن هاهنا[١] ـ وأشارَ إلى صدرِه ـ عِلْماً لو أصبتُ[٢] له حملةً! بل أصبتُه[٣] لَقِنًا[٤] غيرَ مأمونٍ عليه، يَستعمِلُ آلةَ الدِّينِ للدُّنيا، يَستظهِرُ بحُجَجِ اللهِ على كتابِه، وبنِعَمِه[٥] على عبادِه.

أو منقاداً لأهلِ الحقِّ لا بصيرةَ له في إحيائه، ينقدِحُ الشكُّ في قلبِه بأوَّلِ عارضٍ مِن شُبهَةٍ لا ذا ولا ذا.

أو منهومٌ باللذَّاتِ سَلِسُ القيادِ[٦] للشَّهَواتِ.

أو مُغرًى بجمعِ الأموالِ[٧] والادِّخارِ، وليسا[٨] مِن دُعاةِ الدِّينِ، أقربُ شَبهاً بهم الأنعامُ[٩] السَّارحةُ.

كذلك يموتُ العلمُ بموتِ حامليه، اللهمَّ بلى، لن[١٠] تَخْلُوَ الأرضُ من[١١] قائمٍ للهِ بحججِهِ[١٢] لكيلا تبطُلَ حُجَجُ اللهِ وبيِّناتُه، أولئك هم الأقلُّونَ عدداً، الأعظمونَ

---

(١) في (ك): «هاه».

(٢) في (م) و(ق): «وجدت».

(٣) في (م) و(ل) و(س) و(ط): «أصيبه».

(٤) تصحف في بعض النسخ إلى «الفتى». واللَّقِن: الفاهم.

(٥) المثبت من (ل) و(ط) موافقاً «للحلية» وفي سائر النسخ: «بنعمته».

(٦) في (ق) و(ط) و(ج): (مهموم» وفي (ق): «الانقياد».

(٧) في (ل) و(ج) و(ض) و(د): «المال». وفي (ك): «بجميع الأموال».

(٨) في (د) و(س): «وليسو» وفي (س): «من رعاة».

(٩) في (ق): «الأغنام» تصحيف.

(١٠) في (ق): «اللهم لا».

(١١) في (ج): «عن».

(١٢) المثبت من (ك) و(م) و(ق)، وفي سائر النسخ: «بحجة».

عندَ اللهِ قدراً، بهم يَدفَعُ اللهُ عن حُجَجِه حتَّى يؤدُّوها إلى نُظرائِهم، ويَزرعوها في قلوبِ أشباهِهم، هجمَ بهم العِلمُ على حقيقةِ الأمرِ فاستَلانوا ما استَوْعَر منه المترفونَ، وأَنِسُوا بما استوحشَ منه الجاهلونَ، صَحِبوا الدُّنيا بأبدانٍ أرواحُها مُعلَّقةٌ بالمنظرِ الأعلى، أولئك خُلفاءُ اللهِ في بلادِه، ودُعاتُه إلى[1] دينِه، هاه هاه شوقاً إلى رؤيتِهم[2].

فقسمَ أميرُ المؤمنينَ رضي الله عنه حملةَ العلمِ إلى ثلاثةِ أقسامٍ[3]:

قسمٌ هم[4] أهلُ الشُّبُهاتِ، وهُم مَن لا بصيرةَ له مِن حملةِ العلمِ، بل يَنقدِحُ الشَّكُّ في قلبِه بأوَّلِ عارضٍ مِن شبهةٍ فتأخذُه الشُّبهةُ[5] فيقعُ في الحيرةِ والشُّكوكِ، ويخرجُ من ذلك إلى البِدَعِ والضَّلالاتِ.

وقسمٌ هم أهل الشَّهَواتِ، وجعلهم نوعينِ:

أحدُهما: مَن يطلبُ الدُّنيا بنفسِ العلمِ، فيجعَلُ العلمَ آلةً لكسبِ الدُّنيا.

والثَّاني: مَن يطلبُ الدُّنيا بغيرِ العلمِ[6]، وهذا النَّوعُ ضربانِ:

أحدُهما: مَن همُّه مِن الدُّنيا لذَّاتُها وشَهواتُها فهو مَنهومٌ بذلك سريعُ الانقيادِ له.

والثَّاني: مَن همُّه جمعُ الدُّنيا واكتنازُها وادِّخارُها[7].

---

(١) في (ق): «في».

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٧٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٤/ ١٨).

(٣) في حاشية (ج): «تفسير كلام أمير المؤمنين كرم الله وجهه» وفي حاشية (س): «فائدة».

(٤) في (ق): «فسماهم» تصحيف.

(٥) في (ك): «الشبه».

(٦) في (ق) و(ض) و(د): «علم».

(٧) في (ل): «وإذخارها».

وكلُّ هؤلاء ليسوا مِن دُعاةِ الدِّينِ، وإنَّما هم كالأنعامِ، ولهذا شبَّه اللهُ تعالى مَن حُمِّلَ التَّوراةَ ثمَّ لم يَحمِلْها بالحمارِ الذي يحمِلُ أسفاراً[1]، وشبَّه عالِمَ السُّوءِ الذي انسلخَ مِن آياتِ اللهِ وأخلدَ إلى الأرضِ واتَّبعَ هواه بالكلبِ[2]، والكلبُ والحمارُ أخسُّ مِن الأنعامِ وأضلُّ سبيلاً[3].

والقسمُ الثَّالثُ مِن حَملةِ العلمِ: هم أهلهُ وحَملَتُه ورُعاتُه والقائمونَ بحُجَجِ اللهِ وبيِّناتِه، وذكرَ أنَّهم الأقَلُّونَ عَدداً الأعظمونَ عندَ اللهِ قدراً إشارةً إلى قلَّةِ هذا القسمِ وعِزَّتِه في حملةِ العلمِ وغرابَتِه بينَهم.

وقد قسَّمَ الحسنُ البصريُّ رحمه الله حملةَ القرآنِ إلى قريبٍ مِن هذا التَّقسيمِ الذي قسَّمَه عليٌّ رضي الله عنه لحملةِ العلمِ، قال الحسنُ: قُرَّاءُ القرآنِ ثلاثةُ أصنافٍ:

صِنفٌ اتَّخذوهُ بضاعةً يأكلونَ[4] به.

وصِنفٌ أقاموا حروفَه وضيَّعوا حُدودَه واستَطالوا به على أهلِ بلادِهم واستدَرُّوا[5]........................................

---

(١) قال جل جلاله: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٥].

(٢) قال سبحانه: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الأعراف: ١٧٥ ـ ١٧٦].

(٣) في حاشية (ض): «بلغ».

(٤) في (م) و(ج) و(ض) و(د): «يتأكلون»، وفي (س): «صناعة يأكلون به».

(٥) تحرفت في (م) و(ج) و(ض) و(د) إلى: «واستدنوا» وفي (س): «وسدنوا». ومعنى «استدروا به الولاة»: طلبوا به دَرَّهم وعطاياهم.

به الوُلاةَ[(١)]، كَثُرَ[(٢)] هذا الضَّربُ مِن حَملةِ القرآنِ لا كثَّرَهم اللهُ. وصِنفٌ[(٣)] عمَدُوا إلى دواءِ القرآنِ فوضعوهُ على داءِ قُلوبِهم وَكَدُوا به[(٤)] في محاريبِهم وحَنُّوا بـهِ[(٥)] فـي برانسِهم واستشعَرُوا الخـوفَ وارتَدَوا الحزنَ، فأولئك الذين يَسقي اللهُ بهم الغيثَ ويَنصرُ بهم على الأعداءِ، واللهِ[(٦)] لَهؤلاءِ الضَّربُ في[(٧)] حملةِ القُرآنِ أعزُّ مِن الكبريتِ الأحمرِ[(٨)].

فأخبرَ أنَّ هذا القسمَ وهم الذين قرؤوا القرآنَ للهِ وجعَلوه[(٩)] دواءً لقلوبِهم فأثمر لهم[(١٠)] الخوفَ والحزنَ أعزُّ مِن الكبريتِ الأحمرِ بين قُرَّاءِ القُرآنِ.

ووصفَ أميرُ المؤمنينَ رضيَ الله عنه هذا القسمَ مِن حَملةِ العِلمِ بصفاتٍ:

منها أنَّه هجمَ بهم العلمُ على حقيقةِ الأمرِ، ومعنى ذلك أنَّ العلمَ دلَّهُم على

---

(١) في (ق) و(ض) و(د): «الولاية».

(٢) في (ط): «كثيراً»، وفي (ض): «وقد كثر»، وفي (س): «كثرة».

(٣) في (م) و(ل) و(ق) و(ض) و(د): «وضرب».

(٤) المثبت من (ك)، وهو الموافق لما في «فضائل القرآن»: «فوكدوا» في (ض) و(د): «فذكروا» وهو كذلك في بعض المصادر، وتصحفت في سائر النسخ: «فركدوا به». «وكدوا» أقاموا.

(٥) «وحنوا» في جميع النسخ، وكذلك هو في مطبوعات بعض المصادر. لكن أخرجه ابن خالويه في «إعراب القراءات السبع وعللها» (١/ ٦٤) ثم قال: «سمعت أبا عمر يقول: خنّوا: بكوا حتى سمع خنينهم. قال ثعلب: فالخنين صوت البكاء من الأنف، ويقال: الأنفُ المَخَنَّة».

(٦) كرر «والله» في (ق) و(ض) و(د).

(٧) في (ج): «من».

(٨) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ١٢٧)، وابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (١٥٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٣٨١).

(٩) في (ق): «وهم قراء القرآن الذين جعلوه».

(١٠) المثبت من (ك)، وفي (ج): «فأنزلهم»، وفي سائر النسخ: «فأثر لهم».

المقصودِ الأعظمِ منه، وهو معرفةُ اللهِ عز وجل، فخافوه وأحبُّوهُ حتى سَهُلَ بذلك عليهم كلُّ ما تعسَّرَ على غيرِهم ممَّن لم يَصِل إلى ما وصَلُوا إليه ممَّنْ وقفَ مع الدُّنيا وزينتها[1] وزهرتِها واغترَّ بها ولم يُباشِر قلبَه معرفةُ اللهِ وعظمتُه وإجلالُه، ولذلك قال: (فاستَلانُوا[2] ما استَوْعرَ منه المترفونَ)؛ فإنَّ المُترفَ الواقفَ مع شهواتِ الدُّنيا ولذَّاتِها يَصعبُ عليه تركُ لذَّاتِها وشهواتِها؛ لأنَّه[3] لا عِوَضَ عنده مِن لذَّاتِ الدُّنيا إذا تركَها فهو لا يصبِرُ على تركِها[4]، وهؤلاء في قلوبِهم العِوَضُ الأكبرُ بما وصلوا إليه مِن لذَّةِ معرفةِ اللهِ ومحبَّتِه وإجلالِه كما كان الحسنُ يقولُ: «إنَّ أحبَّاءَ اللهِ هم الذين وَرِثوا طيبَ الحياةِ وذاقوا نعيمَها بما وصلوا إليه مِن مُناجاةِ حبيبِهم وبما وَجدوا مِن لذَّةِ حُبِّه في قلوبِهم»[5]، في كلامٍ يطولُ ذِكرُه هاهنا في هذا المعنى.

وإنَّما أَنِسَ هؤلاء بما استوحشَ منه الجاهلونَ؛ لأنَّ الجاهلينَ باللهِ يَسْتوحشونَ مِن تركِ الدُّنيا وشَهواتِها لأنَّهم لا يعرفونَ سِواها فهيَ أُنسُهم، وهؤلاء يَستوحشونَ مِن ذلك ويستأنِسونَ باللهِ وبذكرِه ومعرفتِه ومحبَّتِه وتلاوةِ كتابِه، والجاهلونَ باللهِ يَستوحشونَ مِن ذلك ولا يَجِدونَ الأُنسَ به.

ومِن صفاتِهم التي وصفَهُم بها أميرُ المؤمنينَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنه أنَّهم صَحِبوا الدُّنيا بأبدانٍ أرواحُها مُعلَّقةٌ بالمَنظرِ الأعلى، وهذا إشارةٌ إلى أنَّهم لم يتَّخِذوا الدُّنيا وَطناً ولا رَضُوا بها إقامةً وسكناً[6]، وإنَّما اتَّخذوها ممرًّا ولم يجعَلُوها مُستقرًّا،

---

(١) سقطت اللفظة من (ك)، وفي (ل) وغيرها: «وقف على الدنيا وزهرتها».

(٢) في (ك) و(ط) و(ج) و(د) و(س): «استلانوا».

(٣) «لأنه»: زيادة من (ك) و(م) و(ق) و(ض) و(د). وفي (ل): «إذ». ولا شيء في (ط) و(ج) و(س).

(٤) في (ك): «عن تركها».

(٥) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٣٧)، وعزاه المصنف في «استنشاق نسيم الأنس» إلى ابن أبي الدنيا.

(٦) في (ق): «ولا سكناً».

وجميعُ الكتبِ والرُّسُلِ أوصَتْ بهذا، وقد أخبرَ اللهُ تعالى في كتابِه عَن مؤمنِ آلِ فرعونَ أنَّه قال لقومِه في جُملةِ وعظِه لهم: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩] الآيةَ.

وقال النبيُّ ﷺ لابنِ عمرَ رضي الله عنهما: «كُن في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ»[(١)(٢)].

وفي روايةٍ: «وعُدَّ نفسكَ مِن أهلِ القُبور»[(٣)].

ومِن وَصايا المسيحِ المرويَّةِ عنه عليه السَّلام أنَّه قالَ لأصحابِه: اعبُروها ولا تَعْمُروها[(٤)].

وعنه عليه السَّلام أنَّه قال: مَن ذا الذي يبني على موجِ البحرِ داراً؟ تلك الدُّنيا فلا تتَّخِذوها قراراً[(٥)].

فالمؤمنُ في الدُّنيا كالغريبِ المجتازِ ببلدَةٍ غيرَ مُستوطِنٍ فيها، فهو يشتاقُ

---

(١) زاد في حاشية (م) وفي (ق) و(ض) و(د): «فكأنك بالدنيا ولم تكن وبالآخرة ولم تزل»: وهذا إدراج في الحديث وليس منه، وهذه الجملة أوردها السخاوي في «المقاصد الحسنة» (٧٩٠)، وقال «هو عند أبي نعيم من جهة عمر بن عبد العزيز». وهي في «الزهد» لأحمد بن حنبل (١٣٦٣)، وابن أبي الدنيا في «الزهد» (٢٦٣) و«قصر الأمل» (٢٢٦) و«ذم الدنيا» (٢١٣)، ويعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٥٩٤) من مكاتبة بين الحسن البصري وعمر بن عبد العزيز رحمهما الله.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤١٦).

(٣) أخرجها الترمذي (٢٣٣٣).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (٣٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٤٥) مما ذكره وهيب المكي.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (٤٨١) مما ذكره إبراهيم، وفي (٣٢٥) مما ذكره مكحول، وأخرجه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (٣٤٧) مما ذكره سعيد بن عبد العزيز.

إلـى بلـدِه، وهمُّـه الرُّجـوعُ إليـه والتَّـزوُّدُ بمـا يوصلُـه فـي طريقِـه إلـى وطنِـه، ولا ينافـسُ أهـلَ ذلـك البلدِ المسـتوطنين فيه فـي عِزِّهِم ولا يجـزَعُ ممَّا أصابَـه عندَهم مِـن الذُّلِّ.

قال فُضَيْلُ بنُ عياضٍ: المؤمنُ في الدُّنيا مهمومٌ حزينٌ، همُّه مَرَمَّةُ جهازِه[1].

وقال الحسنُ: المؤمِنُ في الدُّنيا كالغريبِ لا يجزَعُ مِن ذلِّها ولا يُنافسُ في عِزِّها، له شأنٌ وللنَّاسِ شأنٌ[2].

وفي الحقيقةِ فالمؤمنُ في الدُّنيا غريبٌ لأنَّ أباه إنَّما[3] كان في دارِ البقاءِ ثمَّ أُخرِجَ منها، فهَمُّه الرُّجوعُ إلى مَسكَنِه الأوَّلِ فهو أبداً يحنُّ إلى وطنِه الذي أخرجَ منه كمَا يقالُ: حبُّ الوطنِ من الإيمانِ[4].

وكما قيلَ:

كـم منـزلٍ فـي الأرض يألفُـه الفتى ... وَحنـيـنُه أبـداً لأوَّلِ مَـنزِلِ[5]

---

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥١/ ٣٠٦).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٦٣٥٨).

(٣) في (ق): «لما».

(٤) هذا ليس بحديث، ولا أصل له في كتب الحديث المسندة ولم يقف عليه فيها كبار الحفاظ.

وفي حاشية (س): فائدة: ولبعضهم في هذا المعنى:

إن لله عبـاداً فطنـا ... طلقـوا الدنيـا وخافـوا الفتنـا

نظـروا إليهـا فلمـا علمـوا ... أنهـا ليسـت لحـي وطنـا

جعلوهـا لجـة واتخـذوا ... صالـح الأعمـال فيهـا سـفنا

(٥) البيت لأبي تمام الطائي. وجاء في نسخنا جميعاً: «وكم...»، وفي (م) و(ل) و(ط) و(ج) و(س): «منزل للمرء يألفه». انظر: «أخبار أبي تمام» للصولي (ص: ٤٠).

ولبعضِ شُيوخِنا في هذا المعنى[١]:

فحيَّ على جناتِ عدنٍ فإنَّها ... منازِلُك الأولى وفيها المُخيَّمُ

ولكنَّنا سَبيُ العَدوِّ فهَلْ ترى ... نعودُ إلى أوطانِنَا ونُسَلَّمُ

وقد زعمُوا أنَّ الغريبَ إذا نأى ... وشطَّتْ به أوطانُه فهو مُغرَمُ

وأيُّ اغترابٍ فوقَ غُربَتِنا التي ... لها أضحَتِ الأعداءُ فينا تَحكَّمُ[٢]

والمؤمنونَ في هذا أقسامٌ، مِنهم مَن قلبُه مُعلَّقٌ بالجنَّةِ، ومِنهم مَن قلبُه مُعلَّقٌ عند خالقِه وهم العارفونَ.

ولعلَّ أميرَ المؤمنينَ رضي الله عنه إنَّما أشارَ إلى هذا القسمِ، فالعارفونَ أبدانُهم في الدُّنيا وقلوبُهم عند المولى.

وفي مراسيلِ الحسنِ، عن النبيِّ ﷺ يروي ذلك[٣] عن ربِّه عزَّ وجلَّ قال: «علامةُ الطُّهرِ أن يكونَ قلبُ العبدِ[٤] عندي مُعلَّقاً، فإذا كان كذلك لم يَنسَني على حالٍ، وإذا كان كذلك مَننتُ عليه بالاشتغالِ بي كي لا يَنساني، فإذا نَسِيَني[٥] حرَّكتُ

---

(١) في (ق) زيادة ليست من الأصل «هو شيخ الإسلام أبو عبد الله بن قيم الجوزية»: وفي حاشية (ل) «وهو ابن القيم». وفي (د): «قوله ولبعض شيوخنا: هو الإمام المحقق، العلامة المدقق شمس الدين أبو عبد الله محمد المعروف بابن القيم رحمه الله من قصيدة طويلة غراء جميلة جداً اهـ. الأبيات».

(٢) ذكرها ابن القيم رحمه الله في عدد من كتبه، كـ«طريق الهجرتين» و«مدارج السالكين» و«إغاثة اللهفان» و«مفتاح دار السعادة» و«حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» في أوله.

وذكر القصيدةَ بتمامها المصنفُ رحمه الله في ترجمة شيخه ابن القيم من ذيله على «طبقات الحنابلة» مما قرئ عليه وهو يسمع.

(٣) في (ق): «يرويه».

(٤) في حاشية (س): «ن: المؤمن».

(٥) في (ق) و(ض) و(د): «لم ينسني» وهو خطأ.

قلبَه، فإن[١] تكلَّمَ تكلَّمَ لي، وإن[٢] سكتَ سكتَ لي[٣]، فذلك الذي تأتيه المعونةُ مِن عندي»[٤].

وأهلُ هذا الشَّأنِ هم غرباءُ الغُرباءِ، وغُربَتُهم أعزُّ الغُربةِ؛ فإنَّ الغُربةَ عند أهلِ الطَّريقةِ غُربتانِ: ظاهرةٌ وباطنةٌ.

فالظَّاهرةُ: غربةُ أهلِ الصَّلاحِ بين الفُسَّاقِ، وغربةُ الصَّادقينَ بين أهلِ الرِّياءِ والنِّفاقِ، وغربةُ العُلماء بين أهـلِ الجهلِ وسـوءِ الأخلاقِ، وغربةُ علماءِ الآخرة بين علماءِ الدُّنيا الذين سُلِبُوا الخشيةَ والإشفاقَ، وغربةُ الزَّاهدينَ بين الرَّاغبينَ في كلِّ ما[٥] ينفَدُ وليسَ هو بباقٍ.

وأمَّا الغربةُ الباطنةُ؛ فغربةُ الهِمَّةِ، وهي غربةُ العارفِ[٦] بين الخَلْقِ كلِّهم حتى العُلَماءِ والعُبَّادِ والزُّهَّادِ، فإنَّ أولئك واقفونَ مع عِلمِهم وعبادتهم[٧] وزُهدِهم، وهؤلاء واقفون مَع معبودِهم لا يعرجونَ بقُلوبهم عنه.

كان[٨] أبو سُليمان الدَّارانيُّ[٩] ..............................

---

(١) في (ق): «فإذا».

(٢) في (ل) و(ج) و(ض) و(د): «بي»، وفي (ق): «بي وإذا».

(٣) في (ج) و(ق): «بي».

(٤) أخرجه ابن الجنيد الختلي في «المحبة» (٣٧).

(٥) في (م) وفي حاشية (ج) وفي (ق) و(ض) و(د): «فيما».

(٦) في (ج) و(ق) و(س): «العارفين».

(٧) في (ك) و(ج) و(س): «عباداتهم».

(٨) في (ق): «فكان». وفي (ض) و(د): «وكان».

(٩) «الداراني» سقطت من (ك) و(ل) و(ط) و(ج) و(س).

يقولُ في وَصفِهم[1]: هِمَّتُهم غيرُ همَّةِ النَّاسِ، وإرادَتُهم مِن الآخرةِ غيرُ إرادةِ النَّاسِ، ودعاؤُهم غيرُ دُعاءِ النَّاسِ منه[2].

وسُئِلَ عَن أفضلِ الأعمالِ[3] فبكى، وقال: أن يطَّلِعَ على قلبِكَ فلا يَرى تريد مِن الدُّنيا والآخرةِ غيرَه[4].

قال[5] يحيى بنُ معاذٍ: الزَّاهدُ غريبُ الدُّنيا، والعارفُ غريبُ الآخرةِ[6].

يشيرُ إلى أنَّ الزَّاهدَ غريبٌ بين أهلِ الدُّنيا، والعارفَ غريبٌ بين أهلِ الآخرةِ، لا يعرفُه العُبَّادُ ولا الزُّهَّادُ، وإنَّما يعرِفُه مَن هو مثلُه وهِمَّتُه كهِمَّتِه، وربما اجتمعَتْ للعارفِ هذه الغُرباتُ كلُّها أو كثيرٌ منها أو بعضُها، فلا تَسأل عن غُربتِه حينئذٍ؛ فالعابدونَ ظاهرونَ لأهلِ الدُّنيا والآخرةِ، والعارفونَ مَستورون عَن أهلِ الدُّنيا والآخرةِ.

قال يحيى بنُ معاذٍ: العابدُ مَشهورٌ والعارفُ مَستورٌ[7].

وربَّما خفيَ حالُ العارفِ على نفسِه لخفاءِ حالته[8] وإساءتِه الظنَّ بنفسِه.

---

(١) في (ق): «صفتهم و».

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٥٦) دون ذكر الإرادة.

(٣) في (س): «وسئل أبو سليمان الداراني عن أفضل الإيمان»!!

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٥٦). وفي (س): «أن تريد». وزيدت (أن) أيضاً في حاشية (ل).

(٥) في (ك) و(ق) و(د): «وقال».

(٦) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٦٠) بلفظ: «الزاهدون...»، ورواه القشيري في «الرسالة» (١/ ٢٤١) من كلام النصرأباذي.

(٧) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله. ولعله تلخيص لكلام له نقله أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٥٩).

(٨) في (ط) و(ج) و(س): «حاله».

قال إبراهيمُ بن أدهمَ: ما أُرى هذا الأمرَ إلَّا في رجلٍ لا يعرفُ ذاك[١] من نفسِه ولا يعرِفُه النَّاسُ منه[٢].

وفي حديثِ سعدٍ، عن النبيِّ ﷺ: «إنَّ الله يحبُّ العبدَ الخفيَّ التقيَّ»[٣].

وفي حديثِ معاذٍ، عن النبيِّ ﷺ: «إنَّ اللهَ يحبُّ مِن عبادِه الأخفياءَ الأتقياءَ الذين إذا حَضَروا لم يُعرَفوا، وإن غابوا لم يُفْتَقَدُوا[٤] أولئك أئمَّةُ الهدى ومَصابيحُ العلمِ»[٥].

وعن عليٍّ رضي الله عنه قال: طوبى لكلِّ عبدٍ نُوَمةٍ عرفَ النَّاسَ ولم يعرفه الناس[٦] وعرفَه اللهُ منه برضوانٍ، أولئك مَصابيحُ الهدى تُجلَى عنهم كلُّ فتنةٍ مظلمةٍ[٧].

وقال ابنُ مسعودٍ رضي اللهُ عنه: كونوا جُدُدَ القُلوبِ خُلْقَانَ الثِّيابِ مصابيحَ الظَّلامِ، تَخفَوْنَ على أهلِ الأرضِ وتُعرفونَ في أهلِ السَّماءِ[٨].

---

(١) في (ج) و(ق) و(ض) و(د) و(س): «ذلك».

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٨٦). «منه» من (ك)، وسقطت من سائر النسخ.

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٦٥)، ولفظه: «إن الله يحب العبد التقي، الغني، الخفي». والمراد بالغنى: غنى النفس.

(٤) المثبت من (ك) موافق لمصادر التخريج، وفي سائر النسخ: «لم يفقدوا». وفي (م): «وإذا غابوا».

(٥) أخرجه ابن ماجه (٣٩٨٩)، والحاكم (٣/ ٢٧٠) وغيرهما. بنحو هذا اللفظ.

(٦) في (ل): «يعرفوه الناس»، وفي (ج): «ولم يعرفه أحد».

(٧) أخرجه هناد بن السري في «الزهد» (٢/ ٤٣٧)، والمعافى بن عمران في «الزهد» (٥٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٤٩٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٧٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٢٢٣). قال البيهقي: نُوَمَة: «يعني الخامل الذكر الغامض في الناس الذي لا يعرف الشر ولا أهله». والضبط في (م): «وعَرَّفه».

(٨) أخرجه المعافى بن عمران في «الزهد» (٥٤)، والدارمي (٢٦٢) وابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (١٤)، وفي «العزلة والانفراد» (٧٩) (١٨٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٦٠٠).

فهؤلاء هم أخصُّ أهل الغربةِ، وهم «الفرَّارونَ بدينِهم مِن الفِتَنِ»، وهم «النُّزَّاعُ مِن القبائلِ» «الذين يُحشرونَ مع عيسى ابن مريمَ عليه السَّلام»، وهم «بين أهلِ الآخرةِ أعزُّ مِن الكبريتِ الأحمرِ»، فكيفَ يكونُ حالهم بينَ أهلِ الدُّنيا وتخفى أحوالُهم[1] غالباً على الفريقين، كما قال القائلُ[2]:

تَواريتُ مِن[3] دَهري بظِلِّ جَناحِه ... فعيني تَرى دهري وليسَ يَراني

فلو تُسْأَلِ الأيامُ ما اسميَ ما دَرَت ... وأينَ مَكاني ما عرفْنَ مَكاني[4]

ومَن ظهرَ مِنهم للنَّاسِ فهو بينَهُم ببدنِه وقلبُه مُعلَّقٌ بالمنظرِ الأعلى[5] كما قالَ أميرُ المؤمنينَ رضي الله عنه في وصفِهم، وكما قيلَ:

جِسْمي معي غيرَ أنَّ الرُّوحَ عِندَكُم ... فالجِسمُ في غُربةٍ والرُّوحُ في وَطَنِ[6]

وكانت رابعةُ رحمها اللهُ تُنشِدُ في هذا المعنى، وتقولُ[7]:

ولقد جَعلتُكَ في الفُؤادِ مُحدِّثي ... وأبحْتُ جِسمي مَن أرادَ جُلوسي

فالجِسمُ مِنِّي للجَليسِ مُؤانِسٌ ... وحبيبُ قلبي في الفُؤادِ أَنيسي[8]

---

(١) في (ق): «حالهم».

(٢) في (ق): «الشاعر».

(٣) في (ج) و(س): «عن».

(٤) في (س): «عن اسمي». والبيتان لأبي النواس. ذكره المعافى بن زكريا في «الجليس الصالح الكافي والأنيس الصالح الشافي» (ص: ٢٣٤).

(٥) في (ك): «بالملأ الأعلى».

(٦) ذكره المرزباني في «معجم الشعراء» (ص: ٤٣٨) لأبي عمارة المكي محمد بن أحمد بن أبي مرة، الملقب بشمروخ. ويذكر لغيره أيضاً.

(٧) «وتقول»: من (ق) و(د).

(٨) ذكره عن رابعة العدوية: ابن المقرئ في «معجمه» (٧٣)، وعن رابعة الشامية: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٩/ ١١٨).

وأكثرُهم لا يقوى على مخالطةِ الخلقِ فهو يفرُّ[١] إلى الخلوةِ بحبيبِه[٢]، ولهذا كان أكثرُهم يُطيلُ الوحدةَ.

قيل[٣] لبعضِهم: ألا تستوحِشُ؟ قال: كيفَ أستوحِشُ وهو يقولُ: أنا جليسُ مَن ذكرَني[٤].

وقال آخرُ: وهل يستوحِشُ مع اللهِ أحَدٌ[٥]؟.

وعن بعضِهم: مَن استوحشَ مِن وحدَتِه فذاكَ لقِلَّةِ أُنسِه بربِّه[٦].

كان[٧] يحيى بن مُعاذٍ كثيرَ العُزلةِ والانفرادِ، فعاتبَهُ أخوه فقالَ له: إن كنتَ مِن النَّاسِ فلا بُدَّ لك مِن النَّاسِ، فقال يحيى: إن كنتَ مِن النَّاسِ فلا بُدَّ لك مِن اللهِ[٨].

وقيلَ له: إذا هجرتَ الخلقَ مَع من تعيشُ؟ قال: مَع مَن هجرتُهم له[٩].

وأنشدَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ في هذا المعنى:

---

(١) في (ط): «يهرب».

(٢) في (ق) وحدها: «يستأنس بحبيبه».

(٣) في (ق) و(ض) و(د): «وقيل».

(٤) قاله عبيد الله بن محمد الكرماني فأجابه محمد بن النضر الحارثي، أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢١٧)، والبيهقي في «الشعب» (٦٩٧).

(٥) أخرجه جعفر الخلدي في «الفوائد والزهد والرقائق والمراثي» (١٨)، وابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (٥٢)، والخطابي في «العزلة» (ص: ١٦).

(٦) قالت ذلك عائشة بنت أبي عثمان سعيد الحيري. ذكره أبو عبد الرحمن السلمي في «ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات» (ص: ٤١٠).

(٧) في (ق) و(ض) و(د): «وقيل».

(٨) أخرجه ابن البنا في «الرسالة المُغْنية في السكوت ولزوم البيوت» (٣١).

(٩) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٦/ ٣١٠).

هَجرتُ الخلقَ طُرًّا في هَواكا[١] وأيتَمْتُ العِيالَ لكي أراكا
فلو قطَّعْتَني في الحُبِّ إرْباً لَمَا حنَّ الفؤادُ إلى سِواكا[٢]

وعوتبَ غزوانُ على خلوتِه فقال: إنِّي أصبتُ[٣] راحةَ قلبي في مُجالسةِ مَن لديه حاجَتي[٤].

ولغُربتِهم مِن[٥] النَّاسِ ربَّما نُسِبَ بعضُهم إلى الجنونِ لِبُعد حالِه مِن أحوالِ النَّاسِ، كما كان أُوَيسٌ يقالُ ذلك عنه[٦].

وكان أبو مُسلمٍ الخَوْلانيُّ كثيرَ اللهجِ بالذِّكرِ لا يفتر لسانه منه[٧]، فقالَ رجلٌ لجلسائِه: أمجنونٌ صاحبُكُم؟ قال أبو مسلمٍ: لا يا ابن أخي[٨]، ولكن هذا دواءُ الجنونِ[٩].

وفي الحديثِ عن النبيِّ ﷺ: «اذكُروا اللهَ حتَّى يقولوا: مجنونٌ»[١٠].

---

(١) في (ل) و(ج) و(س): «رضاكا».

(٢) أخرجه في سياق قصة: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٣٠٦).

(٣) في (ج): «وجدت».

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (١٧٨). وهو غزوان الرقاشي.

(٥) في (ك): «بين».

(٦) أويس القرني رضي الله عنه. انظر من ذلك: «الرقة والبكاء» لابن أبي الدنيا (٥٠)، و«التاريخ الكبير» لابن أبي خيثمة (٣/ ٢١٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٩/ ٤٣٤).

(٧) في (ط) و(س): «بالذكر بلسانه».

(٨) في (ك) و(ل) و(ط) و(ج) و(س): «لا يا أخي».

(٩) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٧/ ٢٠٨).

(١٠) أخرجه الإمام أحمد (١١٦٧٤) (١١٦٥٣) وغيره من حديث أبي سعيد الخدري، ولفظه: «أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون»، ولم أجد اللفظ الذي أورده المصنف مسنداً إلا فيما ذكر من بعض الرؤى! فعلى تسليم قبول الحديث ـ وفيه كلام ـ يكون معناه: الكثرة لا الهيئة، فلا يجوز الاحتجاج به على الرقص!

وقال الحسنُ في وَصْفِهم[١]: إذا نظرَ إليهم الجاهلُ[٢] حَسِبَهم مَرْضى وما بالقومِ[٣] مَرضٌ، ويقولُ: قد خولِطُوا[٤]، وقد خالطَ القومَ أمرٌ عظيمٌ[٥].

هيهاتَ واللهِ، مشغولونَ عن دُنياكُم.

وفي هذا المعنى يقولُ القائلُ:

وحُرْمةِ الوُدِّ ما لي عنكُمُ عِوَضٌ … وليسَ لي في سِواكُم سادَتِي غرَضُ

وقد شَرطتُ على قومٍ صَحِبتهمُ … بأنَّ قلبي لكُمْ مِن دونِهم فرَضُوا[٦]

ومِن حديثي بكُم قالوا: بهِ مَرَضٌ … فقلتُ: لا زالَ عني ذلك المرضُ[٧]

وفي الحديثِ، أنَّ النبيَّ ﷺ أوصى رجلاً فقال: «استَحْيِ مِن اللهِ كما تستحي مِن رَجُلينِ مِن صالحي عَشيرتِك لا يُفارقانِك»[٨].

---

(١) في (ك) و(ل) و(س): «صفتهم».

(٢) هنا انتهت النسخة (ل).

(٣) في (ط): «بهم».

(٤) في (ق) و(ض) و(د): «خالطوا».

(٥) أصل الكلام مما ذكره وهب بن منبه بحضرة ابن عباس رضي الله عنهما من كلام فتى لأيوب عليه السلام. أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٤٩٥ ـ ١٤٩٦). وكلام الحسن عند ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (٩١)، و«الأولياء» (٩٣).

(٦) هذا البيت من (م) و(ق) وسقط من سائر النسخ.

(٧) ذكر البيتين الأول والثالث: ابن الجوزي في «المدهش» (ص: ٢٥٥)، ولعله مما نقله من ابن عقيل في كتابه «السر المصون». انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ٢٢٢). والأبيات لأبي الحسن محمد بن علي بن أبي الصقر الشافعي الواسطي، المتوفى ٤٩٨ رحمه الله.
ذكرها له العماد الأصبهاني في «خريدة القصر» (شعراء العراق ١/ ١٢٠).

(٨) أخرجه ابن عدي في «الكامل» في ترجمة جعفر بن الزبير (٢/ ٣٦٥)، وأشار البيهقي في «الشعب» (٧٣٤٣) إلى ضعفه. وفي (ك)و (ق): «استحيي» «تستحيي»، وفي (ط) و(ج): «صالح».

وفي حديثٍ آخرَ عنه ﷺ قال: «أفضَلُ الإيمانِ[1] أن تعلمَ أنَّ اللهَ معكَ حيثُ ما[2] كنتَ»[3].

وفي حديثٍ آخرَ، أنَّه سئلَ ﷺ: ما تزكيةُ المرءِ نفسَه؟ قال: «أن يعلمَ أنَّ اللهَ معه حيثُ كان»[4].

وفي حديثٍ آخرَ عنه ﷺ قال: «ثلاثةٌ في ظلِّ اللهِ يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّه» فذكرَ منهم: «رجلٌ حيث[5] توجَّه علِمَ أنَّ اللهَ معه»[6].

وثبتَ عنه ﷺ أنَّه سُئِلَ عن الإحسانِ فقالَ: «أن تعبُدَ اللهَ كأنَّك تراه، فإن لم تَكُن تراه فإنَّه يراك»[7].

ولأبي عبادةَ البُحتريِّ في هذا المعنى أبياتٌ حسنةٌ، ولكنَّه أساء بقولِها في مخلوقٍ، وقد أصلحتُ مِنها كلماتٍ[8] حتى استقامَت على الطَّريقةِ[9]:

---

(١) في (ق): «الأعمال».

(٢) سقطت (ما) من (ك) و(ط) و(ج) و(س).

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٧٩٦) و«مسند الشاميين» (٥٣٥) (١٤١٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٢٤) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٤) أخرجه من حديث عبد الله بن معاوية الغاضري رضي الله عنه: البخاري في «التاريخ الكبير» (٥/ ٣١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٩٦) و«شعب الإيمان» (٣٠٢٦). وأصله في «سنن أبي داود» (١٥٧٧).

(٥) في (ق) و(ض) و(د): «رجلًا حيث»، وفي (ج): «أين»، وفي (س): «رجلًا أينما».

(٦) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٩٣٥) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

(٧) حديث مشهور، وهو أول حديث في صحيح مسلم. من حديث عمر رضي الله عنه.

(٨) في (ق) ونسخة في (ض) و(د): «أبيات».

(٩) زاد في (ق): «وهي» وفي (س): «وهي هذه».

كأنَّ رقيباً منك يرعى خَواطِري ... وآخرُ يرعى ناظري ولِساني

فما أبصرَتْ عيناي بعدكَ مَنظراً ... يسوءكَ إلَّا قلتُ: قد رَمَقاني

ولا بدرَتْ مِن فيَّ بَعدكَ لفظةٌ ... لغيرِك إلَّا قلتُ: قد سَمِعاني

ولا خطرَتْ مِن ذكرِ غيرِك خطرةٌ ... على القلبِ إلا عرَّجا بعناني

إذا ما تسلَّى القاعدونَ عَن الهوى ... بذكرِ فُلانٍ أو كلام[1] فُلانِ

وجدتُ الذي يسلى سِواي يشوقني[2] ... إلى قُربِكُم حتى أملَّ مَكاني

وإخوانِ صدقٍ قد سئمتُ[3] لقاءَهُم ... وغضضتُ طرفي عنهمُ ولسانِي

وما البغضُ أسلى عَنهم غيرَ أنَّني ... أراكَ على[4] كلِّ الجهاتِ تَراني[5].

انتهى ما ذكره الشيخ فسح الله في مدته من هذا الكلام، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً. حسبنا الله ونعم الوكيل[6].

---

(١) في (ج) و(س): «بذكر».

(٢) في (ط) و(ج): «يسوقني».

(٣) في (د) وحدها: «يَسُرّ». وفي (س): «أخلاء صدق».

(٤) في (ق): «كما».

(٥) الأبيات للبحتري كما في «نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة» للتنوخي (٦/ ١٤٥).

(٦) في حاشية (ك): «بلغ مقابلة على أصل مقروء على المؤلف وعليه خطه رحم الله سلَفَه.

وفي آخر (م): آخر الكتاب والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خير خلقه محمد وخاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه ومغفرته، الراجي رحمته: أحمد بن محمد بن خضر عفا الله عنه وعن والديه آمين.

=

=

وفي الحاشية: بلغ قراءة على شيخنا الوالد أسعدنا الله وإياه بمنه وكرمه سنة ١٢١٥.

في آخر (ط): «آخر الكتاب، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين، أنهاه كتابة الفقير في باب مولاه الغفار: السيد محمد بن الشيخ محمد بن الحاج علي العطار، نهار الثلاثة بعد العصر يوم إحدى عشر مضين من شهر صفر المبارك سنة ١١٢٣ ثلاثة وعشرين ومئة وألف».

وفي آخر (ج): «قال في النسخة المنقولِ منها:

آخرُه والحمدُ للهِ وحدَه، وصلَّى اللهُ على سيِّدنا محمَّدٍ وآلِهِ وصحبِه وسلَّمَ كلَّما ذكرَه الذاكرونَ، وغفَلَ عن ذكرِهِ الغافلونَ، أفضلَ الصَّلواتِ عددَ المعلوماتِ، ورضيَ الله عن أصحابِ رسولِ اللهِ أجمعين.

الحمدُ للهِ، بلغ قراءةً ومقابلةً على الأصلِ بتاريخِ شهرِ رجبٍ سنةَ ١٢٤٤».

وفي آخر (ق): «وهذا آخر ما وجدنا من كلامه رحمه الله تعالى وعفى عنه والحمد لله وحده وكان الفراغ من نسخها على أصلها رابع عشر ذي القعدة أحد شهور سنة ١٢٨٦ هجرية بقلم الفقير إلى الله عبد العزيز بن محمد بن قاسم بن حميد غفر الله ولوالديه ولمشايخه وإخوته والمسلمين آمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم».

وفي آخر (ض): «تمت ولله الحمد والمنة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، آمين، في شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٨٧.

بلغ مقابلة وتصحيحاً بحسب الطاقة والاجتهاد والحمد لله رب العالمين، ١٥ رمضان سنة ١٢٨٨».

وفي آخر (د): «تمت، ولله الحمد والمنة، وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، آمين.

وقد انتهت كتابتها بقلم الفقير، المتصف بالعجز والتقصير، الراجي رحمة ربه الغني عبد الله بن خلف ابن دحيان الحنبلي، لطف الله به، وغفر له ولوالديه، ولمشائخه وإخوانه، ولمن دعا له بالمغفرة، وجميع المسلمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكان الفراغ من نسخها ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة ألف وثلاث مئة وعشرين، من هجرة من له مزيد الشرف وكامل الوصف.

انتهت الرسالة المسماة «كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة» للإمام الجليل، والعالم العامل النبيل، شيخ الإسلام، الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي رحمه الله تعالى.

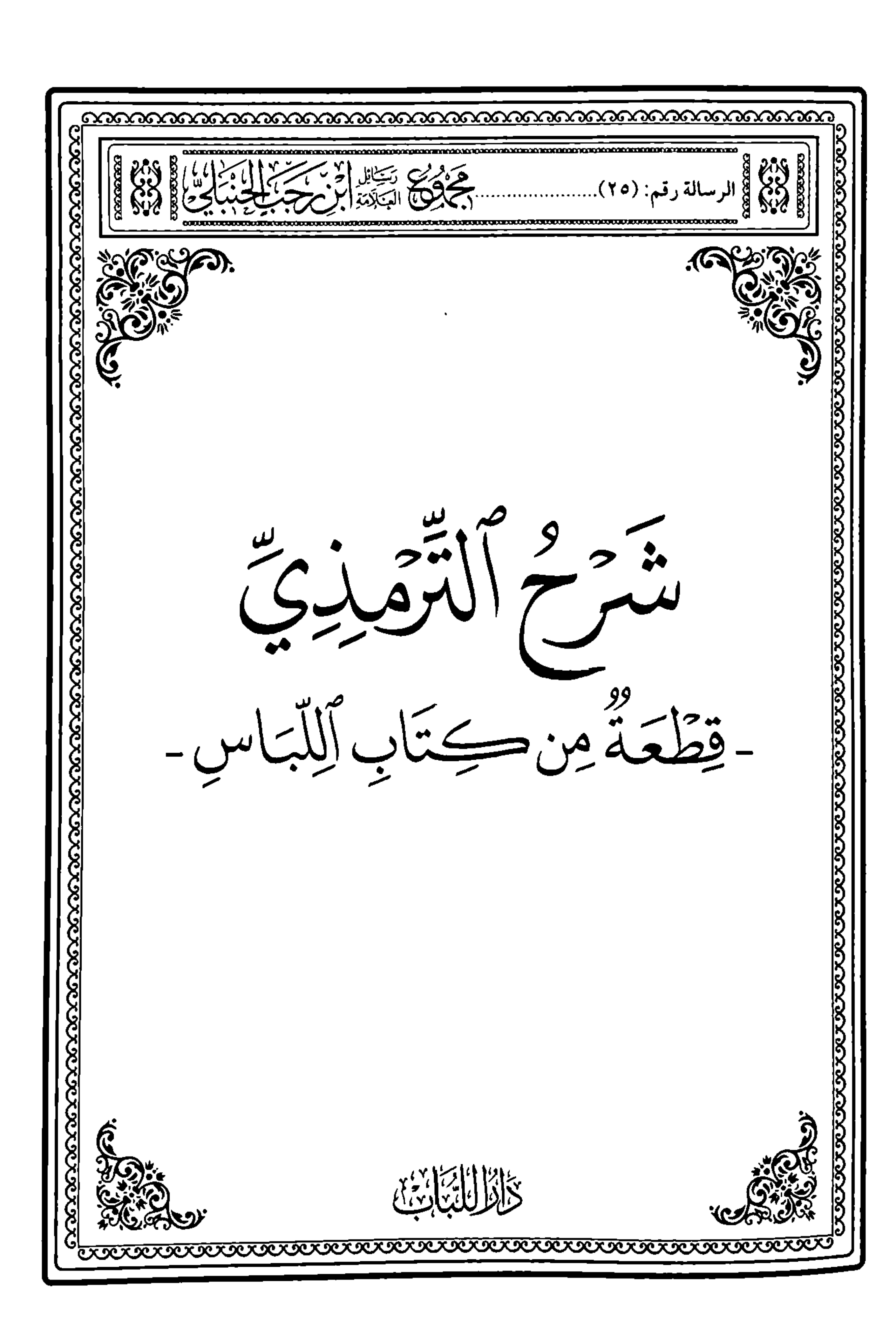
=

= ويليها كتاب «بيان العلم وانقسامه إلى علم نافع وغير نافع» للشيخ الإمام والحبر البحر الهمام عبد الرحمن بن رجب المذكور، ضوعفت لنا وله الأجور، آمين.

فائدة: قال الشافعي رحمه الله: «من تفقه من بطون الكتب ضيَّع الأحكام»، وكان بعضهم يقول: «من أعظم البلية تمشيخ الصحيفة» أي الذين يتعلمون من الصحيفة. اهـ آداب. [كذا: ولعلها الصحفية].

وقال الشيخ عبد القادر التغلبي رحمه الله تعالى لتلميذه الشيخ محمد السفاريني: «رح طالع كثيراً واقرأ قليلاً تكن عالماً جليلاً». وقال أيضاً في ذلك المجلس: «من قرأ في كل يوم مسألة صار عالماً في سنة، وقرأ في كل يوم مسألتين صار عالماً في سنتين» يشير إلى كثرة التكرار.

وفي آخر (س): «تم والحمد لله وحده، وصلى الله على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه وسلم. بلغ».





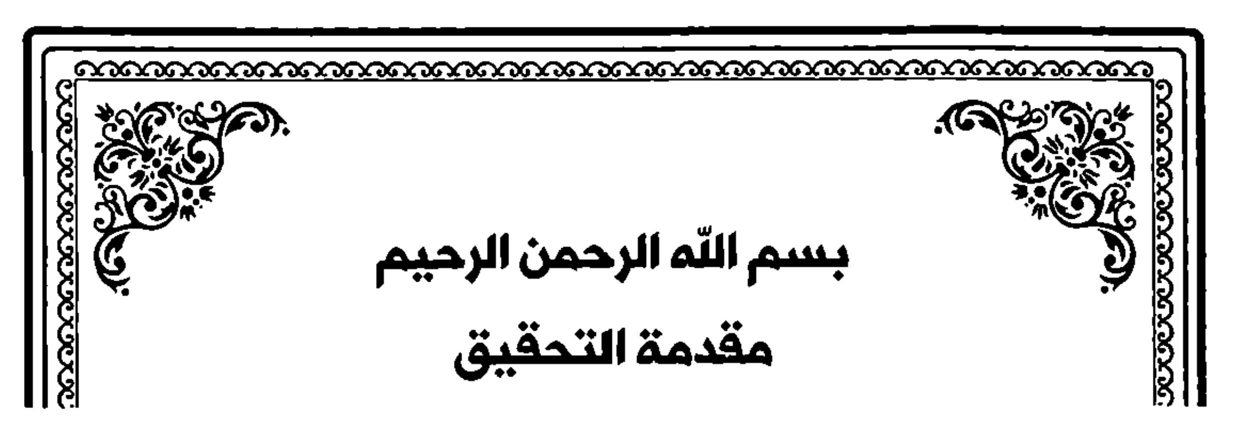
# شَرح التِّرمِذِيّ

## - قِطعَةٌ مِن كِتَابِ اللِّبَاسِ -

دار اللباب

المكتبة الظاهرية بدمشق (الأصل) وعليها تملك ابن عبد الهادي بخطه

المكتبة الظاهرية بدمشق (الأصل) وفيها أول القطعة المحققة



# بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

أما بعد:

فإنَّ مما يميز تحقيق هذه القطعة عن غيرها من رسائل الإمام ابن رجب رحمه الله تعالى: أنِّي لم أقف إلى الآن على شيء منها بخطِّه إلا هذه الوريقات المتبقية من أعظمِ كتبهِ، وهو كتاب «شرح الترمذي»، الذي قدَّر الله أن يُفقَد في فتنة تيمورلنك لمَّا دخل دمشق (سنة ٨٠٣) بعد وفاة المصنف بثمانية أعوام.

ولم يَسْلَم من هذا الشرح سوى وريقات، إضافة إلى شرحِ آخرِه، وهو الكتاب الجليل «شرح علل الترمذي»(١).

وقد ذكر المصنف رحمه الله لنفسه هذا الكتاب «شرح الترمذي» في عددٍ من كتبه، وأشار إلى مواضع منه في ما تبقى منه في هذه الورقات(٢).

---

(١) وهو يُعَدُّ نموذجاً فريداً في التصنيف في علوم الحديث في العصور المتأخرة، التي دارت فيها المؤلفات في علوم الحديث حول فلك كتاب ابن الصلاح رحمه الله، إلا «شرح علل الترمذي»، فإنه أمة وحده.

وقد طبع بتحقيق شيخنا د. نور الدين عتر رحمه الله، وله طبعة بتحقيق د. همام عبد الرحيم سعيد، ودونهما طبعة الشيخ صبحي السامرائي.

(٢) فقال (٣/ ٣٧٩): سبق في كتاب الجمعة، وفي (٣/ ٣٨١): سبق في باب السجود على الثوب، وفي =

وكذلك في «شرح العلل» في مواضع كثيرة.

وأحال إليه كثيراً في شرحه على البخاري «فتح الباري»، إحالات تدل بوضوح أن شرحه على الترمذي أكبر من شرحه على البخاري وأوسع[١].

وذكره أيضاً في شروحه للأحاديث المفردة، مثل «الاقتباس»، و«شرح حديث ما ذئبان جائعان»، و«اختيار الأَولى»، وفي «فضائل الشام»[٢].

وذكره له ابن قاضي شُهبة في «تاريخه» قال: «وشرح الترمذي في نحو عشرين مجلَّداً، وقد احترق في الفتنة»[٣].

وذكره له كذلك الحافظ ابن حجر في «الدرر الكامنة»[٤]، وفي «إنباء الغمر»، وقال فيه: «وصنف «شرح الترمذي» فأجاد فيه، في نحو عشرين مجلدة»[٥].

---

= (٣/ ٣٩٤)، وفي (٣/ ٣٩٨): سبق في لبس المعصفر، وفي (٣/ ٤٠٧): وسيأتي في باب مفرد، وفي (٣/ ٤١٢) إحالات متعددة.

(١) انظر: «فتح الباري» (٣/ ١٩٦)، (٤/ ١٧٥)، (٦/ ١٨٥، ٣٣٤)، (٧/ ١١٦)، (٨/ ٩٧، ١٩١، ٢٩٤)، (٩/ ٨٦، ١٣٧، ٢٨٩).

(٢) وذلك في أول «الاقتباس»، وأول «شرح حديث ما ذئبان جائعان»، وأول «اختيار الأَولى»، وأول الباب الثاني من «فضائل الشام» وأول الباب السابع منه. حيث أحال في تلك المواضع إلى «شرح الترمذي» الذي ذكر فيه طرق ووجوه الأحاديث.
وكثير من تلك الأحاديث التي أحال إلى شرحها في كتابه «شرح الترمذي» متأخرة عن أحاديث هذه القطعة التي أقدِّم لها.

(٣) «تاريخ ابن قاضي شهبة» (٣/ ٤٨٨).

(٤) «الدرر الكامنة» لابن حجر (٣/ ١٠٩).

(٥) «إنباء الغمر في أنباء العمر» لابن حجر (١/ ٤٦٠)، وجاء في بعض نسخه: «في نحو عشرة أسفار»!

وذكره أيضاً ابـن عبد الهادي في «الجوهر المُنضّد»، فيما نقله: «وقـد احترق غالبُ ما عمله من «شرح الترمذي» في الفتنة»[١]. ووصفَه بأنه كتاب جليل[٢].

وهذه الوريقات التي نعتمد عليها في إخراج هذه القطعة من الكتاب كانت في ملك ابن عبد الهادي وكتب على طرفها: «وهو بخطِّ ابن رجب».

وذكره غيرهم ممن ترجم للحافظ ابن رجب ناقلاً عنهم.

ونقل منه المَرْداوي في كتابه «الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف» مسألة واحدة، وفي كتابه «التحبير شرح التحرير» مسألتين[٣].

وقد كان بين الزَّينين الحافظ العراقي والحافظ ابن رجب رحمهما الله تعالى صِلةٌ علمية، ومن آثارها ما نقله السخاوي، عن علي بن محمد الطّرسوسي: أنه سمع ابن رجب يقول: أرسل إليَّ الزين العراقي يستعين بي في شرح الترمذي[٤].

وهذا مُشيرٌ إلى مكانة الإمام ابن رجب في معرفته بالترمذي حتى يستعين به مثل الحافظ العراقي رحمهما الله، ويشير أيضاً إلى سَبْقِ ابنِ رجبٍ صاحبَه العراقيَّ في تصنيف ذلك[٥].

* * *

(١) «الجوهر المنضد» لابن عبد الهادي (ص: ٤٩).

(٢) «الجوهر المنضد» لابن عبد الهادي (ص: ٥٠).

(٣) وقد ألحقتها في آخر القطعة.

(٤) «الضوء اللامع» للسخاوي (٥/ ٣٢٨).

(٥) وقد شرع العراقي في تكملة شرح ابن سيد الناس «النفح الشذي» على الترمذي. وللعراقي أسلوب يختلف عن أسلوب ابن رجب رحمهما الله تعالى.

مَيّزات «شرح الترمذي» لابن رجب:

شرحُ المصنف رحمه الله في كتابه هذا وفي سائر كتبه: شرحٌ حديثي أَثري، فهو يشرح الحديث بالحديث[1].

فبعد أن يورد الحديث من «جامع الترمذي» يذكر مَنْ أخرجه غيره، بمتنه وبعض سنده غالباً ـ وربما أتى بالسند بتمامه أحياناً ـ.

ثم يخرِّج الأحاديث التي يشير إليها الترمذيُّ بقوله: «وفي الباب:...»، ويُضيف إليها ما لم يذكره الترمذي.

وهو في ذلك لا يُخْلِي كلامَه من بيان حال رجل أو إسناد، ناقلاً عن أئمة الجرح والتعديل، أو قائلاً بعبارته هو.

ثم يذكر أقوالَ السَّلف من الموقوفات والمقطوعات في ذلك كذلك، ويستخلص من ذاك كلِّه المرادَ من الأحاديث.

ويعتني بالروايات عن الإمام أحمد مع عزوها لمن نقلها من تلامذته، وينقل الفقه عن متقدِّمي الأصحاب الحنابلة.

هذه القطعة أوضحت تلك الجوانب لكنها لم تَفِ بمعرفة الجوانب الأخرى من الشرح اللغوي والفقهي وغير ذلك مما يتناوله الشُّراح.

وقد حَفِظَتْ لنا هذه الوريقات بقَدَر الله متوناً من السُّنَّة والأحاديث قد انفردت

---

(١) وهذه الطريقة في شرح الأحاديث قال فيها الإمام أحمد بن حنبل: «الحديث إذا لم تجمع طُرُقه لم تفهمه، والحديث يفسر بعضه بعضاً» أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١٦٤٠).

وانظر ما سبق في مقدمات هذا المجموع، عند الكلام على طريقة المصنف في شرح الأحاديث.

بها ولا توجد في غيرها بحسب ما وصلتُ إليه في البحث والتقصّي، وهذا من بدائع حكم الله تعالى في قضائه وقدره، وفي حفظه لسنة نبيه ﷺ عجائبُ من الأقدار.

وقد ذكرتُ في الحواشي عند التعليق على الأحاديث التي تفرد المصنف بنقلها سنداً أو متناً أنه قد تفرد بذلك[١].

وكذلك قد تفرد رحمه الله بالنقل عن كُتبٍ في عداد المفقود، كـ«أدب الكتّاب» لابن شَبَّة، «والتفرد» لأبي داود السجستاني، و«اللباس» لابن أبي عاصم، و«العلل» لعلي بن المديني من رواية الباغندي.

وقد أسند ابن رجب رحمه الله في هذه القطعة حديثاً بسنده إلى النبي ﷺ[٢].

وكان أول مَنْ نَشَر شيئاً من هذه القطعة. د. همام سعيد في دراسته المستفيضة التي قدَّمها بين يدي تحقيقه لشرح علل الترمذي، حيث أورد فيها «باب ما جاء في كراهية خاتم الذهب»[٣] من هذه القطعة وقع فيها بعض الأشياء في قراءة المخطوط.

ثم نَشَرها بتمامها الأستاذ سامي بن محمد بن جاد الله، دار المحدِّث، الرياض ١٤٣٩.

**الأصل الخطي لهذه القطعة من «شرح الترمذي»:**

هو من النفائس التي احتفظت بها المدرسة العمرية بصالحية دمشق، وكان في ملك العلامة يوسف ابن عبد الهادي الصالحي الحنبلي، المعروف بابن المِبْرَد، المتوفى سنة ٩٠٩ رحمه الله تعالى. وكتب في الطرف الأعلى من

---

(١) انظر: (٣/ ٣٨١، ٣٩٣، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٩، ٤١١، ٤١٣).

(٢) انظر: (٣/ ٣٨٥).

(٣) انظر: «شرح علل الترمذي» تحقيق د. همام سعيد (١/ ٢٨٠).

الجانب الأيسر من الورقة الأولى: «ملكه يوسف بن عبد الهادي، وهو بخط ابن رجب».

ثم أودع في المكتبة الظاهرية بدمشق برقم (١٢٩ مجاميع) (٣٨٦٥ عام).

وذلك المجموع فيه كتب وأجزاء حديثية متفرقة وسماعات.

وقد وقعت تلك الوريقات من اللوحة (٨٣/ ب) إلى (٩١/ أ).

وقد وقع خلالها ورقتان من كتابٍ في التراجم للحافظ ضياء الدين المقدسي بخطه[1] كما كتبه ابن عبد الهادي.

فيكون المجموع ١٤ صفحة = ٧ ورقات، وفي كل صفحة ما متوسطه ١٧ سطراً.

وترتيب الأوراق مشوش في ذلك المجموع، وتشويشه قديم من قبل أن يملكه يوسف بن عبد الهادي، لأنه كتب خطه على الورقة الأولى، وترتيبها في سياق الشرح متأخر وما بعدها مقدَّم عليها.

فالله أعلم بالظروف القاسية التي عاشتها تلك الأوراق في مِحْنة النكبة التيمورية وكيف تداولتها الأيدي حتى آلت إلى ابن عبد الهادي.

وخط المصنف رحمه الله مُهمل لا إعجام فيه إلا ما لا يُذكر، تصعب قراءته جدًّا على غير متمرِّس، وربما لم يبيّن بعض الحروف، وقد أكثر من الإلحاقات، وضَرَبَ على بعض المواضع مما قد يدل على أن هذه الأوراق من مسودة الكتاب لا من مبيضته، وقد وضعتُ أرقام اللوحات في مواضعها للدلالة على ترتيب الأوراق في الأصل، بعد أن تم ترتيبها بحسب سياقها في «شرح الترمذي».

---

(١) انظرهما في آخر المجموع هذا حيث أوردنا ما وقفنا عليه من التقييدات والفوائد التي كتبت على ظهور النسخ الخطية من هذه الرسائل للمصنف.

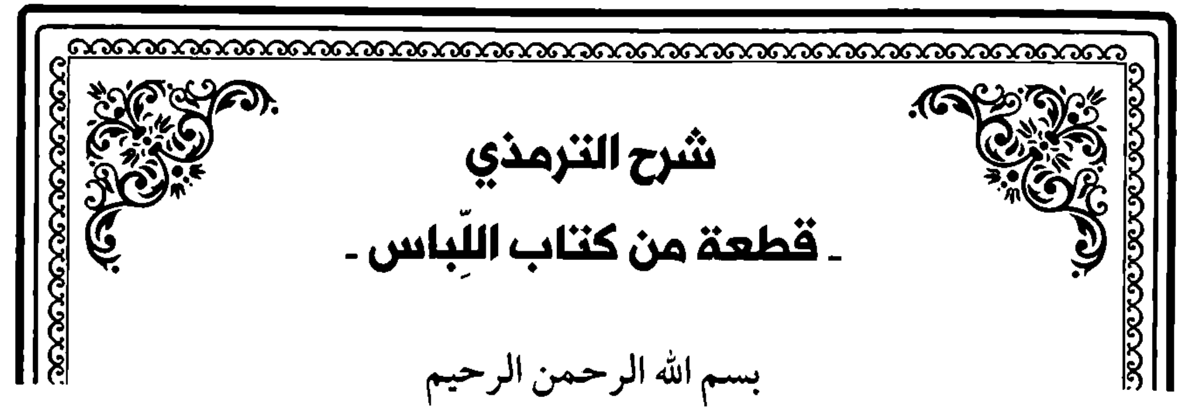
ومما يلحظ نقصُ صورة الصلاة على سيدنا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم دون السلام. والأَوجَهُ أن ذلك ليس من إفرادها، بل من الاختصار الكتابي، فقد بدت بعض المواضع هكذا: «صلى الله علم» فمراده: صلَّى الله عليه وسلَّم. وقد أوردنا الصلاة والسلام بتمامهما في كلِّ المواضع.

والحمدُ لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتبه

**محمد مجير الخطيب الحسني**

* * *



# شرح الترمذي
## - قطعة من كتاب اللِّباس -

بسم الله الرحمن الرحيم

[قال أبو عيسى الترمذيُّ رحمه الله:

## باب ما جاء في لبس الصوف

(١٧٣٣) - نا أحمدُ بن مَنيع، نا إسماعيلُ بنُ إبراهيم، نا أيوبُ، عن حُميدِ بن هلالٍ، عن أبي بُردَةَ، قالَ:

أخرجتْ إلينا عائشةُ كِسَاءً مُلبَّداً وَإزاراً غليظاً، فقالتْ:

«قُبِضَ رسولُ اللهِ ﷺ في هذين».

وفي الباب: عن علي، وابن مسعود.

وحديث عائشة حديثٌ حسنٌ صحيح.

(١٧٣٤) - نا عليُّ بن حُجْرٍ، نا خلفُ بنُ خليفة، عن حميدٍ الأعرج، عن عبد الله ابن الحارث، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال:

«كان على موسى يومَ كلَّمه ربُّه كساءُ صوفٍ، وجُبَّةُ صوفٍ، وكُمَّةُ صوفٍ، وسراويل صوف، وكان نعلاه من جلد حمارٍ ميت».

هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حميد الأعرج، هو ابن علي الأعرج: منكر الحديث، وحميدُ بن قيسٍ الأعرج المكي صاحب مجاهد: ثقة.

الكمة: القَلَنسُوة الصَّغيرة][١].

---

(١) زيادة من «سنن الترمذي».

[٨٤/ب] وخـرَّجَ الحافظُ أبـو نُعيمٍ مِن طريقِ محمَّدِ بن فُضَيلٍ، عن عطاءِ بنِ السَّائبِ، عن سعيدِ بن جُبَيرٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «صلَّى في مسجدِ الخَيْفِ سبعونَ نبيًّا، فيهم موسى ـ أو مِنهم موسى ـ كأنِّي أنظرُ إليه وعليه عباءتانِ قَطَوانِيَّتانِ، وهو مُحرِمٌ على بعيرٍ مَخطومٍ بخِطامٍ مِن ليفٍ، وله ضفرتانِ»[١].

وقد رُوِيَ عن ابنِ عبَّاسٍ موقوفاً[٢].

وخرَّجَ ابنُ أبي عاصمٍ، مِن طريقِ عمرَ بنِ رياحٍ العَبْديِّ، عن [ابن][٣] طاوسٍ، عن أبيهِ، عن ابنِ عبَّاسٍ قالَ: رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ يُصلِّي في جبَّةِ صوفٍ ليس عليه إزارٌ ولا رداءٌ[٤].

وعمرُ بنُ رياحٍ، قالَ الفلَّاسُ: دجَّالٌ[٥]، وقالَ الدَّارَقُطنيُّ: مَتروكٌ[٦].

**وأمَّا حديثُ عمرِو بنِ عوفٍ:**

فمِن طريقِ كثيرِ بن عبدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ عوفٍ، عن أبيه، عن جدِّه قالَ: غزَوْنا معَ رسولِ الله ﷺ حتَّى إذا كنَّا بالرَّوحاءِ قالَ: «لقد صلَّى في هذا المسجدِ سبعونَ نَبيًّا

---

(١) أخرجه الفاكهي في «أخبار مكة» (٢٥٩٣)، والطبراني في «الكبير» (١٢٢٨٣)، والأوسط (٥٤٠٧). والضفرتان للخطام. القَطَوانية: عباءة بيضاء قصيرة.

(٢) أخرجه الفاكهي في «أخبار مكة» (٢٦٠٣).

(٣) سقط من الأصل، ولا بد منه.

(٤) أخرجه أبو الشيخ في «أخلاق النبي ﷺ» (٣٢٠)، وابن عدي في «الكامل» في ترجمة عمر بن رياح، والبغوي في «الأنوار في شمائل النبي المختار» (٧٨٢).

(٥) نقله البخاري في «التاريخ الكبير» (٦/ ١٥٦).

(٦) «السنن» للدارقطني (٥٧٩).

قبلي، ولقد قَدِمَها موسى عليه السَّلامُ عليه عباءتانِ قَطَوانِيَّتانِ، على ناقةٍ وَرْقاءَ، في سبعينَ ألفٍ مِن بني إسرائيلَ[1]»[2].

**وأمَّا حديثُ أبي أيُّوبَ:**

فمِن طريقِ يحيى بنِ يَعْلَى الأسْلَمِيِّ، عن مُختَارٍ التَّيميِّ، عن كُرْزٍ[3] الحَارثيِّ، عن أبي أيُّوبَ قالَ: كان رسولُ اللهِ ﷺ يَلبَسُ الصُّوفَ، ويرقعُ القميصَ، ويركبُ الحِمارَ، ويَخصِفُ النَّعلَ، ويقولُ: «مَن رَغِبَ عن سُنَّتِي فليس مِنِّي»[4].

خرَّجَه أبو نُعَيمٍ، وإسنادُه ضعيفٌ.

**وأما حديثُ أبي هريرةَ:**

فمِن طريقِ عبدِ الرَّحمنِ بنِ سعدِ بنِ عمَّارٍ المؤذِّنِ، عن عبدِ اللهِ بنِ سعيدٍ المَقْبُرِيِّ،

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» ١٧ (ص: ١٦)، وابن عدي في «الكامل» في ترجمة كثير بن عبد الله، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٠).

(٢) جاء بعده مضروباً عليه: «وأما حديث أبي موسى:
فمن طريق شيبان أبي معاوية، عن أشعث بن أبي الشعثاء، عن أبي بردة، عن أبي موسى، قال: كان رسول الله يركب الحمار، ويلبس الصوف، ويعتقل الشاة، ويأتي مدعاة الضيف، خرجه الطبراني، وإسناده جيد»، ولعل المصنِّف قدَّمه قبل هذا، وضرب عليه هنا، والله تعالى أعلم.
والحديث أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٦١) وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٣) في الحاشية بخط المصنف رحمه الله «...... رواية عبيد الله الوصافي، عن كرز، وكرز لم يسمع من أبي أيوب...» يريد بهذه الحاشية بيان أن كرزاً رحمه الله تابع تابعي وليس تابعياً، وروايته عن أبي أيوب منقطعة.
انظر: «تاريخ جرجان» للسهمي (ص: ٣٥٨)، والإصابة، لابن حجر (كرز).

(٤) أخرجه أبو الشيخ في «أخلاق النبي ﷺ» (٣٢٦)، والسهمي في «تاريخ جرجان» (ص: ٣٥٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤/ ٧٧).

عن أبيهِ، عن أبي هُرَيرةَ، عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «مَن لبِسَ الصُّوفَ، وحلبَ الشَّاةَ، وركِبَ الأتانَ، فليس في جوفِهِ مِن الكِبْرِ شَيْءٌ»[١].

خرَّجَه ابنُ عَدِيٍّ، وهو إسنادٌ ضعيفٌ.

وخرَّجَ ابنُ عَدِيٍّ أيضاً، مِن طريقِ عمرَ بنِ يزيدَ، عن عطاءٍ، عن أبي هريرةَ: كان رسولُ اللهِ ﷺ يَلبَسُ الصُّوفَ، ويجلِسُ على الأرضِ، ويأكُلُ عليها.

وقالَ: عمرُ بنُ يزيدَ هذا منكرُ الحَديثِ، وأحاديثُه غيرُ مَحفوظةٍ[٢].

وروى الإمامُ أحمدُ، نا عبدُ الوهَّابِ، نا سعيدٌ، عن قتادةَ، نا صاحبٌ لنا، عن أبي هريرةَ قالَ: إنَّما كانَ لباسُنَا مع رسولِ اللهِ ﷺ الصُّوفَ[٣].

وروى أَسَدُ بنُ موسى، نا سليمانُ بنُ أَيُّوبَ[٤]، عن الزُّهريِّ، عن ابنِ المُسيَّبِ، والأعرجِ، عن أبي هريرةَ مرفوعاً قالَ: «مَن أحبَّ أن يَجِدَ حَلاوةَ الإيمانِ فليلبَسِ الصُّوفَ وليعتَقِلْ شاتَه»[٥].

---

(١) أخرجه ابن عدي في «الكامل» ترجمة (عبد الرحمن بن سعد بن عمار)، والبيهقي في «الشعب» (٥٧٥٣).

(٢) أخرجه ابن عدي في «الكامل» في ترجمة عمر بن يزيد.

(٣) لم أجد هذا الحديث. وأخشى أن يكون قد دخل حديث في حديث، وأن يكون صوابه حديث أبي موسى رضي الله عنه. فقد أخرج ابن جرير في «تفسيره» (٢١/ ١٤٨) من طريق سعيد عن قتادة قال: حدثنا صاحب لنا عن أبي هريرة قال: إنما كان طعامنا مع النبي ﷺ الأسودان، ثم روى من طريق سعيد عن قتادة عن أبي بردة عن أبيه حديثاً وفيه: إنما كان لباسنا الصوف.
وقد روى حديث أبي موسى من طريق عبد الوهاب بن عطاء عن سعيد عن قتادة: ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤/ ١٠١)، والبيهقي في «الآداب» (٤٩٣)، وفي «السنن الكبرى» (٢/ ٤٢٠).
وأخرجه أصحاب السنن من حديث قتادة.

(٤) كذا بخط المصنف رحمه الله، وهو سبق قلم صوابه: «أرقم».

(٥) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (ترجمة سليمان بن أرقم).

وأمّا حديثُ جُبيرِ بنِ مُطعمٍ:

فمِن طريقِ ابنِ أبي ذئبٍ، عن القاسمِ بنِ العبَّاسِ، عن نافعِ بنِ جُبَيرِ بنِ مُطعِمٍ، عن أبيهِ قالَ: يلومونَني في التِّيهِ، وقد لبستُ الصُّوفَ واعتقَلْتُ العنزَ، وقد قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَن فعلَ ذلك فقد برئَ مِن الكبرِ».

خرَّجَه البزَّارُ في «مسنده»[1].

ورواه غيرُه ولفظُه: «وقد ركبتُ الحِمارَ، واعتقَلْتُ الشَّاةَ، ولَبِستُ الشَّمْلَةَ».

وخرَّجَه التِّرمِذيُّ بهذا اللفظِ في كتابِ البرِّ والصِّلةِ من «كتابِه» هذا[2].

وأما حديثُ جابرٍ:

فمِن طريقِ موسى بنِ عبيدةَ، عن زيدِ بنِ أسلَمَ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ لمعاذٍ: «سأُنبئكَ بخِلالٍ مَن كنَّ فيه فليس بمُتكبِّرٍ: اعتقالُ الشَّاةِ، وركوبُ الحِمارِ، ولبسُ الصُّوفِ، ومُجالسةُ فقراءِ المؤمنينَ، وليأكُلْ أحدُكم مع عيالِه».

خرَّجَه حميدُ بنُ زنجويهِ[3].

وموسى بنُ عبيدةَ ضعيفٌ جدًّا مِنْ قِبَلِ حفظِه.

---

(١) أخرجه البزار (٣٤٤٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠٠١) وقال: حسن غريب.

(٣) أخرجه من طريق ابن زنجويه: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٢/ ٢٨٢)، وأخرجه عبد بن حميد، المنتخب (١١٥١)، وابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (٢١٩) وابن حبان في «المجروحين» ترجمة موسى بن عبيدة.

[٨٥/أ] **وأمَّا حديثُ سهلِ بنِ سعدٍ:**

فخرَّجَه أبو داودَ الطَّيالسيُّ، نا زمعةُ بنُ صالحٍ، عن أبي حازمٍ، عن سهلِ بنِ سعدٍ قالَ: تُوفِّيَ رسولُ اللهِ ﷺ وله جبَّةُ صوفٍ في الحياكةِ[1].

وخرَّجَ أبو نُعيمٍ، مِن طريقِ أبي عامرٍ، عن زمعةَ، عن أبي حازمٍ، عن سهلِ بنِ سعدٍ قالَ: حِيكَتْ لرَسولِ اللهِ ﷺ جبَّةُ أنمارٍ مِن صوفٍ أسودَ، وجُعِلَ له حواشٍ مِن صوفٍ أبيضَ، فخرجَ بها رسولُ اللهِ ﷺ إلى المسجدِ يضربُ على فخذِه، فقالَ: «ألا ترونَ ما أحسنَ هذه الحُلَّةَ؟» فقالَ أعرابيٌّ: يا رسولَ اللهِ اكسُني هذه الحُلَّةَ، وكان رسولُ اللهِ ﷺ لا يُسأَلُ شيئاً قطُّ فيقولُ: لا، فقالَ: «نعم»، فدعا بمِعْوَزَينِ[2] له فلبسَهُما، وكسا الحلَّةَ الأعرابيَّ، ثمَّ أمرَ بمثلِهما تحاكانِ له، فماتَ ﷺ وهما في المحاكةِ[3].

وخرَّجَه البخاريُّ بغيرِ هذا اللفظِ، مِن طريقِ أبي غسَّانَ، عنِ أبي حازمٍ، عن سهلٍ قالَ: جاءتِ امرأةٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ ببُرْدَةٍ ـ قالَ سهلٌ: تدرونَ ما البُردةُ؟ قالوا: هي الشَّمْلةُ ـ قالت: يا رسولَ اللهِ! جئت أكسوكَ هذه...، وذكرَ معنى ما تقدَّمَ سوى أمرِه بمثلِهما تُحاكان له[4].

وكذا رواه الناسُ عن أبي حازمٍ.

---

(١) أخرجه الطيالسي (١٠٤٥).

(٢) واحده: مِعْوَز أي ثوبٌ خَلَق. وتصحفت الكلمة في مطبوعة الطبراني.

(٣) أخرجه الطبري في «تهذيب الآثار» مسند عمر (١٥٨) (١٥٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٥٩٢٠).

(٤) أخرجه البخاري (٦٠٣٦)... ومن طرق أخرى عن أبي حازم (١٢٧٧) (٢٠٩٣) (٥٨١٠).

وأمَّا حديثُ عائشةَ:

فمِن طريقِ همَّامٍ، عن قتادةَ، عن مُطرِّفٍ، عن عائشةَ قالت: صنعتُ للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ بُردةً سوداءَ، فلبسَها، فلمَّا عَرِقَ فيها وجدَ ريحَ الصُّوفِ، فقذفَها. قالَ: وأحسبُه قالَ: وكان تعجبُه الرِّيحُ الطَّيِّبةُ.

خرَّجَه أبو داودَ، والنَّسائيُّ، والحاكمُ وقالَ: صحيحٌ على شرطِ الشَّيخينِ، وعنده: جبَّةً من صوفٍ سوداءَ[١].

وخرَّجَه ابنُ أبي عاصمٍ، ولفظُه: جلة[٢] من صوف سوداءُ، وعندَه أنَّ القولَ في آخرِه مِن قولِ همَّامٍ.

وخرَّجَه ابنُ سعدٍ، وعندَه: بُردٌ سوداءُ من صوفٍ[٣].

ورواه شبابةُ، عن شعبةَ، عن قتادةَ أيضاً.

ورواه هشامٌ الدَّسْتوائيُّ، عن قتادةَ، عن مُطرِّف مُرسلًا، خرَّجَه مِن طريقِه النَّسائيُّ[٤].

وفي «صحيحِ مُسلمٍ» مِن حديثِ عروةَ، عن عائشةَ، في حديثِ غُسلِ الجمعةِ، أنَّ النَّاسَ كانوا يأتونَ في العباءِ، ويصيبُهم الغبارُ فتخرج منهم الرِّيحُ[٥]. وقد سبقَ ذكرُه في كتابِ الجمعةِ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٧١)، والنسائي في «الكبرى» (٩٤٨٨) (٩٥٨٢)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٨٨).

(٢) كتب ابن رجب فوقها: لعله جبة.

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٣٩٠).

(٤) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٩٥٨٣).

(٥) أخرجه مسلم (٨٤٧).

وفي «صحيحِ مُسلمٍ» مِن طريقِ مصعبِ بنِ شيبةَ، عن صفيَّةَ بنتِ شيبةَ، عن عائشةَ قالت: خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ غداةً وعليهِ مِرْطٌ مرحَّلٌ من شعرٍ أسودَ[1].

وهذا الحديثُ قد أنكرَهُ غيرُ واحدٍ من الأئمة على مصعبٍ[2].

وروى منصورُ بنُ عمَّارٍ القاضي، عن ابنِ لهيعةَ، عن أبي الأسودِ، عن عُروةَ، عن عائشةَ قالت: خرَجَ رسولُ اللهِ ﷺ وقد عقد عباءً بين كتفيهِ، فلقيَهُ أعرابيٌّ فقالَ: لو لبستَ غير هذا يا رسولَ اللهِ! قالَ: «ويحكَ إنما ألبَسُ هذا لأقمعَ بهِ الكِبرَ».

خرَّجَه ابن عَدِيٍّ، وقال: هو عنِ ابنِ لهيعةَ غيرُ محفوظٍ[3].

وخرَّجَه الطَّبرانيُّ بمعناه، وذكرَ أنَّه تفرَّدَ به منصورٌ عن ابن لهيعة[4].

وروى سفيانُ، عن أبي إسحاقَ، عن أبي عُبيدةَ، عن عبدِ اللهِ بن مسعودٍ وقالَ: كانتِ الأنبياءُ عليهم السَّلامُ يلبَسونَ الصُّوفَ، ويركبونَ الحميرَ، ويحلبونَ الغنمَ[5].

وخرَّجَه الحاكمُ مِن طريقِ إسرائيلَ، عن أبي إسحاقَ، عن أبي الأحوَصِ وأبي عبيدةَ، عن عبدِ اللهِ[6].

وروى معاويةُ بنُ يحيى، عن صفوانَ بنِ عمرٍو، عن أبي الزَّاهريَّةِ، عن أبي[7]،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٢٤).

(٢) كالإمام أحمد: انظر: «الضعفاء الكبير» للعقيلي (١٧٧٥).

(٣) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (في ترجمة عبد الله بن لهيعة).

(٤) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧٣٢٧).

(٥) أخرجه أحمد في «الزهد» (٣٣٧)، ومن طريق أبي إسحاق: ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٤٢٣).

(٦) أخرجه الحاكم (٤/ ١٨٧) موقوفاً وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٧) كذا بخط المصنف رحمه الله، ولعله سبق قلم تكراراً لما قبله لكنه لم يضرب عليه، فإن أبا الزاهرية يروي عن عبد الله بن عمرو دون واسطة.

عن عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو، عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «لقد حجَّ هذا البيتَ اثنانِ وسبعونَ نبياً لباسُهم الصُّوفُ»[١].

سئل الإمامُ أحمدُ عن هذا الحديثِ، فاستنكرَه، وقالَ: ليسَ هذا من قِبَلِ صفوان؛ كأنَّه وثقه، ونزهه أن يروي مثل هذا، قالَ: ومعاويةُ هو الصَّدفيُّ، وكأنَّه وثَّقَه. قالَ: وإنما ينبغي أن يكونَ هذا من قِبَلِ أبي[٢] سنان ذاك، فإنه مُنكَرُ الحديثِ، انتهى.

وأبو سنانٍ لا ذكرَ له في إسنادِه، ولعلَّه مِن جهةِ مُعاويةَ فإنه ضعيفٌ[٣].

وسبقَ أيضاً في بابِ الرُّخصَةِ في السُّجودِ على الثَّوبِ أحاديثُ في المعنى.

وأكثرُ أهلِ العلمِ على الرُّخصةِ في لباسِ الصُّوفِ.

ورُوِيَ عن كثير مِن الصَّحابةِ أَنَّهم لبسوهُ، منهم: عمرُ، وسَلْمانُ[٤]، وابنُ مَسعودٍ[٥]، وأبو موسى[٦]، وغيرُهم.

---

(١) هذا مما انفرد بنقله المصنفُ في كتابه هذا. والله أعلم.

(٢) كذا بخط المصنف رحمه الله وصوابه: «ابن». انظر ما سيأتي.

(٣) ابن سنان رجلان:

ـ سعيد بن سنان البرجمي، أبو سنان الكوفي.

ـ سعيد بن سنان الحنفي، أبو مهدي الحمصي. وهو الذي يقصده الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ـ والله أعلم ـ.

قال ابن عدي في «الكامل» في ترجمة سعيد بن سنان الحمصي: وعامة ما يرويه، وخاصة عن أبي الزاهرية غير محفوظ، ولو قلت: إنه هو الذي يرويه عن أبي الزاهرية لا غيره جاز ذلك، انتهى.

فيكون مراد الإمام أحمد رحمه الله: أن هذا الحديث يشبه ما يرويه سعيد بن سنان عن أبي الزاهرية، ولا ينبغي لمثل معاوية وصفوان أن يروياه. فلعل الحديث يرجع إلى ابن سنان هذا.

ثم تصحفت «ابن» فقرئت «أبي» والله تعالى أعلم.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٤٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٤٥).

(٥) انظر: «المصنف» لابن أبي شيبة (٢٥٤٠٦).

(٦) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤/ ١٠١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٥٤٠٤).

وكرِهَه ابنُ سيرينَ، وقيلَ له: إنَّ قوماً يلبَسونَه يقولونَ إنَّه هَدْيُ عيسى، فقالَ: هديُ محمَّدٍ أحبُّ إلينا مِنه[1].

والظَّاهرُ ـ واللهُ أعلمُ ـ أنَّه إنَّما كرِهَه لِمَن اتَّخَذَه شِعارًا للزُّهدِ وللدِّينِ بحيثُ لا يُفارِقُه، لم يكرَهْهُ لِمَن يلبَسُه للحاجةِ أحياناً، وقد كان بعضُ السَّلَفِ يلبسُ الصُّوفَ تحت ثيابِه ويُخفيه، مِنهم ميمونُ بنُ مِهرانَ.

وعن بعضِهم ـ أظنه الأوزاعيَّ ـ أنَّه سُنَّةٌ في السَّفرِ دونَ الحضَرِ[2].

* * *

(١) أخرجه نعيم في زياداته على «الزهد» لابن المبارك (ص: ٦٤)، وأبو الشيخ الأصبهاني في «أخلاق النبي ﷺ» (٣٣٠).

(٢) ذكره ابن عبد البر في «بهجة المجالس» (ص: ١٨٦). وأخرجه الذهبي بسنده إلى الأوزاعي في «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٩٦).

[قال الترمذي رحمه الله:

## باب ما جاء في العمامة السوداء

(١٧٣٥) حدثنا محمد بن بشَّار، حدثنا عبدُ الرحمن بنُ مهديٍّ، عن حماد بن سَلمةَ، عن أبي الزُّبيرِ، عن جابرٍ قال:

«دخلَ النبيُّ ﷺ مكةَ يومَ الفتحِ وعليه عمامةٌ سوداء»

وفي الباب عن[1] عَمرو بن حُريث، وابن عباسٍ، ورُكانةَ.

حديث جابر حديث حَسَنٌ صحيح[2].

(١٧٣٦)[3] حدثنا هارونُ بن إسحاقَ الهمْدَاني، نا يحيى بن محمد المديني، عن عبد العزيز بن محمد، عن عُبيد الله بن عُمر، عن نافع، عن ابن عمر قال: كان النبي ﷺ إذا اعتمَّ سَدَل عِمامَتَه بين كتفيه.

قال نافع: وكان ابنُ عمر يَسْدِل عمامَتَه بين كتفيه.

قال عبيد الله: ورأيت القاسمَ وسالماً يفعلان ذلك.

هذا حديث حسن غريب.

وفي الباب: عن علي. ولا يصح حديث علي من قبل إسناده][4].

---

(١) في تكملة طبعة شاكر، وطبعة بشار عواد زيادة: «عن علي». وقد روى حديث علي جماعة ذكروا العمامة، ولم يذكروا سوداء. وإنما ذكرها عبد الله بن بسر عند ابن عدي في «الكامل»: «ترجمة عبد الله بن بُسر». وفيهما أيضاً: «عن عُمر وابنِ حريث» وهو خطأ.

(٢) وأخرجه مسلم (١٣٥٨).

(٣) لا يوجد هنا عنوان باب في نسخة الكروخي، وفي المطبوعات: «باب في سدل العمامة بين الكتفين».

(٤) زيادة من «سنن الترمذي» (٤/ ٢٢٥)

[٨٣/ ب] وفي العِمامةِ السَّوداءِ أيضاً ممَّا لم يذكُره التِّرمذيُّ: عن ابن عُمَرَ، وأبي هريرةَ، وأنسٍ، ومَزِيدَةَ العَصَرِيِّ.

أمَّا حديثُ ابنِ عُمَرَ:

فمِن طريقِ موسى بنِ عبيدةَ، عن عبدِ اللهِ بنِ دينارٍ، عن ابنِ عُمَرَ: «أنَّ النَّبيَّ ﷺ دخلَ يومَ فتحِ مكَّةَ وعليه عمامةٌ سوداءُ».

خرَّجَه ابنُ ماجه[1].

وموسى بنُ عبيدةَ ليس بالحافظِ.

وأمَّا حديثُ أبي هريرةَ:

فرواه الواقِديُّ: حدَّثني محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ، عن عبَّاد بنِ أبي صالحٍ، عن أبيه، عن أبي هريرةَ قالَ: دخلَ رسولُ اللهِ ﷺ يومئذٍ ـ يعني يومَ الفتحِ ـ وعليه عمامةٌ سوداءُ ولِواؤُه أسودُ[2].

وأما حديثُ أنسٍ:

فخرَّجَه ابنُ أبي عاصمٍ، نا محمَّدُ بنُ صُدْرانَ، ثنا عنبسةُ بنُ سالمٍ صاحبُ الألواحِ، عن عُبَيدِ اللهِ بنِ أبي بكرِ بنِ أنسٍ، عن أنسٍ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ اعتمَّ بعِمامةٍ سوداءَ[3].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٥٨٦).

(٢) أخرجه الواقدي في «المغازي» (٢/ ٨٢٣ ـ ٨٢٤).

(٣) وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣٣٨٥)، وابن عدي في «الكامل» (ترجمة عنبسة)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي ﷺ» (٣٠٤).

وأخرجه الضياء المقدسي في «المختارة» من طريق الطبراني (٢٢٧١).

حديثٌ آخرُ:

أخبرَنا محمَّدُ بنُ إسماعيلَ الأنصاريُّ، أنا إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ التَّنوخيُّ، أنا المفضَّلُ بنُ عَقِيلِ بنِ حيدرةَ، أنا الخَضِرُ بنُ الحُسَينِ بنِ عَبْدانَ، أنا أبو القاسمِ المِصِّيصيُّ، أنا أبو محمَّدِ بن أبي نَصرٍ، أنا أبو عليٍّ محمَّدُ بنُ هارونَ، حدَّثنا أبو قُصيٍّ[1]، ومحمَّدُ بنُ عليِّ بنِ خلفٍ الصَّرَّار، قالا: نا هشامُ بنُ خالدٍ، نا الوليدُ بنُ مُسلمٍ، نا الأوزاعيُّ، عن الزُّهريِّ، عن أنسِ بنِ مالكٍ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ دخلَ مكَّةَ وعلى رأسِه عِمامةٌ سوداءُ[2].

غريبٌ، ورواه جُمَحُ بنُ القاسمِ المؤذِّنُ، عن أبي قُصَيٍّ، بمثلِه[3].

---

(١) هو إسماعيل بن محمد بن إسحاق العُذري.

(٢) إسناد مسلسل بالدمشقيين، حتى أنس رضي الله عنه دخل دمشق.

وقد انفرد به أبو قصي بهذا اللفظ: «عمامة سوداء».

وأخرجه تمَّام في «فوائده» (ترتيب فوائد تمام ٦٣٤)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٤/ ٣١١-٣١٢): من طريق محمد بن علي بن خلف الأطروش الصرار لكن بلفظ: أن النبي ﷺ دخل مكة وعلى رأسه المغفر.

قال الحافظ ابن عساكر:

كذا قال، وهو وهم، وصوابه: الوليد، عن مالك، عن الزهري.

وقال الحافظ ابن حجر في «النكت على كتاب ابن الصلاح» (٢/ ٦٦٠): فترجَّح أن الوليد دلسه. اهـ.

يعني أنه من رواية الوليد، عن الأوزاعي، عن مالك، عن الزهري، عن أنس وهو حديث المِغْفر.

وهو غطاء للرأس يلبس في الحرب ليقيه من بأس السلاح.

(٣) أخرجه الحنائي في الثالث من «فوائده الحنائيات» (٩٦).

وقال: غريب، وإنما يحفظ عن مالك، عن الزهري، عن أنس، أن النبي ﷺ دخل مكة وعلى رأسه المغفر. وأما حديث العمامة السوداء فإنما هو محفوظ من حديث جابر رضي الله عنه.

وذكرَ الدَّارَقُطنيُّ، أنَّ عبدَ الرَّحمنِ بنَ أبي الموال رواه عن الزهريِّ أيضاً[١].

قالَ: ورُوِيَ من وجهينِ عن مالكٍ، عن الزُّهريِّ، وكلاهما باطلٌ.

قالَ: والصَّحيحُ ما رواه مالكٌ وغيرُه، عن الزُّهريِّ، عن أنسٍ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ دخلَ مكَّةَ وعلى رأسِه المِغفَرُ[٢].

وله طريقٌ آخرُ: مِن روايةِ أبي إسحاقَ الحُمَيسيِّ، ـ وهو ضعيفٌ ـ ، عن يزيدَ الرَّقاشيِّ، عن أنسٍ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ افتتحَ مكَّةَ وعليه عمامةٌ سوداءُ.

خرَّجَه ابنُ عَدِيٍّ[٣].

**وأمَّا حديثُ مَزِيدةَ:**

فخرَّجَه ابنُ أبي عاصمٍ، نا عمرُو بنُ بشرٍ، نا يحيى بنُ راشدٍ، نا طالبُ بن حُجيرٍ، نا هودٌ العَصَريُّ، سمعتُ جَدِّي مَزِيدَةَ يقولُ: رأيتُ النَّبيَّ ﷺ، يَعتَمُّ بعِمامةٍ سوداءَ[٤].

**وفيه حديثٌ آخرُ:**

مِن روايةِ عبدِ الرَّحمنِ بن عبدِ اللهِ بنِ سعدِ الرَّازيِّ، أخبرني أبي، عن أبيهِ سعدِ

---

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤/ ١٩٠).

(٢) «العلل» للدارقطني (٢٦٠١).

(٣) أخرجه ابن عدي في «الكامل» في ترجمة أبي إسحاق خازم بن الحسين الحميسي، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي ﷺ» (٣١١).

قال ابن عدي: وهذه الأحاديث عن يزيد الرقاشي عن أنس، ـ وإن كان يزيد فيه كلام ـ فإنها ليست بمحفوظة، وما أظنه يرويها عنه غير أبي إسحاق الحميسي.

قلت: يريد أن الحمل فيها على أبي إسحاق.

(٤) أخرجه ابن السكن من طريق طالب بن حجير، نقله ابن القطان في «بيان الوهم والإيهام» (٥/ ٢٩٢).

قالَ: رأيتُ رجُلاً ببُخارى على بغلةٍ بيضاءَ، عليه عِمامةُ خزٍّ سوداءَ فقالَ: كسانيها رسولُ اللهِ ﷺ.

خرَّجَه أبو داودَ والنَّسائيُّ(١).

وخرَّجَه التِّرمذيُّ في كتابِ التَّفسيرِ مِن «جامعه» هذا، ولم يذكُرِ الخَزَّ(٢).

وذكرَه البخاريُّ في «تاريخِه» وعنده: قالَ عبد الرحمنِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ سعدٍ: نراه ابنَ خازمٍ السُّلَميَّ(٣).

يعني عبد اللهِ بن خازمٍ السُّلَميَّ أميرَ خراسانَ وأحدَ الأبطالِ المشهورينَ، فإنَّه يُقالُ: إنَّ له صُحبةً.

وروى الحاكمُ مِن طريقِ محمَّدِ بنِ حُمَيدٍ، عن عبدِ اللهِ بنِ سعيد بنِ الأزرقِ، عن أبيه قالَ: رأيتُ رجُلاً ببُخارى مِن أصحابِ النَّبيِّ ﷺ وعلى رأسِه عِمامةُ خزٍّ سوداءَ، وهو يقولُ: كسانيها رسولُ اللهِ ﷺ. واسمُه: عبدُ اللهِ بنُ خازمٍ(٤).

[٨٤/أ] وروى ابن وهب، عن عبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ العمريُّ، عن عبدِ الرَّحمنِ بنِ القاسمِ، عن أبيه، عن عائشةَ قالت: رأيتُ رجُلاً يومَ الخندقِ على صورةِ دِحيةَ الكلبيِّ، على دابَّةٍ يُناجي النَّبيَّ ﷺ، وعلى رأسِه عِمامةٌ قد أسدلَها عليه، فسألتُ رسولَ اللهِ ﷺ، قالَ: «فإنَّ ذاك جبريلُ عليه السَّلامُ أمرَني أن أخرُجَ إلى بني قُريظةَ».

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٣٥)، والنسائي في «الكبرى» (٩٥٦٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٢١).

(٣) «التاريخ الكبير» (٤/ ٦٧).

(٤) وأخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٨/ ٧) من طريق الحاكم. وذكره المزي في «تهذيب الكمال» (١٤/ ٤٤٥).

خرَّجَه الحاكمُ وقالَ: صحيحُ الإسنادِ[١].

ثمَّ خرَّجه مِن طريقِ روحِ بنِ عُبادةَ، نا عبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ، عن أخيه، عن القاسمِ بنِ محمَّدٍ، عن عائشةَ: أنَّ رجلًا أتى النبي ﷺ على بِرْذَوْنٍ، عليه عمامةٌ قد أرخى طرفَها بين كتفيه، فسألت النبي ﷺ فقالَ: «رأيتِه؟ ذاك جبريل عليه السلام»[٢].

عبد الله بن عُمَرَ: ليس بالحافظ، وقد اختلف عليه في إسناده، ورواه خالد بن مخلد، عن عبد الله العمري، عن يحيى بن سعيد، عن القاسم، عن عائشة[٣].

واختُلِفَ على أخيه عبيدِ اللهِ أيضاً فيه، فرواه عنه الدَّرَاوَرْدِيُّ: عن شهرِ بنِ حَوْشَبٍ، عن عائشةَ.

وقيلَ: عن الدَّراوَرْديِّ، عن عبيد الله، عن سيَّارٍ[٤] أبي الحكمِ، عن عائشةَ.

وقيل: عنه، عن عبيد الله، عن سيَّارٍ أبي الحكَمِ، عن شهرٍ، عن عائشةَ.

قالَ الدَّارقُطنيُّ: وهو أشبَهُها بالصَّوابِ[٥].

ويشهدُ له قولُ أبي أسامةَ: عن عبيدِ اللهِ، عن سيَّارٍ، عمَّن حدثَه، عن عائشةَ.

وخرج الطَّبرانيُّ مِن طريقِ إسماعيلَ بن بهرام، أنا الدَّراورديُّ، عن عبيدِ اللهِ بنِ عمرَ، عن سيَّارٍ أبي الحكمِ، عن شهرِ بنِ حوشبٍ، عن عائشةَ قالَت: رأيتُ جبريلَ عليه السَّلامُ عليه عِمامةٌ حمراءُ مُرخيها بين كتفيهِ[٦].

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٩٣ ـ ١٩٤).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٩٤).

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤/ ٢٣٥).

(٤) كتبت يسار، ثم كتب فوقها: سيَّار. في الموضعين.

(٥) «العلل» للدارقطني (٣٦٧٨).

(٦) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٦٢٠).

وفي فضلِ العِمامةِ أيضاً: عن أبي هريرةَ، ولا يصحُّ.

قالَ الخلالُ: أخبرني يوسفُ بنُ موسى قالَ: سُئِلَ أبو عبدِ اللهِ ـ يعني أحمدَ بنَ حنبلٍ ـ، عن شيخٍ بنصيبين، يقالُ له محمَّدُ بنُ نعيمٍ، قيلَ له: روى شيئًا، عن سهيلٍ، عن أبيهِ، عن أبي هُريرةَ، عن النَّبيِّ ﷺ، قالَ: «صلاةٌ بعمامةٍ أفضلُ مِن سبعينَ صلاةً بغيرِ عِمامةٍ»، قالَ: هذا كذَّابٌ، هذا باطلٌ[١].

وروى أحوصُ بنُ حكيم، عن خالدِ بنِ معدانَ، عن عبادةَ بنِ الصَّامتِ، عن النَّبيِّ ﷺ: «عليكم بالعَمائمِ فإنَّها سِيما الملائكةِ، وأرخوا لها خلفَ ظُهورِكُم»[٥]، الأحوَصُ: ضعيفٌ.

قالَ أحمدُ في روايةِ أبي طالبٍ: لا بأس بالعِمامةِ السَّوداءِ في الحربِ وغيرِ الحربِ، لبسَ النَّبيُّ ﷺ عمامةً سوداءَ.

وقالَ في روايةِ حنبل: لا بأسَ بلبسِ العمامةِ السَّوداءِ، لبسَ النَّبيُّ ﷺ يومَ الفتحِ عِمامةً سوداءَ، وعَمَّمَ عليًّا بعمامةٍ سوداءَ[٣].

وممن رُوِيَ عنه أنَّه كان يلبسُ عمامةً سوداءَ: عليٌّ[٤]، وعبدُ الرَّحمنِ بنُ عوفٍ[٥]،

---

(١) لا يوجد في «المنتخب من العلل للخلال» لابن قدامة، لكن فيه تكذيب الإمام أحمد لمحمد بن نعيم في حديث آخر (٣٢).

(٢) أخرجه من حديث عبادة: ابن عدي في «الكامل» (ترجمة الأحوص بن حكيم). ورواه عن الأحوص: عيسى بن يونس، لكن من طريق عيسى بن يونس، عن مالك بن مِغْول، عن نافع، عن ابن عمر مرفوعاً: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٣٤١٨). فهما حديث واحد فيه علل.

(٣) نقلهما دون تسمية: ابن تيمية في «شرح عمدة الفقه» (٢/ ٣٩٤). وتقدم تخريج لبسه ﷺ، وتعميمه علياً رضي الله عنه.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٥٤٥١).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٥٤٦٨).

وأبو الدَّرداءِ[١]، وابن عُمَرَ[٢]، وأنسٌ[٣]، والحسَنُ بنُ عليٍّ[٤]، وابنُ عبَّاسٍ[٥]، وأبو أمامةَ[٦]، وواثلةُ[٧]، وغيرُهم مِن الصَّحابةِ رضيَ اللهُ عنهم.

**ويستحبُّ أن يُرخيَ خلفَه من طرفِ عمامتِه.**

قالَ أحمدُ في روايةِ الأثرمِ وإبراهيمَ بن الحارثِ: ينبغي أن يُرخِيَ خلفَه مِن عمامتِه كما جاءَ عنِ ابنِ عُمَرَ[٨].

وممَّنْ رُوِيَ عنه أنَّه كان يُرخِي وراءَه مِن عمامتِه: عليٌّ[٩]، وابنُ عُمَرَ[١٠]، وابنُ عبَّاسٍ[١١]، وأنسٌ[١٢]، وابنُ الزُّبَيرِ كان يرخيها نحوًا من ذراعٍ[١٣].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٥٤٦٤).

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤/ ١٦٣).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٥٤٥٥).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٥٤٧٠).

(٥) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٦/ ٣٤٣).

(٦) أخرجه البغوي في «معجم الصحابة» (١٣١٦).

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٥٤٦٩).

(٨) حديث ابن عمر هو حديث الباب وقد أوردناه من الترمذي.

وقول الإمام أحمد نقله أيضاً ابن تيمية في «شرح العمدة» (١/ ٢٦٣).

(٩) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٥٤٥٣).

(١٠) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤/ ١٦٣).

(١١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٦/ ٣٤٢).

(١٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٥٤٥٥).

(١٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٥٤٥٦).

وروي [عن عُبيدِ] اللهِ بنِ عمرَ قـ[ـال]: أخبرني أشياخُنا، أنَّهم رأَوْا أصحابَ النَّبيِّ ﷺ يَعتمُّونَ، ويرخونَها تحتَ أكتافِهم[1].

وروى جابرٌ الجُعفيُّ قالَ: أخبرَني مَن رأى عَلِيّاً قد اعتمَّ بعمامةٍ سوداءَ قد أرخاها من بينِ يديه ومِن خلفِه[2].

وروى شَريكٌ، عن محمَّدِ بنِ قيسٍ قالَ: رأيتُ ابنَ عُمَرَ قد أرخى العمامةَ مِن بين يديهِ ومِن خلفِه فلا أدري أيُّهما أطولُ[3].

وروى عبدةُ، عن هشامٍ قالَ: رأيتُ الزُّبيرَ مُعتَمًّا قد أرخى طرفي العمامةِ مِن بين يديهِ[4].

**وكرهَ أحمدُ أن يعتمَّ ولا يُحَنِّك بالعمامةِ من تحتِ ذقنهِ كراهةً شديدةً[5].**

ورويَ أيضاً كراهةُ ذلك، عن طائفةٍ مِن الصَّحابةِ منهم عمرُ[6]، وابنُ عُمَرَ[7]،

---

(١) ما بين معقوفين خرم في أوراق الأصل، واستدرك من «المصنف» لابن أبي شيبة (٢٥٤٧٧) وفيه: «بين أكتافهم».

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٥٤٦٠).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٥٤٨٢).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٥٤٧٨).

(٥) تحنيك العمامة: أن يدار منها تحت الحنك كَوْرٌ أو كوران.

وانظر كراهة الإمام أحمد لعدم ذلك في «مسائل عبد الله» (١٦٢٩).

(٦) ذكره ابن قدامة في «المغني» (١/ ٣٨١)، ولم يعزه لأحد، وذكره ابن تيمية في «شرح العمدة» (١/ ٢٦١) وعزاه لأبي حفص العكبري من حديث جعدة بن هبيرة أن عمر بن الخطاب.

(٧) لم أظفر بنصه، لكن لعله يستفاد من روايته التحتيك وفعله له، والله أعلم.

وعن طاوس،[١] والحسنِ البصريِّ[٢]، وسفيانَ الثَّوريِّ، وغيرِ واحدٍ[٣].

وذكرَ أبو عبيدٍ في «غريبه» حديثاً مُرسَلاً: أنَّ النَّبيَّ ﷺ أمرَ بالتَّلَحِّي، ونهى عن الاقتعاطِ، وفسَّرَه بذلك[٤].

ورخَّصَ فيه إسحاقُ؛ لِما روى وهبُ بنُ جريرٍ، عن أبيهِ، عن يعلى بن حكيم، عن سليمانَ بنِ أبي عبدِ اللهِ قالَ: [٨٥/ ب] أدركتُ أبناءَ المُهاجِرينَ والأنصارِ، فكانوا يَعتمُّونَ ولا يجعلونَها تحت الحنكِ[٥].

وفي روايةٍ: رأيتُ المُهاجِرينَ والأنصارَ[٦].

وقد أنكرَه أحمدُ في روايةِ الأثرَمِ وغيرِه قالَ: هو حديثٌ مُنكَرٌ، ما أدري أيُّ شيءٍ هو[٧].

وقالَ في روايةِ مهنا: سليمان بن أبي عبدِ اللهِ، لا أدري مِن أينَ هو.

وقالَ: النَّاسُ على خلافِ هذا الحديثِ.

وقالَ في سليمانَ: لا أعرِفُه، لم يروِ عنه غيرُ يَعْلى بنِ حكيمٍ.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (١٩٩٧٨) ومن طريقه أخرجه جماعات، وروي من غير طريقه أخرجه عبد الله ابن أحمد عن أبيه في «العلل» (٣٦٩٣).

(٢) ذكره ابن تيمية في «شرح العمدة» (١/ ٢٦١) وعزاه للخلال.

(٣) نقله عن الثوري ومَنْ ذكر قبله: ابن مفلح في «الفروع» (١/ ٢٠٣) وقال: وفي الصحة نظر.

(٤) «غريب الحديث» لأبي عبيد (٣/ ١٢٠) ـ ط الهندية.

(٥) أخرجه إسحاق بن راهويه في «مسنده» وفي المطبوع منه (١٥٥٦): «أدركت المهاجرين» ونَسبَ الترخيص إلى إسحاق: ابن تيمية في «شرح العمدة» (١/ ٢٦٢) وعنده كما نقل المصنف، ولعله عنه.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٥٤٨٩) وعنده: «أدركت المهاجرين والأنصار».

(٧) وكذلك قال في رواية الكوسج (٣٤٦٤).

وقالَ: قد فتنَ النَّاسَ إسحاقُ بنُ راهويهِ بهذا الحديثِ[١].

وقالَ حَرْبٌ: سَألتُ إسحاقَ عن العمامة كيف يُعتمُّ بها؟ قالَ: إذا أدخلها تحت ذقنِه جازَ، وإن لم يفعَلْ فهو أحبُّ إليَّ.

قالَ حَرْبٌ، نا إسحاقُ، نا الوليدُ بنُ مُسلمٍ، عن الأوزاعيِّ، عن يحيى بنِ أبي عمرٍو السَّيْبَانيِّ قالَ: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يعتَمُّ عمَّةَ العرَبِ، لا يُدخِلُ تحتَ ذقنِه، وكلٌّ حسَنٌ جميلٌ[٢].

وروى ابنُ لهيعةَ، عن يزيدَ بنِ أبي حبيبٍ، عن مرسلاً[٣]: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يعتَمُّ ولا يُرخِي للعِمامةِ عَذَبةً مِن خلفِه[٤].

* * *

(١) انظر: «شرح العمدة» لابن تيمية (١/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣).

(٢) مسائل حرب الكرماني (من كتاب النكاح إلى آخر الكتاب) (٢/ ٨٥٧ـ ٨٥٨).

(٣) كذا بخط المصنف: «عن مرسلًا» و«عن» سبق قلم.

(٤) هذا الحديث انفرد المصنف رحمه الله بنقله، ولم أظفر به عند غيره.

## بابُ ما جاءَ في كراهيَةِ خاتمِ الذَّهبِ

[١٧٣٧ ـ] حدَّثنا سَلَمةُ بنُ شبيبٍ، والحسنُ بنُ عليٍّ الخَلَّالُ، وغيرُ واحدٍ، قالوا: ثنا عبدُ الرَّزَّاقِ، أنا معمرٌ، عن الزُّهريِّ، عن إبراهيمَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ حُنينٍ، عن أبيه، عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ قالَ: نهاني رسولُ اللهِ ﷺ عن التَّختُّمِ بالذَّهبِ، وعن لباسِ القَسِّيِّ، وعن القراءةِ في الرُّكوعِ والسُّجودِ، وعن لباسِ المُعصفَرِ.

هذا حديثٌ حسَنٌ صحيحٌ.

[١٧٣٨ ـ] حدَّثنا يوسفُ بنُ حمَّادٍ المَعْنِيُّ البصريُّ، نا عبدُ الوارثِ بنُ سعيدٍ، عن أبي التَّيَّاحِ، ثنا حفصٌ اللَّيثيُّ قالَ: أشهدُ على عِمرانَ بنِ حُصَينٍ أنَّه حدَّثَ قالَ: نهى رسولُ اللهِ ﷺ عن التَّختُّمِ بالذَّهبِ.

وفي البابِ عن عليٍّ، وابنِ عُمَرَ، وأبي هريرةَ، ومُعاويةَ.

حديثُ عِمرانَ بنِ حُصَينٍ حديثٌ حسَنٌ صحيحٌ، وأبو التَّيَّاحِ اسمُه يزيدُ بنُ حُميدٍ.

* * *

أمَّا حديثُ عليٍّ ـ الذي خرَّجَه التِّرمذيُّ وصحَّحَه ـ: فخرَّجَه مُسلِمٌ، عن عبدِ بن حُمَيدٍ، عن عبدِ الرَّزَّاقِ به[١]، كما خرَّجَه التِّرمذيُّ. وقد سبقَ ذكرُ الاختلافِ في إسنادِه في بابِ لبسِ المعصفرِ بما فيه كفايةٌ.

* * *

وأمَّا حديثُ عِمرانَ بنِ حُصَينٍ الذي خرَّجَه التِّرمذيُّ وصحَّحَه أيضاً: فخرَّجَه النَّسائيُّ وابنُ حِبَّانَ في «صحيحه»[٢]، وقد سبقَ الحديثُ بتمامِه وذكرُ الاختلافِ في أسانيدِه في بابِ لبسِ الحريرِ والذَّهبِ للرِّجالِ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٧٨) ومدار الحديث على إبراهيم.

(٢) أخرجه النسائي (٥١٨٧)، وابن حبان (٥٤٠٦).

وأبو التَّيَّاحِ ذكرَ التِّرمذيُّ أنَّ اسمَه يزيدُ بنُ حميدٍ، وهو الضُّبَعيُّ البصريُّ، ثقةٌ جليلٌ مُتَّفقٌ عليه.

* * *

[٨٦/ أ] وأمَّا حديثُ عليٍّ الذي أشارَ إليه التِّرمذيُّ بقولِه: (وفي البابِ عن عليٍّ)، فأرادَ بذلك بقيَّةَ طرقِ حديثِ عليٍّ غير الطَّريقِ التي خرَّجَه منها.

فمِن ذلك:

روايةُ شُعبةَ، عن أبي إسحاقَ، عن هُبيرةَ، عن عليٍّ قالَ: نهاني رسولُ اللهِ ﷺ عن خاتَمِ الذَّهبِ، وعن القَسِّيِّ، وعن المِيثَرَةِ الحمراءِ.

خرَّجَه أبو داودَ[1].

وخرَّجَه ابنُ ماجَه، مِن طريقِ أبي الأحوصِ، ولفظُه: وعنِ الميثرةِ، يعني الحمراءَ[2].

وخرَّجَه النسائي من طريق أبي الأحوص، وزكريا، وزهير، كلهم عن أبي إسحاق، به[3]

وفي بعضِ ألفاظِه: وعن الميثَرَةِ فقط، وكذا خرَّجَه التِّرمذيُّ في الأدبِ مِن «جامعه» هذا، وقالَ: حسَنٌ صحيحٌ[4].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٤٨) وعنده: «وعن لبس القسي»، «والحمراء» ثابتة في نسخة. وذكرت في حاشية المطبوع.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٦٥٤).

(٣) أخرجه النسائي (٥١٦٥) (٥١٦٦) (٥١٦٧).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٨٠٨).

قالَ النَّسائيُّ: وخالَفَهم عمَّارُ بنُ رُزَيقٍ، رواه عن أبي إسحاقَ، عن صعصعةَ بنِ صُوحانَ، عن عليٍّ قالَ: نهاني رسولُ اللهِ ﷺ، عن حَلقَةِ الذَّهبِ.

وخرَّجَه بإسنادِه وقالَ: الذي قبلَه أشبَهُ بالصَّوابِ[1].

وقالَ الدَّارَقطنيُّ: هو غريبٌ مِن حديثِ أبي إسحاقَ[2].

طريقٌ آخرُ:

روى مَروانُ بنُ معاويةَ وعبدُ الواحدِ، كلاهما [عن][3] إسماعيلَ بنِ سُمَيعٍ، عن مالكِ بنِ عميرٍ قالَ: جاءَ صعصعةُ بن صُوحانَ إلى عليٍّ فقالَ: انهنا عمَّا نهاكَ عنه رسولُ اللهِ ﷺ، قالَ: نهاني عن حَلقةِ الذَّهبِ، ولبسِ الحريرِ، والقَسِّيِّ، والميثَرَةِ الحمراءِ، وذكرَ الحديثَ.

خرَّجَه النَّسائيُّ[4].

وخرَّجَه مِن طريقِ إسرائيلَ، عن إسماعيلَ بنِ سُمَيعٍ، عن مالكِ بنِ عُمير، عن صَعْصَعَةَ بنِ صُوحانَ قالَ: قلتُ لعليٍّ.. فذكرَه[5].

وقالَ: حديثُ مروانَ وعبدِ الواحدِ أولى بالصَّوابِ مِن حديثِ إسرائيلَ.

وقالَ الدَّارقطنيُّ: رواهُ محمَّدُ بنُ فضيلٍ، عن إسماعيلَ بنِ سُمَيعٍ، عن مالكِ بنِ عُمَيرٍ: سمعتُ صَعصَعةَ، عن عليٍّ.

---

(١) أخرجه النسائي (٥١٦٨).

(٢) «العلل» للدارقطني (٣٨٥).

(٣) سقطت من الأصل، ولا بد منها.

(٤) أخرج النسائي حديث مروان (٥١٧٠)، وحديث عبد الواحد (٥١٧١). وفيهما: «نهانا».

(٥) أخرجه النسائي (٥١٦٩).

وخالفَه عبَّادُ بنُ العوَّامِ ومَروانُ بنُ مُعاويةَ، فرَوَياهُ عن إسماعيلَ بنِ سُمَيعٍ، عن مالكِ بنِ عُميرٍ، عن عليٍّ.

وكذلك رواه عمَّارٌ الدُّهنيُّ، عن مالكِ بنِ عُمَيرٍ قالَ: كنت جالساً عند عليٍّ فجاءَ صَعْصَعَةُ بنُ صُوحانَ، وهو الصَّوابُ[1].

طريقٌ آخرُ:

روى أشعثُ، عنِ ابنِ سيرينَ، عن عَبيدةَ، عن عليٍّ قالَ: نهاني النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ عن القَسِّيِّ، والحريرِ، وخاتَمِ الذَّهبِ، وأن أقرأَ راكعاً.

خرَّجَه النَّسائيُّ. وقالَ: خالفَه هشامٌ ولم يرفَعْه[2].

ثم خرَّجَه مِن طريقِ هشامٍ، عنِ ابنِ سيرينَ، عن عَبيدةَ، عن عليٍّ قالَ: نهى عن مَيَاثِرِ الأرجُوانِ، ولبسِ القَسِّيِّ، وخاتمِ الذَّهبِ[3].

ثمَّ خرَّجَه مِن طريقِ أيوبَ، عن ابنِ سيرينَ، عن عَبيدةَ قالَ: نهى عن المياثرِ الأرجوانِ، وخواتيمِ الذَّهبِ[4].

وخرَّجَه أبو داودَ، مِن طريقِ هشامٍ مقتصِرًا على مَياثرِ الأرجوانِ[5].

وخرَّجَه الإسماعيليُّ، مِن طريقِ محمَّدِ بنِ أبانَ، عن عمرانَ بنِ خالدٍ الخزاعيِّ، عن محمَّدِ بنِ سيرينَ، عن عَبيدةَ، عن عليٍّ، قالَ محمَّدٌ: أحسبُه رفعَه إلى النَّبيِّ ﷺ،

---

(١) «العلل» للدارقطني (٣٨٥).

(٢) أخرجه النسائي (٥١٨٣).

(٣) أخرجه النسائي (٥١٨٤).

(٤) أخرجه النسائي (٥١٨٥).

(٥) أخرجه أبو داود (٤٠٤٧).

فذكرَه بمعناهُ، وزادَ: قالَ له: فذكرتُ ذلك عنه ليحيى بنِ سيرينَ فقالَ: أوَما سمعتَ بهذا؟ نعم، وعن القميصِ المُكفَّفِ بالدِّيباجِ[1].

[٨٨/ ب] طريقٌ آخرُ:

روى أبو إسحاقَ، عن الحارثِ، عن عليٍّ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لا تَختَّمِ الذَّهبَ»[2].

وقد سبقَ الكلامُ على إسنادِه في بابِ لبسِ المُعصفَرِ.

طريقٌ آخرُ:

روى جابرُ بنُ يزيدَ الجُعفيُّ، عن عبدِ اللهِ بنِ نُجَيٍّ، عن عليٍّ قالَ: نهاني رسولُ اللهِ ﷺ عن لبسِ خاتَمِ الذَّهبِ، وعن لبسِ الحريرِ والقَسِّيِّ، وعن ركوبِ المَياثرِ، وعنِ الشُّربِ في الفِضَّة[3].

خرَّجَه الإسماعيليُّ، وفي روايةٍ له: ومَياثرِ الحُمرِ[4].

طريقٌ آخرُ:

روى عليُّ بنُ المدينيِّ في كتابِ «العلل»، مِن روايةِ أبي بكرٍ الباغَنْديِّ عنه: حدَّثنا يحيى بن حمَّادٍ، نا أبو عوانةَ، عن عطاءِ بنِ السَّائبِ، عن أبي جهضَمٍ موسى بن سالمٍ: أنَّ أبا جعفرٍ أخبرَهم، عن أبيهِ: أنَّ أباه أخبرَه، عن عليِّ بنِ أبي

---

(١) كتاب الإسماعيلي مفقود، وانفرد المصنف رحمه الله بذكر هذه الرواية.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١٢٤٤).

(٣) تصحف في «مقدمة شرح علل الترمذي» (١/ ٢٨٣ ـ ط/ الأردن) إلى: «السُّرج الفضية»! نبهت عليه كيلا يتابَع عليه كما فعل بعضُهم!

(٤) انفرد بنقله المصنف رحمه الله.

طالبٍ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ نهاه عن ثلاثٍ، - قالَ: لا أدري أخاصَّةً أم عامَّةً للمُسلمينَ -، نهاني أنْ أتختَّمَ بالذَّهَبِ، ونهاني أن ألبَسَ القَسِّيَّ، ونهاني أنْ أقرأَ راكِعاً[1].

غريبٌ جدًّا[2].

وخرَّجَه النَّسائيُّ، في «كتابه الكبير» من طريق أبي حمزةَ، عن عطاءِ بنِ السَّائبِ، بــه.

وقالَ: خالفَه عمرُو بنُ دينارٍ، فرواهُ عن أبي جعفرٍ، عن عليٍّ مُرسَلاً، يعني: مُنقطِعاً. ثمَّ خرَّجَه مِن طريقِه كذلك[3].

وروى عمرانُ بنُ عُيينةَ، عن عطاءِ بنِ السَّائبِ، عن أبيه، عن عليٍّ قالَ: نهاني رسولُ اللهِ ﷺ أنْ أتختَّمَ بالذَّهبِ، وأن أقرأَ وأنا راكعٌ، فلا أدري لي خاصَّةً أو عامَّةً[4].

خرَّجَه الإسماعيلي، وعمرانُ فيه ضعفٌ، وقد خالفَ أبا عوانةَ وأبا حمزةَ.

طريقٌ آخرُ:

روى بشيرُ بن ربيعةَ، عن رافعِ بنِ سلمةَ: سمعتُ عَلِيًّا يقولُ: نهاني رسولُ اللهِ ﷺ أنْ أتختَّمَ بخاتَمٍ مِن ذهبٍ، أو ألبَسَ قَسِّيَّةً، أو أفترِشَ ميثَرَةً حمراءَ.

خرَّجَه الإسماعيليُّ[5].

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (٦٠١) من طريق يحيى بن حماد بنحوه، ولم يذكر الذهب، وزاد ذكر الميثرة.

(٢) لتفرد عطاء به.

(٣) أخرجه النسائي (٩٤٩١) (٩٤٩٢).

(٤) انفرد المصنف رحمه الله بنقل لفظه، وأشار الدارقطني في «العلل» (٣٠٧) إلى سنده.

(٥) وأخرجه النسائي في «مسند علي» كما في «تهذيب الكمال» (٤/ ١٦٦). وهو في «فوائد أبي محمد الفاكهي» (١٦٤).

طريقٌ آخرُ

روى حجَّاجُ بنُ أَرْطاةَ، عن حبيبِ بنِ أبي ثابتٍ، عن ثعلبةَ بنِ يزيد، عن عليٍّ قالَ: نُهينا عن خاتمِ الذَّهبِ، وعن القَسِّيِّ، وعن الميثَرَةِ[١].

ثعلبةُ بنُ زيدٍ، قالَ البخاريُّ: فيه نظرٌ[٢].

قال ابنُ عَدِيٍّ: ، أرادَ في سماعِه مِن عليٍّ، ووافقَ على ذلك، وقالَ: لم أرَ له حديثاً مُنكراً[٣].

* * *

وأمَّا حديثُ ابنِ عُمَرَ:

فمِن طريقِ عبيدِ اللهِ، عن نافعٍ، عن ابنِ عُمَرَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ اتَّخذَ خاتَماً مِن ذهبٍ، وجعلَ فَصَّه ممَّا يلي باطنَ كفِّه، ونقشَ فيه: محمَّدٌ رسولُ اللهِ، فاتَّخذَ النَّاسُ مِثلَه، فلمَّا رآهُم قد اتَّخذوها رَمى به، وقالَ: لا ألبَسُه أبداً، ثمَّ اتَّخذَ خاتَماً مِن فضَّةٍ، واتَّخذَ النَّاسُ خواتيمَ الفضَّةِ.

قالَ ابنُ عُمَرَ: فلبسَ الخاتَمَ بعدَ النَّبيِّ ﷺ أبو بكرٍ، ثمَّ عمرُ، ثمَّ عثمانُ، حتى وقعَ مِن عثمانَ في بئرِ أَرِيس.

خرَّجَه البخاريُّ بهذا اللفظِ، وخرَّجَ مُسلِمٌ بمعناه[٤].

وخرَّجَ مُسلِمٌ مِن طريقِ اللَّيثِ، عن نافعٍ، عن ابنِ عُمَرَ قالَ: اصطنعَ رسولُ اللهِ

---

(١) أخرجه أبو بكر الشافعي في «الغيلانيات» (٣٢٣).

(٢) «التاريخ الكبير» للبخاري (٢/ ١٧٤).

(٣) «الكامل» لابن عدي، ترجمة «ثعلبة بن يزيد».

(٤) أخرجه البخاري (٥٨٦٦)، ومسلم (٢٠٩١).

ﷺ خاتَماً مِن ذهبٍ، فكان يجعلُ فَصَّه في باطنِ كفِّه إذا لبسَه، فصنَعَ النَّاسُ، ثمَّ إنَّه جلَسَ على المنبرِ فنزَعَه فقالَ: «إنِّي كنتُ ألبَسُ هذا الخاتمَ وأجعَلُ فَصَّه مِن داخلٍ» فرمَى بهِ، ثمَّ قالَ: «واللهِ لا ألبَسُه أبداً، فنبذَ النَّاسُ خواتيمَهم».

وخرَّجَه مسلمٌ، مِن طرُقٍ، عن نافعٍ، بنحوِه.

وعندَه مِن روايةِ عُقبةَ بنِ خالدٍ، عن عُبيدِ اللهِ، عن نافعٍ، عن ابنِ عُمَرَ: وجعلَه في يدِه اليُمنى[1].

وخرَّجَه النَّسائيُّ مِن طريقِ المعتمرِ[2] بن زيادٍ، عن نافعٍ، به، وذكر في حديثِه أنَّه لبسَه ثلاثةَ أيَّامٍ، ثمَّ رمى به، فلا نَدرى ما فعلَ[3].

وخرَّجَه أيضاً مِن طريقِ أبي بشرٍ، عن نافعٍ، وقالَ فيه: فاتخذَ خاتماً مِن فضَّةٍ، فكان يختِمُ به ولا يلبَسُه[4].

طريقٌ آخرُ:

روى مالكٌ، عن عبدِ اللهِ بنِ دينارٍ، عن ابنِ عُمَرَ قالَ: كان رسولُ اللهِ ﷺ يلبَسُ خاتَماً مِن ذهبٍ، فنبذَه، فقالَ: «لا ألبَسُه أبداً»، فنبَذَ النَّاسُ خواتيمَهم.

خرَّجَه البُخاريُّ[5].

---

(١) هذا كله في مسلم (٢٠٩١).

(٢) كذا بخط المصنف، وصوابه: المغيرة بن زياد، وهو البجلي الموصلي، وليس في رجال الستة: المعتمر بن زياد، أو: المعمر بن زياد.

(٣) أخرجه النسائي (٥٢١٧).

(٤) أخرجه النسائي (٥٢١٨).

(٥) أخرجه البخاري (٥٨٦٧).

[٨٩/أ] طريقٌ آخرُ:

روى خالدُ بنُ أبي بكرٍ، عن سالمٍ، عن أبيهِ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ اتَّخذَ خاتماً مِن ذهبٍ، ثمَّ نظرَ إليه في يدِه، فرمَى به، وأعرضَ عنه[١].

خرَّجَه ابنُ أبي عاصمٍ، وخالدٌ فيه ضعفٌ.

حديثٌ آخرُ:

روى يزيدُ بنُ أبي زيادٍ، عن الحسنِ بنِ سُهَيلٍ، عن ابنِ عُمَرَ قال: نهى رسولُ اللهِ ﷺ، عن خاتمِ الذَّهبِ.

خرَّجَه ابنُ ماجَه[٢].

طريقٌ آخرُ:

روى عبدُ الجبَّارِ بنُ العَلاءِ، عن ابنِ عُيينةَ، عن عمرٍو، عن طاوسٍ، عن ابنِ عُمَرَ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ اتَّخذَ خاتماً مِن ذهبٍ، ثمَّ رمى به.

وغير عبدِ الجبَّارِ، يَرويهِ، عن ابنِ عُيَينَةَ، عن عمرٍو، عن طاوسٍ مُرسَلاً، وهو الصَّوابُ، قاله الدَّارقطنيُّ[٣].

* * *

(١) أخرج نحوه عن خالد: الترمذي في «العلل الكبير» (٥٢٧) وقال: سألت محمداً عن هذا الحديث فلم يعرفه، وقال: خالد بن أبي بكر منكر الحديث.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٦٤٣).

(٣) «العلل» للدارقطني (٣٠٤٥).

وأمَّا حديثُ أبي هريرةَ:

فمِن طريقِ شعبةَ، عن قتادةَ، عنِ النَّضرِ بنِ أنسٍ، عن بشيرِ بن نَهيكٍ، عن أبي هُريرةَ، عن النَّبيِّ ﷺ: أنَّه نهى عن خاتمِ الذَّهبِ.

خرَّجاه في الصَّحيحينِ[١].

وخرَّجَه النَّسائيُّ، مِن طريقِ: حجَّاجِ بنِ حجَّاجٍ، عن قتادةَ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُبَيدٍ، عن بَشير بنِ نهِيك، عن أبي هريرةَ قالَ: نهاني رسولُ اللهِ ﷺ، عن خاتمِ الذَّهبِ[٢].

* * *

وأمَّا حديثُ مُعاويةَ:

فمِن طريقِ عمرَ بنِ سعيدِ بنِ أبي حُسَيْن، حدَّثني عليُّ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عليٍّ ـ رجلٌ مِن بني عبدِ شمسٍ ـ أنَّ أباه أخبرَه، أنَّه سمعَ مُعاويةَ على المنبرِ يقولُ: نهى رسولُ اللهِ ﷺ عن لبسِ الحريرِ وخاتمِ الذَّهبِ[٣].

* * *

وفي البابِ أيضاً ممَّا لم يذكُرْه التِّرمذيُّ: عن عمَرَ، وأبي سعيدٍ، وأبي هريرةَ ـ غيرِ ما تقدَّمَ ذكرُه ـ وعبدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ، وجابرٍ، وبريدةَ، وأبي ثعلبةَ الخشنيِّ، وابنِ مَسعودٍ، وابن عبَّاسٍ، والبراء بن عازبٍ، وعائشةَ، ورجلٍ مِن الصَّحابةِ. ويُروى عن أبي قتادة[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٦٤)، ومسلم (٢٠٨٩).

(٢) أخرجه النسائي (٥٢٧٤).

(٣) أخرجه أحمد (١٦٨٧٢) ولفظه: «نهى عن لبس الذهب والحرير». و(١٦٩٢٣) ولفظه: «عن حلي الذهب ولبس الحرير».

(٤) «ويروى عن أبي قتادة» جاء في الحاشية، ولم أجد إشارة إلى أي لحق، ولعل هذا الموضع أليق به.

أمَّا حديثُ عمرَ:

فمِن طريقِ حمَّادِ بنِ سلمةَ، أنا عمَّارُ بنُ أبي عمَّارٍ، أنَّ عمرَ بنَ الخطَّابِ قالَ: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ رأى في يدِ رجلٍ خاتماً مِن ذهبٍ، فقالَ: «ألقِ ذا» فألقاهُ، فتختَّمَ بخاتمٍ مِن حديدٍ، فقالَ: «ذا شرٌّ منه»، فتختَّمَ بخاتمٍ مِن فضَّةٍ، فسكتَ عنه.

خرَّجَه الإمامُ أحمدُ[1]، وهو مُنقطِعٌ ـ واللهُ أعلَمُ ـ بين عمَّارٍ وعمرَ.

وقد رواه منصورُ بنُ سُقير الحرَّانيُّ، عن حمَّادِ بنِ سلمةَ، عن عمَّارٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ، عن عمرَ، عن النَّبيِّ ﷺ، فوصَلَه[2].

ومنصورُ بنُ سُقيرٍ[3]، قالَ العُقَيليُّ: في حديثِه وهمٌ، وأشارَ إلى أنَّ المُنقطِعَ أصحُّ.

قد رُوِيَ هذا المعنى عن عمرَ مِن وُجوهٍ كثيرةٍ موقوفاً عليهِ غيرَ مرفوعٍ، وهو أشبَهُ[4].

* * *

[٩٠/ب] وأمَّا حديثُ أبي سعيدٍ:

فمِن طريقِ ابنِ وهبٍ، أخبرَني عمرُو بنُ الحارثِ، عن بكرِ بنِ سوادةَ، أنَّ أبا النَّجيبِ[5] حدَّثَه، أنَّ أبا سعيدٍ الخُدريَّ حدَّثَه، أنَّ رَجُلاً قَدِمَ من نجرانَ، وعليه خاتَمٌ مِن ذهَبٍ، فأعرضَ عنه رسولُ اللهِ ﷺ وقالَ: «إنَّك جِئتَني وفي يدِكَ جمرةٌ مِن نارٍ».

خرَّجَه النَّسائيُّ[6].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٣٢).

(٢) أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ١٩٢).

(٣) ويقال: صُقير بالصاد أيضاً.

(٤) منها ما أخرجه ابن وهب في «الجامع» (٥٩٤)، (٥٩٥).

(٥) كتب المصنف أولًا: «البختري» ثم ضرب عليه فكتب «النجيب».

(٦) أخرجه النسائي (٥١٨٨).

وخرَّجَه أيضاً مِن طريقِ اللَّيثِ بنِ سعدٍ، عن عمرِو بنِ الحارثِ بهذا الإسنادِ، ولفظُه: قالَ: أقبلَ رجلٌ مِن البحرينِ إلى النَّبيِّ ﷺ، فسلَّمَ، فلم يرُدَّ عليه، وكان في يدِه خاتمٌ مِن ذهبٍ، وجبَّةُ حريرٍ، فألقاهما، ثمَّ سلَّمَ، فردَّ عليه النَّبيُّ ﷺ السلامَ، ثمَّ قالَ: يا رسولَ اللهِ! أتيتُك آنِفاً فأعرضتَ عني، قالَ: «إنَّه كان في يدِكَ جمرةٌ مِن نارٍ»، قالَ: لقد جئتُ إذًا بجمرٍ كثيرٍ، قالَ: «إنَّ ما جئتَ به ليس بأغنى... [1] مِن حجارةِ الحرَّةِ، ولكنَّه متاعُ الحياةِ الدُّنيا» قالَ: فماذا أتختَّمُ؟ قالَ: «حلقةٌ مِن حديدٍ أو وَرِقٍ، أو صُفْرٍ»[2].

وخرَّجَه ابنُ حِبَّانَ في «صحيحِهِ» مختصراً، وعنده، عن أبي النَّجيبِ ـ مولى عبدِ اللهِ بنِ سعدٍ، عن أبي سعيدٍ[3].

وقد رُوِيَ هذا الحديثُ عن ابنِ وهبٍ، عن عمرٍو، عن بكرٍ، عن أبي النَّجيبِ مُرسَلاً مِن غيرِ ذكرِ أبي سعيدٍ.

* * *

**وأمَّا حديثُ أبي هُريرةَ:**

فمِن طريقِ ابنِ لهيعةَ، عن عمارةَ بنِ غزيَّةَ، عن سُمَيٍّ مولى أبي بكرٍ، عن أبي صالحٍ، عن أبي هُريرةَ: أنَّ رجلاً أتى النَّبيَّ ﷺ وعليه خاتمٌ مِن ذهبٍ، فأعرضَ عنه رسولُ اللهِ ﷺ، فانطلقَ فلبسَ خاتَماً مِن حديدٍ، ثمَّ جاءَ فأعرضَ عنه، فانطلقَ فنزَعَه، ولبسَ خاتَماً مِن وَرِقٍ، فأقرَّه النَّبيُّ ﷺ وأقبَلَ إليه.

خرَّجَه الطَّحاويُّ[4].

---

(١) ثمة حرفان فوق الكلمة بخط صغير جداً لم يتبين لي.

(٢) أخرجه النسائي (٥٢٠٦). وفي المطبوع منه: «بأجزأ عنا».

(٣) أخرجه ابن حبان (٥٤٨٩) لكنه غير مختصر!

(٤) «شرح معاني الآثار» للطحاوي (٤/ ٢٦١).

وأمّا حديثُ عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو:

فمِن طريقِ عبدِ اللهِ بنِ المؤمَّلِ، عن ابنِ أبي مُليكةَ، عن عبدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ: أنَّه لبسَ خاتماً مِن ذهبٍ، فنظرَ إليهِ رسولُ اللهِ ﷺ كأنَّه كرهَه، فطرَحَه، ثمَّ لبسَ خاتماً مِن حديدٍ، فقالَ [٩١/أ]: «هذا أخبث وأخبثُ»، فطرحَه، ثمَّ لبسَ خاتماً مِن وَرِقٍ، فسكتَ عنه.

خرَّجه الإمامُ أحمدُ[١].

طريقٌ آخرُ:

روى ابنُ عجلانَ، عن عمرِو بنِ شُعَيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه، أنَّ النَّبيَّ ﷺ رأى على بعضِ أصحابِه خاتَماً مِن ذهبٍ...، فذكرَ معنى ما قبلَه، إلَّا أنَّه قالَ في الخاتمِ الحديدِ: «حِليةُ أهلِ النَّارِ».

خرَّجه الإمامُ أحمدُ[٢].

وخرَّجَ الطَّبرانيُّ بهذا الإسنادِ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ نهى عن خاتمِ الذَّهبِ، وخاتم الحَديدِ[٣].

***

وأمّا حديثُ جابرٍ:

فمِن طريقِ بحرٍ السَّقَّاء، نا أبو الزُّبيرِ، عن جابرٍ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ رأى على رجلٍ خاتماً مِن حديدٍ فقالَ: «ما لي أرى عليكَ حِليةَ أهلِ النَّارِ»، ورأى عليه

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٦٩٧٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٦٥١٨) (٦٦٨٠).

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢٠٧٢).

خاتماً مِن ذهبٍ فقالَ: «ما لي أرى عليك حِليةَ أهلِ الجنَّةِ؟ عليكم بالوَرِقِ».

خرَّجَه ابنُ عَدِيٍّ، وبحرٌ السَّقَّاء ضعيفُ الحديثِ[١].

* * *

وأمَّا حديثُ بريدةَ:

فقد خرَّجَه التِّرمذيُّ[٢] في بابٍ مفردٍ، وسيأتي في موضعِه إن شاءَ اللهُ.

* * *

وأما حديثُ أبي ثعلبةَ:

فمِن طريقِ النُّعمانِ بنِ راشدٍ، عن الزُّهريِّ، عن عطاءِ بنِ يزيدَ، عن أبي ثعلبةَ الخشنيِّ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ أبصرَ في يدِه خاتماً مِن ذهبٍ، فجعلَ يقرعُه بقضيبٍ معه، فلمَّا غفلَ النَّبيُّ ﷺ ألقاهُ، قالَ: «ما أرانا إلَّا قد أوجعناكَ وأغرَمْناكَ».

خرَّجَه النَّسائيُّ[٣].

ثمَّ خرَّجَه مِن طريقِ يونسَ، عن ابنِ شهابٍ قالَ: أخبرَني أبو إدريسَ: أنَّ رجُلاً ممَّنْ أدركَ النَّبيَّ ﷺ لبسَ خاتماً مِن ذهبٍ... نحوَه.

قالَ: وحديثُ يونسَ أَوْلى بالصَّوابِ مِن حديثِ النُّعمانِ[٤].

ثمَّ خرَّجَه مِن طريقِ الأوزاعيِّ، عن الزُّهريِّ، عن أبي إدريسَ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ رأى على رجلٍ خاتماً مِن ذهبٍ، نحوَه[٥].

---

(١) أخرجه ابن عدي في «الكامل» ترجمة بحر بن كنيز السقاء.

(٢) أخرجه الترمذي (١٧٨٥) وقال: هذا حديث غريب.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١٧٧٤٩) (١٧٧٥١)، والنسائي (٥١٩٠).

(٤) أخرجه النسائي (٥١٩١).

(٥) أخرجه النسائي (٥١٩٢).

ومن طريقِ إبراهيمَ بنِ سعدٍ، عن الزُّهريِّ، عن أبي إدريسَ مُرسَلاً أيضاً[١].

وفي روايةٍ أخرى له، عن إبراهيمَ بن سعدٍ، عن الزُّهريِّ مرسَلاً، مِن غيرِ ذكرِ أبي إدريسَ.

وقالَ: المراسيلُ أشبهُ بالصَّوابِ[٢].

ونقلَ ابنُ أبي حاتمٍ، عن أبيهِ، أنَّه قالَ في حديثِ النُّعمانِ بنِ راشدٍ: هو خطأٌ، إنَّما هو كما رواهُ يونسُ، عن الزُّهريِّ، عن أبي إدريسَ، عن رجلٍ مِن أصحابِ النَّبيِّ ﷺ، عنِ النَّبيِّ ﷺ[٣].

* * *

(١) أخرجه النسائي (٥١٩٣).

(٢) أخرجه النسائي (٥١٩٤).

(٣) «علل الحديث» لابن أبي حاتم (١٤٤٨).

وهنا انقطع شرح هذا الباب مع آخر هذه الصفحة.

[قال الترمذي رحمه الله:

## باب ما جاء في خاتم الفضة

(١٧٣٩) حدثنا قتيبةُ، وغيرُ واحدٍ، عن عبد الله بن وَهْب، عن يونسَ، عن ابن شهابٍ، عن أنسٍ قال: كان خاتمُ النبيِّ ﷺ من وَرِقٍ، وكان فَصُّهُ حبشيًا.

وفي الباب عن ابن عمر، وبريدة. هذا حديث حسنٌ صحيح غريبٌ من هذا الوجه][1].

[٨٩/ ب] أمَّا حديثُ أنسٍ: فخرَّجَه مسلمٌ، مِن طريقِ ابنِ وهبٍ، عن يونسَ بهِ[2].

وخرَّجَه أيضاً مِن طريقِ طلحةَ بنِ يحيى الأنصاريِّ، وسليمانَ بنِ بلالٍ، كلاهما عن يونسَ به، ولفظ حديثِهما: لبِسَ رسولُ اللهِ ﷺ خاتمَ فضَّةٍ في يمينِه فيه فَصٌّ حبشيٌّ، كان يجعلُ فصَّهُ ممَّا يلي كفَّه[3].

وكذا رواهُ يحيى بنُ نصرِ بنِ حاجبٍ، عن يونسَ[4].

ورواه عثمانُ بنُ عُمَرَ[5]، وخارجةُ بنُ مُصعَبٍ[6]، عن يونسَ، كما رواه عنه ابنُ وهبٍ، مِن غيرِ ذكرِ اليمين[7].

---

(١) ترك المصنف رحمه الله بياضاً في أول الصفحة يمكن أن يكتب فيه نَصُّ الباب، ويظهر أنه لم يسقط من أول الشرح شيء بحمد الله.

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٩٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٩٤).

(٤) أخرجه أبو عوانة في «مسنده» (٩٠٨٦) (٩٠٩٠).

(٥) سيأتي تخريجه.

(٦) أخرجه ابن عدي في «الكامل» في ترجمة خارجة بن مصعب السرخسي.

(٧) لم أجد هذا عند غير المصنف رحمه الله.

قالَ عثمانُ بنُ عُمَرَ في روايتِه: يعني مِن الحجارةِ السُّودِ.

قالَ أبو داودَ في كتابِ «التفرُّد»[١] بعد أنْ خرَّجَه مِن حديثِ ابنِ وهبٍ: رواه عثمانُ بنُ عُمَرَ، عن يونسَ، زادَ فيه: ونقشَ فيه: محمَّدٌ رسولُ اللهِ[٢].

ورواه طلحةُ بنُ يحيى الأنصاريُّ، عن يونسَ، وزادَ فيه: فلبسَه في يمينِه، فصُّه ممَّا يلي كفَّه [...][٣] زيادةَ عُثمانَ، وطلحةَ بنِ يحيى، وهؤلاء سَمِعوا منه بالحجازِ ـ يعني عثمانَ وطلحةَ ـ، قالَ أبو داود: يونسُ مِن ثقاتِ أصحابِ الزُّهريِّ نخافُ أن يكونَ وهِمَ في هذا.

وقد رُوِيَ حديثُ الزُّهريِّ، عن أنسٍ بسياقٍ أتمَّ مَن هذا.

رواه الليثُ، عن يونسَ، عن ابنِ شهابٍ قالَ: حدَّثني أنسُ بنُ مالكٍ أنَّه رأى في يدِ رسولِ اللهِ ﷺ خاتَماً مِن ورقٍ يوماً واحداً، ثمَّ إنَّ النَّاسَ اصطنَعوا الخواتيمَ مِن وَرِقٍ فلَبِسوها، فطرَحَ رسولُ اللهِ ﷺ خاتمَه، فطرحَ النَّاسُ خواتيمَهم.

خرَّجَه البُخاريُّ[٤].

وخرَّجَه مُسلمٌ، مِن طريقِ إبراهيمَ بنِ سعدٍ، وزيادِ بنِ سعدٍ، كلاهما، عن ابنِ شهابٍ، به[٥].

قالَ البخاريُّ بعد أن خرَّجَه مِن حديثِ يونسَ: تابعَه إبراهيمُ بنُ سعدٍ،

---

(١) كتاب مفقود للإمام أبي داود. وهذا النقل عنه عزيز.

(٢) وأخرجه ابن ماجه (٣٦٤١) والنسائي (٥١٩٦) (٥٢٧٧).

(٣) كلمتان أو ثلاث لم تتضح قراءتها.

(٤) أخرجه البخاري (٥٨٦٨).

(٥) «صحيح مسلم» (٢٠٩٣).

وزيـادُ بنُ سـعدٍ، وشُـعيبٌ، عن الزُّهـريِّ، وقال ابنُ مُسـاورٍ[1]، عن الزُّهـريِّ: أرى: خاتماً مِـن وَرِقٍ[2].

وقـالَ أبـو داودَ بعـد أن خرَّجَه مِن طريقِ إبراهيم بنِ سـعدٍ: رواهُ عـن الزُّهريِّ: زيادُ بنُ سـعدٍ، وشـعيبٌ، وابنُ مُسـافرٍ، كلُّهم قـالَ: مِن وَرِقٍ[3].

وخرج ابنُ أبي عاصمٍ في «كتابِ اللِّباسِ»، نا محمَّدُ بنُ مسكين، نا عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ، نا الليثُ، عن عبدِ الرَّحمنِ بنِ خالدٍ، عن الزُّهريِّ، عن أنسٍ: أنَّه رأى في إصبعِ رسولِ اللهِ ﷺ خاتماً مِن ذهبٍ قالَ: فاصطنعَ النَّاسُ خواتيمَ مِن ذهبٍ فلَبِسوها، فطرحَ رسولُ اللهِ ﷺ خاتمَه، فطرحَ النَّاسُ خواتيمَهم[4].

وذكرَ الدَّارقُطنيُّ في «العلل»: أنَّ المحفوظَ عن ابنِ جريجٍ، عن زيادِ بنِ سعدٍ، هو هذا اللَّفظُ أيضاً، أعني: ذكرَ الخاتمِ مِن ذهبٍ[5].

[٩٠/أ] وقالَ ابنُ عبدِ البرِّ في حديثِ الزُّهريِّ، عن أنسٍ، أنَّه رأى في يدِ النبيِّ ﷺ خاتماً من ورقٍ يوماً واحداً.. الحديثَ، قالَ: رواه عنه إبراهيم بن سعد، ويونس، وموسى بن عقبة، وابن أبي عتيقٍ.

قـالَ: وهـذا غلـط عند أهـل العلـم، والمعروفُ أنَّـه إنما نبـذَ خاتَماً مـن ذهَبٍ لا مِن وَرِقٍ[6].

---

(١) كذا سبق بخط المصنف رحمه الله، وصوابه: «ابن مسافر» وسيأتي على الصواب.

(٢) عقب الحديث (٥٨٦٨).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٢١٨).

(٤) انفرد المصنف رحمه الله بنقله.

(٥) «العلل» للدارقطني (١٢/ ١٧٦).

(٦) «التمهيد» لابن عبد البر (١٠/ ٤٦٧ ـ ٤٦٨).

وقالَ البيهقيُّ: يُشبِهُ أن يكونَ ذكرُ الوَرِقِ في هذا الحديثِ وَهْماً سبَقَ إليه لسانُ الزُّهريِّ، فحكَوْهُ عنه على التَّوَهُّمِ، فسائرُ الرِّواياتِ عن أنسٍ، ثمَّ الروايات الصَّحيحةُ عن ابنِ عُمَرَ تدلُّ على أنَّ الذي طرحَه هو الخاتَمُ الذي اتَّخذَه مِن ذهبٍ، وأنَّ الذي اتَّخذَهُ مِن وَرِقٍ كان في يدِه حتَّى ماتَ[1].

قالَ: وذكرُ اليمينِ في الخاتمِ الذي اتَّخَذَه مِن فضَّةٍ غيرُ مَحفوظٍ في سائرِ الرِّواياتِ، وإنَّما هو في الخاتمِ الذي اتَّخذَه مِن ذهبٍ ثمَّ طرَحَه[2]، انتهى.

ولأنسٍ أحاديثُ أُخرى [.........][3] ﷺ، تُذكَرُ في مواضعِها إن شاءَ اللهُ.

***

**وأمَّا حديثُ ابنِ عُمَرَ:**

فقد تقدَّمَ في البابِ الماضي [...... ][4]

***

**[وأمَّا حديثُ][5] بريدةَ:**

فقد خرَّجَه التِّرمذيُّ في باب مفردٍ، وسيأتي في موضعِهِ إن شاء اللهُ[6].

وقد تقدَّمَ في البابِ الماضي أحاديثُ مُتعدِّدةٌ في خاتمِ الورقِ أيضاً.

---

(١) «الجامع في الخاتم» (٢).

(٢) «الجامع في الخاتم» (١).

(٣) طمس في الأصل، لعل تقديره: «عن النبي».

(٤) طمس في الأصل. وقد سبق في الباب الماضي ذكر الحديث وطرقه.

(٥) مطموسة في الأصل، ولعل المثبت هو المراد.

(٦) في باب ما جاء في خاتم الحديد (١٧٨٥). وقال حديث غريب.

وروى عمرُ بنُ شبَّةَ في كتابِ «أدبِ الكتَّابِ» له، نا عبدُ اللهِ بنُ رَجاءٍ، أنا إسرائيلُ، عن مسلمٍ، عن مجاهدٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ قالَ: كان خاتَمُ النَّبيِّ ﷺ حلقةَ فضَّةٍ[1].

حدثنا هارونُ بنُ عُمَرَ، نا عبدُ الملكِ بنُ بُدَيلٍ، نا شعيبٌ صاحبُ الطَّيالِسَةِ قالَ: سمعتُ محمَّدَ بنَ سيرينَ يقولُ: سمعتُ أبا هريرةَ يقولُ: رأيتُ خاتمَ النَّبيِّ ﷺ فضَّةً[2].

* * *

وقد اختلفَ العلماءُ في لبسِ الخاتمِ مِن فضَّةٍ:

فذهبَ أكثرُ أهلِ العلمِ إلى إباحتِه.

قالَ أحمدُ: ليس به بأسٌ[3].

ومِن أصحابِنا مَن قالَ: إن كانَ يَقصِدُ به التَّزينَ فقط، فتركُه أولى، ومِنهم مَن قالَ بكراهتِه حينئذٍ.

وقالت طائفةٌ: يُستحبُّ لبسُه، وهو وجهٌ لأصحابِنا أيضاً[4].

وذكر مالكٌ، عن صدقةَ بنِ يسارٍ قالَ: سألتُ سعيدَ بنَ المُسيَّبِ عن الخاتَمِ، قالَ: البَسْه وأخبرِ النَّاسَ أنِّي أمرتُك بذلك[5].

وخرجَ النَّسائيُّ مِن طريقِ هشامِ بنِ حسَّان، عن عبدِ العزيزِ بن صُهَيبٍ، عن أنسٍ قالَ: خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ وقد اتَّخذَ حلقةً مِن فضَّةٍ، وقالَ: «مَن أراد أن يصوغَ عليه فليفعَلْ، ولا تنقُشوا على نقشِه»[6].

---

(١) نقل عزيز من كتاب مفقود انفرد به المصنف رحمه الله.

(٢) نقل عزيز من كتاب مفقود انفرد به المصنف رحمه الله.

(٣) انظر: «الفروع» لابن مفلح (٤/ ١٤٩)، و«الآداب الشرعية والمنح المرعية» لابن مفلح (٣/ ٥٣١).

(٤) وقد أشبع المصنف المسألة في كتابه «أحكام الخواتم».

(٥) «الموطأ» للإمام مالك (٢/ ٩٣٦).

(٦) أخرجه النسائي (٥٢٠٧).

## نُقُولٌ من «شرح الترمذي» لابن رجب

١ـ نقل منه المرداوي في «الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف» (٢/ ٣٨١) مسألة واحدة، قال:

«قال ابن رجب في «شرح الترمذي»: إنما قال أبو إسحاق ـ يعني: ابن شَاقْلا ـ ينوي جمعةً ويتمها أربعاً، وهي جمعة لا ظُهر، لكن لما قال: يتمها أربعاً... ظنَّ الأصحابُ أنها تكون ظُهراً، وإنما هي جمعة.

قال ابن رجب: وأنا وجدتُ له مصنفاً في ذلك، لأن صلاة الجمعة كصلاة العيد، فصلاة العيد إذا فاتته صلاها أربعاً. انتهى».

٢ـ ونقل المرداوي في «التحبير شرح التحرير» (٤/ ١٥٢٨):

«وقال ابن رجب في آخر «شرح الترمذي»: وأما ما روي من قول الإمام أحمد: من ادّعى الإجماع فقد كذب! فهو إنما قاله إنكاراً على فقهاء المعتزلة، الذين يدَّعون إجماع الناس على ما يقولونه، وكانوا من أقل الناس معرفة بأقوال الصحابة والتابعين».

٣ـ ونقل المرداوي في «التحبير شرح التحرير» (٧/ ٣٤٨٠) أيضاً:

«قال ابن رجب في آخر «شرح الترمذي»: قال أحمد للميموني: خصلتان ينبغي أن يتهيب الكلام: المجمل والقياس، فمن تكلم في الفقه يجتنبهما، فإني أراهما يحملان الرجل على ما يا يرغب له عنه. انتهى.

قال ابن رجب: فتنازع أصحابنا في معناه:

فقال بعض المتقدمين والمتأخرين كأبي الخطاب وغيره: هذا يدل على المنع في استعمال القياس في الأحكام الشرعية بالكلية.

وأكثر الأصحاب لم يثبتوا عن أحمد في العمل بالقياس خلافاً، كابن أبي موسى، والقاضي، وابن عقيل، وغيرهم.

قال ابن رجب: وهو الصواب.

ثم منهم من قال: أمر باجتناب القياس، إنما أراد به القياس المخالف للنص.

وهذا ضعيف، ولأجل ضعفه حمل أبو الخطاب الرواية على نفي القياس جملة.

قال ابن رجب: والصواب أنه أراد اجتناب العمل بالقياس قبل البحث عن السنن والآثار، وعن القياس قبل إحكام النظر في استجماع شروط صحته، كما يفعله كثير من الفقهاء، ويدل على هذا وجوه...».

قال المرداوي: وذَكرها...

* * *


الرسالة رقم: (٢٦)
مجموع رسائل العلامة ابن رجب الحنبلي
الذل والانكسار للعزيز الجبار
دار اللباب

مكتبة شهيد علي باشا (ع)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين
الحمد لله جابر قلوب المنكسرة قلوبهم من اجله
وغافر ذنوب المستغفرة لذنوبهم بفضله
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا شكلا
واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله وخيره بين ان يكون
ملكا نبيا وعبدا رسولا فاختار مقام العبودية
مع رسله فكان يقول اللهم احيني مسكينا وامتني
مسكينا واحشرني في زمرة المساكين لشرف هذا
المقام وفضله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
المستمسكين من بعده بحبله اما بعد
فان الله سبحانه وتعالى مدح في كتابه الخاشعين
والمنكسرين لعظمته والخاضعين فقال

انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا
رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين وقال تعالى
والخاشعين والخاشعات الى قوله اعد
الله لهم مغفرة واجرا عظيما ووصف المؤمنين
بالخشوع لهم في اشرف عباداتهم التي هم عليها
يحافظون فقال تعالى قد افلح المؤمنون
الذين هم في صلاتهم خاشعون ووصف الذين
اوتوا العلم بالخشوع حيث يكون لهم كلامه
مسموعا فقال تعالى ان الذين اوتوا العلم
من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا
ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا
لمفعولا ويخرون للاذقان ويزيدهم
خشوعا واصل الخشوع هو لين القلب
ورقته وسكونه وخضوعه وانكساره وحرقته

المكتبة المحمودية في المدينة المنورة (م)

الذل والانكسار للعزيز الجبار للحافظ ابن رجب

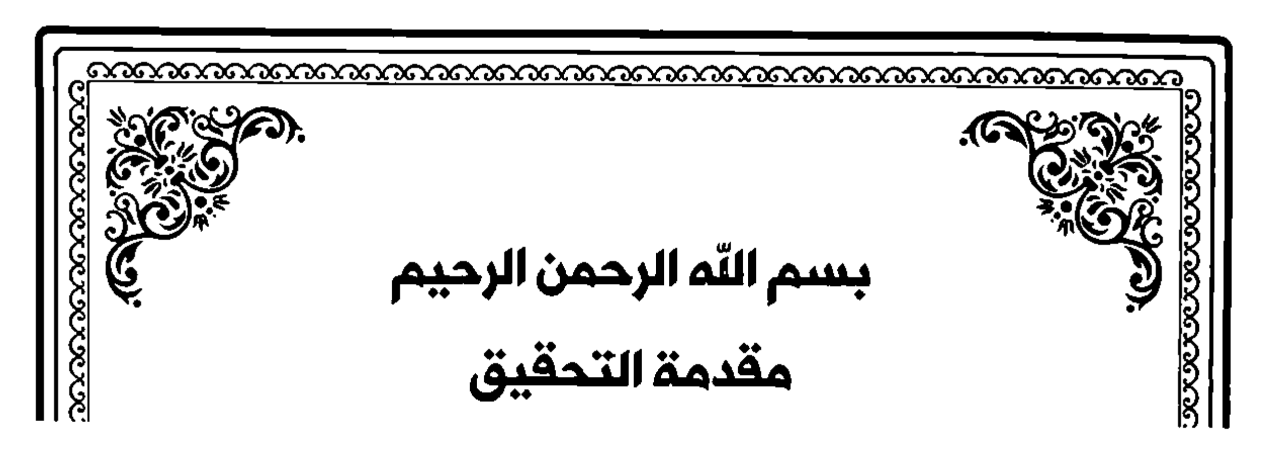
بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم

الحمد لله جابر قلوب المنكسرة قلوبهم من اجله وغافر ذنوب
المستغفرين لذنوبهم بفضله واشهد ان لا اله الا الله وحده لا
شريك له ولا شي قبله واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وخيره بين ان يكون
ملكا نبيا او عبدا رسولا فاختار مقام العبودية مع رسالته فكان
يقول اللهم احيني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين لشرف هذا
المقام وفضله صلى الله عليه وعلى اله وصحبه والمتمسكين بحبله
اما بعد فان الله سبحانه وتعالى مدح في كتابه المخبتين له
والمنكسرين لعظمته والخاضعين فقال تعالى انهم كانوا يسارعون
في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين وقال
تعالى والخاشعين والخاشعات الى قوله اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما
ووصف المؤمنين بالخشوع له في اشرف عباداتهم التي هم عليها
يحافظون فقال تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم
خاشعون ووصف الذين اوتوا العلم بالخشوع حيث يقول

مكتبة شستربتي في إيرلندا (ش)

كتاب الذل والانكسار للعزيز الجبار تاليف الشيخ الامام العالم العلامة
زين الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي تغمده الله برحمته امين
بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ولا حول ولا قوة الا
الحمد لله جابر قلوب المنكسرة قلوبهم من اجله وغافر ذنوب المستغفرين لذنوبهم
بفضله واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا شيء كمثله واشهد ان محمدا
عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وخيره بين
ان يكون ملكا نبيا او عبدا رسولا فاختار مقام العبودية مع رسالته فكان يقول
اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين لشرف هذا
المقام وفضله صلى الله عليه وعلى اله وصحبه المتمسكين من بعده بحبله اما
بعد فان الله سبحانه مدح في كتابه المخبتين له والمنكسرين لعظمته والخا
ضعين فقال تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا
وكانوا لنا خاشعين وقال تعالى والخاشعين والخاشعات الى قوله اعد الله
لهم مغفرة واجرا عظيما ووصف المؤمنين بالخشوع له في اشرف عباداتهم التي
هم عليها يحافظون فقال تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ووصف
الذين اوتوا العلم بالخشوع ~~له في اشرف عباداتهم التي هم عليها يحا~~ حيث يتلى لهم
كلامه سمعوا فقال تعالى ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للا
ذقان سجدا الى قوله ويزيدهم خشوعا واصل الخشوع هو لين القلب ورقته
وسكونه وخضوعه وانكساره وحرقته فاذا خشع القلب تبعه خشوع
جميع الجوارح والاعضاء لانها تابعة له كما قال صلى الله عليه وسلم الا وان في الجسد
مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي
القلب فاذا خشع القلب خشع السمع والبصر والراس والوجه وسائر
الاعضاء وما ينشأ منها حتى الكلام ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول
في ركوعه وسجوده خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي وفي رواية

مكتبة جامعة الرياض (س)



# بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي أحيا القلوب بذكره، فخشعت لجلاله، وخضعت لعظيم سلطانه، وذلَّت الجباهُ لعزته، وانكسرت النفوس لجبروته، والصلاة والسلام على إمام الخاشعين، الهادي إلى الخير، البشير النذير، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

**أما بعد:**

فهذه قاعدة نافعة في معنى الخشوع ولوازمه، وأسبابه ومقتضياته، وما يُوصل إليه، من العلم النافع، الذي يُباشر القلوب فيوجب لها السكينة والخشية، والإخبات والتواضع لله والانكسار له.

ذكر فيها المصنف رحمه الله ما يُثمره الخشوع في الصلاة ـ بأركانها وسننها وهيآتها ـ وفي الدعاء وآدابه.

والخشوع لا يقتصر على ذلك، فللزكاة أيضاً خشوعها ورؤية مِنَّةِ المنعم سبحانه عند أدائها.

وللصيام خشوعه، والشوق معه في ظمأ الهواجر إلى روضات الجنات ونعيمها ومائها وشرابها.

وللحج خشوعه، فهو مَجْمَع العبادات والطاعات، ولكل نسك من مناسكه خشوع، ولكل شعيرة منه فائدة وعائدة من الطواف حول البيت العتيق، واستلام

ركن البيت، ورؤية المقام، وشرب زمزم، والسعي بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفة، والإفاضة إلى المزدلفة، والمبيت بمنى، ورمي الجمار، ووداع البيت.

وللجهاد في سبيل الله خشوعه وخضوعه لإعلاء كلمة الله جل جلاله، والشوق إلى منازل الشهداء.

وعند أداء كل فريضة، واجتناب كل معصية: خشوع ينتج عن الصدق في تلك الطاعة والإخلاص فيها لله جل جلاله حتى يصير الخشوع صفةً للمؤمن يلازمه ملازمَتَهُ للقرب من مولاه.

اللهم فاجعلنا وأهلينا وذرارينا من الخاشعين والخاشعات بمنك وكرمك يا قريب يا مجيب.

* * *

**ذكر الكتابَ للمصنف:** ابنُ عبد الهادي في «الجوهر المنضد» (ص: ٥١)، وسماه: «الذل والانكسار»، وذكر له أيضاً: «قاعدة في الخشوع» (ص: ٥٠)، وهما اسمان لمسمى واحد، كما ينطق بذلك حال الكتاب، والله تعالى أعلم.

ونقل عنه السَّفَّاريني، وسماه «الذل والانكسار للعزيز الجبار» في «البحور الزاخرة» (٢/ ٧٥٠)، و«كشف اللثام شرح عمدة الأحكام» (٢/ ٣٥٥)، و«غذاء الألباب» (١/ ٣٣١).

* * *

**وقد اعتمدت في إخراج هذه الرسالة على أربع نسخ خطية:**

**١ـ النسخة الأولى: نسخة الباهي في مكتبة شهيد علي باشا، ورمزها (ع).**

وهي الرسالة الرابعة من المجموع (٥٤٣)، وتقع في (١٠) لوحات، وجاء في

أولها: «رسالة عملناها في الخشوع وانكسار القلب للرب»، وفي فهرس المجموع بأوله سماها: «مدح الخضوع» ناسخها: العالم الفاضل محمد بن محمد بن عبد الدائم الباهي الحنبلي.

وتاريخ نسخها: ٧ جمادى الأولى سنة ٧٨٧ بمصر، فقد كتبت في حياة المصنف.

**٢ـ النسخة الثانية: نسخة المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة على صاحبها الصلاة والسلام، ورمزها (م).**

وهي الرسالة الثالثة من المجموع (١٧٤٢)، وجاء العنوان فيها: «الذل والانكسار للعزيز الجبار وهو الله جل جلاله»، وتقع في (٢٢) لوحة (من ٣٨/ ب إلى ٥٩/ أ).

ناسخها: أحمد بن محمد بن خضر القطان، أما تاريخ النسخ، فبعض رسائل المجموع ترجع إلى ٨٥٢. قال الناسخ: «تأليف شيخنا الإمام العالم الفاضل زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي تغمده الله برحمته». فهو من تلاميذ المصنف.

**٣ـ النسخة الثالثة: نسخة شستربتي، ورمزها (ش).**

وهي الرسالة الرابعة من المجموع (٣٢٩٢)، وتقع في (١٧) لوحة (من ٨٧/ ب إلى ١٠٣/ أ) مسطرتها: (١٦) سطراً.

ناسخها: محمد بن عبد الله بن عمران الحنبلي القادري، وتاريخ نسخ رسالة سبقتها في المجموع سنة ٧٩٦؛ أي بعد وفاة المصنف بسنة، وجاء العنوان فيها: «الذل والانكسار للعزيز الجبار» لكن بخط متأخر.

**٤ ـ النسخة الرابعة: نسخة مكتبة جامعة الرياض، ورمزها (س).**

وهي الرسالة الأولى من المجموع (٢٦٧٤)، في (١٢) لوحة، مسطرتها (١٩) سطراً.

بخط: عبد الله بن إبراهيم بن محمد الربيعي، تاريخ نسخها ١٣ ربيع الأول ١٣٣٣، وهي مصححة ومقابلة.

**ـ ووقفنا على نسخة خامسة وهي: نسخة مكتبة الرياض السعودية.**

وهي الرسالة الرابعة من المجموع (٥٢٧/ ٨٦)، وتقع في (٨) لوحات (من ٤٧/ ب إلى ٥٤/ أ)، وجاء العنوان فيها: «كتاب الذل والانكسار للعزيز الجبار».

ولم تتم المقابلة بها لتأخرها.

لم يذكر اسم ناسخها، وتاريخ نسخها: ١٣٣٦، وعليها بلاغات قراءة، وبعض تصحيحات.

*** تنبيه:**

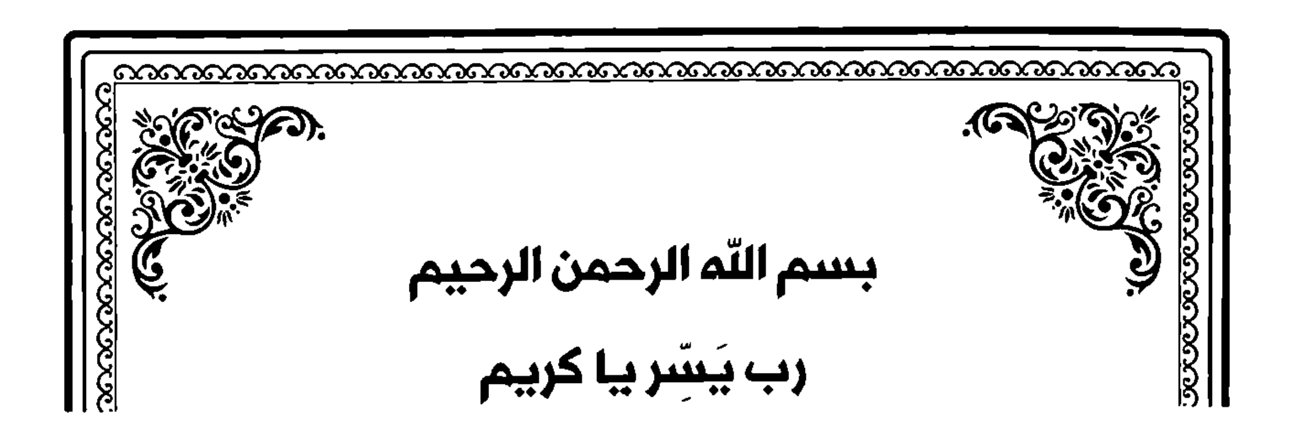
طُبع الكتاب في عدد من طبعاته باسم: «الخشوع في الصلاة»، وهو عنوان أخص من حال الكتاب، ومما سماه به ابن عبد الهادي ولا يوجد في ما وقفت عليه من مخطوطات. والله تعالى أعلم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

كتبه

**محمد مجير الخطيب الحسني**

* * *




قال الحافظُ العلامةُ زينُ الدين ابن الشيخ أبي العبَّاسِ أحمدَ بنِ رجبٍ أمدَّ الله في عمره بالبركة، ورَحِمَ سلفَه آمين آمين آمين: هذه رسالةٌ عَمِلناها في الخشوعِ وانكسارِ القلبِ للرَّبِّ[1].

الحمدُ للهِ جابرِ قُلوبِ المنكسِرةِ قلوبُهمْ مِنْ أجلِه، وغافرِ ذنوبِ المستغفِرةِ[2] لذنوبهم بفَضْلِه.

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، ولا شيءَ كمِثْلِه.

وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أرسلَه بالهدى ودينِ الحقِّ لِيُظْهِرَه على الدِّينِ كُلِّه، وخُيِّرَ[3] بينَ أنْ يكونَ مِلكاً نبيًّا أوْ عبداً رسولاً، فاختارَ مقامَ العُبوديَّةِ معَ رُسُلِه، فكانَ يقولُ: «اللَّهُمَّ أَحْيِني مسكيناً، وأَمِتْني مسكيناً، واحشُرْني في زُمْرَةِ المساكينِ»[4]؛ لشرَفِ هذا المقامِ وفَضْلِه، صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه وصحبه، والمسْتَمْسِكينَ من بعدهم بِحَبْلِه.

---

(١) هذه المقدمة من (ع) وحدها.

(٢) في (س): «المستغفرين».

(٣) في (ع): «وخَيَّره».

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤١٢٦) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

أمَّا بعدُ:

فإنَّ اللهَ سبحانه وتعالى مدَحَ في كتابِه المُخْبِتِينَ له، والمُنكسِرينَ لعظَمَتِه والخاضِعينَ، فقالَ تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقالَ تعالى: ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ﴾ إلى قوله: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

ووصَفَ المؤمنين بالخُشوعِ له في أشرفِ عباداتِهمُ الَّتي هُمْ عليها يُحافِظون، فقالَ تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٢].

ووصَفَ الَّذينَ أوتوا العلمَ بالخُشوعِ، حيثُ يكونُ لهمْ كلامُه سبحانَه مسموعاً، فقالَ تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾ [الإسراء: ١٠٧ ـ ١٠٩].

وأصلُ الخُشوعِ: هو لِينُ القلبِ، ورِقَّتُه، وسُكونُه، وخضوعُه، وانكسارُه، وحُرْقَتُه، فإذا خشَعَ القلبُ تبِعَه خشوعُ جميعِ الجوارحِ والأعضاءِ؛ لأنَّها تابعةٌ له؛ كما قالَ ﷺ: «ألَا وإنَّ في الجسدِ مُضْغَةً، إذا صلَحَتْ صلَحَ الجسدُ كلُّه، وإذا فسَدَتْ فسَدَ الجسدُ كلُّه، ألا وهِيَ القلبُ»[1]. فإذا خشَعَ القلبُ خشَعَ السَّمعُ والبصرُ والرَّأسُ والوجهُ وسائرُ الأعضاءِ وما ينشَأُ منها، حتَّى الكلامُ، ولهذا كانَ النَّبيُّ ﷺ يقولُ في ركوعِه[2] في الصَّلاةِ: «خشَعَ لكَ سمعي وبصَري ومُخِّي وعِظامي وعَصَبي»[3].

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(٢) أشار ناسخ (س) إلى وجود نسخة فيها: «وسجوده».

(٣) أخرجه مسلم (٧٧١) والإمام أحمد (٧٢٩) واللفظ له. من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وسقط من النسخ كلها: «وعصبي»، وهو لحق في (س) موافق لما في المصادر.

وفي روايةٍ: «وما استقلَّتْ به قَدَمي»[١].

ورأى بعضُ السَّلَفِ رجلاً يعبَثُ بيدِه في صلاته، فقالَ: «لوْ خشَعَ قلبُ هذا لخشَعَتْ جوارحُه».

ورُوِيَ ذلكَ عنْ حُذيفةَ[٢]، وسعيدِ بنِ المسيَّبِ[٣]، ويُروى مرفوعاً، لكِنْ بإسنادٍ لا يصِحُّ[٤].

قالَ المسعوديُّ عنْ أبي سِنانٍ، عمَّنْ حدَّثَه عنْ عليِّ بنِ أبي طالبٍ في قولِه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢]، قالَ: هوَ الخشوعُ في القلبِ، وأنْ تُلِينَ كنَفَكَ للمرءِ المسلمِ، وأنْ لا تلتَفِتَ في صلاتِكَ[٥].

وقالَ عطاءُ بنُ السَّائبِ عنْ رجلٍ، عنْ عليٍّ: الخشوعُ خشوعُ القلبِ، وأنْ لا تلتفِتَ يميناً ولا شمالاً[٦].

وقالَ عليُّ بنُ أبي طلحةَ: عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما في قولِه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢]، قالَ: خائفونَ ساكنون[٧].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٩٦٠)، وابن حبان (١٩٠١).

(٢) أخرجه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١٥٠).

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١١٨٨)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦٨٥٤)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٣٣٠٨)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١٥١).

(٤) أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٨٢٤) و(١٣٠٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، ونبّه المصنف أنه «لا يصح».

(٥) أخرجه وكيع في «الزهد» (٣٢٨)، وابن المبارك في «الزهد» (١١٤٨)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٩).

(٦) أخرجه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١٣٩). وفي (ش) و(س): «وشمالاً».

(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٠).

وقالَ ابنُ شَوْذَبٍ: عنِ الحسنِ: كانَ الخشوعُ في قلوبِهم، فغضُّوا له البصرَ، وخفَضوا له الجناحَ[1].

وقالَ منصورٌ: عنْ مجاهِدٍ: هوَ الخشوعُ في القلبِ، والسُّكونُ في الصَّلاةِ[2].

وقالَ ليثٌ: عنْ مجاهِدٍ: مِنْ ذلكَ خَفْضُ الجَناحِ، وغضُّ البصَرِ[3].

وكانَ المسلمونَ إذا قامَ أحدُهُمْ إلى الصَّلاةِ خافَ ربَّه أنْ يلتفِتَ عنْ يمينِه أوْ شمالِه.

وقالَ عطاءٌ الخُراسانيُّ: الخُشوعُ خشوعُ القلبِ والطَّرْفِ[4].

وقالَ الزُّهريُّ: هوَ سكونُ العبدِ في صلاتِه[5].

وعنْ قتادةَ قالَ: الخشوعُ في القلبِ هوَ الخوفُ، وغضُّ البصَرِ في الصَّلاةِ[6].

وقالَ ابنُ أبي نَجيحٍ: عنْ مجاهِدٍ في قولِه تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، قال: مُتواضِعين[7].

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٩).

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١١٤٩)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٩). وليس عندهما الجملة الأولى منه.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٤٢٣) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

(٤) «تفسير عطاء الخراساني» (٢٧٩) ضمن جزء فيه «تفسير القرآن» برواية أبي جعفر الترمذي.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٥٣)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٨).

(٦) أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر كما في «الدر المنثور» للسيوطي (١٠/ ٥٥٩)، والذي في الطبري (١٧/ ٩) قوله: الخشوع في القلب.

(٧) هو في «تفسير مجاهد» (ص: ٤٧٤).

وقدْ وصَفَ اللهُ سبحانه في كتابِه الأرضَ بالخُشوعِ، فقالَ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [فصلت: ٣٩]، فاهتزازُها ورُبُوُّها ـ وهوَ ارتفاعُها ـ مُزيلٌ لخشوعِها[1].

فدلَّ على أنَّ الخشوعَ الذي كانتْ عليه هوَ سكونُها وانخفاضُها، وكذلكَ القلبُ إذا خشَعَ، فإنَّه تَسْكُنُ خواطرُه وإراداتُه الرَّديَّةُ الَّتي تنشأُ مِنِ اتِّباعِ الهوى، وينكسِرُ ويخضَعُ للهِ عزَّ وجلَّ، فيزولُ بذلكَ ما كانَ فيه مِنَ البأوِ[2] وَالتَّرفُّعِ والتَّعاظُمِ والتَّكبُّرِ، ومتى سكَنَ ذلكَ في القلبِ خشَعَتِ الأعضاءُ والجوارحُ والحرَكاتُ كلُّها، حتَّى الصَّوتُ.

وقدْ وصَفَ اللهُ الأصواتَ بالخُشوعِ في قولِه: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨]، فخشوعُ الأصواتِ هوَ سكونُها وانخفاضُها بعدَ ارتفاعِها.

وكذلكَ وصَفَ وجوهَ الكُفَّارِ وأبصارَهمْ في يومِ القيامةِ بالخشوعِ، فدلَّ ذلكَ على دخولِ الخُشوعِ في هذه الأعضاءِ كُلِّها.

ومتى تكلَّفَ الإنسانُ تعاطي الخشوعِ في جوارحِه وأطرافِه معَ فراغِ قلبِه مِنَ الخُشوعِ وخُلُوِّه منه، كانَ ذلكَ خشوعَ نِفاقٍ، وهو[3] الَّذي كانَ السَّلَفُ يستعيذونَ منه.

---

(١) في (س): «فاهتزازها وربوها هو ارتفاعها، وهو مزيل لخشوعها».

(٢) البأو: الفخر.

(٣) في (س): «وهذا».

كما قالَ بعضُهم: استعيذوا باللهِ مِنْ خُشوعِ النِّفاقِ، قالوا: وما خُشوعُ النِّفاقِ؟ قالَ: أنْ ترى الجسَدَ خاشعاً. والقلبُ ليسَ بخاشعٍ[(١)].

ونظَرَ عمرُ رضي الله عنه إلى شابٍّ قدْ نكَّسَ رأسَه، فقالَ له: يا هذا! ارفَعْ رأسَكَ، فإنَّ الخُشوعَ لا يزيدُ على ما في القلبِ، فمَنْ أظهَرَ لِلنَّاسِ خُشوعاً فوقَ ما في قلبِه فإنَّما هوَ نفاقٌ على نفاقٍ[(٢)].

---

(١) أخرجه من كلام أبي الدرداء رضي الله عنه: عبد الله بن المبارك في «الزهد» (١٤٣)، وابن أبي شيبة (٣٦٨٦١)، وأحمد بن حنبل في «الزهد» (٧٦٢)، ومن طريقه: البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٥٦٧).

وروي نحوه مرفوعاً من حديث أبي بكر رضي الله عنه: عند الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٨٢٣)، (١٣٠٤). والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٥٦٨).

وروي هذا المعنى عن جماعة من السلف رضي الله عنهم.

(٢) أخرجه الدينوري في «المجالسة» (١٦٩١) (٣١٩١) ولفظه: «فإنما أظهر نفاقاً على نفاق»، ومن طريقه ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (ص: ٢٥٨).

* تنبيه: يُذكر في كتب الأدب: أن عمر رضي الله عنه نظر إلى رجل مُظْهِرٍ للنسك متماوت، فخفقه بالدرة، وقال: «لا تُمِتْ علينا ديننا أماتك الله».

فأقدم من ذكره: المبرد في «الكامل» (٢/ ١٢٢)، وذكره أبو موسى المديني في «المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث» (٣/ ٢٤٠)، وذكر أيضاً لفظاً آخره: أنه رأى رجلاً يمشي مطأطئاً، فقال: «ارفع رأسك فإن الإسلام ليس بمريض».

ولم أجد لهما سنداً فيما رجعت إليه من المصادر. ولكن ذم التماوت أمر مقرَّر، وهو إظهار التخافت والتضاعف من العبادة والزهد والصوم، وهي صفة المرائي بنسكه الذي يتكلف التزمت وتسكين الأطراف كأنه ميت ـ انظر: «الفائق» للزمخشري (حزق)، و«النهاية» لابن الأثير (موت) ـ وورد في ذم التماوت حديث أبي سلمة: (لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ متحزِّقين ولا متماوتين، وكانوا يتناشدون الشعر في مجالسهم، ويذكرون أمر جاهليتهم، فإذا أريد أحد منهم على شيء من أمر الله دارت حماليق عينيه كأنه مجنون). أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٥٥). المتحزِّق: المتقبِّض.

وأصلُ الخُشوعِ الحاصلِ في القلبِ إنَّما هوَ مِنْ معرفةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ومعرفةِ عظَمَتِه وجلالِه وكمالِه، فمَنْ كانَ باللهِ أعرَفَ فهوَ له أخشَعُ.

وتتفاوتُ القلوبُ في الخُشوعِ بحسَبِ تفاوتِ معرِفَتِها لمَنْ خشَعَتْ له، وبحسَبِ تفاوُتِ مشاهدةِ القلوبِ للصِّفاتِ المـُقتضيةِ للخُشوعِ:

فمِنْ خاشِعٍ لقوَّةِ مطالعتِه لِقُرْبِ اللهِ مِنْ عبدِه، واطِّلاعِه على سِرِّه وضميرِه المُقتضي للاستحياءِ مِنَ اللهِ تعالى، ومُراقبتِه في الحرَكاتِ والسَّكناتِ.

ومِنْ خاشِعٍ لِمُطالعتِه لجلالِ اللهِ وعظمَتِه وكبريائِه المُقتضِي لهَيْبَتِه.

ومِنْ خاشِعٍ لِمُطالعتِه لكمالِه وجمالِه المُقتضِي للاستغراقِ في محبَّتِه، والشَّوقِ إلى لقائِه ورُؤيتِه.

ومِنْ خاشِعٍ لِمُطالعتِه شِدَّةَ بَطْشِه وانتقامِه وعقابِه المُقتضِي للخوفِ منه.

وهوَ سبحانه وتعالى جابِرُ القلوبِ المُنكسِرَةِ لأجلِه، وهوَ سبحانه وتعالى يتقرَّبُ مِنَ القلوبِ الخاشعةِ له، كما يتقرَّبُ مِمَّنْ هو قائم يُناجيه في الصَّلاةِ، ومِمَّنْ يُعَفِّرُ له وجهَه في التُّرابِ بالسُّجودِ.

كما يتقرَّبُ مِنْ وَفْدِه وزُوَّارِ بيتِه الواقفينَ بينَ يديه المُتضرِّعينَ إليه في الوقوفِ بعرفةَ، ويدنو ويُباهي بهمُ الملائكةَ.

وكما يتقرَّبُ مِنْ عِبادِه الدَّاعينَ له السَّائلينَ له المـُسْتغفِرينَ مِنْ ذنوبِهم بالأسحارِ، ويُجيبُ دُعاءَهمْ، ويُعطيهمْ سُؤْلَهم، ولا جَبْرَ لانكسارِ العبدِ أعظمُ مِنَ القُرْبِ والإجابةِ[١].

---

(١) كتب في حاشية (س): «لعلها: والإنابة».

وروى الإمامُ أحمدُ في كتابِ «الزُّهدِ» بإسنادِهِ عنْ عمرانَ القصيرِ قالَ: قالَ موسى بنُ عمرانَ عليه السلام: أيْ ربِّ[1]! أينَ أَبْغيكَ؟ قالَ: ابْغِني عندَ المُنْكسِرَةِ قلوبُهمْ مِنْ أجلِي، إنِّي أدنو منهمْ كلَّ يومٍ باعاً، ولولا ذلكَ لانهدَموا[2].

وروى إبراهيمُ بنُ الجُنَيدِ في كتابِ «المحبَّةِ» بإسنادِهِ عنْ جعفرِ بنِ سليمانَ قالَ: سمعتُ مالكَ بنَ دينارٍ قالَ: قالَ موسى بنُ عمرانَ عليه السَّلامُ: إلهيَ أينَ أبغيكَ؟ فأوحى اللهُ عزَّ وجلَّ إليه: أنْ يا موسى! ابغِني عندَ المُنكسِرةِ قلوبُهمْ مِنْ أجلِي، فإنِّي أدنو منهمْ في كلِّ يومٍ وليلةٍ[3] باعاً، ولولا ذلكَ لانهدموا.

قالَ جعفرٌ: فقلتُ لمالكِ بنِ دينارٍ: كيفَ المُنكسِرةُ قلوبُهمْ؟ فقالَ: سألتُ الذي قرأ في الكتبِ، فقالَ: سألتُ الَّذي سألَ عبدَ اللهِ بنَ سَلَامٍ فقالَ: سألتُ عبدَ اللهِ بنَ سَلَامٍ عنِ المُنكسِرةِ قلوبُهمْ: ما يَعني؟ قالَ: المُنكسِرةُ قلوبُهمْ بحُبِّ اللهِ عزَّ وجلَّ عنْ حُبِّ غيرِه[4].

وقدْ جاءَ في السُّنَّةِ الصَّحيحةِ ما يَشهَدُ لقربِ اللهِ مِنَ القلبِ المُنْكسِرِ ببلائِه، الصَّابرِ على قضائِه، أو الرَّاضي بذلكَ؛ كما في «صحيحِ مسلمٍ» عن أبي هريرةَ، عنِ النَّبيِّ ﷺ: «يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ يومَ القيامةِ: يا ابنَ آدمَ! مرِضْتُ فلمْ تعُدْني، قالَ: يا ربِّ! كيفَ أعودُكَ وأنتَ ربُّ العالمينَ؟ قالَ: أما علِمْتَ أنَّ عبدي فلاناً مرِضَ فلمْ تعُدْه؟ أما علِمْتَ أنَّك لوْ عُدْتَه لوجدتني عندَه؟!»[5].

---

(١) في (س): «يا رب»، وأشار إلى نسخة موافقة للمثبت.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (٣٩١)، ومن طريقه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٧٧).

(٣) في كتاب «المحبة»: «أدنو منهم كل ليلة باعاً».

(٤) أخرجه أبو إسحاق الختلي وهو إبراهيم بن الجنيد في «المحبة لله» (٦٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٦٤) مختصراً.

(٥) أخرجه مطولًا مسلم في كتاب البر والصلة (٢٥٦٩).

وروى أبو نُعيمٍ مِنْ طريقِ ضَمْرةَ، عنْ ابنِ شَوْذَبٍ قالَ: أوحى اللهُ تعالى إلى موسى عليه السَّلامُ: أتدري لأيِّ شيءٍ اصطفيتُكَ على النَّاسِ بِرسالاتي وبكلامي[1]؟ قالَ: لا، يا ربُّ، قالَ: لأنَّه لمْ يتواضَعْ لي أحدٌ قط تواضُعَكَ[2].

* * *

[الخشوعُ هو العلمُ النَّافع]

## فصلٌ

وهذا الخُشوعُ هوَ العلمُ النَّافعُ، وهوَ أوَّلُ ما يُرفَعُ مِنَ العلمِ:

فخرَّجَ النَّسائيُّ مِنْ حديثِ جُبَيرِ بنِ نُفيرٍ، عنْ عوفِ بنِ مالكٍ: أنَّ رسول الله ﷺ نظَرَ إلى السَّماءِ يوماً، فقالَ: «هذا أوانُ يُرْفَعُ العلمُ»، فقالَ رجلٌ مِنَ الأنصارِ يُقالُ له: زيادُ بنُ لَبيدٍ[3]: يا رسولَ اللهِ! يرفعُ[4] العلمُ وقدْ أُثْبِتَ ووعتْهُ القلوبُ؟ فقالَ له رسولُ اللهِ ﷺ: «إنْ كنتُ لأحسَبُكَ مِنْ أفقهِ أهلِ المدينةِ»، وذكرَ له ضلالةَ اليهودِ والنَّصارى على ما في أيديهمْ مِنْ كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ، قالَ: فلقيتُ شدَّادَ بنَ أوسٍ، فحدَّثْتُه بحديثِ عوفِ بنِ مالكٍ، فقالَ: صدَقَ عوفٌ، ألَا أُخبرُكَ بأوَّلِ ذلكَ يُرْفَعُ؟ قلتُ: بلى، قالَ: الخشوعُ حتَّى لا ترى خاشعاً[5].

---

(١) في (ع): «وكلامي».

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٣٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/ ٥٣). وهو من أخبار أهل الكتاب كما في «تاريخ دمشق» (٦١/ ١٠٠).

(٣) جاء هنا على الصواب. وفي كتاب النسائي: «لبيد بن زياد»، قال ابن حجر في «الإصابة» (٢/ ٤٨٥): «وقع في رواية النسائي: لبيد بن زياد، وهو مقلوب». والقلب ليس من النسائي بل ممن فوقه في السند، ونبّه عليه الطحاوي.

(٤) في (ش): «ويرفع» وفي (س): «أيرفع».

(٥) أخرجه النسائي في كتاب العلم من «السنن الكبرى» (٥٨٧٨). والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣٠١)، وابن حبان (٤٥٧٢).

وخرَّجَـه التِّرْمِذِيُّ مِنْ حديثِ جُبَيْرِ بـنِ نُفَيرٍ، عـنْ أبي الدَّرداءِ، عنِ النَّبيِّ ﷺ بنحوِهِ، وفي آخرِه: قـالَ جُبَيرٌ: فلقيتُ عبادةَ بنَ الصَّامتِ، فقلتُ: ألَا تسمَعُ إلـى ما يقولُ أخوكَ أبو الدَّرداءِ؟ فأخبرته بالَّذي قالَ أبو الدَّرداءِ، قالَ: صدَقَ أبو الدَّرداءِ، ولوْ[١] شئتَ لحدَّثْتُكَ بأوَّلِ علمٍ يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ: الخُشوعُ، يوشِكُ أنْ تدخُلَ المسجدَ الجامعَ[٢] فلا ترى فيه رجلاً خاشعاً[٣].

وقدْ قيلَ: إنَّ روايةَ النَّسائيِّ أرجح[٤].

وقـدْ روى سـعيدُ بنُ بشـيرٍ، عنْ قتادةَ، عنِ الحسـنِ، عنْ شـدَّادِ بـنِ أوسٍ، عنِ النَّبـيِّ ﷺ قـالَ: «أوَّلُ ما يُرْفَـعُ مِنَ النَّاسِ الخُشـوعُ»، فذكرَه[٥].

ورواهُ أبو بكرِ بنُ أبي مريمَ، عنْ ضَمْرَةَ بنِ حبيبٍ مُرْسَلاً[٦].

ورُوِيَ نحوُه عنْ حُذيفةَ مِنْ قولِه[٧].

فالعلـمُ النَّافـعُ هـوَ مـا باشَـرَ القلـوبَ، فأوجَـبَ لهـا السَّـكينةَ، والخَشْـيةَ، والإخبـاتَ للهِ عـز وجـل، والتَّواضـعَ، والانكسـارَ لـه.

---

(١) في (ش): «لو»، وفي الترمذي: «إن شئت».

(٢) في الترمذي: «مسجد جماعة». وفي (ع) و(م): «مسجد الجامع».

(٣) أخرجه الترمذي في العلم (٢٦٥٣) وقال: حديث حسن غريب.

(٤) مدار الطريقين على جبير بن نفير.

(٥) أخرجه الطبراني بهذا الإسناد والمتن في «مسند الشاميين» (٢٦٣٧)، وهو في «المعجم الكبير» (٧١٨٣) من وجه آخر عن قتادة.

(٦) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٧٢)، والإمام أحمد في «الزهد» (٢٣٣٦).

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٩٥٤)، والإمام أحمد في «الزهد» (١٠٠٣)، والدولابي في «الكنى والأسماء» (١٤٢٠).

وإذا لمْ يُباشرِ القلوبَ ذلكَ مِنَ العلمِ[١]، وإنَّما كانَ على اللِّسانِ، فهوَ حُجَّةُ اللهِ على ابنِ آدمَ، تقومُ على صاحبِه وغيرِه، كما قالَ ابنُ مسعودٍ: إنَّ أقواماً يقرؤونَ القرآنَ لا يُجاوزُ تراقيَهمْ، ولكِنْ إذا وقَعَ في القلبِ، فرسَخَ فيه نفَعَ. خرَّجَه مسلمٌ[٢].

وقالَ الحسنُ: العلمُ عِلمانِ: علمٌ باللِّسانِ، وعلمٌ بالقلبِ، فعلمُ القلبِ هوَ العلمُ النَّافعُ، وعلمُ اللِّسانِ هو حُجَّةُ اللهِ على ابنِ آدمَ[٣].

ورُوِيَ عنِ الحسنِ مُرْسَلاً، عنِ النَّبيِّ ﷺ[٤].

ورُوِيَ عنه عنْ جابرٍ مرفوعاً[٥]، وعنه عنْ أنسٍ مرفوعاً[٦]، ولا يصِحُّ وصلُه.

فأخبرَ النَّبيُّ ﷺ أنَّ العلمَ عندَ أهلِ الكتابينِ مِنْ قَبْلِنا موجودٌ بأيديهم، ولا يَنتفعون بشيءٍ منه؛ لَمَّا فقدوا[٧] المقصودَ منه، وهو وصولُه إلى قلوبِهمْ حتَّى يجدوا حلاوةَ الإيمانِ به ومنفعتَه بحصولِ الخَشيةِ والإنابةِ به لقلوبِهمْ، وإنَّما هوَ على ألسنتِهمْ تقومُ به الحُجَّةُ عليهم.

ولهذا المعنى وصَفَ اللهُ سبحانه وتعالى في كتابِه العُلماءَ بالخشيةِ؛ كما قالَ

---

(١) هنا لحق في حاشية (س): «النافع». وفي (م)، و(س): «القلب».

(٢) أخرجه مسلم (٨٢٢).

(٣) أخرجه الدارمي في «السنن» (٣٧٦).

(٤) أخرجه المروزي في زياداته على ابن المبارك في «الزهد» (١١٦١)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٥٠٢)، والدارمي في «السنن» (٣٧٧) وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١١٥٠).

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٥/ ٥٦٨). ومن طريقه: ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٨٨).

(٦) أخرجه أبو نعيم في «الأربعين على مذهب المتحققين من الصوفية» (٤٣). وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٨٩)، وأورده ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١١٥١).

(٧) في (س): «عدموا».

تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقالَ تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

ووصَفَ العُلماءَ مِنْ أهلِ الكتابِ قَبْلَنا بالخُشوعِ؛ كما قالَ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩].

* * *

## فصلٌ

وقولُه تعالى في وصفِ هؤلاءِ الَّذينَ أُوتوا العلمَ: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩] مدْحٌ لِمَنْ أوجَبَ له سماعُ كتابِ اللهِ الخُشوعَ في قلبِه.

وقالَ تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٢) اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢ - ٢٣].

ولِينُ القلوبِ هوَ زوالُ قسوتِها؛ بحدوثِ الخُشوعِ فيها والرِّقَّةِ.

وقدْ وبَّخَ اللهُ مَنْ لا يخشَعُ قلبُه بسماعِ كتابِه وتدبُّرِه، قال تعالى ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

قالَ ابنُ مسعودٍ: ما كانَ بينَ إسلامِنا وبينَ أنْ عوتِبْنا بهذه الآيةِ إلَّا أربعُ سنينَ. خرَّجَه مسلمٌ[1].

وخرَّجَه غيرُه، وزادَ فيه: فجعلَ المؤمنون يُعاتِبُ بعضُهمْ بعضاً[2].

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠٢٧).

(٢) هذه الزيادة لم أجدها بهذا اللفظ فيما وقفت عليه من طرق هذا الحديث، وإنما ذكرها الثعلبي في =

وخرَّجَ ابنُ ماجهْ مِنْ حديثِ ابنِ الزُّبيرِ قالَ: لمْ يكنْ بينَ إسلامِهِمْ وبينَ أنْ نزَلَتْ هذه الآيةُ ـ يُعاتِبُهمُ اللهُ بها ـ إلَّا أربعُ سنينَ[1].

وقدْ سمِعَ كثيرٌ مِنَ الصَّالحينَ هذه الآية تتلى[2]، فأثَّرَتْ فيهمْ آثاراً متعدِّدةً:

فمِنهمْ مَنْ ماتَ عندَ ذلكَ؛ لانصداعِ قلبِه بها[3].

ومنهُمْ مَنْ تابَ عندَ ذلكَ، وخرَجَ عمَّا كانَ فيه[4]. وقدْ ذكَرْنا أخبارَهمْ في كتابِ «الاستغناءِ بالقرآنِ»[5].

---

= «تفسيره» (٩/ ٢٤٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٨/ ١٦٧).

وإنما أخرجها أبو يعلى (٥٢٥٦) عن ابن مسعود في هذا الحديث بلفظ: (وأقبل بعضنا على بعض: أيَّ شيء أحدَثْنا؟ أيَّ شيء صنعنا؟).

(١) أخرجه ابن ماجه في «الزهد» (٤١٩٢). ولم يذكر فيه ابن مسعود، لكن ابن الزبير إنما يرويه عن ابن مسعود فهي راجعة إلى حديث ابن مسعود وليست حديثاً آخر فتكون من باب الشواهد!

(٢) في (س): «وقد سمعها كثير من الصالحين فبكوا»، وأشار في الحاشية إلى نسخة توافق المثبت.

ومن البكائين عند سماعها: عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان إذا قرأ هذه الآية بكى حتى يغلبه البكاء. أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣١/ ١٢٧) من طريق أبي نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٠٥).

(٣) من ذلك ما ذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٥/ ٤٤) من موت رجلين بعدما سمع كل منهما هذه الآية.

(٤) وأشهرهم: الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى، وعبد الله ابن المبارك كما في «تاريخ دمشق» (٣٢/ ٤٠٦) وجعفر بن حرب وكان من رجال السلطان كما في «صفة الصفوة» (٢/ ٤٦٩). ومن المتأخرين: الشيخ سعد الدين الجباوي رحمه الله تعالى كما في ترجمة إبراهيم بن محمد الجباوي ـ من أحفاده ـ في «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٤).

(٥) «وهو الاستغناء بالقرآن في تحصيل العلم والإيمان» وذكره المصنف أيضاً في: «نزهة الأسماع»، ولا نعلم وجوده، وقد اختصره الشيخ بحرق اليمني في كتاب سماه: «ذخيرة الإخوان»، وهذبه وزاد عليه ابن المبرد يوسف بن عبد الهادي الحنبلي (ت ٩٠٩هـ) في كتابه «هداية الإنسان إلى الاستغناء =

وقال تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: ٢١].

قالَ أبو عمرانَ الجَوْنيُّ: واللهِ لقدْ صرَفَ إلينا ربُّنا في هذا القرآنِ ما لوْ صرَفَه إلى الجبالِ لحتَّها وحناها[١].

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ يقرأُ هذه الآيَةَ ثمَّ يقولُ: أقسِمُ لكمْ لا يؤمِنُ عبدٌ بهذا القرآنِ إلَّا صَدَّع قَلْبَه[٢].

ورُوِيَ عنِ الحسنِ قالَ: يا ابنَ آدمَ! إذا وسوسَ لكَ الشَّيطانُ بخطيئةٍ أوْ حدَّثَتْ بها نفْسَكَ فاذكُرْ عندَ ذلكَ ما حمَّلَكَ اللهُ مِنْ كتابِه ممَّا لوْ حُمِّلَتْهُ الجبالُ الرَّواسي لخشَعَتْ وتصدَّعَتْ، أمَا سمِعْتَهُ يقولُ: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾؟![٣] [الحشر: ٢١].

فإنَّما ضرَبَ لكَ الأمثالَ لتتفكَّرَ فيها، وتعتبرَ بها، وتزدجِرَ بها عنْ معاصي اللهِ عزَّ وجلَّ، وأنتَ يا ابنَ آدمَ أحقُّ أنْ تخشَعَ لذِكْرِ اللهِ، وما حمَّلَكَ مِنْ كتابِه، وآتاكَ مِنْ حِكَمِه؛ لأنَّ عليكَ الحسابَ، ولكَ الجنَّةُ أوِ النَّارُ.

وقدْ كانَ النَّبيُّ ﷺ يستعيذُ باللهِ مِنْ قلبٍ لا يخشَعُ؛ كما في «صحيحِ مسلمٍ» عنْ زيدِ بنِ أرقمَ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ يقولُ: «اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بكَ مِنْ علمٍ لا ينفَعُ، ومِنْ قلبٍ لا يخشَعُ، ومِنْ نفْسٍ لا تشبَعُ، ومِنْ دعوةٍ لا يُستجابُ لها»[٤].

---

= بالقرآن». وقد تمَّ تجريد واستخلاصُ كلام الحافظ ابن رجب من كتاب ابن عبد الهادي هذا، فجاء مجلَّداً حافلاً، وهو منشور ضمن هذا المجموع في المجلد السابع منه.

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣١١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (١٨٥٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٧٨).

(٣) لم أجده عند غير المصنف.

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٢٢).

وقدْ رُوِيَ نحوُه عنِ النَّبيِّ ﷺ مِنْ وجوهٍ متعدِّدةٍ[١].

ويُروى[٢] عنْ كعبِ الأحبارِ قالَ: مكتوبٌ في الإنجيلِ: يا عيسى! قلبٌ لا يخشعُ: عَمَلُه[٣] لا ينفعُ، وصوتُه لا يُسْمَعُ، ودُعاؤُه لا يُرْفَعُ[٤].

قالَ أسدُ بنُ موسى في كتابِ «الورَعِ»[٥]: حدَّثَنا مباركُ بنُ فَضالةَ قالَ: كانَ الحسَنُ يقولُ: إنَّ المؤمنينَ لَمَّا جاءَتْهُمْ هذه الدَّعوةُ صدَّقوا بها، وأفضى يقينها[٦] إلى قلوبِهِمْ، خشَعَتْ لذلكَ قلوبُهُمْ وأبدانُهمْ وأبصارُهمْ، كنتَ واللهِ إذا رأيتَهمْ رأيتَ قوماً كأنَّهمْ رأيُ عَيْنٍ، فواللهِ ما كانوا بأهلِ جَدَلٍ، ولا باطلٍ، ولا تجلَّى إلى كتابِ اللهِ ما ليسَ في قلوبِهِمْ[٧]، ولكنْ جاءَهُمْ عنِ اللهِ أمرٌ فصدَّقوا

---

(١) ومنها: ما أخرجه أبو داود (١٥٤٣)، والنسائي (٥٥٣٦، ٥٥٣٧)، وابن ماجه (٢٥٠) (٣٨٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وما أخرجه التِّرمذيُّ (٣٤٨٢) وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه، والنسائي (٥٤٤٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، وفيه: «أعوذ بك من هؤلاء الأربع».
وما أخرجه النسائي (٥٤٧٠) من حديث أنس رضي الله عنه.
وما أخرجه ابن أبي شيبة (٢٩٧٣٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) في (س): «وروي».

(٣) في (س): «علمه».

(٤) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله.

(٥) لم يصلنا من كتب أسد بن موسى الأموي، أسد السنة، المتوفى (٢١٢هـ) رحمه الله إلا كتاب «الزهد»، وأما كتاب «الورع» وكتاب «العبادة» فلم يصلا إلينا. والله أعلم.

(٦) في (س): «نفعها» وفي حاشيتها ما يوافق المثبت.

(٧) في (س) و(م): «تحلَّى»، ولم ترد في مصادر التخريج.
ولعل المعنى على ما أثبتناه أن يكون: ولا ظهر من أعمالهم ما لو عُرض على كتاب الله خالف ما في قلوبهم. وإذا قُرئت الكلمة: «تحلّى» فلعل المعنى أن يكون: ولا تَزيَّن ظاهرهم بما في كتاب الله مما =

به، فنعتَهُمُ اللهُ في القرآنِ أحسنَ نَعْتٍ، فقالَ تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾.

قالَ الحسنُ: الهَوْنُ في كلامِ العربِ: اللِّينُ والسَّكينةُ والوَقارُ.

قال: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، قالَ: حُلَماءُ لا يَجهلونَ، وإذا جُهِلَ عليهِمْ حَلُموا، يُصاحِبونَ عبادَ اللهِ نهارَهمْ بما تسمعون(١).

ثمَّ ذكَرَ ليلهمْ خيرَ ليلٍ، فقالَ: ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٤] ينتصِبونَ للهِ على أقدامِهِمْ، ويفترِشونَ وجوهَهمْ لربِّهمْ سُجَّداً تجري دموعُهُمْ على خُدودِهِمْ فَرَقاً مِنْ ربِّهمْ.

قالَ الحسنُ: لأمرٍ ما أسهَرَ ليلَهُمْ(٢)، ولأمرٍ ما خَشَع له(٣) نهارُهمْ.

قالَ: ﴿والذين يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥] قالَ: وكلُّ شيءٍ يُصيبُ ابنَ آدمَ، ثمَّ يزولُ عنه فليسَ بغرامٍ، إنَّما الغَرامُ اللَّازمُ له ما دامَتِ السَّمواتُ والأرضُ.

قالَ: صدَقَ القومُ(٤)، واللهِ الَّذي لا إلهَ إلَّا هوَ، فعمِلوا ولمْ يتمَنَّوا، فإيَّاكُمْ -رحِمَكُمُ اللهُ- وهذه الأماني، فإنَّ اللهَ لمْ يُعْطِ عبْداً بالأمنيَةِ خيراً قطُّ في الدُّنيا والآخرةِ.

---

= يخالف قلوبهم، والله أعلم.

(١) في (ش): «يسمعون»، وفي (س): «يستمعون»، وفي بعض مطبوعات هذه الرسالة: «تسمعون»، وهو الموافق لما في «تفسير ابن أبي حاتم» و«ابن كثير» و«الدر المنثور» ولعله هو الصواب، فلذا أثبتناه، والله أعلم.

(٢) كذا جميع النسخ، وفي نسخة أزهرية برقم (١٢٧١٩): «أسهرهم ليلهم».

(٣) في (س): «أخشع»، وفي المطبوع: «أسهروا له ليلهم، ولأمر ما خشعوا له نهارهم»، وفي طبعة أخرى: «سهروا ليلهم» «خشعوا نهارهم».

(٤) في (س): «صدق القومُ اللهَ، والله» والمثبت موافق للمصادر. وضبطت في (ع): «صَدَّق».

وكانَ يقولُ: يا لها موعظةً لوْ وافقَتْ مِنَ القلوبِ حياةً[1].

[خشوعُ الأبدانِ في أنواعِ العباداتِ]

## فصلٌ

وقدْ شرَعَ اللهُ تعالى لعبادِه مِنْ أنواعِ العباداتِ ما يظهَرُ فيه خُشوعُ الأبدان النَّاشئُ عنْ خُشوعِ القلبِ وذُلِّه وانكسارِه.

[الخشوع في الصلاة]

**ومِنْ أعظَمِ ما يظهَرُ فيه خُشوعُ الأبدانِ للهِ تعالى مِنَ العباداتِ: الصَّلاةُ.**

وقدْ مدَحَ اللهُ تعالى الخاشعِينَ فيها بقولِه عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٢].

وقدْ سبَقَ بعضُ ما قالَه السَّلَفُ في تفسيرِ الخُشوعِ في الصَّلاةِ.

وقالَ ابنُ لَهِيعةَ: عنْ عطاءِ بنِ دينارٍ، عنْ سعيدِ بنِ جُبَيرٍ: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي

---

(١) في (ع) بخط مغاير: «حياة لوعتها». أخرجه عبد بن حميد بطوله كما في «الدر المنثور» للسيوطي (١١/ ٢٠٨)، وهو في «مختصر قيام الليل للمروزي» (ص: ٤٢) كذلك.

وأخرج مواضع منه، من وجوه عنه:

يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٤٨٩)، ومن طريقه: الطبري (١٧/ ٤٩٢).

وأيضاً: ابن المبارك في «الزهد» (١٢٠٦)، ووكيع في «الزهد» (٤١٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٣٦٦)، وأحمد في «الزهد» (١٥٨٢) (١٦٥٤)، وهناد بن السري في «الزهد» (٢/ ٦٠٤)، وابن أبي الدنيا في «الحلم» (١٠)، (١٩) وفي «صفة النار» (٢٠٥)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٩٣ ـ ٤٩٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٥٣٥٧) (١٥٣٦٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٠٩٤).

صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢]، يعني: مُتواضعينَ، لا يعرِفُ مَنْ عنْ يمينِه، ولا مَنْ عنْ شمالِه، ولا يلتفِتُ مِنَ الخُشوعِ للهِ عزَّ وجلَّ[١].

وقالَ ابنُ المباركِ: عنْ أبي جعفرٍ، عنْ ليثٍ، عنْ مُجاهدٍ: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، قالَ: القُنوتُ الرُّكود[٢]، والخُشوعُ غضُّ البصَرِ، وخَفْضُ الجَناحِ مِنْ رَهْبَةِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

قالَ: وكانَ العلماءُ إذا قامَ أحدُهُمْ في الصَّلاةِ هابَ الرَّحمنَ عزَّ وجلَّ أنْ يشُدَّ نظَرَهُ، أوْ يلتَفِتَ، أوْ يقلِّبَ الحصى، أوْ يعبَثَ بشيءٍ، أوْ يُحَدِّثَ ـ يعني: نفْسَه ـ بشيءٍ مِنْ أمرِ الدُّنيا إلَّا ناسياً ما دامَ في صلاتِه[٣].

وقالَ منصورٌ: عنْ مجاهدٍ في قولِه تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]، قالَ: الخُشوعُ في الصَّلاةِ[٤].

وخرَّجَ الإمامُ أحمدُ والنَّسائيُّ والتِّرْمِذِيُّ مِنْ حديثِ الفَضْلِ بنِ عبَّاسٍ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «الصَّلاةُ مَثْنَى مَثْنَى، تشهَّدُ في كلِّ ركعتينِ[٥]، وتخشَّعُ، وتضرَّعُ،

---

(١) أخرجه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٤٠). وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١٢/ ٤٧) في تفسير سورة الأحزاب إلى ابن أبي حاتم.

(٢) في (ش) و(م): «الركون» وفي (س): «التؤدة». وفي «الزهد»: «الركوع»، والمثبت من (ع). «الركود» أي: السكون والثبات، وهو الموافق لما في «تفسير الطبري» (٤/ ٣٨١ ـ ٣٨٣).

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٠٧٧)، ومن طريقه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢٨٢). وأخرجه جماعة من طرق عن ليث. وفي «الحلية»: «أن يشذ نظرُه» وأثبتت كذلك في بعض مطبوعات الكتاب.

(٤) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٧٣)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٢٤) وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٨٢).

(٥) في هامش (س): «ركعة»، وهو تصحيف.

وتَمَسْكَنُ، وتُقنِعُ يديكَ»، يقولُ: «ترفَعُهُما إلى ربِّكَ عزَّ وجلَّ وتقولُ: يا ربِّ! يا ربِّ! ثلاثاً، فمَنْ لمْ يفعَلْ ذلكَ فهِيَ خِداجٌ»[١].

وفي «صحيحِ مسلمٍ» عنْ عثمانَ رضي الله عنه، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «ما مِنِ امرئٍ مُسْلمٍ تحضُرُه صلاةٌ مكتوبةٌ، فيُحسِنُ وُضوءَها وخُشوعَها ورُكوعَها إلَّا كانَتْ كفَّارةً لِمَا قَبْلَها مِنَ الذُّنوبِ ما لمْ تؤتَ كبيرةٌ، وذلكَ الدَّهرَ كلَّه»[٢].

[وضعُ اليدينِ إحداهما على الأخرى حالَ القيامِ]

**فمِمَّا يظهَرُ فيه الخُشوعُ والذُّلُّ والانكسارُ مِنْ أفعالِ الصَّلاةِ: وَضْعُ اليدينِ إحداهما على الأخرى في حالِ القِيامِ.**

وقدْ رُوِيَ عنِ الإمامِ أحمدَ أنَّه سُئِلَ عنِ المُرادِ بذلكَ، فقالَ: هوَ ذُلٌّ بينَ يدَيْ عزيزٍ.

قالَ عليُّ بنُ محمَّدٍ المصريُّ الواعظُ: ما سمعتُ في العلمِ بأحسنَ مِنْ هذا[٣].

ورُوِيَ عنْ بشرٍ الحافيِّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى قالَ: أشتهي منذُ أربعينَ سنةً أنْ أضَعَ يداً على يدٍ في الصَّلاةِ، ما يمنعُني مِنْ ذلكَ إلَّا أنْ أكونَ قدْ أظهرْتُ مِنَ الخُشوعِ ما ليسَ في قلبي[٤] مثلُه[٥].

وروى محمَّدُ بنُ نصرٍ المَرْوَزِيُّ بإسنادِه عنْ أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٧٩٩)، والنسائي في «الكبرى» (٦٩٩)، والترمذي في الصلاة (٣٨٥). ولفظ «فهي خداج» مدرج في هذه الرواية من رواية أخرى للحديث.

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٨).

(٣) أخرجه بنحوه ابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (١/ ٢١٣) بلفظ: «ذل بين يدي عز».

(٤) «قلبي» سقطت من النسختين، وأثبتت في (م) وحاشية (س). وهو الموافق لما في «تاريخ بغداد».

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٦/ ٥٧٦).

يُحْشَرُ النَّاسُ يومَ القيامةِ على قَدْرِ صنيعِهِمْ في الصَّلاةِ. وفسَّرَه بعضُ رُواتِه فقَبَضَ شمالَه بيمينِه، وانحنى هكذا[1].

وبإسنادِه عنْ أبي صالحٍ السَّمَّانِ قالَ: يُبْعَثُ النَّاسُ يومَ القيامةِ هكذا، ووضَعَ إحدى يديه على الأخرى[2].

ومُلاحظةُ هذا المعنى في الصَّلاةِ يُوجِبُ للمصلِّي أنْ يتذكَّرَ وُقوفَه بينَ يدِي اللهِ تعالى للحِسابِ.

كانَ ذو النُّونِ يقولُ في وَصْفِ العُبَّاد: لوْ رأيتَ أحدَهُمْ وقدْ قامَ إلى صلاتِه، فلمَّا وقَفَ في مِحْرابِه، واستفتَحَ كلامَ سيِّدِه خطَرَ على قلبِه أنَّ ذلكَ المَقامَ هوَ المَقامُ الَّذي يقومُ النَّاسُ فيه لربِّ العالمينَ، فانخلَعَ قلبُه، وذهَلَ عقلُه. خرَّجَه أبو نُعَيمٍ[3].

## [عدم الالتفات]

**ومِنْ ذلكَ: إقبالُه على الله عز وجل، وعدَمُ التفاتِه إلى غيرِه، وهو نوعانِ:**

**أحدُهما:** عدَمُ التفاتِ قلبِه إلى غيرِ مَنْ هُوَ مُناجٍ له، وتفريغُ القلبِ للربِّ عزَّ وجلَّ.

وفي «صحيحِ مسلمٍ» عنْ عمروِ بنِ عَبَسَةَ، عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه ذكَرَ فضْلَ الوُضوءِ وثوابَه ثمَّ قالَ: «فإنْ هوَ قامَ فصلَّى، فحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه ومجَّدَه بالَّذي هوَ أهلُه، وفرَّغَ قلبَه للهِ إلَّا انصرَفَ مِنْ خطيئتِه كيومَ ولدتْهُ أمُّهُ»[4].

---

(١) في النسخ: «بقبض»، والمثبت من (م)، أخرجه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٣٣١)، والذي فسره بذلك الإمام الحافظ أبو النضر هاشم بن القاسم الليثي.

(٢) أخرجه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٣٣٢).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٣٤٠).

(٤) أخرجه مسلم (٨٣٢) في حديث أوله: «ما منكم رجلٌ يقرِّبُ وضوءه...».

**والثَّاني**: عدمُ الالتفاتِ بالبصر[1] يميناً وشمالاً، وقَصْرُ النَّظَرِ على موضعِ السُّجودِ، وهوَ مِنْ لوازمِ الخُشوعِ للقلبِ وعدمِ التفاتِه.

ولهذا رأى بعضُ السَّلَفِ مُصَلِّياً يعبَثُ في صلاتِه، فقالَ: لوْ خشَعَ قلبُ هذا لخشَعَتْ جوارِحُهُ. وقدْ سبَقَ ذِكْرُهُ.

وخرَّجَ الطَّبرانيُّ مِنْ حديثِ ابنِ سيرينَ، عنْ أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ: كانَ النبي ﷺ يلتَفِتُ في صلاتِه عنْ يمينِه وعنْ شمالِه[2]، ثمَّ أنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٢]، فخشَعَ رسولُ اللهِ ﷺ فلَمْ يكُنْ يلتفِتُ يَمْنةً ولا يَسْرَةً[3].

ورواهُ غيرُه عنِ ابنِ سيرينَ مُرْسَلاً، وهوَ أصحُّ[4].

وخرَّجَ ابنُ ماجهْ مِنْ حديثِ أمِّ سلمةَ أمِّ المؤمنينَ رضي الله عنها قالَتْ: كانَ النَّاسُ في عهدِ النَّبيِّ ﷺ إذا قامَ أحدُهُمْ يُصلِّي لمْ يعْدُ بصرُه مَوْضِعَ قدميه، فتُوُفِّيَ رسولُ اللهِ ﷺ، فكان أبو بكر، فكانَ النَّاسُ إذا قامَ أحدُهُمْ يُصَلِّي لمْ يعْدُ بصرُه موضِعَ جبينِه، فتُوُفِّيَ أبو بكرٍ، فكانَ عُمَرُ، فكانَ النَّاسُ إذا قامَ أحدُهُمْ يُصَلِّي

---

(١) في (ش) و(س): «بالنظر».

(٢) في (ع) و(ش) و(م): «يساره». والمثبت من (س) موافق لما في الطبراني.

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٠٨٢). وروي مرفوعاً بلفظ آخر عند الحاكم (٢/ ٣٩٣)، والبيهقي في «الكبرى» (٢/ ٢٨٣).

(٤) ذكر السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/ ٥٥٦) من أخرجه مرسلًا من وجوه عن ابن سيرين، فذكر منهم: سعيد بن منصور، وعبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر وابن أبي حاتم، وأبا داود في «مراسيله» (٤٥)، والبيهقي في «الكبرى» (٢/ ٢٨٣)، وهو عند المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١٣٧).

لـمْ يعْـدُ بصَـرُ أحدِهِمْ موضِعَ القبلـةِ، وكانَ عثمـانُ بنُ عفَّـانَ فكانَتِ الفِتْنَـةُ، فالتفَتَ النَّاسُ يميناً وشـمالاً"[1].

وفي «صحيحِ البُخاريِّ» عنْ عائشةَ رضي الله عنها قالَتْ: سألتُ النبيَّ ﷺ عنِ الالتفاتِ في الصَّلاةِ، فقالَ: «هوَ اختلاسٌ يختَلِسُهُ الشَّيطانُ مِنْ صلاةِ العبدِ»[2].

وخرَّجَ الإمامُ أحمدُ وأبو داودَ والنَّسائيُّ مِنْ حديثِ أبي ذرٍّ رضي الله عنه، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «لا يزالُ اللهُ مُقْبِلاً على العَبْدِ في صلاتِه ما لمْ يلتَفِتْ، فإذا التفَتَ انصرَفَ عنه»[3].

وخرَّجَ الإمامُ أحمدُ والتِّرْمِذِيُّ مِنْ حديثِ الحارثِ الأشعريِّ، عنِ النَّبيِّ ﷺ: «إنَّ اللهَ أمَرَ يحيى بنَ زكريَّا ـ عليهما السَّلامُ ـ بخمسِ كلِماتٍ أنْ يعمَلَ بهنَّ، ويأمُرَ بني إسرائيلَ أنْ يعمَلوا بهنَّ، فذكَرَ منها: وآمرُكُمْ بالصَّلاةِ، فإنَّ اللهَ ينصِبُ وجهَه لوجهِ عبدِه ما لمْ يلتَفِتْ، فإذا صلَّيْتُمْ فلا تلتَفِتوا»[4].

وفي المعنى أحاديثُ أخَرُ متعدِّدَةٌ.

وقالَ عطاءٌ: سمعتُ أبا هريرةَ رضي الله عنه يقولُ: إذا صلَّى أحدُكُمْ فلا يلتَفِتْ، فإنَّه يُناجي ربَّه، إنَّ ربَّه أمامَه، وإنَّه يُناجيهِ فلا يلتَفِتْ.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٦٣٤)، وفي (ع) و(م): «فتلفت الناس».

(٢) أخرجه البخاري (٧٥١).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٢١٥٠٨)، والنسائي في «المساجد» (١١٩٥)، وأبو داود في «الصلاة» (٩٠٦) واللفظ له.

(٤) أخرجه مطولًا الإمام أحمد (١٧١٧٠) واللفظ له، والترمذي في الأدب (٢٨٦٣). وقال: «حديث حسن صحيح غريب».

وقالَ عطاءٌ: بلَغَنا أنَّ الربَّ عزَّ وجلَّ يقولُ: يا ابنَ آدمَ! إلى مَنْ تلتفِتُ؟ أنا خيرٌ لكَ مِمَّنْ تلتَفِتُ إليهِ.

وخرَّجَه البزَّارُ وغيرُه مرفوعاً[1]، والموقوفُ أصحُّ[2].

وقالَ أبو عِـمـران الجَوْنِيُّ: أوحى اللهُ عز وجل إلى موسى عليه السَّلامُ: يا موسى! إذا قُمْتَ بينَ يديَّ، فقُمْ مَقامَ العبدِ الحقيرِ الذَّليلِ، وذُمَّ نفْسَكَ، فهيَ أولى بالذَّمِّ، وناجِني بقلبٍ وجِلٍ، ولسانٍ صادقٍ[3].

## [الركوع]

ومِنْ ذلكَ: الرُّكوعُ، وهوَ ذُلٌّ بظاهِرِ الجسَدِ، ولهذا كانتِ العربُ تأنَفُ منه ولا تفعَلُه.

حتَّى بايعَ بعضُهمُ النَّبيَّ ﷺ على أنْ لا يَخِرَّ إلَّا قائماً[4]، يعني: أنْ يسجُدَ مِنْ غيرِ ركوعٍ. كذلكَ فسَّرَهُ الإمامُ أحمدُ والمحقِّقونَ مِنَ العلماءِ[5].

وقالَ اللهُ تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨].

---

(١) زاد في (س): «وموقوفاً» والذين رووه موقوفاً هم غير البزار. وفي (ش) و(س): «بلغنا أن الله».

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٣٢٧٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٤٥٧٢) موقوفاً على أبي هريرة رضي الله عنه، وآخره من كلام عطاء. وأخرجه مرفوعاً: البزار (٩٣٣٢) والعقيلي في «الضعفاء» (١/ ٧٠)، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ٨٦).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (٣٤٨)، ومن طريقه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٥٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/ ١٤٨).

(٤) أخرج الإمام أحمد في «المسند» (١٥٣١٢)، والنسائي (١٠٨٤) وغيرهما: أن حكيم بن حزام قال: بايعت رسول الله ﷺ على أن لا أَخِرَّ إلا قائماً.

(٥) ذكر ذلك عن الإمام أحمد: ابن قدامة في «المغني» (١٣/ ٢٥٥) في غير مظنته، وهذا التفسير لمعنى الحديث لم يذكره الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١/ ١٩٦).

وتمامُ **الخُضوعِ في الرُّكوعِ**: أنْ يخضَعَ القلبُ للهِ ويذِلَّ له، فيتِمَّ بذلكَ خضوعُ العبدِ بباطِنِه وظاهِرِه للهِ عزَّ وجلَّ، ولهذا كانَ النَّبيُّ ﷺ يقولُ في ركوعِه: «خشَعَ لَكَ سَمْعِي وبصَري ومُخِّي وعِظامي وعصبي وما استقلَّ به قَدَمِي»[١]؛ إشارةً إلى أنَّ خُشوعَه في ركوعِه قدْ حصَلَ بجميعِ جوارِحِه، ومِنْ أعظمِها القلبُ الَّذي هوَ ملِكُ الأعضاءِ والجوارحِ، فإذا خشَعَ القلبُ خشَعَتِ الجوارح والأعضاءُ كلُّها تبَعاً له ولخشوعِه[٢].

[السجود]

**ومِنْ ذلكَ: السُّجودُ**، وهوَ أعظمُ ما يظهَرُ فيه ذُلُّ العبدِ لربِّهِ عزَّ وجلَّ، حيثُ جعَلَ العبدُ أشرفَ ما له مِنَ الأعضاءِ، وأعزَّها عليه، وأعلاها حقيقةً أوضعَ ما يُمكِنُه، فيضعُه في التُّرابِ مُتَعَفِّرًا[٣]، ويُتْبِعُ ذلكَ بانكسارِ القلبِ، وتواضعِه، وخُشوعِهِ للهِ عزَّ وجلَّ.

ولهذا كانَ جزاءُ المؤمنِ إذا فعَلَ ذلكَ أنْ يقرِّبَه اللهُ إليه، فإنَّ «أقربَ ما يكونُ العبدُ مِنْ ربِّه وهوَ ساجدٌ»؛ كما صحَّ ذلكَ عنِ النَّبيِّ ﷺ[٤].

وقالَ اللهُ تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩].

والسُّجودُ أيضاً مِمَّا كانَ يأنَفُ منه المشركونَ المستكبِرونَ عنْ عبادةِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

---

(١) تقدم تخريجه في أول الرسالة. وفي المصادر: «وما استقلت».

(٢) في (ع): «تبعاً لخشوعه».

(٣) في (م): «على التراب متعفراً» وفي (س): «معفراً». والعفَر: ظاهر تراب الأرض، وعفَّر الشيء: إذا مرَّغه في التراب. (مقاييس اللغة) لابن فارس (مادة: عفر). وهو هنا كناية عن كمال الذل والعبودية لله تعالى.

(٤) أخرجه مسلم (٤٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وكانَ بعضُهُمْ يقولُ: أكرَهُ أنْ أسجُدَ فتعلوني اسْتِي[١].

وكانَ بعضُهُمْ يأخذُ كفًّا مِنْ حصىً فيرفَعُه إلى جبهتِه، ويكتفي بذلكَ عنِ السُّجودِ[٢].

وإبليسُ إنَّما طرَدَه اللهُ عز وجل لَمَّا استكبرَ عنِ السُّجودِ لِمَنْ أمرَه اللهُ بالسُّجودِ له.

ولهذا يبكي إذا سجدَ المؤمن[٣]، ويقولُ: أُمِرَ ابنُ آدمَ بالسُّجودِ ففعَلَ، فله الجنَّةُ، وأُمِرْتُ بالسُّجودِ فعصَيتُ، فلي النَّارُ[٤].

**ومِنْ تمامِ خُشوعِ العبدِ للهِ عز وجل وتواضُعِه له في ركوعِه وسجودِه:** أنَّه إذا ذَلَّ لربِّه بالركوعِ والسُّجودِ، ووصَفَ ربَّه حينئذٍ بصِفاتِ العزِّ والكِبْرِياءِ والعظَمَةِ والعُلُوِّ، فكأنَّه يقولُ: الذُّلُّ والتَّواضُعُ وصْفِي، والعُلُوُّ والعظمَةُ والكِبْرِياءُ وصْفُكَ.

ولِهذا شُرِعَ للعبدِ في ركوعِه أنْ يقولَ: «سُبحانَ ربِّيَ العظيمِ»، وفي سجودِه: «سبحانَ ربِّيَ الأعلى».

---

(١) أخرج ذلك: ابن عدي في «الكامل» (٤/ ٤٠٥) والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٣/ ٨٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٤/ ١٦٥).
وأخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٧٧٦) من وجه آخر، وذكره المصنف في «فتح الباري» (٥/ ٣٠٢) وقال: خرّجه الإمام أحمد بإسناد فيه ضعف.

(٢) كما أخرج البخاري (١٠٦٧)، ومسلم (٥٧٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قرأ (النجم) بمكة، فسجد فيها، وسجد من معه غير شيخ أخذ كفًّا من حصى أو تراب، فرفعه إلى جبهته وقال: يكفيني هذا. والشيخ: هو أمية بن خلف الذي قُتِل كافراً، كما في البخاري (٤٨٦٣).

(٣) في (س): «ابن آدم».

(٤) أخرجه مسلم (٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وكانَ النَّبيُّ ﷺ أحياناً يقولُ في سُجودِه: «سُبحانَ ذي الملَكُوتِ[١] والجَبَروتِ والكِبْرِياءِ والعظَمَةِ»[٢].

ورُوِيَ عنه ﷺ أنَّه قالَ ليلةً في سُجودِه: «أقولُ كما قالَ أخي داودُ عليه السَّلامُ: أُعَفِّرُ وجهي في التُّرابِ لسيِّدي، وحُقَّ لوجهِ سيِّدي أنْ تُعَفَّرَ الوجوهُ لوجهِه»[٣].

قالَ الحسنُ: إذا قُمْتَ إلى الصَّلاةِ فقُمْ قانِتاً كما أمَرَكَ اللهُ، وإيَّاكَ والسَّهْوَ والالتفاتَ أنْ ينظُرَ اللهُ إليكَ وتنظُرَ إلى غيرِه، وتسأَلَ اللهَ الجنَّةَ، وتعوذَ به مِنَ النَّارِ وقلبُكَ ساهٍ، لا تدري ما تقولُ بلسانكَ. خرَّجَه محمَّدُ بنُ نصرٍ المَرْوَزِيُّ[٤].

وروى بإسنادِه عنْ عثمانَ بنِ أبي دَهْرَشٍ قالَ: بلغَني أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ صلَّى صلاةً جهَرَ فيها بالقراءةِ، فلمَّا فرَغَ قالَ: «هلْ أسقطتُ مِنْ هذه السُّورةِ شيئاً؟»، قالوا: لا ندري، فقالَ أبيُّ بنُ كعبٍ: نعَمْ، آيةَ كذا وكذا، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «ما بالُ أقوامٍ يُتْلَى عليهِمْ كتابُ اللهِ عزَّ وجلَّ فلا يدرونَ ما يُتْلى منه مِمَّا تُرِكَ؟ هكذا خرَجَتْ عظَمَةُ اللهِ مِنْ قلوبِ بني إسرائيلَ، فشَهِدَتْ أبدانُهُمْ، وغابَتْ قلوبُهُمْ، ولا يقبَلُ اللهُ مِنْ عَبْدٍ عمَلاً حتَّى يشهَدَ بقلبِه معَ بدنِه»[٥].

---

(١) في (س): «ذي الملك والملكوت». وكانت مثبتة في (ش) ثم طمست. ولا توجد في المصادر.

(٢) أخرجه من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه: أحمد (٢٣٩٨٠)، وأبو داود (٨٦٩)، والترمذي في «الشمائل» (٣١٤)، والنسائي (١١٣٢) وغيرهم، بتقديم الجبروت على الملكوت.

(٣) أخرجه مطولًا: الطبراني في «الدعاء» (٦٠٦)، والدارقطني في «النزول» (٩٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٥٥٧)، وفي «الدعوات الكبير» (٥٣١)، وفي «فضائل الأوقات» (٢٧) واللفظ له، من حديث عائشة رضي الله عنها. يروى عنها من وجهين. والليلة هي ليلة النصف من شعبان.

(٤) أخرجه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١٤٠).

(٥) أخرجه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١٥٧). وعثمان بن أبي دهرش: تابعي.

والآثارُ في هذا المعنى كثيرةٌ جِدًّا.

ومرَّ عصامُ بنُ يوسفَ بحاتمِ الأصمِّ وهوَ يتكلَّمُ في مجلسِه، فقالَ: يا حاتِمُ تُحْسِنُ تُصَلِّي؟ قالَ: نعمْ، قالَ: كيفَ تُصَلِّي؟ قالَ حاتمٌ: أقومُ بالأمرِ، وأمشي بالخَشْيَةِ، وأدخُلُ بالنِّيَّةِ، وأكبِّرُ بالعظَمَةِ، وأقرأُ بالترسل والتَّفكُّرِ، وأركَعُ بالخُشوعِ، وأسجُدُ بالتَّواضُعِ، وأجلِسُ للتَّشهُّدِ بالتَّمامِ، وأسَلِّمُ بالسَّبيلِ والسُّنَّةِ، وأُسْلِمُها بالإخلاصِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، وأرجِعُ على نفْسي بالخوفِ، وأخافُ أنْ لا يُقْبَلَ منِّي، وأحفَظُه بالجهدِ إلى الموتِ. قالَ: تكلَّمْ، فأنتَ تُحْسِنُ تُصَلِّي[١].

[الخشوع في الدعاء]

## فصلٌ

ومِنْ أنواعِ العباداتِ الَّتي يظهَرُ فيها الذُّلُّ والخضوعُ[٢] للهِ عزَّ وجلَّ: الدُّعاءُ.

قالَ اللهُ تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فمِمَّا يظهَرُ فيه الذُّلُّ من الدُّعاءِ: رفعُ اليَدينِ.

وقدْ صحَّ عنِ النَّبيِّ ﷺ رفْعُ يديهِ في الدُّعاءِ في مواطنَ كثيرةٍ، وأعظَمُها في الاستسقاءِ، فإنَّه كانَ يرفَعُ فيه يديه حتَّى يُرى بياضُ إِبْطَيْهِ[٣]، وكذلكَ كانَ يجتهِدُ في الرَّفْعِ عشيَّةَ عرفةَ بعرفةَ[٤].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٧٤).

(٢) في (س): «الخشوع والذل».

(٣) أخرجه البخاري (١٠٣١)، ومسلم (٨٩٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) أخرج النسائي (٣٠١١) من حديث أسامة بن زيد قال: كنت رديف النبي ﷺ بعرفات، فرفع يديه يدعو، فمالت به ناقته، فسقط خطامها، فتناول الخطام بإحدى يديه وهو رافع يده الأخرى.

وخرَّجَ الطَّبرانيُّ مِنْ حديثِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما قالَ: رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ يدعو بعرفةَ ويداه إلى صَدْرِه كاستِطْعامِ المسكينِ[١].

وقدْ كانَ بعضُ الخائفينَ يجلِسُ باللَّيلِ ساكتاً مُطرِقًا برأسه[٢]، ويمدُّ يديهِ كحالِ السَّائلِ[٣]. وهذا مِنْ أبلَغِ صفاتِ الذُّلِّ وإظهارِ المسْكَنَةِ والافتقارِ.

**ومِنْ ذلكَ أيضاً**: افتقارُ القلبِ في الدُّعاءِ، وانكسارُه للهِ عزَّ وجلَّ، واستشعارُه شدَّةَ الفاقةِ إليه والحاجةِ، وعلى قدْرِ هذه الحُرْقَةِ والفاقةِ تكونُ إجابةُ الدُّعاءِ.

وفي «المسندِ» و«التِّرْمِذِيِّ» عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «إنَّ اللهَ لا يستجيبُ دعاءَ قلبٍ غافلٍ لاهٍ»[٤].

**ومِنْ ذلكَ**: إظهارُ الذُّلِّ باللِّسانِ في نَفْسِ السُّؤالِ، والدُّعاءِ والإلحاحِ فيه.

قالَ الأوزاعيُّ: كانَ يُقالُ: أفضلُ الدُّعاءِ الإلحاحُ على اللهِ والتَّضرُّعُ إليه[٥].

وفي «الطَّبرانيِّ» عنِ ابنِ عبَّاسٍ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ دعا يومَ عرفةَ، فقالَ: «اللَّهُمَّ إنَّكَ ترى مكاني، وتسمَعُ كلامي، وتعلَمُ سِرِّي وعلانيَتِي، ولا يخفى عليكَ شيءٌ مِنْ أمرِي، أنا البائِسُ الفقيرُ، المُستغيثُ المُستجيرُ، الوجِلُ المُشْفِقُ، المُقِرُّ المُعترِفُ بذنبِه، أسأَلُكَ مسألةَ المسكينِ، وأبتهِلُ إليكَ ابتهالَ المُذنِبِ الذَّليلِ، وأدعوكَ دُعاءَ

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢٨٩٢).

(٢) في (ع): «رأسه».

(٣) ذكر نحوه ابن الجوزي في «مُرَافِق المُوَافِق» (ص: ٤٩) عن بعض السلف رضي الله عنهم.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٤٧٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ له. وقال: «غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه». أما حديث أحمد: فبنحوه من حديث عبد الله بن عمرو (٦٦٥٥).

(٥) أخرجه العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤/ ٤٥٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٧٢) وقال: هكذا رواه من قول الأوزاعي وهو الصحيح.

الخائفِ الضَّريرِ، مَنْ خضَعَتْ لكَ رقبَتُه، وذلَّ لكَ جسدُه، ورَغِمَ لكَ أنفُه، وفاضَتْ لكَ عيناهُ، اللَّهُمَّ لا تجعلْني بدُعائكَ شقيًّا[1]، وكنْ بي رؤوفاً[2] رحيماً، يا خيرَ المسؤولينَ، ويا خيرَ المـُعطينَ»[3].

وكانَ بعضُهمْ يقولُ في دُعائِه: بعزِّك وذُلِّي، وغِناكَ وفقْرِي[4].

وقالَ طاوسٌ: دخلَ عليُّ بنُ الحسينِ ذاتَ ليلةٍ الحِجْرَ فصلَّى، فسمعتُه يقولُ في سُجودِه: عُبيدُكَ بفِنائكَ، مسكينُكَ بفِنائِكَ، فقيرُكَ بفِنائكَ، سائلُك بفِنائكَ. قالَ طاوسٌ: فحفِظْتُهنَّ، فما دعوتُ بهنَّ في كَرْبٍ إلَّا فُرِّجَ عنِّي. خرَّجَه ابنُ أبي الدُّنيا[5].

وروى ابنُ باكُوْيَه الصُّوفيُّ بإسنادٍ له: أنَّ بعضَ العُبَّادِ حجَّ ثمانينَ حَجَّةً على قدميه، فبينما هوَ في الطَّوافِ وهوَ يقولُ: يا حبيبي! يا حبيبي! وإذا بهاتفٍ يهتِفُ به: ليسَ ترضى أنْ تكونَ مِسْكِيناً حتَّى تكونَ حبيباً! قالَ: فغُشِيَ عليَّ، ثمَّ كنتُ بعدَ ذلكَ أقولُ: مِسْكِينُكَ مِسْكِينُكَ، وأنا تائبٌ عن قول حبيبي[6].

---

(١) في (س): «لا تجعلني بدعائك رب شقياً».

(٢) في (ع) و(ش) و(م): «باراً رؤوفاً» ولا توجد الزيادة في المصادر.

(٣) أخرجه الطبراني في «الدعاء» (٨٧٧)، وفي «المعجم الصغير» (٦٩٦).

(٤) ذكره ابن الجوزي في «مرافق الموافق» (ص: ٤٩) من دعاء بعض السلف. واستحلى ابنُ القيم هذا القولَ في «مدارج السالكين» (١/ ٢٠٤).

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (٦٥). وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤١/ ٣٨٠ ـ ٣٨٢) من طرق. وفي (م) و(س): «يصلي»، و«فرّج الله عني».

(٦) أخرجه السلمي في «الفتوة» (ص: ٢٢ ـ ٢٣)، وابن الجوزي في «مثير العزم الساكن» (٢/ ٢١) من طريق أبي عبد الله الشيرازي، وهو ابن باكويه.

# فصلٌ

خرَّجَ ابنُ ماجهْ مِنْ حديثِ أبي سعيدٍ الخُدْريِّ، عنِ النَّبيِّ ﷺ: أنَّه كانَ يقولُ في دُعائِه: «اللَّهُمَّ أَحْيِني مِسْكيناً، وأَمِتْني مِسْكيناً، واحْشُرْني في زُمْرَةِ المساكينِ»(١).

وخرَّجَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حديثِ أنسٍ، عنِ النَّبيِّ ﷺ مِثْلَه، وزادَ: فقالَتْ عائشةُ: لِمَ يا رسولَ اللهِ؟ فقالَ: «لأنَّهمْ يدخلونَ الجنَّةَ قَبْلَ أغنيائِهِمْ بأربعينَ خريفاً، يا عائشةُ! لا تَرُدِّي المسكينَ ولوْ بشِقِّ تَمْرَةٍ، يا عائشةُ! أَحِبِّي المساكينَ وقرِّبيهمْ، فإنَّ اللهَ يُقَرِّبُكِ يومَ القيامةِ»(٢).

وقالَ أبو ذرٍّ: أوصاني رسولُ اللهِ ﷺ أنْ أحِبَّ المساكينَ وأدنوَ منهمْ. خرَّجَه الإمامُ أحمدُ وغيرُه(٣).

وفي حديثِ معاذٍ: عنِ النَّبيِّ ﷺ أنه قال في قصَّةِ المنامِ: «اللَّهُمَّ إنِّي أسألُكَ فِعْلَ الخيراتِ، وتَرْكَ المنكراتِ، وحُبَّ المساكينِ»(٤). وذكَرَ الحديثَ.

والمرادُ بـ«المساكينِ» في هذه الأحاديثِ ونحوِها: مَنْ كانَ قلبُه مُسْتكيناً للهِ، خاضِعاً له خاشِعاً، وظاهِرُه كذلكَ، وأكثرُ ما يوجدُ ذلكَ معَ الفَقْرِ مِنَ المالِ؛ لأنَّ المالَ يُطْغِي.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٢٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٥٢) وقال: هذا حديث غريب.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٢١٤١٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٤٩١)، والطبراني في «الكبير» (١٦٤٩).

(٤) هو حديث «اختصام الملأ الأعلى» الذي أفرد المصنف فيه كتاباً سمَّاه: «اختيار الأولى». وقد أخرجه مطولاً الإمام أحمد (٢٢١٠٩)، والمروزي في «مختصر قيام الليل» (ص: ٥٥).

وحديثُ أنسٍ يشهدُ لهذا إلَّا أنَّ إسنادَه ضعيفٌ[١].

وخرَّجَ النَّسائيُّ مِنْ حديثِ أبي ذرٍّ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ أنه قالَ: «إنَّ الفَقْرَ فَقْرُ النَّفْسِ، والغِنى غِنى القلبِ»[٢].

وفي «الصَّحيحِ» عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «إنَّما[٣] الغِنى غِنى النَّفْسِ»[٤].

ولِهذا قالَ الإمامُ أحمدُ وابنُ عُيَيْنَةَ وابنُ وهْبٍ وجماعةٌ مِنَ الأئمَّةِ: إنَّ الفَقْرَ الَّذي استعاذَ منه النَّبيُّ ﷺ هو[٥] فَقْرُ النَّفْسِ[٦]، فمَنِ استكانَ قلبُه للهِ وخشَعَ له فهوَ مسكينٌ وإنْ كانَ غَنِيًّا مِنَ المالِ؛ لأنَّ استِكانةَ القلبِ لا تنفكُّ عنِ استكانةِ الجوارحِ، ومَنْ خشَعَ ظاهِرُه واستكانَ وقلبُه ليسَ بخاشعٍ ولا مستكينٍ فهوَ جبَّارٌ.

وفي الحديثِ الَّذي خرَّجَه النَّسائيُّ وغيرُه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ مَرَّ في طريقٍ وفيه امرأةٌ، فقالَ لها رجلٌ: الطَّريقَ، فقالَتْ: إنْ شاءَ أخذَ يَمْنَةً، وإنْ شاءَ أخذَ يَسْرةً، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «دعوها فإنَّها جبَّارةٌ»، فقالوا: يا رسولَ اللهِ! إنَّها... يعني إنَّها مسكينةٌ، فقالَ: «إنَّ ذاكَ في قلبِها»[٧].

---

(١) تقدم تخريجه قريباً.

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١١٧٨٥)، ولفظه: «إنما الغنى غنى القلب، والفقر فقر القلب».

(٣) في (س): «إن» وليست من لفظ الحديث بل لفظه: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس».

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) استعاذة النبي ﷺ من الفقر وردت في أحاديث متعددة، منها ما أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (٨٠٥٣).

(٦) كلام الإمام أحمد نقله الأثرم في «سؤالاته» (٢٣): «إنما استعاذ النبي ﷺ من فقر القلب». ولم أظفر بنقله عن ابن عيينة وابن وهب.

(٧) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١٠٣١٥) «طبعة الرسالة» من حديث أبي موسى الأشعري =

وقالَ الحسنُ: إنَّ قوماً جعلوا التَّواضُعَ في لباسِهِمْ، والكِبْرَ في قلوبِهِمْ، لبِسوا مَدَارِعَ الصُّوفِ، واللهِ لأحدُهُمْ أشدُّ كِبْرًا بمِدْرَعَتِه مِنْ صاحبِ السَّريرِ بسريرِه، وصاحبِ المِطْرَفِ[1] بمِطْرَفِه[2].

وقدْ صحَّ عنِ النَّبيِّ ﷺ: أنَّه أنكَرَ أنْ يكونَ لُبْسُ الثَّوبِ الحسَنِ والنَّعْلِ الحسَنِ كِبْراً، وقالَ: «الكِبْرُ بطَرُ الحقِّ، وغَمْطُ النَّاسِ»[3].

وهذا تصريحٌ بأنَّ حُسْنَ اللِّباسِ ليسَ بكِبْرٍ، وأنَّ الكِبْرَ إنَّما هوَ في القلبِ، وهوَ عدَمُ الانقيادِ للحقِّ تكبُّراً عليه، وغَمْطُ النَّاسِ هوَ احتقارُهُمْ وازدراؤُهُمْ، فمَنْ كانَ في نفْسِه عظيماً بحيثُ يحتَقِرُ النَّاسَ لاستعظامِ نفْسِه، ويأنَفُ مِنَ الانقيادِ للحقِّ تكبُّراً عليه فهوَ المتكبِّرُ، وإنْ كانَ ثوبُه ليسَ بحسَنٍ، ونعلُه ليسَ بحسَنٍ.

ومَنْ ترَكَ اللِّباسَ الحسَنَ تواضُعاً للهِ، أو خشيةَ أنْ يقَعَ في نفْسِه شيءٌ مِنَ الكِبْرِ، فقدْ أحسَنَ فيما فعَلَ، وكانَ ابنُ عُمَرَ يفعلُ ذلكَ[4].

---

= رضي الله عنه. وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨١٦٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٢٩١) من حديث أنس رضي الله عنه. وفي (ع) و(س): «إن ذلك في قلبها».

(١) المِطْرَفُ: ثوب من خز مربع ذو أعلام. (مختار الصحاح) للرازي (مادة: طرف).

(٢) والأثر أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٩/ ١٦٩)، وابن أبي الدنيا في «الخمول والتواضع» (٦٦) (٧١)، ونحوه عند: الدولابي في «الكنى والأسماء» (١١٦٠).

(٣) أخرجه مسلم (٩١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) أخرج أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٠٢) أن قزَعة قال: رأيت على ابن عمر ثياباً خشنة أو خشبة، فقلت له: يا أبا عبد الرحمن! إني أتيتك بثوب لين مما يصنع بخراسان، وتقر عيناي أن أراه عليك، فإن عليك ثياباً خشنة أو خشبة، فقال: أرنيه حتى أنظر إليه، قال: فلمسه بيده، وقال: أحرير هذا؟ قلت: لا، إنه من قطن، قال: إني أخاف أن ألبسه، أخاف أن أكون مختالاً فخوراً، والله لا يحب كل مختار فخور. ثم ساق عدداً من الأخبار المتعلقة بابن عمر وثيابه.

وقولُ النَّبيِّ ﷺ في الأنْبِجانِيَّةِ[1] الَّتي لبِسَها: «إنَّها ألْهَتْنِي آنِفاً عنْ صلاتِي»[2] يدلُّ على ذلكَ.

## فصلٌ

وممَّا اختارَه النَّبيُّ ﷺ: مقامُ العُبوديَّةِ على مقامِ الـمُلْكِ.

وقامَ بين يديه ﷺ رجلٌ يومَ الفَتْحِ فارتعدَ، فقالَ له: «هوِّنْ عليكَ، إنِّي لستُ بمَلِكٍ، إنَّما أنا ابنُ امرأةٍ مِنْ قريشٍ كانتْ تأكُلُ القَديدَ»[3].

وقدْ صحَّ عنه ﷺ أنَّه قالَ: «لا تُطْرُوني كما أطْرَتِ النَّصارى عيسى ابنَ مريمَ، فإنَّما أنا عبدٌ، فقولوا: عبدُ اللهِ ورسولُه»[4].

وقالَ الإمامُ أحمدُ: حدَّثَنا محمَّدُ بنُ فُضيلٍ، عنْ عُمارةَ، عنْ أبي زُرْعةَ، قالَ: ولا أعلَمُه إلَّا عنْ أبي هريرةَ قالَ: جلسَ جبريل عليه السَّلامُ إلى النَّبيِّ ﷺ، فنظَرَ إلى السَّماءِ، فإذا ملَكٌ مهولٌ، فقالَ جبريل عليه السَّلامُ: إنَّ هذا الملَكَ ما نزلَ منذُ يومِ

---

(١) في (س): «أنبجانيته» وهي بكسر الباء، ويروى بفتحها، يقال: «كساء أنبجاني» منسوب إلى «مَنْبِج» المدينة المعروفة، وقيل: إلى موضع اسمه «أنْبِجان»، وهو كساء يتخذ من الصوف وله خمل ولا عَلَم له. (النهاية) لابن الاثير (١/ ٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٣) و(٥٨١٧)، ومسلم (٥٥٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٣١٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٤٨) من حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٥٤، ١٦٤، ٣٣١، ٣٩١)، والبخاري مختصراً (٣٤٤٥)، ومطولاً (٦٨٣٠) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

والإطراء المنهيُّ عنه هنا: هو مجاوزة الثناء بحقٍّ واقعٍ إلى مدحٍ بما لا يقعُ لبشر! كما فعلت النصارى بجعل عيسى عليه الصلاة والسلام إلهاً أو ابناً له أو شريكاً له! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

خُلِقَ قَبْلَ السَّاعةِ، فلمَّا نزلَ قالَ: يا محمَّدُ! أرسَلَني إليكَ ربُّكَ، أفمَلِكاً نبيًّا يجعلُكَ أمْ عَبْداً رسولاً؟ قالَ جبريلُ: تواضَعْ لربِّكَ يا محمَّدُ، قالَ: «بلْ عَبْداً رسولاً»[1].

ومِنْ مراسيلِ يحيى بنِ أبي كثيرٍ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «آكلُ كما يأكُلُ العبدُ، وأجلِسُ كما يجلِسُ العبدُ، فإنَّما أنا عبدٌ». خرَّجَه ابنُ سعدٍ في «طبقاتِه»[2].

وخرَّجَ أيضاً مِنْ روايةِ أبي مَعْشَرٍ، عنِ المقْبُريِّ، عنْ عائشةَ رضي الله عنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «أتاني ملَكٌ فقالَ: إنَّ ربَّكَ يقرأُ عليكَ السَّلامَ، ويقولُ لكَ: إنْ شئتَ نبيًّا ملِكاً، وإنْ شئتَ نبيًّا عبْداً، فأشارَ إليَّ جبريل عليه السَّلامُ ضَعْ نفْسَكَ، فقلتُ: نبيًّا عَبْداً». قالتْ: فكانَ النَّبيُّ ﷺ بعدَ ذلكَ لا يأكلُ مُتَّكِئاً، ويقولُ: «آكلُ كما يأكُلُ العبدُ، وأجلِسُ كما يجلِسُ العبدُ»[3].

ومِنْ مراسيلِ الزُّهريِّ قالَ: بلَغَنا أنَّه أتى النَّبيَّ ﷺ ملَكٌ لمْ يأتِه قبلَها ومعه جبريلُ، فقالَ الملَكُ وجبريلُ صامتٌ: إنَّ ربَّكَ يُخيِّرُكَ بينَ أنْ تكونَ نبيًّا ملِكاً أوْ نبيًّا عَبْداً، فنظَرَ النَّبيُّ ﷺ إلى جبريلَ كالمُسْتأمِرِ[4]، فأشارَ إليه أنْ تواضعْ، فقالَ رسول الله ﷺ: «بلْ نبيًّا عَبْداً». قالَ الزُّهريُّ: فزعموا أنَّ النَّبيَّ ﷺ لمْ يأكُلْ منذُ قالَها متَّكِئاً حتَّى فارَقَ الدُّنيا[5].

وفي «المسندِ»[6] و«كتابِ التِّرْمِذِيِّ» عنْ أبي أمامةَ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «عرَضَ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٧١٦٠).

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٣٧١) ط دار صادر.

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٣٨١) ط دار صادر.

(٤) في (س): «كالمشاور له»، وفي (ع): «كالمستأمر له».

(٥) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٣٨٠) ط دار صادر.

(٦) في حاشية (س): «خ: المستدرك». ولم أقف عليه في «المستدرك».

عليَّ ربِّي عزَّ وجلَّ ليجعلَ لي بَطْحاءَ مكَّةَ ذهباً، فقلتُ: لا يا ربِّ، ولكنْ أشبَعُ يومًا، وأجوعُ يومًا ـ أوْ قالَ: ثلاثًا ـ أوْ نحوَ هذا[1]، فإذا جُعْتُ تضرَّعْتُ إليكَ وذكرتُكَ، وإذا شبعتُ شكرتُكَ وحمِدتُّكَ»[2].

قالَ بعضُ العارفينَ: مَنِ ادَّعى العُبوديَّةَ وله مُرادٌ باقٍ فيه فهوَ كاذبٌ في دعواه، إنَّما تصِحُّ العبوديَّةُ لِمَنْ أفنى مُراداتِه، وقامَ بمُرادِ سيِّدِه، يكونُ اسمُه ما سُمِّيَ به، ونعتُه ما حُلِّيَ به، إذا دُعِيَ باسمِه أجابَ عنِ العُبوديَّةِ، فلا اسمَ له، ولا رَسْمَ، ولا يُجيبُ إلَّا لِمَنْ يدعوه بعبوديَّةِ سيِّدِه، وأنشأَ يقولُ:

يا عمروُ ثاري عند زهراءِ[3] يعرِفُه السَّامعُ والرَّائي
لا تدْعُني إلَّا بـ«يا عَبْدَها» فإنَّه أصدق[4] أسمائي[5]

(١) المثبت موافق لما في الترمذي، وفي (س): «ذلك» وهو موافق لما في «المسند».

(٢) أخرجه الإمام أحمد ٣٦ (٢٢١٩٠)، والترمذي بعد الحديث (٢٣٤٧) وقال: حديث حسن.

(٣) في بعض المصادر: «أسماء».

(٤) وقد نقله السفاريني في «غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب» (٢/ ٤٧٤) عن المصنف كما هو المثبت. وهو كذلك في «طبقات الصوفية» للسلمي (ص: ١٩٦). وفي (س): «أشرف» وكذلك أوردته كثير من المصادر.

(٥) أخرجه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ١٩٥) دون البيت الأول، والرافعي في «أماليه» فيما عزاه له السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (٨/ ٢٨٦) من كلام محمد بن إسماعيل أبي عبد الله المغربي الصوفي، المتوفى (سنة ٢٩٩هـ) رحمه الله تعالى.

وهنا تنتهي النسخة الخطية المرموز لها بـ (ع)، وجاء في آخرها: «تمت والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، على يد فقير رحمة ربه: محمد بن محمد بن محمد بن عبد الدائم الباهي الحنبلي، عامله الله بلطفه الخفي والجلي، هو وصاحب ما نقلت منه، ومؤلفه، وجميع إخواننا وأخواتنا وأصحابنا وجميع المسلمين. إنه سميع مجيب. =

غيرُه:

مــا لــي وللفَقْــرِ إلــى عاجزٍ ... مِــثْلِيَ لا يملِــكُ إغنائــي؟!

وإنَّمــا يحسُــنُ فَقْــرِي إلــى ... مالــكِ إسْــعادي وإِشْــقائي

أَتِيْــهُ عُجْبــاً بانتمائــي إلــى ... أبوابِــه إذْ قلــتُ: مَوْلائِــي

لا تدْعُنــي إلَّا بـ«يــا عَبْــدَه» ... فإنــه أشــرفُ[1] أســمائي[2][3]

❊ ❊ ❊

= قرئت في يوم السبت بعد الزوال بالقرب من جامع الخَطيري سابع جمادى الأولى سنة سبع وثمانين وسبع مئة أحسن الله تقضّيها وبقية العمر في خير وعافية بلا محنة وهو حسبنا ونعم الوكيل».

والناسخ: من أفاضل الحنابلة بمصر، توفي (سنة ٨٠٢هـ) رحمه الله تعالى، له ترجمة في «الضوء اللامع» للسخاوي (٩/ ٢٢٤).

وجامع الخطيري هو ببولاق في مصر. انظر: «الضوء اللامع» للسخاوي (١١/ ٢٠٠).

وهنا تنتهي أيضاً النسخة الخطية للمكتبة المحمودية (م). وجاء في آخرها: «آخره والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد خير خلقه، وعلى آل محمد وصحبه وسلم تسليماً كثيراً. كتبه الفقير إلى الله، الراجي رحمة ربه بمنه وكرمه: أحمد بن محمد بن خضر القطان، عفا الله عنه وعن والديه، وعمَّن دعا له بالمغفرة ولجميع المسلمين، آمين».

وتنتهي كذلك نسخة مكتبة الرياض، وفيها: «آخره والحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً. حرره كاتبه بعد صلاة العصر ١٧ سنة ١٣٣٦ غفر الله له ولوالديه وإخوانه المسلمين آمين.

(١) بين أسطر (س): «أصدق».

(٢) لم أعثر على الأبيات عند غير المصنف رحمه الله. ونقلها عنه السفاريني في «غذاء الألباب» (٢/ ٤٧٤).

(٣) جاء هنا في حاشية (س) اليسرى: «آخره والحمد لله رب العالمين، حمدا كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم». وفي الحاشية اليمنى: «هذا آخر الكتاب، بلغ مقابلة وتصحيحاً حسب الطاقة».

روى الحافظُ أبو نُعيمٍ في كتاب «أسماءِ الصَّحابةِ»، [والسُّلمي][1] في «تاريخِ الصُّوفيَّةِ» بزيادةٍ كلاهما مِنْ طريقِ الشَّيخِ أبي سليمان الدَّارانيِّ رحمةُ اللهِ عليه، قالَ: حدَّثني علقمةُ بنُ سويدِ بنِ الحارثِ الأزْديُّ، عنْ أبيه، عنْ جدِّه...[2]

يُذكَرُ ويُنقَلُ عنْ لقمانَ الحكيمِ أنَّه قالَ لابنِه: جمعتُ لكَ حِكْمَتِي في ستِّ كلماتٍ: اعمَلْ للدُّنيا بمقدارِ قيامِكَ[3] فيها، واعمَلْ للآخرةِ بمقدارِ بقائكَ فيها، واعمَلْ للهِ بمقدارِ حاجتِكَ إليه، واعمَلْ مِنَ المعصيةِ بمقدارِ ما تُطيقُ مِنَ العقوبةِ، ولا تسألْ إلَّا مِمَّنْ لا يحتاجُ إلى أحدٍ، وإذا أردتَ أنْ تعصيَ اللهَ فاعصِهِ في مكانٍ لا يراكَ فيه[4].

قالَ إبراهيمُ الخوَّاصُ رضي الله عنه: دواءُ القلْبِ خمسةُ أشياءَ: قراءةُ القرآنِ بالتَّدبُّرِ، وخلاءُ البَطْنِ، وقيامُ اللَّيلِ، والتَّضرُّعُ عندَ السَّحَرِ، ومُجالسةُ الصَّالحينَ[5].

وقالَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رضي الله عنه في موعظةٍ له حينَ سألوه عنْ قولِه تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وإنَّا ندعوه فلمْ يستجِبْ لنا، فقالَ لهمْ: عرفتُمُ اللهَ فلمْ تُطيعوه، وقرأتُمُ القرآنَ فلمْ تعملوا به، وعرَفْتُمُ الشَّيطانَ ووافقتُموه، وادَّعيتُمْ حُبَّ رسولِ اللهِ ﷺ وتركتُمْ سُنَّتَه، وادَّعَيْتُمْ حُبَّ الجنةِ ولمْ تعملوا لها، وادَّعيتُمْ خوفَ النَّارِ

---

(١) في (ش): «والنشور»!، وفي (س): «والسور»! وهما محرفتان عما أثبتناه، والله أعلم.

(٢) هنا خلل قديم في نسخ هذه الرسالة، فالكلام الآتي لا تعلق له بهذا العزو، وإنما يتعلق بهذا: الحديث الطويل الذي سيذكره المصنف رحمه الله عن وفد الأزد.

(٣) في (ش): «بقائك».

(٤) لم أعثر عليه عند غير المصنف رحمه الله.

(٥) أخرجه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٢٢٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٢٧)، والقشيري في «الرسالة القشيرية» (١/ ١٠٤). وابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص: ٧٠).

ولمْ تنتهوا عنِ الذُّنوبِ، وقلتُمْ: إنَّ الموتَ حقٌّ ولمْ تستعدُّوا له، واشتغلتُمْ بعُيوبِ غيرِكمْ، وتأكلونَ رِزْقَ اللهِ ولا تشكرونَ، وتدفنونَ موتاكمْ ولا تعتبرون[١].

فنسألُ اللهَ أنْ يوفِّقَنا لِمَا يرضيه عنَّا برحمتِه، ويختِمَ لنا بخيرٍ، إنَّه هوَ أرحمُ الرَّاحمينَ[٢].

[٣]لمَّا وفَدَ وَفْدُ الأزْدِ على رسولِ اللهِ ﷺ قالَ: «مَنِ القومُ»؟ قالوا: المؤمنونَ يا رسولَ اللهِ، فقالَ: «إنَّ لكلِّ قولٍ حقيقةً، فما حقيقةُ قولِكُمْ؟» قالوا: خمسةَ عشرَ[٤] خَصْلَةً: خمسٌ أمَرَتْنا رسُلُكَ أنْ نؤمنَ بها، وخمسٌ أمَرَتْنا رسُلُكَ أنْ نعمَلَ بها، وخمسٌ تخلَّقْنا بها في الجاهليَّةِ ونحنُ عليها إلَّا أنْ تكرَه منها شيئاً.

قالَ: «ما الخمسُ الَّتي أمرَتْكُمْ رسُلِي أنْ تؤمنوا بها؟»، قالوا: أنْ نؤمنَ باللهِ وملائكتِه وكُتُبِه ورُسُلِه واليومِ الآخرِ.

قالَ: «وما الخمسُ الَّتي أمرَتْكُمْ أنْ تعمَلوا بها؟»، قالوا: أنْ نقولَ: لا إلهَ إلَّا اللهُ، ونقيمَ الصَّلاةَ، ونؤتيَ الزَّكاةَ، ونصومَ رمضانَ، ونحجَّ البيتَ مَنِ استطاعَ إليه سبيلاً.

قالَ: «وما الخمسُ الَّتي تخلَّقْتُمْ بها في الجاهليَّةِ؟»، قالوا: الشُّكْرُ في الرَّخاءِ، والصَّبرُ في البلاءِ، والرِّضى بمُرِّ القضاءِ، والصِّدْقُ في مواطنِ اللِّقاءِ، وتركُ الشَّماتةِ بالأعداءِ.

فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «حكماءُ علماءُ كادوا من صِدْقِهِمْ[٥] أنْ يكونوا أنبياءَ، وأنا

---

(١) أخرج نحوه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٥).

(٢) في حاشية (س): «بلغ».

(٣) هذا الخبر يتعلق بما سبق التنبيه عليه في الصفحة السابقة.

(٤) لعله: خمسَ عشرة.

(٥) المثبت من (ش) موافق «للحلية»، وفي (س): «فقههم». وهو موافق لما في «البداية والنهاية».

أزيدُكُمْ خمساً، فتتمُّ لكمْ عشرونَ خَصْلَةً، إنْ كنتُمْ كما تقولونَ، فلا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تجمعوا ما لا تأكلون، ولا تنافسوا فيما أنتمْ [عنه][1] غداً تزولون، واتَّقوا اللهَ الَّذي إليه تُرجعون، وعليه تُعرَضون، وارغبوا فيما أنتمْ إليه تنقلبون، وفيه تَخْلُدون». فرجعَ القومُ وقدْ حفِظوا وصيَّةَ رسولِ اللهِ ﷺ وعملوا بها[2].

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين[3]

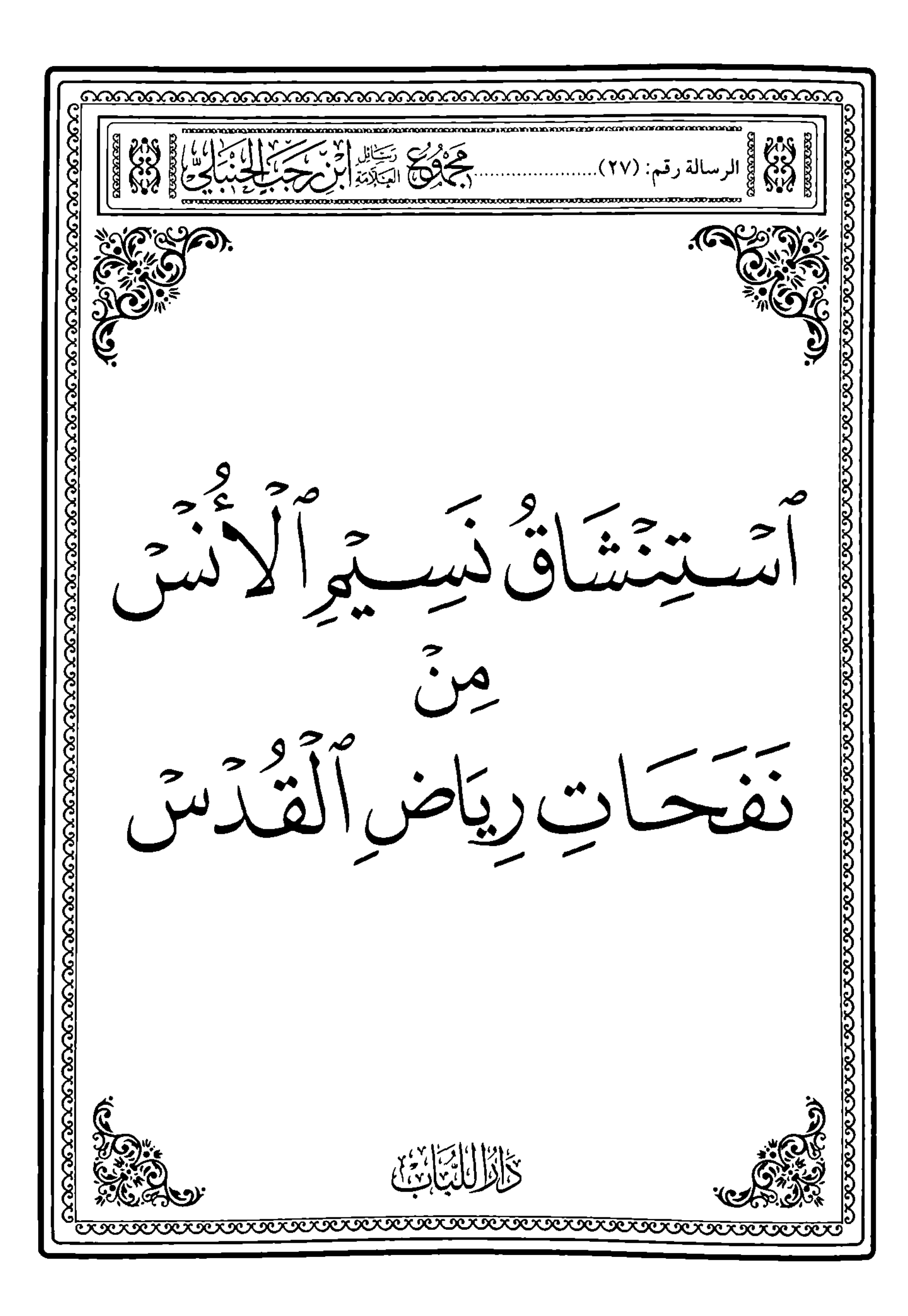
* * *

---

(١) ليست في النسخ، وهي في المصادر، ولا بد منها.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٧٩)، وعزاه المصنف كما سبق إلى «أسماء الصحابة» لأبي نعيم، وهو «معرفة الصحابة»، ولم أجده في المطبوع منه، وقد عزاه إلى «معرفة الصحابة» أيضاً: ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ٣٧٠) دار هجر. وأخرجه أبو عبد الرحمن السلمي، ولم أجده في «طبقات الصوفية» ومن طريقه: البيهقي في «الزهد» (٩٧٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤١/ ١٩٨ ـ ٢٠١)، وغيرهم. وليس له إلا هذا الحديث الواحد.

(٣) في (س): «تم بحمد الله وتوفيقه وتيسيره ومنه، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً. وقع الفراغ من نسخه عشية يوم الخميس الموافق ثلاثة عشر من ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة وألف من الهجرة، بقلم الفقير إلى الله عبده عبد الله بن إبراهيم بن محمد الربيعي، غفر الله له ولوالديه ولمن له حق عليه وللمسلمين أجمعين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم».
وفي حاشية (ش): «بلغ [مقابلة] بحسب الطاقة».


الرسالة رقم: (٢٧)
مجموع رسائل العلامة ابن رجب الحنبلي
استنشاق نسيم الأنس
من
نفحات رياض القدس
دار اللباب

مكتبة شستربتي في إيرلندا (ش)

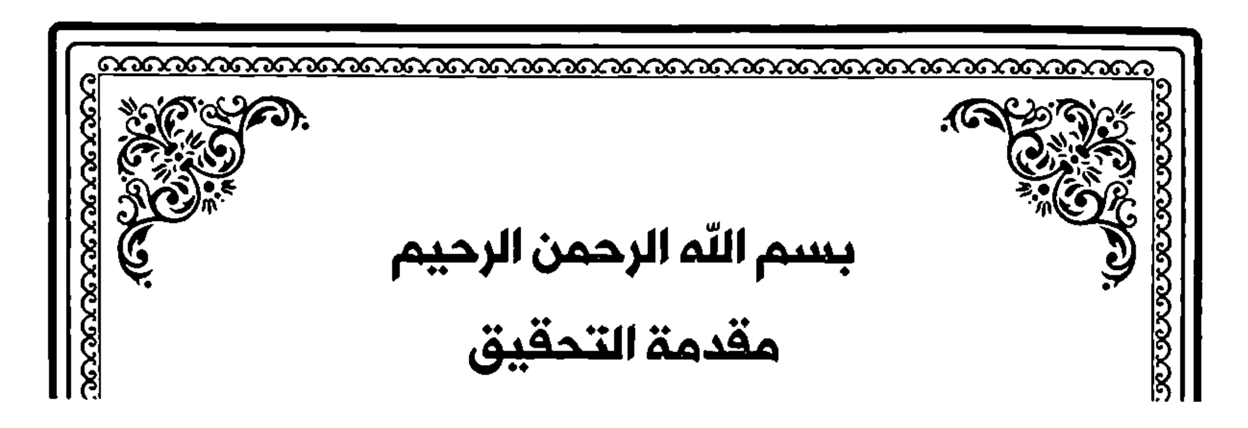
مكتبة برنستون (ب)

دار الكتب الوطنية بتونس (ت)

مكتبة الفاتح في اسطنبول (ف)، وهو المقدار الذي وُجد من النسخة

مكتبة جامعة الرياض (س)

مكتبة البسام (م)



# بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي ابتدأ أحبابه بمحبته، فكانوا أذلَّةً على من آمن بالله واستقام على شريعته، أعزةً على من كفر به وجحده وجهر بردَّته، مجاهدين أهلَ الكفر في سبيله إعلاءً لكلمته، داعين إلى الحق لا يخافون فيه أحداً من بَرِيَّته.

والصلاة والسلام على من أرسله الله لإرشاد عباده بهدايته، سيدنا محمد المصطفى لرسالته، الهادي إلى الرشاد والداعي إلى جنته، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه ومن تبعهم، وألحقنا بهم في دار كرامته.

أما بعد:

فهذا الكتابُ كتابٌ مجدِّدٌ، جمع بين التخلية والتحلية، والتنقية والتزكية، فيه التنبيه على التخلي والنقاء من أباطيل البدع، وفيه التحلي والتزكي بأنوار السنن، فإنّ طولَ الأمد وبعد العهد عن زمان النبوة؛ تحتاج معه الأمة إلى من يجدِّد لها أمر دينها في كل قرن، فينفي عن دين الله تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، ويقيم لها معالم الشرع التي طُمِسَت، ويشيد مبانيه التي دَرست.

ولما كانت صلة الخلق بخالقهم محصورة بباب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ فلا وصول لأحد من هذه الأمة إلى الله إلا من باب محمد رسول الله، فمَنْ رام باباً غيرَهُ أو تسوَّر عليه خاب وخسر؛ فلم يفلح ولم ينجح.

وهذا ما حصل لكثير من أهل البدع والأهواء، الذين جنحت بهم بدعهم إلى خلل في تصوراتهم الكلية، وسلوكهم وتصرفاتهم، كان له أثر في طريقة تدينهم، مما أشار إليه المصنف الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى في مقدمة هذا الكتاب.

فذكر بدعة الخوارج التي أثمرت تصوراً دينياً تحيط به دائرة الخوف، ويقذف الناس برجوم الحكم عليهم بالكفر!

وذكر بدعة المرجئة التي أثمرت تصوراً دينياً لا يقوم إلا على عمود الرجاء وحده، مما أدى إلى التهاون في التكاليف، وانعدام الحمية للدين!

وذكر بدعة الحلولية التي أثمرت تصوراً دينياً يظن أصحابه بأنفسهم أنهم هم المحبُّون، وهم لم يحققوا شيئاً من شروط المحبة وعلاماتها ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

فجعل اللهُ اتباعَ رسولهِ ﷺ علامةَ محبته، فمن صَدَق في الاتباع صَدَّقَهُ اللهُ تعالى في المحبة، ومن لم يكن من أهل الاتباع لم يصح له إطلاق دعوى المحبة.

فزَعَمَ هؤلاء الذين اكتفوا من المحبة بالدعوى أنهم أحبابُ الله! وقد سبقهم اليهودُ والنصارى إلى تلك الدعوى ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [المائدة: ١٨].

***

إنَّ تخلية القلب من تلك التصورات الباطلة هو شرط لتحليته بالأصول التي تنبني عليها العبادة التي يقبلها الله جلَّ جلالُه ويرضاها ويحبها من عباده، وهي اجتماع: الخوف والرجاء والمحبة في آن واحد، دون خلل في واحد

منها، وبذلك بُعث الأنبياء عليهم السلام، وقامت دلائل الوحي والكتب المنزلة، وذلك كان حال رسول الله ﷺ وصحابته والتابعين من بعدهم، وهو حال الأولياء والصالحين من أمته ﷺ.

❊ ❊ ❊

لكن تلك المشكلات التي أشار إليها المصنف رحمه الله تعالى ـ وهو في آخر القرن الثامن ـ ما تزال قائمة في الأمة، لكن في أثواب جديدة، وأنماط معاصرة زادت في بُعْد أصحابها عن حقيقة الدين، وأودت بالبعض في مهاوي الإلحاد، وخرجت بالبعض من الملة، وهم يحسبون أنهم على خير!

❊ ففهمُ الدينِ على أنه مجرد قانون يجب الانضباط به خوف العقوبة الدنيوية أو الأخروية عند ارتكاب المناهي، أو الطمع بالجوائز الأخروية عند تحقيق الأوامر، دون أن يكون لذلك الانضباط أية أسباب من جهة الآمر الناهي سبحانه وسعيٍ إلى رضاه وقربه والأنس به: أوصل أصحاب ذلك الفهم إلى الجفاء والقسوة والغلظة، والتنفير من الدين، فوقع بعض الناس جرَّاء ذلك في الإعراض عن الدين بالكلية ـ رغم العلم به ـ مع قسوة القلب عن كل موعظة.

❊ وفهمُ الدينِ على أنه مجرد تصديق قلبي بوجود الله تعالى، وإقرار برسالة النبي ﷺ، وأن مستقر الدين هو القلب، فلا يتعلق بالأعمال الظاهرة: سبب في اجتياح ظاهرة التفلُّت من الدين، وعدم الالتزام به في سواد الشعوب المسلمة، والتناقض المروع بين إقامة بعض الشعائر الدينية وأكل أموال الناس بالباطل، أو الوقوع في الفواحش ومقدماتها، أو اعتقاد المفاهيم العالمية المعاصرة التي تناقض الإسلام من كل وجه، ولا يمكن الجمع بينها وبينه بحال.

* ثـم جـاءت طامـة القـول في فهـم الديـن مِـنْ لا دينييـن، ارتكـزوا على كلام الحلوليـة والاتحاديـة فـي المحبـة، فنتج لديهـم أن الدين هـو الحـب، وأن الإله هو المحبـة، زندقـة في زندقـة! وقالـوا بوحدة الأديـان التي تهـدم كل ديـن، وتبني لدى أصحابهـا ديـن الهـوى ـ لا طهـارة فيـه، ولا صـلاة، ولا صيـام، ولا حج، ولا سـتر، ولا كـف عـن المـال الحـرام، بـل فيـه العبوديـة لغيـر الله، وفجـور وخلاعـة وتبرج وانحـلال، وأكل أمـوال النـاس بالباطـل ـ ثـم يزعمـون أن إسـلامهم هـو المحبـة! وأنهـم فهمـوا الإسـلام الذي لـم يفهمه المسـلمون!

﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٣].

﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠].

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٣].

وللإفاضة في ذلك كله ميدانٌ فسيح لا يتسع له هذا المقام.

فإلى التحلية بعد تلك التخلية، باستنشاق نسيم الأُنس مما أورده الحافظ ابن رجب رحمه الله من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وآثار السلف الصالحين وحكايات الأولياء العارفين من نفحات رياض القدس فحيَّهَلا.

* * *

**قد ذكر هذا الكتاب للحافظ ابن رجب:** ابن عبد الهادي في «الجوهر المنضد» (ص: ٥٠)، ورواه الروداني في «صلة الخلف» (ص: ١٢٤).

ونقـل عنـه السَّـفَّاريني فـي «البحور الزاخـرة في علـوم الآخـرة» (٣/ ١٢٠٣ ـ ١٥٣٩ ـ ١٥٥١ ـ ١٥٨٤ ـ ١٦٠٢ ـ ١٦٠٣)، وفـي «غـذاء الألبـاب فـي شـرح منظومـة الآداب» (١/ ٤٢).

* * *

وقد اعتمدت في إخراجه على عدة نسخ مخطوطة:

**١ـ النسخة الأولى: نسخة شستربتي، ورمزها (ش).**

وهي الكتاب الثاني من المجموع (٣٢٩٢)، ويقع في (٦٤) لوحة (من ١٩/ ب إلى ٨١/ ب)، وهو بخط محمد بن عبد الله بن عمران الحنبلي القادري، وتاريخ انتهاء نسخه: ١١ رجب سنة ٧٩٦، بعد وفاة المصنف بنحو سنة، وقد قوبل على نسخة قرئت على المصنف رحمه الله.

**٢ـ النسخة الثانية: نسخة مكتبة برنستون، ورمزها (ب).**

وهي الكتاب الرابع من المجموع (٤١٦١/ يهودا)، ويقع في (٣٧) لوحة (من ٧٨/ ب إلى ١١٥/ أ) مسطرتها: ٢١ سطراً.

لم يذكر اسم الناسخ، وتاريخ الفراغ من النسخ: ليلة ١٥ من ذي الحجة ٨١٧.

والأسقاط فيها كثيرة جداً.

**٣ـ النسخة الثالثة: النسخة التونسية، ورمزها (ت).**

وهي الكتاب الثاني عشر ضمن المجموع (١٥٧) ـ وقـد سبق وصفه فـي المقدمات ـ، ويقع في (٢٦) لوحة (من ٧٧/ أ إلى ١٠٢/ أ)، وهي مخرومة الآخر.

فلم يذكر اسم الناسخ، لكن تاريخ نسخ المجموع يرجع إلى سنة ٨٥٢.

**٤ـ النسخة الرابعة: نسخة مكتبة الفاتح في اصطنبول، ورمزها (ف).**

وهي الكتاب الرابع عشر ضمن المجموع (٥٣١٨) ـ وقد سبق وصفه في المقدمات ـ ويبدو أن أحداً قد انتزع هذا الكتاب من المجموع قبل ترقيمه، فلم يبق منه إلا ورقة واحدة في آخره (١٩٨/ ب).

وناسخ المجموع: هو عيسى بن علي بن محمد الحوراني الشافعي، وتاريخ نسخه سنة ٨٩٣.

**٥ـ النسخة الخامسة: نسخة مكتبة جامعة الرياض، ورمزها (س).**

وهي الكتاب الأول من المجموع (١٦٣٧)، ويقع في ٥٢ صفحة.

بخط: عبد الله بن إبراهيم الربيعي، وتاريخ الفراغ من نسخه: ٢ من ذي الحجة ١٣٣٣.

**٦ـ النسخة السادسة: نسخة مكتبة البسام، ورمزها (م).**

وعليها تملك لعلي بن عبد الله بن عبد الرحمن البسام الحنبلي، وهي في (١٠) أوراق، مخرومة الآخر.

**٧ـ النسخة السابعة: نسخة مكتبة الرياض العامة.**

وهي الكتاب قبل الأخير من المجموع (٥٢٧/ ١٦)، ويقع في (١٨) لوحة (من ١٥٢/ ب إلى ١٦٩/ أ) وهو مخروم الآخر.

ليس فيها اسم الناسخ، ولا تاريخ النسخ، وهي من وقف محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ، لكنها متأخرة في أوائل القرن الماضي أو أواخر الذي قبله، فلم نرجع إليها.

**٨ـ النسخة الثامنة: نسخة مكتبة جامعة الرياض.**

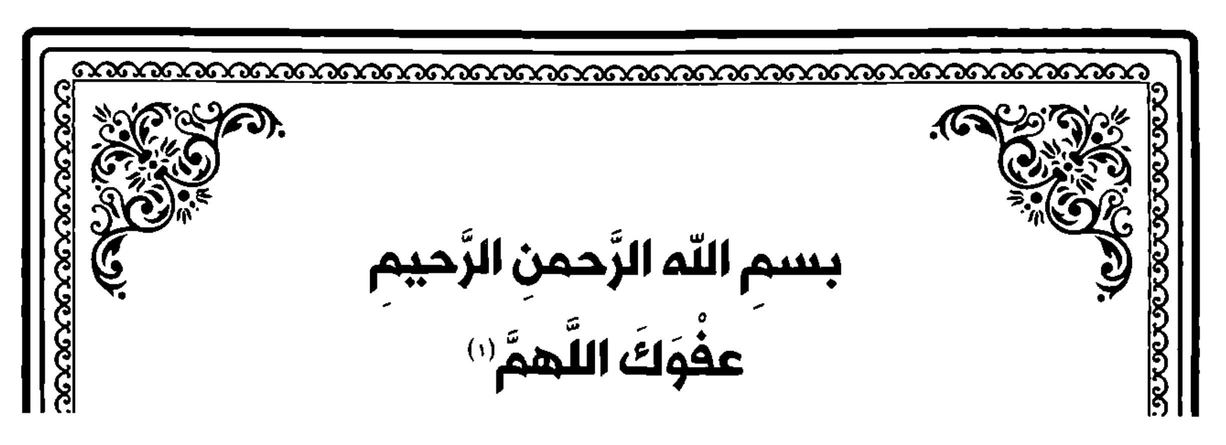
وهـي الكتاب السابع من المجموع (١٨١٧)، ويقع في (٣٧) لوحة (من ٤٤/ب إلى ٨٠/ أ) وهو بخط عبد المحسن بن عبيد بن عبد المحسن بن عبيد في غرة ربيع الثاني سنة ١٣٦١، ولم نرجع إليها لتأخرها، وعلى حواشيها إلحاقات، وتراجم مختصرة لبعض من ذكر في الكتاب من الأعلام.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

**محمد مجير الخطيب الحسني**

* * *



# بسمِ اللّهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

## عفْوَكَ اللَّهمَّ[1]

قـال الشَّـيخُ الإمـامُ العالِـمُ العلّامـةُ الأوحَـدُ شـيخُ الإسـلامِ والسُّـنّةِ، قامِـعُ البدعـةِ، بقيّـةُ السَّـلَفِ الصّالـحِ، وعُمْـدةُ الخلَـفِ، أبـو الفَـرَجِ عبـدُ الرَّحمـنِ بـنُ الشَّيخِ الإمـامِ القُـدوةِ أبـي العبّـاسِ أحمـدَ بـنِ رجَـبٍ الحنبَلـيِّ رضـيَ اللهُ عنـه، وجـزاهُ عـن الأمّـةِ خيـرًا[2].

الحمـدُ للهِ الـذي فتَـحَ علـى قُلـوبِ أحبابِـه من فَيـحِ محبّتِـه، فعَبِـقَ فيهم نَشْـرُه وفاح. وشـرَحَ صـدورَ أوليائِه بنـورِ معرفتِه، فأشـرَقَ عليهم نـورُه ولاح. أحياهُم بينَ رجائِـه وخشـيتِه، وغذّاهـم بوَلائِـه[3] ومحبَّتِـه، فـلا تسـأَلْ عمّـا هـم فيه منَ السُّـرورِ والأفراح. فسُـبحانَ مَـن ذِكرُه قوتُ القُلوبِ، وقُرّةُ العيونِ، وسـرورُ النُّفـوسِ، ورُوحُ

---

(١) في (ب): «كتابُ استنشاقِ نسيمِ الأُنسِ من نفَحاتِ رياضِ القُدسِ، تأليفُ الشَّيخِ الإمامِ العالـمِ العلّامةِ المُحدِّثِ المُحقِّقِ الفاضلِ الزّاهدِ الوَرِعِ، أفضَلِ المُتأخِّرينَ أبي الفرَجِ زَينِ الدِّينِ عبدِ الرَّحمنِ بنِ الشَّيخِ المُقرِئِ الفاضلِ أبي العبّاسِ أحمدَ بنِ رجَبٍ الحنبليِّ قدَّسَ اللهُ رُوحَه ونوَّرَ ضريحَه. آمين.

| | |
|---|---|
| كتـابُ النَّسـيمِ بأُنـسِ شـوقٍ | لرَوضِ القُدسِ مع طيبِ المَذاقِ |
| يَرتَجـي لفحـوِ الأُنـسِ مـن | معـانٍ للحبيـبِ مـعَ اشـتِياقِ». |

وفي (س): «ربِّ يسِّرْ وأعِنْ يا كريمُ» وفي (ب): «ربِّ يسِّرْ يا كريمُ»، وفي (م): «وبه نستعين».

(٢) من قوله: «قال الشيخ الإمام...» إلى هنا من (س) و(م).

(٣) في (س) و(م): «بولايته».

الحيـاةِ، وحيـاةُ الأرواح. وتبـارَكَ الذي من خشـيتِه تتجافَى عنِ المَضاجِـعِ الجُنوبُ، وبِرَجَـاء رَحمتِـه تتنفَّـسُ عـن نُفـوسِ الخائفيـنَ الكـروبُ، وبـروحِ محبَّتِـه تطمَئِـنُّ القلـوبُ وترتاح. مـا طابتِ الدُّنيـا إلّا بذكرِه ومعرفتِـه، ولا الآخرةُ إلّا بقُربِـه ورُؤيتِه، فلـو احتجَـبَ عن أهـلِ الجنّـةِ لاسـتَغاثَ أهـلُ الجنّةِ فـي الجنّـةِ كما يسـتغيثُ أهلُ النّـارِ في النّـارِ[1]، وأعلَنُوا بالصِّياح. كلُّ[2] قلوبٍ تألَّـهَتْ[3] سـواه فهي فاسـدةٌ ليس لـهـا صـلاح. وكلُّ صـدورٍ خلَتْ من هيبَتِـه وتقواه فهي ضيِّقةٌ[4] ليس لـهـا انشِـراح. وكلُّ نفـوسٍ أعرَضَـتْ عـن ذِكرِه فهي مُظلِمـةُ الأرجاءِ والنَّـواحِ. ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾[5]، أحمـدُه، ونَشْـرُ ذِكـرِه كلَّمـا نُشِـرَ فـاح. وأشـكرُه، ومزيـدُه يتجدَّدُ علـى الشّـاكرينَ بالغُـدوِّ والرَّواح.

وأشـهدُ أنْ لا إلـهَ إلّا اللهُ وحـدَه لا شـريكَ لـه شـهادةً أسـتَمِدُّها سـلاحًا على الأعـداءِ، فنِعمَ الجُنَّةُ ونِعمَ السِّـلاح. وأسـتَعِدُّها مفتاحًـا لبابِ دارِ البقـاءِ فما للجنّةِ سـواها مفتاح.

وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه، بعَثَه مُفصِحًا بتوحيدِه أيَّ إفصاح. مُوضِحًا لعبيدِه سبيلَ الـهُدَى كلَّ الإيضاح. فلم يزَلْ ﷺ يُعرِّفُ بالله حتَّى ظهرَ توحيدُه في جميعِ النَّواح. ويُخوِّفُ بالله تعالى حتَّى لانَتِ القلوبُ القاسيةُ وصَلَحَتْ كلَّ

---

(١) هذا من كلام أبي يزيد البسطامي رحمه الله، أخرجه بنحوه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٣٤).

(٢) في (س) و(م): «فكل».

(٣) في حاشية (ب) إشارة إلى نسخة: «تعلَّت».

(٤) في (ب): «ضعيفة»، وأشار في الحاشية إلى ما يوافق سائر النسخ.

(٥) مقتبس من الآية الكريمة في سورة النور: (٣٥).

الصَّلاح. ويُذكِّرُ بآلاءِ الله تعالى حتَّى انشَرَحَتِ القلوبُ بمحبَّتِه أعظَمَ انشراح[1]، صلَّى الله عليه وعلى آلِه وصَحبِه صلاةً تكونُ سببًا للفلاح. فحيَّ على الصَّلاةِ[2]، وحيَّ على الفلاح.

**أمّا بعدُ:**

فإنَّ الله تعالى خلَقَ الخلقَ وأوْجَدَهُم لعبادتِه الجامعةِ لخشيَتِه، ورَجائِه ومحبَّتِه، كما قالَ تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[3] [الذاريات: ٥٦]، وإنَّما يُعبَدُ سُبحانَه بعدَ العلمِ به ومعرفتِه، فلذلكَ خلَقَ السَّماواتِ والأرضَ وما فيهما للاستدلالِ بهما على توحيدِه وعظَمَتِه، كما قالَ تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

**وقد علِمَ أنَّ العبادةَ إنَّما تنبَني على ثلاثةِ أُصولٍ: الخوفُ والرَّجاءُ والمحبّةُ**، وكلٌّ منها فرضٌ لازِمٌ، والجمعُ بينَ الثَّلاثةِ حَتْمٌ واجبٌ، فلهذا كانَ السَّلَفُ يذُمُّونَ مَن تعبَّدَ بواحدٍ منها وأهمَلَ الآخَرينِ، فإنَّ بِدَعَ الخوارِجِ ومَن أشبَهَهُم إنَّما حدَثَتْ منَ التَّشديدِ في الخوفِ والإعراضِ عنِ المحبّةِ والرَّجاءِ، وبِدَعَ المُرجِئَةِ نشأَتْ منَ التَّعلُّقِ بالرَّجاءِ وحدَه والإعراضِ عنِ الخوفِ، وبِدَعَ كثيرٍ من أهلِ الإباحةِ والحلولِ ممَّن يُنسَبُ إلى التَّعبُّدِ نشأَتْ منْ إفرادِ المحبَّةِ والإعراضِ عنِ الخوفِ والرَّجاءِ.

وقد كَثُرَ في المُتأخِّرينَ المُنتَسبينَ إلى السُّلوكِ تجريدُ الكلامِ في المحبّةِ،

---

(١) في (ش): «الانشراح».

(٢) في (ش) و(ت): «الصلاح».

(٣) في (ب): «ليعبدوني»، وهي قراءة يعقوب.

وتوسيعُ القولِ فيها بما لا يُساوِي علـى الحقيقةِ مِثْقالَ حبَّةٍ[١]؛ إذ هـو عارٍ عـنِ الاستدلالِ بالكتابِ والسُّنّةِ، وخالٍ من ذِكْرِ كلامِ مَن سلَفَ من سلَفِ الأمّةِ وأعيانِ الأئمَّةِ، وإنَّما هو مُجرَّدُ دعاوي قد تُشرِفُ بأصحابِها[٢] على مَهاوي[٣]، وربَّـما استَشْهَدُوا بأشعارِ عُشّاقِ الصُّوَرِ، وفي ذلك ما فيه من عِظَمِ[٤] الخطرِ، وقد يحكُونَ حكاياتِ العُشّاقِ، ويُشيرُونَ إلى التَّأدُّبِ بما سلَكُوه منَ الآدابِ والأخلاقِ، وكلُّ هذا ضرَرُه عظيمٌ، وخطَرُه جسيمٌ.

وقـد يُكـثِرُ ذِكرَ المحبّةِ ويُعيدُها ويُبديها مَـن هـو بعيدٌ عن التَّلبُّسِ بمُقدِّماتِها ومَباديها، وما أحسنَ قولَ ذي النُّونِ رحمَه الله وقد ذُكِرَ عندَه الكلامُ في المحبَّةِ[٥]: اسكُتُوا عن هذه المسألةِ لا تسمَعُها النُّفوسُ فتَدَّعيها[٦]؛ فإنَّ النُّفوسَ مُـمْتَلئةٌ منَ الكبرِ والفَخْرِ والغُرورِ، والمُتشبِّعُ بما لم[٧] يُعطَ كلابِسِ ثَوبَي زُورٍ[٨]، وكثيرًا ما تقترنُ[٩] دَعوَى المحبّةِ بالشَّطْحِ والإدلالِ، وما يُنافي العُبوديّةَ منَ الأقوالِ والأفعالِ.

وقـد استَخَرْتُ الله تعالى في جمـعِ ما ورَدَ في الكتـابِ والسُّـنّةِ، وكلامِ أعيانِ

---

(١) في (ب): «بما لا يساوي في الحقيقة مثقال ذرة»، وفي حاشيتها: «حبة».

(٢) في (ش): «بصاحبها»، وفي حاشيتها: «في الأصل: بأصحابها».

(٣) كذا في النسخ: «دعاوي، مهاوي»، والأولى: دعاوٍ، مهاوٍ.

(٤) في (س) و(م): «عظيم».

(٥) زاد الناسخ في (س) و(م): «فقال».

(٦) نقله القشيري في «الرسالة» (٢/ ٤٩٢)، وذكره ابن تيمية في عدد من مؤلفاته.

(٧) في (ب): «لا».

(٨) مقتبس من حديث أخرجه البخاري (٥٢١٩)، ومسلم (٢١٣٠) من حديث أسماء رضي الله عنها.

(٩) في (ش) و(ت): «تقرن».

سلَفِ الأمّـةِ، ومَـن سـلَكَ سـبيلَهم مـنَ العارِفيـنَ الأئمّـةِ فـي محبَّـةِ الله تعالـى، وعلاماتِهـا وطُرُقِهـا ولَوازِمِهـا ومُقتَضَياتِهـا، وإنْ كنْتُ لا أسـتَقْصي ذلـك كلَّه؛ فإنَّه يطـولُ جـدًّا، وإنَّما أذكرُ منـه أبوابًا أعدُّهـا عدًّا، وهي اثنا عشـرَ بابًا، وبـالله التَّوفيقُ، وهو حسـبُنا ونعـمَ الوكيلُ.

**البابُ الأوَّلُ**: في لُزومِ محبّةِ الملِكِ القُدُّوسِ وتقديمِها على الأموالِ والأولادِ والنُّفوسِ.

**البابُ الثّاني**: في بيانِ أنَّ من أعظَمِ المطالبِ وأهمِّها سؤالَ الله محبَّتَه على أكمَلِ الوجوهِ وأتمِّها.

**البابُ الثّالثُ**: في بيانِ الأسبابِ التي تُستَجْلَبُ بها محبّةُ ربِّ الأربابِ.

**البابُ الرّابعُ**: في علاماتِ المحبّةِ الصّادِقةِ، منِ التزامِ طاعةِ الله، والجهادِ في سبيلِه، واستحلاءِ الملامةِ في ذلك، واتّباعِ رسولِ الله ﷺ.

**البابُ الخامسُ**: في استِلْذاذِ المُحبِّينَ بكلامِ محبوبِهم، وأنَّه غذاءُ قُلوبِهم، وغايةُ مطلوبِهم.

**البـابُ السّـادسُ**: فـي أُنـسِ المُحبِّيـنَ بـالله، وأنَّه ليـس لهم مقصـودٌ مـنَ الدُّنيا والآخرةِ[1] سِـواهُ.

**البابُ السّابعُ**: في سَهَرِ المُحبِّينَ وخَلوَتِهم بمُناجاةِ مَولاهُم الملِكِ الحقِّ المُبينِ.

**البابُ الثّامنُ**: في شَوقِ المُحبِّينَ إلى لقاءِ ربِّ العالَـمينَ.

**البابُ التّاسعُ**: في رِضا المُحبِّينَ بمُرِّ الأقدارِ، وتنَعُّمِهم ببلاءِ مَن يخلُقُ ما يشاءُ ويختارُ.

---

(١) في (س) و(م): «ولا الآخرة».

البابُ العاشرُ: في ذِكرِ خوفِ المُحبِّينَ العارِفينَ وفَضْلِه على خَوفِ سائرِ الخائفينَ.

البابُ الحادي عشرَ: في شرَفِ أهلِ الحبِّ، وأنَّ لهم عندَ الله أعلى منازلِ القُربِ.

البابُ الثّاني عشرَ: في نُبَذٍ من كلامِ أهلِ المحبّةِ وتحقيقِهم، تقوَى به النفوسُ[١] على سُلُوكِ طريقِهم.

وسمَّيتُه:

## استنشاقَ نَسيمِ الأُنسِ من نَفَحاتِ رياضِ القُدْسِ

فإنَّ قلوبَ الأحبابِ تشتاقُ باستِنشاقِ نسيمِ الاقترابِ، وقد خرَّجَ الطَّبرانيُّ من حديثِ عَمرِو بنِ عبدِ الغفّارِ، وهو ضعيفٌ، عن الأعمشِ، عن أبي سُفيانَ، عن جابرٍ مرفوعًا: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقولُ للجنّةِ: طِيْبي لأهلِكِ ليَزْدادُوا طيبًا، فذلك البردُ الذي يجدُه النّاسُ في السَّحَرِ من ذلك»[٢].

ويُروَى بإسنادٍ فيه ضَعفٌ[٣]، عن مُجالدٍ[٤]، عن عطيّةَ، عن أبي سعيدٍ رضيَ الله عنه قالَ: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ خلقَ جنّةَ عَدْنٍ من ياقُوتةٍ حمراءَ، ثمَّ قالَ لها: تزَيَّني،

---

(١) في (ش)، و(س)، و(م): «قلوب»، وأشير في حاشيتي (ش) و(س) إلى المثبت من (ب) و(ت).

(٢) أخرجه الطبراني في «الصغير» (٧٥)، وقال: «لم يروه عن الأعمش إلا عمرو بن عبد الغفار تفرد به يوسف بن موسى أبو غسان»، وعن الطبراني: أبو نعيم في «صفة الجنة» (٢٠)، وأخرجه من طريق آخر عن أبي غسان (١٩٩). وعَمرو بن عبد الغفار الفقيمي: متروك. وجاء في النسخ: «عُمر»، وكتب في (ب): «عمرو» ثم ضرب على الواو! والصواب إثباتها.

(٣) في (ب): «ضعيف».

(٤) تصحف في (ب) و(س) إلى: «مجاهد».

فتَزَيَّنَتْ، ثـمَّ قالَ لــها: تكَلَّمي، فقالَتْ: طُوبَـى لِمَنْ رَضِيْتَ عنـه، فأطْبَقَها وعلَّقَها[١] بالعـرشِ، فلـم يدخُلْهـا بعدَ ذلـك إلّا اللهُ لا إلـهَ غيرُه، يدخلُهـا كلَّ سـحَرٍ، فذلك برْدُ السَّحَرِ»[٢].

وخرَّجَه الحاكمُ والبيهَقيُّ بإسنادٍ جيِّدٍ، عن مُجاهِدٍ[٣]، من قولِه مُختَصَرًا[٤].

وأنشَدَ بعضُهم:

تَمُـرُّ الصَّبـا صَفْحًا بسـاكنِ ذي الغَضَا ... وتـصـدَعُ[٥] قَـلـبي أن يهُـبَّ هُبُوبُها

قريبـةُ عهـدٍ بـالحـبيـبِ وإنَّـمـا ... هَوَى كلِّ نفسٍ أيـن[٦] حـلَّ حبيبُهـا

وقد قيلَ: إنَّ قلبَ المُحِبِّ تحتَ فحمةِ اللَّيلِ جمرةٌ كلَّما هَبَّ عليه نسيمُ السَّحَرِ التَهَبَ، وأنشَدُوا في هذا المعنَى:

يُذَكِّرُنـي مَـرُّ النَّسيمِ عُـهـودَكمْ ... فأَزْدادُ شـوقًا كلَّمـا هبَّـتِ الرِّيـحُ

أرانـي إذا مـا أظلَـمَ اللَّيـلُ أشـرَقَتْ ... بقَلبِـيَ مـن نـارِ الغـرامِ مصابيـحُ

---

(١) في (ب): «وغلقها».

(٢) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٣/ ٥٣) من طريق محمد بن مخلد في «فوائده» (٣٤). ولا يصح إسناده، ومعناه تفسره الرواية في التعليق الآتي.

(٣) في حاشية (ش): «ينظر». وهو صوابٌ.

(٤) أخرج البيهقي في «البعث والنشور» (٧٧٩) عن الحاكم من حديث مجاهد موقوفاً عليه: «إن الله تبارك وتعالى غرس جنات عدن بيده، فلما تكاملت أُغلِقَت، فهي تُفتح كل سحر، فينظر الله تبارك وتعالى إليها فيقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

(٥) في (س) و(م): «ويصدع». وهو كذلك في المصادر.

(٦) في حاشية (ش): «أصل: حيث»، وكذلك في (ت) و(س)، والمثبت من (ب) و(ش) و(م).

والبيتان لإبراهيم بن العباس الصولي، كما في «ديوانه» (ص: ١٣٩)، و«ديوان المعاني» لأبي هلال العسكري (١/ ٢٧٤).

أُصَلِّي بذِكراكُمُ إذا كُنْتُ خاليًا ... أَلا إنَّ تَذْكارَ الأحبّةِ تَسبيحُ

يَشِحُّ فُؤادي أن يُخامِرَ سِرَّه ... سِواكُم وبعضُ الشُّحِّ في المرءِ ممدوحُ

وإنْ لاحَ برقٌ بالغُوَيرِ تقطَّعَ الـ ... ـفُؤادُ على وادٍ به البانُ والشِّيحُ[1]

واللهُ المُستَعانُ، وعليه التُّكلانُ، ولا حولَ ولا قوّةَ إلّا بالله العليِّ العظيمِ[2].

* * *

(١) الأبيات في «المدهش» لابن الجوزي (ص: ٥٠٢) إلا البيت الأخير. وقد ذكره المصنف في «شرح حديث عمار بن ياسر».

(٢) في حاشية (ب): «بلغ مقابلة».

# البابُ الأوَّلُ
# في لُزومِ محبّةِ الملِكِ القُدُّوس
# وتقديمِها على حُبِّ الأموالِ والأولادِ والنُّفوس

قـالَ الله تـعـالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

قال أبو عبدِ الله محمَّدُ بنُ خفيفٍ الصُّوفيُّ: سألَنا أبو العبّاسِ بنُ سُرَيج بشيرازَ فقال لنا: محبّةُ الله فرضٌ أو غيرُ فرضٍ؟ قُلنا: فرضٌ، قال: ما الدَّلالةُ على فرضِها؟ فما منّا مَن أتى بشيءٍ يُقبَلُ، فرجَعْنا إليه وسألْناه الدَّليلَ[1] على فَرضِ محبّةِ الله عزَّ وجلَّ؟ فقالَ: قولُه تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ ﴾ الآية إلى قولِه: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٣٤]، قال: فتواعَدَهم الله تعالى على تفضيلِ محبَّتِهم لغيرِه على محبَّتِه ومحبَّةِ رسولِه، والوعيدُ لا يقَعُ إلّا على فرضٍ لازمٍ، وحَتْمٍ واجبٍ[2].

وفي «الصَّحيحَينِ» عن أنسٍ رضيَ الله عنه، عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «والذي نفسي بيدِه لا يُؤمِنُ أحدُكُم حتَّى أكونَ أحبَّ إليه من ولَدِه ووالِدِه والنّاسِ أجمَعينَ»[3].

---

(١) في (س) و(م): «ما الدليل».

(٢) القصة في «طبقات الشافعية» لابن الصلاح (١/ ١٥٥). وأبو العباس أحمد بن عمر بن سُريج من كبار أئمة الشافعية، المشهورين، توفي سنة (٣٠٦هـ) رحمه الله تعالى. وتصحف في النسخ إلى «ابن شريح».

(٣) أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

وفي «الصَّحيحَينِ» أيضًا، أنَّ عمرَ بنَ الخطّابِ رضيَ الله عنه قال: يا رسولَ اللهِ، والله لَأَنتَ أحَبُّ إليَّ من كلِّ شيءٍ إلّا من نفسي، فقال: «لا يا عُمَرُ، حتَّى أكونَ أحَبَّ إليكَ من نفسِكَ»، قال: فقالَ: والله لَأَنتَ أحَبُّ إليَّ من نَفسي، قال: «الآنَ يا عُمَرُ»[1].

ومعلومٌ أنَّ محبّةَ الرَّسولِ [ﷺ] إنَّما هي تابعةٌ لمحبّةِ الله عزَّ وجَلَّ؛ فإنَّ الرَّسولَ إنَّما يُحَبُّ مُوافقةً لَمحبّةِ اللهِ له ولأمرِ الله بمحبَّتِه وطاعتِه واتِّباعِه، فإذا كانَ لا يحصُلُ الإيمانُ إلّا بتقديمِ محبَّتِه على الأنفُسِ والأولادِ والآباءِ والخلقِ كلِّهم فما الظَّنُّ بمَحبّةِ الله عَزَّ وجَلَّ[2]؟!

وذكَرَ ابنُ إسحاقَ عنِ المُغيرةِ بنِ عثمانَ الأخنسيِّ[3]، عن أبي سلَمةَ بنِ عبدِ الرَّحمنِ رضيَ الله عنه، أنَّ النَّبيَّ ﷺ خطَبَ لـمّا قدِمَ المدينةَ فقالَ في خُطبَتِه: «أحِبُّوا مَن أحَبَّ الله، أحِبُّوا الله من كلِّ قُلوبِكم»[4].

وقد جعَلَ النَّبيُّ ﷺ تقديمَ محبّةِ الله ورسولِه على محبّةِ غيرِهما من خصالِ الإيمانِ، ومن علاماتِ وُجودِ حلاوةِ الإيمانِ في القلوبِ.

ففي «الصَّحيحَينِ» عن أنسٍ رضيَ الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وَجَدَ بهِنَّ حلاوةَ الإيمانِ: أن يكونَ الله ورسولُه أحَبَّ إليه ممّا سِواهُما، وأن

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٣٢). ولم يخرجه مسلم!

(٢) في (ش): «جلَّ وعزَّ».

(٣) في (س) و(م): «ابن الأخنس».

(٤) في (س): و(م): «وأحبوا الله». أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٥٢٥) من حديث ابن إسحاق. وهو في «السيرة» لابن هشام (١/ ٥٠١).

يُحِبُّ المَرءَ لا يُحبُّه إلّا لله، وأن يكرَه أن يعُودَ في الكُفرِ بعدَ أن أنقَذَه الله منه كما يَكرَهُ أن يُقذَفَ[١] في النّارِ»[٢].

وفـي روايـةِ النَّسائيِّ: «ثـلاثٌ مَـن كُنَّ فيه وَجَدَ حلاوةَ الإيمانِ وطَعْمَه: أن يكونَ الله ورسولُه أحَبَّ إليه مـمّا سِواهُما، وأن يُحِبَّ في الله ويُبغِضَ في الله، وأنْ تُوقَدَ نارٌ فيقَعُ فيها أحَبَّ إليه من أن يُشرِكَ بالله شيئًا»[٣].

وفـي «مُسنَدِ الإمامِ أحمدَ» عن أبي رَزينٍ العُقَيْليِّ قالَ: قُلتُ: يا رسولَ الله، ما الإيمانُ؟ قالَ: «أن تشهَدَ أنْ لا إلهَ إلّا الله وحدَه لا شريكَ له، وأنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه، وأنْ يكونَ اللهُ ورسولُه أحَبَّ إليكَ ممّا سِواهُما، وأن تُحرَقَ في النّارِ أحَبُّ إليكَ من أن تُشرِكَ بالله، وأن تُحِبَّ غيرَ ذي نسَبٍ لا تُحِبُّه إلّا لله، فإذا كُنْتَ كذلك فقد دخَلَ حُبُّ الإيمانِ في قلبِكَ كما دخَلَ حُبُّ الماءِ للظَّمآنِ في اليومِ القائظِ»[٤].

ويُـروَى[٥] مـن حديثِ المقـدادِ بنِ الأسـودِ رضيَ الله عنـه، عنِ النَّبـيِّ ﷺ قال: «مَـن أحَـبَّ الله ورسـولَه صادِقًـا مـن قَلبِـه، ولقِـيَ المُؤمنينَ فأحبَّهـم، ومَـن كانَ أمرُ الجاهليّـةِ عنـدَه كنـارٍ أُجِّجَـتْ فأُلقِيَ فيهـا؛ فقد طَعِـمَ طَعْمَ الإيمـانِ»، أو قـالَ: «بلَغَ ذِرْوَةَ الإيمـانِ»[٦].

---

(١) في (س) و(م): «يلقى» وهو لفظ إحدى روايات البخاري ومسلم.

(٢) أخرجه البخاري (١٦)، (٢١)، و(٦٠٤١)، و(٦٩٤١)، ومسلم (٤٣).

(٣) أخرجه النسائي (٤٩٨٧).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١٦١٩٤) والقائظ: شديد الحر، وتصحفت هذه الكلمة في النسخ كلها إلى: «القايض»!

(٥) في (س) و(م): «وروي».

(٦) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٦٠٦).

ومن هذا المَعنَى أَنَّ الله تعالى قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الممتحنة: ١٠] الآية، فأمرَ بامتِحانِهنَّ ليُعلَمَ إيمانُهُنَّ، فكانَ النَّبيُّ ﷺ يُحلِّفُهُنَّ أَنَّهُنَّ ما خرَجْنَ إلّا حُبًّا لله ورسولِه، لـم يخرُجْنَ رغبةً في غيرِ ذلك، فيكونُ ذلك عِلمًا بإيمانِهنَّ.

قال ابنُ عبّاسٍ في هذه الآيةِ: كانتِ المرأةُ إذا أتتِ النَّبيَّ ﷺ لتُسلِمَ حلَّفَها[1] بالله ما خَرَجَتْ من بُغضِ زوجٍ إلّا حُبًّا لله ورسولِه، وهو موجودٌ في بعضِ نُسخِ كتابِ التِّرمذيِّ كذلك[2].

وخرَّجَه البزّارُ في «مُسنَدِه»، وابنُ جريرٍ، وابنُ أبي حاتمٍ، ولفظُه: حلَّفَها بالله ما خرَجَتْ من بُغضِ زوجٍ، وبالله ما خرَجَتْ رغبةً بأرضٍ عن أرضٍ، وبالله ما خرَجَتْ التِماسَ دُنيا، وبالله ما خرَجَتْ إلّا حُبًّا لله ورسولِه[3].

وخـرَّجَ إبراهيـمُ بـنُ الجُنَيـدِ الخُتَّلِي في «كتـابِ المحبّةِ» بإسـنادٍ ضعيفٍ، عن أبـي هُريـرةَ رضـيَ الله عنـه مرفوعًـا[4]: «الإيمانُ فـي قلبِ الرَّجـلِ أن يُحـبَّ الله عزَّ وجلَّ»[5].

ومن مَراسيلِ الزُّهرِيِّ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «رأسُ الإيمانِ المحبّةُ لله عزَّ وجلَّ،

---

(١) في (ش) و(ت): «أحلفها».

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٠٨)، وقال: حديث غريب.

(٣) في (ب): «ولرسوله» أخرجه البزار ـ «كشف الأستار» (٢٢٧٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٥٧٥)، وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» للسيوطي (١٤/ ٤٢٢).

(٤) في (س) و(م): «مرفوعاً قال».

(٥) أخرجه الختلي في «المحبة لله عز وجل» (٩).

وفي الله جلَّ وعزَّ، وطابعُ[١] الإيمانِ البرُّ والعدلُ، وتحقيقُ الإيمانِ إكرامُ[٢] ذي الدِّينِ وذي الشَّيبةِ»[٣].

## فَصلٌ

ومحبّةُ الله سُبحانَه على درجتَينِ:

إحداهما: فرضٌ لازمٌ، وهي أن يُحِبَّ الله سُبحانَه محبّةً تُوجِبُ له محبّةَ ما فرَضَه الله عليه[٤]، وبُغْضَ ما حرَّمَه عليه، ومحبّةَ رسولِه المُبلِّغِ عنه أمرَه ونهيَه، وتقديمَ محبَّتِه على النُّفوسِ والأهلينَ أيضًا كما سبَقَ، والرِّضا بما بلَّغَه عنِ الله منَ[٥] الدِّينِ، وتلقِّيَ ذلك منه بالرِّضا والتَّسليمِ، ومحبّةَ الأنبياءِ والرُّسُلِ والمُتَّبِعينَ لهم بإحسانٍ جملةً وعمومًا لله عزَّ وجلَّ، وبُغْضَ الكفّارِ والفُجّارِ جملةً وعُمومًا لله عزَّ وجلَّ.

فهذا القَدْرُ لا بدَّ منه في تمامِ الإيمانِ الواجبِ، ومَن أخَلَّ بشيءٍ منه فقد نقَصَ من إيمانِه الواجبِ بحسَبِ ذلك، قالَ الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]، وكذلك ينقُصُ من محبَّتِه الواجبةِ بحسَبِ ما أخَلَّ به من ذلك، فإنَّ المحبّةَ الواجبةَ تقتَضي فعلَ الواجباتِ وتركَ المُحرَّماتِ.

وخرَّجَ أبو نُعَيمٍ من حديثِ عمرَ بنِ الخطّابِ رضيَ الله عنه قالَ: سمعْتُ

---

(١) في المطبوع من كتاب «المحبة»: «وسنام».

(٢) في (س) و(م): «بإكرام».

(٣) أخرجه الختلي في «المحبة لله عز وجل» (١١).

(٤) في (ش) و(ت): «ما فرض عليه»، وفي (ب): «ما فرضه عليه».

(٥) في (ب): «في».

النَّبيَّ ﷺ يقولُ: «إنَّ سالِمًا ـ يعني مَولَى أبي حُذَيفةَ ـ شديدُ الحبِّ لله، لو كانَ لا يخافُ الله ما عصاه»، يُشيرُ إلى أنَّ محبَّةَ الله[١] تمنَعُه من أن يعصِيَه[٢].

وذكرَ أبو عُبَيدٍ في «غَريبِه» أنَّ عمرَ قالَ: نِعْمَ العبدُ صُهَيبٌ لو لم يخفِ الله لم يعصِه[٣].

وقالَ الحسنُ: ابنَ آدمَ! أحِبَّ الله يُحِبَّكَ الله، واعلَمْ أنَّكَ لن تُحِبَّ الله حتَّى تُحِبَّ طاعتَه[٤].

---

(١) في (ب): «محبته لله».

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٧٧).

قال السخاوي في «الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية» (٢٦): «وسنده ضعيف». وفسره ابن النجار في «شرح الكوكب المنير» (١/ ٢٧٨): بأن لانتفاء المعصية سببين: المحبة والخوف، فلو انتفى الخوف لم توجد المعصية لوجود الآخر، وهو المحبة.

(٣) ذكره أبو عبيد في «غريب الحديث» (٦٥٤) دون إسناد، وقال عقبه: «المعنى والوجه فيه: أن عمر رضي الله عنه أراد أن صهيباً إنما يطيع الله تبارك وتعالى حباً له، لا مخافة عقابه، يقول: فلو لم يكن عقاب يخافه ما عصى الله عز وجل أيضاً».

وهذا الحديث مثال للمشهور عند النحاة بـ (لو الصُّهيبيّة)، وأُلِّفت في إعرابه رسائل، ويذكره الأصوليون وأصحاب المعاني وأهل العربية، ويراد فيه تقرير الجواب وُجد الشرط أو فُقِد ولكنه مع فقده أولى.

وقد أعيا البحث عن هذا الأثر كثيراً من العلماء ـ ولم يصلوا إليه ـ من المعاصرين للمصنف رحمه الله، فهذا دالٌّ على سعة اطلاعه رحمه الله، كذلك ظفر به الحافظ ابن حجر رحمه الله في «مشكل الحديث» لابن قتيبة، دون إسناد أيضاً، ونقل قوله: «أراد أن صهيباً يطيع الله حباً لا لمخافة عقابه». نقله السخاوي في «الأجوبة المرضية» (٢٦).

(٤) أخرج الختلي في «المحبة لله» (٥٧) عن الحسن: «من قال: إني أحب الله تعالى فهو كاذب، لو أحب الله تعالى لعمل بعمل يحبه الله».

وقد أورد المصنف رحمه الله تعالى اللفظ الذي ذكره هنا في «جامع العلوم والحكم» (١/ ٢١٢)، =

وقالَ عبدُ الله بنُ خُبَيْق: قالَ رجلٌ لرابعةَ: إنِّي أُحِبُّكِ في الله، قالَتْ: فلا تعصي الذي أحبَبْتَني له[1].

وسُئِلَ ذو النُّونِ: متى أُحِبُّ ربِّي؟ قالَ: إذا كانَ ما يُبغِضُه عندَكَ أمرَّ منَ الصَّبرِ[2].

وقالَ بشرُ بنُ السَّرِيِّ: ليسَ من أعلامِ الحبِّ أن تُحِبَّ ما يُبغِضُه حبيبُكَ[3].

وقالَ أبو يعقُوبَ النَّهْرَجُوْرِيُّ: كلُّ مَن ادَّعَى محبّةَ الله عزَّ وجَلَّ ولـم يُوافقِ الله في أمرِه فدَعْواهُ باطِلٌ، وكلُّ مُحِبٍّ ليس يخافُ الله فهو مغرورٌ[4].

---

= وفي «الكلام على كلمة الإخلاص» دون قوله: «ابن آدم».

ووقع في المطبوعات: «قال الحسن بن آدم:...» وهو غلط في قراءة النص. (ابن آدم) منادى، وليس هو والد الحسن!

(١) عبد الله بن خُبيق الأنطاكي الزاهد، صاحب يوسف بن أسباط، المتوفى (٢٦٠هـ) رحمه الله. وتصحف في (س) و(م) والمطبوعات، وما نُقِل عنها إلى «عبد الله بن حنيف»! وهو على الصواب في (ش) و(ب) و(ت).

والقصة ذكرها ابن خلكان في «وفيات الأعيان» (٢/ ٢٨٦) دون عزو إلى ابن خبيق.

وروى الخطيب البغدادي في «الزهد والرقائق» (٧٩) نحوها عن السري السقطي قال: قالت امرأة لرابعة: إني أحبك في الله. وذكر ذلك أبو حيان التوحيدي في «الصداقة والصديق» (ص: ٢٥٧). والله تعالى أعلم.

وقوله: «تعصي»: هكذا في جميع النسخ، وهي مسألة معروفة في النحو في مبحث (جزم المضارع بحذف حرف العلة)، وفسرها بعضهم بإشباع حركة الحرف الذي قبله، وقيل غير ذلك.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٣٦٣ و٣٩٢). والصَّبِر: عصارة نبات مُرّ.

(٣) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (٢٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣٠٠)، (١٠/ ٧).

(٤) ذكره المصنف أيضاً في «جامع العلوم والحكم» (١/ ٢١٣)، و(٢/ ٣٩٧)، وفي «الكلام على كلمة الإخلاص».

وقالَ يحيَى بنُ مُعاذٍ: ليسَ بصادِقٍ مَن ادَّعَى محبَّةَ الله عزَّ وجلَّ ولـم يحفَظْ حدودَه[١].

وقالَ رُوَيْمٌ: المحبَّةُ المُوافَقةُ في جميعِ الأحوالِ، وأنشَدَ:

ولو قُلْتَ لي: مُتْ مُتُّ سَمْعًا وطـاعـةً وقُلتُ لدَاعِي الموتِ أهلًا ومَرْحبَا[٢]

وقد تقدَّمَ أنَّ العبدَ لا يجِدُ[٣] حلاوةَ الإيمانِ حتَّى يُحِبَّ المرءَ لا يُحِبُّه إلّا لله، وحتَّى يكرَهَ أن يرجِعَ إلى الكُفْرِ كما يكرَهُ أن يُلقَى في النّارِ، ولهذا المعنَى كانَ الحبُّ في الله والبُغْضُ في الله من أصولِ الإيمانِ.

وخرَّجَ التِّرمذيُّ من حديثِ مُعاذِ بنِ أنسٍ الـجُهَنِيِّ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «مَن أعطَى لله، ومنَعَ لله، وأحَبَّ لله، وأبغَضَ لله، فقد استكمَلَ إيمانَه»[٤].

وخرَّجَه الإمامُ أحمدُ وزادَ فيه: «وأنكَحَ لله»[٥].

وفي لفظٍ له أيضًا: أنَّ النَّبيَّ ﷺ سُئِلَ عن أفضَلِ الإيمانِ، قالَ: «أن تُحِبَّ لله، وتُبْغِضَ لله، وتُعمِلَ لسانَكَ في ذكرِ الله»[٦].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٦٧)، وأورده القشيري في «الرسالة القشيرية» (٢/ ٤٨٨).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٠١)، وأورده السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ١٥٠)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/ ٤٢٩).

(٣) في (ش) و(ت): «ما يجد».

(٤) أخرجه الترمذي (٢٥٢١) من تكملة طبعة شاكر، وقال: «هذا حديث حسن». لكن في مخطوطة الكروخي: «هذا حديث منكر».

(٥) مسند الإمام أحمد (١٥٦٣٨) واللفظة المذكورة: «وأنكح لله» ليست مما رواه الترمذي كما يشير تصرف الحافظ ابن رجب، وإن كانت موجودة في مطبوعاته، وهي ليست في رواية الكروخي المخطوطة بباريس. ورواه أحمد (١٥٦١٧) من وجه آخر، وفيه هذه اللفظة.

(٦) أخرجه الإمام أحمد (٢٢١٣٠) في مسند معاذ بن جبل، وفيه علة فهو حديث معاذ بن أنس السابق.

وخرَّجَ أبو داودَ من حديثِ أبي أُمامةَ رضيَ الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «مَن أحَبَّ لله، وأبغَضَ لله، وأعطَى لله، ومنَعَ لله، فقد استكمَلَ الإيمانَ»[١].

ومن حديثِ أبي ذَرٍّ رضيَ الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «أفضَلُ الإيمانِ الحبُّ في الله، والبُغْضُ في الله»[٢].

وخرَّجَ الإمامُ أحمدُ من حديثِ البَراءِ بنِ عازبٍ رضيَ الله عنه، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «إنَّ أوْثَقَ عُرَى الإيمانِ أن تُحِبَّ في الله وتُبْغِضَ في الله»[٣].

ومن حديثِ عَمْرِو بنِ الجموحِ رضيَ الله عنه، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «لا يَحُقُّ العبدُ حقَّ صريحِ الإيمانِ حتَّى يُحِبَّ لله ويُبْغِضَ لله، فإذا أحَبَّ لله، وأبغَضَ لله، فقد استَحَقَّ الوِلايةَ منَ الله، إنَّ أوليائي مِن عِبادي وأحبابي مِن خَلْقي الذين يُذكَرُونَ بذِكري وأُذْكَرُ بذِكْرِهِم»[٤].

وفي هذا المعنَى أحاديثُ كثيرةٌ.

ورَوَى لَيْثٌ عن مُجاهِدٍ، عنِ ابنِ عبّاسٍ رضيَ الله عنهما قالَ: أحِبَّ في الله، وأبغِضْ في الله، ووالِ[٥] في الله، وعادِ في الله، فإنَّما تُنالُ وِلايةَ الله بذلك، لن يجِدَ

---

(١) «سنن أبي داود» (٤٦٥٢).

(٢) «سنن أبي داود» (٤٥٨٩)، ولفظه: «أفضل الأعمال».

(٣) «مسند الإمام أحمد» (١٨٥٢٤)، وهو جزء من حديث.

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١٥٥٤٩) وفي مطبوعة «المسند»: «أحبائي» بدلًا من «أحبابي». وتصحفت «يحق العبد» إلى «يجد العبد» في المطبوعة.

(٥) رسمت في النسخ: «ووالي».

عبدٌ طعمَ الإيمانِ وإنْ كثُرَتْ صلاتُه وصَومُه حتَّى يكونَ كذلك، وقد صارَتْ عامّةُ مُؤاخاةِ النّاسِ على أمرِ الدُّنيا، وذلك لا يُجدي على أهلِه شيئًا. خرَّجَه ابنُ جريرٍ الطَّبريُّ(١).

وخرَّجَ أيضًا بإسنادِه عنِ ابنِ مسعودٍ قالَ: مَن أحَبَّ لله، وأبغَضَ لله، وأعطَى لله، ومنَعَ لله فقد توسَّطَ الإيمانَ(٢).

---

(١) لم أجده في مظنته من «تفسير الطبري» في تفسير الآية (٦٧) من سورة الزخرف، والآية (٢٢) من سورة المجادلة.

والأثر مداره على ليث بن أبي سليم. أخرجه ابن أبي عمر العدني في «الإيمان» (ص ١٢٨) وهو أقرب الألفاظ. ورواه من وجوه أخرى عن ليث ـ وبعضهم ذكر الآيتين ـ:

ابن المبارك في «الزهد» (٣٥٣)، والبيهقي في «الشعب» (٩٠٦٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٩١٥)، وابن أبي الدنيا في «الإخوان» (٢٢). واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١٦٩١).

* تنبيه:

أخرجه ابن المبارك عن سفيان عن ليث من كلام ابن عباس. وكذلك أخرجه البيهقي من طريق علي بن عبد العزيز عن أبي نُعيم (الفضل بن دكين) عن سفيان من كلام ابن عباس.

خالفه الطبراني فرواه في «الكبير» (١٣٥٣٧) عن علي بن عبد العزيز بسنده لكن من كلام ابن عمر!

ورواه عن الطبراني كذلك: أبو نعيم الأصبهاني في «الحلية» (١/ ٣١٢)، وذكر معه حديثين آخرين لابن عمر.

وذكر أبو نعيم أسانيده من ثلاثة وجوه أُخر عن ليث وعطف عليها ما روى لفظه من طريق سفيان، من كلام ابن عمر وعَلَّق أربعة وجوه عقبه عن ليث. ثم قال: «ورواه الأعمش عن مجاهد عن ابن عمر نحوه»! والله تعالى أعلم بالصواب.

ورواية الأعمش تشير إلى أن صوابه عن ابن عمر. والله أعلم.

(٢) لم أجد هذا الأثر عن ابن مسعود رضي الله عنه.

والمعروف في هذا أثر يرويه عبد الله بن ضمرة عن كعب الأحبار قال: «من أقام الصلاة وآتى =

وخرَّجَ الحاكمُ من حديثِ عائشةَ رضيَ الله عنها، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «الشِّرْكُ أخْفَى من دَبيبِ النَّملِ(١) على الصَّفا في اللَّيلةِ الظَّلماءِ، وأَدْناهُ أن تُحِبَّ(٢) على شيءٍ منَ الجَوْرِ وتُبغِضَ(٣) على شيءٍ منَ العَدْلِ، وهل الدِّينُ إلّا الحبُّ والبُغْضُ(٤)؟ قالَ اللهُ عزَّ وجَلَّ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقالَ: صحيحُ الإسنادِ، وفيما قالَه نظرٌ(٥).

ففي هذا الحديثِ أنَّ محبّةَ ما يكرَهُه(٦) الله وبُغْضَ ما يُحِبُّه الله منَ الشِّركِ الخفيِّ.

ورُوِّينا من طريقِ الأصمعيِّ، عن سُفيانَ، عن لَيثٍ، عن مُجاهِدٍ أنَّه قالَ في قولِه تعالى: ﴿يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥] قالَ: لا يُحبُّونَ غيري(٧).

---

= الزكاة وسمع وأطاع فقد توسط الايمان، ومن أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان»، أخرجه هناد بن السري في «الزهد» (٤٨٠) وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣١)، وغيرهما.

(١) في حاشية (س) وفي (م): «الذر»، وهو المثبت في مطبوعة «المستدرك» الهندية.

(٢) في (ش) و(ت): «يُحب».

(٣) في (ش) و(ت): «يُبغض».

(٤) في (س) و(م): «في الله والبغض في الله».

(٥) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٩١). وفي سنده: عبد الأعلى بن أعين. قال الدارقطني في «العلل» (٣٥٣٩): «وعبد الأعلى بن أعين ضعيف الحديث، والحديث غير ثابت». وقال العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٣/ ٦٠): «ولا يتابع عليه، ولا يُعرف إلا به، وعبد الأعلى بن أعين هذا حدَّث عن يحيى بن أبي كثير بغير حديث منكر لا أصل له».

(٦) في (س) و(م): «يبغضه».

(٧) لم أجده من طريق الأصمعي. وإنما وجدته من طريق الأشجعي عن سفيان. أخرجه الختلي في «المحبة لله عز وجل» (٦٤)، وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢٩٦). ولفظه كالمثبت من (س) و(م) و(ب). وأخرجه الطبري (١٧/ ٣٥٠) من وجه آخر عن سفيان ولفظه: «لا يخافون غيري». ووقع في (ش) و(ت): «لا تشركوا بي شيئاً» قال: لا تحبوا غيري.

وحينَئذٍ لا يكمُلُ التَّوحيدُ الواجبُ إلّا بمحبّةِ ما يُحِبُّه الله، وبُغْضِ ما يُبغِضُه الله، وكذلك لا يتِمُّ الإيمانُ الواجبُ إلّا بذلك، ومن هُنا يُعلَمُ أنَّ الإخلالَ ببعضِ الواجباتِ، وارتِكابَ بعضِ المُحرَّماتِ ينقُصُ به الإيمانُ الواجبُ بحسَبِ ذلك، كما قالَ النَّبيُّ ﷺ: «لا يَزْني الزّاني حينَ يَزني وهو مُؤمنٌ» الحديث[١].

ورَوَى الإمامُ أحمدُ من طريقِ الرَّبيعِ بنِ أنسٍ، عن أبي العاليةِ، عن أُبيِّ بنِ كَعْبٍ، قالَ: مَن أصبَحَ وأكبَرُ همِّه غيرُ الله فليسَ منَ الله[٢].

وقد رُوِيَ هذا مرفوعًا من حديثِ أنسٍ بأسانيدَ ضعيفةٍ[٣].

فهذه الدَّرجةُ من محبّةِ الله فرضٌ واجبٌ على كلِّ مسلمٍ، وهي درجةُ المُقتَصدينَ أصحابِ اليمينِ.

الدَّرَجةُ الثّانيةُ: دَرجةُ السّابقينَ المُقرَّبينَ، وهي أن تَرْتَقِيَ المَحبَّةُ[٤] إلى محبّةِ ما يُحِبُّه الله من نوافلِ الطّاعاتِ، وكراهةِ ما يكرَهُه من دَقائقِ المكروهاتِ، وإلى الرِّضا بما يُقدِّرُه ويقضِيه ممّا يُؤلِمُ النُّفوسَ منَ المُصيباتِ[٥]، وهذا فضلٌ مُستَحَبٌّ مندوبٌ إليه.

وفي «صحيحِ البُخارِيِّ» عن أبي هُرَيرةَ رضيَ الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «يقولُ الله عزَّ وجلَّ: مَن عادَى لي وليًّا فقد آذَنْتُه بالحربِ، وما تقَرَّبَ إليَّ عبدي بشيءٍ أَحَبَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما (٦٧٨٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (١٧٨).

(٣) عند الختلي في «المحبة» (٣٨)، وأبي نعيم في «الحلية» (٣/ ٤٨).

(٤) في (ب) و(م): «يرتقي المحب».

(٥) في (س) و(م): «المصائب».

إليَّ ممّا افترَضْتُ عليه، ولا يزالُ عَبدي يتقَرَّبُ إليَّ بالنَّوافلِ حتَّى أُحِبَّه، فإذا أحبَبْتُه كنْتُ سمعَه الذي يسمَعُ به، وبصَرَه الذي يُبصِرُ به، ويدَه التي يبطِشُ بها، ورِجلَه التي يمشي بها، ولَئِنْ سألَني لأُعطِيَنَّه، ولَئِنِ استَعاذَني[1] لأُعيذَنَّه، وما ترَدَّدْتُ عن شيءٍ أنا فاعِلُه ترَدُّدِي عن نفسِ المُؤمِنِ، يكرَهُ المَوتَ وأنا أكرَهُ مَساءَتَه»[2].

وقد رُوِيَ هذا المعنى عنِ النَّبيِّ ﷺ من حديثِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ[3]، وابنِ عبّاسٍ[4]، وأبي أُمامةَ[5]، وعائشةَ[6]، رضيَ الله عنهم بأسانيدَ فيها نظَرٌ.

وذكَرَ ابنُ أبي الدُّنيا بإسنادِه عن سُهَيلٍ أخي حَزْمٍ قالَ: بلغَني عن عامرِ بنِ عبدِ قَيسٍ أنَّه كانَ يقولُ: أحبَبْتُ الله عزَّ وجلَّ حُبًّا سهَّلَ عليَّ كلَّ مُصيبةٍ، ورَضّاني بكلِّ قضيّةٍ، فما أُبالي معَ حُبِّي إيّاه ما أصبَحْتُ عليه وما أمسَيْتُ[7].

قالَ[8] إبراهيمُ بنُ الجُنَيدِ: حدَّثَنا محمَّدُ بنُ الحُسينِ، حدَّثَني عُبَيدُ الله بنُ محمَّدٍ التَّيمِيُّ أنَّ رجلًا قالَ لعابدٍ: أَوْصِني، أو عِظْني، فقالَ: أيُّ الأعمالِ أغْلَبُ على قلبِكَ؟ فقالَ الرَّجُلُ: والله ما أجِدُ شيئًا أنفَعَ للمُحِبِّ عندَ حبيبِه منَ المُبالَغةِ في محبَّتِه، وهل

---

(١) في (ش) و(ت): «استعاذ بي».

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٠٢). وفي (س): «عن قبض نفس المؤمن». واللفظة الزائدة للشرح وليست من الحديث.

(٣) خرَّجه الإسماعيلي في «مسند علي»، كما ذكر المصنف رحمه الله في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٣٣٢).

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢٧١٩).

(٥) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٨٨٠).

(٦) أخرجه الإمام أحمد (٢٦١٩٣)، والطبراني في «الأوسط» (٩٣٥٢).

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٧١).

(٨) في (س) و(م): «وقال».

تَدرِي ما ذلك؟ أنْ لا يعلَمَ شيئًا فيه رِضاهُ إلّا أتاهُ، ولا يعلَمَ شيئًا فيه سخَطُه إلّا اجتَنَبَه، فعندَ ذلك ينزِلُ المحبُّون[1] منَ الله عزَّ وجلَّ منازِلَ المحبّةِ، قالَ: فصرَخَ[2] العابدُ والسّائلُ وسقَطا[3].

فقد تبيَّنَ بما ذكَرْناه أنَّ محبّةَ الله إذا صدَقَتْ أوجبَتْ محبّةَ طاعتِه وامتِثالَـها، وبُغْضَ معصِيَتِه واجتِنابَها، وقد يقَعُ المُحِبُّ أحيانًا في تفريطٍ في بعضِ المأموراتِ، وارتِكابِ بعضِ[4] المَحظُوراتِ، ثمَّ يرجِعُ على نفسِه بالمَلامةِ، وينزِعُ عن ذلك ويتدارَكُه بالتَّوبةِ.

وفي «صحيحِ البُخارِيِّ» أنَّ رجُلًا كانَ يُؤتَى به إلى النَّبيِّ ﷺ قد شـرِبَ الخمرَ، فقـالَ رجـلٌ: اللَّهـمَّ العَنْهُ، ما أكثَـرَ ما يُؤتَى به! فقـالَ رسـولُ الله ﷺ: «لا تلعَنْه؛ فإنَّه يُحِبُّ اللهَ ورسولَه»[5].

وقد رُوِيَ عنِ الشَّعبيِّ في قولِه عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، قالَ: التّائِبُ منَ الذَّنْبِ كمَنْ لا ذَنْبَ له، وإذا أحَبَّ الله عبدًا لـم يضُرَّه ذَنبُه[6].

---

(١) في (ش): «المحبوب»، وفي (ت) مع الضبط: «يُنَزِّل المحبوب».

(٢) في (ب) و(م): «وخرج» تصحيف.

(٣) أخرجه الختلي في «المحبة» (١٥٠).

(٤) في (س): «البعض». وفي (م): «بعض محرمات المحظورات».

(٥) أخرجه البخاري من حديث عمر رضي الله عنه (٦٧٨٠) ولفظه: «لا تلعنوه فوالله ما علمت: أنه يحب الله ورسوله».

(٦) أخرجه ابن الجعد في «مسنده» (١٧٥٦)، وعنه ابن أبي الدنيا في «التوبة» (١٨٣).
وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣١٨) من وجه آخر عن الشعبي.
وروي مرفوعاً من حديث ابن مسعود وابن عباس وأبي سعيد بأسانيد فيها كلام.
وذكر المصنف طرفه الآخر في «الكلام على كلمة الإخلاص».

وعن عبدِ الرَّحمنِ بنِ زيدِ بنِ أسلَمَ قالَ: إنَّ الله عزَّ وجل لَيُحِبُّ العبدَ حتَّى يبلُغَ من حُبِّه إذا أحَبَّه أن يقولَ[1]: اذهَبْ فاعمَلْ ما شِئْتَ فقد غَفَرْتُ لك[2].

والمُرادُ من هذا أنَّ الله تعالى إذا أحَبَّ عبدًا و[3]قدَّرَ عليه بعضَ الذُّنوبِ فإنَّه يُقَدِّرُ له الخلاصَ منها بما يمحُوها، من توبةٍ أو عملٍ صالحٍ، أو مصائبَ مُكفِّرةٍ، كما في الحديثِ عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «أذنَبَ عبدٌ ذنبًا فقالَ: ربِّ إنِّي[4] عمِلْتُ ذنبًا فاغفِرْ[5] لي»، فذكَرَ الحديثَ إلى أنْ قالَ: «فَلْيَعْمَلْ ما شاءَ»[6].

والمُرادُ ما دامَ على هذا كلَّما عمِلَ ذنبًا اعترَفَ به، وندِمَ عليه، واستغفَرَ منه، فأمّا مع الإصرارِ عليه فلا، وكذلك المحبّةُ الصّادِقةُ الصَّحيحةُ تمنَعُ منَ الإصرارِ على الذُّنوبِ، وعدَمِ الاستحياءِ من علّامِ الغُيوبِ، وما أحسَنَ قولَ بعضِهم:

تَعصي الإلهَ وأنتَ تزعُمُ حبَّه ... هذا لَعمري في القياسِ شَنيعُ
لو كانَ حبُّكَ صادِقًا لأطَعْتَه ... إنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطيعُ[7]

---

(١) في (س) و(م): «يقول له».

(٢) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (٤١)، وأبو الشيخ الأصبهاني في «طبقات المحدثين بأصبهان» (٣/ ١٧٠).

(٣) في (ب): «أو» سبق قلم.

(٤) في (س) و(م): «أي رب».

(٥) في (ش) و(ت): «فاغفره».

(٦) ذكره المصنف مختصراً، والحديث بتمامه في البخاري (٧٥٠٧)، ومسلم (٢٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) هذان البيتان مما يكثر جدًّا التمثل بهما. ونسبا إلى كثير من القائلين، فنسبا لذي الرمة، ولأبي العتاهية، ولابن المبارك، وللشافعي، ولمحمود الوراق، وتمثل بهما كثيرٌ من الأكابر. والشطر الثاني من البيت الأول ذكر بألفاظ متعددة.

## الباب الثَّاني
## في بيانِ أنَّ من أعظَمِ المطالبِ وأهمِّها
## سُؤالَ اللّه تعالى محبَّتَه على أكمَلِ الوُجوهِ وأتمِّها

رَوى مُعاذُ بنُ جَبَلٍ رضيَ الله عنه، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «أتاني ربِّي تبارَكَ وتعالى في أحسَنِ صورةٍ» يعني في المنامِ، فذَكَرَ الحديثَ، وقالَ في آخرِه: «قالَ: سَلْ، قُلتُ: اللَّهُمَّ إنِّي أسألُكَ فِعلَ الخيراتِ، وتَرْكَ المُنكَراتِ، وحُبَّ المساكينِ، وأن تَغفِرَ لي وترحَمَني، وإذا أرَدْتَ بقومٍ فتنةً فتَوَفَّني إليكَ غيرَ مفتونٍ، وأسألُكَ حُبَّكَ وحُبَّ مَن يُحِبُّكَ، وحُبَّ عمَلٍ[1] يُقرِّبُ[2] إلى حُبِّكَ»، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّها حقٌّ فادْرُسُوها، ثمَّ[3] تعلَّمُوها»[4]، خرَّجَه الإمامُ أحمدُ والتِّرمذِيُّ، وقالَ: حسَنٌ صحيحٌ، وخرَّجَه الحاكِمُ وقالَ: صحيحُ الإسنادِ.

وفي بعضِ الرِّواياتِ: «وحُبَّ عمَلٍ يُبَلِّغُني حُبَّكَ»[5].

وخرَّجَ البزّارُ والطَّبرانيُّ والحاكمُ من حديثِ ثوبانَ عنِ النَّبيِّ ﷺ نحوَه[6].

وخرَّجَ البزّارُ بإسنادٍ فيه ضَعْفٌ، عنِ ابنِ عمرَ عنِ النَّبيِّ ﷺ نحوَه، وفي

---

(١) في (س): «كل عمل». وليس الزيادة من الحديث.

(٢) المثبت من (ش) و(ت) و(م) موافقاً للترمذي، وفي (ب) و(س): «يقربني» موافقاً للمسند.

(٣) المثبت من (ش) و(ب) موافقاً للترمذي، وفي (س) و(م): «وتعلموها» موافقاً للمسند.

(٤) أخرجه أحمد (٢٢١٠٩)، والترمذي (٣٢٣٥)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٢١). وقد أفرده المصنف رحمه الله تعالى بالشرح في «اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى».

(٥) أخرجه الطبراني في «الدعاء» (١٤١٧) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

(٦) أخرجه البزار (٤١٧٢)، والطبراني في «الدعاء» (١٤١٧)، والحاكم (١/ ٥٢٧) وقال: «صحيح على شرط البخاري».

حديثِه: «اللَّهُمَّ إنِّي أسألُكَ حُبَّكَ، وحُبَّ حِبِّكَ[١]، وحُبَّ عمَلٍ يُقرِّبُني إلى حُبِّكَ، اللَّهُمَّ أسألُكَ[٢] إيمانًا يُباشِرُ قلبي، حتَّى أعلَمَ أنْ لن يُصيبَني إلّا ما كتَبْتَ لي، ورَضِّني بما قسَمْتَ لي»[٣].

وخرَّجَ التِّرمذِيُّ والحاكِمُ من حديثِ أبي الدَّرداءِ رضيَ الله عنه، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «كانَ من دُعاءِ داودَ عليه السَّلامُ: اللَّهُمَّ إنِّي أسألُكَ حُبَّكَ، وحُبَّ مَن يُحِبُّكَ، والعمَلَ الذي يُبلِّغُني حُبَّكَ، اللَّهُمَّ اجعَلْ حبَّكَ أحبَّ إليَّ من نفسي وأهلي، ومنَ الماءِ البارِدِ»، قالَ: وكانَ النَّبيُّ ﷺ إذا ذَكَرَ داودَ وتحدَّثَ[٤] عنه قالَ: «كانَ داودُ أعبَدَ البشرِ»، وقالَ التِّرمذِيُّ: حسَنٌ غريبٌ[٥].

وخرَّجَ التِّرمذِيُّ أيضًا من حديثِ عبدِ الله بنِ يزيدَ الخَطْمِيِّ الأنصارِيِّ، عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه كانَ يقولُ في دُعائِه: «اللَّهُمَّ ارزُقني حُبَّكَ، وحُبَّ مَن ينفَعُني حُبُّه عندَكَ، اللَّهُمَّ ما رَزَقْتَني ممّا أُحِبُّ فاجعَلْه قُوَّةً لي فيما تُحِبُّ، اللَّهمَّ وما زَوَيْتَ عنِّي ممّا أُحِبُّ فاجعَلْه فراغًا لي فيما تُحِبُّ»، وقالَ: حسَنٌ غريبٌ[٦].

وخرَّجَ ابنُ أبي الدُّنيا وغيرُه، من روايةِ أبي بكرِ بنِ أبي مريمَ، عنِ الهيثَمِ بنِ

---

(١) المثبت من (ش) و(ب) و(ت)، وفي (س) و(م): «من يحبك»، وفي مطبوعة «مسند البزار» أشار محققه إلى طمس في الأصل، واختصر الحديث في «كشف الأستار» (٣/ ١٤).

(٢) في (س) و(م): «إني أسألك».

(٣) «مسند البزار» (٥٣٨٥).

(٤) في (ش): «أو تحدث»، ولا يوجد حرف العطف في الترمذي.

(٥) أخرجه الترمذي (٣٤٩٠)، والحاكم (٢/ ٤٣٣) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وتعقب الذهبي على الحاكم فيه نظر، والله أعلم.

(٦) أخرجه الترمذي (٣٤٩١).

مالكٍ الطّائيِّ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ يدعُو: «اللَّهُمَّ اجعَلْ حُبَّكَ أحَبَّ الأشياءِ إليَّ، واجعَلْ خشيَتَكَ أخوَفَ الأشياءِ عندِي، واقطَعْ عنِّي حاجاتِ الدُّنيا بالشَّوقِ إلى لقائِكَ، وإذا أقرَرْتَ أعيُنَ أهلِ الدُّنيا مِن دُنياهم[1] فأَقْرِرْ عينَيَّ من عبادَتِكَ»، وهذا مُرسَلٌ[2].

وخرَّجَ ابنُ أبي الدُّنيا أيضًا، من روايةِ أبي بُرْدَةَ قالَ: صلَّيْتُ إلى جَنْبِ ابنِ عمرَ، فسمِعْتُه حينَ سجَدَ[3] يقولُ: اللَّهمَّ اجعَلْ حُبَّكَ أحبَّ الأشياءِ إليَّ، وخوفَكَ أخوَفَ الأشياءِ عندي[4].

وخرَّجَه أبو نُعَيمٍ، ولفظُه: اللَّهُمَّ اجْعَلْكَ أحَبَّ الأشياءِ إليَّ وأخْشَى عندِي[5].

وصَحَّ من روايةِ نافعٍ، عنِ ابنِ عُمرَ: أنَّه كانَ يدعُو على الصَّفا والمروةِ وفي مناسِكِه فيقولُ في دُعائِه: اللَّهُمَّ اجعَلْني ممَّن يُحِبُّكَ، ويُحِبُّ ملائكتَكَ، ويُحِبُّ رُسُلَكَ، ويُحِبُّ عبادَكَ الصّالحين، اللَّهُمَّ حبِّبْني إليك، وإلى ملائكَتِكَ، وإلى رُسُلِكَ، وإلى عبادِكَ الصّالحين، في دعاءٍ له كثيرٍ[6].

ورَوَى إبراهيمُ بنُ الجُنَيدِ في «كتابِ المحبّةِ» له بإسنادِه عن[7] أبي الزّاهريّةِ

---

(١) في (س) و(م)، ونسخة في (ش): «بدنياهم».

(٢) أخرجه أيضاً من رواية أبي بكر بن أبي مريم: أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٨٢)، وأخرجه من طريق ابن أبي الدنيا: يوسف بن عبد الهادي في «النهاية في اتصال الرواية» (٤٤٩).

(٣) في (س) و(م): «يسجد».

(٤) أخرجه ابن عساكر أيضاً في «تاريخ دمشق» (٣١/ ١٥٨).

(٥) «حلية الأولياء» (١/ ٣٠٤).

(٦) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٠٨).

(٧) في (س): «إلى».

قالَ: كانَ داودُ عليه السَّلامُ يقولُ: اللَّهُمَّ اجعَلْني من أحبّائِكَ[1]؛ فإنَّك إذا أحبَبْتَ عبدًا غفَرْتَ ذنبَه وإنْ كانَ عظيمًا، وقبِلْتَ عمَلَه وإنْ كانَ يسيرًا[2].

وبإسنادِه عن صالحِ بنِ مِسْمارٍ قالَ: بلَغَنا أنَّ الله عزَّ وجَلَّ أرسَلَ إلى سُليمانَ بنِ داودَ عليهما السَّلامُ بعد مَوتِ أبيه داودَ ملَكًا منَ الملائكةِ، فقالَ له الملَكُ: إنَّ ربِّي جلَّ وعزَّ أرسلَني إليك لتسألَه حاجةً، قالَ سُليمانُ: فإنِّي أسألُ ربِّي أن يجعَلَ قلبي يُحِبُّه كما كانَ قلبُ أبي داودَ يُحِبُّه، وأسألُ الله تعالى أن يجعَلَ قلبي يخشاهُ كما كانَ قلبُ أبي داود يخشاهُ، فقالَ الرَّبُّ تبارَكَ وتعالى: أرسَلْتُ إلى عبدي ليسألَني حاجةً فكانَتْ حاجتُه إليَّ أن أجعَلَ قلبَه يُحِبُّني وأجعَلَ قلبَه يخشاني، وعزَّتي لأُكرِمَنَّه، فوَهَبَ له مُلكًا لا ينبَغي لأحدٍ من بعدِه، ثمَّ قالَ: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝٣٩ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ [ص: ٣٩ ـ ٤٠][3].

وعن سلامِ بنِ مسكينٍ قالَ: سمِعْتُ الحسَنَ يقولُ: اللَّهمَّ املأْ قُلوبَنا إيمانًا بكَ، ويقينًا بك، ومَعُونةً، ومعرِفةً بك[4]، وتصديقًا لك، وحُبًّا لك، وشوقًا إلى لقائِكَ[5].

وعن عبدِ الواحدِ بنِ زيدٍ، أنَّه كانَ يقولُ في دُعائِه: أسألُكَ اللَّهُمَّ أركانًا قويّةً على عبادَتِكَ، وأسألُكَ جَوارِحَ مُسارِعةً إلى طاعَتِكَ، وأسألُكَ هِـمَمًا مُتعلِّقةً بمحبَّتِكَ[6].

---

(١) في (ب) و(س) و(م): «أحبابك».

(٢) «المحبة» (٢٥٤). وهذا من الأخبار عن أهل الكتاب.

(٣) «المحبة» (٧٩). وهو من الأخبار عن أهل الكتاب، والله أعلم.

(٤) في (ش) و(ت): «ومعرفة بك، ومعرفة لك»، وفي (ب): «ومعونة بك ومعرفة لك»، وفي (س): «ومعرفة بك ومعرفة». والمثبت كما في (م)، وهو الموافق للمصدر.

(٥) «المحبة» (٨٦).

(٦) «المحبة» (٨٧).

وعن مَرْثَدٍ أبي عامرٍ، عن الحسَنِ بنِ الحسَنِ بنِ عليٍّ رضِيَ الله عنهما، أنَّه كانَ يقولُ في دُعائه: اللَّهُمَّ ارزُقْني محبةً لك تقطَعُ بها عنِّي محبّاتِ الدُّنيا ولذّاتِها، وارزُقْني محبّةً لك تجمَعُ لي بها خيرَ الآخرةِ ونعيمَها، اللَّهُمَّ اجعَلْ محبّتَكَ آثَرَ الأشياءِ عندي وأقرَّها لعَيني، واجعَلْني أُحِبُّكَ حُبَّ الرّاغبين في محبّتِكَ حبًّا لا يُخالطُه حُبٌّ هُوَ[1] أعلَى منه في صَدْرِي، ولا أكثرُ منه في نفسي، حتَّى يشتغِلَ قَلبي به عن السُّرورِ بغيرِه، حتَّى يكمُلَ لي به عندكَ الثَّوابُ غدًا في أعلَى منازِلِ المُحبِّين لكَ يا كريمُ.

قالَ: وكانَ من خيارِ أهلِ البيتِ وكانَ يدعُو بهذا الدُّعاءِ في آخرِ كلامِه ويبكي[2].

وعن عُقبةَ بنِ فَضالةَ، قالَ: كانَ أبو عُبَيدةَ الخوّاصُ يقولُ في دُعائِه بعد ما كَبِرَ: اللَّهُمَّ ارزُقْني حُبًّا لكَ، وحُبًّا لطاعتِكَ، وحُبًّا لمُطيعِيكَ[3]، وحُبًّا لأوليائِكَ، وحُبًّا لأهلِ محبّتِكَ وخُدّامِكَ[4]، اللَّهُمَّ ارزُقْني حُبًّا ترفَعُني به عندَكَ في أعلى دَرَجاتِ العُلَى، في منازلِ المُحبِّينَ لك، قالَ: وكانَ يبكي حتَّى يكادَ يـهْمُدُ، وكانَ قد كبِرَ جدًّا[5].

وعن أبي صَخْرٍ، عن محمَّدِ بنِ كعبٍ القُرَظيِّ: أنَّ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ أرسلَ يومًا إليه وعمرُ أميرُ المدينةِ يومَئذٍ، فقالَ: يا أبا حمزةَ، آيةٌ أسهرَتْني البارحةَ[6]، قالَ محمَّدٌ: وما هي أيُّها الأميرُ؟ قالَ: قولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ إلى قولِه: ﴿لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]، قالَ محمَّدٌ: إنَّما

---

(١) كتب ناسخ (س) وناسخ (م): «هوى»!

(٢) رضي الله عنه. «المحبة» (٨٤).

(٣) في (ب) و(س): «لمطيعك».

(٤) في (س): «وخدمتك».

(٥) رحمه الله تعالى. «المحبة» (٨٥).

(٦) في (س) و(م): «إنه أسهرتني البارحة آية».

عنَى الله سُبحانَه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ الوُلاةَ من قُرَيشٍ، ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ عن الحقِّ ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، وهم أهلُ اليمنِ، قالَ عمرُ: يا ليتَني وإيّاكَ منهم، قالَ: آمين[1].

ورَوَى ابنُ أبي الدُّنيا بإسنادِه عن سعيدِ بنِ صدَقةَ أبي مُهَلْهِلٍ قالَ: أتاني آتٍ في مَنامي فقالَ: أتُحِبُّ الله؟ فقلتُ: إي والله الذي لا إلهَ غيرُه إنِّي لَأُحِبُّه، وأُحِبُّ طاعتَه، قالَ: أفلا تُناديه نداءَ أوليائِه؟ قلتُ: وما هو؟ قالَ: قُلْ: نبِّهْني إلـهي للخَطَرِ العظيمِ من محبَّتِكَ يا بارِيَ النَّسَمِ[2].

قالَ أحمدُ بنُ أبي الحواريِّ: ثنا أبو قرّةَ، ثنا حُمَيدُ بنُ قائدٍ، قالَ: كانَ بعضُ التّابعينَ يقولُ: إلـهي أعطَيْتَني من غيرِ أن أسألَكَ، فكيفَ تحرِمُني وأنا أسألُك؟ اللَّهُمَّ إنِّي أسألُكَ أن تُسكِنَ عظَمَتَكَ قَلبي[3]، وأن تسقِيَني شربةً من كأسِ حبِّكَ[4].

قالَ أحمدُ: وحدَّثَنا جعفرُ بنُ محمَّدٍ عن أبيه، قالَ: كانَ من دُعاءِ مريمَ أمِّ عيسى عليهما السَّلامُ، اللَّهُمَّ املأْ قلبي بكَ فرَحًا، وغَشِّ وجهي منكَ الحياءَ.

وكانَ من دُعاءِ بعضِ التّابعينَ: اللَّهُمَّ أمِتْ قلبي بخَوفِكَ وخشيَتِكَ وأَحيِه بحُبِّكَ وذِكرِكَ[5].

---

(١) «المحبة» لابن الجنيد الختلي (٢٢٩). وفي (ت): «وهم أهل اليمين» تصحيف.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (١٧٠) ويستدرك من هنا الخرم الواقع في مطبوعته.

(٣) في (ب) و(ت) و(س) و(م): «في قلبي».

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ١٨٦).

وقوله: «ثنا حميد بن قائد» لا توجد في «الحلية»، وإنما القول لأبي قرة. ولم أظفر بحميد بن قائد.

(٥) في حاشية (ت) و(س): «بلغ». والأثران أخرجهما ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧٠/ ١٢١)، وأخرج الثاني أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ١٨٦).

## البابُ الثّالثُ

## في بيانِ الأسبابِ التي يُستَجْلَبُ[١] بها محبّةُ ربِّ الأربابِ

فمن ذلك معرفةُ نِعَمِه على عبادِه، وقد جُبِلَتِ القلوبُ على حُبِّ مَن أحسَنَ إليها، وهذا الكلامُ مَروِيٌّ عن ابنِ مسعودٍ، ورُوِيَ عنه مرفوعًا، ولا يصِحُّ[٢].

قالَ بعضُهم: إذا كانَتِ القلوبُ جُبِلَتْ على حُبِّ مَن أحسَنَ إليها فواعَجَبًا لمَن لا يرَى مُحسِنًا غيرَ الله، كيفَ لا يميلُ بكُلِّيَّتِه إليه؟![٣]

---

(١) في (س) و(م): «تُستجلب».

(٢) قال مُهنَّا: سألت أحمد ويحيى عن قول الناس: «جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها»؟ فقالا: ليس له أصل، وهو موضوع. (كما في «المنتخب من العلل للخلال»، لابن قدامة ٢٤). وقال أبو حاتم الرازي: «هذا حديث منكر، وكان ابن أخت عبد الرزاق يكذب». ـ يعني راويه عن عبد الرزاق ـ (كما في «علل الحديث» لابن أبي حاتم) (٢٥٢٣).
والحديث أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٢٨٦)، وأبو الشيخ الأصبهاني في «أمثال الحديث» (١٦٠)، والبيهقي في «الشعب» (٨٥٧٣) موقوفاً، وأخرجه ابن عدي (٢/ ٢٨٦)، والبيهقي في «الشعب» (٨٥٧٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٢١)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٥٩٩) (٦٠٠) مرفوعاً.
وقد سئل الإمام السخاوي عن هذا الحديث، فقال: «هذا الحديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، بل ولا عن ابن مسعود، بل ولا عن الأعمش، كما صرح به بعض الحفاظ». وأطال في نقد طرقه ووجوهه. انظر: «الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية» (١/ ٣٧٠ ـ ٣٧٧).

(٣) قاله أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز رحمه الله. أخرجه السلمي في «طبقات الصوفية»، في ترجمته (٣٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٦٦)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ٤٥٦)، ومن طرقهم ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥/ ١٣٨).
قال ابن كثير في ترجمة الخراز من «البداية والنهاية»، وفيات سنة (٢٧٧)، وذكر كلامه: «وهذا الحديث ليس بصحيح، ولكن كلامه عليه من أحسن ما يكون». =

وقالَ بعضُ السَّلفِ: ذِكرُ النِّعمِ[١] يُورِثُ الحبَّ لله عزَّ وجلَّ[٢].

قالَ الفُضَيلُ: أوحَى الله إلى داودَ عليه السَّلامُ: أحِبَّني[٣]، وأحِبَّ مَن يُحبُّني، وحبِّبْني إلى خلقي[٤] عِبَادِي، قالَ: يا رَبِّ هذا أُحِبُّكَ، وأُحِبُّ مَن يُحِبُّكَ، فكيفَ أُحبِّبُكَ إلى عبادِكَ؟ قالَ: تذكُرُني ولا تذكرُ منِّي إلّا حَسناً[٥].

ويُروَى عن كعبٍ قالَ: أوحَى الله عزَّ وجلَّ إلى مُوسَى عليه السَّلامُ: يا مُوسَى أتُحِبُّ أن تُحِبَّكَ جنَّتي[٦] وملائكَتي، وما ذَرَأْتُ منَ الجنِّ والإنسِ؟ قالَ: نعم يا ربِّ، قالَ: حبِّبْني إلى خَلقِي، قالَ: كيفَ أُحبِّبُكَ إلى عبادكَ[٧]؟ قالَ: ذكِّرْهم آلائي ونَعمائي؛ فإنَّهم لا يذكُرونَ منِّي إلّا كلَّ حسنةٍ[٨].

وعن أبي عبدِ الله الجدليِّ قالَ[٩]: أوحَى الله عزَّ وجلَّ إلى داودَ عليه السَّلامُ: يا

---

= وقال في ترجمة أبي علي الدقاق، وفيات سنة (٤١٢) وذكر هذا الكلام منسوباً إليه: «كلامه على هذا الحديث جيد، والحديث لا يصح بالكلية».

(١) في (ب) و(س): «النعيم».

(٢) أخرجه الختلي في «المحبة» (٣) (١٢٦)، وابن أبي الدنيا في «الشكر» (٢١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٦/ ٣٣٤). مما سمعه عبد العزيز بن عمير الخراساني الزاهد من أبي سليمان الواسطي رحمهما الله تعالى.

(٣) في (ب): «أحببني».

(٤) سقطت اللفظة من (ب) و(س) و(م)، وكتبت في (ت) ثم ضُرب عليها.

(٥) لم أجده عن الفضيل، وإنما أخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٣٩٥) عن عبد الله بن الحارث نحوه. وأخرج الختلي في (المحبة» (١٢٤) عن أبي فزارة نحوه.

(٦) في (س): «أحبتي». وهو وَهَم.

(٧) في (س) و(م): «خلقك».

(٨) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٢) ضمن أثر طويل.

(٩) في حاشية (ش): «قف على هذا الكلام البديع إلى آخره».

داودُ أحبِبْني[١]، وأحِبَّ مَن يُحبُّني، وحبِّبْني إلى النّاسِ، قالَ: يا ربِّ أُحِبُّكَ، وأُحِبُّ مَن يُحِبُّكَ، فكيفَ أُحبِّبُكَ إلى النّاسِ؟ قالَ: تُذكِّرُهم آلائي ونَعمائي، فلا يذكُرونَ منِّي إلّا حسنًا[٢].

ويُروَى عنِ ابنِ عبّاسٍ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «أحِبُّوا الله لِما يغذُوكُم من نِعَمِه، وأحِبُّوني بحُبِّ[٣] الله، وأحِبُّوا أهلَ بيتي لحُبِّي»، وهذا الحديثُ موجودٌ في بعضِ نُسَخِ «كتابِ التِّرمذيِّ»[٤].

والحبُّ على النِّعمِ من جملةِ شُكرِ المُنعِمِ، وهو واجبٌ على مَن أنعمَ عليه، ولهذا يُقالُ: إنَّ الشُّكرَ يكونُ بالقلبِ واللِّسانِ والجوارحِ.

ومنَ الأسبابِ أيضًا معرفةُ الله عزَّ وجلَّ، قالَ الحسَنُ بنُ أبي جعفرٍ: سمِعْتُ عُتبةَ الغُلامَ يقولُ: مَن عرَفَ الله تعالى أحبَّه، ومَن أحبَّ الله تعالى أطاعَه، ومَن أطاعَ الله تعالى أكرَمَه، ومَن أكرَمَه اللهُ تعالى أسكَنَه في جِوارِه[٥]، ومَن أسكَنَه في جِوارِه فطُوباه وطُوباه وطُوباه، قالَ: فلم يزَلْ يقولُ: فطُوباه[٦] وطُوباه حتَّى خرَّ ساقِطًا[٧] مغشِيًّا عليه، خرَّجَه إبراهيمُ بنُ الجُنَيدِ[٨].

---

(١) في (ت) و(س): «أحبَّني».

(٢) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في «الخطب والمواعظ» (٦٠). وأخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (٣٧٤)، والختلي في «المحبة لله عز وجل» (١٢٥) وغيرهم.

(٣) في (ت): «يغذوكم به من نعمةٍ»، وفي (س) و(م): «الحبُّ».

(٤) أخرجه الترمذي (٣٧٨٩)، وقال: «حديث حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه».

(٥) في (ش): «ومن أطاع الله تعالى أكرمه الله تعالى وأسكنه في جواره».

(٦) في (ب) و(س) و(م): «وطوباه».

(٧) في حاشية (س) إشارة إلى نسخة: «ساجدًا».

(٨) في «المحبة لله عز وجل» (٢١٠) وعنده: «واطوباه»، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٣٦).

وقالَ بُدَيْلُ بنُ مَيسرةَ: مَن عرَفَ ربَّه أحبَّه، ومَن عرَفَ الدُّنيا زهِدَ فيها، خرَّجَه الإمامُ أحمدُ وغيرُه[١].

ومن أعظَمِ أسبابِ المعرفةِ الخاصّةِ التَّفكُّرُ في ملَكوتِ السَّماواتِ والأرضِ وما خلَقَ الله من شيءٍ.

قالَ الجوزَجانيُّ: ثنا[٢] صاحبٌ لي عن جعفرِ بنِ سُليمانَ قالَ: كنّا نكونُ عندَ مالكِ بنِ دينارٍ عشيّةَ جمعةٍ، فكانَ يجيءُ خليفةُ العبدِيُّ بعدَ العصرِ فيأخذُ بعضادتَي البابِ فيقولُ: يا أبا يحيى، عليكَ السَّلامُ. يا أبا يحيَى، لو أنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يُعبَدْ إلّا عن رُؤيةٍ ما عبدَه أحدٌ؛ لا تُدرِكُه الأبصارُ[٣]، ولكنَّ المُؤمنينَ تفكَّروا في مجيءِ هذا اللَّيلِ إذا جاءَ فطبقَ كلَّ شيءٍ، وملأَ كلَّ شيءٍ، ومحى سُلطانَ النَّهارِ، وتفكَّروا في مجيءِ هذا النَّهارِ إذا جاءَ فملأَ كلَّ شيءٍ، وطبقَ كلَّ شيءٍ، ومحى سُلطانَ اللَّيلِ، وتفكَّروا في السَّحابِ المُسخَّرِ بينَ السَّماءِ والأرضِ، وتفكَّروا في الفُلكِ التي تجري في البحرِ بما ينفَعُ النّاسَ، وتفكَّروا في مجيءِ الشِّتاءِ والصَّيفِ، فوالله ما زالَ المُؤمنونَ يتفكَّرون فيما خلَقَ لهم ربُّهم حتَّى أيقنَتْ قلوبُهم، وحتَّى كأنَّما عبدوا الله عن رُؤيةٍ[٤].

وكانَ شُمَيْطُ بنُ عَجْلانَ يقولُ: دلَّنا ربُّنا على نفسِه في هذه الآيةِ: ﴿إِنَّ

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢٠٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٨٢٣)، والختلي في «المحبة» (٣٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٠٨). ولم أجده في «الزهد» لأحمد بن حنبل.

(٢) في (س) و(م): «حدثني».

(٣) في (س) و(م): «لأنه لا تدركه الأبصار».

(٤) وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٠٣) عن أبي الشيخ في «العظمة» (٦٣) بسنده إلى خليفة العبدي.

﴿رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤، ويونس: ٣] الآية. انتهى[١].

وفي القرآنِ شيءٌ كثيرٌ منَ التَّذكيرِ بآياتِ الله الدَّالَّةِ على عظَمَتِه وقُدرتِه، وجلالِه[٢] وكمالِه وكِبريائِه، ورأفتِه ورحمتِه، وبطشِه وقهرِه وانتِقامِه، إلى غيرِ ذلك من صفاتِه العُلى[٣]، وأسمائِه الحسنَى، والنَّدبِ إلى التَّفكُّرِ في مصنوعاتِه الدّالّةِ على كمالِه، فإنَّ القلوبَ مفطورةٌ على محبّةِ الكمالِ، ولا كمالَ على الحقيقةِ إلّا له سُبحانَه وتعالى، ولهذا كانَ السَّلَفُ يُفضِّلُونَ التَّفكُّرَ على نوافلِ البدنِ.

ورُوِيَ ذلك عنِ ابنِ المُسيّبِ والحسنِ[٤].

وقالَ عمرُ بنُ عبد العزيزِ رضيَ الله عنه: الفِكرةُ في نِعَمِ الله أفضَلُ العبادةِ[٥].

وقالَ عُبيد الله[٦] بنُ محمَّدٍ التَّيميُّ: أفضَلُ النَّوافلِ طولُ الفِكرِ[٧][٨].

وكانَ أكثرَ عمَلِ أبي الدَّرداءِ رضيَ الله عنه الاعتِبارُ والتَّفكُّرُ[٩].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٣١).

(٢) هنا تنتهي القطعة الموجودة لدينا من النسخة (م).

(٣) هكذا رسمت في النسخ، موافقة لرسم المصحف، ويجوز رسمها هكذا: العُلا.

(٤) انظر كلام سعيد بن المسيب رحمه الله في «الزهد» لأبي داود (٤١٤)، و«حلية الأولياء» لأبي نعيم (١/ ٣٤٩)، وكلام الحسن البصري رحمه الله في «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٦٣٧١)، و«الزهد» لأحمد بن حنبل (١٥٤٧)، و«حلية الأولياء» لأبي نعيم (٦/ ٢٧١).

(٥) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٣١٤).

(٦) في (س): «عبد الله».

(٧) في (س): «الفكرة». وفي حاشية (ش): «قف على ما ذكر».

(٨) لم أظفر بمن أخرج هذا الأثر. وقد ذكره المصنف في «تفسير الفاتحة».

(٩) سُئِلت أم الدرداء: ما كان أفضل عمل أبي الدرداء رضي الله عنهما؟ فقالت: التفكر. أخرجه =

وكلامُ الإمامِ أحمدَ[١] يدلُّ على مثلِ هذا أيضًا[٢].

وقال ذو النُّونِ: تُنالُ المعرفةُ بثلاثٍ، بالنَّظرِ في الأمورِ كيفَ دبَّرَها، وفي المقاديرِ كيفَ قدَّرَها، وفي الخلائقِ كيفَ خلَقَها[٣].

وسُئِلَ أبو سُليمانَ الدّارانيُّ: بأيِّ شيءٍ تُنالُ معرفتُه[٤]؟ قالَ: بطاعتِه، قيلَ: فبأيِّ شيءٍ تُنالُ طاعتُه؟ قالَ: به. انتَهى[٥].

وكلَّما قوِيَتْ معرفةُ العبدِ باللهِ قوِيَتْ محبتُّه له ومحبتُّه لطاعتِه، وحصلَتْ له لذّةُ العباداتِ منَ الذِّكرِ وغيرِه على قدرِ ذلك[٦].

وقد رَوَى ابنُ أبي الدُّنيا بإسنادِه، عنِ ابنِ عمر[٧] رضيَ الله عنهما قالَ: أخبرَني

---

= أبو الشيخ في «العظمة» (٤٥)، وأخرج ابن المبارك في «الزهد» (٩٤٩) من كلام أبي الدرداء رضي الله عنه: «وتفكر ساعة خير من قيام ليلة». وهو مروي عنه من وجوه في كتب الزهد.

(١) في (ش) و(ب): «وكلام أحمد».

(٢) نقل مثنى بن جامع عنه في رجل أكل فشبع وأكثر الصلاة والصيام، ورجل أقل الأكل فقلَّت نوافله وكان أكثر فكرةً، أيهما أفضل؟ فذكر ما جاء في الفكر: «تفكر ساعة خير من قيام ليلةٍ»، قال: فرأيت هذه عنده أكثر ـ يعني: التفكر ـ.

نقله المصنف رحمه الله في «القواعد» (ص: ٢٢) ط الخانجي، وهو في «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (١/ ٣٣٧) ط الفقي.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٣٣٩).

(٤) في (س): «معرفة الله».

(٥) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٧٢)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١١/ ٥٢٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٢/ ٣٤٦)، (٣٤/ ١٢٦).

(٦) في حاشية (ش): «قف على ما ذكر إلى آخره».

(٧) هكذا في النسخ، وهكذا وقع للمصنف رحمه الله في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٥٢٠). والصواب: أنه عبد الله بن عَمرو بن العاص رضي الله عنهما.

أهلُ الكتابِ أنَّ هذه الأمّةَ تُحِبُّ الذِّكرَ كما تُحِبُّ الحمامةُ وَكْرَها، ولَهُم أسرَعُ إلى ذكرِ الله منَ الإبلِ إلى وِرْدِها يومَ ظَمَئِها[١].

وعن مالكِ بنِ دينارٍ قالَ: ما تلذَّذَ المُتلذِّذونَ بمثلِ ذكرِ الله عزَّ وجلَّ[٢].

وعنه قالَ: قرأتُ في التَّوراةِ، أيُّها الصِّدِّيقُونَ، تنعَّمُوا بذِكرِي في الدُّنيا فإنَّه لكم في الدُّنيا نعيمٌ وفي الآخرةِ جزاءٌ[٣].

وقالَ محمَّدُ بنُ كعبٍ القُرَظِيُّ: وجَدْتُ في بعضِ الحكمةِ: أيُّها الصِّدِّيقُونَ، افرَحُوا بي، وتنَعَّمُوا بذِكري[٤].

وقالَ مسلمٌ أبو عبدِ الله: ما تلَذَّذَ المُتلذِّذُونَ[٥] بشيءٍ في صُدورِهم ألَذَّ من حُبِّ الله عزَّ وجلَّ، ومحبّةِ أهلِ ذِكرِه[٦].

وقالَ أحمدُ بنُ غسّانَ قرأتُ في زَبورِ داودَ عليه السَّلامُ: أحِبُّوا الله يا صدِّيقِيه، افرَحُوا أيُّها الصِّدِّيقُونَ بالله، وتنَعَّمُوا بذِكرِه[٧].

---

(١) أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١/ ١٥٤) ط: عميرة، وابن أبي الدنيا ـ ولم أجده في أجزائه المطبوعة ـ وإنما ذكر إسناده ابن حجر في «نزهة السامعين في رواية الصحابة عن التابعين» (٢٥).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٩٢) بهذا اللفظ وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٥٨) من طريق الإمام أحمد بلفظ: «ما تنعم المتنعمون...».

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٥٨). وآخره: «... جزاء عظيم».

(٤) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (١٠٦).

(٥) في (ب) و(س): «المتقون». وأشير إلى نسخه في حاشية (ت).

(٦) لم أجده بهذا اللفظ، وإنما أخرج أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٩٤) عن مسلم بن يسار: «ما تلذذ المتلذذون بمثل الخلوة بمناجاة الله عز وجل».

(٧) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (١٥٧).

وقالَ أحمدُ بنُ أبي الحوارِيِّ: عن أبي جعفرٍ الرَّقِّيِّ: ما فرِحَ أحدٌ بغيرِ الله إلّا بالغَفلةِ عنِ الله عزَّ وجلَّ[١].

قالَ: وأخبرَنا[٢] محمودٌ عمَّن أخبرَه قالَ: رأيتُ بالبصرةِ رجلًا كثيرَ الدُّؤوبِ قليلَ الطّعمِ جيِّدَ البَدَنِ، فقلتُ له: أراكَ كثيرَ الدُّؤوب قليلَ الطّعمِ جيِّدَ البدنِ، قالَ: ذلك من فرَحي بحُبِّ الله عزَّ وجلَّ، إذا ذكَرْتُ أنَّه ربِّي وأنا عبدُه لم يمنَعْ[٣] بدَني أن يصلحَ[٤].

وقالَ الفَضلُ الرَّقَاشِيُّ: والله لو جُمِعَ للعابدينَ جميعُ لذاذاتِ الدُّنيا بحَذافيرِها لكانَ امتِهانُهم أنفُسَهم لله بطاعتِه ألَذَّ وأحلَى عندَهم من ذلك كلِّه[٥].

وقالَ إبراهيمُ بنُ أدهَمَ: أعلَى الدَّرجاتِ أن يكونَ ذِكرُ الله عندَكَ أحلَى منَ العسلِ، وأشهَى منَ الماءِ العَذْبِ الصّافي عندَ العطشانِ في اليومِ الصّائفِ[٦].

وقالَ زُهيرٌ البابيُّ[٧]: إنَّ لله عبادًا ذكَرُوه فخرَجَتْ نُفوسُهم إعظامًا واشتِياقًا، وقومًا ذكَرُوه فوجِلَتْ قُلوبُهم فَرَقًا وهَيبةً له، فلو أُحرِقُوا بالنّارِ لم يجِدُوا مسَّ النّارِ،

---

(١) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (٢٠٠).

(٢) في (س): «وحدثنا».

(٣) في «كتاب المحبة»: «لم يمتنع».

(٤) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (٢٦٠).

(٥) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (٢٠٩)

(٦) ذكره المصنف بسياق أطول في «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٣٣) ولم أظفر به عن إبراهيم بن أدهم، وفي معناه: كلام لشقيق بن إبراهيم البلخي، أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٦٦).

(٧) تصحف في (س) إلى: «البامي»، وتصحف في حاشيتها إلى «اليامي».

وآخَرُونَ ذكَرُوه في الشِّتاءِ وبردِه فارفَضُّوا عرَقًا[١] من خَوفِه، وقومًا ذكرُوه فحالَتْ ألوانُهم غَيْرًا، وقومًا ذكرُوه فجفَّتْ أعينُهم سهَرًا[٢].

وكانَ أبـو حفـصٍ النَّيسـابورِيُّ إذا ذكَـرَ الله تغيَّـرَتْ عليـه حالُه، حتَّـى كانَ يرَى ذلـك منـه جميعُ مَـن حضـرَه[٣] ففعلَ ذلك مـرّةً، فلمّـا رجَعَ قـالَ: ما أبعـدَ ذِكرَنا من ذكـرِ المُحقِّقيـنَ، فما أظُنُّ مُحقِّقًا[٤] يذكرُ الله مـن[٥] غيرِ غفلةٍ ثمَّ يبقَـى بعدَ ذلك حيًّا إلّا الأنبيـاءَ؛ فإنَّهـم أُيِّدوا بقُـوّةِ النُّبوّةِ، وخَـواصَّ الأولياءِ بقُـوّةِ ولايتِهم[٦].

ومعَ هذا كلِّه فلو كُشِفَ الغِطاءُ لتبيَّنَ أنَّ الأمرَ أعظَمُ وأعظَمُ، ولهذا يقولُ أهلُ الجنّةِ إذا كُشِفَتْ لهم الحجُبُ ورأَوهُ مُعاينةً قالوا: «سُبحانَكَ ما عبَدْناكَ حقَّ عبادَتِكَ»[٧].

وفي حديثٍ آخرَ: إنَّ لله ملائكةً في السَّماءِ قيامًا إلى يومِ القيامةِ ترعُدُ فرائِصُهم من مخافتِه، ما منهم ملَكٌ تقطُرُ من عينَيه دمعةٌ إلّا وقعَتْ على ملَكٍ يُسبِّحُ، ولله

---

(١) أي: سال عَرَقُهم.

(٢) أخرجه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (١٧٦٣) من طريق ابن أبي الدنيا. وأخرجه من وجه آخر (٢٧٦٩). وما في بعض المطبوعات: «ألوانهم غبرًا» تصحيف.

(٣) في (ب) و(ت): «حضر».

(٤) في (ب): «أن محقًا».

(٥) في (ب): «عن».

(٦) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٣١٢).

(٧) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٨٦) من حديث سلمان رضي الله عنه. وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

لكـن فيـه: أن ذلـك مـن قـول الملائكـة الكـرام عند وضـع الميـزان، لا مـن قـول أهل الجنـة عند دخولهـم الجنـة.

ملائكةً سُجودًا منذُ خلقَ الله السَّماواتِ والأرضَ لـم يرفَعُوا رُؤوسَهم ولا يرفَعُونَها إلى يومِ القيامةِ، وصُفوفًا لـم يتفرَّقُوا عن مَقامِهم إلى يومِ القيامةِ، فإذا كانَ يومُ القيامةِ تجلَّى لهم ربُّكَ عزَّ وجلَّ، فينظُرونَ إليه تبارَكَ وتعالى، فقالُوا: سُبحانَكَ ما عبَدْناكَ كما ينبَغي لك، خرَّجَه ابنُ أبي الدُّنيا، والآجرِّيُّ مرفوعًا[١].

ورُوِيَ نحوُه من وجهٍ آخرَ مُرسَلٍ[٢].

ورُوِيَ عن عبدِ الله بنِ عَمرٍو موقُوفًا[٣] نحوُه أيضًا[٤].

وفي «الصَّحيحَينِ» عن أبي هُريرةَ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «إنَّ لله ملائكةً يطوفُونَ في الطُّرُقِ يلتَمِسُونَ أهلَ الذِّكرِ، فإذا وجَدُوا قومًا يذكُرونَ الله عزَّ وجَلَّ تنادَوا: هلُمُّوا إلى حاجَتِكُم، قالَ: فيحفُّونَهم بأجنِحَتِهم إلى السَّماءِ، قالَ: فيسأَلُـهم ربُّهم وهو أعلَمُ بهم: ما يقولُ عبادي؟ قالَ: يقولُونَ: يُسبِّحُونَكَ، ويُكبِّرونَكَ، ويحمَدُونَكَ، ويُمجِّدُونَكَ، فيقولُ: هل رأَوني؟ فيقُولُون: لا والله ما رَأَوكَ، قالَ: فيقُولُ: كيفَ لو رَأَوني؟ قالَ: يقولُونَ: لو رأَوكَ كانُوا أشدَّ لك عبادةً، وأشدَّ لك تـمجيدًا وتـحميدًا، وأكثرَ لكَ تسبيحًا»[٥]. وذكرَ بقيَّةَ الحديثِ.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (١٠٥). من حديث عدي بن أرطاة مرفوعاً مرسلًا. وأبو الشيخ في «العظمة» (٥١٥) ـ وأخرج الآجري في «الشريعة» (٨٩٥) حديث سلمان السابق.

(٢) في (س): «مرسلًا». أخرجه محمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٥٨) من مراسيل الحسن.

(٣) في (ب) و(س): «مرفوعًا»!.

(٤) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٣٣).

(٥) أخرجه البخاري (٦٤٠٨) واللفظ له، ومسلم (٢٦٨٩).

وإذا كانَ مخلوقٌ يقولُ في مخلوقٍ:

وكنتُ أَرَى أنْ قد تَناهَى بيَ الهَوَى ... إلى غايةٍ ما فوقَها ليَ مَطلَبُ

فلمّا تلاقَيْنا وعايَنْتُ حُسْنَها ... تيقَّنْتُ أنّي إنّما كُنْتُ ألعَبُ[1]

فكيفَ بالخالقِ الملِكِ الحقِّ العظيمِ؟ الذي لا يُقدَرُ حقَّ قدرِه، ولا يُحيطُ خلقُه به علمًا، ولا يُحصُونَ ثناءً عليه هو كما أَثنَى على نفسِه.

## فصلٌ

**ومنَ الأسبابِ الجالبةِ لمحبّةِ الله عزَّ وجَلَّ مُعاملةُ اللهِ بالصِّدقِ والإخلاصِ ومُخالفةِ الهوى؛ فإنَّ ذلك سببٌ لتفَضُّلِ[2] الله على عبدِه وأنْ يمنَحَه محبّتَه.**

قال بشرٌ الحافي: قالَ فتحٌ المَوصِلِّيُّ: مَن أدامَ النَّظرَ بقلبِه ورَّثَه ذلك الفرَحَ بالمحبوبِ، ومَن آثَرَه على هواهُ ورَّثَه ذلك حبَّه إيّاه، ومَن اشتاقَ إليه وزهِدَ فيما سواه ورَعَى حقَّه وخافَه بالغَيبِ ورَّثَه ذلك النَّظرَ إلى وجهِه الكريمِ. خرَّجَه أبو نُعَيمٍ وغيرُه[3].

ويُقالُ: إنَّ سَرِيًّا السَّقَطِيَّ رحمَه الله كانَ له دُكّانٌ فاحترَقَ السُّوقُ الذي كانَ فيه الدُّكّانُ[4] ولم يحترِقْ دُكّانُه، فأُخبِرَ بذلك، فقالَ: الحمدُ لله، ثمَّ تفكَّرَ في ذلك فرأَى أنَّه قد سُرَّ بعطبِ النّاسِ وسلامتِه، فتصَدَّقَ بما في دُكّانِه، فشكَرَ الله له ذلك ورَقّاه إلى درجةِ المحبّةِ[5].

---

(١) ذكره أبو بكر محمد بن داود الظاهري في كتابه «الزهرة» (ص: ٢٧٤) لبعض أهل عصره. وعجز البيت الأول عنده: إلى غاية ما بعدها لي مذهب، وصدر البيت الثاني: فلما تفرقنا تذكرت ما مضى...

(٢) في (س): «الفضل».

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢٩٢).

(٤) في (ب) و(س): «دكانه».

(٥) رواها الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٢٦٠).

وسُئِلَ مرّةً عن حالِه فأنشدَ:

مَن لم يَبِتْ والحبُّ حشوُ فُؤادِه ... لم يدْرِ كيفَ تَفَتُّتُ الأكبادِ[١]

وبلَغَ من أمرِه أنّه لمّا مرِضَ رُفِعَ ماؤُه إلى طَبِيْب[٢]، فلمّا رآه الطَّبيبُ قالَ: هذا عاشقٌ، فصُعِقَ حاملُ الماءِ وغُشِيَ عليه[٣].

ونظَرُوا إلى جسدِه مرّةً وكأنه سقيمٌ مُضنى، فقالَ: لو شئْتُ أن أقولَ: هذا كلُّه من محبَّتِه لقُلتُ[٤].

وسُئِلَ المُرتَعِشُ: بِمَ تُنالُ المحبّةُ؟ قالَ: بمُوالاةِ أولياءِ الله عزَّ وجَلَّ ومُعاداةِ أعدائِه، وأصلُه المُوافقةُ[٥].

**ومن أعظَمِ ما تُستَجْلَبُ به المحبّةُ: كثرةُ الذِّكرِ معَ الحضورِ.**

قالَ ذو النُّونِ: مَن شغَلَ قلبَه ولسانَه بالذِّكرِ قذَفَ الله في قلبِه نورَ الاشتياقِ إليه[٦].

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٨٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ١١٩). لكن في كتاب «من اسمه عمرو من الشعراء» (٢٠٥) لابن الجراح: نسبه إلى عمرو بن أحمد بن بديل النامي، أبي السَّري! مع بيتين قبله. وصدره:

«من لم يبت والبين يصدع قلبه»

(٢) في (س): «الطبيب».

(٣) القصة ذكرها عن الجنيد الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٤/ ٣٣٨) ط دار المعرفة. وابن الجوزي في «التبصرة» (ص: ٥٠٠)، و«المدهش» (ص: ٥٠٠).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٧٣)، وعنه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٢٦٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٠/ ١٨٨).

(٥) رواه أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقات الصوفية» في ترجمة أبي محمد عبد الله بن محمد المرتعش النيسابوري.

(٦) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٥٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٣٧٨).

وقالَ إبراهيمُ بنُ الجُنَيدِ: كانَ يُقالُ: من علامةِ المحبَّةِ لله دَوامُ الذِّكرِ بالقلبِ واللِّسانِ، وقَلَّما ولَعَ المرءُ بذكرِ الله عزَّ وجلَّ إلّا أفادَ منه حبَّ الله عز وجل[1].

**ومـمّا يُستَجْلَبُ بـه المحبّةُ: تـلاوةُ القرآنِ بالتَّدبُّرِ والتَّفكُّرِ**، ولا سيَّما الآياتُ المُتضمِّنةُ للأسماءِ والصِّفاتِ والأفعالِ الباهِراتِ، ومحبّةُ ذلك يستَوجِبُ به العبدُ محبّةَ لله[2] ومحبّةَ الله له.

وفي «الصَّحيحَينِ» عن أنسٍ، أنَّ رجلًا كانَ يُصلِّي بهم ويختِمُ قراءتَه بـ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فأمرَ النَّبيُّ ﷺ أن يُسأَلَ عن ذلك، فقال: إنَّها صِفةُ الرَّحمنِ، وأنا أُحِبُّ أنْ أقرَأَها، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «أخبِرُوه أنَّ الله يُحِبُّه»[3].

**ومن أسبابِ المحبّةِ تذكُّرُ ما ورَدَ في الكتابِ والسُّنّةِ من رُؤيةِ أهلِ الجنّةِ لربِّهم وزيارَتِهم له**، واجتماعِهِم يومَ المزيدِ، فإنَّ ذلك يستجلِبُ[4] المحبّةَ الخاصَّة.

وقد أشارَ إلى ذلك الحسَنُ. قالَ دَلْهَمٌ عنِ الحسنِ: أُوصيكُم بتقوَى الله عزَّ وجلَّ، وإدمانِ التَّفكُّرِ؛ فإنَّه مفتاحُ خلالِ الخيرِ كلِّه، وبه يخصُّ الله كلَّ مُوفَّقٍ، واعلَمُوا أنَّ خيرَ ما ظَفرَ[5] به مُدرِكٌ من تفكُّرٍ: مُخالصةُ[6] الله، وشُربٌ بكأسِ حُبِّه. وإنَّ أحبّاءَ الله هم الذين ظَفِرُوا بطيبِ الحياةِ، وذاقُوا لذّةَ نعيمِها بما وصَلُوا إليه

---

(١) قاله إبراهيم بن الجنيد الختلي في «المحبة» (ص: ١٠٥).

(٢) في (ت): «محبته لله».

(٣) لفظ هذا الحديث أخرجه البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣) لكن من حديث عائشة رضي الله عنها. أما حديث أنس، فقد علقه البخاري بعد حديث (٧٧٤) بلفظ آخر.

(٤) في (ب) و(ت) و(س): «يستجلب به»، وفي (س): «بالتاء».

(٥) في (س): «ظفرتم».

(٦) في (س): «بخالصة».

من مُناجاةِ حبيبِهم، وما وَجَدُوا من حلاوةِ حُبِّه في قُلوبِهم، ولا سيَّما إذا خطَرَ على بالِ أحدِهم ذِكرُ مُشافهَتِه، وكشفِ سُتورِ الحجُبِ عنه في المَقامِ الأمينِ، والسُّرورِ الدّائمِ، وأراهُم جلالَه، وأسمَعَهُم لَذَّةَ[1] منطِقِه، ورَدَّ عليهم جوابَ ما ناجَوه به أيّامَ حياتِهم؛ إذ قلوبُهم به مشغوفةٌ، وإذ مودَّتُهم إليه معطوفةٌ، وإذ هم له مُؤثِرونَ، وإليه مُنقَطِعُون، فليُسَرَّ[2] المُصفُّونَ له وُدَّهم بالمنظرِ العجيبِ بالحبيبِ، فوالله ما أراهُ يحِلُّ لعاقلٍ، ولا يجمُلُ به أن يستَوعِبَه سوى حبِّ الله عزَّ وجلَّ. خرَّجَه ابنُ أبي الدُّنيا وغيرُه[3].

***

---

(١) في (س): «لذيذ».

(٢) في (ب) و(س): «فليُبَشَّرِ».

(٣) في حاشية (ش): «بلغ مقابلة». وفي حاشية (ت): «بلغ» ولم أجد هذا الأثر فيما وقفت عليه من أجزاء ابن أبي الدنيا، ولم أجده عند غير المصنف رحمه الله.

## البابُ الرّابعُ
## في علاماتِ المحبّةِ الصّادقةِ
## من التزامِ طاعةِ الله تعالى والجهادِ في سبيلِه واستحلاءِ المَلامةِ في ذلك واتِّباعِ رسولِه

قالَ الله جلَّ وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقالَ تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١]: فوَصَفَ الله سُبحانَه المُحبِّينَ له بخمسةِ أوصافٍ:

أحدُها: الذلّةُ(١) على المُؤمنينَ، والمُرادُ لينُ الجانبِ، وخَفْضُ الجناحِ، والرَّحمةُ والرَّأفةُ للمُؤمنينَ، كما قالَ تعالى لرسولِه: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٥]، ووصَفَ أصحابَه بمثلِ ذلك في قولِه: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩]، وهذا يرجعُ إلى أنَّ المُحبِّينَ لله يُحبُّونَ أحبّاءَه ويَعودُونَ عليهم بالعطفِ والرَّأفةِ والرَّحمةِ، وقد سبَقَ في البابِ الأوَّلِ بيانُ ذلك.

الثّاني: العِزّةُ على الكافرينَ، والمُرادُ: الشِّدّةُ والغِلْظةُ عليهم، كما قالَ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: ٧٣]، وهذا يرجعُ إلى أنَّ المُحبِّينَ له يُبغِضُونَ أعداءَه، وذلك من لوازمِ المحبّةِ الصّادقةِ كما سبَقَ تقريرُه أيضًا.

الثّالثُ: الجِهادُ في سبيلِه(٢)، وهو مُجاهَدةُ أعدائِه باليدِ واللِّسانِ، وذلك أيضًا

(١) في (ش) و(ت): «أذلة».

(٢) في (س): «سبيل الله».

من تـمامِ مُعاداةِ أعداءِ الله الذي تستَلزِمُه[١] المحبّةُ، وأيضًا فالجهادُ في سبيلِ الله فيه دعاءُ الخلقِ إلى الله تعالى وردُّهم إلى بابِه بالقهرِ لهم والغَلَبةِ، كما قالَ تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] الآية.

قالَ مُجاهدٌ وغيرُه: يعني كُنتُم خيرَ النّاسِ للنّاسِ[٢]. فخيرُ النّاسِ للنّاسِ أنفَعُهم لـهم، ولا نفعَ أعظَمُ منَ الدُّعاءِ إلى التَّوحيدِ والطّاعةِ، والنَّهيِ عنِ الشِّركِ والمعصيةِ.

وسُئِلَ الحسنُ عن رجلٍ له أمٌّ فاجِرةٌ، فقالَ: يُقيِّدُها فما وصلَها بشيءٍ أعظَمَ من أن يكُفَّها عن معاصي الله عزَّ وجلَّ[٣].

قالَ إبراهيمُ بنُ أدهَمَ: سمِعْتُ رجُلَينِ منَ الزُّهّادِ يقولُ أحدُهما للآخرِ: يا أخي، ما ورِثَ أهلُ المحبّةِ من محبَّتِهم؟ قالَ: فأجابَه الآخرُ: وَرِثُوا النَّظَرَ بنُورِ الله، والعطفَ على أهلِ مَعاصي الله، قالَ: فقُلتُ له: كيفَ يَعطِفُ على قومٍ قد خالَفُوا أمرَ[٤] محبُوبِهم؟ فقالَ: مقَتَ أعمالَـهم وعطَفَ عليهم؛ ليُزيلَهم بالمواعظِ عن فِعالِـهم، وأشفَقَ على أبدانِهم منَ النّارِ، لا يكونُ المُؤمنُ مُؤمِنًا حقًّا حتَّى يرضَى للنّاسِ ما يرضاه[٥] لنفسِه[٦].

---

(١) في (ب): «تستلزم».

(٢) «تفسير مجاهد» (ص: ٢٥٧).

(٣) أخرجه الحسين بن حرب في «البر والصلة» (٢٠٣) وكانت هذه المسألة أول ما ذكر به الحسن رحمه الله.

(٤) في (ش) و(ت): «مسرة».

(٥) في (ب): «يرضى». موافقاً لما في «الحلية».

(٦) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٥) وعنده: «ما ورث أهل المحبة من محبوبهم»؟

**الرّابعُ**: أنَّهم لا يخافُونَ لَومةَ لائمٍ، والمُرادُ أنَّهم يجتَهِدُونَ فيما يرضَى به الله منَ الأعمالِ، ولا يُبالُونَ بلَومِ[1] مَن لامَهم في شيءٍ منه إذا كانَ فيه رِضا ربِّهم.

وهذا من علاماتِ المحبّةِ الصّادِقةِ، أنَّ المُحِبَّ يشتَغِلُ بما يرضَى به حبيبُه ومَولاه، ويستَوي عندَه مَن حمِدَه في ذلك أو لامَه، وفي هذا المعنى يقولُ بعضُهم:

وقَفَ الهوَى بي حيثُ أنتِ فلَيسَ لي ... مُتأخَّرٌ عنه ولا مُتقَدَّمُ

أجِدُ المَلامةَ في هواكِ لذيذةً ... حبًّا لذِكرِكِ فَلْيلُمْني اللُّوَّمُ[2]

**الخامِسُ**: مُتابعةُ الرَّسولِ ﷺ، وهو طاعَتُه واتِّباعُه في أمرِه ونَهيِه.

قالَ مُبارَكُ بنُ فُضالةَ عنِ الحسنِ: كانَ ناسٌ على عهدِ رسول الله ﷺ يقولونَ: يا رسولَ الله، إنّا نُحِبُّ ربَّنا حبًّا شديدًا، فأحَبَّ الله عز وجل أن يجعَلَ لحبِّه علَمًا، فأنزَلَ الله تبارَكَ وتعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١][3].

وقد قرَنَ الله بينَ محبَّتِه ومحبّةِ رسولِه في قولِه: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤].

وكذلك ورَدَ في السُّنّةِ في أحاديثَ كثيرةٍ جدًّا قد سبقَ ذِكرُ بعضِها.

والمُرادُ أنَّ الله تعالى لا يُوصَلُ إليه إلّا من طريقِ رسولِه ﷺ باتِّباعِه وطاعتِه،

---

(١) في (س): «بلومة».

(٢) البيتان لأبي الشيص محمد بن عبد الله بن رزين، انظر: «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (٢/ ٨٣٢) وغيره من دواوين الأدب.

(٣) أخرجه الختلي في «المحبة» (٦٢)، وأخرجه من وجه آخر عن الحسن: الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٢٥).

كما قالَ الجُنَيدُ وغيرُه منَ العارِفينَ: الطُّرقُ إلى الله مسدودةٌ إلّا مَن اقتَفَى أثرَ الرَّسولِ ﷺ[١].

وكلامُ أئمّةِ العارِفينَ في هذا البابِ كثيرٌ جدًّا.

قالَ إبراهيمُ بنُ الجُنَيدِ: يُقالُ: علامةُ المُحِبِّ على صدقِ الحبِّ سِتُّ خِصالٍ:

أحدُها: دوامُ الذِّكرِ بقلبِه بالسُّرورِ بمَولاه.

والثّانيةُ: أَثَرَةُ[٢] محبّةِ سيِّدِه على محبّةِ نفسِه ومحبّةِ الخلائقِ، يبدأُ بمحبّةِ مَولاهُ قبلَ محبّةِ نفسِه ومحبّةِ الخلائقِ.

والثّالثةُ: الأُنسُ به، والاستِثقالُ لكلِّ قاطعٍ يقطعُ عنه، أو شاغلٍ يشغَلُه عنه.

والرّابعةُ: الشَّوقُ إلى لقائِه، والنَّظرُ إلى وجهِه.

والخامسةُ: الرِّضا عنه في كلِّ شديدةٍ وضرٍّ ينزلُ به.

والسّادسةُ: اتِّباعُ رسولِه ﷺ[٣].

**ومحبّةُ الرَّسولِ ﷺ على درجتَينِ:**

**إحداهما:** فرضٌ، وهي المحبّةُ التي تقتَضي قَبولَ ما جاءَ به[٤] من عندِ الله، وتلقِّيَه بالمحبّةِ والتَّعظيمِ، والرِّضا به والتَّسليمِ[٥]، وعدَمَ طلَبِ الهدى من غيرِ طريقِه

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٥٧).

(٢) هكذا في جميع النسخ، وفي حاشية (س): «لعلها: إيثاره». والأثرة: الاسم من الإيثار.

(٣) «المحبة»، لإبراهيم الختلي، ابن الجنيد (١٦٢).

(٤) في (س): «ما جاء به الرسول».

(٥) في (س): «والرضا والتعظيم والتسليم».

بالكلِّيّةِ، ثمَّ حُسنَ الاتِّباعِ له فيما بلَّغَه عن ربِّه من تصديقِه في كلِّ ما أخبرَ[١]، وطاعتَه فيما أمرَ به منَ الواجباتِ، والانتِهاءَ عمّا نهَى عنه منَ المُحرَّماتِ، ونُصرَةَ دينِه، والجهادَ لمَن خالَفَه بحسَبِ القُدرةِ، فهذا القَدْرُ لا بدَّ منه، ولا يتمُّ الإيمانُ بدونِه.

**والدَّرجةُ الثّانيةُ:** فَضْلٌ، وهي المحبّةُ التي تقتَضي حُسنَ التَّأسِّي به، وتحقيقَ الاقتداءِ بسُنَّتِه في أخلاقِه وآدابِه، ونَوافِلِه وتطوُّعاتِه، وأَكلِه وشُربِه ولباسِه، وحُسنِ مُعاشرتِه لأزواجِه، وغيرِ ذلك من آدابِه الكاملةِ، وأخلاقِه الطّاهرةِ[٢]، والاعتِناءَ بمعرفةِ سيرتِه وأيّامِه، واهتزازَ القلبِ عندَ ذِكرِه وتصوُّرِه، وكثرةَ الصَّلاةِ عليه؛ لِما سكنَ في القلبِ من محبَّتِه، وتعظيمِه وتوقيرِه، ومحبّةَ استماعِ[٣] كلامِه، وإيثارَه على كلامِ غيرِه منَ المخلوقينَ، ومن أعظمِ ذلك الاقتِداءُ به في زُهدِه في الدُّنيا، والاجتِزاءُ باليسيرِ منها، ورغبتُه في الآخرةِ.

قالَ سهلٌ التُّسْتَرِيُّ: مِنْ علامةِ[٤] حُبِّ الله: حُبُّ القُرآنِ، وعلامةُ حبِّ الله وحُبِّ القُرآنِ: حُبُّ النَّبيِّ ﷺ، وعلامةُ حُبِّ النَّبيِّ ﷺ: حُبُّ السُّنّةِ، وعلامةُ حُبِّ السُّنّةِ: حُبُّ الآخرةِ، ومن علامةِ[٥] حُبِّ الآخرةِ: بُغْضُ الدُّنيا، وعلامةُ بُغْضِ الدُّنيا: أن لا يأخُذَ منها إلّا زادًا يُبلِّغُه[٦] إلى الآخرةِ[٧].

---

(١) في (ب): «أخبر به».

(٢) في (ب): «الظاهرة».

(٣) في (ب): «سماع».

(٤) في (س): «من علامات».

(٥) في (ش) و(ت): «ومن علامات» وفي «قوت القلوب»: «وعلامة».

(٦) في «قوت القلوب»: «وبُلغة».

(٧) ذكره أبو طالب المكي في «قوت القلوب» في ذكر أحكام المحبة (٢/ ٨٨).

## فصلٌ

وقد ذكَرْنا في البابِ الأوَّلِ أنَّ محبّةَ الله عزَّ وجَلَّ الواجبةَ تقتَضي محبّةَ ما أوجَبَ منَ الطّاعاتِ وامتِثالَـها، وكراهةَ ما كرِهَ[1] منَ المُحرَّماتِ واجتِنابَها، وأنَّ محبَّتَه المُستحبّةَ[2] تقتَضي محبّةَ التَّقرُّبِ إليه بالنَّوافلِ، والورَعِ عنِ دقائقِ المكروهاتِ.

والمحبّةُ الواجبةُ تقتَضي أيضًا مُخالفةَ الهوى، وإيثارَ ما يُحِبُّه الله ويرضاهُ على ما تشتَهيه النَّفسُ وتَهواهُ.

فإذا تمكَّنَتِ المحبّةُ في القلبِ وامتَلأَ القلبُ منها أخرَجَتْ[3] منَ القلبِ محبّةَ كلِّ ما يكرَهُه الله، فلم يبقَ في القلبِ سِوَى محبّةِ الله ومحبّةِ ما يُحبُّه، فلم تنبَعِثِ الجوارحُ إلّا إلى الطّاعاتِ التي تقتَضي التَّقرُّبَ إلى الله، وصارَتِ النَّفسُ حينَئذٍ مُطمئِنّةً.

وإلى هذا[4] الإشارةُ في الحديثِ الإلهيِّ: «فإذا أحبَبْتُه كنتُ سمْعَه الذي يسمَعُ به، وبصَرَه الذي يُبصِرُ به، ويدَه التي يبطِشُ بها، ورِجلَه التي يمشي بها»[5]، وقد سبَقَ ذِكرُه.

ورَوَى إبراهيمُ بنُ الـجُنَيدِ بإسنادِه عن فَرْقَدٍ السَّبَخِيِّ، قالَ: قرأتُ في بعضِ الكتُبِ: مَن أحَبَّ الله تعالى لـم يكُنْ شيءٌ عندَه آثرَ مِن هواهُ، ومَن أحبَّ الدُّنيا لـم يكُنْ شيءٌ عندَه آثرَ مِن هوَى نفسِه، والمحبّةُ مُنتَهَى القُربةِ والاجتهادِ، ولن[6] يسأَمَ المُحِبُّونَ من طُولِ اجتِهادِهم لله عزَّ وجلَّ، يُحِبُّونَه ويُحِبُّونَ ذِكرَه، ويُحبِّبُونَه إلى خلقِه،

---

(١) في (ب) و(س): «كرهه».

(٢) في (ب): «المستحسنة».

(٣) في (ب): «خرجت».

(٤) في (ب): «هذه».

(٥) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) في (س): «ولم»، وفي حاشيتها ما يوافق المثبت.

ويمشُونَ بينَ عبادِهِ بالنَّصائحِ، ويخافُونَ عليهم من أعمالِـهم يومَ تَبدُو الفَضائحُ، أولئكَ أولياءُ الله وأحبّاؤُه وأهلُ صفوَتِه، أولئِكَ الذين لا راحةَ لهم دونَ لقائِه(١).

وعن ثَورِ بنِ يزيدَ(٢) قالَ: نظَرَ الله عزَّ وجلَّ إلى داودَ عليه السَّلامُ وهو وَحدانِيٌّ مُنتَبِذٌ، فقالَ: ما لَكَ وَحْدانيٌّ؟ قالَ: عادَيْتُ الخلقَ فيكَ، قالَ: أوَ ما علِمْتَ أنَّ من محبَّتي أن تعطِفَ على عبادي، وتأخُذَ عليهم(٣) بالفَضْلِ، هُنالِكَ أكتُبُكَ من أوليائي، ومن أحبّائي، فإذا كُنتَ كذلك كتَبْتُكَ في ديوانِ أهلِ المحبّةِ(٤).

وعن عُبَيدِ الله بنِ محمَّدٍ التَّيميِّ قالَ: سمِعْتُهم يذكُرُونَ عن بعضِ أولئِكَ الضِّخامِ أنَّه قالَ: إنَّ العملَ على المخافةِ قد يُغيِّرُه الرَّجاءُ، والعملَ على المحبّةِ لا يدخُلُه الفُتُورُ(٥).

وعن عبدِ الله بنِ أبي نوحٍ قالَ: سمِعْتُ رجُلًا منَ العُبّادِ يقولُ في كلامِه: إذا سَئِمَ البطّالُونَ من بَطالَتِهم فلَنْ يسأَمَ مُحِبُّوكَ من مُناجاتِكَ وذِكرِكَ(٦).

وعن أبي جعفرٍ المُحَوَّلي، قالَ: وليُّ الله المُحِبُّ لله لا يخلُو قلبُه من ذكرِ ربِّه، ولا يسأَمُ من خِدمَتِه، فإذا أعرَضَ أعرَضَ عنه، وإذا أقبَلَ إلى الله أقبَلَ الله عليه(٧) برأفتِه ورحمتِه(٨).

---

(١) أخرجه ابن الجنيد الختلي في «المحبة» (١٣٥).

(٢) في (س): «زيد» تصحيف.

(٣) في (ب): «عنهم».

(٤) أخرجه ابن الجنيد الختلي في «المحبة» (٢٤٨).

(٥) أخرجه الختلي في «المحبة» (١٣٧).

(٦) في حاشية (ش): «بلغ مقابلة». والقول أخرجه الختلي في «المحبة» (١٤١).

(٧) في (ب): «أقبل عليه».

(٨) أخرجه الختلي في «المحبة» (١٧٠).

وعن مُسلمٍ أبي عبدِ الله قالَ: مَن أحبَّ الله عزَّ وجلَّ آثرَ هوَى الله عزَّ وجلَّ على[1] محبّةِ نفسِه، ومَن خشِيَ الله تعالى خرَجَ منَ الدُّنيا بحسراتٍ، والمُؤمنُ منَ الله عزَّ وجلَّ بمنزلةِ كلِّ خيرٍ بينَ خَوفٍ وشفَقةٍ، وطاعةٍ ومحبّةٍ[2].

وعن الفُضَيلِ بنِ عِياضٍ، قالَ: الحبُّ أفضَلُ منَ الخوفِ، أَلا ترَى إذا كانَ لك عبدانِ أحدُهما يُحبُّكَ والآخَرُ يخافُكَ، فالذي يُحِبُّكَ منهما ينصَحُكَ شاهدًا كنتَ أو غائبًا بحُبِّه إيّاك، والذي يخافُكَ عسى أنْ ينصَحَكَ إذا شهِدْتَ لِما يخافُ، ويغُشُّكَ إذا غِبْتَ ولم ينصَحْكَ[3].

وعن سعيدِ بنِ عِمرَان بن زُرارةَ قالَ: سمِعْتُ كلابَ بنَ جُرَيٍّ يقولُ لرجلٍ من الطُّفاوةِ[4] وهو يُوصيه بطرائقِ البرِّ، فقالَ له فيما يقولُ:

وكُنْ لرَبِّكَ ذا بِرٍّ لتخدُمَهُ  إنَّ المُحبِّينَ للأحبابِ خُدَّامُ

قالَ: فصاحَ الطُّفاويُّ صيحةً فسقَطَ[5] مغشِيًّا عليه[6].

وعن أبي عبدِ الرَّحمنِ المغازليِّ قالَ: لا يُعطَى طريقَ المحبّةِ غافلٌ ولا ساهٍ[7]، المُحِبُّ لله عزَّ وجلَّ طائرُ القلبِ كثيرُ الذِّكرِ، مُتَسبِّبٌ إلى رِضوانِه بكلِّ

---

(١) في (س): «على هوى».

(٢) أخرجه الختلي في «المحبة» (١٣٤).

(٣) أخرجه الختلي في «المحبة» (٩٦).

(٤) في (ش) و(ت): «من أهل الطُّفاوة». وفي حاشية (ب): «صوابه: الطُّفَأة». وهذه النسبة إلى بني أعصر بن سعد بن قيس عيلان، وأمهم طفاوة بنت جرم ابن ريان.

(٥) في (س): «فخَرَّ».

(٦) أخرجه الختلي في «المحبة» (١٢٨).

(٧) تصحفت في (ش) إلى: «شاهن».

سبيلٍ يقدرُ عليها[١] منَ الوسائلِ والنَّوافلِ ذَوبًا ذَوبًا، وشَوقًا شَوقًا[٢].

وعن محمَّدِ بنِ النَّضْرِ الحارِثيِّ، قالَ: ما يكادُ يمَلُّ القربةَ إلى الله عزَّ وجلَّ مُحِبٌّ لله عزَّ وجلَّ، ولا يكادُ يسأَمُ من ذلك[٣].

وقالَ محمَّدُ بنُ نعيمٍ المَوصلِّيُّ: إنَّ القلبَ الذي يُحِبُّ الله عزَّ وجلَّ، يُحِبُّ التَّعَبَ والنَّصَبَ لله، إنَّه لن يُنالَ حُبُّ الله بالرّاحةِ[٤].

وذكرَ ابنُ أبي الدُّنيا بإسنادِه[٥] أنَّ رجلًا قالَ لبعضِ العارِفين[٦]: أَوصِني، قالَ: اقْتَنِ[٧] فعل الخيراتِ، وتوَصَّلْ إلى الله بالحسناتِ؛ فإنِّي لم أرَ شيئًا قطُّ أرضَى للسَّيِّدِ ممّا يُحِبُّ، فبادِرْ[٨] محبَّتَه يُسرِعْ في محبَّتِك، ثمَّ بكَى، فقال له: زِدْني رحمَكَ[٩] الله، قالَ: الصَّبرُ على محبّةِ الله وإرادتِه رأسُ كلِّ برٍّ، أو قالَ: كلِّ خيرٍ[١٠].

واجتمعَ أحمدُ بنُ أبي الحوارِيِّ، وقاسِمٌ الجُوعِيُّ، وجماعةٌ منَ الصّالحينَ بعد

---

(١) في (ب): «سبب قدر عليها».

(٢) في حاشية (س): «وسومًا سومًا» ولا وجه له، وجاءت: «ذوباً» مهملة في (ب) و(س) «دَوْباً»، وهي كذلك في «المحبة» للختلي (٣٥).

(٣) أخرجه الختلي في «المحبة» (٢١).

(٤) أخرجه ابن الجنيد الختلي في «المحبة» (٢٩)، وليس في المطبوع ذكر محمد بن نعيم الموصلي.

(٥) في حاشية (ش): «قف على هذا الكلام إلى آخره».

(٦) في (ب): «العابدين».

(٧) تصحفت في (س) إلى: «أفش»!

(٨) في (س): «فبادر في».

(٩) في (ب): «يرحمك».

(١٠) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب عليه» (١٨٢)، وهو سؤال من قرة النحات لعابد من أهل الأردن ممن كان يأوي جبالها.

صلاةِ العَتَمةِ، وقد خرَجُوا منَ المسجدِ إلى بيتِ رجلٍ قد دَعاهُم إلى طعامٍ صنَعَه لهم، فأنشَدَهم رجلٌ قبلَ دُخولِ البابِ[١]:

علامةُ صِدقِ المُستَخِصِّينَ بالحبِّ ... بُلوغُهم المجهودَ في طاعةِ الرَّبِّ

وتحصيلُ طيبِ القُوتِ من مُجتنائِهِ ... وإنْ كانَ ذاكَ القُوتُ في مُرتَقًى صعبِ

فلم يزَلْ يُرَدِّدُه وهم قيامٌ حتَّى أذَّنَ مُؤذِّنُ الفجرِ، ورجَعُوا إلى المسجدِ، وقد رُويت[٢] بيتانِ آخرانِ مع هذينِ البيتَينِ، وهما:

وإمساكُ سُوءِ اللَّفظِ عن ولدِ جنسِهم ... وإنْ ظلَمُوا فالعفوُ[٣] من ذاك بالخطبِ[٤]

أولئكَ بالرَّحمنِ قرَّتْ عُيونُهم ... وحلُّوا منَ الإخلاصِ بالمنزلِ الرَّحبِ[٥]

وقالَ مُضَرُ: اجتمَعْنا ليلةً على السّاحلِ ومعَنا مسلمٌ أبو عبدِ الله، فقال رجلٌ منَ الأزْدِ:

ما للمُحِبِّ سِوَى إرادةِ حُبِّه ... إنَّ المُحِبَّ بكُلِّ برٍّ يضرَعُ[٦]

قال: فبكَى مُسلمٌ حتَّى خشِيْتُ والله أن يموتَ. خرَّجَه ابنُ أبي الدُّنيا[٧].

---

(١) في (ب): «الدار»، وفي حاشيتها ما يوافق المثبت.

(٢) هكذا في النسخ.

(٣) في حاشية (س): «بالعفو».

(٤) في «المحبة»: «فالعفو من ذلك الخطب».

(٥) أورد الشعر كله ابن الجنيد الختلي في «المحبة» (١٦٠) دون القصة، وأخرج القصة دون البيتين الأخيرين: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ١٢٤).

(٦) في حاشية (س): لعله: «يصدع». ولا حاجة إليه.

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (١٢١).

## البابُ الخامسُ
## في استلذاذِ المُحبِّينَ بكلامِ محبوبِهم، وأنَّه غذاءُ قلوبِهم وغايةُ مطلوبِهم

خرَّجَ ابنُ ماجَه[١] من روايةِ مُوسى بنِ عُبَيدةَ، عن سعيدٍ المَقبُرِيِّ، عن الأَدْرَعِ السُّلَميِّ قالَ: كانَ رجلٌ يقرأُ قراءةً عاليةً، فماتَ بالمدينةِ، فحمَلُوا نعشَه، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «ارفُقُوا به رفَقَ اللهُ به، إنَّه كان يُحِبُّ الله ورسولَه»، قالَ: وحضَرَ حُفرتَه، فقالَ: «أوسِعُوا له وسَّعَ الله عليه»، فقالَ بعضُ أصحابِه: يا رسولَ الله، لقد حزِنْتَ عليه؟ قالَ: «أجَلْ، إنَّه كانَ يُحِبُّ اللهَ ورسولَه»[٢].

ورَوَى أبو إسحاقَ عن عبدِ الرَّحمنِ بنِ يزيدَ، عنِ ابنِ مسعودٍ قالَ: لا يسألْ عبدٌ عن نفسِه إلّا القُرآنَ، فإنْ كانَ يُحِبُّ القُرآنَ فإنَّه يُحِبُّ اللهَ ورسولَه[٣].

ورواهُ الحرُّ بنُ مالكٍ، عن شُعبةَ، عن أبي إسحاقَ، عن أبي الأحوَصِ، عن عبدِ الله مرفوعًا: «مَن سرَّه أن يُحِبَّ الله ورسولَه فليقرَأْ في المُصحَفِ»[٤]، والموقوفُ أصحُّ.

ورُوِّينا[٥] من طريقِ سلَمةَ بنِ كُهَيْلٍ، عن عبدِ الرَّحمنِ بنِ يزيدَ، عنِ ابنِ مسعودٍ

---

(١) زاد في (س): «والترمذي» وهذا خطأ ظاهر، فالترمذي لم يخرجه.

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٥٥٩).

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٠٩٧)، وأخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٥٢)، وابن الجعد في «مسنده» (١٩٥٦)، والطبراني (٨٦٥٧)، والبيهقي في «الشعب» (٢٠١٧).

(٤) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (ترجمة الحر بن مالك)، وابن المقرئ في «معجمه» (٤٩٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٠٩) وقال: «غريب تفرد به الحر بن مالك»، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٠٢٧). قال ابن عدي والبيهقي: منكر.

(٥) في (س): «ورويناه».

قالَ: مَن كانَ يُحِبُّ أن يعلَمَ أنَّه يُحِبُّ اللهَ عزَّ وجلَّ فليعرِضْ نفسَه على القرآنِ، فمَن أحبَّ القرآنَ فهو يُحِبُّ الله عزَّ وجلَّ، فإنَّما القرآنُ كلامُ الله عزَّ وجلَّ، فمَن أحبَّ القرآنَ فهو يُحِبُّ الله عزَّ وجلَّ[1].

وقالَ أحمدُ بنُ أبي الحوارِيِّ: سمِعْتُ ابنَ عُيَينَةَ يقولُ: لا تبلغوا ذِرْوةَ هذا الأمرِ حتَّى لا يكونَ شيءٌ أحبَّ إليكم منَ الله عزَّ وجلَّ، فمَن أحبَّ القرآنَ فقد أحبَّ الله عزَّ وجلَّ[2].

قال أحمدُ بنُ أبي الحواريِّ: وسمِعْتُ محمَّدَ بنَ حفصٍ يذكرُ عن عُروةَ الرَّقِّيِّ قالَ: حُبُّ الله عزَّ وجلَّ: حُبُّ القرآنِ، وحُبُّ رسولِه ﷺ: العملُ بسُنَّتِه[3].

وقالَ أبو سعيدٍ الخرّازُ: مَن أحبَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أحبَّ كلامَه، ولم يشبَعْ من تلاوتِه[4].

وقالَ أبو طالبٍ المكِّيُّ[5]: قالَ سهلُ بنُ عبدِ الله: علامةُ حُبِّ الله حُبُّ القُرآنِ[6].

قالَ[7]: ورُوِّينا عن أبي تُرابٍ النَّخشَبِيِّ هذه الأبياتَ:

لا تُخدَعَنَّ فللمُحِبِّ دلائِلُ ... ولدَيه مِن تُحَفِ الحبيبِ وسائلُ

---

(١) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في «السنة» (١٢٥)، وهو في أمالي ابن سمعون الواعظ (١٧١). وفي حاشية (ش): «قف على هذا الكلام البديع».

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٧١ - ٣٠٢)، والبيهقي في «الشعب» (٤٠٧).

(٣) أخرجه الختلي في «المحبة» (١٩٧).

(٤) نقله المصنف رحمه الله أيضاً في «نزهة الأسماع».

(٥) في حاشية (س): «بلغ».

(٦) «قوت القلوب» (٢/ ٨٨) وقد سبق ذكره بتمامه.

(٧) أي: أبو طالب المكي.

منها تنَعُّمُه بمُرِّ بلائِه ... وسرورُه في كلِّ ما هو فاعِلُ

فالمنعُ منه عطيّةٌ مقبولةٌ ... والفقرُ إكرامٌ وبرٌّ عاجِلُ

ومنَ الدّلائلِ أن يرَى مِن عَزْمِه ... طوعَ الحبيبِ وإنْ ألَحَّ[1] العاذِلُ

ومِنَ الدّلائلِ أن يُرَى مُتبسِّمًا ... والقَلبُ فيه منَ الحبيبِ بلابِلُ

ومنَ الدّلائلِ أن يُرَى مُتَفَهِّمًا ... لكلامِ[2] مَن يحظَى لدَيهِ السّائِلُ

ومنَ الدّلائلِ أن يُرَى مُتَقَشِّفًا ... مُتَحَفِّظًا في كلِّ ما هو قائِلُ[3]

وقالَ أبو طالبٍ: حدَّثُونا عن بعضِ المُريدينَ قالَ: وجَدْتُ حلاوةَ المُناجاةِ في شِدَّةِ[4] الإرادةِ فأدْمَنْتُ على قراءةِ القرآنِ ليلًا ونهارًا، ثمَّ لَحِقَتني[5] فترةٌ، فانقطَعْتُ عنِ التِّلاوةِ فسمِعْتُ قائلًا يقولُ في المنامِ:

إنْ كُنْتَ تزعُمُ حُبِّي ... فلِمْ جَفَوْتَ كتابي

أمَا تَدَبَّرت ما فيـ ... ـهِ من لطيفِ عِتابي

قالَ: فانتبَهْتُ وقد أُشرِبَ قلبي محبّةَ القرآنِ، فعاوَدْتُ إلى حاليَ الأُولَى[6].

---

(١) في (ب): «ألح به».

(٢) في (ب): «بكلام».

(٣) «قوت القلوب»، لأبي طالب المكي (٢/ ١٠٣).

(٤) سقطت اللفظة من (ب)، والتي تليها من (ت). وتصحفت في (س) إلى: «سر الإرادات». وشدة الإرادة: هي حال حدة الإقبال والتعبد والانقطاع إلى الله سبحانه وتعالى.

(٥) في (س): «الحقني».

(٦) في (ب): «الأول». وفي حاشية (ت): «بلغ» وذكر القصة: أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (١/ ١٠٥)، (٢/ ٨٨)، والموضع الثاني أقرب لما ذكره المصنف هنا. وأورد القصة ابن العديم في «بغية الطلب في تاريخ حلب» (٢/ ٦٠٩) بسنده إلى أحمد بن جعفر الأرتاحي، وهو الذي سمع ذلك من شيخ كبير بأولاس ـ حصن على ساحل بحر الشام قرب طرسوس ـ رحمهم الله.

# البابُ السّادِسُ
# في أُنسِ المُحبِّينَ باللّه، وأنَّه ليس لهم مقصودٌ منَ الدُّنيا والآخرةِ سِواهُ

ثبَتَ في «الصَّحيحَينِ» والسُّنَنِ والمسانيدِ من غيرِ وجهٍ أنَّ جبريلَ سألَ النَّبيَّ ﷺ عنِ الإحسانِ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «الإحسانُ أن تعبُدَ الله كأنَّكَ تراهُ، فإنْ لم تكُنْ تراهُ فإنَّه يراكَ»[١].

قالَ بعضُ العارفات[٢] منَ السَّلَفِ: مَن عمِلَ لله على المُشاهدةِ فهو عارِفٌ، ومَن عمِلَ على مُشاهدةِ الله إيّاه فهو مُخلِصٌ[٣].

**فهذانِ مقامانِ:**

**أحدُهما: الإخلاصُ**، وهو أن يعملَ العبدُ على استحضارِ مُشاهدةِ الله إيّاهُ، واطِّلاعِه عليه، وقُربِه منه، فإذا استحضَرَ العبدُ ذلك في عمَلِه وعمِلَ على هذا المقامِ فهو مُخلِصٌ لله؛ لأنَّ استِحضارَه ذلك في عمَلِه[٤] يمنَعُه منَ الالتفاتِ إلى غيرِ الله وإرادتِه بالعملِ.

**والثّاني: المعرفةُ التي تستلزِمُ المحبّةَ الخاصّةَ**، وهو[٥] أن يعمَلَ العبدُ على

(١) هو أول حديث في «صحيح مسلم» من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في (ش) و(ت) و(س): «العارفين».

(٣) هو من كلام فاطمة النيسابورية، المتوفاة (٢٢٣هـ) رحمها الله تعالى. نقله ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٣١٥).

(٤) في (س): «علمه».

(٥) في (ب): «وهي».

مُشاهدةِ الله بقَلبِه[١]، وهو أن يتنوَّرَ قلبُه بنورِ الإيمانِ، وتنفُذَ بصيرتُه في العِرفانِ حتَّى يصيرَ الغَيبُ عندَه كالعِيانِ، وهذا هو مقامُ الإحسانِ المُشارُ إليه في حديثِ جبريلَ عليه السَّلامُ، ويتَفاوَتُ أهلُ هذا المقامِ فيه بحسَبِ قوّةِ نُفوذِ البصائرِ.

وقد فسَّرَ طائفةٌ منَ العلماءِ المثَلَ الأعلى المذكورَ في قولِه تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧] بهذا، ومثلُه قولُه تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥] الآية، وقد فسَّرَها أُبيُّ بنُ كعبٍ وغيرُه منَ السَّلَفِ بأنَّ المُرادَ مثلُ نورِ الله في قلبِ المُؤمنِ[٢].

ومن هذا حديثُ حارثةَ المشهورُ لـمّا قالَ للنَّبيِّ ﷺ: وكأنِّي أنظرُ إلى عرشِ ربِّي بارزًا، وكأنِّي أنظرُ إلى أهلِ الجنّةِ يتزاوَرُونَ فيها، وإلى أهلِ النّارِ يتعاوَوْنَ فيها، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «عرَفْتَ فالزَمْ، عبدٌ نوَّرَ الله الإيمانَ في قلبِه»، وهذا الحديثُ رُوِيَ مُرسلًا[٣]، ورُوِيَ مُسنَدًا مُتَّصلًا[٤]، لكنْ من وُجوهٍ ضعيفةٍ.

وخطَبَ عُروةُ إلى ابنِ عمرَ ابنتَه وهما في الطَّوافِ فلم يُجِبْه بشيءٍ، ثمَّ رآهُ بعد ذلك فاعتَذَرَ إليه، وقالَ: كنّا في الطَّوافِ نتَخايَلُ الله بينَ أعيُنِنا، خرَّجَه أبو نُعَيمٍ وغيرُه[٥].

---

(١) في (ش) و(ت): «مشاهدته بقلبه».

(٢) هذا تفسير المشكاة: روى ابن أبي حاتم (١٤٥٦١)، والطبري (١٧/ ٣٠٢) من طريق أبي العالية عن أبي بن كعب: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ قال: «مثل المؤمن قد جعل الإيمان والقرآن في صدره كمشكاة. قال: المشكاة صدره، والمصباح القرآن والإيمان الذي جعل في صدره، والزجاجة قلبه».

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣١٤)، وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٠٦٤) من وجه آخر.

(٤) أخرجه عبد بن حميد (٤٤٥)، والطبراني في «الكبير» (٣٣٦٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠١٠٧).

(٥) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٠٩)، فأين من هذا من يتشاغلون عن طوافهم بالأبنية المتطاولة، أو بأجهزة الاتصال بالخلق والانقطاع عن الخالق، وغير ذلك مما استجد في آخر الزمان؟!

ويتولَّدُ من هذَينِ المقامَينِ للعارِفينَ مقامُ الحياءِ منَ الله عزَّ وجلَّ، وقد أشارَ النَّبيُّ ﷺ إلى ذلك في حديثِ بَهْزِ بنِ حكيمٍ عن أبيه، عن جدِّه، أنَّه سُئِلَ عن كشفِ العورةِ خاليًا فقالَ: «الله أحَقُّ أن يُستَحْيا منه»[1].

وقد ندَبَ النَّبيُّ ﷺ إلى دوامِ استِحضارِ معيّةِ الله وقُربِه، وإلى الحياءِ منه بذلك في غيرِ حديثٍ، كما دلَّ عليه قولُه تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] الآية، وقولُه تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١] الآية.

وخرَّجَ البزّارُ من حديثِ عبدِ الله بنِ مُعاويةَ الغاضِرِيِّ، أنَّ رجلًا قالَ: يا رسولَ الله، ما تزكيةُ المرءِ نفسَه؟ قالَ: «أنْ يعلَمَ[2] أنَّ الله معَه حيثُ كانَ»[3].

وخرَّجَ الطَّبرانيُّ من حديثِ عُبادةَ بنِ الصّامتِ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «أفضَلُ الإيمانِ أن تعلَمَ أنَّ الله معَكَ حيثُ كُنْتَ»[4].

وبإسنادٍ فيه نظرٌ من حديثِ أبي أُمامةَ، عن النَّبيِّ ﷺ: «ثلاثةٌ في ظلِّ الله يومَ لا ظِلَّ إلّا ظِلُّه، رجلٌ حيثُ توجَّهَ علِمَ أنَّ الله تعالى معَه...»[5].

---

(١) علقه البخاري قبل حديث (٢٧٨)، وأخرجه أحمد (٢٠٠٣٤)، وأصحاب السنن.

(٢) في (ش) و(ت): «قال: يعلمُ» وهو موافق لبعض المصادر، والمثبت من (ب) و(س) موافق لبعضها.

(٣) لم أجده في «مسند البزار»، وأخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٠٦٢)، والطبراني في «الصغير» (٥٥٥)، والبيهقي في «الشعب» (٣٠٢٦).

(٤) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٧٩٦) وفي «مسند الشاميين» (١/ ٣٠٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٢٤). وغيرهما.

(٥) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٩٣٥) وتتمته: «... ورجل دعته امرأة إلى نفسها فتركها من خشية الله، ورجل أحب بجلال الله عز وجل».

ومن حديثِ سعيدِ بنِ يزيدَ الأزْدِيِّ، أنَّه قالَ للنَّبيِّ ﷺ: أَوْصِني، قالَ: «أُوصيكَ أن تستَحِيَ منَ اللهِ كما تستَحِيْ رجُلًا صالحًا من صالحِي قومِكَ»[١].

ورُوِّينا[٢] بإسنادٍ فيه ضعفٌ من حديثِ أبي أُمامةَ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «استَحِ[٣] منَ اللهِ استحياءَكَ من رجُلَينِ من صالحِي عشيرَتِكَ، هما معَكَ لا يُفارِقانِكَ»[٤].

وفي هذا المعنى يقولُ بعضُهم:

كأنَّ رقيبًا منكَ يرْعَى خَواطِري ... وآخرَ يرعَى ناظِري ولسانِي

فما أبصَرَتْ عينايَ بعدَكَ مَنْظَرًا ... لغيرِكَ إلّا قُلتُ: قد رَمَقاني

ولا بدَرَتْ من فِيَّ بَعدَكَ لفْظَةٌ ... لغيرِكَ إلّا قُلتُ: قد سَمِعاني

ولا خطَرَتْ من ذكرِ غيرِكَ خطرةٌ ... على القلبِ إلّا عرَّجا بعِناني

إذا ما تَسَلَّى القاعِدُونَ عنِ الهوَى ... بذكرِ فُلانٍ أو كلامِ فُلانِ

وجَدْتُ الذي يُسلِي[٥] سِوايَ يَشُوْقُني ... إلى قُربِكُم حتَّى أمَلَّ مكاني

وإخوانِ صِدقٍ قد سئِمْتُ لقاءَهُم ... وغَضَضْتُ طَرْفي عنهمُ ولِساني

وما البُغْضُ أَسلى[٦] عنهُمُ غيرَ أنَّني ... أراكَ على كلِّ الجِهاتِ تَراني[٧]

---

(١) في (ش) و(ت): «أن تستحيي من الله كما تستحيي رجلًا صالحاً من صالح قومك». والحديث أخرجه أحمد في «الزهد» (٢٤٨)، والطبراني في «الكبير» (٥٥٣٩). والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٣٤٣)، والضياء المقدسي في «المختارة» (١٠٩٩).

(٢) في (ت) و(س): «ورُوِّيناه».

(٣) في (ش) و(ت): «استحيي»، وفي «الكامل»: «استحي».

(٤) أخرجه ابن عدي في «الكامل» في ترجمة جعفر بن الزبير (٢/ ٣٦٥)، وأشار البيهقي إلى ضعفه في «الشعب» (٧٣٤٣).

(٥) في (ش) و(ت): «يسلا»، وفي (ب): «يسلو»، وفي (س): «يشكي»، وفي حاشيتها: المثبت.

(٦) وفي (ب): «أسلوا».

(٧) قال المصنف ابن رجب رحمه الله في آخر «كشف الكربة»: «ولأبي عبادة البحتري في هذا المعنى =

ويتولَّدُ من ذلك أيضًا: الأُنسُ بالله، والخلوةُ لمُناجاتِه وذكرِه، واستِثقالُ ما يشغَلُ عنه من مُخالطةِ النّاسِ والاشتغالِ بهم.

وقد صحَّ عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «إنَّ أحدَكُم إذا كانَ يُصلِّي فإنَّما يُناجِي ربَّه»، أو: «ربُّه بينَه وبينَ القِبلةِ»[(١)].

وأنَّه قالَ: «إنَّ الله قِبَلَ وجهِه إذا صلَّى»[(٢)].

وفي حديثِ الحارثِ الأشعَريِّ، عن النَّبيِّ ﷺ: «إنَّ الله ينصِبُ وجهَه لوجهِ عبدِه في صلاتِه ما لم يلتَفِتْ»[(٣)].

وفي حديثِ أبي هُريرةَ، وأبي الدَّرداءِ، عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «يقولُ الله عزَّ وجَلَّ: أنا معَ عَبدي إذا ذكرَني وتحرَّكَتْ بي شفتاهُ»[(٤)].

وصحَّ من حديثِ أبي هُريرةَ، عنِ النَّبيِّ ﷺ: «يقولُ الله عزَّ وجلَّ: أنا عندَ[(٥)] ظَنِّ عبدِي بي، وأنا معَه حيثُ يذكُرُني، فإنْ[(٦)] ذكرَني في نفسِه ذكرتُه في نفسي، وإنْ

---

= أبيات حسنة، لكنه أساء بقولها في مخلوق، وقد أصلحت منها كلمات حتى استقامت على الطريقة». فذكرها. ونسب الأبيات للبحتري: التنوخي في «نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة» (٦/ ١٤٥). ولم أجدها في ديوان البحتري. ونسب الجرجاني البيت الأول في كتابه «الوساطة بين المتنبي وخصومه» (ص: ٢١٨) إلى محمد بن داود.

(١) أخرجه البخاري (٤٠٥) واللفظ له، ومسلم (٥٥١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٦)، ومسلم (٥٤٧) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١٧١٧٠)، و(١٧٨٠٠) في ضمن حديث طويل، والترمذي (٢٨٦٣) (٢٨٦٤) وقال: «حسن صحيح غريب».

(٤) علقه البخاري قبل حديث (٧٥٢٤) عن أبي هريرة. وأخرجه من حديثه: الإمام أحمد (١٠٩٦٨)، وابن ماجه (٣٧٩٢). وأخرجه الحاكم (١/ ٤٦٩) من حديث أبي الدرداء.

(٥) في (ش) و(ب): «مع».

(٦) في (ش): (فإذا».

ذكَرَني في ملأٍ ذكرْتُه في ملأٍ خيرٍ منهم، وإن اقترَبَ إليَّ شبرًا اقترَبْتُ إليه ذِراعًا، وإن اقترَبَ إليَّ ذراعًا اقترَبْتُ إليه باعًا، وإنْ أتاني يمشي أتيتُه هَرولةً»[١].

ويُروَى[٢] بإسنادٍ فيه نظرٌ، عن أنسٍ مرفوعًا: «إذا أحَبَّ أحدُكم أن يُحدِّثَ ربَّه فليَقْرَأْ»[٣].

وقالَ ثَورُ بنُ يزيدَ: قرأتُ في التَّوراةِ أنَّ عيسى عليه السَّلامُ قالَ: يا معشَرَ الحوارِيِّينَ كلِّمُوا الله كثيرًا، وكلِّمُوا النّاسَ قليلًا، قالوا: كيفَ نُكلِّمُ الله كثيرًا؟ قالَ: اخلُوا بمُناجاتِه، اخلُوا بدُعائِه، خرَّجَه أبو نُعَيمٍ[٤].

والتَّوراةُ اسمُ جنسٍ للكتُبِ المُتقَدِّمةِ كلِّها، وتُسمَّى أيضًا إنجيلًا وقرآنًا.

وخرَّجَ أيضًا بإسناده[٥] عن رياحٍ[٦] قالَ: كانَ عندَنا رجلٌ يُصلِّي كلَّ يومٍ وليلةٍ ألفَ ركعةٍ حتَّى أُقعِدَ من رجلَيه، فكانَ يُصلِّي جالسًا ألفَ ركعةٍ، فإذا صلَّى العصرَ احتَبى فاستقبَلَ القِبلةَ، ويقولُ: عجِبْتُ للخليقَةِ كيفَ أنِسَتْ بسِواكَ، بل عجِبْتُ للخليقةِ كيفَ استنارَتْ قلوبُها بذكرِ سِواكَ[٧].

ورُوِّينا من حديثِ أبي أسامةَ قالَ: دخلْتُ على محمَّدِ بنِ النَّضْرِ الحارِثيِّ،

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٢) في (س): «ورويناه».

(٣) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٨/ ١٦٥).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٩٤) (٦/ ١٩٥).

(٥) في (س): «بإسناد فيه ضعف».

(٦) وهو رياح بن عمرو القيسي، المتخشع البكاء، المتضرع الدَّعَّاء.

(٧) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٩٥). وفي (ش) و(ت): «استنارت قلوبهم».

فرأيتُه كأنَّه ينقَبِضُ، فقُلتُ: كأنَّكَ تكرَهُ أن تُؤتَى، قالَ: أجَلْ، قُلتُ: أوَما تستَوْحِشُ؟ قالَ: كيفَ أستَوْحِشُ وهو يقولُ: أنا جليسُ مَن ذكَرَني[(١)].

وقالَ بكرٌ المُزَنيُّ: مَن مثلُكَ يا ابنَ آدمَ خُلِّيَ بينَكَ وبينَ المِحرابِ والماءِ، كلَّما شئْتَ دخلْتَ على الله عزَّ وجلَّ، ليس بينَكَ وبينَه ترجُمانٌ. خرَّجَه عبدُ الله بنُ الإمامِ أحمدَ[(٢)].

ورَوَى ابنُ أبي الدُّنيا بإسنادِه، عن شُمَيْطِ بنِ عَجْلانَ قالَ: إنَّ الله تعالى وسَمَ الدُّنيا بالوَحْشةِ ليكونَ أُنسُ المُطيعينَ[(٣)] به[(٤)].

وعن حبيبٍ أبي محمَّدٍ: أنَّه كانَ يخلُو في بيتِه ثمَّ يقولُ: مَن لم تقرَّ عينُه بكَ فلا قرَّتْ، ومَن لم يأنَسْ بكَ فلا أنِسَ[(٥)].

وعن زكريّا بنِ عديٍّ قالَ: سمِعْتُ عابدًا باليمنِ يقولُ: سرورُ المُؤمنِ ولذَّتُه في الخلوةِ بمُناجاةِ سيِّدِه عزَّ وجلَّ[(٦)].

وعن أحمدَ بنِ أبي الحوارِيِّ قالَ: حدَّثَني أبو عبدِ الرَّحمنِ الأَزْدِيُّ قالَ: مرَرْتُ برجلٍ ببيروتَ مُدلِّي الرِّجلَينِ في البحرِ يُكبِّرُ فقُلْتُ له: يا شابُّ، ما لَكَ جالسٌ وحدَكَ؟ قالَ: اتَّقِ اللهَ ولا تقُلْ إلّا حقًّا، ما كنتُ قطُّ وَحدِي منذُ ولدَتْني أُمِّي، إنَّ معيَ ربِّي عزَّ وجلَّ حيثُما كُنْتُ، ومعيَ ملَكانِ يحفَظانِ عليَّ، وشيطانٌ ما[(٧)]

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢١٧).

(٢) في زوائده على «الزهد» (١٧٥٢).

(٣) في حاشية (س): «المطيعين أو المنقطعين»، وفي (ب): «المنقطعين». وهو خطأ.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (٩٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٣٠) ولعل من ذكره غيره اقتبسه من كلامه.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (١٠٣).

(٦) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (٤٨)، وابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (٤٤).

(٧) في (ب): «لا».

يُفارِقُني، فإذا عرَضَتْ لي حاجةٌ إلى ربِّي سألتُه إيّاها بقَلبي فجاءَني بها[١].

وعن إبراهيمَ بنِ أدهَمَ قالَ: اتَّخِذِ الله صاحِبًا ودَعِ النّاسَ جانِبًا[٢].

وعن عبدِ الواحدِ بنِ زيدٍ قالَ: كانَ أصحابُ غَزْوانَ يقولُونَ له: ما يمنَعُكَ عن مُجالسةِ إخوانِكَ؟ فيبكي ويقولُ: إنِّي أَصَبْتُ راحةَ قلبي في مُجالسةِ مَن لدَيه حاجَتي[٣].

وعن مُسلمِ بنِ يسارٍ قالَ: ما تلذَّذَ المُتلذِّذُونَ بمثلِ الخلوةِ بمُناجاةِ الله عزَّ وجلَّ[٤].

وعن عبدِ العزيزِ[٥] الرّاسبيِّ، وكانَتْ رابِعةُ تُسمِّيه سيِّدَ العابدين أنَّه قيلَ له: ما بقِيَ ممّا تتلَذَّذُ به؟ قالَ: سِرْدابٌ أخلُو به فيه[٦].

وعن مُسلمٍ العابدِ قالَ: لولا الجماعةُ ـ يعني الصَّلاةَ في الجَمْعِ ـ ما خرَجْتُ من بابي أبدًا حتَّى أموتَ.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٨٩)، و«العزلة والانفراد» (١٥١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٧/ ٦١).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (١٧١)، وذكره أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٣٧٣). وأخرجه ابن منده في «مسند إبراهيم بن أدهم الزاهد» (ص: ٤٨)، وفيه قصة لإبراهيم مع أبي جعفر.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (١٧٨).

(٤) أخرجه جعفر الخلدي في «الفوائد والزهد والرقائق والمراثي» (٢٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٩٤).

(٥) في (ب) و(س): «عبد العزيز بن سليمان».

(٦) في (س): «أخلو بربي»، وفي المصادر: «أخلو فيه». أخرجه ابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (١٨٢) والبيهقي في «الزهد الكبير» (١٦١).

وقالَ: ما يجدُ المُطيعُونَ لله لذّةً في الدُّنيا أحلَى منَ الخلوةِ بمُناجاةِ سيِّدِهم، ولا أحسَبُ لهم في الآخرةِ من عظيمِ الثَّوابِ أكبرَ في صُدُورِهم وألَذَّ في قُلوبِهم منَ النَّظرِ إليه، ثمَّ غُشِيَ عليه[١].

وعن شُعَيبِ بنِ حَرْبٍ قالَ: دخَلْتُ على مالكِ بنِ مِغْوَلٍ وهو جالسٌ في بيتِه وحدَه فقُلتُ: ألا تَستَوحِشُ؟ قالَ: وَيستَوحِشُ معَ الله أحدٌ؟[٢].

وعن يحيى بنِ سعيدٍ قالَ: قالَ نصرُ بنُ يحيَى بنِ أبي كثيرٍ وكانَ منَ الحكماءِ: لم نجِدْ شيئًا أبلَغَ منَ الزُّهدِ في الدُّنيا من ثَباتِ حُزن الآخرةِ في قلبِ العبدِ، ومَن ثبَتَ ذلك في قلبِه آنَسَه بالوَحدةِ، فأَنِسَ بها واستَوْحَشَ منَ المخلوقينَ. فأوَّلُ ما يهيجُ من حُبِّ الخلوةِ طلَبُ العبدِ الإخلاصَ والصِّدقَ في جميعِ قولِه وفعلِه، فيما بينَه وبينَ ربِّه، ويهيجُ منها الزُّهدُ في معرفةِ النّاسِ والأُنسُ بالله تبارَكَ وتعالى، ويهيجُ منها الوحشةُ منَ النّاسِ والاستِثقالُ لكلامِهم[٣]، والأُنسُ بكلامِ ربِّ العالَمين[٤].

ويُروَى عن إبراهيمَ بنِ أدهَمَ قالَ: أعلَى الدَّرجاتِ أن تنقَطِعَ إلى ربِّكَ وتستأنِسَ إليه بقلبِكَ وعقلِكَ وجميعِ جوارِحِكَ، حتَّى لا ترجُوَ إلّا ربَّكَ، ولا تخافَ إلّا ذنبَكَ، وترسخَ محبَّتُه في قلبِكَ، حتَّى لا تُؤْثِرَ عليها شيئًا[٥]، فإذا كنتَ

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (١٩٠)، لكن في المطبوع منه: «سلمة العابد». وفي (س): «من النظر إلى الله».

(٢) في (س): «أويستوحش»؟. أخرجه جعفر الخلدي في «الفوائد والزهد والرقائق والمراثي» (١٨)، وابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (٥٢)، والخطابي في «العزلة» (ص ١٦).

(٣) في (ش) و(ب): «بكلامهم».

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (٢٠٨) مطولًا، وما هنا مختصر.

(٥) في (س): «شيئًا عليه».

كذلك لم تُبالِ في برٍّ كنتَ أو في بحرٍ، أو في سهلٍ أو في جبلٍ، وكانَ شوقُكَ بلقاءِ الحبيبِ شوقَ الظَّمآنِ إلى الماءِ الباردِ، وشوقَ الجائعِ إلى الطَّعامِ الطَّيِّبِ، ويكونَ ذكرُ الله عزَّ وجلَّ عندَكَ أحلَى مَن العسلِ، وأشهَى منَ الماءِ العذبِ الصّافي عند العطشانِ في اليومِ الصّائفِ[1].

وقالَ الفُضَيلُ: طُوبَى لِمَن استوحشَ منَ النّاسِ، وكانَ الله أنيسَه[2].

وقالَ أبو سُليمانَ: لا آنَسني الله إلّا به أبدًا[3].

وقالَ رجلٌ لمعروفٍ الكَرْخيِّ: أَوْصِني، قالَ: توكَّلْ على الله حتَّى يكونَ جليسَكَ وأَنيسَكَ، وموضِعَ شكواكَ، وأكثِرْ ذِكرَ الموتِ حتَّى لا يكونَ لك جليسٌ غيرُه، واعلَمْ أنَّ الشِّفاءَ لِما نزَلَ بكَ كِتمانُه، وأنَّ النّاسَ لا ينفَعُونَكَ ولا يضُرُّونَكَ، ولا يُعطُونَكَ ولا يمنَعُونَكَ[4].

وقالَ سعيدُ بنُ عثمانَ: سمِعْتُ ذا النُّونِ يقولُ: من علامة[5] المُحِبِّ لله تركُ كلِّ ما يشغَلُه عنِ الله، حتَّى يكونَ الشُّغْلُ بالله وحدَه.

ثمَّ قالَ: إنَّ من علامةِ[6] المُحبِّينَ لله أن لا يأنَسُوا بسِواه، ولا يستَوحِشُوا معَه.

---

(١) ذكره المصنف أيضاً في «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٣٣).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٠٨).

(٣) أورده الإمام الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٠١ ـ ط دار المعرفة)، وذكره المصنف أيضاً في «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٣٤)، وفي «شرح حديث: إن أغبط أوليائي».

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التوكل على الله» (٣٧).

(٥) في (س): «علامات».

(٦) في (س): «علامات».

ثمَّ قالَ: إذا سكَنَ حُبُّ الله القلبَ أَنِسَ بالله؛ لأنَّ الله أجَلُّ في صدورِ العارِفينَ من أن يُحِبُّوا سِواهُ[١].

وكانَتْ رابعةُ[٢] تُنشِدُ هذَينِ البيتَينِ:

ولقَـدْ جعَلْتُـكَ فـي الفُـؤادِ مُحدِّثـي ... وأَبَحْـتُ جِسْـمِي مَـن أرادَ جُلوسـي

فالجِسْـمُ منِّـي للجـليسِ مُـؤانِـسٌ ... وحبيـبُ قَلبـي فـي الفُـؤادِ أَنيسـي[٣]

ورُؤِيَ بعضُ العارِفينَ يُصلِّي في مكانٍ وحدَه، فلمّا سلَّمَ قيلَ له: ما معَكَ مُؤنِسٌ؟ قالَ: بلى، قيلَ له: أينَ هو؟ قالَ: أمامي وخَلْفي ومعي، وعن يميني وعن شِمالي وفَوقي، قيلَ له: معَكَ زادٌ؟ قالَ: نعَمْ، الإخلاصُ، قيلَ له: أمَا تَسْتَوحِشُ وحدَكَ[٤]؟ قالَ: إنَّ الأُنسَ بالله قطَعَ عنِّي كلَّ وحشةٍ، حتَّى لو كنتُ بينَ السِّباعِ ما خِفْتُها[٥].

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في «الزهد والرقائق» (٧٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧/ ٤١٧).

(٢) في (س) وحدها: «رابعة العدوية».

(٣) أخرجه ابن المقرئ في «معجمه» (٧٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٩/ ١١٨). وعند ابن المقرئ أنها العدوية، وعند ابن عساكر هي الشامية.

قال الذهبي رحمه الله تعالى في «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣): «قال أبو سعيد بن الأعرابي: أما رابعة فقد حمل الناس عنها حكمة كثيرة، وحكى سفيان وشعبة وغيرهما ما يدل على بطلان ما قيل عنها، وقد تمثَّلته بهذا:

ولقـد جعلتـك في الفـؤاد محدثـي ... وأبحت جسـمي مـن أراد جلوسي

فنسبها بعضهم إلى الحلول بنصف البيت، وإلى الإباحة بتمامه.

قلت: فهذا غلو وجهل، ولعل من نسبها إلى ذلك مباحِيٌّ حلولي، ليحتج بها على كفره، كاحتجاجهم بخبر: «كنت سمعه الذي يسمع به»».

(٤) في (س): «في وحدتك».

(٥) أخرجه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص: ١٤١ ـ ١٤٢) والرائي هو إبراهيم بن المهلب السائح...

وقالَ بعضُ العارِفينَ: عَجِبْتُ لمَن عرَفَ الطَّريقَ إلى الله تعالى كيفَ يعيشُ معَ غيرِه واللهُ تعالى يقولُ: ﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ ﴾ [الزمر: ٥٤][1].

ولو استَقْصَيْنا ما في هذا البابِ منَ الآثارِ[2] لطالَ الكتابُ جدًّا.

**ومنَ الأُنسِ باللهِ عزَّ وجلَّ: الأُنسُ بكلامِه وذكرِه، والأُنسُ بالعلمِ النّافعِ الذي بلَّغَه رسولُه ﷺ عنه.**

رَوَى أبو نُعَيمٍ بإسنادِه عن ذي النُّونِ قالَ: الأُنْسُ باللهِ نورٌ ساطعٌ، والأُنسُ بالنّاسِ[3] غَمٌّ واقعٌ، قيلَ لذي النُّونِ: ما الأُنسُ باللهِ؟ قالَ: العِلمُ والقُرآنُ[4].

ومن كلامِ الفُضَيلِ بنِ عِياضٍ: كفَى باللهِ مُحبًّا، وبالقُرآنِ مُؤنِسًا، وبالموتِ واعِظًا، اتَّخِذِ اللهَ صاحِبًا، ودَعِ النّاسَ جانبًا[5].

وقالَ: مَن لم يستأنِسْ بالقُرآنِ فلا آنَسَ اللهُ وحشَتَه[6].

وقد رُوِيَ من حديثِ أنسٍ مرفوعًا: «علامةُ حُبِّ اللهِ حُبُّ ذِكرِه، وعلامةُ بُغضِ اللهِ بُغضُ ذِكرِه»، من طريقَينِ غيرِ صحيحَينِ[7].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٦٤)، وهو من قول إبراهيم بن المولد رحمه الله.

(٢) (س): «من الأخبار والآثار».

(٣) في (ب): «بالخلق».

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٣٧٧).

(٥) أخرجه ابن الأعرابي في «معجمه» (١٦٨٩)، والخطابي في «العزلة» (ص: ١٨)، والبيهقي في «الشعب» (٤٤٩).

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (٥٤).

(٧) أخرجهما البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٠٦) وذكر أن في الإسناد ضعفاً، وأنه روي من وجه آخر ضعيف. وأحد طريقيه في «معجم ابن المقرئ» (٩٤٤).

وكانَ فتحُ المَوصِلِيُّ يقولُ: المُحِبُّ لله لا يجِدُ معَ حُبِّ الله عزَّ وجلَّ للدُّنيا لذّة، ولا يغفُلُ عن ذِكرِ الله عزَّ وجلَّ طَرفة[1]. خرَّجَه إبراهيمُ بنُ الجُنَيدِ[2].

وخرَّجَ أيضًا بإسنادِه عنِ الرَّبيعِ بنِ أنسٍ، عن بعضِ أصحابِه قالَ: علامةُ حُبِّ الله كثرةُ ذِكرِه، فإنَّكَ لن تُحِبَّ شيئًا إلّا أكثَرْتَ ذِكرَه، وعلامةُ الدِّينِ الإخلاصُ لله عزَّ وجلَّ، وعلامةُ العلمِ خشيةُ الله عزَّ وجلَّ، وعلامةُ الشُّكرِ الرِّضا بقَضاءِ الله عزَّ وجلَّ، والتَّسليمُ لقَدَرِه[3].

**وممّا ينشَأُ من معرفةِ الله عزَّ وجلَّ ومحبَّتِه الاكتِفاءُ به، والاستِغناءُ به عن خلقِه.**

ومنه قولُ أحمدَ بنِ عاصمٍ الأنطاكِيِّ: مَن عرَفَ الله عزَّ وجلَّ اكتَفَى به، ومَن لم يعرِفْه اكتَفَى بخَلْقِه دونَه، فطالَ غمُّه وكثُرَتْ شِكايتُه، ومَن أحَبَّ الله لم يكُنْ في قلبِه فضْلٌ[4] لحبِّ أحدٍ، ولو أرادَ لم يُترَكْ[5].

ومنه قولُ أبي عليٍّ[6] الكاتبِ: إذا انقَطَعَ العبدُ إلى الله بالكُلِّيَّةِ فأوَّلُ ما يُفيدُه الله الاستِغناءَ به عمَّن سِواهُ[7].

---

(١) في (ب) و(س) زِيْد: «عين»، ولا توجد في (ش) و(ت)، ولا في «المحبة».

(٢) أخرجه ابن الجنيد الختلي في «المحبة» (٨).

(٣) في (س): «للقدر». وأخرجه ابن الجنيد الختلي في «المحبة» (٣٢).

(٤) في (ب) و(س): «فضلة».

(٥) أخرجه ابن الجنيد الختلي في «المحبة» (١٣٣).

(٦) في (ش) و(ت) و(س): «قول علي بن» وهو غلط.

(٧) أخرجه أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقات الصوفية» (٧٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٦٠).

ومنه قولُ بعضِ العارِفين: مَن لزِمَ البابَ أُثبِتَ في الخدَمِ، ومَن استَغْنَى بالله أَمِنَ منَ العَدَمِ[1].

وفي بعضِ الإسرائيليّاتِ: يقولُ الله عزَّ وجلَّ: ابنَ آدَمَ، اطلُبْني تجِدْني، فإنْ وجَدْتَني وجَدْتَ كلَّ شيءٍ، وإن فُتُّكَ فاتَكَ كلُّ شيءٍ، وأنا أحَبُّ إليكَ من كلِّ شيءٍ[2].

ولبعضِهم:

لقد[3] كنتُ أخشَى الفقرَ حتَّى وجَدْتُكُمْ ... فصِرْتُ أَذُلُّ[4] المُفلِسينَ على الكَنْزِ[5]

وأنشَدَ أبو الحسَنِ بنُ بشّارٍ الزّاهدُ:

تنقَضي الدُّنيا وتفنَى ... والفَتَى فيها مُعنَّى

ليسَ في الدُّنيا نعيمٌ ... لا ولا عيشٌ مُهَنَّا

يا غَنِيًّا بالدَّنانيـ ... ـرِ مُحِبُّ الله أغْنَى[6]

---

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٦/ ٣٠١) من كلام أبي صالح الزاهد المتعبد الذي كان ينسب إليه مسجد خارج الباب الشرقي بدمشق، الذي نزل فيه المقادسة أولاً عند قدومهم دمشق، وانتقلوا منه إلى سفح قاسيون.

(٢) لم أجده إلا عند ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٨/ ٥٢)، وأكثر ابن القيم من ذكره في عدد من كتبه، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٢)، (٧/ ٤٢٦).

(٣) في (ب) و(س): «وكم».

(٤) في (ب): «أخشى».

(٥) في (س): «أذل المفلسين عليكم». والبيت ملحق في (ش) و(ب) وفي صلب (ت) و(س). ولم أجده لغير المصنف، ومنه نقله السفاريني في «البحور الزاخرة في علوم الآخرة» (٣/ ٥٧٠).

(٦) ذكره بسنده إلى ابن بشار: أبو موسى المديني في «اللطائف من دقائق المعارف في علوم الحفاظ الأعارف» (٣٩). وفي حاشية (س): «محب الله عنك أو منك أغنى».

## فصلٌ

وهِمَمُ العارِفينَ المُحبِّينَ مُتعلِّقةٌ منَ الآخرةِ برُؤيةِ الله تعالى والنَّظرِ إلى وجهِه في دارِ كرامتِه والقُربِ منه، وقد سبَقَ قولُ مُسلمٍ العابدِ في ذلك.

وقالَ عبدُ الواحدِ بنُ زيدٍ عنِ الحسَنِ: لو علِمَ العابدونَ أنَّهم لا يرَونَ ربَّهم يومَ القيامةِ لَماتُوا[1].

وفي روايةٍ عنه قالَ: لذابَتْ أنفُسُهم[2].

وقالَ إبراهيمُ الصّائغُ: ما يسُرُّني[3] أنَّ لي نصفَ الجنّةِ بالرُّؤيةِ، ثمَّ تلا: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]. خرَّجَه ابنُ أبي حاتمٍ[4].

ورَوَى ابنُ مَنْدَه بإسنادِه عن عبدِ الله بنِ وَهبٍ قالَ: لو خُيِّرْتُ بينَ دُخولِ الجنّةِ والنَّظرِ إلى ربِّي عزَّ وجلَّ لاختَرْتُ النَّظرَ إليه سُبحانَه وتعالى[5].

وقالَ غَزْوانُ الرَّقاشيُّ في قولِه تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] قالَ: ما يسُرُّني بحَظِّي منَ المزيدِ الدُّنيا جميعُها. خرَّجَه الإمامُ أحمدُ رضيَ الله عنه[6].

وخرَّجَ أيضًا بإسنادِه عن حبيبٍ أبي محمَّدٍ قالَ: لَأَنْ أكونَ في صحراءَ ليس عليَّ إلّا ظُلّةٌ[7] وأنا جارٌ لربِّي عزَّ وجلَّ أحَبُّ إليَّ من جنَّتِكُم هذه[8].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٥٩).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٨٦) (١٠٧٢) (١١٣٣) والآجري في «الشريعة» (٥٧١).

(٣) في (س): «سرني».

(٤) وأخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٨٠٧).

(٥) أخرجه ابن منده في «التوحيد» (٩٠٠).

(٦) أخرجه أحمد في «الزهد» (١١٤٩).

(٧) في (س): «ظلمة». تصحيف.

(٨) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٥٣) من طريق عبد الله بن الإمام أحمد عن هارون بن =

وقولُه: «من جنّتِكُم هذه»: توبيخٌ لمَن تعلَّقَ همَّتُه[١] منَ العُبَّادِ بأنواعِ نعيمِ الجنّةِ المُتعلِّقِ بالمخلوقاتِ فيها مُقتَصِرًا على ذلك، ولهذا كانَ أبو سُلَيمانَ يقولُ: الدُّنيا عندَ الله أقلُّ من جناحِ بعوضةٍ، فما قيمةُ جناحِ بَعُوضة حتَّى يزهدَ فيها؟ إنَّما الزُّهدُ في الجنّةِ وحُورِ العينِ وكلِّ نعيمٍ خلَقَه الله ويخلُقُه حتَّى لا يرَى الله في قلبِكَ غيرَه[٢].

وكانَ يقولُ: أهلُ المعرفةِ دُعاؤُهم غيرُ دعاءِ النّاسِ، وهِمَمُهم منَ الآخرةِ غيرُ هِمَمِ النّاسِ[٣].

وسُئِلَ عن أقرَبِ ما يتقرَّبُ به العبدُ إلى الله تعالى فبَكَى، وقالَ: مِثلي يُسأَلُ عن هذا؟ أفضَلُ ما يتقرَّبُ به العبدُ إلى الله تعالى أن يطَّلِعَ على قلبِكَ وأنتَ لا تُريدُ منَ الدُّنيا والآخرةِ غيرَه[٤].

وقالَ: لو لم يكُنْ لأهلِ المعرفةِ إلّا هذه الآيةُ الواحدةُ لاكتَفَوا بها: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣][٥].

---

معروف وسمعه عبد الله من أبيه عنه أيضاً، عن ضمرة، عن ابن شوذب، عن حبيب أبي محمد.

= ـ ولم أجده في «الزهد» ـ.

وهارون هو شيخ للإمام أحمد ولابنه عبد الله، ثقة، خيِّر، من رجال الصحيحين. وضمرة بن ربيعة الرملي: ثقة. وعبد الله بن شوذب: ثقة. وحبيب هو أبو محمد حبيب بن محمد العجمي البصري من الزهاد المشهود لهم بالخير.

وهذا الكلام منه محمول على معنى صحيح ذكره المصنف رحمه الله تعالى. والمخاطب به هم أهل المجاهدة من العبَّاد لا عامة الناس. فأما حمله على معانٍ باطلة ثم الإنكار على قائله وعلى ناقله؛ فهو إلى الاعتساف أقرب منه إلى الإنصاف.

(١) في (ب): «همه».

(٢) أخرجه الخطيب في «الزهد والرقائق» (٦٠)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٤/ ١٤٣).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٥٦).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٥٦).

(٥) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٦٤).

وقالَ: أيَّ شيءٍ أرادَ أهلُ المعرفةِ؟ ما أرادُوا كلُّهم إلّا ما سألَ مُوسَى عليه السَّلامُ[١].

وذكرَ ابنُ أبي الدُّنيا بإسنادِه، عن مِسْمَعِ بنِ عاصمٍ قالَ: اختَلَفَ العابدونَ عندَنا في الولايةِ، فتكلَّمُوا في ذلك بكلامٍ كثيرٍ[٢]، واجتمَعُوا على أن يأتُوا امرأةً من بني عديٍّ يُقالُ لها أمةُ الجليلِ بنتُ عَمرٍو، وكانَتْ مُنقَطِعةً جدًّا من طولِ الاجتهادِ، فأتَوْها فعرَضُوا عليها اختلافَهم وما قالُوا، فقالَتْ: ساعاتُ الوليِّ ساعاتُ شُغلٍ عنِ الدُّنيا، ليسَ للوليِّ المُستحِقِّ في الدُّنيا من حاجةٍ، ثمَّ أقبلَتْ على كلابِ بنِ جُرَيٍّ فقالَتْ: مَن أخبرَكَ أو حدَّثَكَ أنَّ وليَّه له هَمٌّ غيرُه فلا تُصَدِّقْه. قالَ مِسْمَع: فما كنتُ أسمَعُ إلّا التَّصايُحَ[٣] من نواحي البيتِ[٤].

ورَوَى إبراهيمُ بنُ الجُنَيدِ، عن محمَّدِ بنِ الحُسَينِ قالَ: حدَّثَني حكيمُ بنُ جعفرٍ قالَ: قال ضَيْغَمٌ[٥] لكلابٍ: إنَّ حُبَّه شغَلَ قُلوبَ مُريديه عنِ التَّلذُّذِ بمحبَّةِ غيرِه، فليس لهم معَ حُبِّه لذّةٌ تُداني محبَّتَه، ولا يأملونَ[٦] في الآخرةِ من كرامةِ الثَّوابِ أكثَرَ[٧] عندَهم منَ النَّظرِ إلى وجهِه، قالَ: فسَقَطَ كلابٌ عندَ ذلك مغشِيًّا عليه[٨].

ورَوَى بإسنادِه عن عبدِ العزيزِ بنِ سُليمانَ العابدِ أنَّه كانَ يقولُ في كلامِه:

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٦٤)، يريد سؤاله: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾.

(٢) في (س): «كلامًا كثيرًا».

(٣) في (ب) و(س): «التصارخ».

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٨٧).

(٥) تصحف في (ش) إلى: «طغيم».

(٦) في (ش): «يؤملون»، وفي (س): «يكون».

(٧) في (س): «أكبر».

(٨) أخرجه الختلي في «المحبة» (١٦٨)، والخرائطي في «اعتلال القلوب» (٤١).

أنتَ أيُّها المُحِبُّ تزعُمُ أنَّ محبَّتَكَ لله تحقيقٌ، أمَا واللهِ لو كنتَ كذلكَ لضاقَتْ عليكَ الأرضُ برُحْبِها حتَّى تصِلَ إلى رِضا حبيبِكَ وإلى النَّظَرِ إلى وجهِهِ في دارِ كبريائِه وعزِّه.

قالَ: ولقد كانَ إذا أخذَ في هذا النَّعتِ سمِعْتَ التَّصاريخَ[1] من نواحي المسجدِ[2].

وقالَ حبيبٌ الفارسيُّ ليزيدَ الرَّقاشيِّ: بأيِّ شيءٍ تقرُّ عيونُ العابدينَ في الدُّنيا؟ وبأيِّ شيءٍ تقرُّ عيونُهم في الآخرةِ؟ فقالَ: أمّا الذي تقرُّ به عيونُهم في الدُّنيا فما أعلَمُ شيئًا أقرَّ لعيونِ العابدينَ منَ التَّهجُّدِ في ظُلمةِ اللَّيلِ، وأمّا الذي تقرُّ به عيونُهم[3] في الآخرةِ فما أعلَمُ شيئًا من نعيمِ الجنانِ وسرورِها ألذَّ عندَ العابدينَ ولا أقرَّ لعُيونِهم منَ النَّظرِ إلى ذي الكبرياءِ العظيمِ، إذا رُفِعَتْ تلكَ الحُجُبُ وتجلَّى لهم الكريمُ، فصاحَ حبيبٌ عندَ ذلك صيحةً وخرَّ مغشِيًّا عليه[4].

وكانَ عليُّ بنُ المُوفَّقِ كثيرًا ما يقولُ: اللَّهُمَّ إنْ كنتَ تعلَمُ أنِّي أعبدُكَ خوفًا من نارِكَ فعذِّبْني بها، وإنْ كنتَ تعلَمُ أنِّي أعبُدُكَ شوقًا إلى جنَّتِكَ فاحرِمْنِيها، وإنْ كنتَ تعلَمُ أنِّي أنَّما أعبُدُكَ حبًّا منِّي لك وشوقًا إلى وجهِكَ الكريمِ فأبِحْنيه واصنَعْ بي ما شِئْتَ[5].

---

(١) في (ب) و(س): «التصارخ».

(٢) أخرجه الختلي في «المحبة» (١٤٩).

(٣) في (ب): «أعينهم»، وفي (س): «أعينهم به».

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التهجد» (٣٥٠).

(٥) ذكره ابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» في ترجمة علي بن الموفق (١/ ٢٣١ طبعة الفقي). وهو من حال انبساطه في الحج، قال المصنف رحمه الله في «شرح حديث: لبيك اللهم لبيك»: «لما غلب الشوق على قلوب المحبين استروحوا إلى مثل هذه الكلمات، وما تخفي صدورهم أكبر».

وكانَتْ رُقيّةُ المَوصِليَّةُ تقولُ: إنِّي لَأُحِبُّ ربِّي حبًّا شديدًا، فلو أمرَ بي[١] إلى النّارِ لَما وجَدْتُ للنّارِ حرًّا مع حُبِّه، ولو أمرَ بي إلى الجنّةِ لَما وجَدْتُ للجنّةِ لذّةً مع حبِّه[٢]؛ لأنَّ حُبَّه هو الغالبُ عليَّ[٣].

وكانَتْ تقولُ: إلـهي وسيِّدي ومولايَ، لو أنَّكَ عذَّبتَني بعذابِك كلِّه لَكانَ ما فاتَني من قُربِكَ أعظَمَ عندي منَ العذاب، ولو نعَّمتَني بنعيمِ الجنّةِ كلِّه لَكانَتْ لذّةُ حُبِّكَ في قلبي أكثرَ[٤].

ومن كلامِ ذي النُّونِ: ما طابَتِ الدُّنيا إلّا بذِكرِه، ولا طابَتِ الآخرةُ إلّا بعَفْوِه، ولا طابَتِ الجِنانُ إلّا برُؤيتِه[٥].

قالَ أحمدُ بنُ أبي الحواريِّ: حدَّثَنا محمَّدُ بنُ يحيَى المَوصِليُّ قالَ: سمِعْتُ نافِعًا وكانَ من عُبّادِ الجزيرةِ يقولُ: ليتَ ربِّي جعَلَ ثوابي من عملي نظرةً منِّي إليه، ثمَّ يقولُ لي: يا نافعُ كُنْ تُرابًا[٦].

وفي هذا المعنَى يقولُ القائلُ:

وحُرْمةِ الوُدِّ مالي عنكُمُ عِوَضٌ ... وليسَ لي في سِواكُمْ سادَتي غَرَضُ
ولقد شرَطْتُ على قومٍ صحِبْتُهمُ[٧] ... بأنَّ قلبي لكم من دونِهم ورَضُوا[٨]

---

(١) في (ب): «بي ربي».

(٢) في (ش) و(ت): «محبته».

(٣) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٣٥٨).

(٤) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٣٥٨).

(٥) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٣٧٢).

(٦) لم أجده، وذكره المصنف مختصراً في «شرح حديث لبيك اللهم لبيك».

(٧) في (ب): «محبتهم»، وفي الحاشية: «لعله أحبهم».

(٨) في (ت): «فرضوا».

ومِن حديثي بكُمْ[١] قالُوا به مرَضٌ ... فقُلتُ: لا زالَ عنِّي ذلك المرَضُ[٢]

وأنشَدَ بعضُ العارِفينَ:

يا حبيبَ القُلوبِ ما[٣] لي سِواكا ... ارحَمِ اليومَ مُذنِبًا قد أتاكَا

أنتَ سُؤْلي ومُنْيَتي وسُرُوري ... قد أبَى القلبُ أن يُحِبَّ سِواكَا

يا مُرادِي وسيِّدِي واعتِمادِي ... طالَ شَوقي متَى يكونُ لِقاكَا

ليسَ سُؤلي منَ الجنانِ نعيمٌ ... غيرَ أنِّي أُريدُها لأَراكَا[٤]

* * *

---

(١) في (ش) و(ت): «بهم».

(٢) الأبيات لأبي الحسن محمد بن علي بن أبي الصقر الشافعي الواسطي، المتوفى (٤٩٨هـ) رحمه الله، وهي مما يُتغنى به، ذكرها العماد الأصبهاني في «خريدة القصر» (٤/ ٣١٦-٣١٧).

(٣) في (ب) و(ت) و(س): «من».

(٤) مما سمعه محمد بن المبارك الصوري من عياس المجنون رحمهما الله في جبل لبنان، أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ١٤٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٦/ ٤٥٨). والقصة في «عقلاء المجانين» لابن حبيب (٤٥٩).

وفي حاشية (ت): «بلغ».

## البابُ السّابعُ

## في سهَرِ المُحبِّينَ وخَلْوَتهم[١] بمُناجاةِ مَولاهُم الملِكِ الحقِّ المُبينِ

قالَ الله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة: ١٦]، وأشرَفُ الطَّمعِ طمَعُ أهلِ المحبّةِ في رُؤيةِ مَولاهُم وقُربِه وجِوارِه.

ورَوَى أبو نُعَيمٍ بإسنادِه عن حُسَينِ بنِ زيادٍ قالَ: أخذَ فُضَيلُ بنُ عياضٍ بيدي فقالَ: يا حُسَينُ ينزِلُ الله تعالى كلَّ ليلةٍ إلى سماءِ الدُّنيا فيقولُ: كذَبَ مَن ادَّعَى محبَّتي إذا[٢] جنَّه اللَّيلُ نامَ عنِّي، أليسَ كلُّ حبيبٍ يُحِبُّ الخلوةَ بحبيبِه، ها أنا ذا مُطَّلعٌ على أحبابي، إذا جنَّهم اللَّيلُ مثُلَتْ نفسي بينَ أعيُنِهم فخاطَبُوني على المُشاهدةِ، وكلَّمُوني على حُضوري[٣]، غدًا أُقِرُّ أعيُنَ أحبابي في جِناني[٤].

ورُوِيَ من وجهٍ آخرَ، وفيه: جعَلْتُ أبصارَهم في قُلوبِهم، ومثُلَتْ نفسي بينَ أعيُنِهم[٥].

ورَوَى أبو نُعَيمٍ بإسنادِه عن أحمدَ بنِ أبي الحواريِّ قالَ: دخلتُ على أبي سُلَيمانَ فرأيتُه يبكي، فقلتُ: ما يُبكيكَ؟ قالَ: ويحكَ يا أحمدُ، إذا جَنَّ اللَّيلُ وخلا كلُّ حبيبٍ بحبيبِه افتَرَشَ أهلُ المحبّةِ أقدامَهم، وجرَتْ دُموعُهم على

---

(١) في (ش) و(ت): «وخلواتهم».

(٢) في (س): «فإذا».

(٣) وهذا أعلى مقامي الإحسان، أن تعبد الله كأنك تراه، وانظر: «فتح الباري» للمصنف (١/ ٢١٤).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٩٩).

(٥) أخرجه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (١٣٢).

خُدودِهـم، أشـرَفَ الجليـلُ جلَّ جلالُه وقـالَ: بعَيني مَـن تلذَّذَ بكلامي، واسـتَرْوَحَ إلـى مُناجاتـي، وإنِّـي مُطَّلـعٌ عليهـم فـي خلَواتِهـم أسـمَعُ أنينَهـم، وأرَى بُكاءَهـم وحنينَهـم، يـا جبريـلُ نـادِ فيهم: مـا هـذا البُـكاءُ الـذي أراهُ فيكـم؟ هـل[1] خبَّرَكُم مُخبِّـرٌ أنَّ حبيبًـا يُعـذِّبُ أحبابَـه بالنّـارِ؟ بل كيـفَ يجمُلُ أن أُعـذِّبَ قومًـا إذا جنَّهم اللَّيـلُ تملَّقُونـي؟ فبـي حلَفْـتُ إذا وَرَدُوا القيامـةَ علـيَّ أن أُسـفِرَ لهـم عـن وَجهي، وأمنَحَهُـم رياضَ قُدسـي[2].

ورُوِيَتْ هذه القِصَّةُ من وجهٍ آخرَ عن أحمدَ بنِ أبي الحواريِّ، عن أبي سُلَيمانَ، وفي أوَّلِـها زيادةٌ: إنَّ الله تعالى ينزِلُ في كلِّ ليلةٍ إلى سماءِ الدُّنيا فيقولُ: كذَبَ مَن ادَّعَى محبَّتي فإذا[3] جنَّه اللَّيلُ نامَ عنِّي، كيفَ ينامُ حبيبٌ[4] عن حبيبِه وأنا المُطَّلعُ عليه؟ إذا قامُوا جعلتُ أبصارَهم في قلوبِهم فكلَّمُوني على المُخاطبةِ[5]. وذكرَ الباقي بمعنَى ما تقدَّمَ مُختَصَرًا.

ورَوَى أبو نُعَيمٍ أيضًا بإسنادِه عن ذي النُّونِ أنَّه قالَ: لو رأيتَ أحدَهم وقد قامَ إلى صلاتِه وقراءتِه، فلمّا وقفَ في محرابِه واستفتَحَ كلامَ سيِّدِه خطرَ على قلبِه أنَّ ذلك المقامَ هو المقامُ الذي يقوم فيه[6] النّاسُ لربِّ العالمينَ، فانخَلَعَ قلبُه، وذَهَلَ

---

(١) في (س): «منكم، وهل».

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ١٦) مطولًا، وبعض الألفاظ هنا، لا توجد ثمة.

(٣) في (ش): «إذا».

(٤) في (ب): «محب».

(٥) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٤/ ١٣٨).

(٦) في (ب) و(س): «يقوم الناس فيه».

عقلُه، فقُلوبُهم في ملَكُوتِ السَّماواتِ مُعلَّقةٌ، وأبدانُهم بينَ يدَي الخالقِ عاريةٌ، وهمومُهم بالفكرِ دائمةٌ[١].

وبإسنادِه عن ذي النُّونِ أيضًا أنَّه قالَ في وصفِهم: يتلذَّذُونَ بكلامِ الرَّحمنِ، ينُوحُونَ به على أنفُسِهم نَوحَ الحمامِ، فرِحينَ في خلَواتِهم، لا تفتُرُ لهم جارِحةٌ في الخلَواتِ، ولا يستَريحُ لهم قدمٌ تحتَ سُتورِ الظُّلماتِ[٢].

ومن طريقِ[٣] إسحاقَ السَّلُوليِّ قالَ: حدَّثَتني أمُّ سعيدِ بنِ علقمةَ، وكانت طائيَّةً، قالَتْ: كانَ بينَنا وبينَ داودَ الطَّائيِّ جِدارٌ قصيرٌ، فكنتُ أسمَعُ حنينَه عامّةَ اللَّيلِ لا يهدَأُ، ولرُبَّما[٤] سمِعتُه يقولُ في جوفِ اللَّيلِ: اللَّهُمَّ همُّكَ عطَّلَ عليَّ الهمومَ، وحالفَ بيني وبينَ السُّهادِ، وشَوقي إلى النَّظرِ إليكَ وضَعَ[٥] منِّي اللَّذّاتِ والشَّهواتِ، فأنا في سجنِكَ أيُّها الكريمُ مطلوبٌ، قالَتْ: ورُبَّما ترنَّمَ في السَّحَرِ بشيءٍ منَ القرآنِ، فأرَى أنَّ جميعَ نعيمِ الدُّنيا جُمِعَ في ترنُّمِه تلكَ السّاعةَ، قالَتْ: وكانَ يكونُ في الدّارِ وحدَه، وكانَ لا يُصبِحُ؛ أي: لا يُسرِجُ[٦].

ورَوَى الحافظُ أبو الفرَجِ بإسنادِه عنِ الرَّبيعِ قالَ: بِتُّ أنا ومحمَّدُ بنُ المُنكدرِ وثابتٌ البُنانيُّ عندَ ريحانةَ المجنونةِ بالأُبُلَّةِ، فقامَتْ [أوَّلَ][٧] اللّيلِ، وهي تقولُ:

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٣٣٩). وفي حاشية (ت) عند قوله: «عارية»: «لعله قائمة».

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٣٨٥).

(٣) في (س): «طريق إلى».

(٤) في (ب): «وكثيرًا ما».

(٥) في (ب): «أوثق». وفي «الحلية»: «منع».

(٦) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٣٥٦).

(٧) ما بين معقوفين من «صفة الصفوة» (٢/ ٢٦٦) ولا بدَّ منه.

قَامَ المُحبُّ إلى المُؤمَّلِ قَوْمةً ... كادَ الفُؤادُ مِنَ السُّرورِ يطيرُ

فلمّا كانَ جوفُ اللَّيلِ سمِعتُها تقولُ أيضًا:

لا تأنَسَنَّ بمَن تُوحِشُكَ نظرَتُه ... فتُمْنَعَنَّ مِنَ التَّذكارِ في الظُّلَمِ

واجهَدْ وكِدَّ وكُنْ في اللَّيلِ ذا شجَنٍ ... يَسقيكَ كأسَ وِدادِ العزِّ والكرَمِ

قالَ: ثمَّ نادَتْ: واحُزْناه! واسلباه! فقُلتُ: ممَّ ذا؟ فقالَتْ:

ذهَبَ الظَّلامُ بأُنسِه وبإلِفه ... ليتَ الظَّلامَ بأُنسِه يتجَدَّدُ[1]

ورَوَى ابنُ أبي الدُّنيا بإسنادِه عن مُطرِّفِ بنِ أبي بكرٍ الهذليِّ قالَ: كانَتْ عجوزٌ في عبدِ القيسِ مُتعبِّدةً، فكانَ[2] إذا جاءَ اللَّيلُ تحزَّمَتْ ثمَّ قامَتْ إلى المحرابِ، وكانت تقولُ: المُحِبُّ لا يسأَمُ من خدمةِ حبيبِه[3].

وسُئِلَ بعضُ العارِفينَ عن حالِه، فأنشَدَ:

مَن لم يبِتْ والحبُّ حَشْوُ فُؤادِه ... لم يَدْرِ كيفَ تفتُّتُ الأكبادِ[4]

ورُوِّينا من طريقِ الحسنِ بنِ عليِّ بنِ يحيَى بنِ سلامٍ قالَ: قيلَ ليحيَى بنِ مُعاذٍ: يُروَى عن رجلٍ من أهلِ الخيرِ كانَ قد أدرَكَ الأوزاعيَّ وسُفيانَ أنَّه سُئِلَ: متَى تقَعُ الفراسةُ على الغائبِ؟ قالَ: إذا كانَ مُحِبًّا لِما أحبَّ الله مُبغِضًا لِما أبغَضَ الله وقعَتْ فراستُه على الغائبِ، فقالَ يحيى:

---

(١) «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٢/ ٢٦٦).

(٢) في (س) وحدها: «فكانت».

(٣) لم أجده عند ابن أبي الدنيا، وإنما أخرجه الختلي في «المحبة» (١٢٩).

(٤) تقدم في أواخر الباب الثالث.

كلُّ محبوبٍ سِوَى الله سَرَفْ ... وهُمُومٌ وغُمومٌ وأَسَفْ
كلُّ محبوبٍ فمِنْه خَلَفٌ ... ما خلا الرَّحمنَ ما منه خَلَفْ
إنَّ للحُبِّ دِلالاتٍ إذا ... ظهرَتْ من صاحبِ الحبِّ عُرِفْ
صاحبُ الحبِّ حزينٌ قلبُه ... دائمُ الغُصَّةِ مهمومٌ[1] دَنِفْ
همُّه في الله لا في غيرِه ... ذاهبُ العقلِ وبالله كَلِفْ
أشْعَثُ الرَّأسِ خَميصٌ بطنُه ... أصفَرُ الوَجنةِ[2] والطَّرفُ ذَرِفْ
دائِمُ التَّذكيرِ[3] من حُبِّ الَّذي ... حبُّه غايةُ غاياتِ الشَّرَفْ
فإذا أمْعَنَ في الحبِّ له ... وعلاه الشَّوقُ من داءٍ كَشَفْ
باشَرَ المِحرابَ يشكُو بثَّه ... وأمامَ الله مَولاه وَقَفْ
قائمًا قُدَّامَه مُنتَصِبًا ... لهِجًا يتلُو بآياتِ الصُّحُفْ
راكِعًا طَوْرًا وطَوْرًا ساجِدًا ... باكيًا والدَّمعُ في الأرضِ يكِفْ
أَوْرَدَ القَلْبَ على الحُبِّ[4] الَّذي ... فيه حُبُّ الله حقًّا فعَرَفْ
ثمَّ جالَتْ كفُّه في شَجَرٍ ... يُنبِتُ الحَبَّ فسمَّى واقتَطَفْ
إنَّ ذا الحبَّ لمَن يُعنَى به ... لا بدارٍ ذاتِ لهوٍ وطُرَفْ
لا ولا الفِرْدَوْسُ لا يألَفُها ... لا ولا الحوراءُ من فَوقِ غُرَفْ[5]

---

(١) في حاشية (س): «مغموم». وفي «الزهد»: «محزون».

(٢) في حاشية (ش) و(س): «الغرة»، وفي حاشية (س): «الوجه».

(٣) في حاشية (س): «أو: للتذكار».

(٤) الحب: وعاء الماء.

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في «الزهد والرقائق» (٢٢). وأخرجه الختلي في «المحبة» (٢٣٧) من قول بعض البصريين.

ورَوَى أبو مُوسَى المدينيُّ بإسنادٍ عن أبي محمَّدٍ عبدِ الله بنِ عُروةَ قالَ: أنشَدَني بعضُ النّاسِ:

تشاغَلَ قومٌ بدُنياهُمُ ... وقومٌ تخلَّوا لمَولاهُمُ[1]
فألزَمَهُمْ بابَ مَرْضاتِهِ ... وعن سائرِ الخلقِ أغناهُمُ
فما يعرِفُونَ سِوَى حُبِّهِ ... وطاعتِه طُولَ مَحياهُمُ
يصُفُّونَ باللَّيلِ أقدامَهُمْ ... وعَينُ المُهَيمنِ ترعاهُمُ
فَطَورًا يُناجُونَه سُجَّدًا ... ويبكُونَ طَوْرًا خطاياهُمُ
إذا فكَّرُوا في الَّذي أسلَفُوا ... أذابَ القُلوبَ وأبكاهُمُ
وإنْ يَسْكُنِ الخوفُ لاذُوا به ... وباحُوا إليه بشكواهُمُ
وأضحَوا صيامًا على جَهدِهِمْ ... تبارَكَ مَن هُوَ قوَّاهُمُ
هُمُ القَومُ أعطَوْا مَليكَ المُلو ... كِ صِدْقَ القُلوبِ فوالاهُمُ
هُمُ المُجْتَبَونَ بنيَّاتِهِمْ ... أرادُوا رِضاهُ فأعطاهُمُ
وأسكَنَهُمْ في فَرادِيسِهِ ... وأعلَى المنازِلِ بوَّاهُمُ
فنالُوا المُرادَ وفازُوا به ... فطُوبَى لهم ثمَّ طُوباهُمُ[2]

قرأتُ بخطِّ عبدِ الله بنِ أحمدَ بنِ صابرٍ السُّلَمِيِّ، أنشَدَنا أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ محمَّدِ بنِ عقيلِ الشَّهْرَزُورِيِّ لبعضِهم:

---

(١) في (ب): «بمولاهم».

(٢) ذُكر البيتان الأولان في ترجمة أبي الوفاء القزويني من «التدوين في أخبار قزوين» (٤/ ٢٠١) من إنشاده ولم أظفر برواية أبي موسى المديني.

قليلُ العزاءِ كثيرُ النَّدَمْ طويلُ النَّحيبِ على ما اجترَمْ

جرَى دَمْعُه فبَكَى جَفْنُهُ وصارَ البُكاءُ بدَمْعٍ ودَمْ

يخافُ البياتَ بهجمِ المماتِ وفقدَ الحياةِ بضُرِّ السَّقَمْ

ويُخفِي محبّةَ رَبِّ العُلَى فتُظهِرُ أنفاسُه ما كَتَمْ(١)

وأسبَلَ من طَرْفِهِ عَبْرةً على الصَّحْنِ من خدِّهِ فانسَجَمْ

وباتَ محارِبَ(٢) مِحرابِه ولمّا تزُلْ(٣) قدَمٌ عن قدَمْ

فلمّا تفتَّتَ(٤) أحشَاؤُهُ منَ الشَّوقِ رقَّ عليه الألَمْ

وكَمْ ليلةٍ رامَ فيها المنامَ فصاحَ به حبُّه لا تَنَمْ

وناحَ على جسَدٍ ناحِلٍ أطالَ النُّحولَ به فانهَدَمْ

أنابَ إلى الله مُستَغْفِرًا وصارَ له من أعزِّ الخدَمْ(٥)

* * *

---

(١) في (س): «ما اكتتم».

(٢) في (ب): «يحارب».

(٣) في (ش) و(ت): «يزل».

(٤) وتصحفت في (ش) و(ب).

(٥) في هامش (س): «بلغ». وعبد الله بن أحمد بن علي بن صابر السلمي، توفي سنة (٤٩٣) رحمه الله، وتوفي الشهرزوري سنة (٤٩٤) رحمه الله. ولم أجد هذه الأبيات في مصدر آخر.

## الباب الثّامنُ

## في ذكرِ شَوقِ المُحبِّينَ إلى لقاءِ ربِّ العالمَين

الشَّوقُ إلى لقاءِ الله درجةٌ عاليةٌ رفيعةٌ تنشَأُ من قوّةِ محبّةِ الله عزَّ وجلَّ، وقد كانَ النَّبيُّ ﷺ يسألُ الله هذه الدَّرجةَ.

خرَّجَ الإمامُ أحمدُ وابنُ حبّانَ في «صحيحِه» والحاكمُ من حديثِ عمّارِ بنِ ياسرٍ أنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ يدعُو بهذا الدُّعاءِ: «اللَّهُمَّ بعِلمِكَ الغيبَ، وقُدرَتِكَ على الخلقِ، أحيِني ما كانَتِ الحياةُ خيرًا لي، وتوفَّني إذا علمتَ الوفاةَ خيرًا لي، اللَّهُمَّ إنِّي أسألُكَ خشيَتَكَ في الغيبِ والشَّهادةِ، وكلمةَ الحقِّ في الغضبِ والرِّضا، والقَصْدَ في الفقرِ والغِنَى، وأسألُكَ نعيمًا لا ينفَدُ، وقُرَّةَ عينٍ لا تنقطِعُ، وأسألُكَ الرِّضا بعدَ القَضا، وبرْدَ العَيشِ بعد الموتِ، وأسألُكَ لذّةَ النَّظرِ إلى وجهِكَ، والشَّوقَ إلى لقائِكَ، في[1] غيرِ ضرّاءَ مُضِرّةٍ ولا فتنةٍ مُضِلّةٍ، اللَّهُمَّ زيِّنّا بزينةِ الإيمانِ، واجعَلْنا هُداةً مُهتَدين»[2].

وخرَّجَ الطَّبرانيُّ نحوَه من حديثِ فَضالةَ بنِ عُبَيدٍ، عن النَّبيِّ ﷺ[3].

وخرَّجَ الإمامُ أحمدُ والحاكمُ عن زيدِ بنِ ثابتٍ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ علَّمَه دُعاءً، وأمرَه أن يتعاهَدَ به أهلَه كلَّ يومٍ، وفيه: «اللَّهُمَّ إنِّي أسألُكَ الرِّضا بعدَ القضا[4]، وبردَ العيشِ

---

(١) في (ش) و(ت): «من».

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٨٣٢٥)، وابن حبان (١٩٧١)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٢٤) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٣) في «الأوسط» (٦٠٩١)، وفي «الكبير» ١٨ (٨٢٥).

(٤) في (ش) و(ب) و(ت): «الرضا بالقدر»، والمثبت من (س) هو الموافق للمصادر.

بعدَ الموتِ، ولذّةَ النَّظرِ في وجهِكَ، وشوقًا إلى لقائِكَ، من غيرِ ضرّاءَ مُضِرّةٍ، ولا فِتنةٍ مُضِلّةٍ»[(١)].

وإنَّما قالَ: «من غيرِ ضرّاءَ مُضِرَّةٍ، ولا فِتنةٍ مُضِلّةٍ» والله أعلَمُ؛ لأنَّ محبّةَ لقاءِ الله وهو محبّةُ الموتِ تصدُرُ غالبًا إمّا عن ضرّاءَ مُضِرَّةٍ، وهي ضَرّاءُ الدُّنيا، وقد نُهِيَ عن تـمَنِّي الموتِ حينَئذٍ، وإمّا عن فتنةٍ مُضِلّةٍ، وهي خشيةُ الفِتنةِ في الدِّينِ، وهو غيرُ منهيٍّ عنه في هذه الحالِ، والمسؤولُ هاهُنا الشَّوقُ إلى لقاءِ الله النّاشئُ عن غيرِ هذَينِ الأمرَينِ، بل عن محضِ المحبّةِ.

وقد دَلَّ قولُه تعالى في حقِّ اليهودِ: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٩٤] على أنَّ مَن كانَ على حالةٍ حسنةٍ منَ الاستعدادِ للقاءِ الله فإنَّه يتَمَنَّى لقاءَ الله ويُحِبُّه، وأنَّه لا يكرهُ ذلك إلّا مَن هو مريبٌ في أمرِه، ولهذا قالَ: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٩٥]، ثمَّ قالَ: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾ [البقرة: ٩٦] فذَمَّهم على حِرْصِهم على الحياةِ في الدُّنيا.

وفي «مُسنَدِ الإمامِ أحمدَ»، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «لا يتَمَنَّى[(٢)] الموتَ إلّا مَن وثِقَ بعمَلِه»[(٣)].

وقد كانَ كثيرٌ منَ السَّلَفِ الصّالحِ يتَمَنَّونَ الموتَ شوقًا إلى لقاءِ الله عزَّ وجلَّ.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢١٦٦٦)، والحاكم (١/ ٥١٦) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٢) في (س): «يتمنين».

(٣) أخرجه بأطول من هذا الإمام أحمد (٨٦٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وكانَ أبو الدَّرداءِ يقولُ: أُحِبُّ الموتَ اشتِياقًا إلى ربِّي، وأُحِبُّ الفقرَ تواضُعًا لربِّي، وأُحِبُّ المرَضَ تكفيرًا لخطيئَتي[1].

وقالَ محمّدُ بنُ زيادٍ: اجتمَعَ رجالٌ منَ الأخيارِ، أو قالَ منَ العلماءِ والعُبّادِ، وذكَرُوا الموتَ، فقالَ بعضُهم: لو أنَّه أتاني آتٍ، أو ملَكُ الموتِ فقالَ: أيُّكُم سبقَ إلى هذا العمودِ فوضَعَ عليه يده[2] لَـماتَ لرَجَوْتُ أنْ لا يسبِقَني إليه أحدٌ منكم شوقًا إلى لقاءِ الله عزَّ وجلَّ[3].

وقالَ عبدُ الله بنُ زكريّا: لو خُيِّرتُ بينَ أن أُعمَّرَ[4] مائةَ سنةٍ[5] في طاعةِ الله أو أن أُقبَضَ في يومي هذا أو في ساعَتي هذه؛ لاختَرْتُ أن أُقبَضَ في يومي هذا أو في ساعتي هذه؛ شوقًا إلى الله، وإلى رسولِه، وإلى الصّالحينَ من عبادِه[6].

وكانَ أبو عبدِ رَبِّ الزّاهدُ يقولُ: لو أنَّه قيلَ: مَن مَسَّ هذا العمودَ ماتَ[7] لسَرَّني أن أقومَ إليه شوقًا إلى[8] الله ورسولِه[9].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢١٧).

(٢) في (ب) و(س): «يده عليه».

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١١٢).

(٤) في (س): «أعيش».

(٥) في (ش) و(ت): «مئة سنة من ذي قبل».

(٦) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله هنا.

(٧) في (ش) و(ت) و(س): «لمات».

(٨) في (ب) و(س): «إلى لقاء».

(٩) أخرجه يعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٤١٨ طبعة العراق). وأبو زرعة الدمشقي في «تاريخه» (ص: ٣٤٩)، وغيرهم.

وقالَ أبو عِنَبَة الخولانيُّ: كانَ إِخوانُكم لقاءُ الله أَحَبُّ إليهم منَ الشَّهدِ[١].

قالَ سُفيانُ: كانَ بالكوفةِ رجلٌ مُتَعبِّدٌ من هَمْدانَ، فكانَ يقولُ: ما تطيبُ نفسي لنَفسي بالموتِ إلّا إذا ذَكَرْتُ لقاءَ الله عزَّ وجلَّ، فإنِّي أجِدُ نفسي عندَ ذلك تطيبُ بالموتِ لِـما ترجُو في لقاءِ الله عزَّ وجلَّ منَ البركةِ والسُّرورِ[٢].

قالَ: وذكَرُوا عنه أنَّه كانَ يقولُ: إذا ذَكَرْتُ القُدومَ على الله كنتُ أشدَّ اشتِياقًا إلى الموتِ منَ الظَّمآنِ الشَّديدِ ظمَؤُه، في اليومِ الحارِّ الشَّديدِ حرُّه، إلى الشَّرابِ البارِدِ الشَّديدِ بردُه[٣].

وقالَ رياحٌ القَيسيُّ: أَتَيْتُ الأبرَدَ بنَ ضرارٍ فقالَ لي: يا رياحُ، هل طالَتْ بكَ اللَّيالي والأيَّامُ؟ قلتُ[٤] له: بِمَ؟ قالَ: بالشَّوقِ إلى لقاءِ الله، قالَ: فسَكَتُّ، وأتيتُ رابعةَ فذكَرْتُ ذلك لها، قالَ: فسمِعْتُ تخريقَ قميصِها من وراءِ ثوبِها وهي تقولُ: لكنِّي نعَمْ[٥].

وقالَ عبيدُ الله[٦] بنُ محمَّدٍ التَّيميُّ: سمِعْتُ امرأةً منَ المُتعبِّداتِ تقولُ: والله لقد سئِمْتُ منَ الحياةِ، حتَّى لو وجَدْتُ الموتَ يُباعُ لاشتَريتُه شوقًا إلى الله[٧]، وحبًّا

---

(١) تصحف في نسخنا (عنبة) إلى (عتبة). وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٥٢٤) وفي «الجهاد» (١٢٨).

(٢) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله هنا.

(٣) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله، وذكره أيضاً في «شرح حديث لبيك»، وفي «لطائف المعارف» (ص: ٥١١).

(٤) في (س): «فقلت».

(٥) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٩٣) مطولًا.

(٦) في (ش) و(ت): «عبد الله».

(٧) في (س): «لقاء الله».

للقائِه، قالَ: فقُلتُ لها: أفَعَلى ثِقةٍ أنتِ من عمَلِكِ؟ قالَتْ: لا، ولكنْ لحُبِّي إيّاه، وحُسنِ ظَنِّي به، أفتَراه يُعذِّبُني وأنا أُحِبُّه[١]؟!

وقالَ سلَمةُ العَوْصِي: إنِّي لمُشتاقٌ إلى الموتِ منذُ أربعينَ سنةً، منذُ فارَقْتُ الحسَنَ بنَ صالحٍ، قيلَ له: ولِمَ؟ قالَ: لو لم يشتَقِ العاقلُ[٢] إلّا إلى لقائِه عزَّ وجلَّ لكانَ ينبَغي له أن يشتاقَ[٣].

وكانَ أبو عبدِ الله النِّباجِيُّ يقولُ في مُناجاتِه: إنَّكَ لَتعلَمُ أنِّي[٤] لو خيَّرتَني بينَ أن تكونَ لي الدُّنيا منذُ خُلِقَتْ أتنعَّمُ فيها حلالًا، ولا أُسأَلُ عنها يومَ القيامةِ، وبينَ أن تخرُجَ نفسي السّاعةَ، لاختَرْتُ أن تخرُجَ نفسي السّاعةَ، ثمَّ قالَ: أما[٥] تُحِبُّ أن تلقَى مَن تُطيعُ[٦]؟

وصَحِبَ رجلٌ الفتحَ بنَ شَخْرَفَ ثلاثينَ سنةً، قالَ: فلم أرَه رفعَ رأسَه إلى السَّماءِ إلّا مرّةً[٧]، رفعَ رأسَه، وفتحَ عينَيه[٨]، ونظرَ إلى السَّماءِ، ثمَّ قالَ: قد طالَ شَوقي إليك، فعَجِّلْ قُدومي عليكَ[٩].

---

(١) ذكره الغزالي في «الإحياء» (في آخر كتاب المحبة) (٤/ ٣٦١).

(٢) في (ب) و(س): «العامل».

(٣) أخرجه المزي في «تهذيب الكمال» (١١/ ٢٩٧) بسنده إليه.

(٤) في (ب) و(س): «أنّك».

(٥) في (س): «ألا».

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المتمنين» (٨٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٣١١)، وفي مطبوعتيهما: «الساجي» تصحيفاً من «النباجي»! وأخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢١/ ١٩ ـ ٢٠).

(٧) في (س): «مرة واحدة».

(٨) في (ب): «عينه».

(٩) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١/ ٥١١).

وقالَ فتحٌ المَوصِلِيُّ في يومِ عيدِ أضحَى: قد تقرَّبَ المُتقرِّبُونَ بقُربانِهم، وأنا أتقرَّبُ إليكَ بطُولِ حُزني، يا محبوبُ، كَمْ تترُكُني في أزقَّةِ الدُّنيا محزونًا؟ ثمَّ غُشِيَ عليه، وحُمِلَ فدُفِنَ بعدَ ثلاثٍ، رحمَه الله[1].

فهذا حالُ مَن غلَبَ عليه الشَّوقُ والرَّجاءُ، فأمّا مَن غلَبَ عليه الخوفُ فإنَّه بخلافِ ذلك، ولا يتَمَنَّى الموتَ، بل يستعظِمُه حتَّى يكادُ يتصَدَّعُ قلبُه من ذكرِه.

وقالَ المُؤلِّفُ رحمَه الله: وقد نازَعَ أبو سُليمانَ الدّارانيُّ مَن كانَ يتمَنَّى الموتَ شوقًا[2] إلى لقاءِ الله، وخالَفَهم في ذلك، وقال: لو أعلَمُ أنَّ الأمرَ كما تقولونَ لأَحبَبْتُ أنَّ نفسي تخرُجُ السّاعةَ، ولكِنْ كيفَ بانقِطاعِ الطّاعةِ والحبْسِ في البرزَخِ، وإنَّما نلقاهُ بعدَ البَعْثِ.

قالَ أحمدُ بنُ أبي الحوارِيِّ: فهو في الدُّنيا أحرَى أن يلقاهُ؛ يعني بالذِّكرِ.

فأبو سُلَيمانَ وصاحِبُه أحمدُ بنُ أبي الحوارِيِّ رحمَهما الله تعالى يقولانِ: ما يجِدُ[3] العارِفُونَ المُحِبُّونَ في الدُّنيا من حلاوةِ الطّاعةِ ولذّةِ المُعاملةِ واستِنارةِ القُلوبِ وتَقرُّبِها[4] من علّامِ الغُيوبِ أكمَل ممّا يحصُلُ لهم في البرزَخِ قبلَ البَعثِ؛ فإنَّه لا يُمكِنُ رُؤيةُ الله تعالى بالأبصارِ إلّا في يومِ القيامةِ، وقد جاءَ في حديثٍ: «إنَّ يومَ القيامةِ أوَّلُ يومٍ نظَرَتْ فيه عَينٌ إلى الله عزَّ وجلَّ»[5].

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في «مثير الغرام الساكن» (ص: ٢٢٢)، وهو في «صفة الصفوة» (٢/ ٣٥٦).

(٢) في (ب): «خوفًا».

(٣) في (ب) و(س): «يجده».

(٤) في (ب) و(س): «وتقربها».

(٥) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» (١٧٥)، وابن النحاس في «رؤية الله» (١١)، وابن الدقاق في «مجلس في الرؤية» (٦)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٧٢). ومداره على أحمد بن يحيى بن =

وأمّا الأوَّلُونَ[1] فإنَّهم يُخالِفُونَ في ذلك، ويقولونَ: قد يحصُلُ للمُحبِّين[2] في البرزَخِ اتِّصالٌ وقُربٌ منَ الله سُبحانَه وتعالى ورُؤيةُ الأرواحِ[3]، فيكونُ ذلك أكمَلَ منَ الحاصلِ لهم في الدُّنيا بالعملِ، كما أنَّ نعيمَ البرزخِ بالمخلوقاتِ منَ الجنّةِ أكمَلُ من نعيمِ الدُّنيا أيضًا.

وقد قالَ النَّبيُّ ﷺ: «اِعلَمُوا أنَّكم لن ترَوا ربَّكم حتَّى تموتُوا»[4]، وهذا يدُلُّ بمَفهومِه على أنَّ رُؤيةَ الله سُبحانَه تحصلُ بعدَ المَوتِ.

وقد رُوِيَ في ذلك منَ المُبشِّراتِ الأحلاميّةِ قديمًا وحديثًا ما يطولُ ذِكرُه، واتَّفَقَ[5] العارِفُونَ كلُّهم على أنَّ ما يحصُلُ بعدَ البَعثِ للعارِفينَ المُحبِّينَ أكمَلُ ممّا يحصُلُ لقُلوبِهم في الدُّنيا، فإنَّ غايةَ الحاصلِ للقُلوبِ في الدُّنيا هو تجلِّي أنوارِ الإيمانِ في القلبِ حتَّى يصيرَ الغيبُ كأنَّه شهادةٌ.

ومَن قالَ: إنَّ الأرواحَ والقلوبَ تُكافِحُ ذاتَ الرَّبِّ سُبحانَه وتعالى في الدُّنيا عَيانًا فهو غالطٌ، فإنَّ هذا لم يثبُتْ لأحدٍ إلّا للنَّبيِّ ﷺ ليلةَ الإسراءِ، كما ذكرَه الصَّحابةُ رضيَ الله عنهم.

---

= خالد بن حيان الرقي من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. وهو ضيق المخرج جداً، والتفرد فيه نازل، وفي مخرجه ضعف.

(١) في (س): «الأكثرون». وقد كُتِبت أولًا في (ش)، ثم ضرب عليها: وكُتِبَ: الأولون وصُحح عليها.

(٢) في حاشية (ش): لفظة غير واضحة إشارة إلى نسخة، ولعلها: «المخبتين».

(٣) في (س): «ورؤيته للأرواح».

(٤) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٧٧١٦) من حديث عبادة بن الصامت بنحو هذا اللفظ.

(٥) في (س): «وقد اتفق».

وصنَّفَ بعضُهم مُصنَّفًا سمّاه: «تفضيلُ العباداتِ على نعيمِ الجنّاتِ»[١]، وأشارَ إلى أنَّ العباداتِ[٢] حقُّ الرَّبِّ، وأنَّ النَّعيمَ حظُّ النَّفسِ، وكأنَّه ظنَّ أنْ لا نعيمَ في الجنّةِ إلا التَّمتُّعُ بالمخلوقاتِ فيها، وهو غلَطٌ عظيمٌ، فإنَّ أعلى نعيمِ الجنّةِ ما يحصُلُ فيها من معرفةِ الله سُبحانَه ومُشاهدَتِه، فإنَّ علمَ اليقينِ يصيرُ هناكَ عينَ اليقينِ، وتتجَدَّدُ معرفةٌ عظيمةٌ لـم تكُنْ موجودةً قبلَ ذاك، بل ولـم تخطُرْ على قلبِ بشرٍ قطُّ.

وكذلك توحيدُ أهلِ الجنّةِ ودَوامُ ذِكرِهم هو من أكمَلِ لذّاتِهم، ولذلك يُلهَمُونَ التَّسبيحَ كما يُلهَمُونَ النَّفَسَ[٣].

قـالَ ابـنُ عُيَينـةَ: «لا إلـهَ إلا الله» لأهـلِ الجنّـةِ كالمـاءِ البـاردِ لأهـلِ الدُّنيا[٤]. وكذلـك ترنُّمُهـم بالقُرآنِ وسَـماعُهم لـه[٥]، وأعلاهُ سَـماعُه منَ الله عزَّ وجـلَّ، فأينَ هـذا من تـلاوةِ أهـلِ الدُّنيا وذِكرِهـم؟ وأمّا سـائرُ العباداتِ فمـا كانَ منها فيه مشـقّةٌ علـى الأبـدانِ فـإنَّ أهـلَ الجنّـةِ قـد أُسـقِطَ ذلـك عنهـم، وكذلـك مـا فيـه نـوعُ ذلٍّ وخُضـوعٍ كالسُّـجودِ ونحوِه.

وأمّا ما في العباداتِ منَ النَّعيمِ الحاصلِ بها لأهلِ المعرفةِ في الدُّنيا فإنَّه يحصُلُ

---

(١) هو العلامة أبو الوفاء علي بن عقيل البغدادي الحنبلي، المتوفى سنة (٥١٣هـ) رحمه الله تعالى. ولا أعلم لهذا الكتاب وجوداً اليوم.

(٢) في (س): «العبادة».

(٣) كما في «صحيح مسلم» (٢٨٣٥) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٩٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٨٢)، والبيهقي في «الشعب» (٤١٨١). وعندهم: «لهم في الآخرة كالماء في الدنيا».

(٥) في (ب): «وسماعه».

لهم في الجنّةِ أضعافًا مع راحةِ الجسدِ من مشقّةِ التّكاليفِ[١] التي في الدُّنيا، فتجتمِعُ لهم راحةُ القلبِ والبدَنِ على أكملِ الوُجوهِ، وهذا مثلُ الصَّلاةِ، فإنَّ العارِفينَ في الدُّنيا إنَّما يتنعَّمُونَ بما فيها منَ المُناجاةِ وآثارِ القُربِ، وما يرِدُ عليهم منَ الوارداتِ[٢] في تلاوةِ الكتابِ، ونحوِ ذلك من نعيمِ القلوبِ[٣]، وربَّما يستَغرِقُونَ به عن الشُّعورِ بتَعَبِ الأبدانِ، فهذا القَدْرُ الذي حصَلَ لهم به النَّعيمُ[٤] في الدُّنيا يتَزايَدُ في الجنّةِ بلا ريبٍ لا سيَّما في أوقاتِ الصَّلواتِ، فإنَّ أكمَلَهم مَن ينظُرُ إلى وجهِ الله عزَّ وجلَّ كلَّ يومٍ مرَّتَينِ بُكرةً وعشِيًّا في وقتِ صلاةِ الصُّبحِ وصلاةِ العصرِ كما جاءَ في حديثِ ابنِ عمرَ مرفوعًا وموقوفًا[٥].

وإلى ذلك أشارَ النَّبيُّ ﷺ بالمُحافظةِ على هاتَينِ الصَّلاتَينِ عَقيبَ ذِكرِه رُؤيةَ الرَّبِّ سُبحانَه وتعالى في حديثِ جريرِ البَجَليِّ[٦].

فالنَّعيمُ الحاصِلُ لأهلِ الجنّةِ بالرُّؤيةِ والمُخاطبةِ في هذَينِ الوقتَينِ أكمَلُ ممّا كانَ حاصِلًا لهم في الدُّنيا، وكذلك صلاةُ الجمعةِ؛ فإنَّهم يجتَمِعُونَ في وقتِها في يومِ المزيدِ، ويتجَلَّى لهم سُبحانَه ويُحاضِرُهم مُحاضرةً، وكذلك في العيدَينِ، فهذا

---

(١) في (س): «التكليف».

(٢) في (ش) و(ت): «الموارد».

(٣) في (ش) و(ت): «القلب».

(٤) في (ت) و(س): «التنعم».

(٥) أخرجه الإمام أحمد (٤٦٢٣) من حديث ابن عمر مرفوعاً: «وإن أفضلهم منزلة لينظر في وجه الله تعالى كل يوم مرتين»، وعند الترمذي (٢٥٥٣): «وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية»... وذكر الترمذي من رواه عن ابن عمر موقوفاً.

(٦) في قوله ﷺ: «فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا...» أخرجه البخاري (٥٥٤) (٥٧٣) (٤٨٥١) (٧٤٣٤)، ومسلم (٦٣٣).

أكمَلُ مـمّا يحصُلُ لهم في الدُّنيا في صَلاتهم[١] من آثارِ القُربِ وحلاوةِ المُناجاةِ مع[٢] راحةِ البدَنِ ونعيمِه أيضًا.

فتبيَّنَ بهذا أنَّ نعيمَ الجنّةِ أكملُ من نعيمِ الدُّنيا مُطلَقًا، وسواءٌ في ذلك نعيمُ الأبدانِ بالأكلِ والشُّربِ والجماعِ ونعيمُ القلوبِ والأرواحِ بالمعارِفِ والعلومِ والقُربِ والاتِّصالِ والأُنسِ والمُشاهدةِ.

وظَهـرَ بهذا أنَّ قولَه تعالـى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا﴾ [النمـل: ٨٩، القصص: ٢٨] هـو علـى ظاهـرِه مـن غيرِ حاجـةٍ إلـى تأويـلٍ ولا تكلُّفٍ؛ فـإنَّ كثيـرًا منَ المُفسِّـرينَ فسَّـرُوا الحسـنةَ بكلمةِ التَّوحيدِ، والجزاءَ عليهـا بالجنّةِ، ثمَّ استشـكَلُوا تفضيلَ الجنّةِ علـى التَّوحيدِ[٣].

وبمـا ذكَرْنـاه يـزولُ الإشـكالُ، ويتبيَّـنُ أنَّ التَّوحيـدَ الذي فـي الجنّـةِ أكمَلُ منَ التَّوحيـدِ الـذي في الدُّنيـا، وهو جزاءٌ لـه، وكذلك المعرفـةُ والمحبّةُ والشَّـوقُ أيضًا، فقـد جـاءَ فـي بعـضِ أحاديثِ يـومِ المزيـدِ أنَّهم ليسُـوا إلـى شـيءٍ أشـوَقَ منهم إلى يـومِ الجمُعةِ[٤].

وشبيهٌ بهذا: الغلَطُ الذي أشَرْنا إليه مِنْ قَولِ مَن قالَ: إنَّ العارِفينَ لا يشتاقُونَ إلى الله عزَّ وجلَّ في الدُّنيا؛ لأنَّهم يشهَدُونَه بقُلوبِهم حاضرًا، وتُباشِرُ قلوبُهم أنوارَه، ويتجلَّى لـها فيستأنِسُونَ به، ويطمَئِنُّونَ إليه.

---

(١) في حاشية (ش) و(ت): «خَلَواتِهم».

(٢) في (ب): «من».

(٣) ينظر: تفسير «مفاتيح الغيب»، فقد ذكر هذا الإشكال، والجواب عليه.

(٤) كمـا فـي حديـث طويل أخرجه البـزار (٧٥٢٧)، وأبـو يعلـى (٤٢٢٨)، والطبراني في «الأوسـط» (٢٠٨٤) مـن حديـث أنـس رضـي الله عنه من وجـوه عنه.

وهذا وإنْ كانَ قد نُقِلَ عن بعضِ السَّلَفِ المُتقدِّمينَ فهو أيضًا غلَطٌ، ولعلَّه صدَرَ من قائلِه في حالِ استغراقِه في مُشاهدةِ ما شاهَدَه فظَنَّ أنَّه ليس وراءَ ذلك مطلبٌ، وهذا كما قالَ بعضُهم: إنَّه تمرُّ بي أوقاتٌ أقولُ: إنْ كانَ أهلُ الجنّةِ في مثلِ ما أنا فيه إنَّهم لَفي عيشٍ طيِّبٍ[١].

ومعلومٌ أنَّ أهلَ الجنّةِ في أضعافِ[٢] ما هو فيه منَ النَّعيمِ واللَّذّةِ، ولكنَّه استعظَمَ[٣] ما حصَلَ له منَ النَّعيمِ فظنَّ[٤] أنَّه ليس وراءَه شيءٌ، وعندَ التَّحقيقِ يتبيَّنُ أنَّ ما حصَلَ في الدُّنيا للقلوبِ من تجلِّي أنوارِ الإيمانِ يدلُّ على عظَمةِ ما يحصُلُ في الجنّةِ، وليس بينَهما نسبةٌ فيتَزايَدُ بذلك الشَّوقُ إلى ما وراءَه، ولهذا[٥] كانَ النَّبيُّ ﷺ يسألُ ربَّه الشَّوقَ إلى لقائِه[٦]، مع أنَّه أكمَلُ الخلقِ مُشاهدةً ومعرفةً، وكانَ يقولُ في الوِصالِ: «إنِّي لستُ كهيئتِكُم، إنِّي أظَلُّ عندَ ربِّي يُطعِمُني ويسقيني»[٧]، ويُشيرُ إلى ما يتجَلَّى لقلبِه من آثارِ القُربِ والأُنسِ مـمّا يُقوِّيه ويُغذِّيه ويُغنيه عن الطَّعامِ والشَّرابِ، كما قالَ القائلُ:

---

(١) أصل الكلام لعابد من أهل طرسوس، وهو أبو سليمان المغربي كما ذكر ذلك ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٤٢٣) طبعة دار الحديث، وهذا اللفظ الذي هنا أورده ابن تيمية رحمه الله في كلامه، كما في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٦٤٧)، لكن ابن كثير رحمه الله ذكره في «البداية والنهاية» (سنة ٢٠٥) في ترجمة أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى، ونسبه إليه.

(٢) في (ت) و(س): «أضعاف أضعاف».

(٣) في (ب) و(س): «لما استعظم».

(٤) في (س): «ظن».

(٥) في حاشية (س): «ولقد».

(٦) كما في حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه الذي تقدم في أول الباب الثامن.

(٧) كما في حديث أنس رضي الله عنه عند البخاري (٧٢٤١)، ومسلم (١١٠٤).

لـــها أحاديـثُ مـن ذِكـراكَ تشغَـلُـــها عـنِ الشَّـرابِ[١] وتُلهيها عنِ الـزّادِ[٢]

ولـم يزَلْ أئمّةُ العارِفينَ يُثبِتُونَ[٣] الشَّوقَ، ويُخبِرونَ به عن أنفُسِهم.

قالَ عبدُ الواحدِ بنُ زيدٍ[٤]: يا إخوتَاه، ألا تبكُونَ شوقًا إلى الله جَلَّ وعزَّ؟ ألا إنَّه مَن بكَى شوقًا إلى سيِّدِه لـم يحرِمْه النَّظرَ إليه[٥].

وقالَ صالحٌ المُرِّيُّ: بلَغَني عن كعبٍ أنَّه كانَ يقولُ: مَن بكى اشتِياقًا إلى الله جلَّ وعزَّ أباحَه النَّظرَ إليه تبارَكَ وتعالى[٦].

قـالَ حبيبُ بنُ عُبَيدٍ: كانَ دُلَيْجَةُ إذا مشَى طاشَتْ قدَماهُ منَ العبادةِ، فقيلَ له: ما شأنُكَ؟ قالَ: الشَّوقُ، فقيلَ له: أبشِرْ فإنَّ الأميرَ قد بعَثَ إلى سَرْحِ المسلمينَ ليأذَنَ لهم، فيقولُ: ليس شَوقي إلى ذلك، إنَّ شَوقي إلى مَن يحثُّها[٧].

قالَ عثمانُ بنُ صَخرٍ العَتَكِيُّ: طُوبَى لمُحبِّي الرَّبِّ عزَّ وجلَّ، الذينَ عبَدُوه بالفَرَحِ والسُّرورِ، والأُنسِ والطُّمأنينةِ، فصارُوا الصَّفوةَ منَ الخلقِ، والخاصّةَ منَ البريّةِ، يـحِنُّونَ إليه حنينَ الوَلْهانِ، ويشتاقُونَ إليه شَوقَ مَن لا صبرَ لهم عنه، قد كُسِرُوا بالخوفِ، ورُوِّحُوا بالظَّفرِ[٨].

---

(١) في (ش) و(ت): «الطعام» وفي المصادر: «الرتوع».

(٢) البيت لإدريس بن أبي حفصة، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية في «ديوان المعاني» لأبي هلال العسكري (١/ ٦٣)، «الحماسة البصرية» (١/ ١٥٧).

(٣) كذا في النسخ، لكن لعله: «يبثون».

(٤) في (ش): «زياد» وهو خطأ.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٢٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٦٠).

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٢٠).

(٧) أخرجه أبو داود في «الزهد» (٣٩٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٠٢).

(٨) أخرجه الختلي في «المحبة» (٦١).

وكانَ أبو عُبَيدةَ الخوّاصُ يمشي في الأسواقِ ويضرِبُ على صدرِه ويقولُ: واشَوقاهُ إلى مَن يراني ولا أراهُ[1].

وكانَتِ امرأةٌ منَ العابداتِ[2] بمكّةَ لا تزالُ تصرُخُ وتقولُ: أوَليسَ عجَبًا[3] أن أكونَ حيّةً بينَ أظهُرِكم وفي قلبي منَ الاشتياقِ إلى ربِّي مثلُ شُعَلِ النّارِ التي لا تُطفَأُ حتَّى أصيرَ إلى الطَّبيبِ الذي بيدِه[4] بُرءُ دائي وشفائي[5]؟!

وقالَ ذو النُّونِ: إنَّ المُؤمنَ إذا آمَنَ باللهِ واستَحْكَمَ إيمانُه خافَ اللهَ، فإذا خافَ اللهَ تولَّدَتْ منَ الخوفِ هيبةُ اللهِ، فإذا سَكَنَ درجةَ الهيبةِ دامَتْ طاعتُه لربِّه، فإذا أطاعَ تولَّدَ منَ الطّاعةِ الرَّجاءُ، فإذا سكَنَ درجةَ الرَّجاءِ تولَّدت منَ الرَّجاءِ المحبّةُ، فإذا استَحْكَمَتْ معاني المحبّةِ في قلبِه سكَنَ بعدَها درجةَ الشَّوقِ، فإذا اشتاقَ أدّاهُ الشَّوقُ إلى الأُنسِ باللهِ، فإذا أنِسَ باللهِ اطمَأَنَّ إلى اللهِ، فإذا اطمَأَنَّ إلى اللهِ كانَ ليلُه في نعيمٍ، ونهارُه في نعيمٍ، وسِرُّه في نعيمٍ، وعلانيتُه في نعيمٍ. انتهى[6].

ولا رَيبَ أنَّ الشَّوقَ يقتَضي القلَقَ، لكنْ قد يمنَحُ اللهُ بعضَ أهلِه ما يُسكِنُ قلقَهم منَ الأُنسِ به، والطُّمأنينةِ إليه، كما أشارَ ذو النُّونِ إليه رحمَه اللهُ.

وعن إبراهيمَ بنِ أدهَمَ رحمه الله قالَ: قلتُ يومًا: اللَّهُمَّ إنْ كنتَ أعطَيتَ أحدًا

---

(١) أخرجه الختلي في «المحبة» (٢٥٨)، وذكره ابن الجوزي في «المدهش» (ص: ٤٠٧).

(٢) في (س): «المتعبدات».

(٣) في (ب): «عجيبًا».

(٤) في (س): «عنده».

(٥) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١/ ٤٥١).

(٦) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٣٥٩).

منَ المُحبِّينَ لك ما سَكَّنْتَ[(١)] به قلوبَهم قبلَ لقائِكَ فأعطِني ذلك، فلقَدْ أضَرَّ بيَ القلَقُ، قالَ: فرأيتُه تبارَكَ وتعالى في النَّومِ، فوَقَّفَني بينَ يدَيه، فقالَ لي: يا إبراهيمُ، أَمَا استَحْيَيْتَ منِّي تسألُني أن أُعطِيَكَ ما يسكُنُ به قلبُكَ قبلَ لقائي؟ وهل يسكُنُ قلبُ المُشتاقِ إلى غيرِ حبيبِه؟ أم هل يستَريحُ المُحِبُّ إلى غيرِ مَن اشتاقَ[(٢)] إليه؟ قالَ: فقُلتُ: يا ربِّ تُهْتُ في حبِّكَ فلم أدْرِ ما أقولُ[(٣)].

ورَوَى أبو نُعَيمٍ بإسنادِه عن عبدِ العزيزِ بنِ محمَّدٍ قالَ: رأيتُ في المنامِ قائلًا يقولُ: مَن يحضُرُ؟ مَن يحضُرُ؟ فأتيتُه، فقالَ لي: أما ترَى القائمَ الذي يخطُبُ النّاسَ ويُخبِرُهم عن أعلَى مراتبِ الأنبياءِ؟ فأدْرِكْ[(٤)] فلعلَّكَ تلحقُه وتسمعُ كلامَه قبلَ انصرافِه، فأتيتُه فإذا النّاسُ حولَه وهو يقولُ:

مـا نـالَ عبـدٌ مـنَ الرَّحمـنِ منزلـةً ... أعـلَى مـنَ الشَّـوقِ إنَّ الشَّـوقَ محمودُ

ثمَّ سلَّمَ ونزلَ، فقلتُ لرجلٍ إلى جانبي: مَن هذا؟ قالَ: أمَا تعرِفُه؟ قلتُ: لا، قالَ: هذا داودُ الطّائيُّ، فعجِبْتُ في مَنامي منه، فقالَ: أتَعْجَبُ مـمّا رأيتَ؟ واللهِ للَّذي[(٥)] عندَ الله لداودَ منَ الزُّلفَى أكثرُ من هذا وأكثرُ[(٦)].

---

(١) في (س): «أسكنت».

(٢) في (ب): «يشتاق».

(٣) ذكره أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (٢/ ١٠٠)، وأخرجه السراج القارئ في «مصارع العشاق» (١/ ٢٧٨).

(٤) في (س): «فأدركه».

(٥) في (ب): «الذي»، وفي (ش): «إن الذي».

(٦) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٣٦٠).

ومـمّا قيلَ في وصفِ المُشتاقينَ:

| | |
|---|---|
| أنَّ[١] مـنَ الشَّـوقِ فلـولا دَمعُـه | أَحـرَقَ مـا بيـنَ العُذَيـبِ والنَّقـا |
| واستَعَرَتْ أنفـاسُـه وإنَّـمـا | تَلَهَّـبُ[٢] الأنفـاسُ من حـرِّ الجـوَى |
| مَرُّوا علـى وادِي الغَضَـا فقَلَّبُـوا | منَ الجـوَى قلبي على جمـرِ الغَضَا[٣] |

* * *

---

(١) في (س): «أئن» وهو خطأ.

(٢) في (ب) و(س): «تلتهب».

(٣) لم أجد الأبيات عند غير المصنف، وقد أوردها أيضاً في «شرح حديث عمار بن ياسر». وفي حاشية (ش): «بلغ مقابلة».

## البابُ التاسعُ
## في رِضا المُحبِّينَ بِمُرِّ الأقدارِ، وتنَعُّمِهم ببلاءِ مَن يخلُقُ ما يشاءُ ويختارُ

قد تقدَّمَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ يقولُ في دُعائِه: «أسألُكَ[1] الرِّضا بعدَ القَضا، وبَرْدَ العيشِ بعدَ الموتِ، ولذَّةَ النَّظرِ إلى وجهِكَ، والشَّوقَ إلى لقائِكَ»[2].

وخرَّجَ التِّرمذيُّ من حديثِ أنسٍ عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «إنَّ اللهَ إذا أحبَّ قومًا ابتلاهُم، فمَنْ رَضِيَ فله الرِّضا، ومَن سخِطَ فله السَّخَطُ»[3].

ورَوَى جعفرُ بنُ بَرْقانَ، عن يزيدَ بنِ الأصمِّ[4]، عن عمرَ بنِ الخطّابِ رضيَ الله عنه قالَ: نظرَ رسولُ الله ﷺ إلى مُصْعَبِ بنِ عُمَيرٍ مُقبِلًا وعليه إهابُ كبشٍ قد تنَطَّقَ[5] به، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «انظُروا إلى هذا الرَّجلِ الذي قد نوَّرَ الله قلبَه، لقد رأيتُه بينَ أبوَينِ يَغذُوانِهِ[6] بأطيبِ الطَّعامِ والشَّرابِ، فدَعاهُ حُبُّ الله ورسولِه إلى ما ترَوْنَ». خرَّجَه الإسماعيليُّ في مُسنَدِ عُمرَ، وأبو نُعَيمٍ في «الحِليةِ»[7].

---

(١) زاد في (س): «اللهم إني».

(٢) سبق تخريجه في أول الباب الثامن.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وقال: «حسن غريب من هذا الوجه».

(٤) إنما رواه جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران، عن يزيد بن الأصم.

(٥) في (س): «تمنطق».

(٦) في (س): «يغذونه».

(٧) كتاب الإسماعيلي لا أعلم عن وجوده شيئاً، وقد ذكر ابن كثير في «مسند الفاروق» (٩٨٤) هذا الحديث من رواية الإسماعيلي، وقال: «فيه غرابة وانقطاع». وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٠٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٧٧٩).

وقد رُوِيَ من وجهٍ آخرَ مُرسَلًا[(١)].

ورَوَى حُسَينُ بنُ عليٍّ الرَّحبيُّ ـ وفيه ضَعفٌ[(٢)] ـ عن عِكرمةَ، عنِ ابنِ عبّاسٍ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «ما مِن عبدٍ يُحِبُّ الله ورسولَه إلّا الفقرُ[(٣)] أسرَعُ إليه من جريةِ السَّيلِ من رأسِ الجبلِ على وجهِه، [والفقرُ أسرَعُ إلى مَن يُحِبُّ اللهَ ورسولَه أسرعُ من جَرْيةِ السَّيلِ على وجهِه][(٤)]، ومَن أحَبَّ اللهَ ورسولَه فَلْيُعِدَّ للبلاءِ تجفافًا»، وإنَّما يعني الصَّبرَ[(٥)].

وقد رُوِيَ معنَى هذا الحديثِ من وُجوهٍ مُتعدِّدةٍ، ولكنْ ليسَ في أكثَرِها سوى ذكرِ حُبِّ الرَّسولِ ﷺ[(٦)].

قالَ موسى بنُ وَرْدانَ: لمّا احتُضِرَ معاذُ بنُ جبلٍ وتغَشّاه الموتُ جعَلَ يقولُ: اخنُقْ خَنْقَكَ فوَعِزَّتِكَ إنِّي أُحِبُّكَ[(٧)].

وقالَ شَهرُ بنُ حَوْشَبَ: عن عبدِ الرَّحمنِ بنِ غَنْمٍ، عن حديثِ الحارِثِ بنِ

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) ولقبه: (حنش)، وكذلك جاء في أسانيد هذا الحديث.

(٣) في (س): «والفقر».

(٤) ما بين معقوفين لا يوجد في (ب) ولا في البيهقي وابن عساكر.

(٥) أخرجه بهذا اللفظ والسياق كله: أبو القاسم الحلبي في «جزئه» (٥).
وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ١١٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٣٨٥) دون الزيادة التي بين معقوفين.

(٦) ومنها حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه عند الترمذي (٢٣٥٠).

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (١٦٦)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٨/ ٤٥٠).

عميرةَ أنَّ مُعاذًا نزَعَ نزعًا لـم ينزَعْه أحدٌ، فكانَ كلَّما أفاقَ من غمرةٍ فتَحَ طرفَه، ثمَّ قالَ: اخنُقْني خَنقَكَ فوَعِزَّتِكَ إنَّك تعلَمُ أنَّ قلبي يُحِبُّكَ[١].

وقالَ صالحُ بنُ حسّانَ: إنَّ حُذَيفةَ لـمّا نزَلَ به الموتُ قالَ: هذه آخرُ ساعةٍ منَ الدُّنيا، اللَّهُمَّ إنَّكَ تعلَمُ أنِّي أُحِبُّكَ، فبارِكْ لي في لقائِكَ[٢].

قـالَ أبـو عليٍّ الرّازِيُّ: صحِبْتُ الفُضَيلَ بنَ عياضٍ ثلاثينَ سنةً، فما رأيتُه ضاحكًا ولا مُتبسِّمًا إلا يومَ ماتَ ابنُه عليٌّ، فقلتُ له في ذلك، فقالَ: إنَّ الله تعالى أحبَّ أمرًا فأحبَبْتُ ما أحبَّ الله[٣].

قالَ مَرْدُوْيَه: سمِعْتُ الفُضَيلَ يقولُ: درَجةُ الرِّضا عنِ الله درجةُ المُقرَّبين، ليس بينَهم وبينَ الله إلّا رَوحٌ ورَيحانٌ[٤].

قالَ: وسمِعتُه يقولُ: أحَقُّ النّاسِ بالرِّضا عنِ الله أهلُ المعرفةِ بالله[٥].

وقالَ أبو عبدِ الله النِّباجِيُّ: سأَلَ رجلٌ فُضَيلًا بنَ عياضٍ فقالَ: متى يبلُغُ الرَّجلُ غايتَه من حُبِّ الله تعالى؟ فقالَ له الفُضَيلُ: إذا كانَ عَطاؤُه ومَنعُه إيّاكَ عندَكَ سواءً فقد بلَغْتَ الغايةَ من حُبِّه[٦].

---

(١) أخرجه البزار في «مسنده» (٢٦٧١) في ضمن سياق طويل.

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٢/ ٢٩٧).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٠٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٨/ ٣٨٣).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٩٧).

(٥) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٠٤) والسامع: عبد الصمد بن يزيد.

(٦) في (ب) و(س): «حب الله». أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١١٣).

وذكرَ أبو القاسمِ الدِّمشقيُّ الحافظُ في «تاريخِه» بإسنادِه، عن أبي شُعَيبٍ قالَ: سألْتُ إبراهيمَ بنَ أدهَمَ الصُّحبةَ إلى مكّةَ، قالَ لي: على شَريطةٍ على[1] أنَّكَ لا تنظُرُ إلّا لله وبالله، فشرَطْتُ له ذلك على نفسي، فخَرَجْتُ معه، فبَيْنا[2] نحنُ في الطَّوافِ فإذا أنا بغلامٍ قد افتَتَنَ النّاسُ به لحُسنِه وجمالِه، فجعَلَ إبراهيمُ يُديمُ النَّظرَ إليه، فلما أطالَ ذلك قُلتُ: يا أبا إسحاقَ، أليسَ شرَطْتَ عليَّ أنْ لا ننظُرَ إلّا لله وبالله[3]؟ قالَ: بلى، قُلتُ: فإنّي أراكَ تُديمُ النَّظرَ إلى هذا الغُلامِ، فقالَ: إنَّ هذا ابني وولدي، وهؤلاءِ غِلماني وخدَمي الذين معه، ولولا شيءٌ لقبَّلتُه، ولكِنْ انطَلِقْ فسلِّمْ عليه منِّي، قالَ: فمَضَيتُ إليه وسَلَّمتُ عليه من والدِه، فجاءَ إلى والدِه فسلَّمَ عليه، ثمَّ صرَفَه معَ الخدَمِ، فقالَ: ارجِعْ انتَظِرْ أيَّ شيءٍ يُرادُ بكَ، فأنشأَ يقولُ:

هجَرْتُ الخَلْقَ طُرًّا في هَواكا ... وأَيتَمْتُ العِيالَ لكَي أراكا

فلو قَطَّعْتَني في الحبِّ إرْبًا ... لَما حَنَّ الفؤادُ إلى سِواكا[4]

ورَوَى ابنُ أبي الدُّنيا بإسنادِه عن عبدِ الواحدِ بنِ زيدٍ قالَ: خرَجْتُ إلى ناحيةِ الخُرَيبَةِ[5] فإذا إنسانٌ أسوَدُ مجذومٌ، قد تقطَّعَتْ كلُّ جارحةٍ له بالجُذامِ، وعَمِيَ وأُقعِدَ، وإذا صبيانٌ يرمُونَه بالحجارةِ حتَّى دَمَوا وجهَه[6]، فرأيتُه يُحرِّكُ شفتَيه، فدَنَوتُ منه لأسمَعَ ما يقولُ، فإذا هو يقولُ: يا سيِّدي إنَّكَ لتَعلَمُ أنَّكَ لو قرَضْتَ

---

(١) في (س): «عليك».

(٢) في (ب): «فبينما».

(٣) في (ت): «تنظر»، وفي (س): «تنظر إلا بالله ولله».

(٤) أخرجه أبو القاسم ابن عساكر الدمشقي في «تاريخ دمشق» (٦/ ٣٠٦).

(٥) موضع بالبصرة.

(٦) في (س): «ورأسه»، وضرب عليها في (ش)، وهي لحق في (ت). ولا توجد في المصدر.

لحمي بالمقاريضِ، ونشَرْتَ عِظامي بالمناشيرِ ما ازدَدْتُ لك إلّا حُبًّا، فاصنَعْ بي ما شئتَ[١].

وعنِ الأوزاعيِّ قالَ: حدَّثني بعضُ الحكماءِ قالَ: رأيتُ رجلًا قد ذهَبَتْ يداهُ ورِجْلاه، وهو يقولُ: اللَّهُمَّ إنِّي أحمدُكَ حمدًا يُوافي محامِدَ خلقِكَ كفَضْلِك على سائرِ خلقِكَ؛ إذ فضَّلتَني على كثيرٍ ممَّن خلَقْتَ تفضيلًا، فقلتُ له: على أيِّ نعمةٍ تحمَدُ؟ فقالَ: أليسَ قد ترَى ما صنعَ بي؟ قالَ: قلتُ: بلى، قالَ: فوالله لو أنَّ الله صبَّ عليَّ السَّماءَ[٢] نارًا فأحرَقَتْني، وأمرَ الجبالَ فدَمَّرَتْني، وأمرَ البحارَ فغرَّقَتْني، وأمرَ الأرضَ فخَسَفَتْ بي، ما ازدَدْتُ له إلّا حبًّا، وما ازدَدْتُ له إلّا شُكرًا[٣].

وعن بكرِ بنِ خُنَيسٍ قالَ: مرَرْتُ بمجذومٍ وهو يقولُ: وعزَّتِكَ وجلالِكَ لو قطَّعْتَني بالبلاءِ قطعًا ما ازدَدْتُ لك إلّا حُبًّا[٤].

وفي هذا المعنَى يقولُ بعضُهم:

لـو قطَّعَنـي الـغَـرامُ إِرْبًـا إِرْبـا ... مـا ازدَدْتُ علـى المَـلامِ إلّا حُبَّـا

لا زِلْـتُ بكُـم أسـيرَ وَجْـدٍ صَبَّـا ... حتَّـى أقضِـي علـى هَواكُـمْ نَحْبـا[٥]

ورَوَى أبو العبّاسِ بنُ مَسروقٍ بإسنادِه عن خلَفٍ البرزاليِّ[٦] أنَّه أُتِيَ بمجذومٍ

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (١١٦).

(٢) في (س): «من السماء» وليس في المصدر.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر» (٩٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥١/ ١١٤).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر» (١٩٣).

(٥) ذكرهما ابن الجوزي في «المدهش» (ص: ١٨٢).

(٦) في (س) و(ب): «البزار»، وفي حاشية (س): «البروالي». والله أعلم بصوابه.

ذاهبِ اليدَينِ والرِّجلَينِ أعمَى، فجعلَه معَ المجذُومينَ وغَفَلَ عنه، ثمَّ ذكرَه، فقالَ[١]: يا هذا، غَفَلْتُ عنكَ، فقالَ: حبيبي ومَن أنا أُحِبُّه فقد أحاطَتْ محبَّتُه بأحشائي فلا أجِدُ لِـما أنا فيه من ألـمٍ معَ محبَّتِه لا يغفُلُ عنِّي، فقُلتُ له: إنِّي نسيتُكَ، قالَ: إنَّ لي مَن يذكرُني، وكيفَ لا يذكُرُ الحبيبُ حبيبَه وهو نُصبَ عينَيه[٢] تائِهُ العقلِ واللُّبِّ[٣].

وذكرَ أبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَمِيُّ بإسنادِه عن بُنانٍ الحمّالِ قالَ: ليس يَتحقَّقُ في الحبِّ حتَّى يَتلذَّذَ بالبلاءِ في الحبِّ كما يَتلَذَّذُ الأغيارُ بأسبابِ النِّعَمِ[٤].

وكانَ عبدُ الصَّمدِ الزّاهدُ يقولُ: أوجَدَهم في تعذيبِه عُذوبةً. يُشيرُ إلى صبرِهم على الضُّرِّ والفقرِ[٥].

وقالتِ امرأةٌ منَ العارِفاتِ: ما النَّعيمُ إلّا الأُنسُ بالله والمُوافقةُ لتدبيرِه[٦].

وشكا رجلٌ إلى فُضَيلٍ الفقرَ فقالَ فُضَيلٌ: أمُدبِّرًا غيرَ الله تُريدُ[٧].

وقالَتْ رابعةُ: إنَّ أولياءَ الله إذا قضَى لهم شيئًا لـم يَتَسَخَّطُوه[٨][٩].

---

(١) في (س): «فقال له».

(٢) في (ش) و(س): «عينه».

(٣) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١/ ٥٦٥) ولم أجده عند غيره، إذ ليس فيه ذكر أبي العباس بن مسروق.

(٤) أخرجه السلمي في «طبقات الصوفية» في ترجمة بنان في الطبقة الثالثة (ص: ٢٢٦).

(٥) مما نقله ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١/ ٥٥٤) عن أبي الوفاء بن عقيل.

(٦) هي مؤمنة بنت بهلول الدمشقية رحمها الله. أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٥٠١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧٠/ ١٢٨).

(٧) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٩٣).

(٨) في (ش) و(ت) و(س): «يسخطوه».

(٩) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (٢١).

وقالَ يحيى بنُ مُعاذٍ: لو أحبَبْتَ ربَّكَ ثمَّ جَوَّعَكَ وأعراكَ لَكانَ يجبُ أن تحتَمِلَه وتكتُمَه عنِ الخلقِ، فقد يحتملُ المُحِبُّ[1] لحبيبِه الأذَى، فكيفَ وأنتَ تشكُوه فيما لـم يصنَعْه بكَ[2]؟

وفي هذا المعنَى يقولُ القائلُ:

ويقبُـحُ مـن سِـواكَ الفِعـلُ عنـدي ... وتـفـعَـلُـه فيَـحسُنُ منـكَ ذاكا[3]

وقد تقدَّمَ ما أنشدَه أبو تُرابٍ النَّخشَبِيُّ وهو:

لا تُخدَعَنَّ فللمُـحِـبِّ دلائِـلُ ... ولدَيه مِن تُحَفِ الحبيبِ وسائلُ

منـهـا تـنَـعُّـمُـه بـمُـرِّ بلائِه ... وسـرورُه فـي كلِّ مـا هـو فاعِلُ

فالمنـعُ منه عطيّـةٌ مقبـولةٌ ... والفقـرُ إكـرامٌ وبـرٌّ عاجِـلُ[4]

وكانَ فتحٌ المَوصِلِيُّ يجمعُ عيالَه في ليالي الشِّتاءِ ويقولُ بكِسائِه عليهم، ثمَّ يقولُ: اللَّهُمَّ أفقَرْتَني وأفقَرْتَ عِيالي، وجَوَّعْتَني وجَوَّعْتَ عيالي، وأعرَيْتَني وأعرَيْتَ عيالي، بأيِّ وسيلةٍ توسَّلتُها إليك؟ وإنَّما تفعَلُ هذا بأوليائِكَ وأحبابِكَ، فهل أنا منهم حتَّى أفرحَ[5]؟

---

(١) في (س) و(ب): «الحبيب»، وفي حاشية (س) ما يوافق المثبت.

(٢) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله تعالى، وقد أورده أيضاً في «الاقتباس من مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس».

(٣) نسبه الراغب الأصبهاني في «محاضرات الأدباء» (٢/ ٥٤) للمتنبي، وفي «محاضرات الأدباء» (١/ ٥٣١) أنشده الشبلي لفلانة الطبرانية تغني به، وهو من شعر أبي نواس بنحوه.

(٤) سبق في آخر الباب الخامس.

(٥) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٤/ ٣٥٩).

ودخَلَ ليلةً إلى أهلِه وهو صائمٌ فلم يجِدْ عندَهم عَشاءً[١] ولا ما يُسرِجُونَ به، فجلَسَ يبكي منَ الفرَحِ، ويقولُ: إلـهي مِثلي يُترَكُ بلا عَشاءٍ ولا سِراجٍ، بأيِّ يدٍ كانَتْ منِّي؟ فما زالَ يَبكي إلى الصَّباحِ رحمَه اللهُ[٢].

ويُروَى عنِ الفُضَيلِ بنِ عياضٍ نحو هذا أيضاً[٣] [٤].

وكانَ عليُّ بنُ بابويهِ[٥] الصُّوفيُّ في الطَّوافِ فهجَمَتِ القَرامِطةُ على النَّاسِ فقَتلوهُم فأخَذَتْه السُّيوفُ فلمّا وقعَ تمثَّلَ بهذا البيتِ:

تَـرَى المُحبِّيـنَ صَرْعَى فـي ديارِهـمُ كفِتيةِ الكهفِ لا يدرُونَ كـم[٦] لبِثُوا[٧]

واستُشهِدَ لبعضِ السَّلَفِ ولدٌ في الجهادِ، فجاءَ النّاسُ يُعزُّونَه به[٨]، فبكَى وقالَ: ما أَبكي على مَوتِه، إنَّما أبكي كيفَ كانَ رِضاهُ عنِ اللهِ حينَ أخذَتْه السُّيوفُ[٩].

---

(١) في (س): «شيئاً»، وفي الحاشية ما يوافق المتن.

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٦٤٦).

(٣) في (ش) و(ت): «مثل هذا».

(٤) أخرجه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٢٢٩٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٨/ ٤٩٥).

(٥) في حاشية (ب): «باكويه. نسخة» والصواب المثبت.

(٦) في (س): «ما» وفي الحاشية ما يوافق المثبت.

(٧) وكان ذلك سنة (٣١٧)، والخبر ذكره ابن الجوزي في «الثبات عند الممات» (ص: ١٧٥).

(٨) «به» سقطت من (ش).

(٩) ذكره المصنف في عدد من كتبه: «اختيار الأولى» و«الاقتباس»، و«شرح حديث لبيك». وذكر ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (٧٣)، والبيهقي في «الشعب» (٩٦٤٥) نحو هذه القصة من رواية أبي عبد الرحمن الجرجاني: أنه ذهب ليعزي رجلاً وقد قتلت الترك ابنه، فبكى... القصة.

وفي هذا المعنَى يقولُ القائلُ:

إنْ كـانَ سُـكّانُ الغَضَا رَضُـوا بقَـتلي فَرِضَـا
والله لا كُـنْـتُ لـمـا يهـ ـوَى الحبيـبُ مُبغِضَـا
صِـرْتُ لهـم عبـدًا ومـا للـعبـدِ أنْ يعتَـرِضَا[1]

## فصلٌ

ومـمّا يستَحْليه المُحِبُّونَ لله اختِيارُهم الذُّلَّ لهم على الشَّرفِ، والـخُمولَ على الشُّهرةِ.

قالَ مَخْلَدُ بنُ الحُسَينِ: ما أحَبَّ الله عبدًا[2] فأحَبَّ أن يعرِفَ النّاسُ مكانَه[3].

وقالَ أحمدُ بنُ أبي الحوارِيِّ: مَن عبَدَ الله على المحبّةِ لا يُحِبُّ أن يرَى خِدمتَه سوى محبوبِه[4].

وقالَ ذو النُّونِ: كلُّ مُطيعٍ مُستأنِسٌ، وكلُّ عاصٍ مُستَوحِشٌ، وكلُّ مُحِبٍّ ذليلٌ، وكلُّ خائفٍ هارِبٌ، وكلُّ راجٍ طالبٌ[5].

---

(١) نقل الأبيات ابن الجوزي في «المدهش» (ص: ٢٧٧)، والعماد الأصبهاني في «خريدة القصر» (٣/ ٦٦) وهي من قصيدة لأبي عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الوهاب، البارع النحوي الشاعر، المتوفى سنة (٥٢٤) رحمه الله.

(٢) في (ب): «ما أحبَّ اللهَ عبدٌ»، والصواب المثبت.

(٣) أخرجه ابن العديم في «بغية الطلب في تاريخ حلب» (٣/ ٥١٨) من طريق ابن أبي الدنيا.

(٤) أخرجه أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقات الصوفية» في ترجمته من الطبقة الأولى (ص: ٩٤).

(٥) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٣٧٦)، والبيهقي في «الشعب» (٤٨٥) وذكر أنه مما وجده مكتوباً على صخرة ببيت المقدس.

وكانَ بشرٌ يقولُ في دُعائِه: اللَّهُمَّ إنَّكَ تعلَمُ أنَّ الذُّلَّ أحبُّ إليَّ منَ العِزِّ، وأنَّ الفقرَ أحَبُّ إليَّ منَ الغِنَى، وأنِّي لا أُوثِرُ على حُبِّكَ شيئًا، فسمِعَه رجلٌ فأخَذَه البُكاءُ فقالَ: اللَّهُمَّ أنتَ تعلَمُ أنِّي لو علِمْتُ أنَّ هذا هاهُنا لـم أتكلَّمْ[1].

وسُئِلَ يوسفُ بنُ الحُسَينِ: ما بالُ المُحبِّينَ يتلذَّذُونَ بالذُّلِّ في المحبّةِ؟ فأنشأَ يقولُ:

ذُلُّ الفتَـى فـي الحـبِّ مَكرُمةٌ ... وخُضُوعُـه لحبيبِـه شَـرَفُ[2]

وفي هذا المعنَى يقولُ القائلُ:

مسـاكينُ أهـلُ الحـبِّ حتَّـى قُبورُهم ... عليـها تـرابُ الـذُّلِّ بيـنَ المقابـرِ[3]

ويقولُ الآخرُ:

العِـزُّ ذُلِّـي فـلا تـلُـمْـنِـي ... مـا تبتَغِـي يـا عَـذُولُ منِّـي[4]

قالَ جعفرُ بنُ سُلَيمانَ: عن مالكِ بنِ دينارٍ، قالَ موسى عليه السَّلامُ: إلـهي أينَ أبغيكَ؟ فأوحَى الله إليه: يا مُوسى اِبغِني عندَ المُنكسِرَةِ قُلوبُهم[5]؛ فإنِّي أدْنو منهم في كلِّ يومٍ وليلةٍ باعًا، ولولا ذلك لانهدَمُوا.

---

(١) أخرجه الذهبي بسنده في «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٤٧٣).

(٢) هو في «تاريخ دمشق» لابن عساكر، انظر: «مختصر ابن منظور» (٢٨/ ٧٦).

(٣) استشهد به الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله، ولم يُنسب إلى قائل. وهو في ديوان الشعر المنسوب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ص: ٢٨) وفيه: «مساكين أهل الفقر». وانظر: «مصارع العشاق» للسراج القارئ (١/ ١٣٠).

(٤) في (ب) و(س): «يا عذولي مني». ولم أجده عند غير المصنف رحمه الله.

(٥) زاد في (ب): «من أجلي».

قَالَ جعفرُ بنُ سليمانَ: فقلتُ لمالكٍ: كيفَ المُنكسِرةُ قُلوبُهم؟ فقالَ: سألتُ الذي قرأ في الكتُبِ، فقالَ: سألتُ الذي سألَ عبدَ الله بنَ سلامٍ عن المُنكسرةِ قلوبُهم ما يعني؟ قالَ: المُنكسرةُ قلوبُهم بحُبِّ الله عزَّ وجلَّ عن حُبِّ غيرِه. خرَّجَه إبراهيمُ بنُ الجنَيدِ[1].

* * *

(١) أخرجه ابن الجنيد الختلي في «المحبة لله عز وجل» (٦٩).

## البابُ العاشِرُ

## في ذِكرِ خَوفِ المُحبِّينَ العارِفينَ وفَضلِه على خَوفِ سائرِ الخائفينَ

قالَ الله تعالى في حقِّ الفُجّارِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: ١٤ ـ ١٧]، فوصَفَهم بأنَّ كسبَهم رانَ على قُلوبِهم، والرّانُ هو ما يعلُو القلبَ[١] منَ الذُّنوبِ من ظُلمةِ المعاصي وقَسوَتِها، ثمَّ ذكرَ جزاءَهم على ذلك، وهو ثلاثةُ أنواعٍ:

الحِجابُ عن ربِّهم، ثمَّ صِلِيُّ الجحيمِ، ثمَّ التَّوبيخُ، فأعظَمُ عذابِ أهلِ النّارِ حِجابُهم عن ربِّهم عزَّ وجلَّ.

ولـمّا كانَتْ قلوبُهم في الدُّنيا مُظلِمةً قاسيةً لا يصِلُ إليها شيءٌ من نُورِ الإيمانِ وحقائقِ العِرْفانِ كانَ جزاؤُهم على ذلك في الآخرةِ حجابَهم عن رُؤيةِ الرَّحمنِ.

قالَ[٢] بعضُ العارِفينَ: مَن عرَفَ الله في الدُّنيا عرَفَه بقدرِ تعرُّفِه إليه، وتجلَّى له في الآخرةِ بقدرِ معرِفَتِه إيّاه في الدُّنيا، فرآه[٣] في الدُّنيا رؤيةَ الأسرارِ ويراه في الآخرةِ رُؤيةَ الأبصارِ، فمَن لا يراهُ في الدُّنيا بسِرِّه[٤] لا يراهُ في الآخرةِ بعَينِه. انتَهى[٥].

فخَوفُ العارِفينَ في الدُّنيا منِ احتِجابِه عن بصائرِهم[٦]، وفي الآخرةِ منِ احتِجابِه عن أبصارِهم ونَواظِرِهم.

---

(١) في (س): «على القلب».

(٢) في (ب): «وقال».

(٣) في (س): «فرأوه».

(٤) في (س): «ابسره لسره» وهو تكرار لا معنى له.

(٥) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله.

(٦) في (ب): «أبصارهم»، وهو سبق قلم.

وكتَبَ الأوزاعيُّ إلى أخٍ له: أمّا بعدُ، فإنَّه قد أُحيطَ بك من كلِّ جانبٍ، واعلَمْ أنَّه يُسارُ بكَ في كلِّ يومٍ وليلةٍ فاحذَرِ الله والمقامَ بينَ يدَيه وأن يكونَ آخرَ عهدِكَ به، والسَّلامُ[١].

كانَ[٢] عُتبةُ الغلامُ يبكي باللَّيلِ ويقولُ: قطعَ ذِكرُ العرضِ على الله أوصالَ المُحبِّينَ، ثمَّ يُحشرِجُ البكاءَ حَشْرَجةَ الموتِ، ويقولُ: تُراكَ مولايَ تُعذِّبُ مُحبِّيكَ[٣] وأنتَ الحيُّ الكريمُ[٤]؟

وباتَ ليلةً بالسّاحلِ قائمًا يُردِّدُ هذه الكلماتِ لا يزيدُ عليها ويبكي حتَّى أصبحَ: إنْ تُعذِّبْني فإنِّي مُحِبٌّ لك، وإنْ ترحَمْني فإنِّي مُحِبٌّ لك[٥].

وكانَ كَهْمَسٌ يقولُ في اللَّيلِ: أتُراكَ مُعذِّبي[٦] وأنتَ قُرَّةُ عيني يا حبيبَ قلباهُ[٧].

وكانَ أبو سُليمانَ يبكي ويقولُ: لَئِنْ طالبَني بذُنوبي لأُطالبَنَّه بعفوِه، ولَئِنْ طالَبني ببُخلي لأُطالبَنَّه بجُودِه، ولَئِنْ أدخَلَني النّارَ لأُخبِرَنَّ أهلَ النّارِ أنِّي كنتُ أُحِبُّه[٨].

وأخذَ بعضُ الشُّعراءِ هذا المعنَى[٩] فقالَ:

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (٤٤١)، وفي «كلام الليالي والأيام» (٣٩).

(٢) في (س): «وكان».

(٣) في (س): «محبك».

(٤) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٠١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٢٣٥).

(٥) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (٢١١)، وابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٢٣٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٧٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٢٣٤).

(٦) في (س): «تعذبني».

(٧) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (١٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٢١٣).

(٨) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٥٥) بنحوه، مما سمع منه في خلوته لا في محضر الناس.

(٩) في (ب) و(س): «وأخذ هذا المعنى بعض [الشعراء] المتأخرين فقال».

وحقِّكَ لو أدخَلْتَني النّارَ قُلتُ لِلْـ ... ـلَذينَ بها قد كُنْتُ ممَّن يُحبُّهُ[١]

وآيةُ حُبِّ الصَّبِّ أنْ يَعْذُبَ الأَسَى ... إذا كانَ مَن يهوَى عليه يَصُبُّهُ[٢]

كانَ[٣] بعضُ المُحبِّينَ عندَ قومٍ يبكونَ منَ الخوفِ، فأنشَدَ:

كلُّهم يعبُدونَكَ من خوفِ نارٍ[٤] ... ويرَوْنَ النَّجاةَ فَضْلًا جَزيلا

أو بأنْ يسكُنُوا الجِنانَ فيُعطَوا ... رَوضةً من رياضِها سَلْسَبيلا

ليسَ لي في الجِنانِ والنّارِ رَأيٌ ... أنا لا أبتَغِي بحُبِّي بديلا

فقيلَ له: لو طرَدَكَ ما كنتَ تصنَعُ؟ فقالَ:

أنا إنْ لم أجِدْ منَ الحبِّ وَصْلًا ... رُمْتُ في النّارِ مَنزِلًا ومَقيلا

ثمَّ أزعَجْتُ أهلَها بِنِدائي ... بُكرةً في عِراصِها وأَصِيلا

معشَرَ المُشرِكينَ نُوحُوا على مَن ... يدَّعي أنَّه يُحِبُّ الجليلا

لم يكُنْ في الذي ادَّعاهُ مُحِقًّا ... فجَزاهُ به العذابَ الطَّويلا[٥]

وقد سبَقَ قولُ رقيَّةَ المَوصِلِيةِ: إلهي وسيِّدي ومولايَ، لو أنَّكَ عذَّبتَني بعذابِكَ كلِّه كانَ ما فاتَني من قُربِكَ أعظَمَ عندي منَ العذابِ[٦].

---

(١) في (س): «أحبه».

(٢) البيتان من أبيات ذكرها ابن تيمية رحمه الله تعالى في «درء تعارض العقل والنقل» (١/ ١٦١) ونسبها إلى ابن أبي الحديد البغدادي المعتزلي الشيعي.

(٣) في (س): «وكان».

(٤) في (ش) و(ت): «كلهم يعبدوك من خوف نارك».

(٥) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٤٥٠) من قول شاب في مجلس ذي النون. وعنده: «كلهم يعبدون...».

(٦) في أواخر الباب السادس.

وقالَ ذو النُّونِ: خَوفُ النَّارِ عندَ خوفِ الفِراقِ كقَطرةٍ في بحرٍ لُجِّيٍّ[١].

كانَ[٢] الشِّبليُّ يهيجُ في دارِه ويُنشِدُ:

علـى بُعـدِكَ لا يـصبِـ ـرُ مَـن عادَتُـه القُـرْبُ

ولا يقـوَى علـى حَجْبِـ ـكَ مَـن تيَّمَـه الحـبُّ

فإنْ لـم تـرَكَ العَينُ فقد أبصَـرَكَ القَلبُ[٣]

## فصلٌ

**وممّا يخافُه العارِفُونَ: فواتُ الرِّضا عنهم، وإنْ وجدوا العفوَ[٤] أو تَرْكَ العقُوبةِ، فالرِّضا[٥]** أحبُّ إليهم من نعيمِ الجنّةِ كلِّه معَ الإعراضِ وعدَمِ التَّقريبِ والزُّلفَى، وقد قالَ الله سُبحانَه وتعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ﴾ [التوبة: ٧٢] يعني: أكبر من نعيمِ الجنّةِ.

وفي «الصَّحيحِ» عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «إنَّ الله يقولُ لأهلِ الجنّةِ: ألا أُعطيكُم أفضلَ من ذلك؟ قالوا: وما أفضَلُ من ذلك؟ قالَ: أُحِلُّ عليكُم رِضواني فلا أسخَطُ عليكم بعدَه أبدًا»[٦].

---

(١) ذكره أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (١/ ٣٧٧)، والغزالي في «إحياء علوم الدين» في كتاب الخوف والرجاء، بيان الدواء الذي به يستجلب حال الخوف.

(٢) في (س): «وكان».

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٦/ ٥٦٣)، ومن طريقه ابن الجوزي في «المنتظم» (١٤/ ٥١)، وأخرجه السراج القارئ في «مصارع العشاق» (١/ ١٧٢).

(٤) في (ب): «وإن وجد العفو».

(٥) في (س): «فإن الرضا».

(٦) أخرجه البخاري (٦٥٤٩) (٧٥١٨)، ومسلم (٢٨٢٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وكانَ مُطرِّفٌ يقولُ: اللَّهُمَّ ارضَ عنّا، فإنْ لـم ترضَ عنّا فاعفُ عنا[١].

ورُئِيَ بعضُهم في المنامِ، فسُئِلَ عن حالِه، فقالَ: غفَرَ لي وأعرَضَ عنّي وعن جماعةٍ من أهلِ العلمِ لـم يعمَلُوا بعلمِهم[٢].

فالمُحِبُّونَ العارِفُونَ يخافُونَ مِن مثلِ هذه الحالِ، وإنَّما يسألُونَ الرِّضا من أوَّلِ الأمرِ.

قالَ الفُضَيلُ رضي الله عنه: مَن سألَ الله رِضوانَه فقد سألَه عظيمًا[٣].

وقالَ: لو أُخبِرْتُ عن جبريلَ وإسرافيلَ بشدّةِ اجتهادٍ ما عجِبْتُ، وكانَ ذلك قليلًا عندَما يطلُبون، أتدرُونَ أيَّ شيءٍ يطلُبونَ؟ وأيَّ شيءٍ يُريدون؟ رِضا[٤] ربِّهم عزَّ وجلَّ[٥].

قالَ[٦] جعفرُ بنُ سُلَيمانَ: قالَ مالكُ بنُ دينارٍ: وَدِدْتُ أنَّ الله تعالى إذا جمعَ الخلائقَ يومَ القيامةِ يقولُ لي: يا مالكُ، فأقولُ: لبَّيكَ، فيأذَنُ لي أن أسجُدَ بينَ يدَيه سجدةً، فأعرِفَ أنَّه قد رضِيَ عنّي، فيقولُ: يا مالكُ، كُنِ اليومَ تُرابًا[٧].

وكانَ أبو عُبَيدٍ البُسْرِيُّ[٨] يقولُ: ما غَمِّي ولا أسَفِي إلّا أن يجعلَني ممَّن عفا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (١٣٣٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٠٧) وغيرهما.

(٢) وذكره المصنف في الكلام على حديث شداد بن أوس.

(٣) لم أجده عن الفضيل، وإنما هو من قول الربيع بن أبي راشد لأبي ذر عمر بن ذر. أخرجه ابن أبي خيثمة في «تاريخه» السفر الثالث (٥٨)، وأبو أحمد الحاكم في «الأسامي والكنى» (٣/ ٢١٣). وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١١٢) (٥/ ٧٦).

(٤) في (ب) و(س): «يريدون رضا».

(٥) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٩٨).

(٦) في (س): «وقال».

(٧) أخرجه الختلي في «الديباج» (٢٤)، وابن أبي الدنيا في «المتمنين» (٣٣).

(٨) في (س): «التستري».

عنه، فقيلَ له: أليسَ الخلقُ على العفوِ تذابحوا[١]؟ فقالَ: أجَلْ، ولكنْ أيُّ شيءٍ أقبَحُ بشيخٍ مثلي يُوقَفُ غدًا بينَ يدَي الله عزَّ وجلَّ فيُقالُ له: شيخَ[٢] سوءٍ كنتَ، اذهَبْ فقد عَفَوْتُ عنكَ، أنا أمَلي في الله أن يهَبَ لي كلَّ مَن أحبَّني[٣].

ومـمّا يشتَدُّ قلَقُ العارِفينَ منه الحياءُ منَ الله عزَّ وجلَّ عندَ الوُقوفِ بينَ يدَيه.

قالَ بعضُهم: ما يَمُرّ[٤] بي أشَدُّ منَ الحياءِ منَ الله عزَّ وجلَّ[٥].

وقالَ الحسَنُ: لو لـم نبْكِ إلّا للحياءِ[٦] من ذلك المَقامِ لكانَ ينبَغي لنا أن نبكيَ فنُطيلَ البُكاءَ[٧].

وكانَ الفُضَيلُ رحمَه الله يقولُ: واسوأتاهُ منكَ وإن عفَوْتَ[٨].

قـالَ أحمـدُ بـنُ أبي الحـواريِّ: سـمِعْتُ محمَّدَ بـنَ حاتمٍ أبـا جعفرٍ قـال: قالَ الفُضَيـلُ بـنُ عيـاضٍ: لـو خُيِّـرْتُ بيـنَ أن أُبعَـثَ فأدخـلَ الجنّـةَ وبيـنَ أنْ لا أُبعَـثَ لاختَـرْتُ أنْ لا أُبعَـثَ، قـالَ: فقُلـتُ لمُحمَّـدٍ: هـذا منَ الحيـاءِ؟ قـالَ: نعَمْ[٩].

---

(١) في (س): «بذا نجوا»، وهو تصحيف.

(٢) في (س): «يا شيخ».

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٦/ ١٤٢)، وذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٣٩٣).

(٤) في (ش) و(ت) و(س): «مر».

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الورع» (١٨٦) من كلام إسماعيل بن داود المِسْحَلي رحمه الله.

(٦) في (ب): «تبك إلا من الحياء».

(٧) نقله المصنف من رواية ابن المنادي، في الكلام على قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾.

(٨) ذكره ابن الجوزي في «مثير الغرام الساكن» (ص: ١٩١). ونُقِل أيضاً عن غير الفضيل بن عياض عند ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٨٨)، وفي «مثير الغرام» (٢٧٠).

(٩) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٨٤).

قالَ أحمدُ بنُ أبي الحوارِيِّ: وسمِعْتُ مَضاءَ بنَ عيسى يقولُ: كانَ بعضُ التّابعينَ يقولُ: لأَنْ يُؤمَرَ بي منَ الجنّةِ إلى النّارِ أحبُّ إليَّ من أن أقِفَ[1] بينَ يدَيه تعالى فيسألَني ثمَّ يأمُرَ بي إلى الجنّةِ، قالَ: فحدَّثْتُ به أبا سُليمانَ فقالَ: بل نقِفُ بالمَوقفِ فتقرُّ به أعيُنُنا[2].

وإلى قولِ أبي سُليمانَ ذهبَ أبو يزيدَ وغيرُه منَ المُحبِّينَ، وإلى قولِ الفُضَيلِ ذهبَ حُذَيفةُ المَرْعَشِيُّ، فإنَّه قالَ: لو نزَلَ عليَّ ملَكٌ منَ السَّماءِ يُخبِرُني[3] أنّي لا أرَى النّارَ بعَيني وأنّي أصيرُ إلى الجنّةِ إلّا أنّي أقِفُ بينَ يدَي ربِّي ثمَّ أصيرُ[4] إلى الجنّةِ لقُلتُ: لا أُريدُ الجنّةَ، ولا أقِفُ ذلك المَوقِفَ[5].

ورُوِيَ عن أحمدَ بنِ أبي الحوارِيِّ معنى ذلكَ أيضًا[6].

ورُوِيَ أنَّ الأسودَ بنَ يزيدَ لمّا احتُضِرَ بكَى، فقيلَ له: ما هذا الجزعُ؟ قالَ: ما لي لا أجزَعُ؟ ومَن أحقُّ بذلك منِّي؟ واللهِ لو أُتيتُ بالمغفرةِ منَ اللهِ عزَّ وجلَّ لأهمَّني الحياءُ منه ممّا قد صنَعْتُ، إنَّ الرَّجلَ ليكونُ بينَه وبينَ الرَّجلِ الذَّنبُ الصَّغيرُ فيعفُو عنه، ولا يزالُ مُستَحيًا منه[7].

قالَ ابنُ أبي الدُّنيا: حدَّثَني الحسينُ بنُ عبدِ العزيزِ قالَ: كانَ عندَنا شيخٌ على

---

(١) في (س): «أوقف».

(٢) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله. وذكره أيضاً في «شرح حديث شداد بن أوس، وفيه: «لو أمر بي من الموقف إلى النار» وهذا أصوب. والله أعلم.

(٣) في (س): «يخيرني»، وهي في (ب) محتملة.

(٤) في (ش) و(ت): «ثم إني أصير».

(٥) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢٦٨).

(٦) فيبحث عنه.

(٧) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٠٣).

أمورٍ، ثمَّ أقلَعَ عنها، فلمّا احتُضِرَ أُغمِيَ عليه، ثمَّ أفاقَ فقالَ: إنِّي رأيتُ كأنِّي مِتُّ وكأنَّ آتيًا أتاني فانطلَقَ بي إلى اللهِ عزَّ وجلَّ حتَّى وقفَ بي دونَ الحجابِ، فكأنَّه[1] أرادَني على الدُّخولِ، فتَداخَلَني الحياءُ والخوفُ، وكأنَّه يقولُ: ما هو إلّا الدُّخولُ عليه عزَّ وجلَّ أو دخولُ النّارِ، قالَ: فكأنِّي اختَرْتُ دُخولَ النّارِ للذي أصابَني منَ الحياءِ، قالَ: فانطلَقَ بي، ثمَّ إنَّه عُرِجَ بي وقيلَ له: انطَلِقْ به إلى الجنّةِ[2].

ورُوِيَ عن أبي حامدٍ الخُلقانيِّ أنَّه أنشَدَ الإمامَ أحمدَ هذَينِ البيتَينِ:

إذا ما قالَ لي ربِّي ... أمَا استحيَيْتَ تعصيني

وتُخفِي الذَّنبَ من خَلْقي ... وبالعصيانِ تأتيني

فأمَرَه الإمامُ أحمدُ بإعادَتِهما عليه، فأعادَهما عليه، فدخَلَ أحمدُ دارَه وجعَلَ يُردِّدُهما ويبكي[3].

وأنشدَ بعضُهم:

يا حسرةَ العاصينَ عندَ مَعادِهم ... هذا وإنْ قدِمُوا على الجنّاتِ

لو لم يكُنْ إلّا الحياءُ منَ الذي ... ستَرَ القبيحَ لأعظموا[4] الحسَراتِ[5]

* * *

(١) في (ش): «وكأنه».

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٣١٥).

(٣) أخرجه ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (ص: ٢٠٢).

(٤) في (ب): «لأعظم»، وفي (س): «لكان أعظم».

(٥) ذكر ابن الجوزي هذين البيتين مع اختلاف في بعض كلماته في «المدهش» (ص: ٢٠٦).

## البابُ الحادي عشرَ
## في شرَفِ أهلِ الحبِّ، وأنَّ لهم عندَ اللّه أعلى منازِلِ القُربِ

في «الصَّحيحَينِ» عن أنسٍ، أنَّ رجلًا سألَ النَّبيَّ ﷺ فقالَ: متَى السّاعةُ يا رسولَ الله؟ قال[١]: «ما أعدَدْتَ لها؟» قالَ: ما أعدَدْتُ لها من كبيرِ صلاةٍ ولا صيامٍ ولا صدَقةٍ، ولكنِّي أُحِبُّ الله ورسولَه، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «فأنتَ[٢] معَ مَن أحبَبْتَ»[٣].

وفي روايةٍ للبُخاريِّ: فقُلنا: ونحنُ كذلك، قالَ: «نعَمْ»، قالَ أنسٌ: ففَرِحْنا يومَئذٍ[٤] فرحًا شديدًا[٥].

وفي روايةٍ لمُسلمٍ: قالَ أنسٌ: فما فرِحْنا بعدَ الإسلامِ فرَحًا أشدَّ من قولِه: «أنتَ معَ مَن أحبَبْتَ»، قالَ أنسٌ: فأنا أُحِبُّ الله عزَّ وجلَّ، ورسولَ الله ﷺ، وأبا بكرٍ وعمرَ رضِيَ الله عنهما، وأرجُو أن أكونَ معَهم وإنْ لم أعمَلْ بأعمالِهم[٦].

قال بعضُ العارِفينَ: يكفي المُحبِّينَ شرَفًا هذه المعيَّةُ[٧].

وقد قدَّمْنا في أوَّلِ الكتابِ[٨] أنَّ محبّةَ الله الواجبةَ تستلزِمُ امتِثالَ طاعتِه واجتِنابَ معصيتِه، وكذلك محبّةُ الرَّسولِ ﷺ وأصحابِه والتّابعينَ لهم بإحسانٍ.

---

(١) في (ب): «فقال».

(٢) في (ب) و(س): «أنت».

(٣) أخرجه البخاري (٦١٧١، ٧١٥٣) ومسلم (٢٦٣٩).

(٤) في (ش): «يومئذ بذلك».

(٥) أخرجها البخاري (٦١٦٧).

(٦) أخرجها مسلم (٢٦٣٩).

(٧) لم أظفر بقائله.

(٨) في (س): «هذا الكتاب».

فالمحبّةُ الصَّحيحةُ لهم تقتَضي مُشاركتَهم في أصلِ عمَلِهم، وإنْ عجزَ عن بُلوغِ غايتِه، كما قالَ أنسٌ رضيَ الله عنه، ولهذا قالَ السّائلُ للنَّبيِّ ﷺ: ما أعدَدْتُ لـها من كبيرِ صلاةٍ ولا صيامٍ ولا صدقةٍ، فدلَّ على أنَّه قد أتَى من ذلك بما وجَبَ عليه، ولـم يأتِ بأزيَدَ من ذلك.

قالَ عُبَيدُ بنُ عُمَيرٍ: جاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ: يا رسولَ الله، الرَّجلُ يُحِبُّ المُصلِّينَ ولا يُصلِّي إلّا قليلًا، ويُحِبُّ الصّائمينَ ولا يصومُ إلّا قليلًا، ويُحِبُّ الذّاكِرينَ ولا يذكُرُ إلّا قليلًا، ويُحِبُّ المُتصدِّقينَ ولا يتصَدَّقُ إلّا قليلًا، ويُحِبُّ المُجاهِدينَ ولا يُجاهِدُ إلّا قليلًا، وهو في ذلك يُحِبُّ اللهَ ورسولَه، قالَ: «هو يومَ القيامةِ معَ مَن أحَبَّ»[١].

وقالَ أبو سالـمٍ الجَيشانـي[٢]: جاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ: يا رسولَ الله، إنِّي أرَى الرَّجلَ الجوادَ[٣] فأُحِبُّ الجودَ وفيَّ بُخلٌ، وأرَى الرَّجلَ الحسَنَ الخلُقِ فأُحِبُّ حُسنَ الخلُقِ وفيَّ خلُقٌ[٤] سيِّءٌ، وأرَى الرَّجلَ الجريءَ فأُحِبُّ الجراءَةَ وفيَّ جُبْنٌ، قالَ: «أنتَ معَ مَن أحبَبْتَ»[٥].

قالَ الحسنُ: ابنَ آدمَ لا تغترَّ بقولِ مَن يقولُ: المرءُ معَ مَن أحبَّ؛ إنَّه مَن أحبَّ قومًا اتَّبعَ آثارَهُم، ولن تلحَقَ بالأبرارِ حتَّى تتَّبعَ آثارَهم، وتأخُذَ بهَدْيِهم، وتقتَدِيَ بسُنَّتِهم[٦]،

---

(١) أخرجه المروزي في «حديث سفيان بن عيينة» (١٣)، وهناد في «الزهد» (٤٨١)، وابن قدامة في «المتحابين في الله» (٧، ٨). وعبيد بن عمير الليثي هو قاص أهل مكة، مخضرم وقيل له صحبة.

(٢) وهو تابعي روى عن الصحابة، وتصحف في (ت) و(س) إلى: «الجوشاني».

(٣) هنا ينتهي الموجود من النسخة (ت).

(٤) في (س): «وخلقي».

(٥) هذا الحديث مما تفرد بنقله هذا الكتاب، وهو مرسل، ولم أجده في مصدر من المصادر.

(٦) في (س): «بسننهم».

وتُصبحَ وتُمسيَ وأنتَ على مِنهاجِهم[١]، حريصًا علـى أنْ تكونَ منهم، فتسلُكَ سبيلَهم، وتأخُذَ طريقَهم، وإنْ كنتَ مُقصِّرًا في العملِ، فإنَّما مِلاكُ الأمرِ أن تكونَ على استقامةٍ، أما رأيتَ اليهودَ والنَّصارَى وأهلَ الأهواءِ المُردِيةِ؟ يُحِبُّونَ أنبياءَهم وليسُوا معَهم؛ لأنَّهم خالَفُوهم في القولِ والعملِ، وسلَكُوا[٢] غيرَ طريقِهم، فصارَ مَورِدُهم النّارَ، نعوذُ باللهِ من ذلك[٣].

وفي «مُسنَدِ البزّارِ» من حديثِ أبي سعيدٍ، عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «إنِّي لأعرِفُ ناسًا ما هم بأنبياءَ ولا شُهداءَ يغبِطُهم الأنبياءُ والشُّهداءُ بمنزلتِهم عندَ اللهِ يومَ القيامةِ، الذين يُحِبُّونَ اللهَ ويُحبِّبُونَه إلى خلقِه، يأمُرونَهم بطاعةِ اللهِ، فإذا أطاعُوا اللهَ أحبَّهُم اللهُ»[٤].

وخرَّجَ إبراهيمُ بنُ الجنَيدِ نحوَه من حديثِ أنسٍ مرفوعًا[٥].

قالَ زيدُ بنُ أسلَمَ: لمّا وُضِعَ عثمانُ بنُ مظعونٍ في قبرِه قالتِ امرأتُه: هنيئًا لكَ أبا السّائبِ الجنّةَ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «وما عِلمُكِ بذلك؟» قالَتْ: كانَ يا رسولَ اللهِ يصومُ النَّهارَ ويُصَلِّي[٦] اللَّيلَ، قالَ: «بحسبِكِ[٧] لو قُلتِ: كانَ يُحِبُّ اللهَ ورسولَه»[٨].

---

(١) في (س): «مناهجهم».

(٢) في (س): «وسلوك».

(٣) أورده الغزالي في آداب الألفة من «إحياء علوم الدين»، وقال: «وهذه إشارة إلى أن مجرد ذلك [أي المحبة] من غير موافقة في بعض الأعمال أو كلها لا ينفع.

وحديث: «المرء مع من أحب» مشهور بل متواتر. وكلام الحسن عزاه السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٥٩٩) إلى العسكري.

(٤) أخرجه البزار «كشف الأستار» (٥٣٠).

(٥) أخرجه الختلي في «المحبة» (١٠٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٠٥).

(٦) في (ش): «ويقوم».

(٧) في (س): «فحسبك».

(٨) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٣٧٠ ـ ط الخانجي)، وابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٧٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٠٦). وهو مرسل.

قالَ[1] عُتبةُ الغلامُ: مَن عرَفَ الله أحبَّه، ومَن أحبَّ الله أطاعَه، ومَن أطاعَ الله أكرَمَه الله، ومَن أكرَمَه الله أسكنَه في جِوارِه، ومَن أسكَنَه في جِوارِه فطُوباهُ وطُوباهُ وطُوباهُ، فلم يزَلْ يُكرِّرُها ويقولُ: وطُوباهُ وطُوباهُ، حتَّى خرَّ ساقطًا مَغشِيًّا عليه[2].

قالَ فَرقدٌ السَّبخِيُّ: قرأتُ في بعضِ الكتُبِ: المُحِبُّ لله تعالى أميرٌ مُؤَمَّرٌ على الأُمراءِ، زُمرتُه أوَّلُ الزُّمرِ يومَ القيامةِ، ومجلِسُه أقرَبُ المجالسِ فيما هناك. خرَّجَهما إبراهيمُ بنُ الجُنَيدِ[3].

وخرَّجَ ابنُ أبي الدُّنيا بإسنادِه، عن عبدِ الله بنِ عبدِ الرَّحمنِ قالَ: قالَ أَرْمِيا عليه السَّلامُ: أيْ رَبِّ، أيُّ عبادِكَ أَحَبُّ إليكَ؟ قالَ: أكثَرُهم لي ذِكرًا، الذينَ يشتَغِلُونَ بذِكري عن ذِكرِ الخلائقِ، الذينَ لا تعرِضُ لهم وَساوِسُ العبادِ، ولا يُحدِّثُونَ أنفُسَهم بالبقاءِ، الذينَ إذا عرَضَ لهم عَيشُ الدُّنيا قَلَوهُ، وإذا زُوِيَ[4] عنهم سُرُّوا بذلك، أولئكَ[5] أَبحْتُ لهم[6] محبَّتي، وأعطَيتُهم فوقَ غاياتِهم[7].

قالَ أحمدُ بنُ أبي الحواريِّ: حدَّثَنا رباحٌ[8]، حدَّثَنا عبدُ الله بنُ سُليمانَ، حدَّثَنا مُوسى بنُ أبي الصَّباحِ[9] في قَولِ الله جلَّ وعزَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾

---

(١) في (س): «وقال».

(٢) سبق تخريجه عند ذكره في الباب الثالث.

(٣) أخرجه ابن الجنيد الختلي في «المحبة» (١٣٥).

(٤) في (ب): «أزوي».

(٥) في (س): «فأولئك».

(٦) في المصادر: «أنحلهم».

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (١٠٦)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٨/ ٣٠).

(٨) رباح بالباء. ذكره ابن ماكولا في «الإكمال» (٤/ ١٠).

(٩) هكذا في نسخنا، وجاء في «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٨/ ١٤٧) «موسى بن أبي كثير =

[البقرة: ٢٤٣، يونس: ٦٠، غافر: ٦١] قالَ: إذا كانَ يومُ القيامةِ يُؤتَى بأهلِ ولايةِ الله، فيقُومُونَ بينَ يدَي الله عزَّ وجلَّ ثلاثةَ أصنافٍ:

فيُؤتَى برجلٍ منهم منَ الصِّنفِ الأوَّلِ فيقولُ: عبدي، لِماذا عمِلْتَ؟ فيقولُ: يا ربِّ خلقْتَ الجنَّةَ وأشجارَها، وثمارَها وأنهارَها، وحُورَها ونعيمَها، وما أعدَدْتَ لأهلِ طاعتِكَ فيها، فأسهَرْتُ ليلي وأظمَأْتُ نهاري شَوْقًا إليها، فيقولُ الله تعالى: عبدي إنَّما عمِلْتَ للجنَّةِ، هذه الجنَّةُ فادخُلْها، ومن فَضْلي عليكَ أن أعتِقَكَ منَ النَّارِ، قالَ: فيدخُلُ هو ومَن معَه الجنَّةَ.

قالَ: ثمَّ يُؤتَى بالصِّنفِ الثَّاني برجلٍ منهم[1] فيقولُ: عبدي لِماذا عمِلْتَ؟ فيقولُ: يا ربِّ خلَقْتَ نارًا، وخلَقْتَ سلاسِلَها وأغلالَها، وسعيرَها وسمُومَها، ويَحمُومَها[2] وما أعدَدْتَ لأعدائِكَ فيها وأهلِ معصِيَتِكَ، فأسهَرْتُ ليلي وأظمَأْتُ نهاري خَوْفًا منها، فيقولُ الله: عبدي إنَّما عمِلْتَ ذلك خَوفًا منَ النَّارِ فإنِّي قد أعتَقْتُكَ منَ النَّارِ، ومن فَضلي عليكَ أنْ أُدخِلَكَ جنَّتي[3]، فيدخُلُ هو ومَن معَه الجنَّةَ.

ثمَّ يُؤتَى برجلٍ منَ الصِّنفِ الثَّالثِ، فيقولُ: عبدي لِماذا عمِلْتَ؟ فيقولُ: ربِّ[4] حُبًّا لكَ وشوقًا إليكَ، وعِزَّتِك[5] لقد أسهَرْتُ ليلي وأظمَأْتُ نهاري شوقًا إليكَ وحُبًّا

---

= الأنصاري، واسم أبي كثير: الصباح، وكنية موسى: أبو الصباح». وثقه ابن معين، وقال أبو حاتم: كوفي محله الصدق. فعلى هذا يكون التصويب: (حدثنا موسى بن الصبَّاح)، أو: (حدثنا موسى أبو الصباح).

(١) في (ب) و(س): «برجل من الصنف الثاني».

(٢) في (ش): «وحميمها».

(٣) في (ش): «إلى جنتي»، وفي(س): «الجنة».

(٤) في (ب) و(س): «عملت».

(٥) في (س): «وعزتك وجلالك».

لكَ[١]، فيقولُ تبارَكَ وتعالى: عبدي، إنَّما عمِلْتَ حُبًّا لي وشَوقًا إليَّ[٢]، فيتجَلَّى له الرَّبُّ تبارَكَ وتعالى، ويقولُ: ها أنا ذا، انظُرْ إليَّ، ثمَّ يقولُ: من فضلي عليكَ أن أعتِقَكَ منَ النَّارِ وأُبيحَكَ جنَّتي[٣]، وأُزيرَكَ ملائِكَتي، وأُسلِّمَ عليكَ بنفسي، فيدخُلُ هو ومَن معَه الجنَّةَ. خرَّجَه ابنُ أبي حاتمٍ في «تفسيرِه»[٤].

وخرَّجَ ابنُ أبي الدُّنيا في «كتابِ الجوعِ»، من طريقِ إسحاقَ بنِ نُوحِ بنِ عبدِ الله الشّامي، عن أبيه، عن جدِّه، قالَ: قالَ عبدُ الله بنُ سلامٍ: يكونُ في آخرِ الزَّمانِ أقوامٌ[٥] خلَتْ أنفُسُهم من لذّةِ الدُّنيا وشهَواتِها، تكادُ أنوارُهم تلحقُ بأنوارِ الأنبياءِ يومَ القيامةِ، كلَّما نظرَ إليهم أهلُ ذلك الموقفِ والجمعِ العظيمِ كادَتْ أبصارُهم تذهَبُ منَ النُّورِ الذي بوجُوهِهم، قيلَ: بِمَ بلَغُوا ذلك؟ قالَ: بحُبِّهم لله، واتِّباعِ مسَرَّتِه، جوَّعُوا له أنفُسَهم ليقِيَها منَ الجوعِ يوم القيامة يومَ الجوعِ الأكبرِ، وأظمَؤُوا له أنفُسَهم لينالُوا حلاوةَ الرِّيِّ من فضلِه يومَ العطشِ الأكبرِ، وأهمَلُوا له العيونَ رجاءَ أن يُنيرَ لهم غدًا في ظُلَمِ[٦] القيامةِ، وزَكَّوا أبدانَهم بتركِ المطعَمِ والمشرَبِ شوقًا إلى النَّظرِ إلى وجهِه الكريمِ، أولئكَ الآمِنُونَ يومَ تعنُو الوُجوهُ للحيِّ القيُّومِ[٧].

---

(١) في (س): «وحبًا إليك».

(٢) في (س): «شوقًا لي وحبًا لي».

(٣) في (س): «وأمنحك الجنة».

(٤) وهو من القسم المفقود منه، وذكره ابن كثير في تفسيره (سورة يونس). ووقع فيه: عن موسى بن صالح بن الصبّاح. ولا رجل بهذا الاسم والنسب في المصادر.

(٥) في (ب): «قوم».

(٦) في (ب): «ظلمة».

(٧) لعله في القسم المخروم من النسخة التي طبع عنها كتاب «الجوع» لابن أبي الدنيا.

ومن طريقِ إسحاقَ بنِ نوحٍ، عن رجلٍ منَ السَّكاسِكِ، عن عبدِ الله بنِ ضَمْرَةَ، عن كَعْبٍ قالَ: إنِّي لأجِدُ نَعتَ قومٍ يكونُونَ في هذه الأمّةِ بمنزلةِ الرَّهبانيّةِ، قلوبُهم نورٌ، وأفواهُهم نورٌ، تنطِقُ ألسنَتُهم بنورِ الحكمةِ، تعجَبُ الملائكةُ من اجتِهادِهم واتِّصالِهم بمحبّةِ الله عزَّ وجلَّ[١].

ورُوِّينا من روايةِ أحمدَ بنِ الفتحِ قالَ: رأيتُ بشرَ بنَ الحارثِ في منامي، فقُلتُ له: ما فعلَ معروفٌ الكَرْخِيُّ؟ فحرَّكَ رأسَه، ثمَّ قالَ: هيهاتَ، حالَتْ بينَنا وبينَه الحجُبُ، إنَّ معروفًا لم يعبُدِ الله شوقًا إلى جنَّتِه، ولا خَوْفًا من نارِه، وإنَّما عبَدَه شوقًا إليه، فرَفَعه الله تعالى إلى الرقيع[٢] الأعلى[٣].

وقالَ الحافظُ أبو نُعَيمٍ: حُدِّثْتُ عن المُهَلَّبي، قالَ الأنصارِيُّ[٤]: رأيتُ معروفًا الكَرْخِيَّ في النَّومِ كأنَّه تحتَ العرشِ، فيقولُ الله: ملائِكَتي، مَن هذا؟ فقالتِ الملائكةُ: أنتَ أعلَمُ، هذا معروفٌ الكَرْخِيُّ، قد سكِرَ من حُبِّكَ، لا يفيقُ إلّا بلقائِكَ[٥].

وفي البابِ حديثٌ مرفوعٌ طويلٌ، وهو حسَنُ المتنِ إلّا أنَّه لا يصِحُّ، ترَكْنا ذِكرَه لذلك.

وقالَ إبراهيمُ بنُ بشّارٍ الخُراسانيُّ: سمِعْتُ إبراهيمَ بنَ أدهَمَ يقولُ: بُؤسًا لأهلِ النّارِ، لو نظَرُوا إلى زُوّارِ الرَّحمنِ، وقد حُمِلُوا على النَّجائبِ يزُفُّونَهم إلى الله زَفًّا، وحُشِرُوا وَفْدًا، وقد نُصِبَتْ لهم المنابرُ، ووُضِعَتْ لهم الكراسي، وقد أقبَلَ عليهم

---

(١) أخرجه الشجري (ترتيب الأمالي الخميسية ١/ ٣٧٥). وفيه: «عبيد الله بن ضميرة».

(٢) في (س): «الرفيق»!

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٠/ ٢٢٤). والرقيع: السماء.

(٤) في (ب): «الأنصاري قال».

(٥) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٦٦).

الجليلُ جلَّ جلالُه بوجهِه الكريمِ[١] ليسُرَّهُم وهو يقولُ لهم: إليَّ عبادِي إليَّ عبادي، إليَّ أوليائِي المُطيعينَ، إليَّ أحبابي المُشتاقينَ، إليَّ أصفِيائي المحزُونينَ، ها أنا ذا فاعرِفُوني، مَن كانَ منكم مُشتاقًا أو مُحِبًّا أو مُتمَلِّقًا فليستَمْتِعْ بالنَّظرِ إلى وجهِيَ الكريمِ، فوَعِزَّتي وجَلالي لأُفرِّحَنَّكم بجِواري، ولأَسُرَّنَّكُم بقُربي، ولأبيحنَّكم[٢] كرامَتي، منَ الغُرُفاتِ تُشرِفُونَ، وتتَّكِئُونَ على الأسرّةِ فتتمَلَّكُونَ، تُقيمونَ في دارِ المُقامةِ أبدًا لا تظعَنُونَ، وتأمَنُونَ فلا تخافُون، تَصِحُّونَ فلا تسقَمُونَ[٣]، تنعُمُونَ في رَغَدِ العيشِ لا تموتُونَ، وتُعانِقُونَ الحورَ الحِسانَ[٤] فلا تملُّونَ ولا تسأَمُونَ، كلُوا واشرَبُوا هنيئًا[٥]، وتنَعَّمُوا كثيرًا بما أنحَلتُم الأبدانَ، وأنهَكْتُم الأجسادَ، ولزِمْتُم الصِّيامَ، وسهِرْتُم بالليلِ والنّاسُ نِيامٌ»[٦].

قالَ: وسمِعْتُه يقولُ: لا تُنالُ جنَّتُه إلّا بطاعتِه، ولا تُنالُ ولايتُه إلّا بمحبَّتِه، ولا تُنالُ مَرْضاتُه إلّا بتركِ معصيتِه، والله قد أعدَّ المغفرةَ للأوّابينَ، وأعدَّ الرَّحمةَ للتَّوّابينَ، وأعدَّ الجنّةَ للخائفينَ، وأعدَّ رُؤيتَه للمُشتاقينَ، وأعدَّ الحورَ للمُطيعينَ[٧].

***

(١) «الكريم» من (ش) وحدها.

(٢) في (ش): «ولأمنحكم»، وفي حاشية (س): «أمنحنكم».

(٣) في (ش): «فلا تسأمون» وكتب الناسخ تحت الفاء واواً.

(٤) في (ش): «الحور العين الحسان».

(٥) زاد في حاشية (س): «بما كنتم تعملون»، وليست في المصدر.

(٦) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣٧)، وهو في «مشيخة ابن البخاري» (٢/ ٢٦٧).

(٧) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٤).

# الباب الثاني عشرَ
# في نُبَذٍ من كلامِ أهلِ المحبّةِ وتحقيقِهم تقوَى به القُلوبُ على سُلوكِ طريقِهم

قالَ عليُّ بنُ أبي طلحةَ، عن ابنِ عبّاسٍ رضيَ الله عنه، في قولِه تعالى: ﴿ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤] قالَ: يقولُ: الحبيبُ. خرَّجَه ابنُ أبي حاتمٍ في «تفسيرِه»[١].

وفي حديثِ أبي جَعفرِ الرّازيِّ، عن الرَّبيعِ بنِ أنسٍ، عن أبي العاليةِ أو غيرِه، عن أبي هريرةَ في قصّةِ الإسراءِ الطَّويلةِ في ذكرِ سِدرةِ المُنتَهَى، قالَ: فيتَغَشّاها[٢] نورُ الخالقِ، وغشِيَتْها الملائكةُ مثلَ الغِرْبانِ حينَ يقَعْنَ على الشَّجرةِ من حُبِّ الله جلَّ ثناؤُه[٣].

قالَ الجوزَجانيُّ: حدَّثَنا أبو صالحٍ، أنَّ مُعاويةَ حدَّثَه عن يزيدَ بنِ مَيسرةَ[٤] أنَّه[٥] سمِعَ أمَّ[٦] الدَّرداءِ تقولُ: لمّا أهبَطَ الله آدَمَ إلى الأرضِ قالَ له: يا آدَمُ أحِبَّني وحبِّبْني إلى خَلْقي[٧]، ولا تستطيعُ ذلك إلّا بي، ولكنِّي إذا رأيتُكَ حريصًا على ذلك أعنْتُكَ عليه، فإذا فعَلْتَ ذلك فَخُذْ به اللَّذّةَ والنَّظرةَ وقُرَّةَ العَينِ والطُّمأنينةَ[٨].

---

(١) ذكره البخاري معلقاً قبل (٧٤١٨) وأخرجه الطبري في «جامع البيان» (٢٤/ ٢٨٣).

(٢) في (ب): «فيغشاها»، وفي (س): «فغشاها»

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤٣٢).

(٤) في حاشية (س): «ميمون».

(٥) «أنه» لم تكتب في (ش) و(ب)، ومثلها يلفظ وإن لم يكتب.

(٦) في (س): كتب معها: «أي الدرداء».

(٧) «إلى خلقي» ثابتة في (س)، ومضروب عليها في (ش)، ولا توجد في (ب).

(٨) «النظرة» كذا في النسخ، ولعلها: «النضرة». وجاء في (ش): «الاطمأنينة». وهذا الأثر لم أظفر به عند غير المصنف.

وقالَ خُلَيدٌ العَصرِيُّ: يا إِخْوَتاهُ، هل منكم من أحدٍ لا[١] يُحِبُّ أن يلقَى حبيبَه؟ ألا فأحِبُّوا ربَّكم عزَّ وجلَّ، وسِيرُوا إليه سيرًا كريمًا. خرَّجَه الإمامُ أحمدُ[٢].

وخرَّجَه أبو نُعَيمٍ[٣]، وفي روايةٍ لـه: فأَحِبُّوا الله، وسِيرُوا إليه سيرًا جميلًا، لا مُصْعِدًا ولا مُـمِيلًا[٤].

وخرَّجَ ابنُ أبي الدُّنيا من طريقِ ابنِ لهيعةَ، حدَّثَني عبدُ الحميدِ بنُ عبدِ الله بنِ إبراهيمَ القُرشيُّ، عن أبيه قالَ: لـمّا نزَلَ بالعبّاسِ بنِ عبدِ المُطَّلبِ الموتُ قالَ لابنِه عبدِ الله: إنِّي مُوصيكَ بحُبِّ الله وحُبِّ طاعتِه وخَوفِ الله وخَوفِ معصِيَتِه، وإنَّكَ إذا كنتَ كذلك لـم تكرَهِ الموتَ متى أتاكَ[٥].

قالَ أحمدُ بنُ أبي الحواريِّ: حدَّثَنا أبو صالحٍ الخُراسانيُّ قالَ: حدَّثَنا إسحاقُ بنُ نجيحٍ، عن إسماعيلَ الكنديِّ، قالَ: جاءَ رجلٌ منَ البصرةِ إلى طاوسٍ ليسمعَ منه، فوافاهُ مريضًا، فجلَسَ عندَ رأسِه يبكي، فقالَ: ما يُبكيكَ؟ قالَ[٦]: واللهِ ما أبكي على قَرابةٍ بيني وبينَكَ، ولا على دُنيا جِئْتُ أطلُبُها منكَ، ولكنْ على العلمِ الذي جئْتُ أطلبُ[٧] منكَ يفُوتُني، فقالَ له طاوسٌ: إنِّي مُوصيكَ بثلاثِ كلماتٍ، إنْ حفِظْتَهُنَّ علِمْتَ علمَ الأوَّلينَ والآخرينَ، وعلمَ ما كانَ، وعلمَ ما يكونُ: خَفِ اللهَ حتَّى لا يكونَ عندَكَ شيءٌ

---

(١) في (ش) و(ب): «إلا». كما في «الحلية»، والمثبت من (س) موافق لما في «الزهد».

(٢) أخرجه أحمد في «الزهد» (١٣١٤)، والختلي في «المحبة» (١٨٨).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٣٢)، والختلي في «المحبة» (١٣٠).

(٤) لفظ: «لا مصعداً ولا مميلًا» لم أجده عند غير المصنف.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (٣١١).

(٦) في (ش): «فقال».

(٧) في (س): «أطلبه».

أخوفَ منه، وارجُ الله حتَّى لا يكونَ عندَكَ شيءٌ أرجَى منه، وأحِبَّ الله حتَّى لا يكونَ شيءٌ أحبَّ إليكَ منه، فإذا فعلتَ ذلك علِمْتَ علمَ الأوَّلينَ والآخرينَ[١]، وعلمَ ما كانَ، وعلمَ ما يكونُ، فقالَ: لا جرَمَ لا سألتُ أحدًا بعدَكَ عن شيءٍ ما بقيتُ[٢].

وعن إبراهيمَ بنِ الأشعَثِ قالَ: سمِعْتُ الفُضَيلَ بنَ عياضٍ يقولُ: مرَّ عيسى عليه السَّلامُ بثلاثةٍ منَ النّاسِ نَحلَتْ أبدانُهم[٣]، وتغيَّرَتْ ألوانُهم، فقالَ: ما الذي بلَغَ بكم ما أرى؟ قالُوا: الخوفُ منَ النِّيرانِ[٤]، قالَ: مخلوقًا خِفتُم، وحَقٌّ على الله أن يُؤمِّنَ الخائفَ.

ثـمَّ جاوَزَهم إلى ثلاثةٍ أُخرَ فإذا هم أشدُّ تغيُّرًا وأنحَلُ أجسامًا، فقالَ: ما الذي بلَّغكم[٥] ما أرى؟ قالُوا: الشَّوقُ إلى الجنّةِ، قالَ: مخلوقًا اشتَقْتُم، وحقٌّ على الله أن يُعطِيَكُم ما رَجَوْتُم.

ثمَّ جاوَزَهُم إلى ثلاثةٍ أُخرَ، فإذا هم أشدُّ تغيُّرًا، وأنحَلُ أجسامًا، كأنَّ على وُجوهِهم المَرايا منَ النُّورِ، فقالَ: ما الذي بلَّغكم إلى[٦] ما أرى؟ قالُوا: حُبُّ الله، قالَ: أنتُم المُقرَّبُونَ، أنتُم المُقرَّبُونَ، أنتُم المُقرَّبُونَ[٧].

ورَوَى إبراهيمُ بنُ الجُنَيدِ بإسنادِه عن محمَّدِ بنِ كعبٍ قالَ: أوحَى الله إلى

---

(١) في (س): «وعلم الآخرين».

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢١/ ٤٤) (٢٣/ ٤٠٧).

(٣) في (س): «أجسامهم».

(٤) في (ب): «النار».

(٥) في (س): «بلغ بكم».

(٦) في (س): «بلغ بكم».

(٧) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٧). لكن من كلام إسحاق بن خلف، ولا ذكر للفضيل فيه!

مُوسَى عليه السَّلامُ: إنَّ إبراهيمَ عليه السَّلامُ لم يُحبَّنِي أحدٌ من خَلقي كحُبِّه إيّايَ[١].

وعن أبي حازمٍ القَيْسارِيِّ قالَ: مكتوبٌ في الإنجيلِ: يا عيسى، الحقُّ والحقَّ أقولُ إنِّي أحَبُّ إلى عبدي من نَفسِه التي بينَ جنبَيهِ[٢].

وعنِ ابنِ عُيَينةَ، عن رجلٍ، عن يحيَى بنِ أبي كثيرٍ اليَماميِّ، قالَ: نظَرْنا فلم نجِدْ شيئًا يتلذَّذُ به المُتلذِّذُونَ أفضَلَ من حبِّ الله عزَّ وجلَّ وطلَبِ مَرْضاتِه[٣].

وعن سعيدِ بنِ عامرٍ، عن محمَّدِ بنِ لَيثٍ، عن بعضِ أصحابِه قالَ: كانَ حكيمُ بنُ حزامٍ يطوفُ بالبيتِ ويقولُ: لا إلهَ إلّا الله، نِعمَ الرَّبُّ، ونِعمَ الإلهُ، أُحِبُّه وأخشاهُ[٤].

وعن بكرٍ المُزَنيِّ قالَ: ما فاقَ أبو بكرٍ أصحابَ محمَّدٍ ﷺ بصومٍ ولا صلاةٍ، ولكنْ بشيءٍ كانَ[٥] في قلبِه[٦].

قالَ إبراهيمُ: بلَغَني عنِ ابنِ عُلَيَّةَ[٧] أنَّه قالَ في عقِبِ[٨] هذا الحديثِ: الذي كانَ في قلبِه الحبُّ لله تعالى، والنَّصيحةُ في خَلْقِه[٩].

وقالَ ابنُ أبي الدُّنيا: حدَّثَنا هارونُ بنُ سُفيانَ، حدَّثَنا عبدُ الله بنُ صالحٍ، أخبرَني بعضُ أهلِ البصرةِ قالَ: لمّا استُقضِيَ سوّارٌ بالبصرةِ كتَبَ إليه أخٌ له كانَ يطلُبُ العلمَ

---

(١) أخرجه الختلي في «المحبة» (٦٣).

(٢) أخرجه الختلي في «المحبة» (٥٩).

(٣) أخرجه الختلي في «المحبة» (٦٧).

(٤) أخرجه الختلي في «المحبة» (١٣٦).

(٥) في (س): «بشيء وقر».

(٦) أخرجه الختلي في «المحبة» (١٤٢).

(٧) في (ش): «عيينة»!

(٨) في (س): «عقيب».

(٩) إبراهيم هو الختلي مؤلف كتاب «المحبة»، وقوله فيه (١٤٤). وفي (ش): «الخلقه».

معه، وكانَ ببعضِ الثُّغورِ: أمّا بعدُ، أُوصيكَ بتقوَى الله الذي جعَلَ التَّقوَى عِوَضًا من كلِّ فائتٍ منَ الدُّنيا، ولم يجعَلْ شيئًا منَ الدُّنيا يكونُ عِوَضًا منَ التَّقوَى، فإنَّ التَّقوى عقدةُ كلِّ عاقلٍ مُستبصِرٍ، إليها يستَروِحُ، وبها يستَنُّ، ولم يظفَرْ أحدٌ في عاجلِ هذه الدُّنيا وآجلِ الآخرةِ بمثلِ ما ظفِرَ به أولياءُ الله، الذين شرِبُوا بكأسِ حُبِّه، فكانَتْ قرَّةُ أعيُنِهم فيه، وذلك أنَّهم [1] أعمَلُوا أنفُسَهم في جَسيمِ الأدبِ، وراضُوها[2] رياضةَ الأصحابِ الصّادقينَ، فطلَّقُوها عن فُضولِ الشَّهواتِ، وألزَمُوها القُوت المُقلقَ[3]، وجعَلُوا الجوعَ والعطَشَ شِعارًا لـها بُرْهةً منَ الزَّمانِ، حتَّى انقادَتْ وأذعَنَتْ وعزَفَتْ لهم عن فُضولِ الحُطامِ، فلما ظعَنَ حبُّ فُضولِ الدُّنيا من قُلوبِهم، وزايَلَتْها أهواؤُهم، وانقطَعَتْ أمانِيهم، وصارَتِ الآخرةُ نُصبَ أعيُنِهم ومُنتَهَى أملِهم: ورَّثَ الله قُلوبَهم نورَ الحكمةِ، وقلَّدَها قلائدَ العِصمةِ، وجعلَهم دُعاةً لِمعالِمِ الدِّينِ، يلمُّونَ منه الشَّعَثَ، ويَشْعَبونَ منه الصَّدْعَ[4]. لم يلبَثُوا إلّا يسيرًا حتَّى جاءَهم منَ الله موعودٌ[5] صادقٌ، اختَصَّ به العاملينَ له والعالِـمينَ به، دونَ مَن سِواهُم، فإذا سرَّكَ أن تسمَعَ صفةَ الأبرارِ الأتقِياءِ فصِفةَ هؤلاءِ فاستمِعْ[6]، وشمائِلَهم الطَّيبةَ فاتَّبعْ، وإيَّاكَ يا سَوَّارُ وبُنيّاتِ الطَّريقِ، والسَّلامُ[7].

---

(١) في (س): «ولكنهم».

(٢) في (س): «وأراضوها».

(٣) في المصادر: «المعلَّق».

(٤) في (ش): «ويشبعون منه الضرع»! خطأ.

(٥) في (س): «موعد».

(٦) في (ب): «فاسمع».

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القناعة والتعفف» (ص: ٦٠)، والمطبوعة مجردة غير مسندة. وأخرجه أبو بكر المروذي في «أخبار الشيوخ وأخلاقهم» (١٣١) من طريق آخر عن عبد الله بن صالح.

وخرَّجَ أبو نُعَيمٍ بإسنادِهِ عنِ الرَّبيعِ بنِ بَرَّةَ، عن الحسنِ في قولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: ٢٧]، قالَ: النَّفسُ المُؤمنةُ اطمَأَنَّتْ إلى الله عزَّ وجلَّ، واطمَأَنَّ اللهُ[1] إليها، وأحبَّتْ لقاءَ الله، وأحبَّ الله لقاءَها، ورضِيَتْ عنِ الله، ورضِيَ اللهُ عنها[2]، فأمرَ بقَبْضِ رُوحِها، فغفَرَ لها وأدخَلَها الجنّةَ، وجعَلَها من عبادِهِ الصّالحينَ[3].

ورَوَى ابنُ أبي الدُّنيا بإسنادِهِ عن مِسْمَعِ بنِ عاصمٍ، عن نُعَيمِ بنِ صبيحٍ السَّعديِّ، قالَ: هِمَمُ الأبرارِ مُتَّصِلةٌ بمحبّةِ الرَّحمنِ[4]، وقلوبُهم تنظُرُ إلى مواضِعِ العِزِّ منَ الآخرةِ بنورِ أبصارِهم[5].

قالَ مِسْمَعٌ: وسمِعْتُ[6] عابدًا من أهلِ البحرَينِ يقولُ في جَوفِ اللَّيلِ: قُرَّةَ عَينِي وسُرورَ قَلبي، ما الذي أسقَطَني من عينِكَ يا مانحَ العِصَمِ؟ ثمَّ صرَخَ وبكَى، ثمَّ نادَى: طُوبَى لقُلوبٍ ملأَتْها خشيَتُكَ، واستَوْلَتْ عليها محبَّتُكَ، فمَحبَّتُكَ مانِعةٌ لها من كلِّ لذّةٍ غيرِ مُناجاتِكَ، والاجتِهادِ في خِدمَتِكَ، وخشيَتُكَ قاطِعةٌ لها عن سبيلِ كلِّ معصيةٍ خوفًا لحلولِ سخَطِكَ، ثمَّ بكَى، وقال: يا إِخوَتاهُ، ابكُوا على فَوتِ خيرِ الآخرةِ حيثُ لا رَجْعَةَ ولا حيلةَ[7].

---

(١) في (ش): «واطمأن إليها».

(٢) في (ش): «ورضي عنها». وكذلك «وأحب لقاءها».

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٢٩٩). وأخرجه كذلك: الختلي في «المحبة» (١٧٥).

(٤) في (ش): «الجبَّار»!

(٥) لم أجده فيما وقفت عليه من أجزاء ابن أبي الدنيا، لكن أخرجه الختلي في «المحبة» (٢٣٤) من كلام حكيم من حكماء بني تميم. قال الغزي في «حسن التنبه» (٣/ ٤٤٦): وقد ذكر هذا الأثر عن نعيم بن صبيح السعدي قال: «وكان يعد من حكماء بني تميم».

(٦) في (س): «وقال مسمع: سمعت».

(٧) أخرجه الختلي في «المحبة» (١٨٠).

وبإسنادِه عن أيُوبَ بنِ خُوْطٍ، عن قَتادةَ، قالَ: كانَ في جُفْرةِ عَتِيْبٍ[١] شيخٌ يُقالُ له: مسورُ بنُ محمَّدٍ، وكانَ لا يقدرُ أن يسمعَ القرآنَ من شدّةِ خوفِه، وكانَ يقولُ: سيِّدُ الأعمالِ التَّقوى، ثمَّ البذلُ، ثمَّ بعدَ البذلِ الشُّكرُ، ثمَّ بعدَ الشُّكرِ الرِّضا، ثمَّ بعدَ الرِّضا التَّعظيمُ، ثمَّ بعدَ التَّعظيمِ الحبُّ لله، والإِجلالُ له[٢].

***

ومعنَى هذا أنَّ درجةَ الحبِّ المُستحبّةَ التي ذكَرْناها في أوَّلِ الكتابِ تتأخَّرُ[٣] عن درجةِ الشُّكرِ والرِّضا والتَّعظيمِ والبَذْلِ، فأمّا الواجبةُ فإنَّها داخلةٌ[٤] في التَّقوَى كما سبقَ بيانُه، وكذلك كانَ السَّلَفُ يُقدِّمُونَ درجةَ الخوفِ على الشَّوقِ، كما رَوَى ابنُ أبي الدُّنيا بإسنادِه عن واقدٍ العابدِ مولَى أمِّ البنينِ قالَ: قالَ لي رجلٌ منَ العُبّادِ: ما[٥] رأيتُ القلوبَ جُلِيَتْ بشيءٍ أنقَى جلاءً منها[٦] بالخوفِ، قلتُ: فالشوق؟ قالَ: قد يشتاقُ وصدَى الرَّينِ على قلبِه[٧]. قالَ: والرَّينُ يعني الذَّنبَ على الذَّنبِ.

وكذلك كانَتْ حالةُ العلماءِ الرَّبّانيِّينَ، كالحسَنِ وسُفيانَ وأحمدَ وغيرِهم يظهرُ عليهم الخوفُ ولَوازِمُه، ويكثُرُ كلامُهم فيه، ويقِلُّ كلامُهم في المحبّةِ وظُهورِ آثارِها عليهم أيضًا، حتَّى حذَّرَ طوائفُ منَ العلماءِ ممَّن يُكثِرُ دَعوَى الشَّوقِ والمحبّةِ بغيرِ

---

(١) محلة بالبصرة.

(٢) لم أظفر به عند غير المصنف.

(٣) في (ب) و(س): «متأخرة».

(٤) في (س): «تدخل».

(٥) في (س): «قلما».

(٦) في (ب): «من جلائها».

(٧) لم أجده فيما وقفت عليه من أجزاء ابن أبي الدنيا.

خوفٍ لِما ظَهَرَ منهم منَ الشَّطحِ والدَّعاوي، بل والإباحةِ والحلولِ، وغيرِ ذلك منَ المَفاسدِ، والله سُبحانَه أعلَمُ.

ولهذا كانَ أبو عبدِ الله بنُ الجلاءِ ـ وهو من كبارِ العارِفينَ ـ إذا سُئِلَ عنِ المحبّةِ قالَ: أنا ما لي وللكلامِ في المحبّةِ أنا أُريدُ أن أتعلَّمَ التَّوبةَ[1].

ويُقالُ: إنَّ أوَّلَ مَن أظهرَ الكلامَ في المحبّةِ والشَّوقِ وجَمْعِ الهِمّةِ وصفاءِ الذِّكرِ[2] وتكلَّمَ به على رُؤوسِ النّاسِ أبو حمزةَ[3] الصُّوفيُّ، وكانَ من أعيانِ العارِفين أيضًا، وكانَ يجتَمِعُ بالإمامِ أحمدَ كثيرًا، وكانَ أحمدُ يسألُه ويقولُ له: ما تقولُ يا صوفيُّ[4]؟ رضيَ الله عنهم أجمَعينَ[5].

وكانَ عُبّادُ البصرةِ بعدَ طبقةِ الحسَنِ وأصحابِه، كعبدِ الواحدِ بنِ زيدٍ، وأصحابِه كعُتبةَ وضَيغَمٍ وغيرِهما، تظهرُ منهم المحبّةُ كثيرًا مع شِدّةِ الخوفِ أيضًا، وكذلك رابِعةُ، وكذلك الفُضَيلُ وداودُ الطّائيُّ وغيرُهما.

قالَ إبراهيمُ بنُ الجُنَيدِ: حدَّثَني عبدُ الرَّحيمِ بنُ يحيى الرَّمليُّ، قال: حدَّثَني عثمانُ بنُ عمارةَ قالَ: قالَ عُتبةُ: مَن سكَنَ حبُّه قلبَه لم يجِدْ حرًّا ولا بردًا. قالَ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣١٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٨٧، ٩٢).

(٢) في (س): «الفكر»، وفي الحاشية كالمثبت.

(٣) في (ب): «الحمزة».

(٤) ذكره السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٢٢٧)، والقشيري في «الرسالة» (١/ ١٠٧). وأخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٢/ ٢٧٥)، وابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (١/ ٢٦٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥١/ ٢٥٥، ٢٥٦). وعلق ابن أبي يعلى عليه بقوله: «قلت أنا: أراد والله أعلم بسؤاله إن أصاب أقره عليه وإن أخطأ بينه له».

(٥) الدعاء من (س) وحدها.

عبدُ الرَّحيمِ: يعني مَن سَكَنَ حُبُّ الله قلبَه شغَلَه حتَّى لا يعرِفَ الحرَّ منَ البردِ، ولا الحلوَ منَ الحامضِ، ولا الحارَّ منَ الباردِ[١].

وقالَ عبدُ الواحدِ بنُ زيدٍ: كانَ عُتبةُ يجيءُ إلى المسجدِ يومَ الجمعةِ، وقد أخَذَ النّاسُ الظِّلَّ، فيقومُ على الحصَى، ويسجُدُ السَّجدةَ الطَّويلةَ، قالَ عبدُ الواحدِ: ما أراهُ يعقِلُ بحَرِّه[٢].

وسمِعَ عُتبةُ قائلًا يقولُ:

سُبحانَ جبّارِ السَّماءْ إنَّ المُحِبَّ لَفي عَناءْ

فقالَ عُتبةُ: صدَقْتَ[٣] واللهِ، وغُشِيَ عليه[٤].

وقالَ ضَيغَمٌ يومًا لمَولًى لـه: منَعَني والله حُبُّ الله منَ الاشتِغالِ بحُبِّ غيرِه، ثمَّ سقَطَ مغشِيًّا عليه[٥].

وكانَ كلابُ بنُ جُرَيٍّ العابدُ يقولُ في سُجودِه: وعِزَّتِكَ لقد خالَطَ قلبي من محبَّتِكَ أمرٌ[٦] يكِلُّ لساني عمّا أجِدُ منه في نَفسِي[٧].

وقدِمَتْ شَعْوانةُ العابدةُ وزَوجُها مكّةَ، فجَعَلا يطُوفانِ ويُصلِّيانِ، فإذا كلَّ أو أَعيا[٨]

---

(١) أخرجه الختلي في «المحبة» (١٦٦ ـ ١٦٧).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٣٤).

(٣) في (ب): «صدق».

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٣٦)، والبيت من قصيدة طويلة لأبي العتاهية، أنشدها بسنده: السراج القارئ في «مصارع العشاق» (٢/ ١١٩).

(٥) أخرجه الختلي في «المحبة» (٢٣).

(٦) في حاشية (س): «ما».

(٧) أخرجه الختلي في «المحبة» (٥٠).

(٨) في (س): «كلا وأعيا».

جلَسَ وجلَسَتْ خلفَه، فيقولُ هو في جُلوسِه: أنا العَطْشانُ من حُبِّكَ لا[١] أرْوَى، وتقولُ هي بالفارسيّةِ: يا سيِّدي، أَنْبَتَّ لكلِّ داءٍ دواءً في الجبالِ، ودواءُ المُحبِّينَ في الجبالِ لـم ينبُتْ[٢].

ودخَلُوا على عابدٍ بالبصرةِ وهو يجودُ بنفسِه وهو يقولُ: أنا عَطشانُ لـم أَرْوَ مِن حُبِّ ربِّي، وجائعٌ لـم أشبَعْ من حُبِّ ربِّي[٣].

وقالَ المُعافَى بنُ عِمرانَ: كلَّمْتُ فَتْحًا المَوصِلِيَّ يومًا في شيءٍ، فقالَ: لـم تترُكِ المحبّةُ لله في قلوبِ أوليائِه مَوْضِعًا لمحبّةِ غيرِه[٤].

وقالَ أبو مَعْمَرٍ: نظَرَتْ رابعةُ إلى رياحِ القَيسيِّ يومًا وهو يُقبِّلُ صبيًّا صغيرًا من أهلِه، فقالَتْ: أتُحِبُّه يا رِياحُ؟ قالَ: نعَمْ، قالَتْ: ما كنتُ أحسِبُ أنَّ في قلبِكَ مَوضِعًا فارِغًا لمحبّةِ سِواه، فخَرَّ رياحٌ مغشيًّا عليه، ثمَّ أفاقَ وهو يمسَحُ العرقَ عن وجهِه وهو يقولُ: رحمةٌ جعَلَها الله في قُلوبِ عبادِه للأطفالِ[٥].

وقالَ حُذَيفةُ المَرْعَشِيُّ: رأيتُ رجُلًا بالرَّقّةِ وبينَ يدَيه صبِيّانِ يلعَبانِ ويقتَتِلانِ، وهو مُتَشاغِلٌ بهما يزجُرُهما وينهاهُما[٦]، فقُلتُ له: إنِّي أحسِبُكَ تُحِبُّهما، قالَ: لا والله ما[٧] أُحبُّهما، ولكنْ أرحمُهما، وما أحدٌ أحبَّ إليَّ منَ الله عزَّ وجلَّ[٨].

---

(١) في (س): «ولا».

(٢) أخرجه السراج القارئ في «مصارع العشاق» (١/ ٢٧٦).

(٣) أخرجه ابن الجنيد الختلي في «المحبة» (١٥٩).

(٤) لم أظفر به عند غير المصنف.

(٥) أخرجه الختلي في «المحبة» (٢٣٦)، ومن طريقه: أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٩٥).

(٦) في (ب): «فزجرهما ونهاهما».

(٧) في (ش): «لا».

(٨) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٣٦١). وأخرج نحوه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢٧٠) مختصراً.

ثمَّ اتَّسعَ الكلامُ في المحبَّةِ من زَمَنِ أبي سُليمانَ الدَّارانيِّ وأصحابِه بالشَّامِ، كأحمدَ بنِ أبي الحوارِيِّ، وقاسمِ الجُوعِيِّ، وكانَ قاسمٌ الجُوعِيُّ يقولُ: شبعَ الأولياءُ بالمحبَّةِ عن الجوعِ، ففقَدُوا لذاذةَ الطَّعامِ والشَّرابِ والشَّهواتِ ولذَّاتِ الدُّنيا؛ لأنَّهم تلذَّذُوا بلذَّةٍ ليس فوقَها لذَّةٌ، فقَطَعَهم عن كلِّ لذَّةٍ[1].

وبالعراقِ في زَمَنِ السَّرِيِّ وأصحابِه كالـجُنَيدِ وأصحابِه. وبمِصرَ في زمَنِ ذي النُّونِ وأقرانِه.

وكانَ بعضُ مَن يُذكَرُ بالمحبَّةِ ربَّما حصَلَ له وَسْوَسةٌ ونوعُ تغيُّرِ عقلٍ كسَعْدُونَ وسَمْنُونَ.

وكانَ سَمْنونُ شديدَ المحبَّةِ، ربَّما حصَلَ له نوعُ وَسوسةٍ، ويُقالُ: إنَّه تكلَّمَ يومًا في المحبَّةِ فاصطَفَقَتْ قَناديلُ المسجدِ حتَّى تكسَّرَتْ[2]، وإنَّه تكلَّمَ يومًا فيها فجاءَ طائرٌ فضرَبَ[3] بمِنقارِه الأرضَ حتَّى ماتَ[4].

وكذلك كان رُبَّما حصَلَ للشِّبليِّ نوعُ تغيُّرٍ[5].

وممَّا يُنسَبُ منَ الشِّعرِ إلى بعضِ هذه الطَّبَقةِ:

هجَرْتُ الوَرَى[6] في حُبِّ مَن جادَ بالنِّعَمْ    وعفْتُ الكَرَى شَوقًا إليه فلَمْ أنَمْ

---

(١) في (س): «فقطعتهم» أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٣٢٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٩/ ٢٢٢).

(٢) ذكره القشيري في «رسالته» (٢/ ٤٩١)، واللفظ الذي أورده المصنف يوجد بعينه في «الاستقامة» لابن تيمية (٢/ ٩٠).

(٣) في (س): «يضرب».

(٤) أخرجه القشيري في «رسالته» (٢/ ٤٩١).

(٥) من ذلك ما ذكره القشيري في «رسالته» (٢/ ٤٩١).

(٦) في (ش): «الكرى» وفي حاشيتها كالمثبت.

وموَّهْتُ دَهري بالجنونِ عنِ الوَرَى لأكتُمَ ما بي مِن هواهُ فما انكَتَمْ

فلمّا رأيتُ الشَّوقَ والحبَّ بائحًا كشَفْتُ قِناعي ثمَّ قُلتُ نَعَمْ نَعَمْ

فإنْ قيلَ مجنونٌ فقد[1] جَنَّنِي الهوَى وإنْ قيلَ مِسْقامٌ فما بيَ من سَقَمْ

وحقِّ الهوَى والحبِّ والعهدِ بينَنا وحُرمةِ رُوحِ الأُنسِ في حِنْدِسِ الظُّلَمْ

لقد لامَني الواشُونَ فيكَ جَهالةً فقُلتُ لطَرْفي أوضِحِ العُذرَ فاحتَشَمْ

فعاتَبَهُم طَرْفي بغيرِ تكلُّمِ وأخبرَهُم أنَّ الهوَى يُورِثُ السَّقَمْ

فبِالحلمِ يا ذا المَنِّ لا تُبعِدَنَّني وقَرِّبْ مَزاري منكَ يا بارِئَ النَّسَمْ[2]

وكانَ بعضُ هؤلاءِ يقولُ: إذا بِكَ لم أُجَنَّ يا حبِيبي فبِمَنْ[3]؟

ومن هؤلاءِ مَن كانَ يُسمَّى مجنونًا كسَعْدونَ وغيرِه، ويُسَمَّونَ عُقَلاءَ المجانينِ، وكانَتْ أقوالُهم وأحوالُهم[4] محفوظةً غالبًا، ويصدُرُ منهم منَ الكلامِ الحسَنِ شيءٌ كثيرٌ، وقد غلِطَ طوائفُ منَ المُتأخِّرينَ في أمرِهم فظَنُّوا أنَّ حالَهم هو غايةُ الكمالِ، وأنَّ العقلاءَ كلَّهم منَ العلماءِ باللهِ والعمالِ للهِ مُقصِّرونَ عن درجتِهم، وهذا خطأٌ قبيحٌ جدًّا.

ثمَّ أدخَلُوا في طبقَتِهم مَن ليسَ منهم منَ المجانينِ الذينَ لا حكمةَ لدَيهم، ولا ظهرَ شيءٌ منَ الأحوالِ الصَّحيحةِ عليهم، وإنَّما يظهرُ منهم مخالفةُ الشَّريعةِ بالأعمالِ

---

(١) في (س): «فقل».

(٢) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٣٩٨) عن شاب رآه أبو الجوال المغربي ببيت المقدس.

(٣) القائل شيبان من المتعبدين في جبل لبنان والناقل هو ذو النون، في قصة ذكرها ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٤٧١)، وأخرجها ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٠/ ٩٢، ٩٣).

(٤) في (س): «وأفعالهم».

والأقوالِ الشَّنيعةِ، ولكِنْ أحسَنُوا الظَّنَّ بهم لِـما يظهَرُ من بعضِهم منَ الإخبارِ بالمُغيَّباتِ في بعضِ الأحيانِ مـمّا قد يظهَرُ[١] أكثرُ منه منَ الرُّهبانِ والكُهّانِ.

ونشـأَ بهذا السَّـببِ اعتقـادُ أنَّ الأولياءَ لهـم طريقةٌ غيـرُ طريقةِ الأنبيـاءِ، وأنَّهم واقِفُـونَ مـعَ الحقيقـةِ، ولا يتقيَّـدُونَ بالشَّـريعةِ، إلـى غيـرِ ذلك مـن أنـواعِ الضَّلالِ والبِـدَعِ الفَظيعةِ.

ووَجَدَ بعضُ مَن كانَ في صدرِه النِّفاقُ كامنًا من أنواعِ الحلوليّةِ والإباحيّةِ سبيلًا إلى إظهارِ ما في نُفوسِهم، فعَظُمَ الخَطْبُ بذلك، واشرأَبَّ النِّفاقُ.

ولـو سـمِعَ بذلـك أئمّـةُ الطَّريـقِ العارِفـونَ بـالله كالجُنَيدِ ومَـن قبلَـه لجاهَدُوا فـي الله حقَّ جهـادِهِ في إنكارِ هذه العظائمِ، ولن تخلُـوَ الأرضُ من قائمٍ لله بحججه، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

وقـد ورَدَ حديـثٌ: «إنَّ أكثرَ أهلِ الجنّـةِ البُلْهُ»، وله طريقـانِ ضعيفانِ، أحدُهما مُسـنَدٌ مـن حديثِ أنسٍ[٢]، والآخَرُ مُرسَـلٌ من مراسـيلِ عمرَ بنِ عبـدِ العزيزِ.

وقد رَواه أحمدُ بنُ أبي الحواريِّ بإسنادِه إلى عُمرَ مُرسلًا، ثمَّ قالَ مُفسِّرًا له:

---

(١) في (ب) و(س): «ظهر».

(٢) أخرجه البزار في «مسنده» (٦٣٣٩) من طريق سلامة بن روح، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن أنس، وقال: «وسلامة كان ابن أخي عقيل بن خالد، ولم يُتابع على حديث أكثر أهل الجنة البله، على أنه لو صَحَّ كان له معنى». وأخرجه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢٩٨٢)، وقال: «فذكرت هذا الحديث لأحمد بن أبي عمران، فقال: معناه معنى صحيح. والبله المرادون فيه هم البله عن محارم الله عز وجل لا من سواهم ممن به نقص العقل بالبَلَه».

قال ابن عدي في «الكامل» في ترجمة سلامة بن روح بعد أن روى الحديث من طريقه: «وهذا الحديث بهذا الإسناد منكر لم يروه عن عقيل غير سلامة هذا».

البُلْهُ عن الشَّرِّ، وأعلَى علِّيينَ لأُولي الألبابِ[١]، يُشيرُ بذلك إلى[٢] أنَّ درجةَ العقلاءِ أكمَلُ وأعلَى من درجةِ هؤلاءِ، وبيَّنَ أنَّ المُرادَ البلهُ عن الشَّرِّ الذين لا يعرِفُونَه من شدَّةِ سلامةِ صُدورِهم، وإنَّما يعرِفُونَ الخيرَ فقط.

وكذلك رُوِيَ تفسيره عنِ الأوزاعيِّ، قالَ إسحاقُ بنُ راهويه في «مُسنَدِه»: حدَّثَنا بقيَّةُ بنُ الوليدِ، حدَّثَنا الأوزاعيُّ، عن أبي يزيدَ الغَوثيِّ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «أكثرُ أمَّتي دُخولًا الجنَّةَ البُلْهُ»، قالَ: سألتُ الأوزاعيَّ عنِ البُلْهِ، قالَ: الذين يعرِفُونَ الخيرَ، ولا يعرِفُونَ الشَّرَّ، وهذا مُرسَلٌ أيضًا[٣].

ورَوَى ابنُ أخي ابنِ وَهْبٍ، عن عمِّه عبدِ الله بنِ وَهْبٍ قالَ: سألتُ مالكًا عن تفسيرِ قولِ النَّبيِّ ﷺ: «أكثرُ أهلِ الجنّةِ البُلْهُ»، فقالَ: الأبلَهُ مثلُ عبدِ الله بنِ عمرَ رضيَ الله عنهما، كانَ أبلَهَ في معاصي الله، فطِنًا فيما يُرضي الله، مُسارِعًا إلى ما يُرضي الله، بطيئًا عن محارِمِ الله، لا تأخُذُه في الله لومةَ لائمٍ، رواهُ الحسَنُ بنُ حبيبٍ الدِّمشقيُّ عن عبدِ الله بنِ عبدِ الحميدِ، عن ابنِ أخي ابنِ وَهْبٍ[٤].

---

(١) أخرجه أبو الحسين عبد الوهاب بن الحسن الكلابي الدمشقي في «أحاديثه» (مخطوط) من طريق أحمد بن أبي الحواري من مراسيل عمر بن عبد العزيز. وأخرج المعافى بن عمران الموصلي مثله في «الزهد» (١٠٦) من مراسيل محمد بن المنكدر مرفوعاً.

(٢) في (س): «يشير إلى».

(٣) أبو يزيد الغوثي تابعي، وهذا الأثر المرسل في القسم المفقود من «مسند إسحاق بن راهويه».

(٤) تقدم هذا في (ب) على الفقرة التي قبله، ولم أظفر بمصدر ذكر هذا عن ابن وهب غير المصنف.

**وقد لخص المصنف رحمه الله تعالى تاريخ مذهب المحبة لدى العُبَّاد والمنقطعين إلى الله جَلَّ جلاله، وبيَّن بعباراته وإشاراته كيف بدأ الانحراف بعدهم في هذا الباب، ويحسن هنا إكمال هذا التلخيص بذكر وفيات من ذكرهم من أكابر الأمة رضي الله عنهم:**

**فأولهم:** الإمام التابعي الجليل الحسن بن يسار البصري، المتوفى سنة (١١٠). =

# فصلٌ

## ولْنَخْتِمِ الكتابَ بكلماتٍ جوامعَ من أمرِ المحبّةِ وأبياتٍ رقائقَ مُتضمِّنةٍ لها

رَوَى الإمامُ أحمدُ في «كتابِ الزُّهدِ» بإسنادِهِ عن عطاءِ بنِ يَسارٍ قالَ: قالَ مُوسى عليه السَّلامُ: يا رَبِّ مَن أهلُكَ الذينَ هم أهلُكَ الذين تُظِلُّهم في ظِلِّ عرشِكَ؟ قالَ: هم البريَّةُ أيديهم، الطّاهرةُ قُلوبُهم، الذينَ يتحابُّونَ بجَلالي،

---

= وبعده: عبد الواحد بن زيد البصري، توفي بعد (١٥٠) وقيل (١٧٧)، وعتبة الغلام بن أبان البصري، الشهيد في قتال الروم بعد (١٦١)، وداود بن نصير الطائي المتوفى (١٦٢)، ورابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية، المتوفاة سنة (١٨٠)، وضيغم بن مالك الراسبي البصري المتوفى (١٨٠)، والفضيل بن عياض المتوفى (١٨٧) رحمهم الله تعالى.

وهؤلاء كلهم بصريون، إلا داود فهو كوفي، والفضيل، وكانوا في زمن الأئمة أبي عمرو عبد الرحمن الأوزاعي المتوفى (١٥٧) بالشام، وسفيان بن سعيد الثوري الكوفي المتوفى (١٦١)، ومالك بن أنس المتوفى (١٧٩) بالمدينة على ساكنها الصلاة والسلام، رضي الله عنهم.

وبعدهم: أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية الداراني المتوفى (٢١٥)، وأحمد بن أبي الحواري عبد الله بن ميمون الثعلبي الكوفي ثم الدمشقي المتوفى سنة (٢٣٠)، وقاسم بن عثمان الجوعي الدمشقي المتوفى (٢٤٨)، وذو النون ثوبان بن إبراهيم المصري المتوفى (٢٤٥)، وسعدون أبو عطاء البصري المتوفى بعد (٢٥٠)، والسري بن المغلِّس السقطي البغدادي المتوفى (٢٥٣)، وأبو حمزة محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي المتوفى (٢٦٩) رحمهم الله تعالى أجمعين.

وهؤلاء من أمصار شتى، وكانوا في زمن الإمام أحمد بن حنبل المتوفى ببغداد (٢٤١) رضي الله عنه.

ثم بعدهم: سمنون بن حمزة الخواص البصري المتوفى (٢٩٨)، وسيد الطائفة الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي المتوفى (٢٩٨) وأبو بكر دُلَف بن جعفر الشبلي السامرائي المتوفى سنة (٣٣٤).

رحمهم الله تعالى أجمعين. جمعنا الله بهم أجمعين في دار كرامته مستنشقين نسيم الأنس مع نفحات رياض القدس، ونحن نحبهم في الله، مع بُعد الزمان وتفاوت الدرجة، لكنَّ المرء مع من أحب.

الذيـن إذا ذُكِـرْتُ ذُكِـرُوا بي، وإذا ذُكِـرُوا ذُكِـرْتُ بذِكرِهم، الذينَ يُسـبِغُونَ الوُضوءَ فـي المَـكارِهِ، ويُنيبُونَ إلى ذِكري كمـا تُنيبُ النُّسـورُ إلى وُكورِهـا، ويكلَفُونَ بحُبِّي كمـا يكلَـفُ الصَّبيُّ بحُـبِّ النّـاسِ، ويغضَبُونَ لمَحارِمـي إذا استُحِلَّتْ كما يغضَبُ النَّمِـرُ إذا حَرِبَ[١].

وفـي «كتـابِ المحبّـةِ» لإبراهيمَ بنِ الـجُنَيدِ، عن أحمدَ بنِ مخلدٍ الخُراسـانيِّ قـالَ: قـالَ الله عـزَّ وجـلَّ: ألا قـد طـالَ شـوقُ الأبـرارِ إلـى لقائـي، وأنا إليهم أشـدُّ شـوقًا، وما شـوقُ المُشـتاقينَ إليَّ إلّا بفضلِ شـوقي إليهم، ألا مَن طلَبنـي وجَدَني، ومَـن طلَـبَ غيـري لـم يجِدْنـي، ومَن ذا الـذي أقبَلَ إلـيَّ فلـم[٢] أُقبِلْ إليـه؟ ومَن ذا الـذي تـوكَّلَ علـيَّ فلـم أكفِـهِ؟ ومَـن ذا الـذي دَعاني فلـم أُجِبْـه؟ ومَـن ذا الذي سـألَني فلـم أُعطِهِ[٣]؟

قالَ أحمدُ بنُ أبي الحوارِيِّ: حدَّثَنا عمرُ بنُ سلمةَ السَّرّاجُ[٤]، عن أبي جعفَرٍ المصرِيِّ، قالَ: قالَ الله عزَّ وجلَّ: يا معشرَ المُتوجِّهينَ إليَّ بحُبِّي، ما ضَرَّكُم ما فاتَكُم منَ الدُّنيا إذا كنتُ لكم حظًّا؟ وما ضَرَّكُم مَن عاداكُم إذا كنتُ لكم سِلْمًا[٥]؟

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (٣٨٩)، وابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٣٧)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/ ١٤١) من حديث عطاء.
وحَرَبُ النمر: شدة غضبه. وتصحفت الكلمة في (ش) إلى: «ضُرِب».

(٢) في (ش): «ولم».

(٣) أخرجه ابن الجنيد الختلي في «المحبة» (٢٥٦).

(٤) زاد ناسخ (س) وهماً: «عن أبي جعفر السراج».

(٥) هذا من الكتب السابقة، والأثر أخرجه تمام في «فوائده» كما في «الروض البسام» (١٦٢٣)، وأبو طاهر المخلص في «المخلصيات» (٢١٤١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ١٩).
وذكره ابن الجنيد الختلي في «المحبة» (١١٢).

وفي هذا المعنَى يقولُ القائلُ:

هَنيئًا لمَن أمسَى[1] وأنتَ حبيبُه ... ولو أنَّ لوعاتِ الغرامِ تُذيبُهُ

وطُوبَى لصَبٍّ أنتَ ساكِنُ سِرِّهِ ... ولو بانَ عنه إلفُه وقريبُهُ

وما ضرَّ صبًّا أن يبيتَ وما لهُ ... نصيبٌ منَ الدُّنيا وأنتَ نصيبُهُ

ومَن تكُ راضٍ عنه في طيِّ غَيبِه ... فما ضَرَّه في النّاسِ مَن يستَغِيبُهُ

فيا علّةً في الصَّدرِ أنتَ شِفاؤُها ... ويا مرَضًا في القلبِ أنتَ طبيبُهُ

عُبَيدُكَ في بابِ الرَّجا مُتضرِّعٌ ... إذا لم تُجِبْه أنتَ مَن ذا يُجيبُهُ

بعيدٌ عنِ الأوطانِ يبكي بذلّةٍ ... وهَلْ ذاقَ طَعْمَ الذُّلِّ إلّا غَريبُهُ

تصَدَّقْ على مَن ضاعَ منه زمانُه ... ولم يدْرِ حتَّى لاحَ منه مَشيبُهُ

غدا خاسرًا فالعارُ يكفيه والعَنا ... وقد آنَ من ضَوءِ النَّهارِ مَغيبُهُ[2]

ومـمّا أنشَدَه أبو يزيدَ[3] البحراني[4] منَ المُتقدِّمينَ رحمةُ الله عليه:

مُحِبٌّ نَفَى ما التَذَّ من غَمضِه الفِكْرُ ... فأعقَبَه ضرًّا فأنهَكَهُ الضُّرُّ

وباتَ يُراعي أنجُمًا بعدَ أنجُمٍ ... ويرعَدُ من خَوفٍ إلى أنْ بدا الفَجْرُ

ويخدِمُ مولاهُ بألطَفِ خِدمةٍ ... ويُسعِدُه في حُسنِ خدمتِه الصَّبرُ

به وبمَن ساواهُ في الزُّهدِ والتُّقَى ... إذا الجدبُ عمَّ الأرضَ يُستَنْزَلُ القَطْرُ

---

(١) في (س): «أضحى».

(٢) الأبيات لمحمود بن القاسم ابن أبي البدر الملحي الواعظ الواسطي، المتوفى (٧٤٤) رحمه الله. والأبيات في ترجمته في «فوات الوفيات» لابن شاكر الكتبي (٤/ ١٠٨).

(٣) في (ب): «أبو زيد»، وفي (س): «أحمد بن يزيد» وفي حاشيتها ما يوافق المثبت.

(٤) هكذا مهملة، وتحتمل أن تكون: «البحراني» وأن تكون: «النجراني» ولم تتبين لي.

مُحِبٌّ خَلا بالحِبِّ خلوةَ واجدٍ خَلا بحبيبٍ والظَّلامُ له سترُ
يقولُ بذَلْتُ الحبَّ يا مُنتَهى المُنَى ويا نورَ قلبي أنتَ لي سيِّدي ذُخْرُ
فلا تُخزِني يا ربِّ وارحَمْ تضَرُّعي فقد ـ وعظيمِ العفوِ ـ أثقَلَني الوِزْرُ
وقد خِفْتُ من يومِ المَعادِ مخافةً تيقَّنْتُ أنِّي ليسَ لي فيهما عُذْرُ
بفَضْلِكَ زِدْني منكَ قُربًا وأدنِني إليكَ دُنوًّا لا يُغيِّرُه الدَّهرُ
شِفائي سَقامي[1] في الهوَى هو قاتِلي وبينَ سَقامي والشِّفا ينفَدُ العُمرُ
وفي كبِدي ممّا أُقاسي منَ الهوَى ومن زَفَراتِ[2] الحبِّ يا واحِدي جمرُ
غَزا الحبُّ قَلبي قاصِدًا بجُيوشِه ليأسِرَه قَهرًا[3] فأذهَلَه الأسرُ
وحقِّكَ[4] لا أنساكَ ما دُمتُ باقيًا وهل يتسلَّى من محبَّتِه فَخْرُ[5]

وأنشَدَتْ بعضُ العارِفاتِ:

أُحِبُّكَ حُبَّينِ حُبَّ الوِدادِ وحُبًّا لأنَّكَ أهلٌ لذاكا
فأمّا الذي هو حُبُّ الوِدادِ فحُبٌّ شُغِلْتُ به عَن سِواكا
وأمّا الذي أنتَ أهلٌ له فكَشْفُكَ للحُجبِ حتَّى أراكا
فما الحمدُ في ذا ولا ذاكَ لي ولكِنْ لكَ الحمدُ في ذا وذاكا[6]

---

(١) في (س): «مقامي» تصحيف.

(٢) في حاشية (ش): «الوعات نسخة».

(٣) في (ب) و(س): «قسرًا».

(٤) في (ب): «وحبك» تصحيف.

(٥) لم أظفر بالأبيات عند غير المصنف رحمه الله.

(٦) مما سمعه ذو النون من جارية بالساحل قالت الأبيات ثم ماتت رحمها الله. أخرجه السراج القارئ في «مصارع العشاق» (١/ ٢٧٥).

وأنشَدَتْ أُخرَى منهُنَّ:

حبيبٌ ليسَ يعدِلُه حبيبُ ... ولا لِسواهُ في قَلبي نصيبُ

حبيبٌ غابَ عن بصَري وشَخْصي ... ولكِنْ عن فُؤادِي ما[1] يغيبُ[2]

وأنشَدَ بعضُ المُحبِّينَ:

أَعمَيْتَ عَيني عنِ الدُّنيا وزينَتِها ... فأنتَ والرُّوحُ منِّي غيرُ مُفتَرِقِ

إذا ذكرتُكَ وافَى مُقلَتي أرَقٌ ... من أوَّلِ اللَّيلِ حتَّى مَطلعِ الفَلَقِ

وما تطابقَتِ الأجفانُ عن سِنَةٍ ... إلّا رأيتُكَ بينَ الجفنِ والحَدَقِ[3]

ارحَمْ حشاشةَ نفسٍ فيكَ قد تلِفَتْ ... قبلَ الفِراقِ[4] فهذا آخرُ الرَّمقِ

ولو مضَى الكُلُّ منِّي لم يكُنْ عجَبًا ... وإنَّما عجَبي في البعضِ كيفَ بَقِي[5]

وأنشَدَ بعضُهم:

والله ما طلَعَتْ شَمسٌ ولا غرَبَتْ ... إلّا وأنتَ حديثي بينَ جُلّاسي

ولا همَمْتُ بشُربِ الماءِ من عَطَشٍ ... إلّا رأيتُ خيالًا منك في الكاسِ[6]

---

(١) في (س): «لا».

(٢) هما لرابعة بنت إسماعيل الشامية زوج أحمد بن أبي الحواري رحمهما الله. والبيتان في ترجمتها من «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٩/ ١١٥).

(٣) هذه الأبيات الثلاثة مما سمعه ذو النون المصري من عابد بجبل اللكام، ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٤٦٧).

(٤) في (ب): «الممات».

(٥) هذان البيتان لأبي علي محمد بن أحمد الروذباري، ذكرهما الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢/ ١٨٣) بتقديم البيت الأخير على الذي قبله.

(٦) مما سمعه الهجويري من درويش في جبال أذربيجان كما في «كشف المحجوب» له (ص: ٦٥٨). =

ولبعضِهم:

ساكنٌ في القلبِ يعمُرُهُ  لستُ أنساهُ فأذكُرُهُ
غابَ عن سَمْعي وعَنْ بَصَرِي  فسُوَيدا القلبِ تُبصِرُهُ[1]

وأنشَدَ آخرُ منهم:

مَن عامَلَ الله بتَقْواهُ  وكانَ في الخلوةِ يرعاهُ
سَقاهُ كأسًا من صفا حُبِّه  يُسْلِيهِ عن لذّةِ دُنياهُ
فأبعَدَ الخلقَ وأقصاهُمُ  وانفَرَدَ العبدُ بمَولاهُ[2]

وأنشَدَ بعضُهم:

أنتَ تَدرِي يا حبيبي  مَن حبيبي أنتَ تَدرِي
ونُحولُ الجسمِ والدَّمـ  ـعُ يَبُوحانِ بسِرِّي
يا عَزيزي قد كتمْتُ الـ  ـحبَّ حتَّى ضاقَ صَدْرِي[3]

وأنشَدَ بعضُهم:

---

= وذكره ابن الزوزني في «حماسة الظرفاء» (٢/ ٨٩) ولم ينسبه، وابن الجوزي في «المدهش» (ص: ٢٢٢) ولم ينسبه لأحد، وكذلك المستعصمي في «الدر الفريد» (١٠/ ٢٢١).

(١) ذكر نحو هذين البيتين عن الجنيد: القشيري في «الرسالة» (٢/ ٤٧٢)، وذكره ابن الجوزي في «التبصرة» (١/ ٦٢).

(٢) مما سمعه ذو النون من شاب في طريقه إلى الحج. أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ١٧٦)، ونسبه أبو بكر بن العربي في «المسالك» (٣/ ٣٢٠) إلى سعدون المجنون.

(٣) مما سمعه ذو النون المصري من جارية متعلقة بأستار الكعبة، ذكره ابن الجوزي في «مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن» (٢/ ٢٤).

أَبى الحبُّ أن يخفَى وكم قد كتَمْتُه فأصبَحَ عندي قد أناخَ وطَنَّبا

إذا اشتَدَّ شَوقِي هامَ قلبي بذِكرِه وإنْ رُمْتُ قُربًا من حبيبي تقرَّبا

ويبدُو فأفنَى ثمَّ أحيا به له[١] فيُسعِدُني حتَّى ألَذَّ وأطرَبا[٢]

سُئِلَ إبراهيمُ القَصّارُ: هل يُبدِي المُحِبُّ حُبَّه[٣]؟ أو هل ينطِقُ به؟ أو هل يُطيقُ كِتمانَه؟ فتمَثَّل بهذَينِ البيتَينِ:

ظَفِرْتُم بكتمانِ اللِّسانِ فمَن لكُم بكِتمانِ عَينٍ دمعُها الدَّهرَ يذرِفُ

حملتم[٤] جبالَ الحبِّ فَوقي وإنَّني لَأعجِزُ عن حملِ القميصِ وأضعُفُ[٥]

ومن كلامِ يحيى بنِ مُعاذٍ الرّازي: لو سمِعَ الخلائقُ صوتَ النِّياحةِ على الدُّنيا في الغَيبِ من ألسنةِ الفَناءِ لتَساقطَتِ القلوبُ منهم حُزنًا، ولو رأتِ العقولُ بعيونِ الإيمانِ نُزهةَ الجنّةِ لذابَتِ النُّفوسُ شوقًا، ولو أدركَتِ القلوبُ كُنهَ المحبّةِ لخالقِها لتخَلَّعَتْ مفاصِلُها ولَهًا، ولطارَتِ الأرواحُ إليه من أبدانِها دهشًا، فسُبحانَ مَن أغفَلَ الخليقةَ عن كُنْهِ هذه الأشياءِ، وألهاهُم بالوصفِ عن حقائقِ هذه الأنباءِ[٦].

---

(١) في (س): «بقربه».

(٢) مما سمعه الجنيد من جارية تطوف بالبيت العتيق، في قصة أخرجها ابن الجوزي في «مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن» (٢/ ١٢).

(٣) في (ب): «الحب».

(٤) في (س): «حملت».

(٥) أخرجه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٤٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٥٤).
وهنا تنتهي النسخة (س).

(٦) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٥٦ ـ ٥٧)، وذكره ابن الجوزي في «التبصرة» (٢/ ٦١)، و«صفة الصفوة» (٢/ ٢٩٤).

[1]وممّا أنشَدَه بعضُهم:

أَرُوحُ وقد خَتَمْتُ على فُؤادي ... بحُبِّكَ[2] أن يحُلَّ به سِواكا

فلو أنّي استَطَعْتُ غَضَضْتُ طَرفي ... فلم أُبصِرْ به حتّى أراكا

أُحِبُّكَ لا ببَعْضِي بل بكُلِّي ... وإنْ لم يبقِ حُبُّكَ لي حَراكا

ويقبحُ مِن سِواكَ الفعلُ عندي ... وتفعَلُه فيحسُنُ منكَ ذاكا

وفي الأحبابِ مخصوصٌ بوَجدٍ ... وآخرُ يدَّعِي معَه اشتِراكا

إذا اشتبهَتْ[3] دموعٌ في خدودٍ ... تبيَّنَ[4] مَن بكى ممَّن تَباكى

فأمّا مَن بكَى فيذوبُ وَجْدًا ... وينطِقُ بالهوَى مَن قد تَشاكى[5]

تمَّ الكتابُ بحمدِ الله وعَونِه

وصلَّى الله على محمَّدٍ وآلِه وسلَّمَ[6]

---

(١) هنا يبدأ ما يوجد في مجموع مكتبة فاتح!!

(٢) في (ش): «بقلبي» وفي حاشيتها كالمثبت.

(٣) في نسخة (الفاتح): «اشتبكت».

(٤) في (ش): «تباين».

(٥) الأبيات للمتنبي من قصيدة طويلة، وهي في «ديوانه» بشرح العكبري (٢/ ٣٨٥ ـ ٣٩٧) قالها في أبي شجاع عضد الدولة، وليس منها البيت الثالث فهو لأبي نواس، والرابع سبق تخريجه في الباب التاسع من هذا الكتاب، والسابع لم يذكره سوى ابن الجوزي في «المدهش» (ص: ٥٠٢)، وكأن المصنف أخذ جملة الأبيات منه وقد ذكره في «شرح حديث لبيك» و«كلمة الإخلاص».

(٦) في حاشية (ش): «بلغ مقابلة بنسخةٍ قرئت على المصنف رحمه الله تعالى فصَحَّ...».

وجاء بعد ذلك في (ش):

«مسألة كشف الرأس للقاضي بدر الدين القدسي تغمده الله برحمته. كتبها العبد الفقير إلى الله تعالى، =

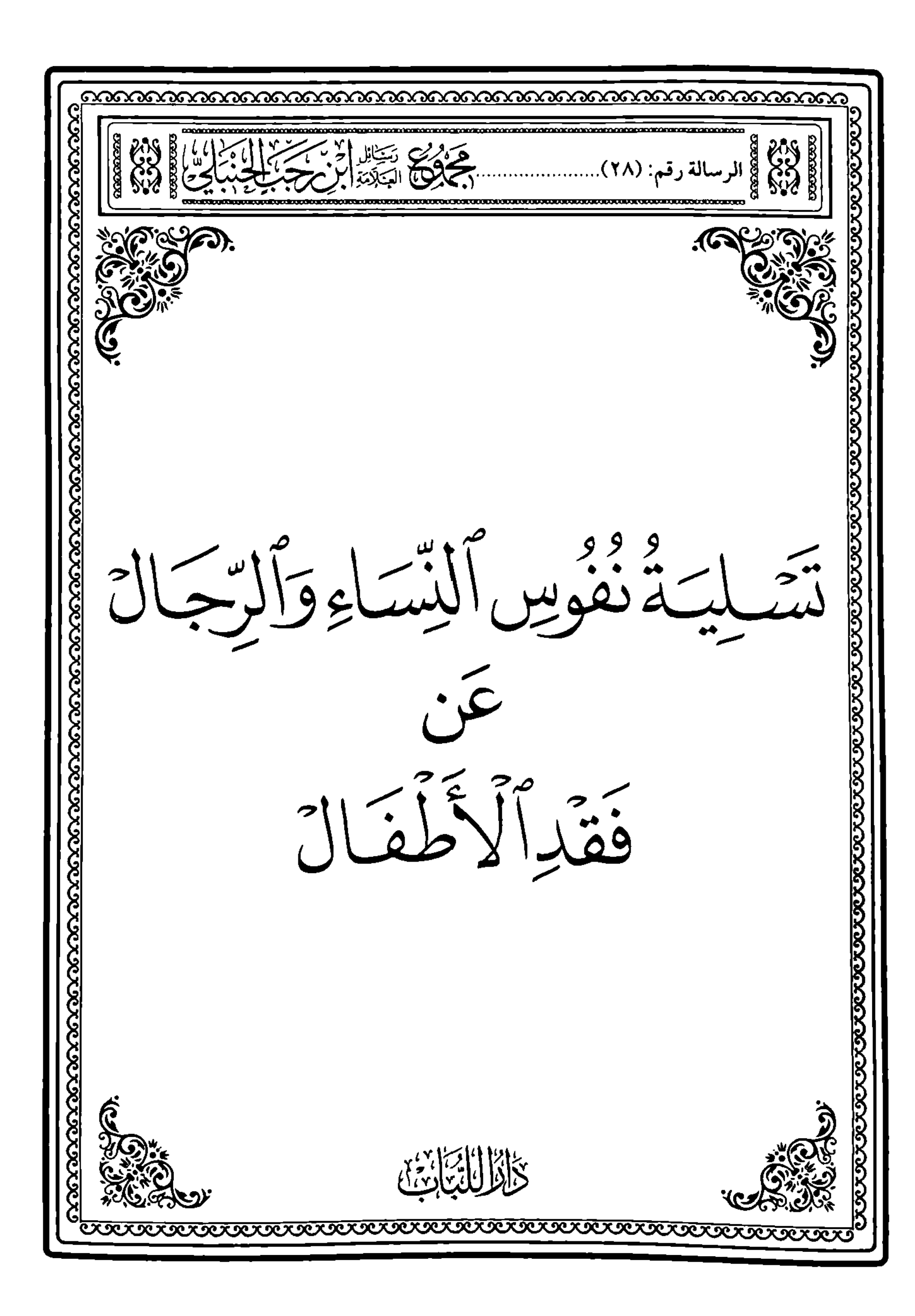
= خادم الفقراء، وتراب أرجلهم: محمد بن عبد الله بن عمران الحنبلي القادري غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين، ولمن قرأ فيه، ودعا له بالمغفرة ولجميع المسلمين وذلك بتاريخ حادي عشر من شهر رجب الفرد سنة ستة وتسعين وسبع مئة».

ومنه يستفاد تاريخ نسخ كتابنا هذا.

وفي خاتمة (ب): «والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على سيِّدِنا محمَّدٍ خاتمِ النَّبيِّين، وعلى آلِه وصحبِه وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا إلى يومِ الدِّينِ، ورضيَ الله عن أصحابِ رسولِ الله أجمعين. ووافَقَ الفراغُ منه في ليلةٍ تُسفِرُ صبيحتُها عن يومِ الاثنَينِ المُباركِ خامسَ عشرَ ذي الحجّةِ الحرامِ سنةَ سبعَ عشرةَ [وثماني مئة] وصلَّى الله على محمَّدٍ، والحمدُ لله وحدَه» (وما بين معكوفين وضعته من عندي وفي مكانه كلمة لم تتبين لي قراءتها).

وفي خاتمة (نسخة الفاتح): «تم الكتاب بحمد الله وعونه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً».

وفي خاتمة (س): «تمَّ الكتابُ بحمدِ الله وعَونِه وإحسانِه وطَولِه، وصلَّى الله على محمَّدٍ وآلِه وصحبِه وسلَّمَ، وذلك بقلمِ عبده عبد الله بن إبراهيم الربيعي في اليوم الثاني من شهر ذي الحجة سنة ١٣٣٣».



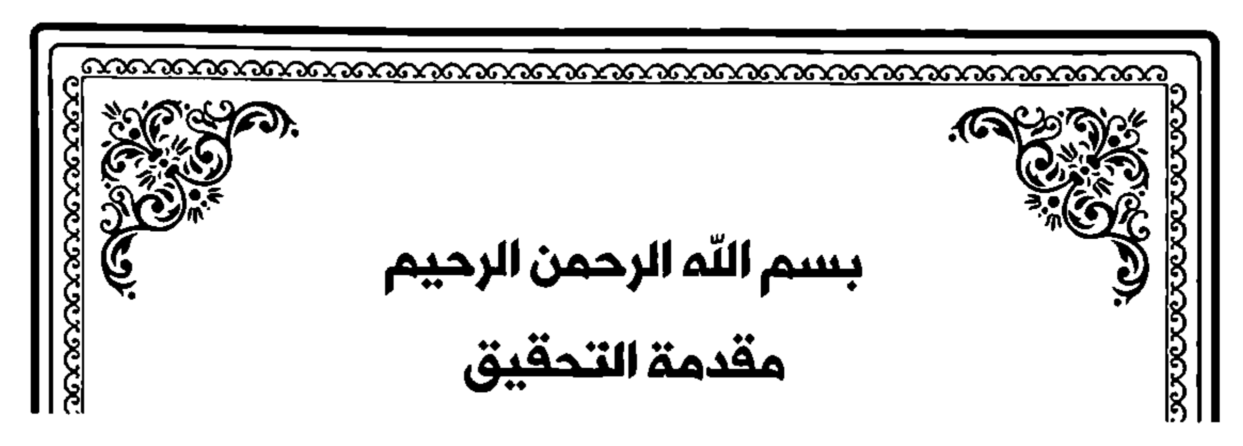


# تَسلِيةُ نُفُوسِ ٱلنِّساءِ وَٱلرِّجَالِ عَن فَقدِ ٱلأَطفَالِ

دار اللباب

دار الكتب الوطنية بتونس (ت)

مكتبة الفاتح في اسطنبول (ف)




الحمد لله موفي الأجر للصابرين، ومجزل الجزاء للشاكرين، وصلى الله على الرحمة المهداة، والنعمة المُسداة، سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

**أما بعد:**

فهذه تعزية نبوية شريفة، لكل من فقد طفله من هذه الأمة المرحومة، وما أكثر ما كان الناس يفقدون أطفالهم وأولادهم، في طفولتهم ومراهقتهم، حيث لم تكن وسائل الطب موفورة في تلك الأزمان وفرتها الآن. كما أنَّ شناعةَ الحروبِ وفظاعتها لم تكن أبداً كما هي عليه الآن، فتلك الحضارة المادية غير المؤمنة بالله بأيدي من لا يخاف الله ولا يرجو اليوم الآخر ليس لديها أخلاق الحرب فهي تقصف وتدك وتضرب بقذائفها وصواريخها وقنابلها، لا تفرق بين مقاتل وغير مقاتل، ولا تفرق بين صغير ولا كبير، ولا تفرق بين رجل وامرأة وطفل ورضيع ووليد.

مما صار الناس يرونه ويشاهدونه رأي العين من الإجرام والتنكيل على مرأى ومسمع من العالم كله.

وفي هذا الحديث الشريف الذي شرحه الإمام الحافظ ابن رجب تسلية وأيما تسلية، وتعزية وأيما تعزية لمن فقد طفلاً أو أطفالاً هم فلذة كبده ومهجة فؤاده، وما أكثر أولئك اليوم تحت رحى الحروب الظالمة الجائرة.

اللهمَّ فأبدِلْ عسر هذه الأمة يسراً، واكشف عنها هذه الغمة، وأرها في أعدائها شفاء صدورها وارحم شهداءها وأنزل الصبر وأجزل الثواب لكل من فقد أحبابه أو أطفاله أو أهله أو ماله.

* * *

ذكر هذا الكتاب للمصنف: ابن عبد الهادي في «الجوهر المنضد» (ص: ٥٠)، وسماه: «تسلية نفوس النساء والرجال والأطفال».

ورواه الروداني في «صلة الخلف» (ص: ١٦٤)، وسماه: «تسلية نفوس النساء والرجال عن فقد الأطفال».

* * *

**اعتمدت في إخراج هذه الرسالة على نسختين خطيتين:**

النسخة الأولى: النسخة التونسية، ورمزها (ت).

وهي الرسالة التاسعة من المجموع (١٥٧) وتقع في (٤) لوحات، من (٦٧/ ب إلى ٧٠/ ب).

ولم يذكر اسم ناسخها، وتاريخ نسخ المجموع يرجع إلى سنة ٨٥٢.

النسخة الثانية: نسخة مكتبة الفاتح، ورمزها (ف).

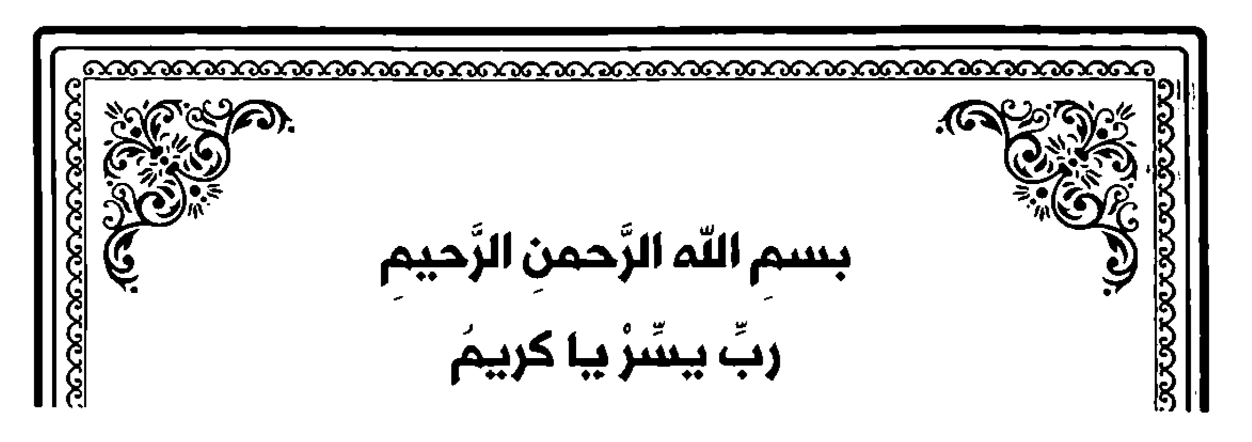
وهي الرسالة الرابعة عشرة من المجموع (٥٣١٨) وتقع في (٧) ولوحات، (من ١٨٢/ أ إلى ١٨٨/ أ).

وناسخ المجموع: عيسى بن علي بن محمد الحوراني الشافعي.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

كتبه

**محمد مجير الخطيب الحسني**



الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصلواتُه وسلامُه على سيِّدِنا محمَّدٍ وآلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ(١).

وبعدُ:

ففي «الصَّحيحينِ»، مِن حديثِ أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضيَ اللهُ عنه قالَ: قالَ النِّساءُ للنَّبيِّ ﷺ: غَلَبنا عليك الرِّجالُ، فاجعَلْ لنا يوماً مِن نفسِكَ، فواعدَهُنَّ يوماً، لقيَهنَّ فيه فوعَظَهنَّ وأمَرهنَّ، فكان فيما قالَ لهنَّ: «ما مِنكنَّ امرأةٌ تقدِّمُ ثلاثةً مِن ولدِها إلَّا كان لها حِجابًا مِن النَّارِ» فقالتِ امرأةٌ: واثنينِ؟ قالَ: «واثنينِ»(٢).

هذا يدلُّ على أنَّ مجالسَ النَّبيِّ ﷺ للفقهِ في الدِّينِ والتَّذكيرِ ونحوِ ذلك لم يكنِ النِّساءُ يَحضُرْنَها معَ الرِّجالِ، وإنَّما كنَّ يَشهَدْنَ الصَّلَواتِ في مُؤَخَّرِ المساجدِ(٣)

---

(١) في (ت): «وصلواته على سيدنا محمد». وقد وصف ناسخها المؤلف بشيخنا.

(٢) أخرجه البخاري في عدة مواضع (١٠١) (١٢٤٩)، ومسلم (٢٦٣٣).

(٣) روى البخاري في باب صلاة النساء خلف الرجال (٨٧٠) عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا سَلَّم قام النساءُ حين يقضي تسليمه، ويمكث هو في مُقامه يسيراً قبل أن يقوم. قال [الزهري]: نرى والله أعلم أن ذلك كان لكي ينصرف النساء قبل أن يدركهن الرجال.

فهذا يقتضي أن صف النساء ليس مقدماً على صف الرجال ولا مساوياً له بل هو متأخر عنه. =

ليلاً[١]، ثمَّ ينصرِفْنَ عاجلاً[٢]، وكُنَّ يَشهَدْنَ العيدينِ معَ المسلمينَ مُنفرِداتٍ عنِ الرِّجالِ مِن وَرائِهم[٣]، ولهذا لَمَّا خطَبَ النَّبيُّ ﷺ يومَ العيدِ رأى أنَّه لم يُسمِعِ النِّساءَ، فلمَّا فرغَ جاءَ ومعه بلالٌ إلى النِّساءِ، فوعَظَهنَّ وذكَّرَهنَّ، وأمَرهنَّ بالصَّدقةِ[٤]، وأجلَسَ الرِّجالَ حتَّى يفرُغَ مِن موعظةِ النِّساءِ[٥].

وأصلُ هذا أنَّ اختلاطَ النِّساءِ بالرِّجالِ في المجالسِ بِدعةٌ، كما قالَ الحسَنُ البَصريُّ[٦]، فلذلك قال له النِّساءُ: يا رسولَ اللهِ! غلَبَنا عليك الرِّجالُ.

---

= وفي «صحيح مسلم» (٤٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها».

(١) روى البخاري (٨٦٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «إذا استأذنكم نساؤكم بالليل إلى المسجد فأذنوا لهن».

(٢) كما في حديث أم سلمة رضي الله عنها السابق.

وأخرج البخاري في باب سرعة انصراف النساء من الصبح وقلة مُقامهن في المسجد، من حديث عائشة رضي الله عنها (٨٧٢): أن رسول الله ﷺ كان يصلي الصبح بَغَلَس فينصرفن نساء المؤمنين، لا يُعرفن من الغَلَس، أو لا يعرفُ بعضُهن بعضاً.

(٣) كما في حديث ابن عباس في البخاري (٩٧٩)، ومسلم (٨٨٤) ولفظه: «قال: فنزل نبي الله ﷺ كأني أنظر إليه حين يُجَلِّسُ الرجال بيده، ثم أقبل يَشُقُّهم حتى جاء النساء ومعه بلال... ».

(٤) أخرجه البخاري في مواضع كثيرة منها: (١٤٤٩)، ومسلم (٨٨٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) وذلك من قول ابن عباس رضي الله عنهما في الصحيحين: «كأني أنظر إليه حين يُجَلِّسُ الرجال بيده، ثم أقبل يشقُّهم، حتى جاء النساء...».

(٦) قال الحسن رحمه الله تعالى فيما أخرجه الخلال من رواية ضمرة عن ابن شَوْذب عن أبي التَّياح قال: قلت للحسن إمامنا يَقُصُّ، فيجتمع الرجال والنساء، فيرفعون أصواتهم بالدعاء، فقال الحسن: إن رفع الأصوات بالدعاء لبدعة، وإن مدَّ الأيدي بالدعاء لبدعة، وإن اجتماع الرجال والنساء لبدعة. =

وقد رُوِيَ مِن حديثِ أبي هريرةَ، أنَّ النِّساءَ قُلْنَ: يا رسولَ اللهِ! إنَّا لا نقدِرُ على أن نُجالِسَكَ في مَجلسِكَ، قد غلَبَنا عليه الرِّجالُ، فواعِدْنا موعِداً نأتيكَ، قال: «موعِدُكنَّ بيتُ فُلانةَ»، فأتاهُنَّ فحدَّثَهنَّ[1].

وقد أمَرَه اللهُ تعالى أن يُبلِّغَ ما أُنزِلَ إليه للرِّجالِ والنِّساءِ، وأن يُعلِّمَ الجميعَ، كما قالَ له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ الآيةَ [الأحزاب: ٥٩].

وقالَ: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ الآية [النور: ٣١].

فامتثَلَ ما أمَرَه اللهُ تعالى، ووَعدَهنَّ مَجلِسًا خاصاً لهنَّ في بيتِ امرأةٍ، ولعلَّ تلك المرأةَ كانت مِن أزواجِه أو محارِمِه، واللهُ أعلَمُ بحقيقةِ ذلك.

ثمَّ وَفَى بموعدِه لهن، فأتاهُنَّ في يومِ موعدِهِنَّ فوعَظَهُنَّ، وأمَرَهُنَّ ونهاهُنَّ، ورغَّبَهُنَّ ورهَّبَهُنَّ، وكانَ مِن جُملةِ ما بشَّرَهنَّ بهِ أن قالَ لهنَّ: «ما مِنكنَّ امرأةٌ تُقدِّمُ ثلاثةً مِن ولدِها إلَّا كان لها حِجاباً مِن النَّارِ» فقالتِ امرأةٌ: واثنينِ؟ قال: «واثنينِ»[2].

وليس في هذا الحديثِ: «لم يبلُغوا الحِنثَ»، وعُمومُه يدخلُ فيه مَن بلغَ الحِنثَ ومَن لم يَبلُغ، والمُصيبةُ بمَنْ بلَغَ أعظمُ وأشَقُّ على النُّفوسِ، والمُصيبةُ بمَنْ لم يَبلُغْ أهوَنُ وأخَفُّ.

---

= ذكره ابن الجوزي في «القصاص والمذكرين» (١٦٢)، وعزاه ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» للخلال (٢/ ١٥٢).

(١) أخرجه الإمام أحمد (٧٣٥٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٤٨)، وعندهما: «بيت فلان». وأخرجه النسائي في «الكبرى» (٥٨٦٧)، وابن حبان (٢٩٤١) وعندهما: «بيت فلانة».

(٢) تقدم تخريجه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

وقد جاءَ تقييدُه في حديثِ أنسِ بنِ مالكٍ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «ما مِن النَّاسِ مسلِمٌ يموتُ له ثلاثةٌ مِن الولَدِ لم يَبلُغوا الحِنثَ إلَّا أدخلَه اللهُ الجنَّةَ بفضلِ رحمتِه إيَّاهم»، خرَّجاه في الصَّحيحينِ[1].

والمرادُ بالحنثِ: الإثمُ، والمعنى: أنَّه لم يجرِ عليه الإثمُ ببلوغِه العمرَ الذي يُكتَبُ عليه الإثمُ فيه، وهو بلوغُ الحُلُمِ، وعلَّلَ بفضلِ رحمةِ اللهِ تعالى إيَّاهم، يعني أنَّ اللهَ يرحمُ أطفالَ المسلمينَ رحمةً تامَّةً، حتَّى تفضَّلَ عنهم، فيدخلُ آباؤُهم في فضلِ تلك الرَّحمةِ، وهذا ممَّا يُستدَلُّ به على أنَّ أطفالَ المسلمينَ في الجنَّةِ.

وقد قالَ الإمامُ أحمدُ: ليس فيهم اختلافٌ أنَّهم في الجنَّةِ[2]، وضعَّفَ ما رُوِيَ ممَّا يُخالِفُ ذلك، وقال أيضاً: وأحدٌ يشكُّ أنَّهم في الجنَّةِ؟! قال: وإنَّما اختلَفوا في أطفالِ المشركينَ.

وقال أيضاً: هو يُرجَى لأبَويهِ، فكيف يشكُّ فيه[3]؟ يعني أنَّه يُرجَى لأبويهِ دخولُ الجنَّةِ بسببِهِ فكيفَ يُشَكُّ فيه؟ وكذلك نصَّ الشَّافعيُّ على أنَّ أطفالَ المؤمنينَ في الجنَّةِ[4].

ورُويَ ذلك عن عليٍّ[5]، وابنِ مَسعودٍ[6]، وابنِ عبَّاسٍ[7]، وكَعبٍ[8].

---

(١) أخرجه عن أنس مرفوعاً البخاري (١٢٤٨) (١٣٨١)، وليس هو في مسلم، وإنما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (٢٦٣٤)، وأخرجه البخاري كذلك أيضاً (١٠٢) (١٢٥٠) ويحتمل الرفع والوقف والله أعلم، فلعل المصنف لم يذكره لذلك، والله أعلم.

(٢) «الجامع»، للخلال (١٤).

(٣) «الجامع»، للخلال (١٦).

(٤) «الأم» للإمام الشافعي (٣/ ٢٧٤).

(٥) أخرجه البيهقي في «القضاء والقدر» (٦٣٥).

(٦) في الأثر الآتي.

(٧) أخرجه البيهقي في «القضاء والقدر» (٦٣٨).

(٨) في الأثر الآتي.

وخرَّج ابنُ أبي حاتمٍ، عن ابنِ مسعودٍ قال: أرواحُ ولدانِ المؤمنينَ في أجوافِ عصافيرَ تسرَحُ في الجنَّةِ حيثُ شاءت، فتأوي إلى قناديلَ مُعلَّقةٍ في العرشِ[١].

وخرَّجَ البَيهقيُّ مِن روايةِ ابنِ عبَّاسٍ، عن كعبٍ نحوَه[٢].

وفي «صحيحِ مُسلمٍ» عن أبي هريرةَ، أنَّ رجُلاً قال له: مات لي ابنانِ، فما أنتَ مُحدِّثي عن رسولِ اللهِ ﷺ بحديثٍ تُطَيِّبُ بهِ أنفسَنا عن موتانا؟ فقال: نعَم، «صِغارُهُم دَعاميصُ الجنَّةِ يتلَقَّى أحدُهم أباهُ - أو قالَ: أبويهِ - فيأخُذُ بثَوبِه - أو قالَ: بيدِه - كما آخُذُ أنا بصَنِفَةِ ثوبِكَ، فلا يتَناهى - أو قالَ: ينتهي - حتَّى يُدخِلَهُ اللهُ وأباهُ[٣] الجنَّةَ»[٤].

وخرَّجَ النَّسائيُّ، مِن حديثِ أبي هريرةَ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «ما مِن مُسلِمَيْنِ يموتُ لهما ثلاثةُ أولادٍ، لم يَبلُغوا الحِنثَ، إلَّا أدخلَهما اللهُ بفضلِ رحمتِه إيَّاهمُ الجنَّةَ، قالَ تعالى[٥] لهم: ادخُلُوا الجنَّةَ، فيقولون: حتَّى يدخُلَ أبوانا، فيُقالُ لهم: ادخُلوا الجنَّةَ أنتم وآباؤُكم»[٦].

وخرَّجَ الإمامُ أحمدُ وابنُ ماجَه مِن حديثِ معاذٍ عنِ النَّبيِّ ﷺ قال:

---

(١) ذكره ابن كثير بسنده ومتنه عن ابن أبي حاتم في تفسير (غافر: ٤٦).

(٢) أخرجه البيهقي في «القضاء والقدر» (٦٣٩).

(٣) تصحفت في (ف) إلى: «وإياه».

(٤) الدعاميص: مفرده دعموص: دُويبَّة صغيرة تكون في الماء. والصنفة: طرف الثوب. أخرجه مسلم (٢٦٣٥).

(٥) كذا في النسختين، وصوابه في «النسائي»: «يقال».

(٦) أخرجه النسائي (١٨٧٦).

«والـذي نفسـي بيـدِه، إنَّ السِّـقْطَ لَيَجُـرُّ أمَّهُ بسَـرَرِه[١] إلـى الجنَّـةِ إذا احتسَـبَتْه»[٢].

وخرَّجَ الإمامُ أحمدُ وابنُ ماجَه أيضاً، مِن حديثِ عُتبةَ بنِ عَبدٍ السُّلَميِّ، سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «ما مِن مُسلِمٍ يموتُ له ثلاثةٌ مِن الولَدِ لم يَبلُغوا الحِنثَ إلَّا تلَقَّوْهُ مِن أبوابِ الجنَّةِ الثَّمانيةِ، مِن أيِّها شاءَ دخَلَ»[٣].

وفي روايةٍ للإمامِ أحمدَ: «إنَّ اللهَ تعالى يقولُ للوِلدانِ يومَ القِيامةِ: ادخُلوا الجنَّةَ فيَقولونَ: يا ربِّ حتَّى يدخُلَ آباؤُنا وأمَّهاتُنا، قال: فيأبونَ فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: ما لي أراهُم مُحْبَنْطِئينَ[٤]؟ ادخُلوا الجنَّةَ فيقولونَ: يا ربِّ، آباؤُنا فيقولُ: ادخُلوا الجنَّةَ أنتم وآباؤُكم»[٥].

وروَى الطَّبرانيُّ مِن حديثِ أنسٍ نحوَه، وزادَ فيه: إنَّه يقالُ لهم في المرَّةِ الرَّابعةِ: «ادخُلوا ووالِديكُم معَكم، فيَثِبُ كلُّ طفلٍ إلى أبوَيْهِ، فيأخذونَ بأيدِيهم، فيُدخِلُونَهم الجنَّةَ، فهم أعرَفُ بآبائِهم وأمَّهاتِهم يومئذٍ مِن أولادِكم الذين في بُيوتِكُم»[٦].

وخرَّجَ الإمامُ أحمدُ والنَّسائيُّ مِن روايةِ قُرَّةَ، أنَّ رجُلاً كان يأتي النَّبيَّ ﷺ ومعَه ابنٌ له، فقالَ له: «أتُحِبُّه؟» قال: أحبَّكَ اللهُ كما أُحِبُّه، فماتَ، ففقَدَه فسألَ عنه، فقالَ:

---

(١) في حاشية (ت) و(ف): «سرره: جمع سرة». قلت: وهذا خطأ فالسَّرر بالفتح وبالضم: هو ما تقطعه القابلة، وأما السُّرة فهي ما يبقى بعد القطع.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٢٠٩٠)، وابن ماجه (١٦٠٩).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١٧٦٤٤) و(١٧٦٣٩)، وابن ماجه (١٦٠٤).

(٤) المحبنطئ: الممتنع امتناع طَلِبة لا امتناع إباء. كما في «النهاية».

(٥) أخرجه الإمام أحمد (١٦٩٧١) عن بعض أصحاب النبي ﷺ.

(٦) في حاشية (ت): «بلغ». ذكره بتمامه المنبجي في «تسلية أهل المصائب» (ص: ٩١) وعزاه لابن شاهين، وابن عساكر.

«أمَا يَسرُّكَ أن لا تأتِيَ باباً مِن أبوابِ الجنَّةِ إلَّا وَجَدْتَه عندَها يَسْعى ليَفتَحَ لك؟» زادَ الإمامُ أحمدُ: فقالَ رجلٌ: أله[1] خاصَّةً أم لكُلِّنا؟ قال: «بل لكُلِّكُم»[2].

وخرَّجَ الطَّبرانيُّ مِن حديثِ ابنِ عُمرَ نحوه، ولكن قالَ فيه: فقال له النَّبيُّ ﷺ: «أوَما ترضى أن يكونَ ابنُكَ معَ ابني إبراهيمَ يُلاعِبُه تحتَ ظلِّ العرشِ؟» قال: بلى يا رسولَ اللهِ[3].

وفي المعنى أحاديثُ كثيرةٌ جدًّا، وقد كان الصَّحابةُ يرجون ذلك عند موتِهم، كما رُوِيَ عن أبي ذرٍّ أنَّه لَمَّا حضَرَتْه الوَفاةُ بكَتْ أمُّ ذرٍّ، فقالَ لها: أبشِري ولا تبكي، فإنِّي سمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «لا يموتُ بين امرأينِ مُسلِمَينِ ولَدانِ أو ثلاثةٌ، فيَصبرانِ ويَحتسِبانِ فيَريانِ النَّارَ أبداً»، وقد ماتَ لنا ثلاثةٌ مِن الولَدِ[4].

والحديثُ الذي قبلَه يدلُّ على أنَّ أطفالَ المؤمنين يلعبونَ تحت ظلِّ العَرشِ.

وفي حديثِ أبي هُريرةَ أنَّهم دَعاميصُ الجنَّةِ، والدُّعموصُ: دُوَيْبَّةٌ صغيرةٌ تكونُ في الماءِ، والمعنى أنَّهم يتَربَّونَ في أنهارِ الجنَّةِ، ويغتَمِسونَ فيها، وفي روايةٍ: يتقمسون في أنهارِ الجنَّةِ، يعني: يلعبونَ فيها[5].

وقد رُوِيَ أنَّه يَكفُلُهم إبراهيمُ عليهِ السَّلامُ وزَوْجتُه سارةُ عليها السَّلامُ.

---

(١) في (ف): «له».

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٥٥٩٥) (٢٠٣٦٥)، والنسائي (١٨٧٠).

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٤٠٩٦).

(٤) أخرجه ابن حبان (٦٦٧١)، والحاكم (٣/ ٣٤٥) في حديث طويل من رواية أم ذر، وليس عندهما: «وقد مات لنا ثلاثة من الولد»، وإنما ذكره ابن عبد البر في «الاستيعاب» من رواية علي بن المديني...

(٥) وفي «النهاية» لابن الأثير: قمسه في الماء فانقمس، أي غمسه وغطَّه. وهذه الرواية ذكرها الحافظ أبو موسى المديني في «المجموع المغيث» (١/ ٦٥٩).

وخرَّجَ ابنُ حِبَّانَ في «صحيحه» والحاكمُ مِن حديثِ أبي هُرَيرةَ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «ذَراريُّ المؤمنينَ يكفُلُهم إبراهيمُ في الجنَّةِ»[١].

وخرَّجَه الإمامُ أحمدُ مع نوعِ شَكٍّ في رَفعِه ووَقْفَه على أبي هُريرةَ[٢].

ورُوِيَ مِن وجهٍ آخرَ عن أبي هريرةَ مَرْفوعاً ومَوْقوفاً: «أولادُ المسلمينَ في جبَلٍ في الجنَّةِ يَكفلُهم إبراهيمُ وسارةُ عليهما السَّلامُ، فإذا كان يومُ القيامةِ دُفِعُوا إلى آبائِهم» خرَّجَه البَيْهقيُّ وغيرُه مَرْفوعاً[٣].

ويشهدُ لذلك ما في «صحيحِ البُخاريِّ» عن سَمُرةَ بنِ جُندبٍ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «أتاني الليلةَ آتِيانِ»، فذكرَ حديثاً طويلاً، وفيه: أنَّ المَلَكين فسَّراه لهُ، وأنَّهما جبريلُ وميكائيلُ، وأنَّه مِن جُملةِ ما رأى رَجُلاً طَويلاً في روضةٍ، وحولَه وِلدانٌ، وقالا له: الرَّجلُ الطَّويلُ في الرَّوضةِ إبراهيمُ، والوِلدانُ حولَه كلُّ مَولودٍ ماتَ على الفِطرةِ، فقالَ رجلٌ: يا رسولَ اللهِ! وأولادُ المشركينَ؟ قال: «وأولادُ المشركينَ»[٤].

وقد رُوِيَ أنَّهم يَرتضِعُونَ مِن شجرةِ طُوبَى.

رَوى[٥] ابنُ أبي حاتمٍ بإسنادِه، عن خالدِ بنِ مَعْدانَ قال: إنَّ في الجنَّةِ شجرةً يقالُ لها طُوبى، ضروعٌ كلُّها، تُرضِعُ صِبيانَ أهلِ الجنَّةِ، وإنَّ سِقْطَ المرأةِ يكونُ

(١) أخرجه ابن حبان (٧٤٤٦)، والحاكم (٢/ ٣٧٠) وصححه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٨٣٢٤).

(٣) أخرجه البيهقي في «القضاء والقدر» (٦٣٤)، وفي «البعث والنشور» (٧٧٤) عن الحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٨٤). وأما موقوفاً: فأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢١٧٨).

(٤) أخرجه البخاري (٧٠٤٧).

(٥) في (ف): «وروى».

فـي [نهـرٍ مـن] أنهـارِ [الجنـةِ] يتقلَّـبُ فيـه حتَّـى يـومِ القيامـةِ، فيُبعَـثُ ابـنَ أربعينَ سَـنَةً[١]. كـذا قالَ!

وفي حديثِ المقدامِ بنِ مَعدِي كَرِبَ المرفوعِ: «إنَّ ما بينَ السِّقطِ والهَرِمِ يُبعَثونَ أبناءَ ثلاثينَ سنةً»[٢] وفي روايةٍ: «أبناءَ ثلاث[٣] وثلاثينَ»[٤].

ورَوى ابنُ أبي الدُّنيا بإسنادِهِ عن خالدِ بنِ مَعْدانَ قال: إنَّ في الجنَّةِ شَجرةً يُقَالُ لها طُوبى، كلُّها ضُروعٌ، فمَن ماتَ مِن الصِّبيانِ الذين يرضعُونَ، يرضعُ مِن طُوبى، وحاضِنُهم إبراهيمُ عليهِ السَّلامُ[٥].

ورَوى الخلَّالُ بإسنادِهِ عن عُبَيدِ بنِ عُمَيرٍ قال: إنَّ في الجنَّةِ شجَرةً لها ضُروعٌ كضُروعِ البقَرِ، يغذَّى بهِ وِلدانُ أهلِ الجنَّةِ، حتَّى إنَّهم ليَستَنُّونَ كاستِنانِ البكارةِ[٦].

وبعـضُ الأطفـالِ لـه مُرضِـعٌ فـي الجنَّـةِ، مثـلُ إبراهيـمَ ابـنِ رسـولِ اللهِ ﷺ، فإنَّـه لَمَّـا مـاتَ قبـلَ أن يُفطَمَ قـالَ النَّبـيُّ ﷺ: «إنَّ لـه مُرضِعاً فـي الجنَّـةِ»[٧] تُكمِلُ

---

(١) نقله ابن كثير في تفسير سورة الرعد (٢٩) عن ابن أبي حاتم. وهو من المفقود منه، وما بين معقوفين مما نقله ابن كثير.

(٢) أخرجه البغوي في «معجم الصحابة» (٢١٢٦)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٠/ ١٩٣).

(٣) في (ف): «ثلاثة».

(٤) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٢٥٨)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٩٩٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٠/ ١٨٥).

(٥) عزاه السيوطي في «شرح الصدور» (٢٤) إلى «كتاب العزاء» لابن أبي الدنيا.

(٦) ورواه يحيى بن معين، وهو في «تاريخه» رواية الدوري (٢٠٥٠). والبَكارَة: صغار الإبل. وذكره المصنف في الباب التاسع من «أهوال القبور».

(٧) أخرجه البخاري (١٣٨٢) من حديث البراء رضي الله عنه.

رَضاعَـه، وفـي رِوايـةٍ: «ظئراً»[١] وفـي روايةٍ: «إنَّ لـه مُرضِعَينِ يُكمـلانِ رضاعَه في الجنَّةِ»[٢].

وكانَ النَّبـيُّ ﷺ قـد حضَـرَه وهـو يكيـد[٣] بنفسِـه، فدمعَـت عينـاهُ ﷺ، وقالَ: «تدمـعُ العيـنُ ويحـزَنُ القلـبُ، ولا نقـولُ إلَّا ما يُرضِـي الـرَّبَّ، واللهِ يا إبراهيـمُ إنَّا بكَ لَمَحزونـونَ»[٤].

وفـي روايـةٍ: «ولولَا أنَّه أمرٌ حَقٌّ ووعدٌ صِدقٌ، وأنَّها سَبيلٌ مَأْتيَّةٌ، وأنَّ آخرَنا سيلحَقُ بأوَّلِنا لحَزِنَّا عليك حُزْناً هو أشَدُّ مِن هذا»[٥].

وروى ابـنُ أبـي الدُّنيـا في كتـابِ «العزاءِ» مِـن حديـثِ زُرارةَ بنِ أَوْفـى أنَّ النَّبيَّ ﷺ عـزَّى رَجُـلاً علـى ابنِـه، فقـالَ الرَّجلُ: يـا رسـولَ اللهِ! أنا شـيخٌ كبيـرٌ، وكان ابني قـد أجـزَأَ عنَّـا، فقـالَ: أيسـرُّكَ أنَّ ابنـكَ قـد نُشِـرَ لـكَ، أو يَتلقَّـاكَ مِـن أبـوابِ الجنَّةِ بالـكأسِ؟» قـال: مَـن لـي بـذاكَ[٦] يـا رسـولَ اللهِ؟ قـال: «اللهُ لـك بـهِ، ولكُلِّ مُسـلمٍ مـاتَ لـه ولدٌ فـي الإسـلامِ»[٧].

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ١١٧) من حديث البراء رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم من حديث أنس رضي الله عنه (٢٣١٦) ولفظه: «وإن له لظئرين تكملان رضاعه في الجنة».

(٣) أي يجود بنفسه.

(٤) أخرجه البخاري (١٣٠٣)، ومسلم (٢٣١٥) واللفظ له، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٥) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ١١٥)، والبزار (١٠٠١) من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

(٦) في (ت): «بذلك».

(٧) وذكره السيوطي في «فضل الجلد عند فقد الولد»، وعزاه إلى ابن أبي الدنيا.

وبإسنادِهِ عن عُبَيدِ بنِ عُمَيرٍ قال: إذا كانَ يومُ القيامةِ خرجَ وِلدانُ المُسلمينَ مِن الجنَّةِ، بأيديهِم الشَّرابُ، فيقولُ النَّاسُ: اسقُونا اسقُونا، فيقولونَ: أبوَيْنا أبوَيْنا، حتَّى السِّقْطُ مُحبنطِئاً ببابِ الجنَّةِ يقولُ: لا أدخلُ حتَّى يدخلَ أبوايَ[١].

وفي المعنى حديثٌ مَرفوعٌ مِن روايةِ ابنِ عُمرَ، لكن إسنادُه لا يَصِحُّ. وهو باطلٌ، قالَه أبو حاتمٍ الرَّازيُّ[٢].

وفي المعنى رُؤيا إبراهيمَ الحَربيِّ المشهورةُ، حتَّى صارَ يتمنَّى موتَ ابنِه، وماتَ قبلَ البُلوغِ[٣].

ورَوى البيهقيُّ بإسنادِه عنِ ابنِ شوذب أنَّ رجُلاً كان له ابنٌ لم يبلُغِ الحلمَ، فأرسلَ إلى قومِه: إنَّ لي إليكم حاجةً، إنِّي أريدُ أن أدعوَ على ابني هذا أن يَقبِضَهُ اللهُ وتُؤمِّنونَ، فسألوهُ عن ذلك، فأخبرَهُم أنَّه رأى في نومِه كأنَّ النَّاسَ جُمِعوا إلى القيامةِ، فأصابَ النَّاسَ عطَشٌ شديدٌ، فإذا الوِلدان قد خرَجوا مِن الجنَّةِ معَهم الأَباريقُ، فأبصَرْتُ ابنَ أخٍ لي، فقلتُ: يا فلانُ! اسقِني، قال: يا عم! إنَّا لا نسقي إلَّا الآباءَ، قال: فأحبَبْتُ أن يجعلَ اللهُ ولَدِي هذا فرَطاً لي، فدَعا وأمنوا، فلم يلبَثِ الغُلامُ إلَّا يسيراً حتَّى ماتَ[٤].

وفي أكثرِ الأحاديثِ ذكرُ الثَّلاثةِ والاثنينِ، وفي بعضِها: وأظنُّ لو قُلنا: وواحداً؟ لقالَ: وواحِداً، خرَّجَه أحمدُ مِن حديثِ جابرٍ[٥].

---

(١) ذكره السيوطي في «فضل الجلد عند فقد الولد» وعزاه إلى ابن أبي الدنيا.

(٢) علل الحديث، لابن أبي حاتم (٢١٥٦)، وأوله: «يجمع الله أطفال أمة محمد ﷺ يوم القيامة في حياض تحت العرش...».

(٣) رواها الخطيب البغدادي في ترجمته من «تاريخ بغداد»، وهو صاحب كتاب «غريب الحديث».

(٤) أخرجها البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٣٠٩).

(٥) أخرجه الإمام أحمد (١٤٢٨٥).

وقد جاءَ ذكرُ الواحدِ في حديثٍ خرَّجَه التِّرمذيُّ وغيرُه، مِن حديثِ ابنِ مَسعودٍ مرفوعاً: «مَن قدَّمَ ثلاثةً لم يبلُغوا الحِنثَ كانوا له حِصناً حَصيناً»، فقال أبو ذرٍّ: قدَّمتُ اثنينِ، فقال: «واثنينِ»، فقالَ أُبيُّ بنُ كعبٍ: قَدَّمتُ واحداً، قال: «وواحِداً، ولكن إنَّما ذاك عند الصَّدمةِ الأولى»[1].

وفي التِّرمذيِّ، عن ابنِ عبَّاسٍ، عن النَّبيِّ ﷺ: «مَن كان له فرَطانِ مِن أمَّتي أدخلَه اللهُ بهم الجنَّةَ»، فقالت عائشةُ: ومَن كان له فرَطٌ مِن أمَّتِكَ؟ قال: «ومَن كان له فرَطٌ مِن أمَّتي، يا موفَّقةُ» قالت: فمَن لم يكُن له فرَطٌ مِن أمَّتِك؟ قال: «فأنا فرَطُ أمَّتي، لن يُصابُوا بمِثلي»[2].

ويشهدُ له قولُه ﷺ في آخرِ خُطبةٍ خَطَبها: «إنِّي فرَطُكم على الحَوْضِ»[3] يشيرُ إلى أنَّه يتقدَّمُهم ويسبقُهم إلى الحوضِ وينتظِرُهم عنده.

وفي حديثٍ مرسَلٍ خرَّجَه ابنُ أبي الدُّنيا: «مَن ماتَ ولم يُقدِّم فرَطًا لم يَدخُلِ الجنَّةَ إلا تصْريدًا»، فقيلَ: يا رسولَ اللهِ! وما الفرَطُ؟ قال: الولَدُ، وولَدُ الولَدِ، والأخُ يؤاخيهِ في اللهِ عزَّ وجلَّ، فمَن لم يكُن له فرَطٌ فأنا لهُ فرَطٌ»[4].

---

(١) أخرجه الترمذي (١٠٦١)، وقال: غريب.

(٢) أخرجه الترمذي (١٠٦٢)، وقال: غريب.

(٣) روي هذا اللفظ عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم منهم ابن مسعود، وأبو هريرة، وأبو سعيد، وجابر، وابن عباس وغيرهم، في الصحيحين وغيرهما. انظر حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه في البخاري (١٣٤٤).

(٤) تصريداً: التصريد: السقي دون الري، فكأن نعيمه في الجنة أقل من غيره. وأما تفسير «تصريداً» أي قليلاً، فلا أراه يتضح به معنى لأن مجرد الدخول لا يحتمل الكثرة والقلة. انظر: «المجموع المغيث» لأبي موسى المديني. و«النهاية» لابن الأثير. مادة (صرد). والحديث لعله في «العزاء» وهو مفقود. وروى نحوه الطبراني في «الأوسط» (٥٧٤٥) من حديث سهل بن حنيف مرفوعاً.

وفـي حـديثِ عبدِ الرَّحمنِ بنِ سمُرةَ في ذكرِ المنامِ الطَّويلِ عنِ النَّبيِّ ﷺ: «ورأيتُ رجُلاً مِن أمَّتِي خفَّت ميزانُه، فجاءَتْه أفراطُه الصِّغارُ فثقَّلُوا ميزانَه»[١].

وعن داودَ بنِ أبي هندٍ قال: رأيتُ في المنامِ كأنَّ القِيامةَ قد قامَتْ، وكأنَّ النَّاسَ يُدعَوْنَ للحسابِ فقُدِّمتُ إلى الميزانِ، فوُضِعَت حسَناتي في كفَّةٍ، وسيِّئاتي في كفَّةٍ، فرجَحَتِ السَّيِّئاتُ على الحسَناتِ، فبَيْنا أنا كذلك مَغمومٌ إذ أُتِيتُ بشيءٍ كالمِنْديلِ أو كالخِرقةِ البَيْضاءِ فوُضِعَت في حسَناتي[٢]، فقيلَ لي: تَدرِي ما هذا؟ قلتُ: لا، قالَ: سقطٌ كان لكَ، قلتُ: إنَّه قد كانت لي صَبيَّةٌ ابنةٌ لي، فقيل لي: تيكَ ليسَتْ لكَ، لأنَّكَ كُنتَ تتمنَّى مَوْتَها[٣].

وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّ الميزانَ إنَّما يَثقُلُ بما يَثقُلُ على النُّفوسِ مِن المَصائبِ ويشُقُّ، فأمَّا ما لا يثقُلُ عليها ولا يشُقُّ كَمَنْ يَتمنَّى موتَه مِن أولادِه فلا يَثقُلُ بِهِ الميزانُ.

قال زيدُ بنُ أسلمَ: مـاتَ ابنٌ لداودَ عليهِ السَّلامُ، فحَزِنَ عليه حُزْناً شَديداً، فأَوْحَى اللهُ إليه: بماذا كنتَ مُفتَدِيه؟ قال: بطِلَاعِ الأرضِ ذَهَباً، قال: فأَوْحى اللهُ إليه: إنَّ لكَ عِندي مِن الأجرِ بحِسابِ ذلك.

وفي روايةٍ: قالَ: يا داودُ! ما كان يعدِلُ هذا الولدُ عِندكَ؟ قال: كان يَعدِلُ عِندي ملءَ الأرضِ ذهَباً، قال: فلكَ يومَ القيامةِ عِندي مِلءُ الأَرضِ ثَواباً[٤].

---

(١) أخرجه ابن شاهين في «الترغيب في فضائل الأعمال» (٥٢٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٤/ ٤٠٧) وليس عندهما: «الصغار». وجاء في (ت) تعليقاً هنا من أحد المطالعين في الكتاب: «ورأيت رجلاً من أمتي قد قصدوا به إلى النار، فجاءته دمعته التي بكى من خشية [الله فاستنقذته من ذلك].

(٢) أي: «فرجحت على السيئات» وسقطت من نسخنا وهي في المصدر.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم كما في «تسلية أهل المصائب» للمنبجي (ص: ٩٢).

(٤) الرواية الثانية أخرجها عبد الرزاق في «الجامع عن معمر» (٢٠١٤١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» =

سبحانَ مَن لا يُحصي العِبادُ نِعَمَه، ورُبَّما كانت نِعَمُه فيما يَسوءُ أكثرَ مِن نِعَمِه فيما يَسُرُّ، كما قيلَ:

إذا مَسَّ بالسَّرَّاءِ عَمَّ سُرورُها ... وإن مسَّ بالضَّرَّاءِ أعقَبَها الأَجْرُ
وما فيهِما إلَّا لهُ فيهِ نعمةٌ[1] ... تَضيقُ بها الأَوْهامُ والبَرُّ والبحْرُ[2]

لَمَّا كان للمُؤمنِ دارانِ: دارٌ يرتحِلُ منها، ودارٌ ينتقِلُ إليها ويُقيمُ بها؛ أمرَه أنْ ينقلَ مِن دارِ ارتحالِه إلى دارِ إقامتِه ليَعمُرَها مِن بعضِ ما أعطاهُ في دارِ ارتحالِه، وربَّما أخذَ منه كَرْهاً ما يَعمُرُ به دارَ إقامتِه، ويُكمِّلُ له بهِ عِمارتَها وإصلاحَها، ويُقدِّمُ له إلَيها ما يُحِبُّ مِن أهلٍ ومالٍ وولَدٍ، يَسبِقونَه إليها، ليَقدُمَ على ما يحبُّ مِن مالٍ وأهلٍ وولَدٍ، وإن كان المؤمنُ لا يشعرُ بذلك، فما فرَّقَ إلا ليَجْمَعَ، ولا أخذَ إلا لِيَرُدَّ، ولا سلَبَ إلَّا لِيَهَبَ، ولا استرَدَّ العَواريَّ إلا لِيرُدَّها تَمليكاً ثابتاً لا استرجاعَ فيه بعدَ ذلك.

وفي مراسيلِ الحسَنِ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ سمِعَ رجُلاً يقولُ: لَأَنْ أموتَ قبلَ أخي أحبُّ إليَّ، فقالَ: لأَنْ يكون لكَ أحبُّ إليكَ مِن أن تكونَ له. قال الحسَنُ: علِمُوا أنَّ ما لهم مِن أهاليهم ما قدَّمُوا أمامَهم[3].

---

= (٩٣٠٨). أما الرواية الأولى فلم أجدها، فلعلها في «الزهد» للإمام أحمد، وليست في المطبوع منه كما عزا إليه السيوطي هذا الأثر في «فضل الجلد عند فقد الولد».

(١) جاء فوقها بخط دقيق في (ت) و(ف): «منة» وهي الأغلب في المصادر.

(٢) البيتان لمحمود الوراق، من أبيات أنشدها له ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٨٣).

(٣) لم أظفر بهذا الحديث المرسل، ثم قول الحسن رحمه الله عند غير المصنف رحمه الله.

وكذا قال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ[١] وغيرُه، ويَشهدُ له حديثُ: «الرَّقوبُ مَن لم يُقدِّمْ ولَداً»[٢].

سبحان مَن[٣] أنعمَ على عبادِه بما خوَّلَهم مِن المالِ والولدِ، ثمَّ استرجعَ بعضَ ذلك منهم كرهًا وعوَّضَهم الصَّلاةَ والرَّحمةَ والهدى، وذلك أفضلُ ممَّا أخذَ، كما قيلَ:

عَطِيَّتُهُ إذا أعطى سُرُورٌ ... وإن أخَذَ الذي أعْطَى أثابَا

فأَيُّ النِّعمتينِ أجَلُّ قَدْراً ... وأحمَدُ في عَواقبِها مَآبَا[٤]

أنِعمَتُه التي جاءَتْ بكُرْهٍ ... أمِ الأُخْرَى التي جَلَبَتْ ثَوابَا

بلِ الأُخْرَى وإنْ نزَلَتْ بضُرٍّ[٥] ... أجَلُّ لِفَقدِ مَن صبرَ احتِسابَا[٦]

آخِرُه والحمدُ للهِ وحدَه، وصلَّى اللهُ[٧] على سيِّدِنا محمَّدٍ وآلِه وصَحبِه وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

* * *

---

(١) قال لولده: لأن تكون في ميزاني أحب إلي من أن أكون في ميزانك، أخرجه أبو الحسن المدائني في «التعازي» (٢٠)، وابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (١٥٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٠٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وأصل الرقوب: من لا يعيش له ولد.

(٣) سقط من (ت).

(٤) في حاشية (ت) و(ف): «إياباً. نسخة».

(٥) في حاشية (ت): «بكره. نسخة».

(٦) أنشدها الخرائطي لمحمود الوراق في «فضيلة الشكر لله على نعمته» (٣٤). مع بعض اختلاف في الألفاظ.

(٧) في (ت): «وصلواته».

